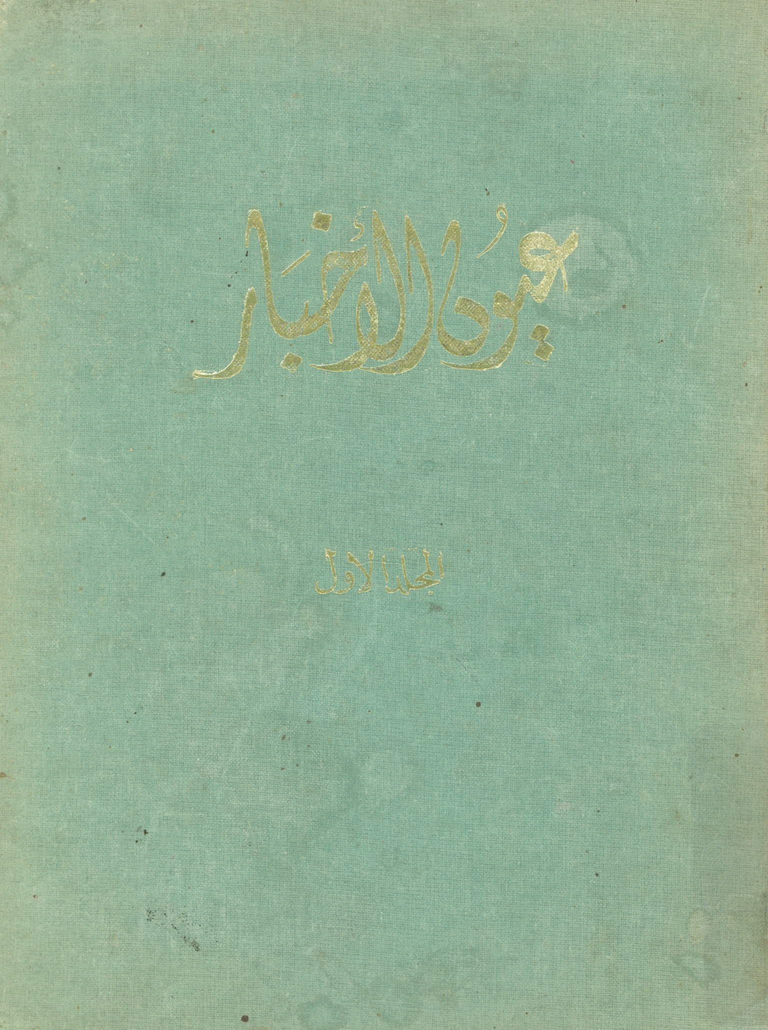

عيون الأخبار
المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

"كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل وهو
مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الرب، أم كيف يرجو
أن يفهم دقائق الأسرار" سيدي محمد بن عطاء الله السكندري.

التراث للجميع



تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيّ
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان ـ كتاب الحرب ـ كتاب السؤدد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٣

فهرس

المجلد الأوّل من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

صفحة

مقدّمة المؤلف ٩

الجزء الأوّل — كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته ١

اختيار العمال ١٤

باب صحبة السلطان وآدابها وتغيّر السلطان وتلوّنه ١٩

المشاورة والرأى ٢٧

الإصابة بالظن والرأى ٣٤

اتباع الهوى ٣٧

السر وكتمانه وإعلانه ٣٨

الكتّاب والكتابة ٤٢

خيانات العمال ٥٢

القضاء ٦٠

صفحة

في الشهادات ٦٨

باب الأحكام ٧٢

الظلم ٧٤

قولهم في الحبس ٧٩

الحجاب ٨٢

التلطف في مخاطبة السلطان و إلقاء النصيحة اليه ٩٢

الخفوت في طاعته ٩٢

التلطف في مدحه ٩٣

التلطف في مسئلة العفو ٩٨

الجزء الثاني — كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها ١٠٧

الأوقات التي تُختار للسفر والحرب ١٢٢

الدعاء عند اللقاء ١٢٣

الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه ١٢٤

ذكر الحرب ١٢٧

في العدّة والسلاح ١٢٨

آداب الفروسة ١٣٢

المسير في الغزو والسفر ١٣٤

صفحة

التفويز ١٤٢

فى الطِّيَرَة والفأل ١٤٤

مذاهب العجم فى العيافة والاستدلال بها ١٥١

باب فى الخيل ١٥٣

باب البغال والحمير ١٦٠

باب فى الإبل ١٦١

أخبار الجبناء ١٦٣

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم ١٧٢

باب الحيل فى الحروب وغيرها ١٩٤

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين ٢٠٤

ذكر الأمصار ٢١٣

الجزء الثالث — كتاب السؤدُد

مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء ٢٢٣

الكمال والتناهى فى السؤدد ٢٢٧

السيادة والكمال فى الحداثة ٢٢٩

الهمّة والخطار بالنفس ٢٣١

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب ٢٣٩

ذمّ الغنى ومدح الفقر ٢٤٦

صفحة

التجارة والبيع والشراء ٢٤٩

الدَّين ٢٥٤

اختلاف الهمم والشهوات والأماني ٢٥٨

التواضع... ... ... ٢٦٤

باب الكبر والعجب ٢٦٩

باب مدح الرجل نفسه وغيره ٢٧٥

قول الممدوح عند المدحة ٢٧٦

باب الحياء ٢٧٨

باب العقل ٢٧٩

باب الحلم والغضب ٢٨٢

باب العز والذل والهيبة ٢٩١

باب المروءة ٢٩٥

باب اللباس ٢٩٦

التختُّم ٣٠٢

باب الطِّيب ٣٠٣

باب المجالس والجلساء والمحادثة ٣٠٥

باب الثقلاء ٣٠٩

باب البناء والمنازل ٣١١

صفحة

باب المزاح والرخص فيه ٣١٥

التوسط فى الأشياء وما يكره من التقصير فيها والغلو (باب التوسط فى الدين) ٣٢٥

باب التوسط فى المداراة والحلم ٣٢٨

باب التوسط فى العقل والرأى ٣٢٩

باب ذمّ فضل الأدب والقول ٣٣٠

باب التوسط فى الحِدَة ٣٣١

باب الاقتصاد فى الإنفاق والإعطاء ٣٣١

أفعال من أفعال السادة والأشراف ٣٣٢



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعجز بَلاؤُه صفة الواصفين وتفوت آلاؤُه عددَ العادّين وتسع رحمته ذنوب المسرفين، والحمد لله الذى لا تُحجَب عنه دعوة ولا تخيب لديه طِلْبة ولا يضل عنده سعى، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بعَقْد الندم كبير الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين، والحمد لله الذى ٱبتعث فينا البشير النذير السراج المنير هاديا إلى رضاه وداعيا إلى محابّته(1) ودالّا على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكتُه المقرّبون عليه وعلى آله وصحبه أبدا ما طما بحر وذرّ شارِق وعلى جميع النبيين والمرسلين .

أما بعد: فإن لله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة، وزكاة الشرف التواضع، وزكاة الجاه بذله، وزكاة العلم نشره، وخير العلوم أنفعها، وأنفعها أحمدها مَغَبَّة، وأحمدها مغبّة ما تُعلِّمَ وعُلِّمَ لله وأريد به وجه الله تعالى.

ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفيد مريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوِّين وأجود المسئولين .

وإنى كنت تكلفت لمُغْفِل التأدب من الكُتَّاب كتابا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيَّنتُ شُمول النقص ودروسَ العلم وشغلَ السلطان عن إقامة سُوق الأدب

(1) فى النسخة الفتوغرافية : «محابه» .

حتى عفا ودرَس، بلغتُ به فيه همّة النفس وثَلَج الفؤاد وقيّدتُ عليه به ما أطرفنى الإله[1] ليوم الإدالة، وشرطتُ عليه مع تعلّم ذلك تحفُّظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره[2] متمثلا إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتنى الهمة إلى كفايته وخشيت إن وكلتُه فيما بقى إلى نفسه وعوّلتُ له على اختياره أن تستمرّ مَرِيرتُه على التهاون ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكَلال من الحدّ فيلحقه خَوَر الطباع وسآمة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له فى ذلك عمل مَنْ طَبَّ لمن حَبَّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله فى الجزاء والأجر.

فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن فى القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌّ على معالى الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا فى تهجد الليل وسَرْد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفِل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومَسُوسهم مؤدّبا وللملوك مستراحا [من كدّ الجِدّ والتعب][3] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) فى النسخة الألمانية : «ما أضل من الآلة ليوم الإدالة» .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية : «النظر» . (٣) زيادة فى النسخة الالمانية .

وعلى الناشد طلبها، وهى لَقاح عقول العلماء ونتاج[1] أفكار الحكماء و زبدة المَخْض وحلْية الأدب وأثمار طول النظر والمتخيرَّ من كلام البلغاء وفِطَن الشعراء وسير الملوك وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثِقافها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خَبَثها، وتَرُوضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم، وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت، وتستنجح بها حاجتك إذا سألت، وتتلطف فى القول إن شفعت،وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرت، فإن الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها فى صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه، وتعمُر بها مجلسك إذا جدَدْت أوهَزَلت وتوضح بأمثالها حججك وتُبِدّ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَئُونة،وتستولى على الأمد وأنت وادع [وتلحق الطَّريدة[2] ثانيا من عِنَانك وتمشى رويدا وتكون أوّلا] هذا إذا كانت الغريزة مُوَاتيةً والطبيعة قابلة والحس منقادا، فإن لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب، لمن أراه عقلُه نقص نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والروِيَّة عيبها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها بمائه وقدح فيها بضيائه، ما نعَش منها العليل وشحذ الكليل وبعث الوَسْنان وأيقظ الهاجع حتى يُقَارب بعون الله رُتَبَ المطبوعين .

ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقتهم، فوفّيت كل فريق منهم قِسْمه و وفّرت عليه سهمه وأودعته طُرَفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقَوْن به إذا آجتمعوا ويتكاتبون به إذا آفترقوا،

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «ونتائج» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفا، ويأطِرُ على التوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائقه قسوة القلوب. ولم أُخْلِه مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجِبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهبٌ سلكه السالكون وعَرُوضٌ أخذ فيها القائلون، ولأروّح بذلك عن القارئ من كدّ الجدّ[1] وإتعاب الحق؛ فإنّ الأذن مجّاجة وللنفس حَمْضَةٌ، والمَزْح إذا كان حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسبابٍ أوجَبْته [مشاكلا][2] ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله.

وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما رُوي عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مرّ بك أيها المتزمّتُ حديث تستخفّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به.

واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فإن غيرك ممن يترخّص فيما تشدّدت فيه محتاج إليه، وإن الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيُهيَّأ على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه توقّي المتزمّتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يُقبل إليه معك.

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين، وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنّك الخشوع أو التخاشع على أن تُصعّر خدّك وتُعرض بوجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تعزّى بعَزاء الجاهلية

(١) في النسخة الفتوغرافية «الجهد». (٢) زيادة في النسخة الألمانية.

فأعضّوه بهن أبيه ولا تكنوا». وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لبديل بن ورقاء، — حين قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إنّ هؤلاء لو قد مسّهم حزّ السلاح لأسلموك — : « اعضض ببظر اللّات ، أنحن نسلمه ! » . وقال عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه : «من يطل أير(١) أبيه ينتطق به» . وقال الشاعر فى هذا المعنى بعينه

فلو شاء ربّى كان أير أبيكم * طويلا كأير الحارث بن سدوس

قال الأصمعيّ : كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشّعبيّ : إن هذا لا يجيء فى القياس، فقال: أيرٌ فى القياس، الولد ذكرٌ . وليس هذا من شكل ما تراه فى شعر جرير والفرزدق لأنّ ذلك تعيير وٱبتهار فى الأخوات والأمهات وقذفٌ للمحصنات الغافلات، فتفهّم الأمرين وٱفرُق بين الجنسين، ولم أترخّص لك فى إرسال اللسان بالرّفث على أن تجعله هجّيراك على كل حال ودَيْدنك(٢) فى كل مقال، بل الترخّص منّى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها ، تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجيّة والرغبة بها عن لِبسة الرياء والتصنع . ولا تستشعرْ أنّ القوم قارفوا وتنزّهت وثلموا أديانهم وتورّعت . وكذلك اللحنُ إن مرّ بك فى حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأنّ الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسْنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد(٣) المدينى — وقد أكل طعاما كظّه : — قِي فقال: ما أقى، أقى نقًّا ولحم جَدْى! مرتى طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوّا الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وورد فى مجمع الأمثال للميدانى «مَنْ يَطُلْ هَنُ أبيه ينتطِق به » . (٢) فى النسخة الألمانية «ودينك» .

(٣) ورد فى النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لُزَيّد) وكذلك ورد فى الأغانى ج ١٣ ص ١١٧ من غير ضبط وورد فى كتاب البخلاء للجاحظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مُزبِد) . وورد فى الأصل الفتوغرافى الذى بين أيدينا هكذا (للزبّد) . وفى تاج العروس فى مادة (زبد) : ومزبد كمحدّث اسم رجل صاحب النوادر وضبط كمعظّم ووجد بخط الذهبيّ ساكن الزاى مكسور الموحدة .

هـذا قيًا لأكلتـه . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفّيت بالإعراب والهمز حقوقَها لذهبت طُلاوتها ولاَستبشعها سامعُها وكان أحسن أحوالها أن يكافئَ لطفُ معناها ثقلَ ألفاظها فيكون مثل المخبرَ عنها ما قال الأوّل

اضربْ نَدَى طلحةِ الخيراتِ إن فخروا * ببخل أشعثَ واستثْبتْ وكن حكمَا
تخرجْ خُزَاعةُ من لؤم ومن كرم * فلا تعـدّ لها لؤما ولا كرمَا

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء فى جارية له

أمُغَطًّى منّى على بصرى للـ * ـحبّ أم أنتِ أكمل الناس حسنا
وحديثٍ أَلَذُّه هو ممّا * يشتهى الناعتون يوزَن وزنا
منطقٌ بارعٌ وتلحَن أحيا * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا (١)

وإن مرّ بك خبر أو شعر يتّضع عن قدر الكتاب وما بُنى عليه فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما قلة ما جاء فى ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن الحسَن إذا وُصل بمثله نقص نُوراهما (٢) ولم يتبيَّن فاضل بمفضول . وإذا وُصل بما هو دونه أراك نقصانُ أحدهما من الآخر الرجحانَ ، ومدار الأمر وقِوَامُه على واحدة تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهى أن تُحْضِر الكلمة موضعَها وتصلها بسببها ولا ترى غبنًا أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فإذا رأيت حالا تُشاكِل ماحضرك من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها ، وكان يقال : انتهزوا فرصَ القول فإن للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : ربَّ كلمةٍ تقول : دعنى .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تُعوص فى حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال «وخير الحديث ما كان لحنا» أى خير الحديث ما فهمه صاحبك الذى تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اه نقلا عن أمالى القالى . وقيل تلحن أحيانا أى تخطئ فى الإعراب ، وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا كان خفيفا ويستثقل منهن لزوم حاقّ الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسياق الكلام يأتلف معه . ولعله عنى باللحن فى المصراع الأوّل الخطأ فى الإعراب وباللحن فى المصراع الثانى المعنى الذى ذهب اليه ابن دريد أو اللحن بمعنى التوقيع . (٢) فى النسخة الفتوغرافية : «نوارهما» .

وإن وقفتَ على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبعا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفّح الكتب كلها، فإنه ربّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كالتلطف فى القول يقع فى كتاب السلطان ويقع فى كتاب الحوائج ويقع فى باب البيان، وكالاعتذار يقع فى كتاب السلطان وفى كتاب الإخوان، وكالبخل يقع فى كتاب الطبائع وفى كتاب الطعام، وكالكبَر والمشيب يقع فى كتاب الزهد ويقع فى كتاب النساء .

واعلم أنّا لم نزل نتلقّط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السنّ والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكتّاب فى فصول من كتبهم وعمّن هو دوننا غيرَ مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًّا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأمَة الوَكْعاء لجهلها فضلًا عن غيرها ، فإن العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزْرىَ بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبَط من الكاشحين، ولا تَضيرُ الحسناءَ أطمارُها ولا بناتِ الأصداف أصدافُها ولا الذهبَ الإبريزَ مَخرجُه مِنْ كِبَا (*)، ومن ترك أخذَ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمرّ مرّ السحاب .

حدثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن سُليمان بن معاذ عن سِماك عن عِكْرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فإنه قد يقول الحكمةَ غيرُ الحكيم وتكون الرمْيةُ من غير الرامى » . وهذا يكون فى مثل كتابنا لأنه فى آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فأما علم الدين والحلال والحرام فإنما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) فى النسخة الألمانية : "لموضعه"، وربما عينه السياق .

إلا عمّن تراه لك حجة ولا تقدح فى صدرك منه الشكوكُ ، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدَثين إذا كان متخيَّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث فى عصره وكل شرف فأوله خارجيّةٌ (*) ، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدّم وغُفران زلته وبخس المتأخر والتجنّى عليه ، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإنى حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع فى عشرة كتب بعد الذى رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة ، كل كتاب منها مفرد على حدته ، كتاب الشراب ، وكتاب المعارف ، وكتاب الشعر ، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب فى صحبته وفى مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به فى اختيار عُمّاله وقضاته وحُجّابه وكُتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه فى أحكامهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثانى "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(*) فى اللسان «الخارجىّ الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم» .

وعن العُـدد والسلاح والكُرَاع وما جاء فى السفر والمسير والطِّيَرة والفَأْل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحِيَل الحرب وغيرها وشىء من أخبار الدولة والطالبيِّين وأخبار الأمصار وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثالث "كتاب السُّؤدُد" وفيه الأخبار عن مَخَايل السؤدُد فى الحَدَث وأسبابه فى الكبير وعن الهمة السامية والِخطَار بالنفس لطلب المعالى واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمُِزَاح وترك التصنُّع والتوسط فى الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمُدَاينة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدُدفضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن تشابه الناس فى الطبائع وذمّهم وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغِيبة والسِّعاية والكذب والقِحَة وسوء الخلق وسوء الجوار والسِّباب والبخل والحمق ونوادر الحَمْقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثَر والكلام فى الدين و وصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة

والتلطف فى الجواب والكلام وحسن التعريض والخُطب والمقامات[1] وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهّاد وكلامهم فى الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبَر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودّة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقى والزيارة والمعانقة والوَداع والتهادى والعيادة والتعازى والتهانى وذكر سُمّار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب[2] الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجِدّ والهدِيّة والرشوة ولطيف الكلام ومن يُعتمَد فى الحاجة ومن يُستسعَى لها والإجابة إلى الحاجة والردّ عنها والمواعيد وتنجُّزها وأحوال المسئولين عند السؤال فى الطَّلاقة والعُبُوس والعادة من المعروف تُقْطَع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب فى قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «المقالات» .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى «وعيب الإخوان ومغاويهم وتعاديهم ...» الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحَلْواء والسَّويق واللبن والتمر والخبائث منها التى يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة القفر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأَكَلَة والمَنْهُومين والدعاء إلى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحِمْية وشرب الدواء ومضارّ الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتَف من طِبّ العرب والعجم وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبيْن فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء فى أخلاقهنّ وخَلْقهنّ وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال فى ذلك والحسن والجمال والقبح والدَّمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهُور وخِطَب النكاح ووصايا الأولياء عند الهِدَاء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول بهنّ والجماع والولادات ومساويهن خلا أخبار عُشّاق العرب فإنّى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودِع هذا الكتاب منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك فى صدر أوّلها لأُعفيك من كدّ الطلب وتعب التصفّح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتُها ولِتَقْصدَ فيما تريد حين تريد إلى موضعه فتستخرجَه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثرُ من أن يُحاط بها أو يُوقف من ورائها أو تنتهى حتى يُنْتَهى عنها .

وقد خفّفتُ وإن كنتُ أكثرت ، وٱختصرت وإن كنت أطلت ، وتوقّيتُ في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة ومِنْ بُعد الشُّقة بالإياب ، ولم أجد بُدًّا من مقدار ما أودعتُه الكتابَ منها لتتمّ به الأبواب ، ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضا ويغفر بخيرٍ شرًّا وبجدٍّ هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله ويتغمدنا بعفوه ويعيذنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنّ به والرجاء له من الخيبة والحرمان .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدّثنا محمد بن خالد بن خِدَاش قال : حدّثنا سَلْم بن قُتَيبة عن ابن أبي ذئب عن المَقْبُرِيّ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحرِصون على الإمارة ثم تكون حسرةً وندامةً يوم القيامة فنعمتِ المُرضِعةُ وبئستِ الفاطمةُ" .

حدّثني محمد بن زِياد الزيادي قال حدّثنا عبد العزيز الدَّارَوَرْدِي قال حدّثنا شَرِيك عن عَطَاء بن يَسَار أن رجلا قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيءُ الإمارةُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقِّها وحِلِّها" .

حدّثني زيد بن أَخْزَمَ الطائي قال حدّثنا ابن قُتَيبة (*) قال حدّثنا أبو المِنْهال عن عبد العزيز ابن أبي بَكْرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : ابنته بُوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرَهم إلى امرأة" .

حدّثني زيد بن أخزم قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعت أيُّوب يحدّث عن عِكْرِمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحَرّة فقال : من استعمل القومُ؟ قالوا : على قريش عبدَالله بن مُطِيع ، وعلى الأنصار عبدَالله بن حَنْظَلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القَوْم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما لوجودهما معا في كتب الأنساب .

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحق عن هشـام بن حسّان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الإسـلام إلى السلطان الحُكْم والفىء والجمعة والجهاد » . وحدّثنى محمد قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبى قِلَابة قال قال كعب : « مَثَلُ الإسلامِ والسلطانِ والناسِ مَثَـلُ الفُسطاطِ والعمودِ والأطنابِ والأوتادِ ، فالفُسطاط الإسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلُح بعضه إلا ببعض » .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : « السلطان سُوقٌ فما نَفَق عنده أُتِىَ به » . وقرأت فى كتاب لابن المقفّع : « الناس على دين السلطان إلا القليلَ فليكنْ للبِرّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فسيكسُد (١) بذلك الفجورُ والدناءة فى آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « المُلْك (٢) ثلاثة مُلْك دين ومُلْك حزم ومُلْك هوى ، فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينُهم هو الذى يعطيهم مالهم ويُلْحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الإقرار والتسليم . وأما مُلْك الحزم فإنه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخُّط ولن يَضرَّه طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَمَار دهر » .

حدّثنى يزيد بن عمرو عن عِصْمة بن صُقَير الباهلىّ قال حدّثنا اسحق بن نُجَيح عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله حُرّاسا فحرّاسه فى السماء الملائكة وحراسه فى الأرض الذين يأخذون الدِّيوان » .

---

(١) فى الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى : الملوك .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال:حدّثنى سَعيد بن سَلْم الباهلى قال:أخبرنى شُعْبة عن شَرَقىّ عن عِكْرِمة فى قول الله عز وجل:﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ قال : «الجلاوِزَةُ يحفظون الأمراءَ» .

[وقال الشاعر(*)

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً * خليًّا من اسم الله والبركاتِ

يعنى باسم الله،وفيه قول الله:﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ أى بأمر الله] .

وقرأت فى كتاب من كتب الهند : « شرُّ المال ما لا يُنْفق منه وشر الإخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرىء وشر البلاد ما ليس فيه خِصْب ولا أمن » .

وقرأت فيه : «خير السلطان من أشبه النَّسر حوله الجِيَف لامن أشبه الجيفة حولها النسور» وهذا معنى لطيف،وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدّثنى شيخ لنا عن أبى الأَحْوص عن آبن عمٍ لأبى وائل عن أبى وائل قال قال عبد الله بن مسعود : « إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .

وأخبرنى أيضا عن أبى قُدامة عن علىّ بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ثلاثٌ من الفَوَاقر : جار مُقامةٍ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وآمرأة إن دخلتَ عليها لسَنَتْكَ وإن غبتَ عنها لم تأمنها ، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك » .

وقرأت فى اليتيمة : «مَثلُ قليل مضارّ السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى هو سُقْيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السَّفْر

(*) زيادة فى النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرّ سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج له البحار فتشتدّ البليّة منــه على أهله فلا يمنع النــاس، إذا نظروا إلى آثار رحمــة الله فى الأرض التى أحيا والنبــات الذى أخرج والرزق الذى بسط والرحمة التى نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلْغوا ذكر خواصّ البلايا التى دخلت على خواص الخلق. ومثل الرياح التى يرسلها الله نُشُرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لَقَاحا للثمرات وأرواحا(*) للعبـاد يتنسّمون منها ويتقلبون فيهـا وتجرى بها مياههم وتَقد بها نيرانهم وتسـير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من النـاس فى برهم وبحرهم ويخلُص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهـم الشاكُون ويتأذى بهـا المتأذّون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التى جعلها الله بها وأمرها الذى سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحَرْث والنسل ونَتاجا للحَب والثمر، يجمعها البرد بإذن الله [ويحملها] ويخرجها الحرّ بإذن الله ويُنْضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرّ فى حرهما وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك الليـل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد يستوحش له أخو القَفْر وينازع فيه ذو البليّة والرِّيبة وتعدو فيه السِّباع وتَنْسابُ فيه الهوامّ ويغتنمه أهل السَّرَق والسَّلّة ولا يُزرِى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يُلحق به ذمّا ولا يضع عن الناس الحقّ فى الشكر لله على ما مَنّ به عليهم منه. ومَثَل النهار الذى جعله الله ضياء ونُشُورا وقد يكون على الناس أذى الحرّ فى قَيْظهم وتُصَبّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشُّخُوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شىءٌ من سَرّائها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نَعْماؤها بغير كدر وميسورُها من

(*) فى النسخة الفتوغرافية : رواحا.

غير معسور كانت الدنيا إذًا هى الجنــة التى لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترحٌ والتى ليس فيها نصب ولا لُغُوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضرّه خاصًّا فهو نعمة عامة وكل شىء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام » .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت فى التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شىء يجلّ وألباب السُّوَق مشغولة بأيسر الشىء ، فالجاهل منهم يعذِر نفسه بدَعَةِ ماهو عليه من الرِّسْلة ولا يعذِر سلطانه مع شدّة ماهو فيه من المـئونة ، ومن هنالك يعزّز الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خِصْب الزمان » .

وروى الهَيْثَم عن ٱبن عيَّاش عن الشَّعْبى قال : « أقبـل معاوية ذات يوم على بنى هاشم فقال : يا بنى هاشم ، ألا تحدّثونى عن ٱدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا؟ فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتتْ حقا ولا أسَّست ملكا، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عمّ النبى صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقىَ الحَجيج وضامنَ الأيتام أن يطلبها وقد ضمِن له أبو سفيان بنى عبد مناف، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فإن القرابة خَصْلة من خصال الإمامة لا تكون الإمامة بها وحدها وأنتم تدّعونها بها وحدها، ولكنا نقول: أحق قريش بها من بسط الناسُ أيديهم إليه بالبَيْعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤُهم

للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها (*) . إن أمركم لأمرٌ تضيق به الصدور، إذا سئلتم عمّن ٱجتُمع عليه من غيركم قلتم حقٌّ . فإن كانوا ٱجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم . انظروا : فإن كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم، وإن كانوا أخذوا حقّهم فسلّموا إليهم فإنه لا ينفعكم أن تروْا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال ٱبن عباس : ندعى هذا الأمر بحقّ من لولا حقُّه لم تقعد مقعدَك هذا، ونقول: كان تركُ الناس أن يَرضَوْا بنا ويجتمعوا علينا حقًّا ضَيَّعُوه وحظًّا حُرِمُوه، وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطئ الوِرْدَ والصَّدَرَ، ولا ينقُص فضلَ ذى فضلٍ فضلُ غيره عليــه . قال الله عز وجل: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ فأما الذى منعَنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهدٌ منه إلينا قبِلْنا فيه قولَه ودِنَّا بتأويله ولو أَمَرَنا أن نأخذه على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أَعْذَرْنا فيــه ، ولا يعاب أحد على ترك حقه إنمــا المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارًّا . انتهتِ القضيةُ إلى داود وسليمان فلم يُفَهَّمْها داودُ وفُهِّمها سليمان ولم يضرَّ داودَ . فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهى للمؤمن أنفع؛ قال رســول الله صلى الله عليــه وسلم : «أنت عمّى وصِنْو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوّتى آخر النبوّة» . وقال لأبى طالب عند موته : "ياعم قل لا إله إلا ٱلله أشفعْ لك بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس". قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْآنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام مولى ذُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال، قال كسرى : «لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهرٌ جارٍ» .

(*) فى الأصل الفتوغرافى : عليها .

وحدّثنا الرياشى قال حدّثنا مُسْلم بن إبراهيم قال حدّثنا القاسم بن الفضل قال حدّثنا ابن أخت العجاج عن العجاج قال : «قال لى أبو هريرة ممن أنت؟ قال: قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بُقْعانُ[1] الشأم فيأخذوا صدقتك فإذا أتوْك فتلقَّهم بها فإذا دخلوها فكن فى أقاصيها وخلّ عنهم وعنها ، وإياك وأن تسبّهم فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك فى ميزانك يوم القيامة » وفى رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المَصَدِّق فقل : خذ الحق ودع الباطل ، فإن أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصيا خَفَّفَ عن ظالم » .

وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرهبة ، والمحبة ، والديانة » .

وقرأت فى بعض كتب العجم كتابا لأَرْدَشِيرَ بن بَابَكَ إلى الرعية ، نسخته : «من أردشير المُوبَذ[2] ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة ، والكُتّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عَمَـرة[3] البلاد . السلام عليكم ، فإنا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتاوَتَها الموظَّفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون إليكم بوصية : لاتستشعروا الحقد فَيَدْهَمَكم العدوّ ، ولا تحتكروا فيشملكم القحط ، وتزوّجوا فى القرابين فإنه أمسّ للرحم وأثبتُ للنسب ، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا فإنها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها » .

---

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لبياضهم وسوادهم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) فى النسخة الألمانية : المؤبد ، والموبذ كالمُوبَذَان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) فى النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتابا من أرسطاطاليس إلى الاسكندر وفيه : « املك الرعيــةَ بالإحسان إليها تظفرْ بالمحبة منها فإن طلبك ذلك منهـا بإحسانك هو أدومُ بقاءً منه باعتسافك، وآعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها إلى القلوب بالمعروف، وآعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجْهد ألا تقولَ تسلم من أن تفعل » .

وقرأت فى كتاب الآيين (١) أن بعض ملوك العجم قال فى خطبة له : « إنى إنمـا أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » .

ونحوه قول العجم : « أَسْوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها » .

وقالوا : « لا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالهـا من العامة [كَرْهًا] (٢) ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأى والتدبير » .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام عن شيخ له قال : « كان أَنُو شَرْوَانُ إذا ولّى رجلا أمر الكاتب أن يدع فى العهد موضع أربعــة أسطر ليوقّع فيه بخطه فإذا أُتى بالعهد وقّع فيه : سُسْ خيارَ الناس بالمحبــة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفلَةَ الناس بالإخافة » .

قال المدائنى : « قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال: نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا أنا عليه إذ أَوْرد أعرابى إبلَه فلما شربتْ ضرب على جُنوبها وقال: عليكِ زيادًا. فقلت له : ما أردتَ بهذا؟ قال: هى سُدًى، ما قام لى بها راعٍ مذ ولىَ زياد. فسرَّ ذلك معاوية وكتب به إلى زياد» .

(١) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة، ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص ممـا كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا عن هذه الكلمة فى كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذى نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمـانية .

قال عبد الملك بن مروان : «أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرة رعية أبى بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلًّا على كل» .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللّين فى غير ضعف والقوىّ فى غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنى لأُجْمِع أن أُخرِج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف ألا تحتمله قلوبهم فأُخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن نفَرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا» .

قال معاوية : « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين الناس شعرةً ما ٱنقطعتْ . قيل : وكيف ذاك؟ قال : كنت إذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوْها مددتها » .

ونحو هذا قول الشَّعْبى فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبِّ، إذا سُكت عنه تقدّم وإذا رُدّ تأخر» . والجمل الطَّبُّ الحاذق بالمشى وهو الذى لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك فى الغضب ويأخذ ما(*) فوقه من تحته » .

وأَغْلظ له رجل فحَلُم عنه فقيل له : أتحلُم عن هذا؟ فقال : «إنى لا أَحُول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحُولوا بيننا وبين سلطاننا» .

كان يقال : «لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة» .

(*) فى الأصل الفوتوغرافى : من .

قال زياد : «أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سِمَانا ما سَمِنوا» .

وكتب الوليد إلى الحجاج يأمره أن يكتب إليه بسيرته فكتب إليه : «إنى أيقظت رأيى وأَنَمْتُ هواى ، فأدنيتُ السيد المطاع فى قومه ، ووليت الحربَ الحازمَ فى أمره ، وقلّدت الخراجَ الموفِّر لأمانتـه ، وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظًّا من نظرى ولطيف عنايتى ، وصرفت السيف إلى النَّطِف المسىء ، والثوابَ إلى المحسن البرىء فخاف المُرِيب صولةَ العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .

وكان يقول لأهل الشام : « [إنما](١) أنا لكم كالظَّليم الرائح عن فراخه : ينفى عنها القَذَر ويباعد عنها الحجر ويكنُّها من المطر ويحميها من الضِّباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشأم أنتم الجُنَّة والرداء وأنتم العُدَّة والحِذَاء » .

فخر سُلَيم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : «اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلسانى » .

وقال الوليـد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : «هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها وآقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصَّنائع » .

وفى كتب العجم : « قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أَوْدَعَتْها(٢) من شىء فلتعلم أنه فيها » .

ووصف بعض الملوك سياسته فقـال : « لم أهزِل فى وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب وآستكفيت على الجزاء وأثبت على العنـاء لا للهوى ، وأودعت القلوب(٣) هيبة لم يَشُبْها مقت وودّا لم تَشُبْه جرأة وعمّمت بالقوت ومنعت الفضول» .

---

(١) زيادة عن النسخة الألمـانية .

(٢) فى الأصل الفوتوغرافى : قلوب الرعية خزائن مكها فا أودعها من شىء فليعلم أنه فيها .

(٣) فى الأصل الفوتوغرافى : القلوب .

وقرأت فى كتاب التاج : قال أَبْرَوِيزُ لابنه شِيرَوَيْه وهو فى حبسه : « لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجّوا منك ، أعطِهم عطاء قَصْدًا وآمنعهم منعا جميلا ووسّع عليهم فى الرجاء ولا توسّع عليهم فى العطاء» . ونحوه قول المنصور فى مجلسه لقواده : صدق الأعرابى حيث يقول : أَجِعْ كلبَك يتْبَعْك . فقام أبو العباس الطُّوسى فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

وكتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى : «أما بعد، فإن للناس نَفْرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياءُ مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثر نصيبَك من الله فإن الدنيا تنفَد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفسّاق وآجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا، وعُدْ مَرضَى (*) المسلمين وآشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا، وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن وإنما حتفها فى السمن، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيّتُه، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

هشام بن عُرْوة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجَم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدّث نفسَه . ثم التفت إلينا فقال : لا يَبْعُدَنَّ ابن هند! إن كانت فيه لمخارج لانجدها فى أحد بعده أبدا، والله إن كنا لنُفَرِّقُه وما الليث الحَرِبُ على براثنه بأجرأ منه فيتَفَارَقُ لنا . وإن كنا لنخدعه وما آبن ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط فى الأصل الفتوغرافى هكذا (مَرَض) ويظهر أنه من عمل الناسخ، وفى الأصل الألمانى : مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الإسلام .

فَيَتَخادَعُ لنـا ، والله لوددت أنّا مُتِّعْنَا به ما دام فى هـذا حجر (وأشار إلى أبى قبيس) لا يُتَخَوَّنُ له عقل ولا تَنْتَقِص له قوة ، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجلُ . قال : وكان يَصِلُ بهذا الحديث : كان والله كما قال العُذْرى :

رَكـوبُ المنابر وثّابُها * مِعَنٌّ بخطبتـه مِجْهَـرُ
تُرِيعُ إليه هوادى الكلام * إذا خَطِل النـثر المِهْمَرُ[١]

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنا جد سُرانٍ[٢] وسُرانٌ عم الأصمعى قال : « كلم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب فى أن يَلِينَ لهم فإنه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار فى خدورهنّ . فقال عمر : إنى لا أجد لهم إلا ذلك ، إنهم لو يعلمون ما لهم عندى لأخذوا ثوبى عن عاتق[٣] » .

قال وتقدمت إليه امرأة فقالت : « يا أبا عقر[٤] حفص ، الله لك ، فقال : مالك أَعَقِرْتِ ؟ أى دُهِشت فقالت صلعتُ[٥] فرقتَك .

قال أَشْجَعُ السُّلَمِىُّ فى إبراهيم بن عثمان

لا يُصلح السلطانَ إلا شـدّةٌ * تَغْشَى البرىء بفضل ذنب المجرم
ومن الوُلاة مقحَّمٌ لا يُتَّـقَى * والسيف تقطر شَفْرتاه من الدم
منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها * بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

(١) فى التاج مادّة هـ م ر : وخطيب مهمر : مُكثر . وأورد هذا البيت . وفى الأصل الفتوغرافى ''ممهر'' ولم نجده فى القاموس ولا فى اللسان .

(٢) كذا بالأصل الفتوغرافى عاريا عن الضبط ، وضبط فى النسخة الألمانية بضم أوّله وقد بحثنا عنه فلم نهتد إليه .

(٣) فى الأصل الألمانى : مِنْ على .

(٤) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى ولعله محرّف عن ''عمر'' وكأنها أرادت أن تناديه بقولها يا أبا حفص عمر ، فقالت من دهشتها يا أبا عمر حفص كما قالت فى آخر الحكاية صلعت فرقتك وكأنها أرادت أن تقول فرقْتُ صلعتك .

(٥) فى الأصل الألمانى هلعت وهو تحريف .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القرّاء وشر القرّاء أقربهم من الأمراء » .

كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حِمْص إلى عمر : « إن مدينــة حمص قد تهدّم حصنها[(١)] ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه » فكتب إليه عمر « أمّا بعد ؛ فحصنها بالعدل ، والسلام » .

ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولىَ لم يطابق بين جفونه وأرســل العيون على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسىء خائف » .

كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استُغزِر بمثل العدل ولا استُنزِر بمثل الظلم » .

وفى كتاب من كتب العجم أن أردشـير قال لابنه : « يا بنى ، إن الملك والدين أخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أُسٌّ والملك حارس ، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيّتك لأهل الجهاد وبِشْرك لأهل الدين وسِرّك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .

وكان يقال : « مهما كان فى الملِك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغى أن يكون كذابا فإنه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يُرْج أو أوعد بشر لم يُخَفْ ، ولا ينبغى أن يكون بخيلا فإنه إذا كان بخيــلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة [ولا[(٢)] ينبغى أن يكون حديدا فإنه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية] ولا ينبغى أن يكون حسودا فإنه إذا كان حسودا لم يشرِّف أحدا ولا يصلح النـاس إلا على أشرافهم ، ولا ينبغى أن يكون جبانا فإنه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره واجترأ عليه عدوه » .

---

(١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو الناسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان : واأبتاه ، وبكت . فقال معاوية : « يا ٱبنــة أخى إنّ الناس أعطوْنا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فإن نَكَثْنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكونى آمرأة من عُرْض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على : « إنّ المسلمين ولَّوْك أمرهم بعد علىّ فشمِّر للحرب وجاهد عدوك ودارِ أصحابَك وٱشــترِ من الظَّنين دينَه بما لا يثلُمُ دينك ووَلِّ أهــل البيوتات والشرف تستصلحْ بهم عشائرهم حتى تكونَ الجمــاعةُ فإن بعض مايكره الناس ، ما لم يتعدَّ الحق وكانت عواقبه تؤدى إلى ظهور العدل وعز الدين ، خيرٌ من كثير ممــا يحبون إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووَهْن الدين » .

حدّثنى محمد بن عُبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال : « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يَعْرِفُ من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فإن قالوا : نعم . حمد الله تعالى ، وإن قالوا : لا ، كتب إليه : أقبلْ » .

اختيــار العمال

رُوى أن أبا بكر الصــديق رضى الله عنه لمــّا حضرته الوفاة كتب عهدا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عنــد آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتّقِى فيها الفاجر : إنى استعملت عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فذلك علمى به ، وإن جار وبدّل فلا علم

لى بالغيب ، والخيرَ أردتُ ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿ وسيعلم ٱلذين ظلموا أىَّ مُنقَلَب ينقلبون ﴾ » .

وفى التاج أن أَبْرَوِيزَ كتب الى ٱبنــه شِيرَوَيْهِ من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتــك ٱمرأ [كان][1] فى ضَعَة فرفعتَه ، أو ذا شرف وجدته مهتضَما فٱصطنعتَه ، ولا تجعله ٱمرأ أصبتَه بعقوبة فٱتَّضَع عنها ولا ٱمرأ أطاعك بعد ما أذللتَه ولا أحدا ممن يقع فى خَلَدك أن إزالة سلطانك أحبّ[2] له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضَرَعا غُمْرا كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى غيره ، ولا كبيرا مُدْبِرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السنّ من جسمه » .

وقال لَقِيط فى هذا المعنى :

فقــلِّدوا أمركــم لله دَرُّكــم * رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُتْرَفا إنْ رخاءُ العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا[3]
ما زال يحلُب دَرَّ الدهر أَشطُرَه * يكون متّبِعا يوما ومتّبَــعا
حتى ٱستمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُه * مستحكِمَ السنِّ لا قَحْمًا[4] ولا ضَرَعا

ويقال فى مثَل : « رأْى الشيخ خير من مَشْهَد الغلام » ومن أمثال العرب أيضا فى المجرِّب : « العوانُ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ » .

---

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى "فحما" وكتب تحته كالتفسير له "كبيرا" والصواب "قحما" ومعناه كبير السن جدّا ونظيره من شعر العرب قوله

له حَكَمَات الدهر من غير كَبْرة * تَشِين فلا فانٍ ولا ضَرَع غُمْــر

قال بعض الخلفاء : دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمّنى . قالوا : كيف تريده؟ قال : « إذا كان فى القوم وليس أميرَهم كان كأنه أميرهم و إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيعَ بن زياد [الحارثى](١) . قال : صدقتم، هو لها .

وروى الهيثم عن مُجالِد عن الشَّعبى قال ، قال الحجاج : دلونى على رجل للشُّرَط فقيل : أىَّ الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يخفق(٢) فى الحق على جرة يهون عليه سِبَالُ الأشراف فى الشفاعة » فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى . فأرسل إليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفينى عيالَك وولدَك وحاشيتَك . قال : ياغلام، نادِ فى الناس : من طلب إليه منهم حاجة فقد برئتْ منه الذمة . قال الشعبى : فوالله ما رأيت صاحب شرْطة قطّ مثلَه ، كان لا يحبس إلا فى دين، وكان إذا أُتى برجل قد نقب على قوم وضع مِنْقَبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أُتى بنبّاش حفر له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شىء ضربه ثلثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يُؤْتَى بأحد فضم إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

---

(١) زيادة عن النسخة الألمانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى وهو تحريف والصواب لا يُحْنق فى الحق على جِرَّة ، يقال ما يُحْنق فلان على جرة وما يكظم على جرة إذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يحنق على جِرَّته » اهـ . انظر اللسان فى مادة حنق .

وقرأت فى كتاب أبرويز إلى آبنـه شيرويه : « انتخب لخراجك أحد ثلاثة : إما رجلا يُظهر زهـدا فى المـال ويدّعى ورعا فى الدين فإنّ من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج وآجتهد فى العِمارة، فإن هو لم يَرَعْ ولم يَعِفَّ إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حريًّا أن يخون قليلا ويوفّر كثيرا آستسرارا بالرياء واكتتاما بالخيانة ، فإن ظهرتَ على ذلك منه عاقبتَه على ماخان ولم تحمَدْه على ماوفر، وإن هو جَلَّح فى الخيانة وبارز بالرياء نكَّلت به فى العذاب واستنظفتَ ماله مع الحبس . أو رجلا عالمـا بالخراج غنيا فى المـال مأمونا فى العقل فيدعوه علمـه بالخراج إلى الاقتصاد فى الجَلْب والعِمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه إلى العفة ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالمـا بالخراج مأمونا بالأمانة مُقْتِرا من المـال فتوسّع عليه فى الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثرَ لفاقته اليسيرَ، ويُزْجى بعلمه الخراج، ويَعِفّ بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليـك بأهل العُـذْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم وإن قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدى بن أَرْطاة لإياس بن معاوية : دلَّنِى على قوم من القراء أُوَلِّهم . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدّنيا، فما ظنُّك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منهـا ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يسْتَحْيون لأحسابهم فولِّهم .

أحضر الرشيد رجلا ليولّيَه القضاء فقال له : إنى لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبـه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العَجَلة ، ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه . وأنت رجل تشـاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقّه به . فولى فما وجدوا فيه مطعنا .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعي قال حدّثني صالح بن رُسْتَم أبو عامر الخزّاز قال قال لى إياس بن معاوية المُزَنيّ : أرسل إلىّ عمر بن هُبَيرة فأتيتُه فساكتني فسكتُّ ، فلما أطلتُ قال : إيهٍ . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت: نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت: نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شـيئا ؟ قلت: نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إنى أريد أن أستعين بك . قلت : إن فيّ ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عَيِيٌّ . قال : أما الدمامة فإنى لا أريد أن أحاسن بك الناس ، وأمّا العيّ فإنى أراك تعبر عن نفسك . وأمّا سوء الخلق فيقوّمك السـوط . قم ، قد وليتك . قال : فولّانى | وأعطانى | (*) ألفى درهم فهما أول مال تموّلته .

قرأت فى كتاب للهند : « السلطان الحازم ربمـا أحب الرجل فأقصاه وآطّرحه مخافة ضره ، فِعْلَ الذى تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمّها فى جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغَناء يجده عنده كتَكارُه المرء على الدواء البَشِع لنفعه » .

حدّثني المعلّى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنـا رجلا فقد تضمّن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلوّنه

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن مجالد عن الشَّعْبى عن عبد الله بن عباس قال : قال لى أبى : « يا بُنَىّ إنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنى أوصيك بخلال أربع : لا تفشيَنّ له سرا ، ولا يجرّبنّ عليك كذبا ، ولا تغتابنّ عنده أحدا ، ولا تَطْوِ عنه نصيحة » قال الشَّعبى قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إى والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا ، وإن زادك فزدْه » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادعُ له ثم اصفح صفحا جميلا ، ولا يرينَّ منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغى لمن خدم السلطان ألا يغترَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمَّلوه ولا يلحف فى مسئلتهم » .

وقرأت فى كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبَّه بالجبل الوَعْر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمُقام فيه أشدّ ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأنّ خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التى لها طلب المزيد ، ولا خير فى الشيء الذى فى سلامته مال وجاه وفى نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واطِّراح للأنفة ، وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : «السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكَرْم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه» .

وكانت العرب تقول : «إذا لم تكن من قُرْبان الأمير فكن من بُعْدانه» .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : «لا تكوننّ صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافظا إذا ولّوك ، حَذِرا إذا قربوك ، أمينا إذا آئتمنوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صَرَمُوك[(١)] ، راضيا إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كلَّ البعد والحذر منهم كلَّ الحــذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فإنه من يخــدُم[(٢)] السلطان بحقّه يحُلْ[(٣)] بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة» .

وقال : «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة فى غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرن له فى الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالمسألة ولا تستبطئنّه إن[(٤)] أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنك تعتدّ عليه ببَلَاء . وإن استطعت ألا يَنْسى حقَّك وبلاءَك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله فى أوّل صحبتك له فلا تجدَ موضعا للمزيد ولكن دع للمزيد موضعا . وإذا سأل غيرَك فلا تكن المجيب . وآعلم أن آستلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) فى الأدب الكبير : ضاموك ، وفى نسخة منه ظلموك .

(٢) فى الأدب الكبير : من يأخذ عمل .

(٣) فى الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياكَ سألت ، وقال لك المسئول : أجب أيها المعجَب بنفسه المستخفّ بسلطانه ؟ » .

وقال : «مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب» .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدّب ولده بعد أن آختصه لمجالسته ومحادثته : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام فاصْمُت و إذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن] (*) لا تساعدنى على ما يقبح بى ولا تردّن علىّ الخطأ فى مجلسى ولا تكلّفنى جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودَع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلّمنى بقدر ما آستنطقتُك واجعل بدل التقريظ لى حسن الاستماع منى . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . و إذا سمعتَنى أتحدّث فأرِنى فهمَك فى طَرْفك وتوقُّفك ولا تجهد نفسك فى تَطْرية صوابى ولا تستدع الزيادة من كلامى بما تُظهر من استحسان ما يكون منى ، فمن أسوأ حالا ممن يستكدّ الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه ، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلّ المعجَب بما تسمع منه وقد أحللته محل من لا يُسمع منه؟ وأقل من هذا يُحْبِط إحسانك و يُسقط حقّ حرمةٍ إن كانت لك . إنى جعلتك مؤدّبا بعد أن كنت معلّما وجعلتك جليسا مقرّبا بعد أن كنت مع الصبيان مباعَدا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبى العباس وعنده أبو جعفر فسلّم على أبى العباس فقال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مســألة الملوك عن أحوالهم من تحيات النَّوْكَى، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير، فقل: صبَّح الله الأميرَ بالكرامة. وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمــة، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتدّ عليك وإن أجابك اشتدّ عليه » .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : « جانبِ المسخوطَ عليه والظَّنينَ عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثْنِ عليه عند أحد، فإذا رأيته قد بلغ فى الانتقام[1] ما ترجو أن يلين بعده[2] فاعمل فى رضاه عنك برفق وتلطُّف، ولا تُسارَّ فى مجلس السلطان أحدا ولا تومئ إليــه بجفنك وعينك فإن السِّرار يُخَيِّل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به، وإذا كلمك فاصْغَ إلى كلامه ولا تَشْغَل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت فى كتاب للهنـــد أنه أُهدى لملك الهنـــد ثياب وحَلْى فدعا بامرأتين له وخيَّر أحظاهما عنده بين اللباس والحِلْية، وكان وزيره حاضرا، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تَغْضِينًا بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية لئلا يَفْطَن للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تَقِرّ تلك فى نفس الملك وليظنّ أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للأخرى [فلمــا[3] حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصَّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شىء يسير أربعين سنة] .

قال شَبِيبُ بن شَيْبة : « ينبغى لمن ساير خليفــة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شىء لم يحتجْ إلى أن يلتفت : ويكونَ من ناحية إن

(١) فى الأدب الكبير «من الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالى» والإعتاب الرجوع عن الاساءة .

(٢) فى الأدب الكبير : عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافى .

التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَن الريح التى تؤدّى الغبار إلى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن آبتليت بأن تدخل إلى السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء » .

قال ثُمَامة (١) : كان يحيى بن أكثم يماشي المأمون يوما فى بستان موسى والشمس عن يسار يحيى والمأمون فى الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا فى الطريق التى بدأ فيها فقال ليحيى: كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنتُ وأتحوّل أنا إلى حيث كنتَ. فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أقيك هَوْل المطلع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدٌّ من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك . فتحوّل يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : «أوّل العدل أن يعدل الرجل على بِطَانته ثم على الذين يَلُونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى .

المدائنى قال، قال الأحنف : «لا تنقبضوا عن السلطان ولا تَهَالكوا عليه فإنه من أشْرَفَ للسلطان أَذْرَاه (٢) ومن تضرّع له أَحظاه» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى محمد بن عمرو الرومى [قال حدّثنا زُهير بن معاوية] (٣) عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع قال، قال حُذَيْفة بن اليمان : «ما مشى قوم قطّ إلى سلطان الله فى الأرض ليُذِلُّوه إلا أذلّهم الله قبل أن يموتوا » .

---

(١) كذا بالأصل، وفى العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدى .

(٢) هكذا فى الألمانية، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقد الفريد : ومن تطامن له تخطاه ، قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التى لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش، وما استهدف لها قصمته . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفى أخبار خالد بن صَفْوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنتُ أقربَ النـاس منه فتنفّس ثم قال : يا خالد، لربّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى إلىّ حديثا منك. فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدا أَدَلَّ فأَمَلَّ وأَوْجف فأَعْجف ولم يدعْ لراجع مرجعا، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى . فقال : هيهات

إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تكنْ (١) * إليـــه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبـــل

حدّثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هـذا الحديث ، وببعضه نهيك (٢) : اعتل يحيى بن خالد فبعث إلى منكه الهندى فقال له : ما ترى فى هذه العلة؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفننا (٣) . فقال له يحيى : ربمـا ثقل على السمع خَطْرةُ الحقّ به، فإذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نُبهت، وربمـا كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمور منصرَف إلى العواقب وما حُتم لا بد من أن يقع ، والمنعة بمُسَالَمة (٤) الأيام نُهْزة فاقصد لمـا دعوتك له من هـذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منكه : هى الصفراء مازجتْها مائيةٌ من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكدْ .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر : «نهيك» بوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : «نهيك» ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : "متعقبا" وفى النسخة الألمـانية : "متعينا" وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : "المتعة" وفى الألمـانية : "المنفعة" وكلاهما محرف .

ما يحدث للّهب عند مماسّته رطوبة المـادة من الاشتعال نخـذ ماء رُمّانين[1] فدقّهما بإهْليلَجة سوداء تُنهِضْك[2] مجلسا [أو مجلسين][3] وتسكّن ذلك التوقد الذى تجد إن شاء الله .

فلما كان من حديثهم الذى كان، تلطف منكه حتى دخل على يحيى فى الحبس فوجده جالسا على لِبْد و وجد الفضل بين يديه يَمْهُنُ[4] أى يخدم فاستعبر منكه وقال : قد كنت ناديت لو أُعرتُ[5] الإجابة . قال له يحيى : أتراك علمتَ من ذلك شيئا جهلتُه؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشَّفَق وكان مزايلةُ القـدَر الخطيرِ عبئا قلّما تنهض به الهمة . و بعـدُ فقد كانت نعمٌ أرجو أن يكون أوّلها شكرا وآخرها أجرا . فما تقول فى هذا الداء؟ قال له منكه : ما أرى له دواء أنجع من الصبر، ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كانـ ذلك ممـا يجب لك . قال يحيى : قد شكرت لك ما ذكرت فإن أمكنك تعهـدنا فافعل . قال منكه : لو أمكننى تخليف الروح عندك ما بخِلت بذلك ، فإنما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل: كان يحيى يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عمن فُقِد منهم مثل البَغِيّ والمكتِّب، كلما ذهب واحد جاء آخر» .

والعرب تقول : « السلطان ذو عَدَوَانٍ وذو بَدَوَانٍ وذو تُدْرأٍ » يريدون أنه سريع الانصراف كثير البَدَوات هَجُوم على الأمور .

(١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدقّ فيه إهليلَجة الخ .

(٢) كذا بالعقد الفريد و فى الفتوغرافية هكذا "تنقضك" . وفى الألمانية : "تنقصك" وكلاهما تحريف .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل

(٥) فى العقد الفريد "أسرعتَ" وفى الأصلين الفتوغرافى والألمانى هكذا "أعرب" ونقل فى هامش النسخة الألمانية أ· "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ بن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن، هات نعلى . لجاء بها، فقال : يا معاذ ضعها فى رجلى . فالبسته إياها لحقد ذلك أبو مسلم ، ووجّه أبو جعفر يَقْطِينَ بن موسى الى أبى مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعلَها ٱبْنُ سلامةَ الفاعلةِ؟ لا يكنِّى. فقال يقطين : عجّلتَ أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرنى أن أحصى الأموال ثم أسلّمَها إليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن فى اليوم الذى قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرَفَةَ بِرْذَونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغنى المعرفةُ إذا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال: جارّة ذيلَها، تدعو ياويلَها، بدجلَة أو حولها، كأنا بعد ساعة، قد صرنا فى دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كنّ فى صدرى شفى الله منها : كتاب أبى مسلم إلىّ وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من السوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثيّة؟ . وضربُ سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط» .

قال المنصور لسَلْم بن قتيبة : ماترى فى قتل أبى مسلم ؟ فقال سَلْم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك ياابا أُمَيَّة .

قال أبو دُلَامة :

أبا مُجْـــرم ماغيّر الله نعمـــة * على عبـــده حتى يُغيّرها العبد
أفى دولة المَهدىّ حاولتَ غَدْرة * ألا إن أهل الغدر آباؤُك الكُرْدُ
أبا مجرم خوفتنى القتـــلَ فانتحى * عليك بما خوفتنى الأســـدُ الوَرْدُ

قال مرْوان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجتُ إلى أن تصير مع عدوّى وتظهر الغدر بى ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعنى فى حياتى و إلا لم تعجَز عن حفظ

حُرمتى بعد وفاتى» فقال عبد الحميد: إن الذى أمرتنى به أنفع الأمرين لك وأقبحهما بى وما عندى إلا الصبر(*) حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال :

أُســرُّ وفاء ثم أُظهــر غَدرة * فمن لى بعذرٍ يُوسِعُ الناسَ ظاهرُهْ

المشـاورة والرأى

حدّثنا الزِّيادىّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشيرُ عليه بالشىء فيأخذُ به» .

وقرأت فى التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقـال أحدهم : «لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليـا به ، فإنه أَمْوَت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسـلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين ، وإفشاءه إلى ثلاث كإفشائه إلى العامة لأن الواحد رهن بما أُفشى إليه والثانى يطلِق عنه ذلك الرهن والثالث عِلَاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يُظهره رهبةً منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المَعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنبٍ واحد ، وإن اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه » .

وقرأت فى كتاب للهنـد أن ملكا استشارَ وزراء له، فقال أحدهم : « الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحَزَمةِ كما يزداد البحر بموادّه من الأنهـار، وينال بالحزم والرأى مالا يناله بالقوة والجنود، وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهطُ فيه، ومنها ما يستعان فيه بقوم، ومنها ما يستغنى فيـه بواحد . وفى تحصين السر الظَّفَرُ بالحاجة والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشـير، فإنه يزداد برأيه

(*) فى النسخة الفتوغرافية : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزداد النار بالسَّليط ضوءا . و إذا كان الملك محصِّنا لسره بعيدا من أن يُعرَف ما فى نفسه متخيِّرا للوزراء مهيبا فى أنفس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البرىء ولا يأمنه المُريب مقدّرا لمـا يُفيد وينفق، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرّنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به » .

قال أبو محمد : كتبت (*) إلى بعض السلاطين كتابا وفى فصل منه : « لم يزل حَزَمةُ الرجال يستَحْلون مرارة قول النصحاء و يستَهْدُون العيوب و يستثيرون صواب الرأى من كلٍّ حتى الأمةِ الوَكْعاء، ومن احتاج إلى إقامة دليل على مايدّعيه من مودّته ونقاء طويّته فقد أغنانى الله عن ذلك بمـا أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادةَ الحال » .

وفى فصل آخر : « وقد تحملتُ فى هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأى ولم أُستشَرْ وأحللت نفسى محل الخواصّ ولم أُحَلّ ونزعتْ بى النفس، حين جاشت وضاقت بمـا تسمع ، عن طريق الصـواب لها إلى طريق الصواب لك ، وحين رأيتِ لسان عدوّك منبسطا بمـا يدّعيـه عليك وسهامه نافـذة فيك ، ورأيت وليّك معْكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر و رأيت عوامّ الناس يخوضون بضروب الأقاويل فى أمرك، ولا شىء أضرّ على السلطان فى حال ولا أنفع فى حال منهم . و بما يُجريه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفى فصل منه : «وسائسُ الناس ومدبر أمورهم يحتاج إلى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامّة و إفهام الجاهل و إرضاء المحكوم عليه والممنوع ممـا

(*) فى الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمـانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يعذِرون بالعذر الواضح فكيف بالعذر الملتبِس، وأخوك من صدقك وآرتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك » .

قال زياد لرجل يشاوره : «لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ،وإن الناس قد ابدَعت بهم خصلتان : إضاعة السر، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله، أو رجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه، وقد عجمتهما لك» .

وكتب بعض الكتّاب : «اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك، وخلَط لك الوعر بالسهل من كلامه ومَشُورته ليكون خوفك كفئا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاشّ لك الحاطب عليك من مدّ لك فى الاغترار ووطّأ لك مِهاد الظلم وجرى معك فى عِنانك منقادا لهواك » .

وفى فصل : «إنى و إن كنت ظَنِينا عندك فى هذه الحال ففى تدبرك صفحات هذه المشُورة ما دلك على أن مَخرَجها عن صدق و إخلاص» .

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثى عبيد الله بن عمر فى أخيه أبى بكر أن يوليه القضاء ، فأشار عليه به، فبعث إلى أبى بكر فآمتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبى بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أ ترى لى أن أَلِيَ القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله! استشرتك فأشرت علىّ به ثم أسمعك تنهاه ! قال : أيها الأمير استشرتنى فآجتهدت لك رأيى ونصحتك، وآستشارنى فآجتهدت له رأيى ونصحته .

كان نصر بن مالك على شُرَط أبى مسلم ، فلما جاءه إذنُ أبى جعفر فى القدوم عليــه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليــك ، قال له أبو جعفر لمــا صار إليه : استشارك أبو مسلم فى القدوم علىّ فنهيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال: سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدّث عن أبيه محمد بن علىّ قال « لا يزال الرجل يزاد فى رأيه ما نصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : «لقد كنت ألقَى الرجل من العرب أعلم أن فى قلبه علىّ ضِغنا فأستشيره، فيثير[(١)] إلىّ منه بقــدر ما يجده فى نفسه فلا يزال يوسعنى شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيننى وأستنجده فيُنجدنى » .

وقرأت فى كتاب إبرَويزَ إلى ابنه شيرويه وهو فى حبسه : « عليك بالمشاورة فإنك واجد فى الرجال من ينضج[(٢)] لك الكَىّ ويحسِم عنك الداء ويخرج لك المستكِنّ ولا يدَع لك فى عدوّك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوّك فيك فرصة إلا حصّنها، ولا يمنعك شدّة رأيك فى ظنك ولا علوُّ مكانك فى نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأى غيرك فإن أَحْمَدتَ اجتنيت وإن ذممت[(٣)] نفيت، فإن فى ذلك خصالا : منهــا أنه إن وافق رأيَك ازداد رأيك شدّة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فإن رأيته معتليا لِمــا رأيت قبلت، وإن رأيته متضِعا عنه استغنيت، ومنها أنه يجدّد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويمحض لك مودّته وإن قصّر» .

وفى كتاب للهند : « من التمس من الإخوان الرخصة عند المشُورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة، أخطأ الرأى وازداد مرضا وحمَل الوزر» .

---

(١) نقل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فيثور" الخ .

(٢) فى الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية ، والمناسب لمــا قبله "أذممت" يقال أذممته أى وجدته ذميما .

وفى آداب ٱبن المقفع : « لا يُقذفن فى رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأى غيرك ، فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فإنك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألبّاء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : « الرأى الفرد كالخيط السَّحيل ، والرأيان كالخيطين المبرَمين ، والثلاثة مِرار (*) لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع :

رأىٌ سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أخّرَ الحزمَ رأىٌ قدّم الحذَرا

كتب الحجاج إلى المهلَّب يستعجله فى حرب الأزارقة ، فكتب إليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله بن وهب الراسِبىّ يوم عقدت له الخوارج : تكلمْ . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب . وقال أيضا : خمير الرأى خير من فطيره ، ورُبّ شىء غابُّه خير من طريِّه ، وتأخيره خير من تقديمه . وقيــل لآخر : تكلمْ . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائتا .

كان ٱبن هبيرة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من صحبــة من غايتُه خاصة نفسه والانحطاطُ فى هوى مستشيره ، وممن لا يلتمس خالص مودّتِك إلا بالتأتّى لموافقة شهوتك ، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر فى حوادث غدك » . وكان يقال : « من أُعطى أربعا لم يُمنَع أربعا : من أُعطى الشكر لم يُمنع المزيد ، ومن أُعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب ، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخِيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلّما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) فى النسخة الألمانية مرائر . والمرار : الحبل الذى أُجيد فتله .

وقالوا «لا رأى لحاقن ولا لحازِق» وهو الذى ضغطه الخف «ولا لحاقب» وهو الذى يجد رِزّا فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَازِبَته فقصّروا فى الرأى دعا الموكَّلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: تخطئ مَرَازِبَتك وتعاقبنا! فيقول: نعم، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إنّ النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم. قال الشاعر:

وأنفع من شاورتَ من كان ناصحا * شفيقا فأبصرْ بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيقُ ورأيه * عزيب ولا ذو الرأى والصدرُ واغر

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر :

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشُّورى عليك غَضاضة * فإن الخَوافى رافدات القَوادم
وخلّ الهُوَينا للضعيف ولا تكن * نَؤوما فإن الحزم ليس بنائم
وأدنِ من القربى المقرِّب نفسه * ولا تُشهِد الشُّورى آمرأ غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغُلّ أختَها * وما خير سيف لم يؤيَّد بقائم
فإنك لن تستطرد الهمَّ بالمُنَى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابى : ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عَبْس : ما أكثر صوابَكم! فقال:

نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألفُ حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملِك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توانٍ » .

وقال القطامى فى معصية الناصح :

ومعصيةُ الشفيق عليك مما * يزيدك مَرّة منه استماعا
وخيرُ الأمر ما استقبلْتَ منه * وليس بأن تَتَبّعه اتباعا
كذاك وما رأيتُ الناس إلا * إلى ما جرّ غاويهم سِراعا
تراهم يغمزون من آستركوا * ويجتنِبون من صدَق المِصاعا

وقال آخر، أنشدنيه الرياشى :

ومولًى عصانى وآستبدّ برأيه * كما لم يُطَع بالبقّتينِ قَصِير
فلمّا رأى أن غبَّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدورُ
تمنَّى بئيسا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمورُ

وقال سبيع لأهل اليمامة « يا بنى حَنيفة بُعْدا كما بَعُدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جَرْسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فأجتنيتم الندم، وأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديقُ ومن تهمتى الندامةُ، وأصبح فى يدى من هلاككم البكاءُ ومن ذلكم الجزعُ ، وأصبح ما فات غيرَ مردود وما بقى غير مأمون . وإنى لمّا رأيتكم تتّهمون النصيح وتسفّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِرّة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وَهْن الموعوظ وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حُلو كلامه بمُرّه وحَزْنه بسهله ويحرّك الإشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وَعَيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره مِن عند من لا يُشكّ فى مودته وصافى غيبه، وما زلتَ بحمد الله إلى كل خير طريقا منهجا ومَهْيَعا واضحا» .

وكتب عثمان إلى علىّ حين أحيط به : «أما بعد فإنه قد جاوز المـاء الزُّبى وبلغ الحزام الطُّبْيَين وقد تجاوز الأمر بى قدرَه .

فإن كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكل * وإلا فأدركنى ولـمّـا أمزّق»

وقال أوس بن حَجَر:

وقد أُعتِب ٱبنَ العم إن كنتُ ظالمـا * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا

وإن قال لى ماذا ترى؟ يستشيرنى * يجدْنى ٱبن عمّ مِخْلَط الأمر مِزْيَلا

أقيم بدار الحـــزم ما دام حزمها * وأحْرِ إذا حالت بأن أتحوّلا

وأستبدل الأمر القوىّ بغـــيره * إذا عَقْــد مأفونِ الرجال تحلّلا

وكان يقال : «أناة فى عواقبها دَرَك، خير من معاجلة فى عواقبها فَوت» . وأنشدنى الرياشى :

وعاجِزُ الرأى مضياع لفُرصته * حتى إذا فات أمر عاتَب القَدَرا

وكان يقال : «روِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم» .

الإصابة بالظن والرأى

كان ابن الزبير يقول : «لا عاش بخير من لم يرَ برأيه ما لم يرَ بعينه» . وسئل بعض الحكماء : ما العقل؟ فقال : «الإصابة بالظن ومعرفةُ ما لم يكن بمـا كان» . وكان يقال : «كفى مُخبِرا عما مضى ما بقى، وكفى عِبرًا لأولى الألباب ما جربوا» . وكان يقال : «كل شىء محتاج إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجارب» . ويقال : «من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حجر:

الألمعى الذى يظن بك الظّنّ كأن قد رأى وقد سمعـا

وقال آخر:

وأَبغى صــوابَ الظنّ أعــلم أنه * إذا طاش ظنُّ المرءطاشت مَقادِرهْ

وقال على بن أبى طالب صلوات الله عليه فى عبد الله بن عباس: «إنه لينظر إلى الغيب من سِتْر رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةٌ من عقله» . ويقال: «الظنون مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتّاب:

أصُونك أن أظنَّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكميت:

مثــلُ التدبر فى الأمر ٱئتنافُكَه * والمرء يعجز فى الأقوام(١) لا الحيل

وقال آخر:

وكنتَ متى تُهزَز لخطب تُغَشِّــه * ضرائبَ أمضَى من رِقاق المَضارب

تَجلّلتَــه بالرأى حتى أرَيتَــه * به ملءَ عينيه مكَانَ العواقب

وقال آخر يصف عاقلا:

بصــير بأعقــاب الأمور كأنمــا * يَرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر فى مثله:

عليم بأعقــاب ٱلأمور برأيه * كأنّ له فى اليوم عينًا على الغد

وقال آخر يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنّمــا * يخاطبُه من كل أمرٍ عواقبُهْ

وقال جثامة بن قيس(٢) يهجو قوما:

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجاء الرشد أم غابا

(١) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الأقدام .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلةً * ولا ترون وقد ولّين أذنابا
وقلّما يفجأ المكروهُ صاحبَــه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا

وقال آخر: (*)

فلا يحذرون الشرّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبُّرا

ويقال: «ظن العاقل كَهانة». وفي كتاب للهند: «الناس حازمان وعاجز، فأحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطَر وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارفُ بالأمر إذا أقبل فيد فعــه قبل وقوعه، والعاجز في تردد وتَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا».

وقال الشاعر:

وإني لأرجو الله حتى كأنّني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر:

وغِرّةُ مرّةٍ من فعل غِرّ * وغِرّةُ مرّتين فعالُ مُوقِ
فلا تفــرح بأمر قد تدنّى * ولا تأيس من الأمر السّحيق
فإن القرب يبعُد بعــد قرب * ويدنو البعد بالقَــدَر المَسُوق
ومن لم يتق الضَّحْضَاح زلّتْ * به قدماه في البحــر العميق
وما اكتسب المحامدَ طالبوها * بمثــل البِشْر والوجه الطّليق

وقال مروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلَجة: أظنك أحمق. قال: «أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه». ونقش رجل على خاتمه: «الخاتم خير من الظن». ومثله: «طِينةٌ خيرمن ظنّة».

(*) في النسخة الفتوغرافية وقال جثامة بن قيس. والبيتُ لجرير كما في اللسان.

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظَّرِب : الرأى نائم والهوى يقظان، ولذلك يغلب الرأىَ الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال

وقال بزرجمهر: «إذا اشتبه عليك أمران فلم تدرِ فى أيهما الصواب، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه» .

كان عمرو بن العاص صاحَبَ عُمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو امرأته فوقعت فى نفس عمارة فدفع عمرا فى البحر فتعلق بالسفينة وخرج، فلما ورد بلاد الحَبَشة سعى عمرو بعمارة إلى النَّجاشىّ وأخبره أنه يُخالِف إلى بعض نسائه فدعا النَّجاشى بالسواحر فنفخن فى إحْليله فهام مع الوحش، وقال عمرو فى ذلك:

تعلَّمْ عُمارًا أن من شرّ شيمة * لمثلك أن يُدعَى ابن عم له ابنما
وإن كنتَ ذا بُردَين أحوى مُرَجَّلا * فلست براءٍ لابن عمك مَحْرَما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبّه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يَمَّما
قضى وطَرًا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذُكِرت أمثالُه تملأ الفما

وقال حاتم طئ فى مثله :

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤلَه * وفرجَك نالا مُنتَهى الذم أجمعا

وقال آخر:

جارَ الجنيد علىّ مُحتكِما * جهلا ولستُ بموضع الظلم
أكُلّ الهوى تُحبِى وربّ هوى * مما سيأكل حجّةَ الخصم

قال اعرابى : «الهوى هوان، ولكن غُلِط باسمه» .

وقال الزبير بن عبد المطَّلب :

وأَجتنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هَويتُ لمـا خشيت

وقال البُرَيق الهذلى:

أبِن لى ما ترى والمرءُ تأبَى * عزيمَتُـــه ويغلبـــه هواه
فيَعمَى ما يُرَى فيـــه عليه * ويحسَـــب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صَدَقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السِّر وكتمانه و إعلانه

حدّثنى أحمد بن الخليــل قال حدّثنا محمــد بن الحُصَيب قال حدّثنى أوس بن عبد الله بن بُرَيدة عن أخيه سهل عن بُرَيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "استعينوا على الحوائج بالكتمان فإنّ كلَّ ذى نِعمة مَحْسُود". وكانت الحكماء تقول: «سِرّك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتادَ لسره موضعا فقد أذاعه» .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب عن عمّه الأَصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال : دخل ابن أَبى مِحْجَن الثقفى على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول:

إذا مُتُّ فادفنّى إلى أصل كَرْمة * تُروِّى عِظامى بعدَ موتى عُروقُها
ولا تدفنِّى فى الفَـــلاة فإنّنى * أخاف وراءَ الموت أن لا أذوقُها

فقال ابن أبى مِحجَن : لو شئتَ ذكرتَ أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية : وما ذاك؟ قال قوله:

لا تسألى القومَ ما مالى وما حسَبى * وسائلى القومَ ما حَزمى وما خُلُقِى
القومُ أَعلمُ أنى من سَرَاتهم * إذا تطيش يدُ الرِّعديدة الفَرِق
أُعطِى السِّنان غداة الرَّوع حِصَّته * وعاملَ الرُّمح أُروِيه من العَــلَق
قد أركَب الهولَ مسدولاً عَساكِرُه * وأكتم السر فيـــه ضربة العنق

وأنشدنى للصَّلَتَان العَبْدِى :

وسِرُّك ما كان عند آمرئ * وسرُّ الثلاثة غيرُ الخَفِى

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يتمثّل بهذين البيتين :

ولا تُفشِ سرَّك إلّا إليك * فإن لكلّ نصيح نصيحا
فإنى رأيت غُواةَ الرجا * لِ لا يتركون أديما صحيحا

وقال الشاعر :

ومُراقَبَيْن تكاتَما بهواهما * جعلا القلوبَ لما تُجِنّ قُبورا
يتلاحظان تلاحُظا فكأنّما * يتناسَخان من الجفون سُطورا

وقال مِسْكِين الدَّارِمى :

أُواخى رِجالا لست أُطلِع بعضَهم * على سرّ بعض غيرَ أنى جِماعُها
يَظَلّون شتّى فى البلاد وسرُّهم * إلى صَخرة أعيا الرِّجالَ انصِداعُها

وقال(*) :

ولو قَدَرتُ على نِسيان ما آشتملت * منى الضُّلوعُ من الأسرار والخبر
لكنت أوّلَ من يَنسَى سرائرَه * إذ كنتُ من نشرها يوما على خَطَر

أسرّ رجل إلى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له : أَفهِمت؟ قال : لا، بل نسيتُ .

قيل لأعرابى : كيف كِتمانك للسر؟ قال : «ما قلبى له إلا قبر» . وقيل لمُزبد : أىّ شىء تحت حضنك؟ فقال : يا أحمق لِمَ خبّأتُه . وقال الشاعر :

إذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجالُ فمَن تلوم
إذا عاتبتُ من أَفشَى حديثى * وسرّى عنده فأنا الظَّلوم
وإنى حين أسأَم حملَ سرّى * وقد ضمّنتُه صدرى سَؤوم

(*) فى النسخة الألمانية : وقال آخر . على أنا لم نعثر على هذا الشعر لمسكين الدارمى .

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر؟ قال: «أجحد المُخبِر وأحلِف للستخبر». وكان يقال: «مِن وَهْى الأمر إعلانُه قبل إحكامه» . وقال الشاعر:

إذا أنتَ حمّلت الخؤونَ أمانةً * فإنك قد أسندتَها شرَّ مُسـنَد

وقال عمرو بن العاص: «ما آستودعتُ رجُلا سرّا فأفشاه فلمتُه، لأنى كنت أضيق صدرا حين آستودعته» . وقال:

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سرّها * فسرّك عند الناس أفشَى وأضيعُ

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتّسع لسانه» .

وقال الوليـد بن عُتبة لأبيـه : إن أمير المؤمنين أسرّ إلى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدّثك به؟ قال: لا يابنى «إنه من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت: وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكنى أكره أن تذلّل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : ياوليد ؟ أعتقك أخى من رِقّ الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فإنه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكِيدة تُحاوَل أو منزلة تُزاوَل أو سريرة مَدخُولة تُكتم، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شىء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنتَ كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جَميل بن مَعمَر:

أموت وألقَى الله يابْثَن لم أَبُح * بسرِّك والمسـتخبِرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى:

ولمـا تلاقَيـنا عرفتُ الذى بها: * كمثل الذى بى حَذْوَكَ النعلَ بالنعل

فقالت وأرخت جانب السِّتر إنما * معى فتكلَّم غيرَ ذى رِقْبــة أهلى
فقلتُ لهـا ما بى لهم من ترقُّب * ولكنَّ سرِّى ليس يحمـله مِثلى

يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صيانته وسَتره ،أى فلا أُبديه لأحد . وقال زهير:

السِّترُ دونَ الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من سِـتر

وقال آخر:

فسِرِّى كإعلانى وتلك خَليقتى * وظُلمةُ ليلى مثلُ ضوءِ نهارِيا

وقال آخر لأخ له وحَدَّثه بحديث: اجعل هذا فى وعاء غير سَرِب. والسَّرب السائل. وكان يقال: «للقائل على السامع جمعُ البال والكتمان وبسطُ العذر». وكان يقال: «الرِّعاية خير من الاسترعاء».

أتى رجل عُبَيد الله بن زِياد فأخبره: أن عبد الله بن هَمَّام السَّلُولى سبَّه. فأرسل إليه فأتاه فقال: يابن همام إن هذا يزعم أنك قلت: كذا وكذا. فقال ابن هَمَّام:

فأنت آمرؤ إمّا ائتمنتُك خاليـا * فخُنتَ،وإمّا قلتَ قولا بلا علم
وإنك فى الأمر الذى قد أتيتَه * لفى منزل بين الخيـانة والإثم

وقال آخر:

اخفِضِ الصَّوت إن نطقتَ بليل * والتفِتْ بالنهار قبــل الكَلام

وقال بعض الأعراب:

ولا أَكتُم الأسرارَ لكنْ أَنُمُّها * ولا أَدَع الأسرار تَغلِى على قلبى
وإنّ قليل العقل من بات ليلَه * تُقلِّبه الأسرارُ جنبًا إلى جنب

وقال أبو الشِّيص:

لا تأمَنَنَّ على سِرِّى وسرِّكم * غيرى وغيرَك أوطَىَّ القَراطيس
أو طائرٍ سَأُحلِّيــه وأنعَتُــه * ما زال صاحبَ تَنْقِير وتأسيس

سُــودٍ بَرائِنُه مِيــلٍ ذَوائِبُهُ * صُفرٍ حَمالِقُه فى الحسن مغموس
قد كان هَمَّ سليمانٌ ليــذبحه * لولا سعَايتُــه يوما بِبِلْقيس

وقال أيضا :

أفضى إليــكَ بسرِّه قلمٌ * لو كان يعرفه بكى قلمُهْ

وقال مُسْلِم بن الوليد فى الكتاب يأتيك فيه السر:

الحزمُ تَحرِيقُه إن كنتَ ذا حذَر * و إنما الحزمُ سوء الظنّ بالناس
إذا أتاك وقــد أدّى أمَانتَــه * فاجعل صِيانته فى بطن أرْماس

وقال آخر:

سأكتُمه سرِّى وأحفَظُ سرَّه * ولا غرَّنى أنى عليــه كَرِيم
حَلِيمٌ فيَنسَى أو جهولٌ يُشيعه * وما النــاسُ إلا جاهل وحليم

الكُتَّاب والكِتَابة

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه عن وهب بن جرير عن أبيــه عن يونس بن عبيد(١) عن الحسن عن عمرو بن تَغلَب عن النبىّ صلى الله عليــه وسـلم قال: "من أشراط الساعة أن يَفيض المــال و يظهر القــلم وتفشو التجار" قال عمرو : إن كنا لنلتمس فى الحِواء(٢) العظيم الكاتبَ، ويبيع الرجلُ البيع فيقول : حتى أستأمِن تاجِرَ بنى فلان .

حدّثنا أحمــد بن الخليل عن إسماعيل بن أبَان عن عَنْبَسة بن عبد الرحمن القُرَشىّ عن محمد بن زَاذَان عن أُمّ سعد عن زيد بن ثابت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُملِى فى بعض حوائجه فقال: "ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للْمُمْلِى به".

(١) كذا بالفتوغرافية . وفى الألمانية «عبيد الله» ولعله يونس بن عبيد بن دينار العبدى راوى الحديث كثيرا عن الحسن البصرى وغيره . (٢) الحواء مجتمع بيوت الحى اذا تدانت .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد المُنعِم عن أبيه عن وَهْب قال: «كان إدريس النبىّ عليه السلام أوّلَ من خطّ بالقلم وأوّلَ من خاط الثياب ولبسها وكان من قبلَه يلبَسون الجلودَ» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال : أخبرنا جَرير عن يَزيد بن أبى زِياد عن عِياض ابن أبى موسى أن عمر بن الخطّاب قال لأبى موسى : ٱدعُ لى كاتبَك ليقرأ لنا صُحُفا جاءت من الشأم . فقال أبو موسى : إنه لا يدخُل المسجد. قال عمر: أبِه جَنابةٌ؟ قال : لا، ولكنّه نصْرانى . قال : فرفَع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالكَ ! قاتلك الله ! أمَا سمِعت قول الله عز وجل (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) ! ألا ٱتخذتَ رجُلا حنيفيا ! فقال أبو موسى : له دِينُه ولى كتابتُه . فقال عمر: «لا أُكرِمهم إذ أهانهم الله ولا أُعزّهم إذ أذلهم الله ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال: أخبرنا عيسى بن يونس قال حدّثنا أبو حَيّان التَّيْمى عن أبى زِنْباع عن أبى الدِّهْقانة قال : ذُكِر لعمر بن الخطّاب غلام كاتب حافظ من أهل الحِيرة وكان نصرانيا، فقيل له : لو ٱتخذتَه كاتبا . فقال « لقد ٱتخذتُ إذًا بطانةً من دون المؤمنين» .

حدّثنى أبو حاتم قال: مُرَامِر(*) بن مَرْوة من أهل الأَنْبار وهو الذى وضع كتابة العَربيّة، ومن الأنبار انتشرت فى الناس .

(*) هكذا فى النسخة الفتوغرافية والألمانية . والذى فى القاموس : ومرامر بن مرة بضمهما أول من وضع الخط العربى . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامى ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن برى : الذى ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائنى أنه مرامر بن مَرْوة .

حدّثنى أبو سهل عن الطَّنَافسى عن المُنْكَدِر بن محمـد عن أبيه محمد بن المُنْكدِر قال جاء الزُّبَير بن العوّام إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت؟ جعلنى الله فِداك! قال "ما تركتَ أَعْرابيتَّك بعد" .

قال عبد الملك بن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجّهه إلى مصر: «تفقّد كاتبك وحاجِبك وجليسك، فإن الغائب يخبّره عنك كاتبُك، والمتوسِّم يعرفك بحاجبك، والداخلُ عليك يعرفك بجليسك» .

ابن أبى الزِّناد عن أبيـه قال : كنت كاتبا لعمر بن عبـد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحَمِيـد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فى المَظالم فيراجعـه ، فكتب إليه : «إنه ليُخيَّل إلى أنى لو كتبتُ إليك أن تُعطِى رجلا شاة لكتبتَ إلى : أضَأن أم ماعِز ، ولو كتبتُ إليك باحدهمـا لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فإذا أتاك كتابى هذا فلا تُراجِعنى فى مَظْلِمة» .

وكتب أبو جعفر إلى تَسْـلْم(١) بن قُتَيبة يأمره بهدم دُورِ مَن خرج مع إبراهيم وعَقْر نخلهم . فكتب إليه : بأى ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدُّور ؟ فكتب إليه أبو جعفر . «أما بعد: فإنى لو أمرتُك بإفساد ثَمرهم لكتبتَ إلىّ تستأذن فى أيِّه تبدأ أبالبَرْنِىِّ أم بالشِّهْرِيز؟» وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : «للكاتب على الملك ثلاثة، رفع الحِجاب عنه، واتِّهام الوشاة عليه، وإفشاء السرّ إليه» .

كانت العَجَم(٢) تقول : «من لم يكن عالما باجراء المياه وبحفْر فُرَض الماء والمسارب ورَدم المَهاوى ومَجارِى الأيام فى الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووَزْن الموازين

---

(١) فى الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) فى الفتوغرافية فرض المشارب .

وذَرع المُثلَّث والمُربَّع والمُختلِف الزَّوايا ونصْب القناطر والجُسور والدَّوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصنَّاع ودقائق الحساب كان ناقصا فى حال كتابته» .

قال مَيْمون بن ميمون «إذا كانت لك إلى كاتب حاجةٌ فليكن رسولُك إليه الطمَع» . وقال : «إذا آخيتَ الوزير فلا تخْش الأمير» .

وفى كتاب للهند : «إذا كان الوزير يُساوى الملكَ فى المـال والهَيبة والطاعة من الناس فليصرعْه الملكُ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائنى قال : خلا زِياد يوما فى أمر ينظر فيه وعنـده كاتب له يكتب وابنـه عُبيدالله، فنعس زياد فقال لعبيد الله : تعهَّد هذا لا يكتبْ شيئا . ونام، فوجد عبيد الله مَسّا من البول فكَره أن يُوقظ أباه وكره أن يُخلِّىَ الكاتب فشدّ إبهاميه بخيط وختَمه وقام لحاجته .

قال أبو عبَّاد الكاتب : ماجلس أحد قط بين يدى إلا تخيَّل إلى أنى جالس بين يديه .

وقرأت فى التاج أن أبْرَوَيز قال لكاتبه : «أكتُم السرّ واصدقُ الحديث واجتهد فى النصيحة واحترس بالحذر، فإن لك علىَّ أن لا أعجَل بك حتى أستأنى لك ولا أقبل عليك قولا حتى أستيقن ولا أُطمع فيك أحدا فيغتالَك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطَّنها وفى ظل مملكة فلا تستزيلنه، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مُشايَحةً(*) من عدوّك واقصد إلى الجميـل ادِّرَاعًا لغدك وتحصَّن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسَّن عنـدى بمـا قدرت عليـه من حسن ولا تُشْرِعنّ الألسـنةَ فيك ولا تقبِّحنّ الأحدوثةَ عنـك وصُن نفسـك صَون الدُّرّة الصافية وأخلِصها إخلاص الفِضّة البيضاء وعاتبها معاتبة الحَذِر المُشفق وحصِّنها تحصين المدينة المَنيعة . لا تدعَنّ أن ترفع إلىّ الصغير، فإنه يدل على الكبير ولا تكتمَن الكبيرَ فإنه ليس شاغل عن

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذّب أمورك ثم ٱلقَنى بهـا وأحكم لسانك ثم راجعنى به ولا تجترئنّ علىّ فأمتعِضَ ولا تنقبض منى فأتّهِمَ ولا تُمَرِّضنّ ما تلقانى به ولا تُخْدِجَنَّه . و إذا فكرت فلا تعجَل و إذا كتبت فلا تُعْـذِر، ولا تستعينن بالفضول فإنها علاوة على الكفاية ولا تُقَصرن عن التحقيق فإنها هُجْنة بالمقالة ولا تَلْبِسنّ كلاما بكلام ولا تباعدنّ معنى عن معنى . أ كرِمْ كتابَك عن ثلاث : خضوعٍ يستخفّه ، وانتشارٍ يُثَبِّجُه ، ومعانٍ تقعد به ، وٱجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول ، وليكن بَسطةُ كتابك على السُّوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ماتملك عظيما وما تقول صغيرا فإنمـا كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليـا كعلوه وفائقا كفَوْقه . واعلم أن جُمّـاع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشىء ، وسؤالك عن الشىء ، وأمرك بالشىء ، وخبرك عن الشىء فهذه الخلال دعائم المقالات إن ٱلتُمس لها خامس لم يوجد و إن نُقِص منها رابع لم تتم ، فإذا أمرت فأحكم واذا سألت فأوضح وإذا طلبت فأَسْجِحْ وإذا أخبرت فحقّق فإنك اذا فعلت ذلك أخذت بجَرَامِيزِ القول كله فلم يشتبه عليـك وارده ولم يُعْجزك منـه صادرُه . أثبت فى دواوينك ما أدخلت وأَحْصِ فيهـا ما أخرجت وتيقّظ لمـا تأخذ وتجرَّدْ لمـا تعطى ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدّم ولا تُخرجنّ وزن قيراط فى غير حقّ ولا تعظّمن إخراج الكثير فى الحق ، وليكن ذلك كله عن مؤامرتى » .

قال رجل لبنيـه : « يابنى تَزَيّوْا بزى الكتّاب فإن فيهـم أدب الملوك وتواضع السُّوقة » .

قال الكسائى : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشىء بعد الشىء أقرِنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة أشبه شىء بها وأبعد شىء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابى: «رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحتْف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة : «جلست إلى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتّاب إلى صديق له : «وصل الىّ كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس مُتونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حزًّا منه . أنجزتَ فيه عدَة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال : «عقول الرجال فى أطراف أقلامها» .

ويقال : «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظَّفرين و إملاك العجين أحد الرَّيعين وحسن التقدير أحد الكاسبين واللّبَن أحد اللحمين» . وقد يقال : المرق أحد اللحمين .

قيل لبعضهم : إن فلانا لا يكتب ، فقال : تلك الزَّمانة الخفية . وقرأت فى بعض كتب العجم أن موبذان مُوبَذ وصف الكُتّاب فقال : «كُتّاب الملوك عَيْبتُهم المصُونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أعظمَ سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك ، ولا أقرب هَلَكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك ، فتُرفَع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم ، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادَهم لأنفسهم فلا يتّهم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال ألفتهما زوال نعمتهما ، وأن التئام أُلفتهما صلاح خاصّتهما» .

وقال :

لئن ذهبتُ إلى الحَجّاج يقتلنى * إنى لأحمق من تَحْـدِى به العيرُ
مســتحقبا صُحُفا تَدمى طوابعُها * وفى الصحائف حيّات مَنَاكيرُ

وقال بعض الشعراء فى القلم :

عجبت لذى سِنّين فى المـاء نبتُه * له أثر فى كل مصرٍ ومعمَرِ

وقال بعض المحدثين فى القلم :

ضئيل الرُّواء كبير الغَناء * من البحر فى المنصِبِ الأخضرِ
كمثل أخى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الأصفر
يمــرّ كهيئة مَرّ الشــجا * ع فى دِعْص مَحْنِيَــة أعفــرِ
إذا رأسُــه صحّ لم ينبعث * وجاز الســبيلَ ولم يبصِرِ
وإن مُديةٌ صــدَعَت رأسه * جرى جرىَ لا هائبٍ مُقصِر
يقضّى مآربَــه مقبــلا * ويَحْسِــمها هيئةَ المــدبِرِ
تجــود بكــفّ فتى كفُّه * تســوق الثّراء إلى المعسر

وقال حبيب الطائى يصف القلم :

لك القـــلم الأعلى الذى بشَـــبَاته * يصابُ من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
لعــابُ الأفاعى القاتلاتِ لعــابُه * وأرْىُ الجَنَى آشــتارته أيدٍ عواسلُ
له ريقـــةٌ طَلٌّ ولكنّ وقْعها * بآثاره فى الشرق والغـــرب وابــلُ
فصــيح إذا استنطقتَه وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجلُ
إذا ما آمتطى الخمسَ اللطافَ وأُفْرِغَتْ * عليــه شِــعابُ الفكر وهى حوافلُ
أطاعته أطــرافُ القنا وتقوّضتْ * لنجــواه تقويضَ الخيام الجحافــلُ
تراه جليلا شأنُه وهــو مرهَفٌ * ضَنًى وسمينا خطبُــه وهو ناحلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى يصف القلم :

وأسمرَ طاوى الكشحِ أخرسَ ناطقٍ * له ذَمَلانٌ فى بطون المَهارِقِ
إذا استعجلتْه الكفُّ أمطرَ خالُه * بلاصوت إرعادٍ ولا ضوءِ بارق
كأنّ اللآلى والزبرجد نَطْقُــه * ونَوْرُ الخُزامى فى بطون الحدائق

وقال بعض المحدَثين يمدح كاتبا :

وإذا تألق فى الندىِّ كلامه آلــ * ـمنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم انْتَحَتْ * برقت مصابيح الدُّجى فى كتبه
باللفظ يقرُب فهمه فى بُعــده * منا ويبعــد نيــله فى قربه
حكَم فَسَائحها خِــلال بَنانه * متــدفق وقَلِيبها فى قلبــه
كالروض مُؤتلِف بحمــرة نَوْره * وبياضِ زَهرته وخضرة عُشْبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود:

وناطق بلسانٍ لا ضمير له * كأنه فخِــذ نيطت إلى قدم
يُبدى ضميرَ سواه فى الكلام كما * يُبدى ضميرَ سواه مَنطِق القلم

بعث الطائى إلى الحسن بن وهب بدواة أبنوس وكتب إليه :

قــد بعثنا إليــك أمَّ المنــايا * والعطايا زَنجيّــةَ الأحســاب
فى حَشاها من غير حَرب حِرابٌ * هى أمضى من مرهَفات الحِراب

وقال ابن أبى كريمة يصف الدواة والقلم :

ومسودّة الأرجاء قدخضتُ ماءها * ورويت من قعرها غير مُنبط
خميصَ الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمــير المسلَّط

وقال بعض أهل الأدب : إنمـا قيــل "ديوان" لموضع الكتبة والحُسّاب لأنه يقال : للكتّاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمّى موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوِزْر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمـال ، قال الله عز وجل:(وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى أحمالا من حليهم، ولهذا قيل للإثم : وزر، شُبِّه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى:(وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله :

يا كاتبا كتب الغداة يسُبّنى * من ذا يطيق براعة الكتّاب
لم ترض بالإعجام حين سببتنى * حتى شكَلت عليه بالإعراب
وأردت إفهامى فقد أفهمتنى * وصدقت فيما قلت غيرَ محُابِى

وقال آخر :

ياكاتبا تنــثِر أقلامه * من كفّه دُرّا على الأسطر

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع :

صلى الإله على امرئ ودَّعتُه * وأتم نعمته عليــه وزادها

ومنه أخذ الكتّاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طيّئ فى معنى قولهم مُتُّ قبلك :

إذا ما أتى يوم يفــرِّق بيننا * بموت فكن أنتَ الذى تتأخر

وقال جرير فى معناه :

رُدّى فؤادى وكونى لى بمنزلتى * يا قبل نفسك لاقى نفسىَ التلفُ

كتب بعض الملوك إلى بعض الكُتّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب إليه ذلك الكاتب

أحلتَ[1] عما عهِدتُ من أدبك * أم نلتَ مُلكا فتِهت فى كتبك

أم هل ترى أنّ فى التواضع للإخوان نقصا عليك فى حسَبك

أم كان ما كان منك عن غضب * فأىُّ شىء أدناك من غضبك

إنّ جَفاء كتابِ ذى مِقة * يُكتب فى صدره : وأمتع بك

وقال الأصمعى فى البرامكة :

إذا ذُكِر الشركُ فى مجلس * أنارت وجوه بنى برْمَك

وإن تُليت عندهم آية * أتوا بالأحاديث عن مزدك[2]

وقال آخر :

إن الفَراغ دعانى * إلى ٱبتناء المساجدْ

وإن رأيِى فيها * كرأى يحيى بن خالد

مرّ عبد الله بن المقفّع ببيت النار، فقال :

يا بيت عاتكة الذى أتعزّل * حذَرَ العدا وبه الفؤاد موكّل

وقال دِعبِل فى أبى عبّاد :

أَوْلَى الأمور بضَيعة وفساد * أمرٌ يدبّره أبو عبّاد

حنِق على جلسائه بدواته * فمرمَّل ومضمَّخ بمداد

وكأنه من دَيرِ هِرْقَلَ مُفلتٌ * حَرِدٌ يجرّ سلاسل الأقياد

---

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . أنظر هذا الشعر ورد ابن الزيات عليه فى العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى وهو محرف عن " مزدك " واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج فى أيام قباذ بن فيروز فبدّل شريعة زرادشت واستحلّ المحارم وسوّى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اهـ باختصار عن ابن الأثير. وقد ورد البيتان فى البيان والتبيين للجاحظ .

خيانات العمال

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيه قال: ذُكِرلنا أن امرأة من قريش كان بينها و بين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر فخذ جَزور ثم خاصمته إليه فوجّه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، افصِل القضاء بيننا كما يُفْصل فخذ الجزور . فقضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجاج استعمل المغيرة بن عبد الله الثقفى على الكوفة فكان يقضى بين الناس ، فأهدى إليه رجل سِراجا من شَبَهٍ (١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة . فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رمحت السراج فكسرته .

حدّثنا إسحاق قال حدّثنا رَوْح بن عُبادة قال حدّثنا حمّاد بن سَلَمة عن الجريرى (٢) عن أبى بَصْرة عن الربيع بن زياد الحارثى أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه ، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، إن أحق الناس بمطعم طيّب ومَلبَس ليّن ومركَب وَطىء لأنت . فضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردتَ بهذا إلا مقاربتى ، وإن كنتُ لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمَثَلى ومثَل هؤلاء ، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشىء؟ قال الربيع : لا .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن أبى نَجيح قال: لما أُتِى عمر بتاج كسرى وسِوَاريه جعل يقلبه بعود فى يده ويقول : والله إن الذى أدى

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط ، ولعله الجريرى بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس الجريرى ، فقد جاء فى تهذيب التهذيب وفى الأنساب للسمعانى أن من جملة من روى عنه الحمّادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

إلينا هذا لأمين . فقال رجل : يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون إليك ما أدّيت إلى الله فإذا رتَعت رتَعوا . قال : صدقت .

حدّثني أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعي قال : لما أُتى علي عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزّان والنقّاد فكوّم كُومةً من ذهب وكومة من فضة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرّي وابيضّي وغُرّي غيري . وأنشد :

هـذا جَنَاىَ وخيارُه فيه * إذ كل جانٍ يدُه إلى فيه

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا : ألّا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقي ، ولا يتخذ بوابا . ومر ببناء يبنى بحجارة وجَصٍّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخْرِج أعناقَها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه : أن دَعْ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفَضْل .

حدّثنا محمد بن عبيد عن هَوْذة[1] عن عوف عن ابن سيرين [[2] وإسحاق عن النضر بن شُميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لما قدم أبو هريرة من البحرين . قال له عمر : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، أسرقت مال الله؟ قال أبو هريرة: لست بعدوّ الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا فى تهذيب الكمال فى أسماء الرجال . وليس فى ترجمة أحدهما من يروى عن هَوذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هى الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدوّ كتابه،ولكنى عدوّ من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلى تناسلت وعطائى تلاحق وسهامى تتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لى عمر بعد ذلك : ألا تعمل؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت: يوسف نبىّ ابن نبىّ وأنا ابن أُمَيمة[1] أخشى ثلاثا واثنتين . قال فهـلا قلت خمسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يُضرب ظهرى ، ويشتم عرضى ، وينزع مالى .

حدّثنا محمد بن داود عن نصر بن قُديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبى بُرْدة وهو أمير البصرة فقال : أيهـا الأمير ، إنى قرأت فى بعض الكتب : «من أحمقُ من السلطان ومن أجهل ممن عصانى ومن أعزّ[2] ممن أعزّنى . أيا راعى السوء دفعتُ إليـك غنما سِمانا صِحاحا فأكلتَ اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمْن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع» .

حدّثنى محمد بن شَبَابة عن القاسم بن الحكم العُرَنى القاضى قال حدّثنى إسماعيل ابن عيّاش عن أبى محمد القرشى عن رَجَاء بن حَيْوة عن ابن مَخْرمة[3] قال : إنى لتحت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنـه بالجابية حين قام فى النـاس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله . ألا إنه لن يبعِّد من رزق الله ولن يقرِّب من أجلٍ أن يقول المرء حقا وأن يذكّر بعظيم . ألا و إنى ما وجدت صلاح ما ولّانى الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا و إنى ما وجدت

(١) اسم أم أبى هريرة . (٢) فى النسخة الالمـانية : ومن أغرّ ممن اغترّ بى .

(٣) فى الالمـانية : "مخرمة" ولعل الصواب ما فى الفتوغرافية حيث ذُكر فى ترجمة رجاء بن حيوة أن من شيوخه المسور بن مخرمة .

صلاح هذا المـال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى فى حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَقَرُّمَ البَهْمةِ » .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خُنَيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد إذا ولى رجلا قال له : خذ عهدك وسِرْ إلى عملك واعلم أنك مصروفٌ رأسَ سنتك وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلّمتك من معرّتنا أمانتـك ، وان وجدناك خائنا قويا استهنّا بقوتك وأحسنّا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجُرْمين جمعنا عليك المضرّتين ، وإن وجدناك أمينا قويا زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

قال العتبى : بُعث إلى عمر بحلل فقســمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حُلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سلمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى ٱتَّزرتُ(*) به هو ثوبك؟ قال : اللهم نعم . فقال سلمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمعْ .

بلغنى عن حفص بن عِمران الرازى عن الحسن بن عُمارة عن المِنْهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذكر عليا فتنقّصه فقام شدّاد فقال : «الحمد لله

(*) كذا بالأصـل ، وفى القاموس : وائتزر به وتأزر به ولا تقل اتزر وقد جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اه . وفى النهاية لابن الاثير انه خطأ لان الهمزة لا تدغم فى التاء . وفى التاج : وقال المطرزى انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغانى انه يجوز أن تقول اتزر بالمئزر أيضا فيمن يدغم الهمزة فى التاء كما يقال اتّمنه والأصل ائتمنه .

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها النـاس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منهـا البرّ والفاجر، وإن السامع المطيع لاحجة عليـه وإن السامع العاصى لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالنـاس صلاحا عمّل عليهم صلحاءهم وقضّى بينهم فقهاءهم وجعل المـال فى سُمحائهم ، وإذا أراد بالعباد شرا عمّـل عليهم سفهاءهم وقضّى بينهم جهلاءهم وجعل المـال عنـد بخلائهم . وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشّك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمـال ، وقال : ألستُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسـلمين تعمّدتَ جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعم . وإن كان مما شاركك فيـه المسلمون فاحتجنتَه دونهم، أصبتَه اقترافا وأنفقته إسرافا ، فإن الله عز وجل يقول: (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكوف، فقال:ما هذا؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله، سارق السر يقطعه سارق العلانية ! .

ومر طارقٌ صاحب شُرْطة خالد القسرى بابن شبرمة ،وطارق فى موكبه فقال ابن شبرمة :

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنهـا * سحابةُ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستُعمل ابن شبرمة بعـد ذلك على القضاء، فقال له ابنه : أتذكر يومَ مرّ بك طارق فى موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنى، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلَهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينـة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا إليه فأنشد لدَرّاج الضَّبابى :

فلا السجن أبكانى ولا القيد شفّنى * ولا أننى من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذا متُّ أن يُعطوا الذى كنت أمنع

ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكنى أخشى أن يلىَ هذه الوجوه من لا يرعى لها حقها .

ووجدت فى كتاب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ : « إنى أشركتك فى أمانتى ولم يكن رجل من أهلى أوثق منك فى نفسى ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كلِب ، والعدوّ قد حَرِب قلبتَ لابن عمك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفتَ ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزلّ دامية المِعْزى » وفى الكتاب : « ضَحِّ (*) رويدا فكأنْ قد بلغتَ المدى وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحل الذى به ينادى المغترّ بالحسرة ويتمنى المضيّع التوبةَ والظالم الرجعةَ » .

وفى كتاب لعمر بن عبد العزيز إلى عدىّ بن أرطاة : « غرّنى منك مجالستُك القرّاءَ وعمامتُك السوداء فلما بلَوْناك وجدناك على خلاف ما أمّلناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون بين القبور ! » .

قال ابن أحمر يذكر عمال الصدقة :

إن العِياب التى يُخْفون مُشْرَجة * فيها البيان ويُلْوَى عندك الخبر
فابعث إليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخفَ عين على عين ولا أثر
هل فى الثمانى من السبعين مَظْلِمة * وربّما بكتاب الله مصطبِر

وقال عبد الله بن همّام السَّلولى :

أقلِّى علىَّ اللوم يا أم مالك * وذُمّى زمانا ساد فيه الفَلاقِسُ

(*) ضحّ من ضحّيت الغنم إذا رعيتها فى الضحى ، أى ارع نفسك على مهل فإنما أنت على شَرَف الموت .

وساعٍ مع السلطان ليس بناصح * و"محترسٌ من مثله وهو حارس" (*)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحدّثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء:

ما ظنُّكم بأناس خيرُ كسبهم * مصرَّحُ السحتِ سمَّوْه الإصاباتِ

وقال أبو نواس فى إسماعيل بن صَبيح :

بنيتَ بما خنتَ الإمامَ سِقَايةً * فلا شربوا إلا أمرَّ من الصبر

فما كنتَ إلا مثلَ بائعة آستها * تعودُ على المَرْضَى به طلبَ الأجرِ

يريد معنى الحديث أن آمرأة كانت فى بنى إسرائيل تزنى بحَب الرمّان وتتصدّق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين :

ألست أمينَ الله سيفك نِقْمة * إذا ماق يوما فى خلافك مائق

فكيف بإسماعيل يُسْلِم مثلُه * عليكَ ولم يُسْلِم عليكَ منافقُ

أُعيذك بالرحمن من شرّ كاتب * له قلم زانٍ وآخرُ سارق

وقال فيه أيضا :

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هانَ ضَرْبةَ لازم

أتُسْمِنُ أولادَ الطريد ورَهطَه * بإهزال آل الله من نسل هاشم

وتخبرُ من لاقيت أنك صائم * وتغدو بفرج مُفْطر غير صائم

فإن يَسْرِ إسماعيلُ فى بَخراته * فليس أمير المؤمنين بنائم

ولى حارثة بن بدر "سُرَّق" فكتب إليه أنس الدؤلى:

أحارِ بنَ بدر قد وليتَ ولايةً * فكن جُرَذًا فيها تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شىء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما فى لسان العرب .

وبار تميما بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فإن جميع النـاس إما مكذِّب * يقول بمـا يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يحقّقوا
ولا تَحْقِرَنْ يا حارِ شيئا أصبتَه * فحظُّك من مُلك العراقين سُرّق

فلما بلغت حارثة قال : لا يعمى عليك الرشد .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن جُوَيرية بن أسماء قال، قال فلان : «إن الرجل ليكون أمينا فإذا رأى الضِّياع خان» .

قرأت فى كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه : «اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فإذا لم يُطمع منك فى الصغير لم يُجترأ عليك فى الكبير . وأَبْرِد البريد فى الدرهم ينقص من الخراج، ولا تعاقبن على شىء كعقوبتك على كسره ولا ترزقنّ على شىء كرزقك على إزجائه، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حقنَ دم المزجى وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحمدتَ أمره حين عفّ واعتصم من أن يهلك» .

وقرأت فى التاج أن أبروَيز قال لصاحب بيت المال : «إنى لا أحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك إنما تحقنُ بذلك دمك وتعمُر به أمانتك فإنك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أنى لم أجعل أحدا على ذخائر المُلك وعمارة المملكة والعُدّة على العدوّ إلا وأنت آمنُ عندى من موضعه الذى هو فيه وخواتيمه التى هى عليها، فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى، ولا تتعوّض بخير شرا ولا برفعة ضَعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة» . وكان يقال : «كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة» .

قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم؟ لا والله لا أَلِى لكم عملا أبدا .

ذكر أعرابى رجلا خائنا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقَمًا وإن فلانا يَحْسُوها حَسْوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وٱلزم العفاف يلزمك العمل ، وإياك والرُّشَا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضـــاء

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بِشْر بن المفضّل بن لاحق قال حدّثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لاينبغى للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالمـا قبل أن يستعملَ ، مستشيرا لأهل العلم ، ملقيا للرَّثَغ (١) ، منصفا للخصم ، محتملا (٢) للأئمة » .

حدّثنى على بن محمد قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق الأنصارى عن عبد الله بن لَهِيعة عن عبد الله بن هُبَيرة عن على عليه السلام أنه قال : «ذمتى رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العِبَرُ ألّا يهلك (٣) على التقوى زرعُ قوم ولا يظمأ على التقوى سِنْخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قَمَشَ جهـلا غارًّا بأَغْباش الفتنة عَمِيًّا بمـا فى عقد الهـدنة (٤) سماه أشباهه من الناس عالمـا ولم يُغْنِ فى العلم يوما سالمـا . بَكَّرَ

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر فى العقد الفريد وفى البيان والتبيين بما نصه : اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى .

(٣) فى النسختين الألمانية والفتوغرافية ، «يهيج» والتصويب عن نهج البلاغة .

(٤) فى الاصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى إذا ما ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ حشوا رثا (*) من رأيه، فهو من قَطْع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت. لا يعلم إذا أخطأ، لأنه لا يعلم أأخطأ أم أصاب. خبّاط عَشَوات ركّاب جهالات. لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يَعَضّ فى العلم بضرس قاطع. يَذْرو الرواية ذَرْو الريح الهشيمَ، تبكى منه الدماء وتصرُخ منه المواريث ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام. لا مَلِيءٌ والله بإصدار ما ورد عليه ولا أهلٌ لما قُرِّظ به »

قال ابن شبرمة :

ما فى القضاء شفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهونْ علىّ إذا قضيتُ بسنة * أو بالكتاب برَغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهَيْثم عن ابن عيّاش عن الشَّعْبي قال : كان أوّل قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلى، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شُرَحْبيل على المدائن، ثم عزله واستقضى أبا قُرّة الكندى وهو اسمه فاختط الناس الكوفة وقاضيهم أبوقرة. ثم استقضى شريحَ بن الحارث الكندى فقضى خمسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة إلى البصرة واستقضى مكانه مسروقَ بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة فى زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض فى الفتنة. فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا فى الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله بجور، قال: وكيف ذاك ؟ ويحك ! قال: كبِرتْ

(*) فى الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة .

سنُّك وٱختلط عقلك وٱرتشى ابنك، فقال [شريح لا جرم](*): لا يقولها أحد بعدك. فأتى الحجاج فقال: والله لا أقضى بين ٱثنين. قال: والله لا أعفيك أو تبغينى رجلا. فقال شريح: عليك بالعفيف الشريف أبى بردة بن أبى موسى. فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيدَ بن جُبَير كاتبا ووزيرا.

وروى الثورى عن علقمة بن مَرْثَد أنه لقى محاربَ بن دِثَار وكان على القضاء فقال له: يا محارب، إلى كم تردّد الخصوم؟ فقال له: إنى والخصوم كما قال الأعشى:

أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّق * وما بى من سقم وما بى مَعْشَق
ولكن أرانى لا أزال بحادث * أغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأطرَقُ

حدّثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال: كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطوّل فيها، فقال إياس: إن كنت تريد الفُتْيا فعليك بالحسن معلمى ومعلم أبى، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يَعْلَى — وكان على قضاء البصرة يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بحُمَيد الطويل، وتدرى ما يقول لك؟ يقول لك: حطّ شيئا، ويقول لصاحبك: زده شيئا حتى نصلح بينكما، وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السَّدُوسى، وتدرى مايقول لك؟ يقول لك: اجحد ما عليك. ويقول لصاحبك: ادّعِ ما ليس لك وادّعِ بيِّنةً غُيَّبًا.

قرأت فى الآيين: «ينبغى للحاكم أن يعرف القضاء الحقّ العدل والقضاءَ العدل غير الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بتثبّت وروية ويتحفّظ من الشبهة». والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد، والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة.

(*) زيادة عن النسخة الألمانية.

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى قال حدثنى عمى الأصمعى قال قال أعرابى لقوم يتنازعون : هل لكم فى الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقيل : وما يكون خيرا من الحق؟ قال : التحاطّ والهَضْم فإن أخذ الحق كله مرٌّ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى شىء فحكّما رجلا له فى المخطئ هوى ، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثرُ .

الهيثم بن عدى قال : تقدّمت كُلْثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عُمَير وهو قاضى الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يُرمى بها فقضى لها ، فقال هُذَيل الأشجعى :

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما ادّعَتْ من صامت المال والخَوَلْ
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّه * وكان وليد ذا مراء وذا جَدَلْ
ففتّنت القبطىَّ حتى قضى لها * بغير قضاء الله فى السُّوَر الطُّوَلْ
فلو كان من فى القصر يعلم علمَه * لما استُعمِل القبطىُّ فينا على عملْ
له حين يقضى للنساء تَخَاوُصٌ * وكان وما منه التخاوصُ والحَوَلْ
إذا ذاتُ دلٍّ كلمته لحاجة * فهمَّ بأن يقضى تنحنح أو سَعَلْ
[وبرّق عينيه ولاك لسانَه * يرى كل شىء ما خلا شخصَها جَلَلْ](١)

فكان عبدالملك بن عمير يقول : والله لربما جاءتنى السعلة أو التنحنح وأنا فى المتوضّأ فأكفّ عن ذلك .

وقال ابن مناذر(٢) فى خالد بن طَليق وكان قد ولى قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذى * من هاشم فى سرِّها واللبابْ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٢) فى القاموس : وابن مناذر ويضم فيصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر . وفى الأغانى أنه إذا قيل له ابن مناذر بفتح الميم يغضب ثم يقول أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسَّـخْطة عاقبتنا * بخالد فهو أشــدّ العقابْ
كان قضاةُ الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذابْ
ياعجبًـا من خالد كيف لا * يخطئ فُتْيَا مرةً بالصوابْ

وقال فيه :

جُعِـل الحـاكم يا للنّـاس من آل طَليق
ضُحْـكَةٌ يحكم فى النـا * س برأى الجَاثَلِيــق (١)
أىُّ قاض أنت فى النقـ * ـص وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيـثم ما أنـ * ـت لهــذا بخليــقِ
لا ولا أنت لـما حُمِّـ * ـلتَ منــه بمُطِيـقِ

أراد عدِىُّ بن أرطاة بكرَبن عبد الله المزنى على القضاء فقال له بكر: والله ما أُحسن القضاء، فإن كنتُ كاذبا أو صادقا فما يحِلّ لك أن تولينى .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لـما عُزِل ابن شُـبرُمة عن القضاء قال له والى اليمن : اخترلنا رجلا نوليـه القضاء . فقال له ابن شـبرمة : ما أعرفه . فذُكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه فجاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدرى لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء . قال: ما أيسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شىء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ماتقول فى رجل ضرب بطنَ شاة حامل فألقت مافى بطنها ؟ فسكت الرجل، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك (٢) فما وجدنا عندك شيئا . فقيل له : ما القضاء فيها؟ قال ابن شبرمة] تُقوَّم حاملا وتُقوَّم حائلا ويغرم قدرَ ما بينهما .

---

(١) فى القاموس : الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى فى بلاد الإسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج: وهو المعروف الآن بالقتلق كقنفذ . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنى عبــد الله (*) بن محمد الخَلَنجى قال : كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول فى رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمَّه فوُلد لكل واحد من امرأته ولد ، ماقرابةُ مابين الولدين؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عمٌّ الآخر لأمه .

ودخل رجل من أهل الشأم على عبد الملك بن مروان فقال : إنى تزوجت امرأة وزوجت ابنى أمّها ولا غنى بنا عن رِفدك . فقال له عبد الملك : إن أخبرتنى ماقرابةُ مابين أولادكما إذا أَولدتُما ، فعلتُ . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلدتَه سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمنى الحِرمان ، وإن أخطأ آتسع لى العذر . فدعا بالبحدلى فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرّماح ، أحدهما عمٌّ الآخر والآخر خاله .

قال ابن سيرين : كنا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة فى قُبّــة له وبين يديه كانُون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فِراشه فسارّه بشىء لا ندرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لى إصبعك فى هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرنى أن أضع لك أصبعى فى هــذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا وتسئلنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : «ثلاث إذا كنّ فى القاضى فليس بكامل : إذا كره اللوائم ، وأَحبَّ المحامد ، وكره العزلَ . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان عالمــا ، ولا يسمع شكيّة من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية : «عبد الرحمن» وفى أنساب السمعانى ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضى إلى العـــدل فى لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .

قال الشــعبى : حضرت شُرَيحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم ز وجها فأرسلت عينيها فبكتْ فقلت : ياأبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : ياشعبى ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاء يبكون .

بلغنى عن كَثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أُدلى إليك فإنه لا ينفع تكلُّم بحق لانفاذَ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمَع شريف فى حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا ، ولا يمنعنّك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهُديت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق لا يبطله شىء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وآعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عنــد ذلك ثم اعمَد لأحبّها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادّعى حقا غائبا أمدا ينتهى إليه فإن أحضر بينة أخذ بحقه و إلا استحللتَ عليه القضاء . والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودا فى حدّ أو مجرَّبا عليه شهادة زورَ أوظنينا فى ولاء أو قرابة . إن الله تولّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . و إياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فإنه من صلَحتْ سريرته فيما بينه و بين الله أصلح الله ما بينه و بين الناس ، ومن تزيّن للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه اللهُ ، والسلام» .

وقال سَلَمة بن الخُرْشُب لسُبَيع التغلبى فى شأن الرُّهُن التى وضعت على يديه فى قتلى عَبْس وذُبْيان .

أبلغ سُبَيعا وأنت سيدنا * قِدْما وأوفى رجالنا ذمما
أن بَغيضًا وأن إخوتها * ذُبيان قد ضرّموا الذى اضطرما
نُبِّئتُ أن حكّبوك بينهم * فلا تقولنّ بئس ما حكما
إن كنت ذا عِرْفة بشأنهم * تعرفُ ذا حقِّهم ومن ظَلَما
وتُنزل الأمر فى منازله * حكما وعلما وتحضر الفَهَمَا
فاحكم فأنت الحكيم بينهم * لن يعدَموا الحقّ باردا صَتَمَا
واصدعْ أديمَ السواء بينهم * على رضا من رضِى ومن رَغِما
إن كان مالا فثل عِدّته * مالٌ بمال وإن دمًا فدمَا
هذا وإن لم تُطِق حكومتَهم * فانبذْ إليهم أمورَهم سَلَمَا

وأنشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبى سلمى، فلما بلغ قوله:

فان الحق مقطعُه ثلاث * يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمةٌ أو حجةٌ .

وقال ابن أبى ليلى الفقيه فى عبد الله بن شبرمة:

وكيف ترجّى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم فى نفسكا
وتزعم أنك لابن الجُلَاح * وهيهات دعواكَ من أصلكا

عبد الله بن صالح العِجْلى قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخَيْزُران وقد أقبلت تريد الحج، فأتى، " شاهِيَ " فأقام بها ثلاثا ولم تُوَافِ فخفّ زاده وما كان معه من الخبز فجعل يبلّه بالماء ويأكله بالملح، فقال العَلَاء بن المِنْهال الغَنَوى:

فإن كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مُوضِعًا فى كل يوم * تَلقَّى من يحجّ من النســاء
مقيما فى قرى شَـاهِى ثلاثا * بلا زاد سوى كِسَرٍ وماء
يزيد النــاسُ خيرا كلّ يوم * فترجـــع ياشريك إلى وراء

وقال فيه أيضا :

فليت أبا شريك كان حيا * فيُقْصِر حين يبصره شريكُ
ويترك من تدرِّيه علينا * إذا قلنـا له هـــذا أبوكَ(١)

وأنشد لبعض الشعراء فى بعض الحكام :

أبكى وأندب بهجة الاسلام * إذ صرت تقعد مقعد الحكّام
إن الحوادث ماعلمتُ كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى القاسم بن الفضـل قال حدّثنى رجل من بنى جرير:أن رجلا منهم خاصم رجلا إلى سَوَّار بن عبـد الله فقضى على الجريرى، فمر سَوَّار ببنى جرير فقام إليه الجريرى فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيتُ أحلاما فعبَّرتُهــا * وكنتُ للأحلام عبّــارا
رأيتُنى أخنق ضبًّا على * جُحْرٍ وكان الضبُّ سَوَّارا

فى الشهادات

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال لى أيوبُ(٢) : إن من أصحابى من أرجو دَعْوته ولا أُجيز شهادته . قال وقال سَوَّار : ما أعلم أحدا أفضل من عَطَاء السَّلَمى، ولوشهد عندى على فَلْسَين لم أجز شهادته . يذهب إلى أنه ضعيف الرأى ليس بالحازم،

(١) فى هذا الشعر الإقواء وهو المخالفة بين القوافى فى حركة الإعراب، وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية «أبو أيوب» .

لا أنه يطعن عليه فى دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوّار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنــه ؟ قال : كما أعلم أنك سَوّار بن عبد الله ابن عَنْزة بن نَقْب . قال : وشهد رجل عنــد سوار فى دار قد ادّعاها رجل قال : أشهد أنها له من المــاء إلى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أىَّ شىء أكتب؟ فقال : كلَّ شىء يُخْرِج الدار من يد هذا ويجعلها فى ملك هذا فاكتبه . [قال أبو حاتم بلغنى أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه](١) قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدّب . قال : فإنا لا نجيز شهادتك . قال:ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إنى أكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاءُ أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلمّ شهادتَك . فأجازها. قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبى فراس، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفتُ ألف مُحْصَنة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبى ليلى فقال فى مجلسه ذلك :

إنِ القومُ غطَّوْنِى تغطيتُ دونهم * وإن بحثوا عنى ففيهــم مَبَاحثُ

وإن حفروا بئرى حفرتُ بِئارَهم * ليُعلم ما تخفيه تلك النَّبَــائِثُ

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشىء .

أتى رجل ابن شبرمة(٢) بقوم يشهدون له على قَرَاح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم فى القراح من نخلة؟ قالوا : لا نعلم . فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذُ ثلاثين سنة، فأعلِمْنا : كم فيه من أُسطُوانة؟ فأجازهم .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى النسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب إذ لم نقف فى ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء:

والخصـــمُ لا يرتجى النجاةُ له * يوما إذا كان خصمُه القاضى

قدّم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه، فقال: إن هذا الرجل يُدِلُّ بخاصّة ذكر أنها له منك. قال: نعم. وسأخبرك بمـا ينفعه عندى من خاصّته: إن يكن الحقُّ له عليك آخذْك أخذا عنيفا، وأن يكن الحق لك عليــه أقضِ عليه ثم أقضِ عنه.

وقال أبو اليقظان: كان عبيد الله بن أبى بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم إلى إخوانه. فقيل له فى ذلك. فقال: وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه؟.

قال المدائنى: كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مدارأة فى واد بالمدينة. قال فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه فقال لهما: أنتمـا فى فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان! وقد سمعتما من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثلَ الذى حضرت فيمن اقتطع شــبرا من أرض أخيه بغير حق أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين! والحَكَم أحوج إلى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحَكَم إذا جار رُزِئَ دينَه والمحكوم عليه إذا جير عليه رُزِئَ عرَض الدنيا [إن شئتما فأدليا بحجتكما و] [1] إن شئتما فأصلحا ذات بينكما. فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا.

وكـان السِّنْدِىّ بن شاهَك لا يستحلف المكارى ولا الحـائك ولا الملاّح ويجعل القول قول المدّعى مع يمينه، ويقول: اللهم إنى أستخيرك فى الجمّال ومعلّم الصبيان.

---

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية.

وقال أبو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العِذْيَوْط ولا المغذّى ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول فى ثوبى .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبرى : أتجيز شهادة رجل عفيف تقىّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لى أبا مودود[1] حاجبى، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شَمال يشوبها شىء من الجَنُوب . فقال : أتَرَوْنى كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لى مُحارب بن دِثار : وليت القضاء فبكى أهلى وعُزلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك؟ فقلتُ له : وليتَ القضاء فكرهتَه وجزعْت منه فبكى أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك . فقال : إنه لكما قلتَ .

قدم إياس بن معاوية الشأم وهو غلام فقدّم خصما له إلى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضى : أتقدّم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتى ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشأم لا يفسدْ علىّ[2] الناس .

قال أعرابى لخصم له : « والله لئن هَمْلَجْتَ إلى الباطل إنك عن الحق لقَطُوف» .

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : مورد . (٢) فى الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين .

باب الأحكام

حدّثني عَبْدة بن عبد الله قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدّث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : «قضى رسول صلى الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أَذْرُع» .

حدّثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حَنْتَم (١) عن غزال بن مالك الغِفَارى عن أبيه عن جدّه قال : «كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة» .

قال وحدّثني أيضا عن إبراهيم بن حنتم عن غزال بن مالك عن أبيــه عن جدّه قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ » .

حدّثني يزيد قال حدّثني الوليد (٢) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب» وقال لى رجل بالمدينة : هو ذو رباب .

حدّثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حَرْب عن جرير عن يَعْلى بن حَكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : «أتى ماعزُ بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنى زنيت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت . فقال : لا ، بل زنيت . فأعادها عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه» .

حدّثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثـورى عن على بن الأقمر عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أُتى بامرأة سرقت ، فقال : أسرقتِ؟ قولى : لا .

---

(١) في النسخة الألمانية : "خيثم" ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) في النسخة الفتوغرافية " أبو الوليد "

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلصّ وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فانتهروه وقالوا : اصدق الأميرَ . فقال الأحنف : إن الصدق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدّثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عيّاش عمن حدّثه عن ابن عباس قال « جزّ الرأس واللّحية لا يصلح فى العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسُكًا لمرضاته » .

حدّثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال «إياكم والمُثْلة فى العقوبة جَزَّ الرأس واللحية» .

حدّثني محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنا يونس عن أبى بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى فى رجل فزّع رجلا فضربه بأربعين درهما .

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن جُوَيبر عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحلّ فى هذه الأمة غَلٌّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعى قال : كان عامر بن الظَّرِب العَدْوانى حَكَم العرب ، فنزل به قوم يستفتونه فى خنثى وله جارية يقال لها خُصَيْلة[1] . وربما لامها فى الإبطاء فى الرعى وفى الشيء يجده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبستُ هؤلاء القوم وريّثتُهم حتى أسرعتِ فى غنمى . قالت وما يكن عليك من ذلك؟ أتبعْه مبالَه . فقال لها : "مَسِّى خُصَيْل بعدها أو رَوِّحى" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «جبيلة» وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب خصيلة هذه فى حكيات العرب قال ولعلها هى التى كان أبوها عامر يقول لها "مسى سُخَيْل بعدها أو صبّحى" بناء على أنها كانت تسمى سخيلا أيضا . وقد ذكر الميدانى أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بإنسان له قُبُل وذكر ولا يُدرى كيف يُوَرَّث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد. فأرسل إليه، فجاء يرسُف فى قيوده فقال: ما تقول فى هذا؟ فقال: ألزقه بالجدار فإن بال عليه فهو ذكر، وإن بال فى رجليه فهو أنثى.

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنا قيس بن الربيع عن أبى حصين أن رجلا كسر طُنْبورا لرجل فخاصمه إلى شريح، فقال شريح: لا أقضى فى الطنبور بشىء.

[حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه قال: قال لى أبو العجاج: يابن أصمع والله لئن أقررتَ لأُلْزِمنّك. أى لا تقر] (*).

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه عن مَعْمر قال: ردّ رجل على رجل جارية اشتراها منه، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردّها؟ قال له: بالحمق. فقال لها إياس: أىّ رجليكِ أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة وُلِدتِ؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّ ردّ.

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت الشّعبىّ يقضى على جلد أسد.

الظلم

حدّثنى عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُرَيب قال حدّثنى الأصمعىّ] (*) قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتنقَّب قبيحة المَسْفر، وكان لها لسان فكأن العاملَ مال معها فقال: يعمَد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسىء إليها! فأهوى زوجها إلى النّقاب فألقاه

(*) زيادة فى النسخة الألمانية.

عن وجهها فقال العامل : عليكِ اللعنة ! كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ . وأنشد الرياشيّ في نحو هذا :

رأيتُ أبا الجَحْناء في الناس جائرا * ولون أبي الجحناء لونُ البهائم
تراه على ما لاحَهُ من سواده * وإن كان مظلوما له وجه ظالم

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العَلاء قال : كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلا يظلِم ويعتدِي يقول : فلان لا يموت سَوِيًّا . فيروْن ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويا . فلم يقبل حتى تتابعت الأخبار . فقال : إن كنتم صادقين إن[1] لكم دارا سوى هذه تجازَوْن فيها .

كتب رجل من الكُتّاب إلى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهيًا عن الشكر محجوبا بالنعم صارفًا فضلَ ما أوتيتَ من السلطان إلى ما تقِلّ عائدته وتعظم تبعتُه من الظلم والعدوان ، وأن يستزلّك الشيطان بخَدْعه وغروره وتسويله فيُزِيلَ عاجل الغِبْطة وينسيَك مذموم العاقبة ، فإن الحازم من يذكر في يومه المخوفَ من عواقب غده ولم يغرَّه طولُ الأمل وتراخي الغاية ولم يضرب في غَمْرة من الباطل ولا يدرى ما تُجلّي به مغبَّتُها . هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المنقلَب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه كرّ الجديدين واختلاف العصرين » .

حدّثني يزيد بن عمرو قال حدّثنا معاوية بن عمرو قال حدّثنا أبو إبراهيم السقّاء عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتَى بمعلم الصبيان[2] يوم القيامة فإن كان عدل بين الغلمان[3] وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحيي أن أظلم [من لا يجد

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من الناسخ . (٢) في الفتوغرافية : الكتّاب .
(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

علىّ ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إنى لأستحيي أن أَظْلِم] وأَحْرَجُ أن أُظْلَمَ » . وكان يقال : اذا أراد الله أن يُتحف عبدا قيّض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالإنصاف من بُسِطت بالقدرة يداه» .

ذُكر الظلم فى مجلس ابن عباس فقال كعب : إنى لا أجد فى كتاب الله المنزل أن الظلم يُخْرِب الديار . فقال ابن عباس أنا أُوجِدُكَهُ فى القرآن ، قال الله عز وجل ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان قُرْعَان(1) وهو من بنى تميم لا يزال يُغير على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ، فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك ، فقال الناس : كبرتَ والله يا قُرْعان . فقال : لا والله ولكن جذبنى جذبة مُحِقٍّ . وكان سُدَيف بن ميمون مولى اللِّهْبيين يقول : اللهم قد صار فيئُنا دُولَة بعد القسمة وإمارتُنا غلبة بعد المشورة وعهدُنا ميراثا بعد الاختيار للأمة . واشتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكِّم فى أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيامَ بأمورهم فاسقُ كلّ مَحلّة . اللهم وقد استحصد زرعُ الباطل وبلغ نهايته واجتمع طريدُه . اللهم فأتِحْ له يدا من الحق حاصدة تبدّد شمله وتفرّق أمره ليظهر الحق فى أحسن صُوَره وأتم نوره .

ولى أعرابى بعض النواحى فجمع اليهود فى عمله وسألهم عن المسيح فقالوا : قتلناه وصلبناه . فقال : فهل أديتم ديته؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدّوها . فلم يبرحوا حتى أدّوها .

---

(1) فى النسخة الفتوغرافية : وهو مولى لبنى تميم .

كان أبو العَاج على جَوَالى البصرة فأُتى برجل من النصارى : فقال ما ٱسمك ؟ فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةُ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال : فأخذ منه ثلاثَ جِزًى .

ولى أعرابى "تَبَالَةَ" فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير أعزنا الله و إياه ولّانى بلادكم هذه ، و إنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ، ولن أوتَى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربا ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه . قال بعض الشعراء

بنى عمّنا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفنتم بصحراء الغُمَير[1] القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلّةً * فنقبلَ ضَيْما أو نحكّم قاضيَا
ولكن حكم السيف فيكم مسلَّط * فنرضى إذا ما أصبح السيفُ راضيا
فإن قلتم إنا ظَلَمنا فلم نكن * ظَلَمنا ولكنَّا أسأنا ٱلتقاضيا

[وقال[2] آخر:

تفرحُ أَن تغلبنى ظالما * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]

وكانوا يتوقَّوْن ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . ٱخسَئوا فيها ولا تكلّمونِ . أخذتُ سمعك وبصرك بسمع الله وبصره . أخذت قوّتك بقوّة الله . بينى وبينك سِتْر النبوّة الذى كانت الأنبياء تستتر به من سَطَوات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مطلع عليك ويحجُزك عنى ويمنعنى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوبا للشَّمَيْذَر الحارثى . والغمير موضع بين ذات عرق والبستان وقبله بميلين قبر أبى رغال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لمواضع أخر . وقد ورد فى الفتوغرافية هكذا « العبيط » محرفا عن « الغَبيط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغبيط وقد ورد فى شعر امرئ القيس :

فألقى بصحراء الغبيط بَعاعَه * كصرع اليمانى ذى العِيَاب المحمَّل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء :

ونستعدى الأميرَ إذا ظُلمنا * فمن يُعْدِى إذا ظَـلم الأميرُ

[وقال آخر[1] :

إذا كان الأمـــير عليك خصما * فلا تُكثِر فقد غلَب الأميرُ]

وكتب رجل إلى صديق له : قد كنت أستعديك ظالمـا على غيرك فتحكُم لى وقد استعديتُك عليك مظلوما فضاق عني عدلك ، وذكَّرنى قول القائل

كنت من كُربتى أفرّ اليهم * فهُمُ كُربتى فأين الفِرار

[ونحوه[1] :

والخصـم لا يُرتَجى النجاةُ له * يوما إذا كان خصمه القاضى]

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان يقال : ما أُعطِى أحد قط النَّصَف فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النَّصَفة قطّ على أحد فقبِلها إلا دخلتنى له هيبةٌ ولا ردّها إلا اختبأتُها فى عقله .

وقال البَعيث :

وإنى لأعطى النَّصْف مَن لو ظلمتُه * أقَرّ وطابت نفسه لىَ بالظُّـلم

وقال الطائى :

يرى العلقَم المـأدوم بالعز أَرْيةً * يمانِيَةً والأَرْىَ بالضـيم علقما

إذا فرشُوه النَّصْفَ نامتْ شَذَاتُه * وإن رَتَعُوا فى ظلمه كان أظلما

[وقال العباس بن عبد المطلب :

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفَتْ * قواطع فى أَيْمـاننا تقطُر الدما

تركاهمُ لا يستحِلّون بعدها * لذى رحِم يوما من الدهر محرَّمَا]

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثانى فى صحيفة ٧٠

بلغنا عن ضَمْرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عُمّاله : أما بعد فإذا دعتْك قدرتُك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناءَ ما تُؤتى إليهم وبقاءَ ما يؤتون إليك، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلَمه، فقال : أقصِر يا هذا، لا تَرْبَح عليك ظالمك .

قولهم فى الحبس

[فى الحديث المرفوع[(١)] : «شكا يوسف عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ طولَ الحبس فأوحى الله إليه : مَن حَبسك يا يوسف ، أنت حبست نفسك حيث قلت: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ولو قلتَ : العافيةُ أحبّ إلىّ لعوفيت» .]

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم إلى اليوم ، قال : اللهم اعطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر فى كل بلد .

وكُتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبورُ الأحياء وتجربة الصديق وشماتة الاعداء» .

أنشدنى الرياشىّ :

ما يدخُل السجنَ إنسانٌ فتسألُه ❊ ما بالُ سجنك إلا قال مظلومُ

وقال أعرابى :

ولَمّا دخلتُ السجن كبّر أهلُه ❊ وقالوا أبو ليلى الغداة حزينُ

وفى الباب مكتوبٌ على صَفَحاته ❊ بأنك تَنْزُو ثُمّ سوف تلين

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

ويقال : إنّ قولهم « تنزو وتلين » رُؤى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس مثـلا .

وقال بعض المسجونين:

وبتُّ بأحصَنها مـنزلا * ثقيـلا على عنق السالكِ
ولستُ بضيف ولا فى كِرًا * ولا مُسـتعيرٍ ولا مالكِ
وليس بغصبٍ ولا كالرُّهون * ولا يشبه الوقفَ عن هالك
ولى مُسْمِعان فأدناهمـا * يغـنّى ويسمع فى الحالك
وأقصاهمـا ناظرٌ فى السما * ء عمـدا وأوسخُ من عاركِ

المُسمع الأوّل قيده والثانى صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر:

ولى مُسمِعان وزَمّارة * وظلٌّ مديد وحصن أمَقّ

الزمّارة الغُلُّ، وأصل الزمّارة السّاجُور .

قال أبوعبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بِلال بن أبى بُردة ، فقضى للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشّع *

فقال بلال : أمَا إنهـا لا تَقَشّع حتى يصيبك منها شُؤبُوبُ بَرَد . وأمَر به إلى الحبس، فقـال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة . فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمَت وأقيادٌ ثِقال وقيِّم يقـال له حَفْص .

قال الحجاج للغضبان بن القَبَعْثَرى ورآه سمينا : ما أسمنك؟ قال : القيدُ والرَّتَعةُ، ومن كان فى ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكميت الشاعر فزارته امرأته فى السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال :

ولما أحلُّونى بصلعاءَ صَيْلَمٍ * بإحدى زُبَى ذى اللِّبْدَتين أبى الشِّبل
خرجتُ خروجَ القِدْحِ قدحِ ابن مُقْبِلٍ * على رغم آناف النوابح والمُشْلى
علىّ ثيابُ الغانيات وتحتها * عزيمةُ مرءٍ أشبهتْ سَلَّةَ النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال :

وأنى لأرجو خالدا أن يَفُكّنى * ويطلق عنى مقفَلات الحدائد
فان يك قيدى ردّ همّى فربما * تناولتُ أطراف الهموم الأباعد
وما من بلاء غيرَ كلِّ عشية * وكلَّ صباح زائرٍ غيرِ عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخرَ قاعد

وقال بعض الشعراء فى خالد بن عبد الله القسرى حين حُبس :

لعمرى لقد أعمرتُمُ السجنَ خالدا * وأوطأتموه وطأة المتثاقل
فإن تحبسوا القسرىَّ لاتحبسوا اسمه * ولا تسجُنوا معروفَه فى القبائل

وقال بعض المسجَّنين (١) :

أسجنٌ وقيد واغتراب وعُسْرة * وفقد حبيب ! إن ذا لعظيم
وإنّ ٱمرأ تبقى مواثيقُ عهده * على كل هذا ، إنه لكريم

وقال آخر مثله :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفى يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من آهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفى هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين» ولم نجد التضعيف لا فى القاموس ولا فى اللسان

إذا جاءنا السجّانُ يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هـذا من الدنيـا
وتُعجبنا الرؤيا فجُـلّ حديثنـا * إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا
فإن حسُنتْ لم تأتِ عجلى وأبطأت * وإن قبُحت لم تحتبِس وأتتْ عجلى

وقال يزيد بن المهلّب وهو فى الحبس : يا لهَفِى على طَلِبَة بمائة ألف وفَرَج فى جبهة أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال :

أصبح فى قيدك السماحةُ والـشّـجود وحمّالُ لمضلِع الأثقـالِ

فقال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتُك رخيصا فاشتريتك(١)

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس بأبيات منها :

تَفْديك نفسى من كل ما كرهتْ * نفسُك إن كنتُ مذنبـا فاغفرْ
يا ليت قلبى مصـوَّر لك ما * فيه لتستيقن الذى أُضمـرْ

فوقّع الرشيد فى رقعته : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها

كأنّ الخَلْق رُكّب فيه روح * له جسد وأنت عليـه رأس
أمينَ الله إن الحبس بأسٌ * وقد وقّعْتَ «ليس عليك بأس»

فأمر باطلاقه

الحجـاب

أبو حاتم عن العتبى عن أبيـه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابى وقف على باب معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شَمْلتين . فلمـا دخل على معاوية قال : هززتُ ذوائب الرحال(٢) إليك إذ لم أجد معوّلا إلا عليك . أمتطى الليل بعد النهار وأَسِمُ المَجَاهل بالآثار . يقودنى نحوك رجاء وتسوقنى إليك بلوى ، والنفس مستبطِئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقرّبه . فقال فى ذلك :

(١) فى الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) فى الفتوغرافية : الرجاء .

دخلتُ على معاوية بنِ حرب * وذلك إذ يئستُ من الدخول
وما نلتُ الدخول عليه حتّى * حللتُ محلّةَ الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قذاها * ولم أسمع إلى قالٍ وقيل
فأدركتُ الذى أمّلتُ فيه * بمكثٍ والخطا زادُ العَجُول

وقال غير العتبي: لما دخل عبدالعزيز بن زُرَارة على معاوية قال له : «إنى رحلتُ إليك بالأمل واحتملتُ جَفْوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواما قدّمهم الحظُّ، وآخرين باعدهم الحِرمانُ . وليس ينبغى للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن ييأس . وأول المعرفة الاختبار فأبْلُ واختبرْ» وفى حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر:

من يأذن اليومَ لعبد العزيزْ * يأذنْ له عبدُ عزيزٍ غدا

قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فتى العرب .

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال: لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حجبنى . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء: من يَغْشَ سُدَدَ السلطان يقم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد إلى جانبه بابا فُتُحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطى .

قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجُنّة أستنيم إليها ، وقد ولّيتك بابى ، فما تراك صانعا برعيتي ؟ قال : أنظرُ إليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم فى إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضعَ استحقاقهم وأرتّبهم حيث وضعهم ترتيبُك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغَهم عنكَ . قال: قد وفّيتَ ما لك وما عليك إن صدّقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت فى التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدّمن مستغيثا ولا تضعنّ ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنّ ذا ضعة بسهولته . وضَع الرجالَ مواضعَ أخطارهم ، فمن كان مقدَّما له الشرفُ ممن آزدرَعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدّمه على شرفه الأوّل وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدّم فلم يصُن ذلك إبلاغا به ولم يزدرعْه تثميرا له فألحق بآبائه مهلةَ سبقهم فى خواصهم ، وألحق به فى خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دُبُرا ولا تأذن له إلا سِرَارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عُمّالى فلا تحبسه عنى طرفةَ عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إلىّ فيها . وإن أتاك مدّعٍ لنصيحة فاستكتبْها سرًّا ثم أدخِلْه بعد أن تستأذن له . حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع إلىّ كتابه ، فإن أحمدتُ قبلت وإن كرهت رفضتُ ، ولا ترفعنّ إلىّ طِلْبةَ طالب إن منعتُه بخّلنى وإن أعطيته آزدرانى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تُعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن علىّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجبن سَخْطةً ولا تأذنن رِضًا ، اخصُص بذلكَ المَلك ولا تخصّ به نفسَك » .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لا تحجبن عنّى أحدا إذا أخذتُ مجلسى ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عِىٍّ يكره أن يُطّلَعَ عليه منه ، أو ريبة ، أو بخل فيكره أن يدخُل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الورّاق فقال :

إذا آعتصم الوالى باغلاق بابه * وردّ ذوى الحاجات دونَ حِجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربّما * نزعت بظنٍّ واقعٍ بصوابه
فقلت به مَسٌّ من العِىّ ظاهرٌ * ففى إذنه للناس إظهارُ ما به
فإن لم يكن عِىّ اللسان فغالبٌ * من البخل يحمى ما لَه عن طِلَابه
فإن لم يكن هـذا ولا ذا فريبةٌ * يصرّ عليها عنـد إغلاق بابه

وقال بعض الشعراء:

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرْض المَلْك حاجبه
فبــه تبدو محاسـنُه * وبه تبـــدو مَعايبــه

وقال آخر:

كم من فتى تُحمَد أخلاقه * وتسكُن الأحرار فى ذمّتهْ
قد كثّر الحاجبُ أعداءَه * وسـلَّط الذمّ على نِعمته

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه جمـاعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة ابن حِصْن والأقرع بن حابس فخرج الآذنُ فقال : أين صُهَيب ؟ أين عمّار ؟ أين سلمان ؟ فتمعّرتْ وجوهُ القوم . فقال واحد منهم: لِمَ تتمعّر وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَـا أعدّ الله لهم فى الجنة أكثرُ .

وقال بعض الشعراء:

سأترك هذا الباب ما دام إذنُه * على ما أرى حتى يخفَّ قليلا
إذا لم نجد للإذن عندك موضعا * وجدنا إلى ترك المجىء سبيلا

وقال آخر لحاجب:

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالك
فلو كنتَ بوّاب الجنـان تركتُها * وحوّلتُ رحلى مُسرعا نحوَ مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف:

لئن عدتُ بعـد اليوم إنى لظالم * سأصرف وجهى حيث تُبغَى المكارمُ
متى ينجحُ الغـادى إليك بحاجة * ونصـفُك محجوب ونصفك نائم؟

وقال آخر:

ولست بمُتّخذ صاحبـا * يُقـيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألفيته غائبا
ويُلزم إخـوانَه حقّــه * وليس يَرى حقَّهم واجبا
فلستُ بلاقيهِ حتى المماتِ * إذ أنا لم ألقَه راكبا

وقال عبد الله بن سعيد فى حاجب الحجاج وكان يحجُبه دائما :

ألا رُبَّ نصح يُغلَق البابُ دونَه * وغشٍّ إلى جنْب السرير يُقــرَّب

وقال آخر :

ماضاقت الأرضُ على راغب * يَطّلِبُ الرزقَ ولا هاربِ
بل ضاقت الأرض على طالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحُجب رجل عن باب سلطان فكتب إليه : «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة والهمم القصيرة وابتذال الحُرّية ، فإن نفسى والحمد لله أبيّة ما سقطت وراء همة ولا خذلها صبر عنـد نازلة ولا استرقّها طمع ولا طُبعت على طَبَع وقد رأيتك ولّيتَ عِرْضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يَشينه وجعلت ترجمان عقلك من يُكثِر من اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك] (١) ويُضْغِن قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصـديق منزلة ، ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلىّ إلى مرتبة الوضيع ويرفع الدنىّ إلى مرتبة الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البَذاذة ويميل إلى ذى اللبـاس والزينة ويقدّم على الهوى ويقبل الرُّشا » .

وقال بشار، وقيل هو لغيره :

تأبى خلائق خالد وفعـاله * إلّا تجَنُّبَ كلّ أمر عائب
فإذا أتيت الباب وقت غدائه * أذن الغداءُ برغم أنف الحاجب

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

وهذا ضدّ قول الآخر:

إذا تغــدّى فــرّ بوّابه * وأرتدّ من غير يدٍ بابه
ومات من شهوة ما يُحْتَسِى * عيــالُه طــرًّا وأصحـابُه

وقال آخر:

يا أمــيرا على جَرِيب من الأر * ض له تسـعة من الحُجَّاب
قاعدا فى الخراب يُحجَب عنه * ما سمعنا بحاجب فى خراب!

وقال آخر:

على أى باب أطلب الاذن بعد ما * حُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائى:

يا أيهـا الملك النـائى برؤيته * وجودُه لمُـراعى جوده كَثَبُ
ليس الحجاب بمُقْصٍ عنك لى أملا * إن السماء ترجّى حين تحتجب

وقال أيضا:

ومحجَّبٍ حاولتــه فوجدته * نجما عن الركب العُفَاة شَسُوعا
أعدمتُه لـمـا عدمت نوالَه * شكرى فرُحْنا معدَمِيْن جميعا

وقال آخر:

قد أطلنا بالبـاب أمس القعودا * وجُفينـا به جفاء شـــديدا
وذممنـا العبيـــد حتى إذا نحـــن بلَوْنا المولى عذرنا العبيـــدا

وحُجب رجل فكتب:

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبِّــلة قوما فأنت لهـا نُبْل
فلا ترتفع عنـا لشىء وَلِيتَه * كما لم يصغِّر عندنا شأنَك العزل

وكتب رجل من الكتّاب فى هذا المعنى إلى صديق له : «إن كان ذهولك عنا لدنيا أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وأَرْبَبَتْ بك دِيَمُها إنْ(١) أكثر مايجرى فى الظن بك بل فى اليقين منك أنك أملَكُ ماتكون لعنانك أن يجْمَح بك ولنفسك أن تستعليَ عليك إذا لانتْ لك أكنافُها [وآنقادَ فى كفّك زمامُها لانك لم تنل مانلتَ خَلْسًا ولا خَطْفا ، ولا عن مقدار جَرَفَ إليك غيرَ حقك وأمال نحوك سوى نصيبك . فإن ذهبتَ إلى أن حقك قد يحتمل فى قوّته وسعته أن تضمّ إليه الجَفْوة والنَّبْوة فيتضاءل فى جنبه و يصغر عن كبيره فغير مدفوع عن ذلك . وآيْمُ الله لولا مابُليتْ به النفس من الضّن بك وأنّ مكانك منها لايسدّه غيرُك لسخَتْ عنك وذهلتْ عن إقبالك و إدبارك ولكان فى جفائك ما يردّ من غِرّتها و يبرّد من غُلتها ، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك » .

أبو حاتم عن العتبيّ قال : قال معاوية لحُضَين بن المنذر وكان يدخل عليه فى أخريات الناس : يا أبا ساسان كأنه لا يُحْسَن إذنُك . فأنشأ يقول:

كل خفيف الشأن يسعى مشمِّرا * إذا فتحَ البوّاب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون رزانةً * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

وقال بعض الشعراء فى بشر بن مروان :

بعيدُ مردِّ العين ما ردّ طرفَه * حِذَارَ الغواشى بابُ دار ولاستْرُ
ولو شاء بشر كان من دون بابه * طَمَاطِمُ سودٌ أو صقالبةٌ حمرُ
ولكن بشرا يَسّرَ البابَ للتى * يكون له فى غِبّها الحمدُ والأجر

وقال بشر :

فلا تبخلا بخل آبن قَزْعة إنه * مخافةَ أن يُرجى نَداه حزينُ

(١) كذا بالأصول التى بين أيدينا ولعل الفاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) كل مابين هذين القوسين المربعين غير موجود بالنسخة الفتوغرافية وقد نقلناه عن النسخة الألمانية .

إذا جئتَه فى العُرف أغلق بابه * فلم تلقَه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين

وقال ابن هَرْمة يمدح :

هشٌّ إذا نزل الوفودُ ببابه * سهل الحجاب مؤدَّب الخدّام
وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه * لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك :

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب إليه الآخر :

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعْذر تعلّل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عِكْراش] :

وإنى لأَرْثِى للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبهْ
وأرثى له من مجلس عند بابه * كمَرْثِيَتِى للطِّرْف والعِلْجُ راكبه

وكتب عبد الله بن أبى عيينة الى صديق له :

أتيتك زائرا لقضاء حق * فحالَ السِّتْر دونك والحجاب
ولست بساقطٍ فى قِدْر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذُّباب

أبو حاتم عن عبدالله بن مصعب الزبيرى قال : كنا بباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون لذوى الهيئات والشارات وأعرابى يدنو فكلما دنا طُرِح . فقام ناحية وأنشأ يقول :

رأيت آذِننا يَعْتام بِزَّتَنا * وليس للحسب الزاكى بمُعْتام
ولو دُعينا على الأحساب قدّمنى * مجدٌ تليد وجَدّ راجح نامى
متى رأيتَ الصقور الجُدْلَ يَقْدُمُها * خِلْطان من رَخَمٍ قُرْعٍ ومن هَامِ

دخل شَريك الحارثى على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : ياأمير المؤمنين مارأيت لك هفوة قبل هذه . مثلك ينكر مثلى من رعيته ! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرتَ فى الوجوه ، وأعرف اسمك فى الأسماء إذا ذُكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكُر لى اسمك تجتمعْ معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر،ثم أذن للآخر فدخل عليه فجلس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم، و إنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك . فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو مِجْلَز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم يقبِل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر إليه وقال : إنى لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتنى .

قال أشجع السلمى يذكر باب المنصور(١) بن زياد :

على باب ابن منصورٍ * علاماتٌ من البذل

جماعاتٌ وحَسْب البا * ب فضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوّذ بالله من قَرَع الفِناء ومن قرع المُراح . وقال بعض الشعراء :

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكأنّ بابكَ مَجْمَعُ الأسواق

أرَجَوْكَ أم خافوك أم شامُوا الحَيَا * بحَرَاكَ(٢) فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر :

يزدحم النـاسُ على بابه * والمَشْرَعُ العذبُ كثيرُ الزحامْ

(١) هكذا فى النسخة الألمانية . وفى الفتوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما فى الكامل للبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » فى البيتين . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر: * إن النَّدَى حيث ترى الضَّغَاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار:

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاء

يسقط الطيرُ حيث يَنْتَثِر الحبُّ وتُغشى منازل الكرماء

دقّ رجل على عمر بن عبد العزيز[(١)] الباب فقال عمر: من هذا ؟ قال أنا . قال عمر : ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا .

خرج شَبيب بن شَيبة من دار الخلافة يوما فقال له قائل : كيف رأيت الناس؟ فقال : رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا .

قال أبو العتاهية :

إذا ٱشتدّ دونى حجابُ ٱمرئ * كفَيتُ المؤونة حُجّابَه

حُجب أعرابى على باب السلطان فقال:

أُهين لهم نفسى لأُكرِمَها بهم * ولا يُكرِم النفسَ الذى لا يُهينها

وقال جرير :

قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم * نُتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر:

فلما وردت البابَ أيقنتُ أننا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدى[(٢)] :

أبلغْ أبا[(٣)] مالك عنى مُغَلغَلة * وفى العتاب حياةٌ بين أقوام

(١) فى النسخة الفتواغرافية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لعصام بن عبيد الزمانى .

(٣) كذا بالأصل و يوافقه لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للرتضى : أبا مسمع

أَدْخلتَ قبلىَ قوما لم يكن لهمُ * من قبلُ أن يلجُوا الأبواب قدّامى
لو عُدّ بيتٌ و بيتٌ كنتُ أكرمهم * بيتـا وأبعدَهم من منزل الذّامِ
فقد جَعلتُ إذا ما حاجتى نزلت * ببـاب دارك أدلُـوها بأقــوام

التلطف فى مخـاطبة السلطان
و إلقاءِ النصيحة إليه

العتبى قال قال عمرو بن عُتْبة للوليد حين تنكّر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُنْطقنى بالأنس بك وأنا أخفت ذلك بالهيبة لك . وأراك تأمن أشياءَ أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا؟ أم أقول مشفِقا؟ فقال : كلٌّ مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه . ونعود فنقول : فقتِل بعد أيام .

وفى إلقاء النصيحة إليه : قرأت فى كتاب للهنــد أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبــة فى الحقير الصغير فكيف الجليلَ الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعُه من الأسماع والقلوب فى جَنب صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقُمه لكان خرقا منى أن أقول ، و إن كنا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا [موصول] (١) ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدّا من أداء الحق إليك و إن أنت لم تسئلنى [أو خفتُ ألّا تقبل منى] (١) ، فإنه يقال : من كتمَ السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثّه فقد خان نفسَه .

الخفوت فى طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إنى قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعدّ لك منّى قلبا معقودا بنصيحتك و يدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مَشحُوذا على عدوّك فإذا شئت فقل .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وفى مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى آغدُ علىّ غدا لكذا . فقلت : أنا والصبح كفرسَى رِهان . وفى مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال له : أنا أطْوَع لك من اليد وأذل لك من النّعل . وقال آخر: أنا أطوع لك من الرِّداء وأذلّ لك من الحِذاء .

التلطّف فى مدحه

قال خالد بن عبد الله القَسْرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته، فإنك قد زنتها، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها، فأنت كما قال القائل:

و إذا الدُّرّ زان حسنَ وجـوه * كان للدرّ حسنُ وجهك زَينـا

فقال عمر : أُعطِى صاحبُكم مَقُولا ولم يُعط معقُولا .

وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء: «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطُه الرأى على الهوى فيك بعد أن ميَّل بينك و بين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوا إلى غايتك فأسقطهم مضمارُك وخَفّوا فى ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا آزددتَ لله تواضعا ، ولا بسطا و إيناسا إلا ازددت له هيبة و إجلالا، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عُزوفا، ولا تقريبا إلا ازددت من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته، ولا إيثار حقّه عن الأخذ لها بحقّها عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه ، ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها ، ولا الجَذَل بصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر و إمعان النظر فى عواقبها » .

وفى مدحه : دخل العُمَانى الراجز على الرشيد لينشده وعليه قَلَنسُوة طويلة وخُفّ ساذَج، فقال له الرشيد: ياعمانى، إياك أن تنشدنى إلا وعليك عِمامة عظيمة الكَوْر

وخفّان دلقان[1] فبكّر إليه من الغد وقد تزيّا بزىّ الأعراب ثم أنشده وقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين قد والله أنشدتُ مروان ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفّاح ثم المنصور ثم المهدى. كلّ هؤلاء رأيت وجوههم وقبّلت أيديهم وأخذت جوائزهم، إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة والرؤساء، والله ما رأيت فيهم أبهى مَنظَرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفّا ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين. فأعظَم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام.

وفى المديح: كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال: «إن الله قد جعل جَدّك عاليا وجعلك فى كل خير مُقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصيرّك، وإن نأت بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا، وقد جدّد لك من البِرّ كيت وكيت. وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله».

وفى مدحه: قال الرشيد يوما لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئا؟ فقال: يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعرُ فيك فوق قدرى، ولكنّى أستحسن قول العَتّابىّ:

ما ذا يَرى قائلٌ يثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديسٌ وتطهير
فُتَّ المدائحَ إلا أن ألسُننا * مُستَنطَقات بما تخفى الضمائير
[فى عترة[2] لم تقم إلا بطاعتهم[3] * من الكتّاب ولم تُقضَ المَشاعير
هذى يمينك فى قُرْباك[4] صائلة * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والدُّلقم كما فى القاموس دويبة كالسَّمُّور. وفى العقد الفريد «دِلّقان». وفى البيان والتبيين «دُمَالقّان» والدمالق: الحجر الأملس.

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية.

(٣) فى الأصل «عبرة» بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغانى.

(٤) فى الأصل «جدواك مائلة» والتصحيح عن الأغانى.

وفى مدحه : كتب بعض الكتّاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على المُثنى عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح إلى غاية إلا وجد فى فضلك عونا على تجاوزها . ومن سعادة جَدّك أن الداعى لك لا يعدَم كثرةَ المشايعين ومساعدةَ النّية على ظاهر القول » .

وفى مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير : « مما يُعين على شكرك كثرةُ المنصتين له ، ومما يبسط لسان مادحك أمنُه من تحمّل الإثم فيه وتكذيبِ السامعين له » .

وفى مثل ذلك : لمّا عقَد معاوية البيعة ليزيد قام النـاس يخطبون فقال لعمرو ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد ابن معاوية أملٌ تأمُلونه وأجل تأمَنونه ، إن آستضفتم إلى حِلمه وَسِعكم ، وإن آحتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن آفتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جَذَعٌ قارحٌ سُوبق فسبق ومُوجِد فمجَد وقُورِع فخرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفى مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكتَنى عن وصفك تَساوِى أفعالك فى السودد وحيَّرنى فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أختُها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن صفتها » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عليك ، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتَها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم ، والشيء يتغلغل فى معدِنه ويحِنّ إلى عنصره ، فإذا صادف مَنبِته ولَزّ فى مغرسه ضرب بعِرقه وسَمَق بفرعْه وتمكّن تمكُّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر إلى بعض الوزراء : «رأيتنى فيما أتعاطى من مدحك كالمُخبر عن ضوء النهـار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنى حيث انتهى بىَ القول منسوبٌ إلى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووَكَلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك» .

وفى مثله كتب العتّابى إلى خالد بن يزيد : «أنت أيها الأمير وارث سلَفك وبقيةُ أعلام أهل بيتك، المسدودُ بك ثَلْمُهم والمُجدَّد بك قديمُ شرفهم والمنبّه بك أيامُ صيتهم والمنبسط بك [آمالُنا والصائر بك أُكَالُنا والمأخوذ بك] (١) حظوظنا، فإنه لم يخمُل من كنت وارثه، ولا درَست آثارُ من كنت سالك سبيله ولا ٱمّحتْ معاهد من خلَفته فى مرتبته» .

وفى شكره : قرأت فى التاج قال بعض الكتّاب للملك : «الحمد لله الذى أعلقنى سببا من أسباب المَلِك ورفع خسيستى بمخاطبته وعزّز ركنى من الذّلة به وأظهر بَسْطتى فى العامّة وزيّن مقاومتى فى المشاهدة وفقأ عنى عيونَ الحَسَدةوذلّل لى رقاب الجبابرة وأعظم لى رغبات الرعيّة وجعل لى به عقِبا يُوطأ وخطرا يُعظَّم ومزية تحسُن، والذى حقّق فىّ رجاء من كان يأملنى وظاهر به قوة من كان ينصرنى وبسط به رغبة من كان يسترفدنى، والذى أدخلنى من ظِلال الملك فى جَناح سترنى، وجعلنى من أكنافه فى كَنَف ٱتّسع علىّ» .

وفى شكره وتعداد نِعَمه : قرأت فى سير العجم أن أردشير لمـا استَوسَق له أمرُه جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفـة والطاعة وحذرهم المعصية وصنّف الناس أربعة أصناف، فخرّ القوم سُجَّدا وتكلّم متكلّمهم مجيبا فقال : «لا زلت

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

أيها الملك محبوًا من الله بعزّة النصر ودَرَك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت تتابَع لديك النعم وتُسبَغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التى يُؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتُها فى دار القرار التى أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلْفى عنده والحُظْوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاءَ الشمس والقمر زائدين زيادةَ البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلّها فى عُلوّك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمّنا عمومَ ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم ، فجمعتَ الأيدى بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وألّفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإحَنَ والحسائكَ بعد آستعار نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرَك بوصف ولا يحدّ بتَعداد ، ثم لم ترضَ بما عمّمتنا به من هذه النِّعم وظاهرت من هذه الأيادى حتى أحببتَ توطيدها والاستيثاقَ منها وعمِلت لنا فى دوامها كعمَلك فى إقامتها وكَفَلت من ذلك ما نرجو نفعه فى الخُلوف والأعقاب ، وبلغت همّتك لنا فيه حيث لا تبلُغ هِمَم الآباء للأولاد ، فجزاك الله الذى رضاه تحرّيتَ وفى موافقته سعيت أفضلَ ما التمستَ ونويتَ » .

وفى مثله : قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : « قدمتَ فأعطيت كلًّا بقسطه من نظرك ومجلسك وصِلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد » .

وفى شكره : كتب بعض الكتّاب إلى الوزير يشكر له : « من شكرك عن درجة رفعتَه إليها أو ثروة أفدته إياها فإن شكرى إياك على مهجة أحييتَها وحُشاشة تبقّيتها ورمقٍ أمسكت به وقمت بين التلف وبينه » .

وفى شكره : قرأت فى كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهى إليه ومدًى تُوقف عنده وغاية فى الشكر يسمو إليها الطَّرْف خلا هذه النعمةَ التى فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَنا جمّة أبقتْ للماضين مِنّا وللباقين فخرَ الأبد وردّت عنا كيد العدوّ وأرغمت عنا أنف الحسود وبسطت لنا عزا نتداوله ثم نخلفه للأعقاب فنحن نلجأ من أمير المؤمنين إلى ظلّ ظليل وكَنَف كريم وقلب عطوف ونظر رءوف، فكيف يشكر الشاكر منا وأين يبلغ اجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدّى ما يلزمنا ونقضى المفترَض علينا وهذا كتاب أمير المؤمنين الذى لو لم تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى منا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامته وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان فى ذلك ما يحسّن الشكر ويستفرغ المجهود » .

التلطف فى مسئلة العفو

قال كسرى ليوشت المغنى وقد قتل فهلوذ (*) حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرَ تمتّعى حسدُك ونَغَلُ صدرِك » ثم أمر أن يلقَى تحت أرجل الفيَلة فقال : أيها الملك إذا قتلتُ أنا شطرَ طربك وأبطلتُه وقتلتَ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتى عليه ؟ قال كسرى : دعوه، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جُعل له من طول المدّة .

وفى العفو أيضا . قال رجل للمنصور : «الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله من أن يَرْضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين» .

وفى العفو : جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام إليه رجل منهم فقال : أيها الأمير إن لى عليك حقا . قال : وما حقك علىّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوما فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشُد الله رجلا سمع ذاك إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلّوا

(*) فى الأغانى ج ٥ ص ٥٨ : الفهليذ .

عنه. ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكر؟ قال: لقديم بغضى إياك. قال: ويخلّى هذا لصدقه.

وفى العفو: أسر معاوية يوم صفّين رجلا من أصحاب علىّ صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذى أمكن منك. قال: لا تقل ذاك فإنها مصيبة. قال: وأيّة نعمة أعظمُ من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابى. اضربا عنقه. فقال: اللهم اشهدْ أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لأنك ترضى قتلى، ولكن قتلنى فى الغلبة على حُطَام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله. فقال: قاتلك الله! لقد سببتَ فأوجعت فى السب ودعوتَ فأبلغتَ فى الدعاء. خَلّيا سبيله.

وفى مثله. أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال:

يدى يا أمير المؤمنين أُعيذُها * بعفوك أن تلقى نكالا يَشينُها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبةً * إذا ما شِمَالى فارقتْها يمينُها

فأبى إلّا قطعه، فدخلت عليه أمه فقالت: يا أمير المؤمنين، واحدِى وكاسِبى. فقال: بئس الكاسب! هذا حدّ من حدود الله. فقالت: اجعله من الذنوب التى تستغفر الله منها. فعفا عنه.

وفى مثله: أخذ عبد الله بن على أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليُضرب به ضرط الشأمى فوقع العمود بين يدى الغلام ونفرت دابة عبد الله فضحك وقال: اذهب فأنت عتيق آستك. فالتفت إليه وقال: أصلح الله الأمير! رأيتَ ضرطة قطُّ أنجتْ من الموت غير هذه؟ قال: لا، [قال][1] هذا والله الإدبار. قال: وكيف ذاك؟ قال: ماظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنّتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا.

(١) زيادة يعينها السياق.

وفى مثله : خرج النعمان بن المنــذر فى غِبِّ سماء فمرّ برجل من بنى يَشْــكُر جالسا على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكرى : أليس آبن سَلْمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربمــا أمررتُ يدى على فرجها . قال له : ويحك، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتُك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيّوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيتَ اللعن ، إنك والله ما رأيتَ شيخا أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعضّ ببَظْر أمه من شيخ بين يديك . فقــال النعمان : دَعُوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظيــ*ــم من الذنوب لفضلها
ولقد تُعــاقِب فى اليسيــ*ــر وليس ذاك لجهلها
إلا ليعْـــرَف فضلُهــا * ويُخاف شدّةُ نَكْلِها

وفى مثله : لمّــا أخذ المأمون إبراهيم بن المهدى استشار أبا إسحاق والعباس فى قتله فأشارا به، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أن يكونا قد نصحا لك فى عظَم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فعــلا، ولكنك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عوّدك الله . وكان فى اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جُرمى استحلالَ دمى فحِلمُ أمير المؤمنين وفضــله يُبلغانى عفوَه ولى بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقُّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن فى حق سببك (*) حقُّ الصفح عن جُرمك لبلَّغك ما أمَّلتَ حسنُ تنصُّلك ولطف توصُّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عنى المأمون صلةً لرحمى ولا محبة لاستحيائى ولا قضاءً لحق عمومتى، ولكن قامت له سُوقٌ فى العفو فكره أن يُفســدها بى . ومن أحسن ما قيل فى مثله قول العتّابى :

رحَل الرجاءُ إليــك مُغْــترِبا * حُشِــدت عليــه نوائب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية و فى العقد الفريد "نسبك" .

ردّتْ إليكَ ندامتى أمَلى * وثنى إليكَ عِنانَه شُكرى
وجعلتُ عَتْبك عتب موعظة * ورجاءَ عفوك مُنتهى عذرى

وقول على بن الجَهْم للتوكل :

عفا الله عنك ألا حرمةٌ * تعوذ بعفوك أن أبعدا (١)
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لأنت أجلّ وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طورَه * ومولًى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيتَه * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقِلْنى أقالك من لم يزل * يَقيك ويصرف عنك الردى (٢)

وفى مثله . وَجِد بعض الأمراء على رجل لجفاه وأطّرحه حينا ثم دعا به ليسئله عن شىء فرآه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللتَ ؟ فقال :

ما مسّنى سُقْمٌ ولكننى * جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير (٣)

فعاد له .

وقال آخر :

ألا إن خير العفو عفوٌ معجّل * وشر العقاب ما يُجازُ به القدرُ

وكان يقال : بحَسْب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفى العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيتَ وإن عفوت أحسنت والعفو أقرب للتقوى .

(١) فى الأصلين الفتوغرافى والألمانى «تجود» والتصويب عن الأغانى .
(٢) فى نسخة : العدا .
(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام فى ذاته مستقيم الوزن، وأورده صاحب العقد نثرا وبعده «وآليت أن لاأرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلّا نظرتَ فى أمرى نظرَ مَن بُرئى أحبُّ إليه من سُقْمى وبراءتى أحبُّ إليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة .

وفى مثله : أتى الأحنفُ ابن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم ، فقال ، أصلح الله الأمير : إن كانوا حُبسوا فى باطل فالحق يخرجهم ، وإن كانوا حُبسوا فى حق فالعفو يسعهم ، فخلّاهم .

وفى مثـله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زِنْباع فقـال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها أو تنقض منى مِرّة أنت أبرمتهـا أو تُشمت بى عدوا أنت وَقَمْته(١) وإلّا(٢) أتى حلمُك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد :

* إذا الله سَنّى عقدَ أمرٍ تيسرا *

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إن أمكنه الله منه ليفعلنّ به وليفعلن . فقال له رَجَاء بن حَيْوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفى مثـله : قال ابن القِرِّيَّة للحجاج فى كلام له : أَقِلْنِى عثرتى وأَسِغْنِى ريقى فإنه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولابد للحليم من هفوة . فقال الحجاج : كلّا ، والله حتى أوردَك جهنم . ألست القائل برُسْتُقُبَاذ : تَغَدَّوا الجدىَ قبل أن يتعشّاكم .

وفى مثله : أمر عبدالملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعزُّ ما تكون أحوجُ ماتكون إلى الله ، فاعفُ له فإنك به تُعان وإليه تعود . فخلّى سبيله .

(١) قهرته وأذللته .

(٢) كذا بالأصل وفى الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفى مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه [بما عذّبه به](١) : إن القدرة تذهب الحَفيظة وقد جلّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرُّون بالذنب، فإن تعفُ فأهل العفو وإن تعاقب فبما كان منا . فقال [أولى لك](١) أمَّا حتَّى تأتى الشأم راجلًا فلا عفو .

وفى مثله : ضرب الحجاج أعناق أَسَارى أُتى بهم، فقال رجل منهم : والله لئن كنّا أسأنا فى الذنب فما أحسنتَ فى المكافأة . فقال الحجاج : أفٍّ لهذه الجِيَف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفّ عن القتل .

وفى مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فأتعلقَ بأطرافك وأقول أى ربِّ سلْ مصعبًا فيم قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبتَ لى من حياتى فى خَفْضٍ . قال أعطوه مائة ألف . قال : بأبى أنت وأمى، أُشهد الله أن لابن قيس الرُّقَيات منها خمسين ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من الله * تجلَّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتّقى الله فى الأمور وقد أفـ * ـلح من كان همَّه الاتقاءُ

فضحك مصعب، وقال : أرى فيك موضعا للصنيعة، وأمره بلزومه وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفى مثله : قال عبد الملك بن الحجاج التغلبى(٢) لعبد الملك بن مروان : هربتُ إليك من العراق . قال : كذبت، ليس إلينا هربتَ، ولكنك هربت من دم الحسين وخفْتَ على دمك فلجأت إلينا . ثم جاء يوما آخر فقال :

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٢) فى النسخة الألمانية « عبد الله » .

أدنو لترحمنى وتُرْثِيَ خَلَّتى * وأراك تدفعنى فأين المَدْفع

ونحوه قول الآخر:

كنتُ من كربتى أفرّ إليهم * فهـــمُ كربتى فأين الفرار

وفى مثله : قَنَّع الحجاجُ رجلا فى مجلسه ثلاثين سوطا وهو فى ذلك يقول :

وليس بتعزيرِ الأمير خَزَايةٌ * علىّ إذا ما كنتُ غير مُريب

ونحوه :

وإن أمير المؤمنين وفعـله * لكالدهر، لاعارٌ بمافعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه . فقال للوَلىّ : يا عبد الله، إنك لا تدرى لعل هذا قتل وليّك وهو لا يريد قتله، وأنت تقتله متعمدا، فانظر لنفسك. قال : قد تركته لله .

وفى مثله . حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمـر قال : رُمى الحجاج فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأُخذ فأُدخل عليه وقد ذهبتْ روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكى الحجاجَ : أنت الرّامينا منذ الليلة ؟ قال : نعم أيهـا الأمير . قال، ما حملك على ذلك ؟ قال : العىّ(١) واللهِ واللؤم . قال : خلُّوا عنه . وكان إذا صُدِق انكسر

وفى مثله : حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عثمانَ الشحّام قال : أُتى الحجاج بالشَّعبي فقال له : أخرجتَ علينا يا شعبي؟ قال : أجدب بنا الجنابُ وأَحزن بنا المنزلُ واستحلَسْنا الخوفَ واكتحلنا السهرَ وأصابتنا خَزْيَة لم نكن فيها بَرَرةً أتقياء ولا فَجَرة أقوياء . فقال الحجاج : لله أبوك . ثم أرسله .

(١) كذا بالأصل ولعله الغى .

وفى مثله : أُتى موسى بن المهدى برجل كان قد حبسه لجعل يُقَرِّعه بذنو به ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، اعتذارى مما تقرّعنى به ردٌّ عليك و إقرارى بمـا تَعْتَدُّه علىّ يُلزمنى ذنبا لم أجنِه ، ولكنى أقول:

فإن كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً * فلا تَزْهَدنْ عند المعافاة فى الأجر

وفى مثله : قال الحسن بن سهل لنُعَيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظّمه : على رِسْلك أيها الرجل ، تقدّمتْ لك طاعةٌ وتأخرتْ لك تو بة ، وليس لذنب بينهما مكان ، وما ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو .

وفى الدعاء له : قال رجل لبعض الأمراء : « إنى لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقَى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس ، لأحببت(١) أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظِّم من أمره ، غير أنى أسأل الله الذى لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطّلع عليه ممـا تبلغه نيتى فى إرادته للأمير أدنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه » .

وفى الدعاء له : قرأت فى كتاب رجل من الكتّاب « لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلُغه وأملٍ فيك تُحقّقه حتى تَمَلّى من الأعمـار أطْولها وترقَى من الدرجات أفضلَها » .

وفى الدعاء : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قُبضت ضِياعُه فقال : السلام عليك أميرَ المؤمنين . محمد بن عبد الملك سَليل نعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دَوحتك ، أتأذن له فى الكلام ؟ قال : نعم . فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه . فقال « نستمتع الله لحِيَاطة ديننا ودنيانا ورعايةِ أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا وفى أثرك من آثارنا ويقيك

(١) فى النسخة الفتوغرافية « لاجتنبت » وهو تحريف .

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائذ بظلّك الهارب إلى كَنَفك وفضلك الفقير إلى رحمتك وعدلك » ثم تكلّم فى حاجته .

وفى شكر السلطان وفى حمده: قدِم رجل على سليمان بن عبد الملك فى خلافته فقال له : ما أقدمك علىّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمنى عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت إلينا وفاضت فى رِحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرَّهبة فقد أَمِنّا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسنِ سِيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفى حمده : كتب بعض الكتّاب إلى وزير : « كلُّ مَدًى يبلغه القائلُ بفضلك والواصفُ لأيامك والشاكرُ للنعمة الشاملة بك قصدٌ أَمَمٌ عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها ، فقد جمع الله بك الشّتات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدىَ الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمّنتَ سَرْب البرىء وخفضت جأشه وأخَفْتَ سُبُلَ الجانى وأخذتَ عليه مذاهبه ومطالعه ووقفتَ بالخاصّة والعامة على قصد من السيرة أَمنوا بها من العِثار والكبوة » .

وفى حضه على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبة للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترضَ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .

⁂

تم كتاب السلطان ، ويتلوه فى الجزء الثانى كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية ابن عمرو عن أبى إسحاق عن هشام والأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تَمَنَّوْا لقاء العدوّ فعسى أن تُبتلَوْا بهم ولكن قولوا اللهمّ اكفِنا وكُفّ عنا بأسهم، وإذا جاءوكم يَعْزِفون ويَزحَفون ويصيحون فعليكم الأرضَ جلوسا، ثم قولوا : اللهم أنت ربّنا وربُّهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، فإذا غَشُوكم فثوروا فى وجوههم» .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عمن حدّثه أنّ أبا الدرداء قال: أيها الناس، عَمَلٌ صالح قبلَ الغزو فإنما تقاتِلون بأعمالكم .

حدّثنا القاسم بن الحسن[1] عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيح قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وامضُوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتِلوا فى سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبُنوا عند اللقاء ولا تمثّلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقَّوا قتلهم إذا التقى الزَّحْفان وعند

---

(١) فى الألمانية "الحكم" .

حُمَّة النَّهَضات(١) وفى شنّ الغارات. ولا تَغُلُّوا عنـد الغنائم ونزّهوا الجهاد عن عرَض الدنيا وأبشروا بالرِّبَاح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

استشار قوم أكثم بن صَيْفِىّ فى حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أقلُّوا الخـلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصِّياح من الفشل والمرء يعجَز لا محالة. تثبّتوا فإن أحزم الفريقين الرَّكِين، ورُبَّ عَجَلةٍ تُعقب رَيْثا، وآتّزروا للحرب وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختُلِف عليه .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب فى قوله تعالى﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَـةً فَٱثْبُتُوا وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأوزاعىّ قال، قال عُتْبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعنى أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم — جُثِيًّا على الرُّكَب كأنهم خُرْس يتلمّظون تلمّظ الحيّات . قال : وسمعتهم عائشـة يُكبِّرون يوم الجَمَل فقالت : لا تكثروا الصياح فإن كثرة التكبير عند اللقاء من الفشَل(٢) .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبىّ عن أبى إبراهيم قال: أوصى أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين وجّهه إلى الشـام فقال : يا يزيدُ سِرْ على بركة الله . فإذا دخلتَ بلاد العدوّ فكن بعيـدا من الحَمْلة فإنى لا آمن عليك الجَوْلة . وآستظهرْ بالزاد وسِرْ بالأدلّاء ولا تقاتِل بمجروح فإنّ بعضه ليس منه، وآحترس من البَيَات فإنّ فى العرب

(١) أى شدّتها ومعظمها . (٢) فى الفتوغرافية «القتال» .

غِرّة، وأقلِلْ من الكلام فإنما لك ما وُعى عنك. وإذا أتاك كتابى فأنفذْه فإنما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قدِمَتْ عليك وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وآمنع النـاس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلِحَّنّ فى عقوبة [فإن أدناها وجع] (١) ولا تسرعنّ إليها وأنت تكتفى بغيرها. وآقبلْ من الناس علانيتهم وكِلْهم إلى الله فى سرائرهم. ولا تَجَسَّسْ عسكرك فتفضحَه ولا تهمله فتفسدَه. وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

[(١) قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُمَان: يا عكرمة سِرْ على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤمّنن على حق مسلم وأَهْدِر الكفرَ بعضه ببعض. وقدّم النُّذُرَ بين يديك. ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا فى عقوبة ولا عفو. ولا ترجُ إذا أُمِّنت ولا تخافنّ إذا خُوِّفت ولكن آنظر متى تقول وما تقول. ولا تَعدنّ معصية بأكثر من عقوبتنا فإن فعلت أثمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمِّنن شريفا دون أن يُكفَل بأهله ولا تُكفِلنّ ضعيفا أكثر من نفسه. وآتق الله فإذا لقيت فاصبر.]

وأوصى عبد الملك بن صالح (٢) أميرَ سَرِيّة إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمُضارب الكيِّس الذى إن وجد ربحا تَجَر، وإلا احتفظ برأس المـال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوّك أشدّ حذرا من احتيال عدوّك عليك.

وحدّثنى محمد بن عبيد عن آبن عيينة قال: أخبرنى رجل من أهل المدينـة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمرو بن العاص: «إذا بعثتك فى سرية فلا تَنَقَّهم وآقتطعْهم فإن الله ينصر القوم بأضعفهم».

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية.

(٢) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمـانية وفى العقد الفريد «مروان».

حدّثنى محمد بن عبيد [عن آبن عيينة][1] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمَير قال : غزا نبى من الأنبياء أو غير نبى فقال : «لا يغزوَنّ معى رجل بنى بناء لم يكمله، ولا رجل تزوّج امرأة لم يَبْنِ بها، ولا رجل زرع زرعا ثم لم يحصُده » .

[وذكر[1] ابن عباس عليا فقال : ما رأيت رئيسا يوزَن به . لرأيتُه يوم صِفّين وكأنّ عينيه سِراجا سَليط وهو يحمّس أصحابه إلى أن آنتهى إلىّ وأنا فى كَثْف[2] فقال : معشرَ المسلمين، استشعِروا الخشية وعنُّوا[3] الأصوات وتجلببوا السكينة وأكملوا اللُّؤَم وأخفوا[4] الخون وقلقلوا السيوف فى أغمادها قبل السَّلّة وآلحظوا الشَّزْر وآطعنوا النَّبْر[5] ونافحُوا بالظُّبا وصِلُوا السيوف بالخُطَا والرماحَ بالنَّبْل وآمشوا إلى الموت مشيا سُجُحا . وعليكم بهذا السواد الأعظم والرِّوَاق المطنَّب فآضربوا ثَبَجَه فإن الشيطان راكد فى كِسْره نافج حُضْنيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوَثْبة يدا وأخّر للنُّكوص رجلا] .

ولمـا ولّى يزيد بن معاوية سـلْمَ بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما، وقد اُستكفيتُك صغيرا فلا تتكلنّ على عذر منى فقد اتكلتُ على كفاية منك. وإياك منّى قبـل أن أقول إياى منك، فانّ الظن إذا أَخْلف فيك أَخْلف منك . وأنت فى أدنى حظك فأطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنّ نفسـك ، وكن لنفسك تكن لك، وآذكر فى يومك أحاديث غدك ترشُدْ إن شاء الله .

قال الأصمعى قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سـيّار الليثى : ينبغى للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشى اليه سرّه، وحصن يلجأ إليه إذا فزع فينجيه ــ يعنى فرسا ــ وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خَوْنه،

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الأصل «كنف» وهو تحريف والكثف الحشد والجماعة .
(٣) من التعنية أى الحبس والأسر أى آحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده فى نهج البلاغة ولعله «أخفّوا الخوذ» جمع خوذة أى اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم فى الحرب . (٥) يقال طعن نبر : مختلَس كأنه ينبر الرمح عنه أى يرفعه بسرعة . وفى نهج البلاغة : والحظوا الخزر واطعنوا الشزر .

وذخيرة خفيفة المحمَل إذا نابتــه نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همّه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وبلغني عن عبّاد بن كثير عن عُقَيل [بن خالد](١) عن الزُّهْرى(٢) عن عبيد الله بن عبد الله عن آبن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غُلِب قوم قطّ يبلغون اثنى عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم». [وقال رجل يوم حنين: لن نُغْلب اليوم عن قلّة. وكانوا اثنى عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ الآية﴾](١).

وقالوا كان يقال: ثلاث من كُنّ فيه كُنّ عليه : البغى، قال الله تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ والنَّكثُ، قال عز وجل﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾.

وقرأت فى كتاب للهند : لا ظَفَر مع بَغْى، ولا صحّة مع نَهَم، ولا ثناء مع كِبْر، ولا صداقة مع خَبّ، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بِرّ مع شُحّ، ولا آجتناب مُحرّم مع حرص، ولا محبة مع زهو(٣)، ولا ولاية حُكم مع عدم فِقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودَد مع آنتقام، ولا رياسة مع غَرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وُزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمّه ذلك فقيل له : ما يُهمّك منهم؟ وجّهْ إليهم وَكيع بن أبى سُود فإنه يكفيكهم . فقال : لا ، إنّ وكيعا رجل به كِبْر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّت مبالاته بعدوّه فلم يحترس منه فيجد عدوّه منه غِرّة.

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى وفى النسخة الألمانية : الزبيرى والصواب الأوّل فإن المعروف فى كتب طبقات المحدّثين أن عقيل بن خالد يروى عن الزهرى والزهرى يروى عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) فى الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

وقرأت فى بعض كتب العجم أنّ ملكا من ملوكهم سئل : أىّ مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبـار وإفشاء الغَلَبـة وإظهار السرور وأمانة الفَرَق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغشّ ولا تحويل شىء عن شىء إلا بسـدّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم فى القتال فقال : مخاتلة العدوّ عن الرِّيف وإعداد العيون على الرَّصَد وإعطاء المبلِّغين على الصدق ومعاقبة المتوصِّلين بالكذب وألا تُخرِج هاربا إلى قتال ولا تُضيِّقَ أمانا على مستأمِن ولا تَشِبَّ عن أصحابك للبُغْية ولا تَشْدَهنّك الغنيمة عن المحاذرة .

وقرأت فى كتاب للهند : الحازم يحـذر عدوّه على كل حال . يحذر المواثبة إن قَرُب ، والغارة إن بَعُد ، والكمينَ إن انكشف ، والاستطراد إن ولّى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدًّا لأن النفقة فيه من الأنفُس والنفقة فى غيره من المـال .

وقرأت فى الآيين : قد جرت السنة فى المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر فى المَيْسرة ليكون لقاؤه يَسْرا ورميه شَزْرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدُما وترك ذلك على حال مُمَايلة أو مُجانَبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشْرِفا ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان[1] فإن زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عَىّ الجند فليناوش[2] أهل الميمنة والمـادّتان فأما الميسرة] فلا يَشُذنّ منهم أحد إلّا أن يبادر إليهم من العدوّ من يخاف بائقته فيردّون عاديتهم مع أنّ أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرون على لقاء من يناوشهم والرجوع إلى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى الفتوغرافية هكذا "المـاذيان" ولم نوفق الى تصو يبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

إلا مائلين و يعجزهم الرجوع عاطفين. ولا يألُوَنّ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جندُه عينَ الشمس والريح، ولا يحاربنّ جندا إلا على أشدّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدٌّ ، فإذا كان كذلك فليَجْهَد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب إلى آخر النهار. وينبغى على كل حال أن يخلّى بين المنهزمين و بين الذهاب ولا يُحبسوا. وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدوّ أن ينالوا من الماء فليس من الرأى أن يُحال بينهم و بينه لئلا يُحْرجوا إلى الجدّ فى محاربتهم. وإن كان العدوّ قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت طلب ذلك عند رىّ العدوّ من الماء وسقيهم دوابّهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فإن أَسْلس ما يكون الانسان عن الشىء عند استغنائه عنه وأشدّ مايكون طلبا للشىء عند حاجته اليه . ولْتَسِر الطلائع فى قرار من الأرض ويقفوا على التِّلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها. وليكُن الكمين فى الخَمَر والأماكن الخفية. وليطرح الحَسَكَ فى المواضع التى يتخوّف فيها البياتَ. وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن فى انتشاره فساد العسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من فى الجند من المقاتِلة مجرِّبين ذوى حُنْكة و بأس فبِدَارُ العدوّ الجند إلى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بدّ فبِدَار الجند إلى مقاتلة العدوّ أفضل للجند . وليس ينبغى للجند أن يقاتلوا عدوّا إلا أن تكون عدّتُهم أربعة أضعاف عدّة العدوّ أو ثلاثة أضعافهم ، فإن غزاهم عدوّهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدّة العدوّ مثل نصف عدّتهم . وإن توسط العدوّ بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم، وينبغى أن يُنتخب للكمين من الجند أهلُ جرأة وشجاعة وتيقّظ وصَرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عُطاس ويُختار لهم من الدواب مالا يَصْهل ولا يغنث(١)، ويُختار لكمونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى، قريبة من

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية "يعنت". ولعل الصواب ينهت كيضرب والنهات النفس بأنين وهو الزحير .

المـاء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروِيّة والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضَريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المَكْمن متفرقين إذا ترك العدوّ الحراسة وإقامة الرَّمايا، وإذا أونس من طلائعهم توانٍ وتفريطٌ وإذا أَمْرَجُوا دوابَّهم فى الرعى، وأشدَّ ما يكون البرد فى الشتاء وأشدَّ ما يكون الحر فى الصيف . وأن يرفضّوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكمنهم بعد أن يستخبر بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوّهم ويتركوا التلبّث والتلفّت . وينبغى للمبيِّتين أن يفترصوا البيَات إذا هبَّت ريح أو أُونِس من نهر قريب منهم خريرٌ فإنه أجدر ألا يُسمَع لهم حسّ . وأن يُتوخّى بالوَقْعة نصفُ الليل أو أشدُّ ما يكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدوّ وبقيتهم حوله، ويبدأ بالوَقْعة من يصير منهم فى الوسط ليُسمع بالضجّة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُشرَّد قبل الوقعة الأَفْره فالأفره من دوابّهم ويقطّع أرْسَانُها وتُهمَز بالرماح فى أعجازها حتى تَحير وتَعير ويُسمع لها ضوضاء، وأن يهتف هاتف ويقول: يا معشر أهل العسكر النَّجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قائل: أيها الرجل استحيِنى لله . ويقول آخر: العفو العفو . وآخر: أوه أوه، ونحو هـذا من الكلام[1] . وليُعلم أنه إنما يُحتاج فى البيَات إلى تحيير العدوّ وإخافته وليجتنبوا التقاطَ الأمتعة واْستياقَ الدوابّ وأخْذَ الغنائم . قال: وينبغى فى محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدَر على استمالته من أهل الحصن والمدينـة ليُظفر منهم بخَصْلتين: إحداهما استنباط أسرارهم، والأخرى إخافتُهم وإفزاعهم بهم، وأن يُدسَّ منهم من يصغّر شأنهم ويؤيسهم من المَدَد ويخبرهم أن سرّهم منتشر فى مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأُخَر ذليلة ومواضع يُنصب المَجانيق

(١) فى النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة: وأنشد

فأوّه بذكراها إذا ماذكرتُها ✽ ومن بعد أرض دونها وسماء

عليها ومواضع تُهيّأ العرّادات لها ومواضع تُنقب نقبا ومواضع توضع السّلالم عليها ومواضع يُتسوّر منها ومواضع يُضرم النار فيها ليملأهم ذلك رعبا، ويكتب على نُشّابة: إياكم أهلَ الحصن والاغترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فإن الزمان خبيث وأهله أهل غدر فقد خُدع أكثرُ أهل الحصن واستُميلوا، ويُرمى بتلك النّشابة فى الحصن ثم يُدسّ لمخاطبتهم المِنطيق المُصيب الدّهىّ الموارب المخاتل غير المِهْذار ولا المغفّل. وتؤخّر الحرب ما أمكن ذلك فإن فى المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة، فإن كان لا بد من المحاربة فليحاربوا بأخفّ العُدّة وأيسر الآلة . وينبغى أن يغلب العدو على الأرض ذات الخَمَر والشجر والأنهار للعسكر ومصافّ الجنود ويُخلّى بين العدو وبين بساط الأرض ودَكادكها .

وفى بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشدّ الأمور تدريبا للجنود وشَحْذا لها، فقال: استعادة القتال وكثرة الظَّفَر، وأن تكون لها موادّ من ورائها وغنيمة فيما أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظّفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المُنَاصبة، والتشريفُ للشجاع على رءوس الناس .

قال المدائنى [قال نصر بن سيّار][^(١)] : كان عظماء الترك يقولون : القائد العظيم ينبغى أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان : شجاعة الديك، وتحنُّن الدجاجة، وقلب الأسد، وحَمْلة الخنزير، [وروغان الثعلب، وخَتْل الذئب . وكان يقال فى صفة الرجل الجامع : له وَثْبة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب][^(١)] وجَمْع الذّرّة، وبُكُور الغراب .

وكان يقال : أصلح الرجال للحرب المجرِّب الشجاع الناصح .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى الأصمّ قال ، قيل لعمرو بن معاوية العُقَيلى وكان صاحب صَوَائف : بم ضبطت الصوائف؟ أى الثغور قال : بسَمَانة الظهر وكثرة الكعك والقَديد . وفى كتاب الآيين : ليكن أوّل ما تحمله معك خبزا ثم خبزا ثم خبزا . وإياك والمَفَارش والثياب . أبو اليَقْظان قال قال شبيب الخارجى : الليل يكفيك الجبانَ ونصفَ الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أتاكم المَدَد ، يعنى الليل . وقيل لبعض الملوك : بيّتْ عدوّك . قال : أكره أن أجعل غَلَبتى سرقة .

المدائنى قال : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم إلى ملكهم فقالوا : قد أمكنتْك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم ببعض ، فالرأى أن تغزوهم فى بلادهم . فنهاهم عن ذلك وخطّأ رأيهم ، ودعا بكلبين فأرّش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا ، ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثلنا ومثلهم . فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكا فقال : لا يكن العدوّ الذى قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظَّنين الذى يستتر لك بمخاتلته ، فإنه ربما تخوّف الرجل السَّمَّ الذى هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذى يحيى الأشياء ، وربما تخوّف أن يقتله الملوك التى تملكه ثم قتلته العبيد التى يملكها . فلا تكن للعدوّ الذى تُناصِب بأحذرَ منك للطعام الذى تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرَك وإن عظُم آمَنُ منّى من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صغُر . واعلم أن مدينتك حِرْز من عدوّك ، ولا مدينةَ تحرّز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك ، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك .

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمى أن خالد بن بَرْمك، حين فصل مع قَحْطَبَةَ من خراسان، بَيْنا هو على سطح بيت فى قرية قد نزلاها وهم يتغدّون نظر إلى الصحراء فرأى أَقَاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة : أيها الأمير نادِ فى الناس : يا خيــل الله اركَبى، فإن العدوّ قد نَهَد إليك وحَثّ، وغاية أصحابك أن يُسْرِجوا ويُلْجِموا قبل أن يروا سُرْعانَ الخيل، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا، فقال لخالد : ما هذا الرأى؟ فقال خالد : أيها الأمير لا تتشاغل بى وناد فى الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعَها حتى خالطت الناس! إن وراءها جَمْعا كثيفا . قال : فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلِموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد آصْطُلِم .

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك : آمرك بالتقدّم والأمر ممكن، وبالإعداد لغد من قبل دخولك فى غد كما تُعِدّ السـلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عَتَاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدرى لعلها لا تصيبه، بل كما تعدّ الطعام لعَــدَد الأيام وأنت لا تدرى لعلك لا تأكله . وكان يقال : كل شىء طلبته فى وقته فقد مضى وقته .

[وقرأت فى كتاب سير العجم أن فَيْرُوز بن يَزْدَجَرد بن بَهْرام لمّا ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهَيَاطلة ببَلْخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتدّ رُعب اخشــنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزراءه فى أمره، فقال له رجل منهم : أعطنى موثقا وعهــدا تطمئن إليــه نفسى أن تكفينى أهلى وولدى وتُحسن إليهــم وتَخْلُفَنى فيهم، ثم آقطَعْ يدىّ ورجلىّ وأَلْقِنى على طريق فيروز حتى يمرّ بى هو وأصحابه فأكفيكَ مؤونتهم [وشوكتهم] وأورّطهم مورّطا تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار : وما الذى تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرَكا فى ذلك؟ قال : إنى قد بلَغتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيـا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمرى بأفضـل ما تُختَم به الأعمـار من النصـيحة لإخوانى والنكاية فى عدوّى فيشرُف بذلك عقبى وأصيب سعادة وحُظْوة فيما أمامى، ففعل به ذلك وأمر به فأُلقى حيث وصف له . فلمـا مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشـنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمل إلى ذلك الموضع ليدلّه على عورته وغِرّته وقال : إنى أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجُموا عليه فينتقم الله لى منه بكم، وليس فى هذا الطريق من المكروه الا تَفْوِيزُ يومين ثم تُفْضون إلى كل ما تحبون . فقبل فيْروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤُه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، نخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم بيّن لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا وشمـالا يلتمسون المـاء فقتَل العطشُ أكثرهم ولم يخلُص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مسـتعدّون لهم فواقعهم على تلك الحالة[1] وعلى ما بهم من الضر والجهـد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز إلى اخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعـل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحُدّ فيما بينه وبين مملكته حدّا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك وخلّى سبيله وانصرف إلى مملكته، فمكث فيروز بُرهة من دهره كئيبا ثم حمله الأَنَفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحـابه إلى ذلك فردّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغى والغدر مع ما فى ذلك من العار وسوء المقالة . فقال لهم : إنى إنما شرَطتُ له ألّا أَجُوز الحجر الذى جعلته بينى وبينه فأنا آمر بالحجر

(١) فى الأصل : فواقعهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

ليحمل على عَجَلة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك، إنّ العهود والمواثيق التى يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مايُسِرّ المعطِى لهـا ولكن على مايُعلِن المعطى، وإنك إنمـا جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذى عَرَفه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى فى غَزَاته حتى انتهى إلى الهياطلة وتصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيّهم ليكلمه ، فخرج إليه فقـال له اخشـنوار قـد ظننت أنه لم يدْعُك إلى غزونا الّا الأنَف مما أصابك . ولعمرى لئن كنّا احتلنا لك بمـا رأيتَ، لقد كنت التمستَ منّا أعظم منه ،وما ابتدأناك ببغى ولاظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ،ولقد كنت جديرا أن تكون، من سوء مكافأتنا بمَنّنا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذى وكّدْتَ على نفسك، أعظَم أنَفا وأشدّ امتعاضا ممـا نالك منّا ، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى ومَنَنّا عليكم وأنتم مُشرِفون على الهلَكَه وحقَنّا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريدَ لنا عليه ففكّرْ فى ذلك وميِّل بين هذين الأمرين فانظر أيُّهما أشدُّ عارا وأقبح سماعا، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَحْ له وسلك سبيلا فلم يظفر فيهـا ببُغْيته وآستمكن منه عدوّه على حال جَهْد وضَيْعة منه وممن معه، فمنّ عليهم وأطلقهم على شرط شرَطوه وأمر اصطلحوا عليـه فاضطرّ لمكروه القضاء وآستحيا من النَّكْث والغَدْر أن يقال امرؤ نكث العهـدَ وخَتَر الميثاق . مع أنى قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدّتهم وطاعتهم لك، وما أجدنى أشكّ أنهم أو أكثرهم كارهون لمـا كان من شُخُوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهـم على غير الحق ودعوتَهم إلى ما يُسخط الله، فهم فى حربنا غير مستبصرين ونيّاتُهم فى مناصحتك اليوم مدخولة، فانظر ما قدْر غَناء من يقاتل على مثل هـذه الحال، وما عسى أن تبلغ نكايتُه فى عدوّه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فمع عار و إن قُتل فإلى النار، فأنا أذكّرك الله الذى جعلته على نفسك كفيلا ونعمتى عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة و إشفائكم على الممات، وأدعوك إلى ما فيه حظّك و رشدُك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوْا على ذلك فى كل ما أحبوه أو كرهوه ، فأحْمَـــدوا عواقبَه وحسُن عليهم أثرُه ، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظَّفَر بنا والبلوغ لنَهْمتك فينا و إنما تلتمس منا أمرا نلتمس منك مثله وتناوئ عدوّا لعله يُمنَح النصر عليك فقـــد بالغتُ فى الاحتجاج عليك وتقدّمتُ فى الإعذار إليك ونحن نستظهر بالله الذى ٱعتززْنا به و وثِقْنا بما جعلتَه لنا من عهده إذا ٱستظهرتَ بكثرة جنودك وٱزدهتْك عدّة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله ما كان أحد من نُصَحائك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحْرِمنّك منفعتَها مَخْرَجُها منى فإنّه لا يُزْرِى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قِبـل الأعداء كما لا يُحبّب المضارّ إليهم أن تكون على أيدى الأولياء . واعلم أنه ليس يدعونى إلى ما تسمع من مقالتى ضعف أُحِسّه من نفسى ولا قِلّةٌ من جنودى، ولكنى أحببتُ أن أزداد بذلك حجّة وٱستظهارًا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة ٱستيجابًا ولا أوثر على العافيـــة والسلامة شيئا ما وجـــدتُ إليهما سبيلًا، فأبى فيروز إلا تعلّقا بحجّته فى الحجر الذى جعله حدّا بينه و بينه وقال : لستُ ممن يردَعه عن الأمر يهمّ به وعيدٌ ولا يقتاده التهدّد والترهيب، [ولو كنت[1] أرى ما أطلبك غدرًا منى ما كان أحد أنظرَ ولا أشدَّ اتقاءً منّى على نفسى فلا يغرّنك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرّة الأولى من القلّة والجَهْد والضعف] . قال اخشنوار : لا يغرّنك ما تخدَع به نفسَك من حملك الحجر أمامك، فإنّ الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تصفُ من إسرار أمرٍ و إعلان آخر، إذًا ما كان ينبغى لأحد أن يغترّ بأمانٍ ولا يثق بعهدٍ، و إذًا لمـا قبل الناس شيئاً

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

مما يعطونه من ذلك، ولكنّه وُضع على العلانية وعلى نية من تُعقَد العهودُ والشروط له . فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة، وما رأيتُ للفَرَس الذى كان تحته نظيرا فى الدواب فإنه لم يُزِلْ قوائمَه ولم يرفع حوافرَه عن موضعها ولا صَهَل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة فى طول ما تواقَفْنا . وقال اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كلّه فلم يحرّك رأسه ولم ينزع رجله من ركابه ولاحَنَا ظهره ولا ٱلتفت يميناً ولا شِمالًا، ولقد تورّكت أنا مرارا وتمطيتُ على فرسى وتلفّتُّ إلى مَن خلفى ومددتُ بصرى فى أمامى وهو منتصبٌ ساكن على حاله، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما أرادا بما وصفا من ذلك أن يَنتشر هذان الحديثان فى أهل عسكريهما فيُشغَلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار الصحيفة التى كتبها لهم فيروز، فرفعها على رُمح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبَغيه ويخرجوا من متابعته، فانتقض عسكر فيروز وٱختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً حتى ٱنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى قال : لا رادّ لما قُدّر، ولا أشدّ إحالةً لمنافع الرأى من ٱلهوى وٱللّجاج، ولا أضيع من نصيحة يُمنَحُها من لا يوطّن نفسه على قبولها والصبر على مكروهها، ولا أسرعَ عقوبةً ولا أسوأَ عاقبة من البغى والغدر، ولا أجلبَ لعظيم العار والفُضُوح من إفراط الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان : لما خرج شَبِيب بن يزيد بن نُعَيم الخارجى بالموصل بعث إليه الحجّاج قائدا فقتله ثم قائدا فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قوّاد قتلهم وهزم جيوشهم وكان أحد القوّاد موسى بن طلحة بن عبيد الله، ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفةَ وخرج الحجّاجُ من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجاجَ قبل

أن يصل إلى الكوفة فأَقْحم الحجاجُ خيلَه فدخل الكوفة قبله ، ومرّ شبيب بعَتّاب بن وَرْقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيبٌ الكوفة وآلى ألّا يَبْرح عنها أو يَلْقى الحجاج فيقتله أو يُقتل دونه ؛ فخرج الحجاج إليه فى خيله ، فلما قرُب منه عَمد إلى سلاحه فألبسه أبا الوَرْد مولاه وحمله على الدّابة التى كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : أرونى الحجاج ، فأومأوا له إلى أبى الورد فحمل عليه فقتله ، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق فى دُجَيل وهو يقول﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

الأوقات التى تختار للسفر والحرب

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرىّ قال : كان أحبّ الأيام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يعقد فيه رايتَه يوم الخميس ، وكان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أخِّر الحربَ ما آستطعت فإن لم تجد بدّا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن عَوْن عن محمد آبن سيرين أنّ النعمان بن مُقَرِّن قال لأصحابه : إنى لقيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من أحبِّ ما يَلْقَى فيه إذا لم يُلْقَ فى أوّل النهار إذا زالت الشمسُ وحلّت الصلاة وهبّت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يكره الحجامةَ والابتداء بعمل فى مَحاق القمر وفى حلوله فى برج العَقْرب . [وقال[1] بعضهم : كنت مع عمر بن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فإذا القمر بالدَّبران فقلت : آنظر إلى القمر ما أحسن آستواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك ، وقال : إنما أردتُ أن ننظر الى منزلته ، و إنّا

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

لا نقيم لشمس ولا لقمر ولكنّا نسير بالله الواحد القهّار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعــة ، ويوم الأحد يوم غَرْس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وٱبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ ودمٍ ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خِطْبة ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رَجاء قال : كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول إذا ٱشتدّت حَلْقه البلاء وكانت الضِّيقه : « تضيَّقي تفرَّجي » ثم يرفع يديه فيقول : «بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ٱللهم كفّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدُّ بأسًا وأشدّ تنكيلا فما يخفض يديه المباركتين حتى يُنزل الله النصر .

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عُقْبَــة عن سالم أبي النضر مولى عمر (١) بن عبيد الله وكان كاتبا له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أَوْفى حين خرج إلى الحَرُورِيّة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقيَ فيها العدوّ ٱنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تمنّوا لقاءَ العدوّ وٱسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فٱثبتوا وٱصبروا وٱعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف » ثم قال «اللهمّ منزِل الكتاب ومُجريَ السحاب وهازم الأحزابَ ٱهزمهم وانصرنا عليهم» وقال أبو النضر: وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : «اللهمّ أنت ربّنا وربّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فٱهزمهم وٱنصرنا عليهم » .

حدّثني محمد بن عبيد قال : لمـا صافّ قتيبةُ بن مسـلم التُّركَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسـع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح على سِيَة (٢) قوسـه

(١) كذا بالنسختين وهو عمرو بن عبيد الله كما في تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما ٱنعطف من طرفيها .

يُنَضْنِض بإصبعه نحو السماء . فقال قتيبةُ : تلك الإصبع الفاردة أحبّ إلىّ من مائة ألف سيف شَهِير وسنان طَرِير . فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك بمجامع الطرق .

الصبرُ وحضّ الناس يوم اللّقاء عليه

حدّثنى سهلُ بن محمـد قال حدّثنا الأصمعىّ قال كان عاصم بن الحدثان رجلا من العرب عالمـا قديمـا وكان رأسَ الخوارج بالبصرة وربمـا جاءه الرسولُ منهـم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فمرّ به الفرزدق فقال لابنه : أنشـد أبا فراس فأنشده:

وهمُ إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ * صُـبُرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ
يخشَوْن حَوْماتِ المنون وإنها * فى الله عنـد نفوسهم لصِغار
يمشون فى الخَطِّى لا يثنيهمُ * والقوم إذ ركبوا الرماح تِجَار

فقال له الفرزدق : ويحك! اكتم هذا لا يسمعه النسّاجون فيخرجوا علينا بحفوفهم (١) . فقال عاصم : يا فرزدق، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدّثنا سهل قال حدّثنا الأصمعى قال قال سَلِيط بن سـعد قال بِسطام بن قيس لقومه : تَرِدون على قومٍ آثارُهم آثار نساء وأصواتهم أصوات صِرْدان ولكنهم صُبُرٌ على الشرّ . يعنى بنى يَرْبوع . وفى هؤلاء يقول معاوية : لو أنّ النجوم تناثرت لسقط قمرها فى حجور بنى يربوع . قال الأصمعىّ قلت لسليط : أكان عُتَيبـة (٢) بن الحارث ضخمًا؟ قال : لا ولا من قوم ضِخَام . يعنى بنى يربوع .

---

(١) الحَفُّ المِنْسَج وجمعه حفوف . (٢) فى النسخة الألمانية «عيينة» وهو تحريف .

[وقال عمر بن الخطاب[1] لبنى عَبْس : كم كنتم يوم الهَبَاءة[2]؟ فقال : كنا مائة كالذهب، لم نكثُر فنتوا كل ولم نقِلَّ فنذِلّ . قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عددًا ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هُنَيهة . قال : بذلك إذًا . قيل لعنترة العبسىّ : كم كنتم يوم الفَرُوق[3]؟ قال: كنا مائة لم نكثُر فنفشَل ولم نقِلّ فنذِلّ]

وكان يقال : النصر مع الصبر . ومن أحسن ما قيل فى الصبر، قول نَهْشَل بن حَرِىّ ابن ضَمْرة :

ويوم كأن المُصْطَلين بحَــرّه * وإن لم تكن نارٌ قيامٌ على الجمر
صــبرنا له حتى يَبُوخ وإنما * تُفرّج أيامُ الكريهة بالصــبر

ومثله قول الآخر :

بكى صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مُطِلًّا[4] كاظلال السحاب إذا آنفهرّ
فقلت له لا تبكِ عينك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صــبر
فما أخّر الإحجامُ يوما معجّــلا * ولا عجّــل الإقدامُ ما أخّر القــدرْ
فآسَى على حالٍ يقــلّ بها الأسى * وقاتل حتى آستبهم الوِرْدُ والصَّدرْ
وكرّ حفاظا خشية العار بعــد ما * رأى الموت معروضا على منهج المكرّْ

وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت توهبْ لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع مُوَقًّى . وقالت الخنساء :

نُهِين النفوسَ وهونُ النفو * س يوم الكريهة أوقى لها

وقال يزيد بن المهلّب :

تأخّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجد * لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) أرض لغطفان ويومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس على ذبيان . (٣) موضع ببلاد بنى سعد ويومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا .
(٤) فى الألمانية مبلا كاظلال الخ بالظاء المعجمة .

وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءة :

وقَوْلى كلّما جشأتْ وجاشت * من الأبطال ويحك لا تُراعِى

فإنّكِ لو سألتِ حياةَ يوم * سوى الأجل الذى لكِ لم تُطاعِى

[[1] وقال معاوية بن أبى سفيان شجّعنى على علىّ بن أبى طالب قولُ عمرو بن الإطْنابة .

أبت لى عِفّتى وأبى بلائى * وأَخْذى الحمد بالثمن الرَّبيح

وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامةَ البَطَل المُشِيح

وقولى كُلّما جَشَأت لنفسى * مكانَكِ تُحمَدى أو تستريحى

لأدفع عن مآثر صالحاتٍ * وأحمِى بعدُ عن عِرْضٍ صحيح

أبتْ لى أن أقضِّى فى فعالى * وأن أُغضِى على أمر قبيح

وقال رَبيعة بن مَقْروم :

ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازل * وعلاَم أركَبه إذا لم أنزل

وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذْمِرُ[2] الناس ويقول : يا أهل الإسلام، إنّ الصبر عزّ وإنّ الفشل عجز وإنّ النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب :

إنّ الشِّواء والنَّشِيل[3] والرُّغُفْ * والقينةَ الحسناء والكأسَ الأُنُفْ

للضاربين الخيلَ والخيل قُطُفْ

وقال أعرابى : الله يُخْلف ما أتلف الناسُ، والدهر يتلف ما جمعوا، وكم من مِيتَة عِلّتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت . ومثله قول أبى بكر الصديق لخالد : آحرص على الموت تُوهبْ لك الحياة .

[[1] قدمت مُنْهزِمةُ الرومِ على هِرَقل وهو بأَنْطاكِيَة، فدعا رجالا من عظمائهم فقال : ويحكم ! أخبرونى ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا : بلى . يعنى

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .

(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

العرب. قال : فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا فى كلّ موطن. قال : ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلّما لقيتموهم؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم : أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤتَوْن . قال : أخبرْنى . قال : إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال: ويلكم فما بالكم كما تَصِفون وهم كما تزعمون؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا؟ قال له : من أين هو؟ قال : لأنّ القوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ويُوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر ولا يظلمون أحدا ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخِط الله وننهَى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض . قال : صدقتَنى، والله لأخرجنّ من هذه القرية فما لى فى صحبتكم خير وأنتم هكذا. قالوا : نُشهدك الله أيها الملك. تدَع سُورِيَة وهى جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم] .

ذكر الحرب

قالت العرب : الحرب غَشُوم؛ لأنها تنال غير الجانى . وقال الكميت:

الناس فى الحرب شتّى وهى مقبِلةٌ * ويستوون إذا ما أدبر القُبُـل
كلٌّ بأَمْسِيِّها طَبٌّ مولِيَـةً * والعالمون بذى غُدْويِّهـا قُلُـل

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن مَعْديكَرِب : أخبرنى عن الحرب ، قال : مُرّة المَذَاق إذا قَلَصتْ عن ساق ، مَن صبَر فيها عُرِف ومن ضعف عنها تَلِف . وهى كما قال الشاعر :

الحرب أوّلَ ما تكون فتيـةً * تسـعى بزينتها لكلّ جهول

حتى إذا ٱستعرت وشبّ ضِرامها * عادت عجوزًا غير ذات خليل[1]
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت * مكروهةً للشّمِّ[1] والتقبيل

كان يزيد بن عمر بن هُبَيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يُمِدّه بالرجال ولا يرفع ما يَرِد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال:

أرى خَلَلَ الرماد وَمِيضَ جمرٍ * ويوشك أن يكون له ضِرامُ
فإنّ النار بالعُودين تُذْكى * وإنّ الحرب أوّلها الكلام
فإن لم يُطفِها عقلاء قوم * يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهامُ
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظٌ أُميّة أم نِيام

ونحو قوله: «الحرب أوّلها الكلام» قول حُذَيفة: إنّ الفتنة تُلْقَح بالنجوى وتُنْتَج بالشكوى.

العتبيّ عن أبيه قال قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسن: يا بُنىّ لا تدعوَنّ أحدا إلى البِراز، ولا يدعونّك أحد إليه إلا أجبتَه فإنه بَغْى.

فى العدّة والسلاح

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصَيْفة[2] عن السائب ابن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان عليه دِرْعان يوم أُحُد. قيل لعبّاد بن الحُصَين وكان أشدّ رجال أهل البصرة: فى أىّ عدّة تحبّ أن تلقى عدوك؟ قال: فى أجل مُستأخِر.

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا بِشر بن المفضّل قال حدّثنا داود بن أبى هند عن عِكْرِمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنُوب للشَّمَال: آنطلق بنا نُمِدّ

(١) فى العقد الفريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضا كما فى الفتوغرافية «الشم» بدل اللثم.
(٢) فى الأصل «حصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إنّ الحرّة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التي أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا ٱبن أبي الزِّناد قال : ضرب الزبير بن العوّام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطّه إلى القَرَبوس فقالوا : ما أجودَ سيفك ! فغضب ، يريد أنّ العمل ليده لا لسيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحتريّ يصف سيفا :

ماضٍ وإن لم تُمضِه يد فارس * بطلٍ ومصقولٌ وإن لم يُصقَلِ
متوقِّد يَفْرِى بأوّل ضَرْبة * ما أدركت ولو ٱنّها فى يذبُلِ

وقال آخر :

وما السيف إلا بَزُّ غادٍ لزينة * إذا لم يكن أمضى من السيف حامِلُهْ

رؤى الجرّاح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، فقيل له فى ذلك . فقال : إنى لست أقى بدنى وإنما أقى صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أَدرُعا وقال : إنى لم أشتر أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلّب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستلئِما إلا كان عندى رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إنّ للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصَّريخ(١) : السلاحَ السلاحَ ولا ينادون : الرجالَ الرجالَ . [قال(٢) المهلب لبنيه : يا بَنيّ لا يقعدنّ أحد منكم فى السوق ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فإلى زَرّاد أو سَرّاج أو وَرّاق .]وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن معد يكرب : أخبِرْنى عن السلاح . قال : سَلْ عما شئت منه . قال : الرمح؟ قال : أخوك وربما خانك . قال النَّبل؟ قال : منايا تخطئ وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية «الكوفة» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرْس؟ قال : ذاك المِجَنّ وعليـــه تدور الدّوائر . قال : الدِّرع ؟ قال : مُثْقِـلة[(١)] للراجل مُتْعِبة للفارس، وإنّها لحصن حصين . قال : السيف؟ قال: ثَمَّ، قارعتْك أُمُّك عن الثُّكْل . قال عمر : بل أُمُّك . قال " الحُمَّى أَضْرعتْنى لك[(٢)] " .

وقال الطائىّ يصف الرِّماح:

مثقَّفات سلبْنَ الرومَ زرقتَهـا * والعُرْب سُمرتَها والعاشق القَضَفا[(٣)]

وقال دِعْبل يصف الرُّمح :

وأَسمـرٍ فى رأســه أزرَقٌ * مثلُ لسان الحيّة الصادى

وقال الشاعر :

تلمَّظ السيفُ من شوق إلى أنسٍ * فالموت يَلْحَظ والأقدار تنتظر
أظلّه منـــك حَتْف قد تجلّله * حتى يؤامر فيــه رأيَك[(٤)] القــدَر
أمضى من السيف إلا عند قدرته * وليس للسيف عفو حين يَقتدِر

وقال آخر :

متى تَلْقَنِى يَعْدُو ببِزِّى[(٥)] مقلِّصٌ * كُميتٌ بَهِـــيمٌ أو أغرّ محجّلُ
تلاقِ امرأً إن تلقَه فبسيفه * تُعلّمك الأيام ما كنت تجهل

وقال علىّ رضى الله عنه : السيف أنمى عددا وأكثر ولدا[(٦)] . وفى الحديث « بقِيّة السيف مباركة » يعنى أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال المهلّب : ليس شىء أنمى من سيف . ويقال : لا مجـد أسرع من مجد سيف .

---

(١) فى الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد فى مجمع الأمثال وفى النسخة الألمانية : « إليك » . (٣) النحافة . (٤) فى الفتوغرافية « ربّه » (٥) قال فى اللسان : البَزّ والبِزّة السلاح ويدخل فيه الدرع والمِغفر والسيف . (٦) هكذا فى النسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية « السيف أنمى عددا وأكرم ولدا »، وفى نهج البلاغة بقية السيف أبقى عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع علىّ رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فقيل له فى ذلك فقال : إذا استمكن عدوّى من ظهرى فلا يُبْقِ . وقال أبو الشِّيص :

ختلتْه المنونُ بعد اختيال * بين صَفَّين من قنًا ونِصَال
فى رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُذَال

بلغ أبا الأغرّ أنّ أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ فبعث آبنه الأغرّ وقال : يا بُنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإيّاك والسيف فإنه ظلّ الموت ، وآتق الرمح فإنه رِشاء المنيّة ، ولا تقرب السِّهام فإنها رُسُل لا تُؤامِر مُرسِلَها . قال : فبما ذا أقاتل؟ قال : بما قال الشاعر :

جَلَاميدُ يملأْنَ الأَكُفَّ كأنّها * رءوس رجال حُلِّقت فى المَواسِم

وقال الخُرَيمى فى بغداد أيام الفتنة :

يا بؤس بغدادَ دار مملكة * دارتْ على أهلها دوائرُها
أمهلها الله ثُمّ عاقبها * لما أحاطت بها كبائرُها
رقّ بها الدّين وآستُخِفّ بذى الـ * ـفضل وعزّ الرجالَ فاجرُها
وصار ربَّ الجيران فاسقُهم * وآبتزّ أمنَ الدروب شاطرُها
يحرق هذا وذا يهدّمها * ويشتفِى بالنِّهاب داعرُها
والكرخ أسواقُها معطّلة * يَسْتَنُّ شذّاُبها[1] وعائرُها
أخرجت الحربُ من أساقطهم * آسادَ غِيلٍ غُلْبا تُساوِرها
من البوَارِى[2] تراسُها ومن الـ * ـخُوص إذا استلأَمت مغافِرها
لا الرزقَ تبغى ولا العطاءَ ولا * يحشُرها بالعناء[3] حاشرُها

(١) فى الطبرى «عيّارها» . (٢) جمع بارىّ بتشديد الياء وهو الحصير المنسوج .
(٣) فى الطبرى «للّقاء» .

ونحوه قول علىّ بن أمية :

دهتنا أمور تُشيب الوليـــد * ويَخذُل فيها الصدّيقَ الصدّيق
فَنـاء مُبيـد وذُعر عتيـــد * وجوع شديد وخوف وضيق
وداعى الصّباح بِطُول الصياح السّــلاح السّــلاح فما نستفيق
فبـالله نبـلُغ ما نرتجـى * وبالله ندفـع ما لا نُطيق

جنى قوم من أهل اليمامة جناية فأرسل إليهم السلطان جندا من بُخاريّة ابن زياد[(١)]، فقال رجل من أهل البادية يُذمِّر قومه : يا معشر العرب ويا بنى المحصَنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدَعون بها لَبِنة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولأعتراكم من نُشّاب معهم فى جِعاب كأنها أُيور الفِيَلة ينزعون فى قِسِىّ كأنهـا العَتَلُ فتئِطُّ أحداهنّ أطيط الزُّرْنُوق يمْغَط أحدهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه ثم يرسل نُشّابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، فخلع قلوبَ القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدّثنى محمد بن عبيـد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبى عثمان قال : كتب عمر رضى الله عنه : ائتزروا وارتَدُوا وانتعلوا وألقوا الخِفَاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكُبَ وآنْزُوا نَزْوا على الخيل وعليكم بالمَعَدّيّة ،أو قال العربية . ودَعوا التنعّم وزِىّ العجم ولا تلبسوا الحرير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تخُور قوًى ما كان صاحبها ينزِع ويَنْزُو . يعنى ينزع فى القوس وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدى الرمى بالنشاب .

العمرى . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه (١) [اليمنى وبيده اليسرى أذنَ فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرَامِيزَه ويَثِبُ فكأنما خُلق على ظهر فرسه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صِفِّين : عَضُّوا على النَّواجذ من الأضراس فإنه أَنْبَى للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العُقَابين فقال له أبوه : طِدْ رجلك وأَصِرَّ إصْرار الفرس واذكر أحاديث غد وإياك وذكر الله فى هذا الموضع فإنه من الفشل . (٢) [وقال غيره طِدْ رجليك إذا اعْتَصيت بالسيف والعصا وأنت مخيَّر فى رفعه (٣) ساعةَ المسالمة والموادعة] .

وقرأت فى الآيين أن من إجادة الرمى بالنُّشّاب فى حال التعلُّم إمساكَ المتعلم القوسَ بيده اليسرى بقوة عَضُده الأيسر والنُّشّابة بيده اليمنى وقوةِ عضده الأيمن وكفِّه أَصْدَرَيْه (٤) وإلقاؤه ببصره إلى مَعْلَم الرمى وإجادته نصبَ القوس بعد أن يطأطئ من سِيَتِها بعض الطَّأْطأة وضبطُه إيّاها بثلاث أصابع وإحناؤه السبَّابة على الوتر، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضما وتحويله ذَقْنَه الى منكِبه (٢) [الأيسر] وإشرافه رأسَه وإرخاؤه عنقه وميلهُ مع القوس وإقامتهُ ظهرَه وإدارتُه عضدَه ومَغْطُه القوسَ مترافعا ونزعهُ الوترَ إلى أذنه ورفعُه بياضَ عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويلٍ لعينه وارتعاشٍ من جسده واستبانتُه موضع زِجَّةِ النُّشّاب .

وقرأت فى الآيين : من إجادة الضرب بالصَّولجان أن يضرب الكُرَة قُدُما ضرب خُلْسةٍ يُدير فيه يده إلى أذنه ويُميل صَوْلجانه إلى أسفلَ من صدره ويكون ضربه متشازِرا مترفِّقا مترسِّلا ولا يُغفل الضربَ (٥) ويرسل السِّنَان خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرَة إلى غاية الغرض ثم الجزّ للكرة من موقعها ، والتوَخّى للضرب لها تحت مِحْزَم

(١) زيادة فى النسخة الألمانية وفى البيان والتبيين «يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله «رفعهما» . (٤) فى الألمانية : «وكفه إلى صدره» .

(٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البنيّان ؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قِبَل لَبّتها فى رفق ، وشدّةُ المزاولة والمُجاحَشة على تلك الحال والتركُ للاستعانة فى ضرب الكرة بسوط والتأثيرِ فى الأرض بصوبلجان والكسرِ له جهلا باستعماله أو عقرِ قوائم الدابة ، والاحتراسُ من إيذاء من جرى معه فى ميدانه ، وحسنُ الكف للدّابة فى شـدّة جريه ، والتوقّى من الصَّرعة والصَّدْمة على تلك الحال ، والمجانبـةُ للغضب والسَّبّ ، والاحتمالُ والمُلاهاة ، والتحفُّظ من إلقاء كُرة على ظهر بيت وان كان ستُّ كُرِينَ بدرهم ، وتركُ طرد النَّظّارةِ والجُلوسِ على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذراعا لئلا يُحالَ ولا يُضارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدَّعوة لرجاله : أَشعِروا قلوبَكم الجرأة عليهم فإنها سبب الظَّفَر ، واذكروا الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فإنها حصن المُحارِب .

المسير فى الغزو والسفر

حدّثنا شَبَابة عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عيّاش عن مَعْدان بن حُدَير الحَضْرمى عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يَغْزون من أمتى ويأخذون الجُعْل يتقوّون به على عدوهم كمثل أمّ موسى تُرضع ولدَها وتأخذ أجرها» . حدّثنى محمد بن عُبيد عن ابن عُيينة عن عبد الرحمن ابن حَرْملة عن سعيد بن المسَيّب قال : لمـا نزل النبي صلى الله عليه وسلم المُعرَّس أمر مناديا فنادى : لا تَطْرُقوا النساء . فتعجّل رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم[1] . وتأمر بالمُحِلّات وهى الدلو والفأس والسُّفْرة والقِدْر والقَدّاحة ، وإنمـا قيل لها مُحِلّات لأن المسافر بها يحلّ حيث شاء ولا يبالى ألّا يكون بقربه أحد .

(١) فى الميدانى «السَّفر ميزان السَّفر» أى أنه يُسفر عن أخلاق المسافرين ؛ وفى الفتوغرافية السفر مجلاة القوم وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضا .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال، قال لقمان لابنه: «يا بنىّ إذا سافرت فلا تنَم على دابّتك فإن كثرة النوم سريع فى دبَرِها، فإذا نزلتَ أرضا مُكْلئة فأعطها حظّها من الكلأ وٱبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل [فعليك بالدَّلَج[1] فإن الأرض تُطوَى بالليل. وإذا أردت النزول] فلا تنزل على قارعة الطريق فإنها مأوى الحيّات والسباع ولكنْ عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تُربة وأكثرها كلأً فانزلها، وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس وقل: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ﴾. وإذا أردت قضاء حاجة فأبْعِد المذهب فى الأرض وعليك بالسُّتْرة. وإذا ٱرتحلت من منزل فصلّ ركعتين وودّع الأرض التى ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فإن لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة. وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فإن الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا: هل مرّ بكنّ اليوم ذاكر لله؟ وإن ٱستطعت ألا تَطعَم طعاما حتى تتصدّق منه فٱفعلْ. وعليك بذكر الله جلّ وعزّ مادمتَ راكبا وبالتَّسبيح مادمت صائما وبالدعاء مادمت خاليا. وإيّاك والسّيرَ فى أوّل الليل وعليك بالتّعريس والدُّلْجة من نصف الليل إلى آخره. وإياك ورفعَ الصوت فى سيرك إلا بذكر الله، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخُفّك وعمامتك وإبْرتك وخُيوطك وتزوّد معك الأدْوية تنتفع بها وتنفع مَن صحِبك من المرضى والزمْنى. وكن لأصحابك موافقا فى كل شيء يُقرّبُك إلى الله ويباعدك من معصيته. وأكثر التبسُّم فى وجوههم وكن كريما على زادك بينهم وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوك فأعنهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهَد لهم وٱجهَد رأيك. وإذا رأيتهم يمشون فامشِ معهم أو يعملون فاعمل معهم. [وإن[1] تصدّقوا أو أعطوا فأعط]. واسمع لمن هو أكبر منك. وإن تحيّرتم فى طريق فانزلوا، وإن شككتم فى القصد فتثبّتوا وتآمروا، وإن رأيتم خيالا واحدا

(١) زيادة فى النسخة الالمانية.

فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد فى الفلاة هو الذى حيّركم واحذروا الشخصين أيضا إلّا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن العاقل إذا أبصر شيئا بعينيه عرف الحق بقلبه .

علّم أعرابى بنيه إتيانَ الغائط فى السفر فقال لهم : اتّبعوا الخَلاء وجانِبُوا الكَلا وآعْلُوا الضَّرَاء[1] وأَفْجُوا إفجاج النعامة وامسحوا بأشْمُلكم .

[[2]وقال عمرو بن العاص للحسن بن على بن أبى طالب رحمهما الله : يا أبا محمد ، هل تنْعت الخَرَاءة ؟ فقال : نعمْ ، تُبعِد المشىَ فى الأرض الصَّحْصَح حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرْها ولا تستنْجِ بالرَّوْثة ولا العَظْم ولا تَبُلْ فى الماء الراكد] .

أراد الحسن البصرىّ الحج ، فقال له ثابت : بلغنى أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب . فقال : ويحك ! دَعْنا نتعايشْ بستر الله ، إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . وفى الحديث المرفوع عن بَقِيَّةَ عن الوَضِين بن عَطَاء عن محفوظ بن عَلْقمة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه « أَمَا إنّك إن ترافق غير قومك يكن أحسنَ لخلقك وأحقَّ أن يُقتَدى بك » .

أتى رجل هِشَاما أخا ذى الرُّمَّة الشاعر فقال له : إنى أريد السفر فأوْصِنى . قال : صلِّ الصلاة لوقتها فإنك مصلّيها لا محالة فصلِّها وهى تنفعك ، وإياك وأن تكون كلبَ رُفْقتك فإن لكل رُفقة كلبا ينبح دونهم ، فإن كان خيرا شَرَكُوه فيه وإن كان عارا تقلّده دونهم .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عثمان بن عَطَاء عن أبيه قال : إذا ضلّتْ لأحدكم ضالّةٌ فليقل : اللهم ربَّ الضالّة تَهْدى الضالّة وتردّ الضالّة اردُد علىّ ضالتى ، اللهم لا تبلُنا بهلاكها ولا تُتعبنا بطلبها ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . ياعباد الله الصالحين ردّوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل فقل : ياعباد الله أعينونا . [[2]وقال أبو عمرو : إذا ضلّت لأحدكم ضـالة فليتوضأ

(١) الضراء ما واراك من شجر . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّي ركعتين ثم يتشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادىَ الضّال ورادّ الضالّ اردُد على ضالتى بعزّتك وسلطانك فإنها من فضلك وعطائك] .

حدّثنى محمد بن عبيد عن حمزة بن وَعْلة عن رجل من مُرَاد يقال له أبو جعفر عن محمد بن على عن على رضى الله عنه قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «يا علىّ، أمانٌ لأمّتى من الغَرَق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا﴿بسم الله الملك الرحمن . وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللهِ مَجْرَيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن محمد بن عَجْلان عن عمرو ابن شُعَيب قال : أراد عمر أن يُغْزى البحرَ جيشا، فكتب إليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين، البحر خَلْق عظيم يركبه خَلْق ضعيف دُودٌ على عُود بين غَرَق وبرَق(١) قال عمر : لا يسألنى الله عن أحد حَمَلتُه فيه . وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى إسحاق عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول فى السفر إذا أسْحر: سمِعَ سامعٌ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحبْنا فأفضلْ علينا ثلاثا، اللهم عائذٌ بك من النار ثلاثا لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعى عن حسّان بن عطيّة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى سفره حين هاجر: « الحمد لله الذى خلقنى ولم أَكُ شيئا مذكورا، اللهم أَعِنّى على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالى والأيام واكفنى شرَّ ما يعمل الظالمون فى الأرض، اللهم فى سفرى فاصْحَبْنى، وفى أهلى فاخلُفْنى، وفيما رزقتنى فبارك لى، ولك فى نفسى فذلّلْنى، وفى أعين الصالحين فعظِّمنى، وفى خُلُق فقوّمنى، وإليك ربّ فحبّبْنى، إلى من تكلنى ربَّ المستضعَفين وأنت ربى » .

(١) البرق الحيرة والدهش . وفى النسخة الألمانية «ترق» وهو تحريف .

وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى إسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سَرْجِس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المُنقلَب والحَوْر بعد الكَوْر ودعوة المظلوم وسوء المنظَر فى الأهل » وزاد غيره :«اللهم ٱطوِ لنا الأرض وهوّنْ علينا السفر» .

وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيّئتين وخيرُ الأمور أوساطها وشرُّ السير الحَقْحَقَةُ . وفى الحديث:« لا تُحَقْحِقْ فتنقطع ولا تَباطأ فتُسبق ولكن ٱقصِدْ تبلُغ » والحقحقة:أشدّ السير . وفى حديث آخر« إن المُنبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرّار :

تُقطّع بالنزول الأرضُ عنّـا * وبُعد الأرض يقطعه النزول

الأصمعى قال، قيل لرجل أسرع فى سيره : كيف كان مسيرك؟ قال:كنت آكل الوَجْبَة وأُعرِّس إذا أَسْحرت وأرتحل إذا أَسْفرت وأسير الوَضْع وأجتنب المَلْع فجئتكم لمُسْيِ سَبْع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذَكْوان مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة إلى المدينة فى يوم وليلة، فقدم على أبى هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العَتَمَة، فقال له أبو هريرة : حاجٌّ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفَرْتَ قبل الزوال . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال :

ألم تَرَنِى كلّفتُهم سـيرَ ليـلة * مِنَ آل منًى نَصًّا إلى آل يثرب
فأقسمت لاتنفكُّ ما عشتُ سَيْرَتى * حديثا لمن وافى بجَمْع المحصَّب

ومنَ السير المذكور مَسير حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخَطِيم :

هممنا بالإقامة ثم سرنا * كسير حُذَيفةِ الخيرِ بن بدر

قال الشَّرَقىّ بن القَطَامى: خرجت من الموصل أريد الرَّقَّة فصحبنى فتى من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِزْوَد ورَكْوة وعصا، ورأيته لا يفارقها مُشاةً كنا أو رُكبانا وهو يقول : إن الله جعل جِمَاع أمر موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه فى عصاه ، ويُكثر من هذا وأنا أضحك متهاونا بما يقول، فتخلّف المُكَارى فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حمارى ولا شىء فى يدى فيسبقنى إلى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البَرَاح حتى يوافينى المكارى، فقلت : هذه واحدة . ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعيا توكّأ على العصا وربما أَحْضَر ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم زَالِجٌ حتى انتهينا وقد تفسّخْتُ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير، فقلت : وهذه أخرى . فلما كان فى اليوم الثالث هجمنا على حيّة منكَرة فسارت إلينا فأسلمتُه إليها وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، فقلت : هذه ثالثة . [وهى أعظمهنّ] وخرجنا فى اليوم الرابع وبنا قَرَمٌ إلى اللحم فاعترضتنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتَها فقلت : هذه رابعة . فأقبلتُ عليه فقلت : لو أن عندنا نارا ما أخرت أكلها إلى المنزل . فأخرج عُويدا من مِزْوده ثم حكّه بالعصا فأَوْرَتْ إيراءَ المَرْخ والعَفَار، ثم جمع ما قدر عليه من الغُثَاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب فى جوفها فأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب مابغّضها إلىّ فعلّقها بيده اليسرى ثم ضرب جُنوبَها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انتثر كل شىء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس، فقلت : هذه خامسة . ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملآنة رَوْثا وترابا فلم نجد موضعا نظلّ فيه فنظر إلى حديدة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نِصَابا لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت : وهذه سادسة . ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها فى الحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابى

فقلت : هذه سابعة . فلمـا صرنا إلى مَفْرِق الطريقين وأردت مفارقته قال لى: لو عدلتَ معى فبتّ عندى! فعدلت معه فأدخلنى منزلا يتصل ببيعة فما زال يحدّثنى ويُطْرِفنى الليلَ كلّه فلما كان السحَر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك! أما أنت بمسلم؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس؟ قال : لأن أبى نصرانى وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ بررتُه بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس وأكثرهم أدبا فخبّرته بالذى أحصيتُ من خصال العصا، فقال : والله لو حدّثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا كنتم فى الخِصْب فأمكنوا الرِّكَابَ أسنَّتها[(١)] ولا تَعْدوا المنازل وإذا كنتم فى الجَدْب فاستَنْجُوا[(٢)] وعليكم بالدُّلْجَة فإن الأرض تُطْوَى بالليــل وإذا تغوّلتْ لكم الغيلَانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها مأوى السِّباع والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها الملَاعِن» .

وأراد أعرابى سفرا فقال لامرأته :

عُدِّى السنين لغيبتى وتصبَّرى * وذَرِى الشّهورَ فإنهنّ قصار

فأجابته :

اذكرْ صبابتَنا إليك وشوقنا * وارحم بناتِك إنهنّ صِغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكُب أسنتها » وقال ناقلا عن أبى عبيــد إن كانت اللفظة محفوظة فكأنها جمع الأسنان ، يقال لمـا تأكله الابل وترعاه من العُشْب سِنٌّ وجمعه أسنان ثم أسنة . وقال الزمخشرى: إن الأسنة هنا الرماح وقال فى معناه : اعطوها ما تمتنع به من النحر لأن صاحبها إذا أحسن رعيها سمنت وحسنت فى عينه فيبخل بها عن أن تنحر فشبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها ، وهو كما ترى متكلف لا يساعد عليه سياق الحديث .   (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

طَرِبتَ إلى الأُصَيْبِيَة الصِّغار * وهاجك منهمُ قربُ المزار
وكلّ مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كُنّا يوم بدر ثلاثةٌ على بعير فكان عليّ وأبو لُبَابَة[1] زَميلَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عُقْبتُهما قالا : يا رسول الله اركب ونمشي عنك . فيقول: «ما أنتما بأقوى منِّي وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصِّروا الأشعار .

وقالت عائشة رضي الله عنها : «لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أو عروس أو مسافر .

وقال بعض الشعراء :

سُرِرتُ بجعفرٍ والقربِ منه * كما سُرَّ المسافر بالإياب
وكنت بقربه إذ حلّ أرضي * أميرا بالسَّكينة والصَّواب
كممطورٍ ببلدته فأضحى * غنيّا عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه :

وكنت فيهم كممطور ببلدته * فسُرَّ أنْ جَمَعَ الأوطانَ والمطرا

وقال آخر :

إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفس * كرام رجتْ أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنيمة إنها * تؤوب وفيها ماؤُها وحياؤها

(١) كذا بضم أوله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعة بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر :

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيـمة سالمينا
[1] [وما تدرين أى الأمر خير * أما تهوين أم ما تكرهينا

وقال بعض المحدثين :

قبّح الله آل برمك إنى * صرت من أجلهم أخا أسفار
إن يكن ذو القرنين قدمسح الأر * ض فإنى موكّل بالعيار]

التفـــويز [2]

حدثنى أبى، أحسبه عن الهيثم بن عدى قال : لما كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشأم واليا مكان أبى عبيدة بن الجرّاح [3]، أخذ على السّماوة حتى انتهى إلى قُراقِر، وبين قراقر وسُوَى خمس ليال فى مفازة، فلم يعرف الطريق ، فدُلّ على رافع بن عَمِيرة الطائى وكان دليلا خِرّيتًا فقال لخالد : خلّف الأثقال واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا ؛ فكره خالد أن يخلّف أحدا وقال : لا بد من أن نكون جميعا . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه ومايسلكها إلامغرر مخاطر بنفسه ، فكيف أنت بمن معك؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال الطائى لخالد : ابْغِنى عشرين جَزُورا مَسَانّ عِظَاما ففعل فظمّأهن ثم سقاهن حتى رَوِينَ ثم قطع مَشَافِرهنّ وكَعَمَهنّ لئلا تجترّ، ثم قال لخالد : سِرْ بالخيول والأثقال فكلما نزلت منزلا نحرت من تلك الجُزُر أربعا ثم أخذت ما فى بطونها من الماء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزوّدوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوّز الرجلُ بإبله إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفى النسخة الفتوغرافية أبى عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبى عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح الفهرى فلعله من سهو النساخ .

وجَهِد الناسُ وعطِشتْ دوابّهم، فقال له خالد : ويحك، ما عندك؟ قال : أدركت الرىّ إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عَوْسَج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها فقال : احْفِروا فى أصلها فحفَروا فوجدوا عينا فشربوا منها وتزوّدوا، فقال رافع : والله ماوردتُ هذا الماء قطُّ إلا مرة واحدة مع أبى وأنا غلام. فقال راجز المسلمين فى ذلك:

لله درُّ رافع أنَّى آهتدى * فَوّز من قُرَاقِر إلى سُوَى

أرضا إذا سار بها الجيش بَكَى * ماسارها قبلك من إنس أَرى(١)

قال ولما مرّ خالد بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جَفْنة وأحدهم يتغنّى:

ألا علِّلانى قبل جيش أبى بكر * لعلّ منايانا قريبٌ وما ندرى

ألا علِّلانى بالزُّجاج وكرِّرا * علىّ كُمَيت اللون صافيةً تجرى

أظن خيول المسلمين وخالدا * سيَطْرُقكم قبل الصباح من البِشْر

فهل لكمُ فى السير قبل قِتالهم * وقبل خروج المُعْصِرات من الخدر

فما هو إلا أن فرغ من قوله شدّ عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب عنقه فإذا رأسه فى الجفنة، ثم أقبل على أهل البِشر فقتل منهم وأصاب من أموالهم.

ابن الكلبى قال: أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلُّوا الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء فجعل الرجل منهم يَسْتذْرِى بفىء السَّمُر والطَّلْح يأسا من الحياة، فبينا هم كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس:

لمّا رأتْ أن الشَّريعة همُّها * وأن البياض من فَرائصها دَامِى

تيمّمتِ العينَ التى عند ضارِج * يفىء عليها الظّل عَرْمَضُها طَامِى

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «آدى» بالدال ولعله "أَوَى" بمعنى عاد ورجع.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال:والله ما كذب ، هذا ضارج عندكم ، وأشار إليه ، فجَثَوْا على الرُّكب فإذا ماءٌ غَدَق وإذا عليه العَرْمض والظلّ يفىء عليه فشربوا منه ريّهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا المـاء ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : « ذاك رجل مذكور فى الدنيا شريف فيها مَنسىّ فى الآخرة خامل فيها ، يجىء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار » .

حدّثنى عبـد الرحمن بن عبد الله[1] بن قُرَيب عن عمه الأصمعى عن رجل من بنى سليم أن رُفْقة ماتت من العطش بالشَّجى ، فقال الحجاج : إنى أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجَهْد فاْحْفِروا فى مكانهم الذى ماتوا فيـه لعل الله يسقى الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر :

تراءت له بيْن اللِّوى وعُنَـيزةٍ * وبين الشَّجى مما أحال على الوادى

والله ما تراءت له إلا وهى على ماء . فأمر الحجـاج عضيدة[2] السلمى أن يحفر بالشجى بئرا لحفر فأنْبَط ، ويقـال : إنه لم يمت قوم قطّ عطشا إلا وهم على ماء .

قالت العرب: «أن تَرِدَ المـاء بماء أكْيَس » . ويقال فى مثل : « بَرْدُ غَداةٍ غَرّ عبدا مِن ظَمأ » .

فى الطيرة والفأل

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : هَرَب بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَان فسمع حاديا يحدوَ خلفه وهو يقول :

لن يُسبق اللهُ على حمـار * ولا على ذى مَيْعَـةٍ مَطّار
أو يأتىَ الحَتْفَ على مقدار * قد يصبح اللهُ أمامَ السّارى

(١) فى الألمانية عبيد الله وهو تحريف .
(٢) هكذا فى النسختين الألمانية والفتوغرافية ، وفى معجم البلدان : «عبيدة السلمى» .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطّيرة ويَعيبها أشدّ العيب وقال : فَرَقَتْ لنا ناقةٌ وأنا بالطّفّ فركبت فى إثرها فلقينى هانئ بن عتبة(١) من بنى وائل يركُض وهو يقول:

* والشرُّ يَلْقَى مُطَالِـعَ الأَكَمِ *

ثم لقينى رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد :

ولئن بعثتَ لهم بُغَا * ةً ما البُغَـاة بواجدينـا

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع فى صغره فى نار فأحرقتْه فقبُح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقةٍ فارِقٍ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُتجت ومعها ولدها . يقـال : ناقة فارق : قد ضربها الطَّلْق ، وسحابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقّش(٢) :

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واقٍ(٣) وحاتِمِ

فإذا الأشائمُ كالأيا * مِن والأيامنُ كالأشائمِ

وكذاك لا خـير ولا * شرٌّ على أحـد بدائم

[وقال آخر(٤) :

وليس بهيّـاب إذا شـدّ رحلَه * يقول عدانى اليـومَ واقٍ وحاتِمُ

ولكنه يمضى على ذاك مُقدِما * إذا صدّعن تلك الهَنَاتِ الخُثَارِمُ(٥)]

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «عبيد» . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المرقم» وهو تحريف وقد أورد فى اللسان هذه الأبيات ونسبها للرقش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشاءم بهما . (٤) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٥) فى الأصل «الخشارم» وهو تحريف والخثارم كعلابط : الرجل المتطير . وقد أورد فى لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى خُثَيم بن عدى وقيل للرَّقاص الكلبى يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن برى . أنظر اللسان مادة «و ق ى» .

وقال آخر:

تَعَــلَّمْ أنه لا طـير إلا * على متطـيِّرٍ وهو الثُّبور

بَلَى،شيءٌ يوافق بعضَ شيء * أحايينــا و باطلُه كـثير

حدّثنى الرياشى عن الأصمعى قال: سألت ابن عون (1) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضا فتسمع: يا سالم، أو باغيا فتسمع: يا واجد. وفى الحـديث المرفوع «أَصْدَقُ الطِّيَرَة الفأل». وفيه «الطَّيرُ تجرى بقدَر».

أراد أبو العالية (2) أن يخرج من البصرة لعلّة (3) كانت به فسمع مناديا ينادى: يامتوكل، فحطّ رحلَه وأقام.

وقال عكرمة كنّا جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فمرّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عبّاس: لا خير ولا شر. [قال (4) كعب لابن عباس: ما تقول فى الطِّيَرة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات فى كتاب الله المنزل. يعنى التوراة].

حدّثنى محمد بن يحيي القُطَعىّ (5) قال حدّثنى عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبى (6) حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشــة رضى الله عنها فقالا: إن أبا هريرة

(1) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفى الألمـانية «عون بن عبـد الله» ولم نعثر فى كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهذا مات بين سنة عشر ومائة إلى عشرين ومائة هـ فلا تصح رواية الأصمعى عنه لأنه ولد سـنة ١٢٢ فلعل ما فى الفتوغرافية هو الصواب و يكون المراد به عبد الله بن عون بن أرطبان البصرى فقـد توفى هذا فى سـنة ١٥١ أى والأصمعى فى السن التى يتلق فيها عن مشايخه. (2) فى النسخة الألمـانية «أبو العتاهية». (3) فى الألمـانية «لقينة كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق. (4) زيادة فى النسخة الألمـانية. (5) كذا بالنسخة الألمـانية من غير ضبط. وفى الفتوغرافية «القطيعى» بضم أوّله وفتح ثانيه بعدهما ياء مثناة والصواب أنه «القطعى» بضم أوّله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه فى تقريب التهذيب ولعله نسبه إلى قطيعة — بجهينة — بن عبس ابن بغيض وهو أبو حى كما فى القاموس وقد ذكر صاحب تهـذيب التهذيب محمد بن يحيي هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى. وهو هنا يروى عنه. (6) فى الألمـانية «ابن حسان» وهو تحريف.

يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطِّيَرة فى المرأة والدار والدابة فطارت شَقَقًا ثم قالت : كذب، والذى أنزل الفرقان على أبى القاسم، مَن حدّث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة فى الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ من مُصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله (١) بن زياد صوّر فى دهليزه كلبا وأسدا وكبشا وقال: كلب نابح وكبش ناطح وأسد كالح . وأنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ :

يا أيّها المُضمِر همًّا لا تُهَمّْ * إنك إن تُقدَر لك الحُمّى تُحَمّْ
ولو علوتَ شاهقا من العلَم * كيف تَوَقِّيك وقد جفّ القلم

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن عَدِىّ الكندىّ فى ثلاثة عشر رجلا معه قال حُجْر: دعونى أصلّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقيل له : أجَزِعت؟ فقال : ما توضأت قطُّ إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منها. و إن أجزَعْ فقد رأيت سيفا مشهورا وكَفَنا منشورا وقبرا محفورا . فقيل له : مُدّ عُنقَك، فقال : إن ذلك لدمٌ ما كنت لأُعِين عليه. فقدّم فضربتْ عنقُه. وكان معاوية بعث رجلا يقال له هُدْبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خَثْعم فقال : إن صدقت الطِّيرة قُتل نصفنا، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

خرج كُثَيِّر عَزَّة إلى مصر يريد عزة، فلقيه أعرابىّ منْ نهد فقال : يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال: أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت فى وجهك شيئا؟ قال : لا،

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «عبيد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما فى المعارف لابن قتيبة، ولا ندرى أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه . فقال له : تُوافى مصر وقد ماتت عزة . فانتهره كثير ثم مضى فوافى مصرَ والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال:

فما أعيفُ النّهْدىُّ لا دَرّ دَرُّه * وأزجَرَه للطير لا عزّ ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتّف أعلى ريشــه ويُطايره
فأما غُراب فاغتراب ووحشة * وبَانٌ فبَيْنٌ من حبيب تعاشره

وهوِى بعد عزّة امرأة من قومه يقال لها : أمّ الحويرث . فخطبها فأبت وقالت : لا مال لك ، ولكن آخرج فآطلبْ فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى مخزوم ، فبينا هو يســير عنّ له ظبى فكره ذلك ومضى فإذا هو بغراب يبحث التراب على وجهه فكرهه وتطيّر منه ، فانتهى إلى بطن من الأزد يقال لهم بنو لِهْب ، فقال : أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه إلى شيخ منهم فأتاه فقصّ عليه القصة ، فقال : قد ماتت أو خَلَف عليها رجل من بنى عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال:

تيممت لِهْبـا أطلب العلم عندهم * وقد رُدّ علم العائفين إلى لهب
فقال (١) جرى الطير السَّنيح ببَيْنهـا * فدونك فاهمِلْ جِدَّ مُنهمِرٍ سَكب
فإلّا تكن ماتت فقــد حال دونها * سواكَ خليل باطن من بنى كعب

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوِىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد الصَّفّار قال حدّثنــا همّام بن يحيى عن قَتَادة عن حَضْرَمِىّ بن لاحِق أو عن أبى سَلَمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى أمرائه : « إذا أبردتم إلىّ بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .

(٢) [خرج عمر إلى حَرَّة وَاقِم فلقى رجلا من جُهَينة فقال له : ما آسمك ؟ قال : شهاب . قال : ابن من؟ قال : ابن جَمْرة . قال : وممن أنت؟ قال : من الحُرَقة .

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما:

فيممت شــيخا منهــم ذا أمانة * بصــيرا بزجر الطــير منحنى الصلب
فقلت له ماذا ترى فى ســـوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضِرَام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن عامر إلى المدينة فإذا هو فى طريقه بنعامات خمس، فقال لأصحابه : قولوا فى هذه . فقال بشر بن حسان : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا عدوى ولا طِيَرَة» ومن علم شيئا فليقله ولكنى أقول : فتنة خمس سنين .

قرأت فى كتب العجم أن كسرى بعث وهرز إلى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفّوا قال وهرز لغلام له : أخرج إلىّ من الجُعْبة نُشَّابة وكان الأُسوار(١) يكتب على كل نُشّابة فى جعبته ، فمنها ما يَكتب عليه اسمَ الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه(٢)، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبد يده فأخرج له نشابة عليها اسم امرأته فتطيّر وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . رُدّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرزُ فى طائره ثم انتبه فقال : زنان . وزنان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن، فإذا ترجمتُها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها فى كبد قوسه ثم قال : صفوا لى ملكهم، فوصفوه بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَغَط فى قوسه حتى إذا ملأها سَرّحها فأقبلتْ كأنها رِشاء منقطع حتى فَضَّت(٣) الياقوتةَ فطار فُضَاضها ثم فلقتْ هامتَه وهُزم القوم . وقال المَعْلُوط :

تَنادَى الطائران ببَيْن سَلْمى * على غصنين من غَرْب و بان
فكان البان أن بانت سليمى * وفى الغَرب اغتراب غير دانى

أخذ معناها أبو الشِّيص فقال :

أشاقك والليل مُلقِ الجِرَان * غراب ينوح على غصن بان
أحَصُّ الجناح شديد الصياح * يبكّى بعينين ما تذْرِفان
وفى نَعَبات الغراب اغتراب * وفى البان بَيْنٌ بعيد التدانى

(١) الأسوار بالضم والكسر: قائد الفرس . (٢) فى الفتوغرافية « أبيه » .
(٣) فى الفتوغرافية : « حتى صَلَّت الياقوتةُ فطارت فُضاضًا » .

وقال الطائىّ:

أتنضضعتْ عَبَراتُ عينك أن دعتْ * ورقاءُ حين تضعضع الإظلام

لا تَنْشِجَنّ لها فإن بكاءها * ضحك وإن بكاءك استغرام

هنّ الحَمام فإن كسرت عِيافةً * من حائهنّ فإنهنّ حِمام

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى موسى بن مسعود عن عِكْرِمة بن عَمّار عن إسحق بن عبدالله بن أبى طَلْحة عن أَنَس بن مالك قال: جاء رجل منا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرتْ فيها أموالنا ثم تحوّلنا منها إلى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذروها وهى ذميمة».

بلغنى عن ابن كُناسة عن مبارك بن سعيد أخى سفيان الثَّوْرىّ قال: بلغنا أن أعرابيا أضاع ذَوْدا له فخرج فى الطلب حتى أدركه العطش، فمرّ بأعرابى يحتلب ناقة فنَشَده ضالَّتَه فقال له: متى خرجت فى الطلب؟ ادن منى حتى أسقيك لبنا وأرشدك. قال: قبل طلوع الفجر. قال: فما سمعتَ؟ قال: عواطيس حولى: ثُغَاء الشّاء ورُغَاء البعير ونُبَاح الكلب وصياح الصبىّ. قال: عواطيس تنهاك عن الغدو. قال: فلما طلع الفجر عَرَض لى ذئبٌ. قال: كَسُوبٌ ذو ظفَر. قال: فلما طلعت الشمس لقيتُ نعامةً. قال: ذات ريش واسمها حسن، هل تركتَ فى أهلك مريضا؟ قال: نعم. قال: ارجع فإنك ستجد ضالتك فى منزلك.

حدّثنى عبد الرحمن عن حَفْص بن عمر الحَبَطىّ قال حدّثنا أبو زُرْعة يحيى بن أبى عمرو السَّيْبانىّ(١) عن يُثَيع عن كَعْب قال: كانت الشجرة تنبت فى محراب سليمان النبى صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسانٍ ذَلِق فتقول: أنا شجرة كذا وفىّ دواء كذا. فيأمر بها سليمان فيُكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع فى الخزائن حتى كان

(١) فى الأصل «الشيبانى» بالشين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تقريب التهذيب.

آخر ما جاء منها الخرّوبة فقالت: أنا الخرّوبة . فقال سليمان : الآن نُعيتْ إلىّ نفسى وأُذن فى خراب بيت المقدس . قال الطائىّ يصف عَمُّورِيَّة :

بكرٌ فما افترعتْها كفُّ حادثة * ولا ترقّت إليها همّة النُّوب
جرى لها الفأل بَرْحا يوم أَنْقِرة * إذ غُودرت وَحْشةَ الساحات والرَّحَب
لمّا رأت أختَها بالأمس قد خربت * كان الخراب لها أَعدَى من الجَرَب

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين : كانت العجم تقول : إذا تحوّلت السِّباع والطير الجبلية عن أماكنها ومواضعها دلّت بذلك على أن المَشْتَى سيشتدّ ويتفاقم . وإذا نقلت الجُرذان بُرّا وشعيرا أو طعاما إلى رب بيت رُزق الزيادة فى ماله وولده ، وإن هى قرَضتْ ثيابه دلّت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغى أن يُقطع ذلك القَرْض ويُصلح . وإذا شبّت النار شبوبا كالصَّخَب دلت على فرح شديد ، وإذا شبت شبوبا كالبكاء دلت على حزن ، وأما النار التى تشتعل فى أسفل القُدور فإنها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضُر . وإذا فشا المَوت فى البقر وقع المُوتانُ فى البشر ، وإذا فشا الموت فى الخنازير عمّ الناسَ السلامةُ والعافية ، وإذا فشا الموت فى السباع والوحوش أصاب الناس ضَيْقة ، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصب الناسُ . وإذا أكثرت الضفادع النّقيق دلت على موتان يكون . وإذا أَنّ ديك فى دار فشا فيها مرض الرجال ، وإذا أنّتْ دجاجة فشا فيها مرض النساء ، وإذا صرخت ديوك صُراخا كالبكاء فشا الموت فى النساء ، وإذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . وإذا نَعَب غراب أسود فجاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يُعمر . وإذا قوّقت دجاجة وجاوبها غراب دل على عُمران يخرَب . وإذا غطّ الرجل الحسِيب فى نومه بلغ سَنًا ورفعة ، ومن نفخ فى نومه أُفسد ماله ، ومن صَرّتْ أسنانُه فى نومه دل ذلك منه على نميمة ،

وينبغى أن يُضرب على فيه بخُفٍّ متخرِّق . ومن سقطت قدّامه حية من جُحر أصابته معرّة ومضرة . وإذا رئى فى الهواء دُخْنة وظلمة من غير علة تُخوّف على الناس الوباء والمرض . وإذا رئى فى آفاق السماء فى ليلة مصحية كاختلاف النيران غَشِى البلاد التى رئى ذلك فيها عدو ، فإن رئى ذلك وفى البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبح كلب بعد هَدْأةٍ نبحة بغتة دل على أن السُّرّاق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما فى تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صفّق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير محتبس عن صاحبه . وإذا أكثر البوم الصراخ فى دار برئ مريض إن كانَ فيها . وإذا سُمع لبيت تنقُّض شَخَص من فيه عنه ، وإذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها كلاب من قرى تفاقم الأمر فى التحارُب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب وجاوبتها ذئاب كان وباء ومُوتان جارف ، وإذا أكثرت الكلاب فى البَغَتات الهريرَ دلت بذلك على إتيان العدو البلادَ التى هى فيها ، وإذا صرخ ديك فى دار قبل وقت صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بَليّة قد شارفت تلك الدارَ ، وإذا صرخت دجاجة فى دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أكثر ديك النَّزَوان على تُكَأة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله خمول وضعة . وإذا ذَرَق ديك على فراشه نال مالا رغيبا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغى مباعدته . وينبغى أن يُعرف كُنْه من كان مِنْطيقا لعلّه لا يجيد العمل ، وحال من كان سِكّيتا مترمّتا لعله بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخَلْق فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزَّمِن والكريه الاسم والجارية

البكر والغلام الذاهب إلى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقِرَان والحيوان المُوثق والدابّة المَقُودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبّون الصحيح البدن الرضىّ الاسم والمرأة الوسيمة الثيّب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التى عليها حُمُولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُنَحّون عن سمع الملك ألحان المغنيات ونَقيض الصوارى وصهيل الخيل والبَرَاذين ويتخذون فى مبيته ديكا ودجاجة . وإذا أهديت له خيل سُنِح بها عليه من يساره إلى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبَرّح بها من يمينه إلى يساره .

باب فى الخيل

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن شَبيب بن غَرْقَدَة [عن عُرْوَة](1) البارقى قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى أَشهل بن حاتم قال حدّثنى موسى بن على بن رَبَاح اللَّخمى عن أبيه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أريد أن أُعِدّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشترِه إذًا أدهَم أو كُميتا أَقرح أَرْثَم أو محجّلا مُطْلَق اليمين» وفى حديث آخر « فإنها مَيَامين الخيل ثم اْغز تَسلمْ وتغنم إن شاء الله » .

حدّثنى سهل بن محمد قال أخبرنى أبو عبيدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها حِرْز وبطونها كنز» قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستحبّ من الدواب الشُّقْر ويقول : « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد

(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب إلى بارق — وهو كما قال السمعانى جبل ينزله الأزد فيما أظن ببلاد اليمن — عروة بن الجعد بن أبى الجعد البارقى الصحابى .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىُّ المـال خير. قال «سكة مأبورة» يعنى النخلَ «ومُهْرة مأمورة» يريد كثيرة النتاج . قال : وكان يكره الشِّكال[1] فى الخيل . [قال أبو ذرّ[2] : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحبَّ إليـه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدى مطر بن درّاج : أىُّ الخيل أفضـل؟ قال : الذى إذا استقبلتَه قلتَ نافر، وإذا اسـتعرضته قلت زافر[3] ، وإذا اسـتدبرته قلت زاجر[4] . قال : فأىّ البراذين شر؟ قال : الغليظ الرقبة الكثير الجلَبَة الذى إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأىّ البراذين خير؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عنانه .

[وصف رجل برذونا فقال : إن تركته نَعَس وإن حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى إذا استقبلتَه أَقْعى وإذا استدبرته جبَّى[5] وإذا استعرضته استوى وإذا مشى رَدَى وإذا عدا دحا .

محمد بن سـلّام قال : أرسل مسلم بن عمرو ابنَ عمٍ له إلى الشأم ومصر يشترى له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألست صاحب قَنْص؟ قال : بلَى . قال :

(١) أن تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معـنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزُّفْرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفار جنبيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسختين وفى العقد الفريد « زاخر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيته عظيم الكفل ممتلئه وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبَّى : انكب على وجهه وقد أورده فى الأمالى « جَنَأ » وهو أيضا بمعناه . وقال أبو على القالى الرديان أن يرجُم الأرض رجما بين المشى الشديد والعدو . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كلُّ شيء تستحسنه فى الكلب فاطلبه فى الفرس . فقدم بخيل لم يك فى العرب مثلها . وقالوا : سُمِّيت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابى فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان فى أَشْطان[(١)] فلما أُرْسلت لَمَع لمعة سحاب فكان أقربَها إليه الذى تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بنى أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المُبِرَّ من المُبْطِئ المُقْرِف . أما الجواد المبر فالذى لُهِزَ لَهْزَ العَيْر[(٢)] وأُنِّف تأنيفَ السَّيْر[(٣)]، الذى إذا عدا ٱسلهب[(٤)] وإذا قِيد ٱجلَعَبَّ وإذا انتصب ٱتلَأَبّ . وأما المبطى المقرف فالمدلوك الحَجَبَة[(٥)] الضخم الأَرْنبة[(٦)] الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة][(٧)] الذى إن أرسلتَه قال : أمسكنى وإن أمسكته قال : أرسلنى وأنشد الرياشى :

كمُهْرِ سوء إذا سكّنتَ شِرّته * رام الجِماحَ فإن رفَّعتَه سكنا

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك فى العِتَاق والهُجُن، فدعا سَلْمان بن ربيعة الباهلى فأخبره، فأمر سلمان بطَسْت فيه ماء فوُضع فى الأرض ثم قُدّمت الخيل إليه فرسا فرسا فما ثَنَى منها سُنْبُكَه فشرب هجَّنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه عرَّبه . وذلك لأن

---

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى الفتوغرافيــة هكذا (جاو الشيطان) الخ وفى لسان العرب : ووصف أعرابى فرسا لا يحفى فقال كأنه شيطان فى أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان فى أشطان» فحرفها الناسخ كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفى القاموس : الملهوز المضبَّر الخَلْق والتضبير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشى ويوافقه ما فى اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفى الألمانية والعقد الفريد "نَهَزَ نَهْزَ العير" . وفى اللسان نهزت الدابّةُ اذا نهضت بصدرها للسير، ولعل معناه أنه يندفع فى السير كاندفاع العير الوحشى .
(٣) فى اللسان : واذا أنف يأتنف السير وهو تحريف دفع إليه توهم أن السير هنا بمعنى المشى لأن المؤنَّف هو المحدّد من كل شىء ومنه سير (جلد) مؤنَّف أى مقدود على قدر واستواء والمراد أنه قُدَّ حتى استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) اسلهب : مضى . وٱجلعبّ : امتدّ على الأرض . وٱتلأب : استوى .
(٥) حجبة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه، ومدلوكها الذى ليس لحجبته إشراف فهى ملساء مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) فى الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

فى أعناق الهُجُن قصرا فهى لا تنال المـاء على تلك الحال حتى تثنى سنابكها وأعناق العتاق طوال .

وحدّثنى أبو حاتم قال حدّثنـا الأصمعىّ قال : ذكروا أنـ كسرى كان إذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافرَه، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهـره، قال : البَيْطار .

وأنشدنى أبو حاتم لأبى ميمون العِجْلىّ وهو النضر بن سلمة فى شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبى عبيدة وعلى الأصمعىّ :

الخيـلُ منّى أهلُ ما أن يُدنَيْنْ * وأن يُقـرَّبْنَ وأن لا يُقْصَيْنْ
وأن يُبَأْبَأْنَ(١) وأنـ يُفـدَّيْنْ * وأن يكون المحضُ ممـا يُسْقَين
وأهـل أن يُعْلَيْنَ أو يُغَالَيْنْ * بالطِّرف والتّـلْد وأن لا يُجْفَيْنْ
وأهـلُ ما صَحِبْنَنَـا أن يُقْفَيْنْ(٢) * وأهـل ما أعْقَبْنَنَا أن يُجْـزَيْنْ
أليس عِزُّ النـاسِ فيما أَبْلَيْنْ * والحسب الزاكى إذا ما يُقْنَيْنْ
والأجر والزَّيْن إذا رِيمَ الزّين * كم من كريم جدّه قـد أَعْلَيْن
وكم طريدٍ خائفٍ قـد أَنْجَـيْنْ * ومن فقـير عائـل قد أَغْنَيْنْ
وكم برأس فى لبـان أَجْرَيْنْ * وجسـدٍ للعـافيات أَعْرَيْنْ
وأهلِ حصنٍ ذى امتناع أرْدَيْنْ * وكم لها فى الغُنْم من ذى سهمين
يكون فيما اقتسـموا كالرَّجُلين * وكم وكم أَنْكَحْنَ من ذى طِمْرَيْنْ
بغير مهـر عاجل ولا ديـن * والخيل والخـيرات فى قرينين
لا تشتكينَ عمـلا ما أَنْقَيْنـ * ما دام مُخٌّ فى سُـلَامَى أو عين
* ما بلّل الصوفةَ(٣) ماءُ البحرين *

(١) يقال لها بأبى أنت، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤْثَرْن . (٣) فى اللسان : وصوف البحر شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى واحدته صوفة وفى الأبديات : لا آتيك ما بلّ بحر صوفة .

وأنشدنى أبو حاتم عن أبى عبيدة . قال : وقال لى أبو عبيـدة لا أعرف قائل هذا الشعر وعروضه لا يخرّج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخُزاعى

ذاك وقـد أذعر الوحوشا ＊ بصَلْتِ الخدّ رَحْبِ لَبَانُه مُجْفَرْ (١)
طويلُ خمسٍ قصـير أربعة ＊ عريضُ ست (٢) مقلّص (٣) حشور (٤) (٥)
حَدّتْ له تسعةٌ وقد عريت ＊ تسع (٦) ففيه لمن (٧) رأى منظر
ثم له تسـعة كُسِين وقد ＊ أُرْحِب (٨) منـه اللّبـانَ والمَنْخَر
بعيـد عشر وقـد قَرُبْن له ＊ عشر (٩) وخمس طالت ولم تقصر

(١) اللّبَان:الصدر،ومجفر بفتح الفاء:واسع الجُفْرة وهى من الفرس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدى فى قصيدة له إلى مدح فرس وذكر أن ما طال منـه تسع وفسرها ابن الأعرابى بالعنق ووظيفى الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو على القالى : وتفسـيره غير موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقـل عن أبى العبـاس أن هذا غلط من الشاعر ثم ذكر أن الذى يستحب طوله فى القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثُّنَن وهى الشعر الذى فى مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب إلى هذا وأراد معها العنق جاز وصح قوله .

(٣) عدها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الأعرابى فى تفسـيرها هى أربعة : أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت فى القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الأعرابى فى تفسيرها هى الفخذان والوركان والأوظفة . (٥) حَشْوَر : منتفخ الجنبين .

(٦) ذكرت فى تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الأعرابى : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه . كذا فى أمالى أبى على القالى ولم يذكر الثامن .

(٧) عدت فى تلك القصيدة سبعة . قال ابن الأعرابى السبعة العارية : خدّاه وجبهته والوجه كله وقوائمه فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .

(٨) عدت فى تلك القصيدة سبعة وقال ابن الأعرابى السبع المكسوة : الفخذان وحامياه . ووركاه وحصيرا جنبيه ونَهْدتاه وهما فى الصدر . وغير ابن الأعرابى يقول فَهْدتاه بالفاء . قال أبو على القالى والصحيح فهدتاه وهما اللحمتان اللتان فى الزَّوْر كالفَهْدين .

(٩) عد فى تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الأعرابى السبع التى قربت يريد بهاسبع خصال صالحة قربن منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .

(راجع قصيدة أبى صفوان الأسدى وشرحها فى الأمالى من صفحة ٢٤٠ — ٢٥٣) .

نُقْفيه بالمَحْض دون وِلْدَتنـا * وعُضّـــه[(١)] فى آرِيه[(٢)] يُنْـثر
نَصْـبَحُه تارة ونَغْبقُـــه * ألبانَ كُومٍ رَوائم أَظْؤُر
حتى شَــتَا بادِنًا يقـال ألا * يطوون من بُدْنه وقد أُضْمِر[(٣)]
مُوَثَّق الخَلْق جُرْشُعٌ[(٤)] عَتَـد * مُنضَرِجُ الحُضْر حين يُستحضَر
حَاظِى[(٥)] الحَمَاتَيْنِ لَحْمُه زِيَمٌ * نَهْدٌ شـديد الصِّفَاق والأَبْهَر
رقيق خمس غليظ أربعــة * نائى المَعَـدّين[(٦)] لَيِّن الأَشْعَر

وقد فسرت هذا الشــعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفــرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضَّبِّيين فى وصف فرس:

متقاذف عبل الشَّوى شَنِج النَّسا * سَــبّاق أندية الجيــاد عَمَيْثَل[(٧)]
وإذا تُعَلَّلُ بالسِّــياط جيادُها * أعطـاك نائـلَه ولم يتعلَّل[(٨)]

قيل لمـا وضعت حرب صِفِّين أوزارها قال عمرو بن العاص:

شبّت الحربُ فأعددتُ لها * مُفْرَعَ الحارِك مروىَّ الثَّبَج[(٩)]

---

(١) العُضّ : العجين تُعلفه الإبل ، والقت ، والشعير والحنطة لا يشركهما شىء . (٢) الآرىّ : الآخيَّة وهى محبس الدابة . (٣) يقال ضمر الخيل تضميرا : علفها القوت بعد السمن كأضمرها . قاموس .

(٤) الجرشع كقنفذ : العظيم الصــدر المتفخ الجنبين . ومنضرج الحضر : شديد العدو . (٥) هكذا فى النسخة الألمـانية والفتوغرافيــة وذكر فى أسفل النسخة الألمـانية أن فى بعض النسخ خاطى . وكلاهما غير مناسب للمعنى ولعـله خاظى بالخاء والظاء المعجمتين فإن الحمـاتين من الفرس اللحمتان المجتمعتان فى ظاهر الساقين من أعاليهما والخاظى كما فى لسان العرب: المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب . ولحمه زيم : مكتنز . والصفاق فسره الأصمعى فى كتاب الفرس كما فى لسان العرب الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر والأبهر: عرق فى الظهر . (٦) المعدان : موضع دفتى السرج . والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد .

(٧) متقاذف ، سريع . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك الى الكعب . وشنج النسا متقبضه وهو مدح للفرس لأنه إذا شَنِج نَسَاه لم تسترخ رجلاه . والعميثل: النشيط . (٨) فى الفتوغرافية وما يتعلل وهذا إنما يصح اذا كانت القافيــة مرفوعة . على انه فى العقد الفريد أورد هــذا الشعر على نحو ما فى الصلب . (٩) الحارك: أعلى الكاهل، والثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر .

جُرْشُعًا أعظمه جُفْرَتُه * فإذا ابتلّ من الماء حَرِجْ

يصل الشّد بشدٍّ فإذا * ونت الخيلُ من الشدّ مَعج (١)

ووجدت فى كتاب من كتب الروم أن من علامة فَرَاهة المهر الحولى صغر رأسه وشدّة سواد عينيه وأن يكون مُحدَّد الأذنين أَجْرد باطنها كثيف العُرْف، فى عرفه ميل من قِبَل يمين راكبه عريض الصدر مرتفع الهادِى معتدل العضدين مكتنِز الجنبين طويل الذنَب عريض الكَفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة فراهة المهر ألا يكون نَفُورا [ولا يقفُ عند دابة إلا مع أمّه] وإذا دفع إلى عين أو نهر ماء لم يقف لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا: ومما يسلم الله به الخيلَ من العين وأشباه ذلك أن يُجْعَل فى أعناقها خرزة من قرون الأيايل (٢) .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن سفيان عن حُصَين بن عبدالرحمن عن هلال بن إِسَاف وعن سُحَيم بن نَوْفل قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية إلى سيّدها فقالت: ما يُجلسك؟ قم فابتغ لنا راقيا فإن فلانا لَقَع (٣) مهرك بعينه فتركته يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبتغ راقيا ولكن اذهب فانْفُث فى مَنْخره الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا بأس لا بأس أذهِب الباس رب النّاس واشف أنت الشافى لا يكشف الضراءَ إلا أنت . قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتنى به فبال وراث وأكل .

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عبيدة أنه قال : إذا كان الفرس صَلُودا لا يعرق سقيتَه ماء قد دُفْتَ فيه خَمِيرة أو علفته ضِغْثا من هِنْدِبَاء فإن ذلك يُكثر عرقه، فإن حَمِر (٤) أدخلته

(١) فى الفتوغرافية «فإذا ونت الخيل من الثّج» . والشدّ : العدو . ومعج كمنع : أسرع . (٢) الأيايل جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سنق (تخم) من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اهـ قاموس .

الحمّام وأَشمّه عَذِرَةً . فقلت لأبى عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا ؟ فقال : خبرنى به جلّ الهندىّ وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مَغْلَةٌ وهى وجع البطن من أكل التراب أُخذ له شيء من بُورَقٍ فدقّ ونُخِل بجعل فى ربع دَوْرَق من خمر فحُقن به وبُلّ تراب طيّب ببول أتان(١) حتى يصير طينا ثم لُطخ به بطن الدابة . قال : ومما يذهب العَرَن دماغ الأرنب .

وقف الهَيْثم بن مطهَّر على باب الخَيْزُران على ظهر دابته، فبعث إليه الكاتب فى دارها : انزل عن ظهر دابتك فقد جاء فى الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابّكم مجالس . فبعث إليه : إنى رجل أعرج وإن خرج صاحبى خِفْتُ ألّا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حَبيس إن أنزلتنى عنه إن أَقْضَمْتُه شهرا فانظر أيّما خير له، راحةُ ساعة أو جوعُ شهر؟ فقال : هذا شيطان، اتركوه .

باب البغال والحمير

قال مَسْلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العِذَار طويلة العِنَان . وكتب رجل إلى وكيله : ابغنى بغلة حَصّاءَ الذنَب طويلة العنق سوطها عِنانُها وهواها أمامُها .

عاتب الفضلَ بن الربيع بعض بنى هاشم فى ركوبه بغلة، فقال له : هذا مركب تَطأطأ عن خُيَلاء الخيل وارتفع عن ذِلّة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سَيَّارَةَ بأهل المُزْدَلِفة أربعين سنة على حمار لا يعتلّ، فقالت العرب : «أصح من عَيْر أبى سيارة» .

قال رجل للفضل الرَّقَاشى وهو جادّ مُعْتَمِر لأمّه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مَرْفَقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

(١) فى الفتوغرافية "إنسان" .

قدر اختلاف الزمان ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صَريعا وأسهل تصريفا وأخفض مَهْوًى وأقل جِمَاحا وأشهر فَارِهًا وأقل نظيرا ويُزْهَى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه . وقال خالد بن صفوان فى وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكُدَاد[(١)] أَصْحر السِّرْبال مُحْلَجَ القوائم يحمل الرِّجْلة ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخّاس : اطلب لى حمارا ليس بالكبير المشتهَر ولا القصير المحتقر ولا يُقدِم تقحّما ولا يحجم تبلّدا يتجنب[(٢)] بى الزحام والزِّجَام والإكَام خفيفَ اللجام إذا ركبتُه هام وإذا ركبه غيرى قام، إن علفتُه شكر، وإن أجعته صبر. فقال له النخاس: إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله. وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانه للسِّفَاد .

جرير بن عبد[(٣)] الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فإنه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجليك .

باب فى الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش[(٤)]: لا تشتر خمسة من خمسة: لا تشتر فرسا من أَسَدىّ ولا جملا من نَهْدىّ ولا عَيْرا من تميمى ولا عبدا من بَجَلى . ونسى الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجدود فى هذه الأشياء . قيل لبنى عبس : أىّ الإبل

(١) فحل تنسب إليه الحمر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما فى الفتوغرافية «يخبب» . (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبد الحميد» وهما واردان معا فى كتب التراجم .

(٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح إذ لم نقف فى ترجمة ابن عباس على أن الهيثم روى عنه، ولعل هيثما هذا هو الهيثم بن خارجة الخراسانى فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

أصبر عليكم فى محاربتكم ؟ قالوا: الرُّمْك الجعاد . قيل : فأىّ الخيـل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكُمْتَ الحُوَّ . قيل : فأىّ النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بناتِ العم .

المدائنى قال قال شَبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتنى الحج، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُزْته قام بى بعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فمرّ بى اليمـانى فقال : مررتَ بنا ولم تسلِّم ولم تعرِّض . فقلت : أجل يرحمك الله[1] . قال : أتطيب نفسا عما أرى؟ قلت: نعم. فنزل فأرخى أَنْساع رَحْله ثم قدّمه فكاد يضعه على عنقها ثم شدّه وقال لى : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدّمتك . ثم قال لى : خذ حُرَّ متاعك إن لم تطب نفسا به ففعلت، ثم ارتدفتُ فجعلتْ تعوم عوما ثم انسلّت كأنها ثعبان يسيل سيلا كالمـاء فما شعرت حتى أرانى الأعلام وقال: أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس فاذا نحن بجَمْع[2]، فقضيت حجّتى، وكان قال لى : حاجتى إليك ألّا تذكر هذا فإن هذه عندى أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة، أدرك عليها الثأر وهى ثِمَـال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غِبّ الحمار فسألته: من أين هى؟ قال: بُجَاوِيّة من هَوَامِى نَتَاج[بدو][3] بَجِيلة الأولى وهى من المَهَارى التى يذكر الناسُ .

[وكتب[3] سليمان بن عبد الملك إلى عامله : أصبْ لى نجَائب كِرَاما . فقدم رجل على جمل سُبَاعِىٍّ عظيم الهامة له خَلْق لم يروْا مثله قطّ فساموا، فقال : لا أبيعه . قالوا : لا نَدَعُك ولا نغصِبُك ولكنا نكتب إلى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجائب كِرَام وخيل سابقة، فدعونى أركب

(١) فى الفتوغرافية "قد كان ذاك رحمك الله". (٢) هى المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها
(٣) زيادة فى النسخة الألمـانية .

جملى وأبعثه وٱتبعونى فإن لحقتمونى فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح فى أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم ٱنبعث وٱتبعوه فلم يدروا كيف أَخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن عَلَما على وَثْبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعى قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا فى ألفين إلى مِرْدَاس بن أُدَيَّة وهو فى أربعين فهزمه مرداس فعنّفه ٱبن زياد وأغلظ له فقال : يشتمنى الأمير وأنا حى أَحَبُّ إلىّ من أن يدعوَ لى وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج :

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بآسَكَ أربعونا
كذبتم ليس ذلكمُ كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة يُنصرونا

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ما ٱلتقتْ فئتان قطّ إلا وكفّ الله بينهما فإذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليها» . [(١) ورفع معاوية ثُنْدُوَتَه بيده وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثلى، فكيف قال النجاشى :

ونجّى ٱبنَ حرب سابقٌ ذو عُلَالة * أجشُّ هَزِيمٌ والرماح دَوَانى]

ابن دَأْب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال :

شجاع إذا ما أمكنتنىَ فرصة * وإلّا تكن لى فرصة فجبان

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

شهد أبو دُلَامة حربا مع رَوْح بن حاتم فقال له : تقدّم فقاتلْ . فقال :

إنى أعوذ برَوْح أنـ يقدمنى * الى القتـال فتَخْزَى بى بنو أسد
إن المهلب حبَّ الموت ورّثكم * ولم أُورّث[1] حبّ الموت عن أحد

أبو المنـذر قال، حدّثنا زيد بن وهب قال، قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبًا لابن النابغة ! يزعم أنى تلْعَابة أُعَافس وأُمَارِس ! أما وشرُّ القول أكذبُه، إنه يسأل فيلحِف ويُسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فانه آمرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذَها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرُ همّه أن يُبرقِطَ ويمنحَ الناس آستَه . قبحه الله وترّحه . وقال الفرّار السُّلَمى :

وكتيبة لبَّستُها بكتيبة * حتى إذا التبستْ نفضتُ بها يدى
وتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم * من بين منجدِل وآخر مسنَد
ما كان ينفعنى مقال نسائهم * وقُتلت دون رجالهم : لا تَبْعُدِ

وقال آخر :

أضحت تشجعنى هنـد وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بهـا العَطَب
لا والذى حجت الأنصـار كعبته[2] * مايشتهى الموتَ عندى من له أرب
للحرب قوم أضـل الله سعيهمُ * إذا دعتْهم الى حَوْبائها[3] وثبـوا
ولست منهـم ولا أبغى فعالهمُ * لا القتل يعجبنى منها ولا السَّلَب

وقال أَيْمن بن خُرَيم :

إنـ للفتنة مَيْطا بيّنـا[4] * فرُوَيد الميطَ منها يعتـدلْ

(١) كذا بالنسختين، وفى الأغانى : «وما ورثت اختيار الموت عن أحد» .
(٢) رواه فى العقد الفريد «لا والذى منع الأبصار رؤيته» . (٣) فى النسخة الألمانية «نيرانها» .
(٤) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، وفى العقد الفريد « عاجلا » .

فإذا كانَ عطاء فأتِهِمْ * وإذا كانَ قتال فاعتزل

إنما يُسْعِرها جُهّالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر :

كُلُقِى الأعنة من كفّه * وقاد الجيادَ بأذنابها

وقال جِرَان العَوْدفى الدَّهش :

يوم ارتحلت برحلى قبل تَوْدعتى * والقلب مستوهِلٌ بالبين مشغول

ثم اعتضضتُ[1] على نِضْوِى لأدفعه * إثر الحُمول الغَوَادِى وهو معقول

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيريّة [من الرافضة] وهو من بَجِيلة[2] فقال من الدهش : أطعمونى ماء . فذكّره بعضهم فقال :

عاد الظلوم ظَلِيما حين جُدَّ به * واستطعم الماءَ لما جدّ فى الهرب

وقال عبيد الله بن زياد إما لُكنة فيه أو لجبن أو دهشة : افتحوا سيوفكم .

وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيرى :

و يومَ فتحتَ سيفك من بعيد * أضعتَ وكُلَّ أمرك للضياع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا :

أ كانَ الجبان يرى أنه * سيُقتَل قبل انقضاء الأجلْ

فقد تدرك الحادثاتُ الجبان * ويسلم منها الشجاع البطلْ

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زَحْفا وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رَمْية ثم ها أنا أموت على فراشى حَتْفَ أنفى[3] ، فلا نامت أعين الجبناء .

---

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفى الفتوغرافية «اغترت» بالراء المهملة وهو محرف عن «اغترزت» بالزاى المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل فى الغرز وهو الركاب . (٢) فى النسخة الألمانية «وهو مولى لبجيلة» . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية « أموت على فراشى كما يموت العير » وفى العقد الفريد «ثم هأنذا أموت حتف نفسى كما يموت العير» .

[قيل[1] لأعرابى : ألا تغزو فإن الله قد أنذرك . قال : والله إنى لأبغض الموت على فراشى فكيف أمضى اليه ركضا !] وقال قِرْواش بن حَوْط وذكر رجلين :

ضَبُعا مُجاهَرة وليثا هُدْنة * وثُعيلبا خَمَر اذا ما أظْلما

وقال عبد الملك بن مروان فى أمية بن عبد الله بن خالد :

إذا صوّت العُصفور طار فؤاده * وليثٌ حديد الناب عند الثرائد

ونحوه قول الآخر[2] :

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسوَّمة تدعو عُبَيدا وأَزْنَما

وقال الله جل وعز: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطّار فى الجبان :

رأى فى النوم إنسانا[3] * فوارَى نفسَه أشهُرْ

قال ابن المقفع : الجبن مَقْتلة والحرص مَحْرمة فانظر (فيما رأيت وسمعت)[1] : من قُتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قُتل مدبرا؟ وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب إليك بالشره والحرص ؟ وقال حَنَش[4] ابن عمرو:

وأنتم سمـاء يعجب الناس رِزُّها * لهـا زَجَلٌ باق شـديدٌ وئيدُها
تقطّع أطنابَ البيوت بحَاصِبٍ * وأكذبُ شىء برقُها ورعودها
فويلُمِّها خيلًا تهـاوى شِرَارُها * إذا لاقت الأعداءَ لولا صدودُها

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) هو العوّام بن شوذب الشيبانى . (٣) هكذا فى النسختين الفتوغرافية والالمانية وفى العقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات فى الحماسة لقراد بن حنش الصاردى وروى البيت الأوّل :

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تخى شـديد وئيـدها

والثالث

فويلمهـا خيـلا بهـاءً وشـارة * إذا لاقت الأعداء لولا صدودها

وقال الفرزدق أو البَعيث :

سائل سَلِيطًا إذا ما الحرب أفزعها * ما بالُ خيلكمُ قُعْسًا هَوَادِيهـا
لا يرفعون الى داعٍ أعنّتَهـا * وفى جَواشِـنِها داء يُجَافيهـا

كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل يقال له عروة بن مَرْثد ويكنى أبا الأغرّ ينزل ببنى أخت له فى سكة بنى مَازِن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضِيَاعهم فى شهر رمضان وخرج النساء يصلّينَ فى مسجدهم فلم يبق فى الدار إلا الإماء فدخل كلب يَعْتَسُّ فرأى بيتا فدخله وآنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا دخل الدار فذهبت إحداهنّ إلى أبى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغى اللص؟ ثم أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا مَلْأمان، أما والله إنك بى لعارف فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن شربتَ حامضا خبيثا حتى إذا دارت القـدوح فى رأسك منّتْك نفسك الأمانى وقلتِ: أطرقُ ديارَ بنى عمرو والرجال خُلُوف والنساء يصلينَ فى مسجدهم فاسرِقهم . سَوءةً لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وآيم الله لتخرجَن أو لأهتِفنّ هَتْفة مشؤومة يلتق فيها الحيّان عمرو وحَنْظلة وتجىء سَعْدٌ بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلتُ لتكوننّ أشأمَ مولود . فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال : اخرج بأبى وأمى، أنت مستور، إنى والله ما أراك تعرفنى ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأننت الىّ . أنا — فديتُـك — أبو الأغر النَّهْشلى، وأنا خال القوم وجِلْدة بين أعينهم لا يعصوننى، ولن تضارّ الليـلة فآخرج فأنت فى ذمتى وعندى قَوْصَرّتان أهداهمـا الىّ ابن أختى البارّ الوَصُول فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت وَثَب يُرِيغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضاحك وقال: يا ألأم النـاس وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليـلة فى واد وأنت لى فى واد، أقلّب السوداء

والبيضاء فتُصيخ وتُطرق ، و إذا سكتُّ عنـك وثبتَ تُريغ المخرج ، والله لتخرجنّ أو لألجنّ عليك البيت . فلمـا طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابى مجنون، والله ما أرى فى البيت شيئا ، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدًّا وحاد عنـه أبو الأغر ساقطا على قفاه ، ثم قال : يالله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلبا ، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه .

وشبيه بهذا حديث لأبى حية النُّميرى ، وكان له سيف ليس بينه و بين الخشبة فرق ، وكان يسميه لُعَاب المنية . قال جار له : أشرفت عليـه ليلة وقد ٱنتضاه وشمّر وهو يقول : أيها المغترّ بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهور ضربته لاتخاف نبوته . ٱخرج بالعفو عنك و إلا دخلتُ بالعقوبة عليك ، إنى والله إن أدعُ قيسا تملأ الأرض خيلا ورَجْلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح البـاب فإذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا .

وقرأت فى كتاب كليلة ودمنة : يخاف غيرَ المخوف طائر يرفع رجليه خشية السماء أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجليه حِذار الخَسْف إن قام عليهما ، ودودة تأكل التراب فلا تشبع خوفا أن يفنى إن شبعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار أن تُصطاد لحسنها .

بينا عبد الله بن خازم السُّلَمى عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِل عليه بجُرَذ أبيض فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا؟ و إذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ وٱصفرّ حتى كأنه جرادةٌ ذكر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالشيطان(١) و يقبض على الثعبان و يمشى الى الأسد الوَرْد و يلقَى الرماح بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شىء قدير !

(١) كذا بالنسختين ، وفى العقد الفريد : «و يتهاون بالسلطان» .

كان الحارث بن هشام أخو أبى جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم، فقال فيه حسان :

إن كنتِ كاذبة الذى حدّثتنى * فنجوتِ مَنْجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولجام

فاعتذر الحارث من فراره وقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزْبِد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا * أُقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهمُ * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد (١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، وخرج فى زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله ، فاتّبعه أهل مكة يبكون، فرقّ وبكى ثم قال : أما إنا لو كنّا نستبدل دارا بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا ، ولكنها النُّقْلة الى ٱلله، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات .

المدائنى قال : رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له : مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال : أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءَتك يوم ابن أبى طالب، أما والله لقد وافقتَه منّانا كريما، ولو شاء أن يقتلك لقتلك . قال عمرو : يا أمير المؤمنين أما والله إنى لعَنْ يمينِك حين دعاك الى البِرَاز فاحولّت عيناك وربا سَحْرُك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحكْ أو دَعْ .

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت : من هذا الأعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غِلَالة؟ فبعث اليها أنه الحجاج، فأعادت

(١) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، والذى فى المعارف للصنف "يوم سرمد" .

الرسول اليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلو بك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلو بك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال : ياأمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة رَيْحانة وليست قَهْرَمَانَةً فلا تُطلعها على سرك ومكايدة عدوّك . فلمــا دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتى أن تأمره غدا بأن يأتينى مستلما، ففــعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما، ثم قالت : إيه يا حجاج، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النِّطاقين أول مولود ولد فى الإسلام، وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته وأوطاره فإن كنّ ينفرجْنَ عن مثــله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفَض نساء أمير المؤمنين الطِّيبَ من غدائرهن فبِعْنَه فى أعطية أهل الشأم حين كنت فى أضيق من القرن(١) قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غَزَالة بين كتفيك :

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فَتْخَاءُ تنفِر من صفير الصافر

هلا كرْتَ على غَزَالة فى الوَغَى * بل كان قلبك فى جوانح طائر

وغزالة امرأة شَبِيب الخارجى . ثم قالت : أخرج ، فخرج .

وكان فى بنى ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بنى سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفرّ فلم يجد مفرّا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نَثَل كنانَتَه وأخذ قوسه وقال:(٢)

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية "القوت". (٢) هو عاصم بن ثابت كما فى اللسان مادة (عنبل) ورواه

ما علتى وأنا طب خاتل * والقوس فيها وتر عنابل

* تزل عن صفحته المعابل *

ما علّتى وأنا جَلْد نابِل * والقوس من نَبْع لها بَلَابِل
يَرِزُّ فيها وَتَرٌ عُنَابِل * إن لم أقاتلكم فأمّى هَابِل
أكلّ يوم أنا عنكم نَاكِل * لا أُطعِم القومَ ولا أقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

ثم جعل يرميهم حتى ردّهم، وجاءهم الصريخ وقد مُنع الحىُّ، فصار بعدذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولما قتل عبد الملك مصعَبَ بن الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجّه معه رَوْح بن زِنباع الجُذَامِى كالوزير، وكان روح رجلا عالما داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا فى إخراجه عنهم فكتبوا ليلا على بابه:

إنّ ابن مروان قد حانت منيّته * فاحتلْ لنفسك يارَوحُ بنَ زِنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشكّ أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك؟ قال : يا أمير المؤمنين تركْتُ أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فَحَصَ برجليه، ثم قال: احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم.

كان أُمَيّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد وُجّه إلى أبى فُدَيك فانهزم وأُتى الحجاج بدوابّ من دوابّ أمية قد وُسم على أنفاذها "عُدّة" فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر[1] رضى الله عنه : إنّ الشجاعة والجبن غرائز فى الرجال ، تجد الرجل يقاتل عمن لايبالى ألا يؤوب الى أهله، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال الشاعر:

يفرّ الجبانـــ عن أبيه وأمّه * ويحمِى شجاعُ القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمعى قال سمعت الحَرَسِىَّ يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجبا. اســتَثَرْنَا من مَزْرعة فى بلاد الشأم رجلين يُذْرِيان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس[1]، والآخر مثل الجمل عِظَما، فقاتلنا الأصيفر بالمِذْرى لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقُتل، ولم نصــل الى الآخر حتى مات فَرَقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤادالأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض فى مثل كوز من ماء.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار[2] قال: حاصر مسْلَمة حصنا فندب الناس الى نَقْب منه، فمـا دخله أحد. فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إنى قد أمرت الآذن بإدخاله ساعةَ يأتى، فعزمتُ عليه إلّا جاء. فجاء رجل فقال: اســتأذنْ لى على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألّا تسوّدوا اسمه فى صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له[3]. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب.

---

(١) كذا بالألمـانية، وفى الفتوغرافية "أخينس" ولعله "أحيمش" مصغر أحمش وهو دقيق الساقين.

(٢) فى الألمـانية "عثمانـــ" ولم نعثر عليه فى كتب التراجم، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصفار كما فى كتب التراجم. (٣) زيادة فى الألمـانية.

حدّثنى محمد بن عمرو الجُرْجانى قال كتب أَنُوشِرْوَانُ إلى مَرازِبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابى قوما تحاربوا فقال : أقبلت الفحول تمشى مشى الوُعول ، فلما تصافحوا بالسيوف فغَرت المنايا أفواهَها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : ٱحْتَثُّوا كلَّ جُمَالِيَّة عَيْرانَة فما زالوا يَخْصِفون أخفافَ المَطِىّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المُرَّانَ أَرْشِيَةَ الموت وٱستَقَوْا بها أرواحَهم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قَطَرِىّ وأصحابه فأدركنى رجل على فرس فسمعت حسًّا منكرا خلفى ، فالتفتُّ فإذا أنا بقَطَرى فيئست من الحياة فلما عرفنى قال : ٱشدُدْ عنانَها وأَوجِعْ خاصرتَها قطع الله يديك . قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدّثنى عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب [قالت ٱمرأة : الغرق يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ][(١)] أُخرج فشُقّ بطنُه وأُخرج فؤاده فإذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فَيَنْزو .

حدّثنا الرياشى قال حدّثنا الأصمعى قال أخبرنا صاحب لنا عن أبى عمرو بن العلاء قال : لما كان يومُ الكلاب خرج رجل من بنى تميم ، أحسبه قال : سَعْدىٌّ ، فقال : لو طلبتُ رجلا له فداءٌ! قال : فخرجت أطلبُه ، فإذا رجل عليه مُقَطَّعة يمانيَّة على فرس ذَنُوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يسارى أَقْصَدُ لى . قلت : أَيْهاتَ منك اليمن . قالَ : العراق منى أبعد . قلت : وتا لله لا تَرى أهلك العام . قال لا والله ولا أهلَك لا أراهم . قال : فتركتُه ولما كان بعد أيام ونعتُّ نعتَه بعد ذلك ، فقيل لى : هو وَعْلَةُ الجَرْمى .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنا محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحـاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيّتهم العدوّ ليلا وفرّقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أوّل من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول:

إنّ على كل رئيس حقّا * أن يَخْضِب الصَّعْدَةَ أوتَنْدَقّا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحابُ الطبل الصوتَ انهزموا . ثم حمـل على الكُرْدُوس (١) الآخر ففعل مثـل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدوّ فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرْوُ الرُّوذ .

سأل ابن هُبَيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وَكِيع ابن الدَّوْرَقِيّة كيف قتلتَه؟ قال : غلبته بفضل فَتَاء كان لى عليه فصرعتُه وجلست على صدره وقلت له : يا لثَارات دُوَيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال مِن تحتى : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لايساوى كفَّ نوى! ثم تنخَّم فملأ وجهى نُخَامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلَّ عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك ذُعْر قطُّ لحرب [أو عدوّ] (٢) قال : ما سلِمتَ فى ذلك من ذعر ينبِّه على حيـلة ولم يَغْشَنِى فيها ذعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه البسالة .

خرج زُهْم (٣) بن حَزْم الهلالىّ ومعـه أهله وماله يريد النُّقلة من بلد إلى بلد فلقيـه ثلاثون رجلا من بنى تَغلِب فعرفهم ، فقال : يابنى تغلب ، شأنكم بالمـال وخلُّوا

(١) الكردوس : الكتيبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .
(٣) فى النسخة الألمـانية «زهير» ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

الطعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحى لمعى!! وحمل عليهم فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال :

رُدّا على آخرها الأتاليا * إن لهـا بالمشرفىّ حاديا
* ذكّرتنى الطعنَ وكنتُ ناسيا *

قال الزُّبيرى : ما ٱستحيا شجـاع أن يفرّ من عبد الله بن خازم السُّلَمى وقَطرِىّ ابن الفُجَاءة .

أبو اليَقْظان قال : كان حبيب بن عَوْف العَبْدى فاتكا، فلقى رجلا من أهل الشأم قد بعثه زياد ومعه ستون ألفا يتّجر بها فسايره، فلما وجد غَفْلة قتله وأخذ المـال فقال يوما وهو يشرب [على لذته](١) :

يا صاحبىّ أقِلّا اللوم والعذَلا * ولا تقولا لشىء فات ما فُعلا
رُدّا علىّ كُميت اللون صافيـة * إنى لقيت بأرض خاليا رجلا
ضخم الفرائص لو أبصرتَ قِمّته * وسْط الرجال إذنْ شبهتَه جَمَلا
ضاحكتُه ساعة طوراوقلت له * أنفقتَ بيعك إن رَيْثا و إن عَجلا(٢)
سايرته ساعة ما بى مخافتـــه * إلا التلفُّتَ حولى هل أرى دَغَلا
غادرتُه بين آجامٍ ومَسْـــبَعة * لم يدرِ غيرىَ بعدى بعدُ ما فُعلا
يدعو زيادا وقد حانت منيّته * ولا زيادَ لمن قد وافق الأجلا

المفضَّل الضَّبّى : كان سُلَيك بن سُلَكة التميمى من أشدّ فرسان العرب وأذكرهم وأدلّ الناس بالأرض وأجودهم عَدْوا على رجليه لا تَعْلَق به الخيل وكانت أمّه سوداء وكان يقول : اللهم إنك تهيئ ما شئت لمـا شئت إذا شئت ، اللهم إنى لو كنت ضـعيفا كنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٢) فى الفتوغرافية : «إن زيثا وإن عسلا» .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملَق حتى لم يبق له شىء، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يمرّ عليـــه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى فى ليلة باردة مقمرة واشتمل الصَّمّاء ونام إذا هو برجل قد جَثَم على صدره وقال : آستأسِرْ. فرفع سليك رأسه وقال : «إن الليل طويل وأنت مُقْمِر» يجرى مثلا ، وجعل الرجل يلَهَزُه ويقول : استأسرْ ياخبيث ، فلما آذاه ضمّه إليه ضمّةً ضرَط منها وهو فوقه ، فقال له سليك : «أضَرِطًا وأنت الأعلى» يجرى مثلا ، ثم قال له : ما أنت؟ قال : أنا رجل افتقرت ، فقلت : لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلقْ معى ، فمضيا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما ، فأتوْا جَوف مُرَاد وهو واد باليمن فإذا فيه نَعَم كثيرة ، فقال لهما سليك : كونا قريبا حتى آتىَ الرِّعَاء وأعلم لكما عِلْم الحى أقريب هو أم بعيـد ، فإن كانوا قريبـا رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أَحِى[(١)] به لكما فأَغِيرا . فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ، فقال لهم سليك : ألا أغنّيكم؟ قالوا : بلى . فتغنّى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :

ياصاحبىّ ألا لاحىّ بالوادى * إلا عبيـــدٌ وآمٌ بين أذواد
أتنظُران قليــلا رَيْثَ غفلتهم * أم تَعْدُوَان فإن الريح للعادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطْردوا الإبل وذهبوا بها .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان سليك يُحْضِر فتقع السهام من كنانته فترتزّ فى الأرض من شدّة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرأيت أن ترينَا بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شابا وآبغونى درعا ثقيلة . فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتّى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاثَ العَدْو لَوْثًا واهْتَبَصُوا[(٢)] فى جَنَبَتيه فلم يصحبوه إلا قليلا فجاء يُحضر مُنبترا من حيث لا يرونه وجاءت الدِّرع تخفِقُ فى عنقه كأنها خرقة .

(١) من وحى يحى إذا أومأ . (٢) عدوْا .

قال سهل وحدّثني العتْبي[1] قال حدّثني رجل من بنى تميم عن بعض أشياخه من قومه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابى قد كان معروفا بالسَّرَق فقال له : أخبرنى عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يُسبَق وكانت لى خيل لا تُلحَق[2] ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترشتُ ضبًّا فعلّقته على قتَبى ثم مررت بخباء سرىّ ليس فيه إلّا عجوز ، فقلت : أخلقْ بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم و إبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدَّن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رآنى رحّب بى ثم قام إلى ناقة فاحتلبها وناولنى العُلْبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقى فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أَيْنُق فشرب ألبانهن ثم نحر حُوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحثا كُومَةً من بَطْحاء وتوسّدها وغطّ غطيطَ البَكْر ، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قمت إلى فحل إبله فخطمتُه ثم قرنته إلى بعيرى وصِحتُ به فاتّبعنى الفحل واتّبعته الإبل إرْبابًا به ، فصارت خلفى كأنها حبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنيّةً بينى و بينها مسيرة ليلة للمسرع ، فلم أزل أضرب بعيرى بيدى مرّة وأقرعه برجلى أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنيّة فإذا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . فأخرج سهما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصرْ بين أذنى الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيى الأوّل . قال : انظر هذا السهم الثانى فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرأيتَ؟ قلت : إنى أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث فى عُكْوة ذنبه والرابعَ واللهِ فى بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العُكْوة ، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «عن بعض أهله» وفى العقد الفريد «وحدث العتبى عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر الخ» . (٢) فى الأصل «تخلف» والتصويب عن العقد الفريد .

أنزل آمنا؟ قال : نعم . فنزلت فدفعت إليه خِطَام جمله وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرمينى بسهم ينتظم به قلبى، فلما تنحّيت قال لى : أقبل . فأقبلت والله خوفا من شرّه لا طمعا فى خيره، فقال : أى هذا، ما أحسبك جَشِمتَ الليلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقرُن من هذه الإبل بعيرين وآمض لطِيّتك، قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا . ثم قلت : والله ما رأيت أعرابيا قط أشــدّ ضِرْسا ولا أعدى رِجْلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك .

وقرأت فى كتاب سير العجم أن بَهْرَام جُور خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه جارية له فعرضتْ له ظباء، فقال للجارية : فى أىّ موضع تريدين أن أضع السهم من الوحش؟ فقالت أريد أن تُشبّه ذُكْرانهـا بالإناث وإناثها بالذكران، فرمى تيسـا من الظباء بنُشَّـابة ذات شُعْبتين فاقتلع قرنيه ورمى عنزا منهـا بنُشّابتين فأثبتهـما فى موضع القرنين . ثم سألته أن يجمع أذن الظبى وظِلْفه بنشّابة واحدة فرمى أصـل أذن الظبى ببُندُقة فلمـا أهوى بيده إلى أذنه ليحتكّ رماه بنشّابة فوصل ظلفه بأذنه ثم أهوى إلى القَيْنة فضرب بها الأرض وقال : شَدّ(١) ما اشتططتِ علىّ وأردتِ إظهار عجزى !

وقرأت فى كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرْوَزان، فأقام بها حينا ثم خالفه أهل المَصَانع — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما — فسار إليهم المروزان فنظر إلى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن لا سبيل إليهـم صعد الجبل الذى هو وراء المصانع من حيث يُحاذِى حصنَهم فنظر

(١) فى الأصلين «أشد» وهو تحريف .

إلى أضيق مكان فيه وتحته هواء لا يُقدر قدرُه، فلم ير شيئا أقرب إلى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفّين ثم يصيحوا به صَيْحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى إذا استجمع حُضْرا رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثَب الفرس الوادىَ فإذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت إليه حِمْير قالوا : هذا أَيْم. والأيم بالحميرية شيطان، فانتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستنزلهم من حصنهم فقَتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان منه إلى كسرى، فتعجّب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم إليه وأراد أن يُسامى به أساوِرتَه، فاستخلف المروزان ابنَه ثم توجّه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه فى تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوُضع فى خزانته فكان يُخرَج فى كل عام إليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سُوقَةَ التميمى عن أبيه عن جدّه عن أبى الأغرّ التميمى قال : بَيْنا أنا واقف بصِفِّين مر بى العباس بن ربيعة مكفَّرا بالسلاح وعيناه تَبِصَّان من تحت المِغْفر كأنهما عينا أَرقم وبيده صفيحة له (١) وهو على فرس له صَعْب يمنعه ويلِّين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشأم يقال له عَرار بن أدهم : يا عباس هلمّ إلى البِراز . قال العباس : فالنزول إذًا فإنه إيَاسٌ من القُفُول . فنزل الشأمى وهو يقول :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فإنا معشر نُزُل

وثنى العباس وركه فنزل وهو يقول :

وتصدّ عنك مَخِيلةَ الرجل الـ * ـعِرِّيِض مُوضِحةٌ عن العَظْم

بُحسام سيفك أو لسانك والـ * ـكَلِمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلْم

---

(١) عبارة الفتوغرافية «وبيده صفيحة له يمانية يقلبها وهو على فرس له صعب فبيناهو يقلبها (وليفته؟) ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ» .

ثم غضَّن فَضَلات درعه فى حُجْزته ودفع قوسه إلى غلام له أسود يقال له : أسلم كأنى أنظر إلى فَلافل شعره ثم دَلَف كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه فذكرت بهما قول أبى ذؤيب:

فتنازلا وتواقفتْ خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُخَدَّع

وكف الناس أعنَّة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكالحا بينهما مَلِيّاً من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأْمته إلى أن لحظ العباس وَهْياً فى درع الشأمىّ فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثُنْدُوَته ثم عاد لمجاولته وقد أَصْحر له مفتّق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره وخرّ الشامى لوجهه وكبَّر الناس تكبيرة ارتجَّت لها الأرض من تحتهـم وٱنشامَ العباس فى الناس [وٱنساع أمره] و إذا قائل يقول من ورائى:﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾فالتفتُّ وإذا أمير المؤمنين رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب، فقال: يا أبا الأغر، من المُنازِل لعدوّنا؟ فقلت : هذا ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، ياعباس ألم أنهك وابنَ عباس أن تخلّا بمركزكما أو تباشرا حربا ؟ قال : إن ذلك . يعنى نعم. قال: فما عدَا مما بدَا؟ قال: فأُدعى إلى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوّك . ثم تغيّظ وٱستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطأمن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال : اللهـم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهـم إنى قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسّف معاوية على عرار وقال:متى يَنْطِفُ فحلٌ بمثله ! أيُطَلّ دمه! لاها اللهِ ذا. ألا لله رجل يَشْرِى نفسه يطلب بدم عرار؟ فٱنتدب له رجلان من لخم . فقال : اذهبا فأيّكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه إلى البراز فقال : إن لى سيدا أريد أن أُؤامره . فأتى عليّاً فأخبره الخبر، فقال علىّ : والله

لودّ معاوية أنه ما بقى من هاشم نافخُ ضَرَمَةٍ إلا طُعِن فى نَيْطه[1] إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلّا أن يُتِمَّ نورَه ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنّهم منا رجال، ورجال يَسُومونهم الخسفَ حتى يَحْفِروا الآبار ويتكفَّفوا النـاس . ثم قال : يا عباس ناقلْنى سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصـد الخميين . فلم يَشُكَّا أنه العباس فقالا له : أذن لك صاحبك؟ فحَرِجَ أن يقول نعم ، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنمـا أخطأه ، ثم برز له الآخر فألحقه بالأول، ثم أقبل وهو يقول :﴿ الشَّهْرُ الْحَـرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ثم قال: يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى، فإن عاد لك أحد فعُدْ إلىّ ، ونُمِى الخبر إلى معاوية فقال : قبح الله اللَّجاج إنه لَقَعُود ما ركبته قط إلا خُذِلْتُ . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله الخميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيهـا الرجل فليس هذه من ساعتك. قال: وإن لم تكن، رحم الله الخميين وما أراه يفعل. قال: ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لجُحْرك . قال: قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها. قال: هى أعمتك ولولا هى لألفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا، فانظُرنْ كيف تصنع
فإن تعطنى مصرا فأربِحْ بصفقة * أخذتَ بهـا شيخا[2] يضر وينفـع

خرج الأُخَيْنس الجُهَنىّ فلقى الحُصَين العمرىّ[3]، وكانا جميعا فاتكين، فسارا حتى لقيا رجلا من كِنْدة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

---

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هـذه الجملة فى مادة "نيط" معناه : إلّا مات . ثم قال : وقيل النيط نِيَاط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به ا هـ .

(٢) فى النسخة الألمانية : "شيئا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب كما فى لسان العرب وفى الألمانية «العميرى» بالياء وفى اللسان ومجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابى .

يأكل، فلما انتهيا إليه سلّما . قال الكندىّ : ألا تضحِّيان؟(١) فنزلا . فبيناهم يأكلون مرّ ظليم فنظر إليه الكندىّ وأبّده(٢) بصره فبدَت له لَبّته، فاغترّه الحصين فضرب بطنه بالسيف فقتله، واقتسما ماله وركبا، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعْلَةٌ وصَعْل؟ قال : يوم شُرب وأكل . قال : فأنعَتْ لى هذه العُقاب . فرفع رأسه لينظر إليها فوَجأ بطنَه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لها صَخْرَة لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه فى جيران لها من مراح وجَرْم . فلما بلغ ذلك الأخينس قال :

وكم من فارس لا تزدريه * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلّ له العـزيز وكل ليث * شديد الهَصْر مسكنه العرين
علوت بياض مَفرِقه بعَضْب * يَنُوء(٣) لوَقْعه الهـامُ السَّكُون
فأمست عِرْسه ولهَا عليه * هدوء بعد ليلته أنين(٤)
كصَخْرَةَ إذ تُسائل فى مراح * وفى جَرْم، وعلمهما ظُنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلا

[خرج(٥) المهدىّ وعلىّ بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دُلامة الشاعر. فسنحت لهم ظباء فرمى المهدىّ ظبيا فأصابه، ورمى علىّ بن سليمان كلبا فعقره، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا، فقال:

ورمى المهدىّ ظبيا * شكّ بالسهم فؤادَهْ

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "تصطبحان" . (٢) كذا فى الأصل والصواب أبّده بالباء الموحدة يقال أبده النظر أى أعطاه بُدّته من النظر أى حظّه . (٣) فى الفتوغرافية «تنق» وهو من نق ينق بمعنى صوّت . (٤) كذا بالأصل وفى أمثال الميدانى :

وأضحت عرسه ولها عليه * بُعيد هدوء ليلتها رنين

(٥) زيادة فى النسخة الألمانية .

وعلىّ بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل * امرئٍ يأكل زاده]

قال أبو دُلامة : كنت فى عسكر مروان أيام زَحَف إلى شبيب الخارجىّ ، فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم فارس ينادى : من يبارز؟ فجعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله ولم يُنَهْنِهْه (١) ، فغاظ ذلك مروان ، فجعل ينْدُب الناس على خمسمائة ، فقُتل أصحاب خمس المائة ، وزاد مروان على نُدْبته فبلغ بها ألفا ، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة خمسة آلاف درهم ، وتحتى فرس لا أخاف خَوْنه ، فلما سمعت بخمسة الآلاف (١) زَقَّتُه واقتحمت الصفّ . فلما نظر إلىّ [الخارجىّ] علم أنى خرجت للطمع ، فأقبل يتهيأ لى وإذا عليه فَرْو له قد أصابه المطر فارمعلّ (٢) ثم أصابتــه الشمس فاقفعلّ (٣) وعيناه تَذَرَّان (٤) كأنهما فى وَقْبين (٥) ، فدنا منّى وقال :

وخارجٍ أخرجه حب الطمَعْ * فرّ من الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

فلما وَقَرتْ فى أذنى انصرفت عنه هاربا ، وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح؟ آئتونى به . ودخلت فى غمَار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر نديما للنعمان ، فبينا هو ذات يوم عنــده وقد دعا النعمان بتمر وزُبْد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم . فقال النعمان : أدنُ ياحارث فكُلْ ، فدنا . فقال خالد : من ذا أبيتَ اللعن ؟ قال : هــذا سيد قومه وفارسهم الحارث بن ظالم . قال خالد : أما إن لى عنده يدا . قال الحارث : وما تلك اليد ؟ قال : قتلتُ سيدَ قومك فتركتُك سيدَهم بعده . يعنى زُهَير بن جَذيمة ، قال الحارث

(١) فى الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمسة آلاف ، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما فى شرح المرادى على التسهيل . (٢) ابتلّ . (٣) تقبّض . (٤) كتب فى الفتوغرافيــة تحتها كالتفسير لها «تلوحان» . (٥) الوقب نقر فى الصخرة يجتمع فيه المـاء .

أما إنى سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزَّمَع وأُرْعدت يده، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أيَّتهنّ تريد فأنا ولُكَها؟ قال الحارث : أيَّتُهن تَهُمّك فأَدعُها؟ ثم نهض مغضَبا، فقال النعمان لخالد : ما أردتَ بهذا وقد عرفتَ فَتْكه وسَفَهه ؟ فقال : أبيت اللعن، وما تخوّف علىّ منه؟ فوالله لو كنت نائما ما أيقظنى . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من أَدَمٍ بعد هَدْأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخّرها فشقّها ثم دخل فقتله، فقال عمرو بن الإطْنابة :

عَلِّلَانِى وعلِّلا صاحبَيَّـا * وآسقيانى من المُرَوّق ريّا

إنّ فينا القِيَان يعزفْنَ بالضر * ب لفتياننا وعيشا رخيّا

يتناهين فى النعـيم ويَضْرِبْـــن خلَال القُرون مسكا ذكيا

أَبْلِغا الحارثَ بن ظالِم الرِّعْـــديد(١) والناذر النُّــذور عَلَيّا

إنمـا تقتـل النِّيامَ ولا تقـــتل يقظان ذا سـلاحٍ كَمِيّا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بليـل إلا أجابه ولم يسأله عن آسمه . فأتاه الحارث ليلا فهتف به، فخرج إليه، فقال : ما تريد ؟ قال أَعِنّى على أبل لبنى فلان وهى منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرســه وأراد أن يركب جاسرا . فقال له : البَسْ عليك سلاحَك فإنى لا آمن امتناع القوم، فاستلأم وخرج معه، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى فخذ حِذْرَك ياعمرو، فقال له : آمْنُنْ علىّ . فجزّ ناصيته . وقال الحارث :

عـلِّلانى بلذّتى قَيْــنَتَيّا * قبـل أن تبكىَ العيون عليّا

قبل أن تذكر العواذل أنى * كنتُ قِدْماً لأمرهنّ عَصِيّا

ما أُبالى إذا أصطبحت ثلاثا(٢) * أرَشيدًا دعوتَنى أم غَوِيّا

(١) فى الفتوغرافيـة «الموعود» ولعله محرّف عن « المُوعِد » كما نقل فى هامش النسخة الألمـانية عن نسخة أخرى . (٢) فى الألمـانية : أصبت .

غيرَ أَلّا أُسِرَّ لله إثما * فى حياتى ولا أخونَ صَفِيّا
بلغتنى مقالة المرء عمرو * بلغتنى وكان ذاك بَدِيّا
فخرجنا لموعد فالتقينا * فوجدناه ذا سلاح كَمِيّا
غيرَ ما نائم يُرَوِّع بالليــ * ـل مُعِدًّا(١) بكفِّه مَشْرَفِيّا
فرجعنا بالمَنِّ منّا عليه * بعد ما كان منه منّا بديا(٢)

ووفد تَمِيم بن مُرّ وبَكْر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه فجرى بينهما تفاخر فقالا: أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُنحتا ومُوِّها بالفضة وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما مَلِيّا من نهارهما، فقال بكر:

* لو كان سيفانا حديدا قَطَعا *

وقال تميم:

* أو نُحتا من جَنْدَل تصدّعا *

ففرّق الملك بينهما، فقال بكر لتميم:

* أُسَاجِلكَ العداوةَ ما بقينا *

وقال تميم:

* وإن متنا نورِّثها بَنِينا *

فأورثاها بنيهما إلى اليوم.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن خَلَف الأحمر قال: كان أبو عُرْوَة السباع يَصيح بالسبع وقد احتمل الشاةَ فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنُه فيوجد فؤاده قد انخلع. وهو مثل فى شدّة الصوت. قال الشاعر(٣) فى ذلك:

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بالقتل". (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية: «بعد منّ قد كان منّا بديا» ولعل كلمة «منّا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى.
(٣) هو النابغة الجعدىّ كما فى اللسان مادة (عرا).

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السباعَ إذا * أَشْفق أن يلتبسْنَ بالغنم

قال : وأبو عطيــة عفيف النصرىّ نادى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نَصْر لمــا رأى الخيل بعَقْوَته (١) : يا سوء صباحاه، أتيتم يابنى يربوع ! فألقت الحَبالَى أولادها، فقيل فى ذلك :

وأسقط أحبالَ النســاء بصوته * عفيفٌ لَدُنْ نادى بنصرٍ فطرّبا

فى أخبار وهب بن مُنبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفنّ أو لأصيحنّ صيحة لاتبقَ حامل بمصر إلا ألقت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيــه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْع فينادى غلمــانه وهم بالغابة فيُسْمِعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال ، وسلع جبل وسط المدينة . وكان شَبيب بن رِبْعِىّ يتنحنح فى داره فيسمع تنحنحه بالكُناسة ، ويصيح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هـــذا مؤذن سَجاح التى تنبأت [ذكر هذا خالد بن صفوان، وسمعه أبو المجيب النهدىّ فقـــال : ما سمع له بصوت أبعـــد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سجاح] (٢) .

ذم رجل الأشتر (٣) فقال له قائد : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنــه رجل يستحمله ، فقال له : خذ بعيرا من إبل الصـــدقة . فتناول ذنب بعير صعب فجذبه فاقتلعه ، فعجب عمر وقال له : هل رأيت أشدّ منك ؟ قال : نعم، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى الفوتوغرافية : «الحسين بن على عليهما السلام» وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

زوجها فنزلنا منزلا أهله خُلُوف فقرَّبتُ من الحوض فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه ذَوْد والمرأة ناحيةً فسرَّب ذوده إلى الحوض ومضى إلى المرأة فساورها ونادتنى، فما انتهيت إليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلق. فقالت المرأة: أىّ لحل هذا! لو كانت لنا منه سَخْلة! وأمهلتُه حتى امتلأ نوما فقمت إليه بالسيف فضربت ساقه فأَبَنْتُها، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرمانى برجله وأخطأنى وأصاب عنق بعيرى فقتله. فقال عمر: ما فعلت المرأة؟ قال: هذا حديث الرجل. فكرر عليه مرارا لا يزيده على هذا، فظنّ أنه قد قتلها.

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا أَشْهل بن حاتم قال حدّثنا ابن عَوْن عن عُمَير ابن إسحاق قال: كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون. وأبو مِحْجَن فى الوَثَاق عند أم وَلَد لسعد فأنشأ يقول:

كفى حَزَنا أن تلتقِ[1] الخيلُ بالقنا * وأُترَكَ مشدودا علىّ وَثَاقِيَا

إذا شئتُ غنَّانى الحديدُ وغُلّقت * مغاليق من دونى تُصِمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد: أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع إلىّ حتى أعيدك فى الوثاق؟ قال نعم، فأطلقته فركب فرسا بَلْقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول: لولا أن أبا محجن فى الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى. فانكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته فى الوثاق وأتت سعدا فأخبرته، فأرسل إلى أبى محجن فأطلقه وقال: والله لا حبَستك فيها أبدا. يعنى الخمر، فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا. وقال الشاعر[2]:

سأغسل عنى العارَ بالسيف جالبا * علىّ قضاءُ الله ما كان جالبا

(١) فى النسخة الألمانية «تطعن». (٢) هو سعد بن ناشد المازنى كما فى اللسان والحماسة.

وأذهل عن دارى وأجعل هدمَها * لعِرْضِىَ من باقى المذمّة حاجبا
ويصغُر فى عينى تِلَادِى إذا آنثنتْ * يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
فيَـا لِرِزَامٍ رَشِّحوا بى مُقَـــدِّما[1] * إلى الموت خوّاضا إليـه الكرائبا
إذا همّ لم يَرْدع كــريمةَ همه[2] * ولم يأت مايأتى من الأمر هائبا
أخا غَمَـراتٍ لا يريد على الذى[3] * يَهُمُّ به من مُقْطِع الأمر صاحبا
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَـــه * ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشِرْ فى رأيه غير نفســه * ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا
عليكم بدارى فأهــدموها فإنها * تراث كريم لايخـاف العواقبا

وقال رجلٌ[4] من بنى العنبر :

لو كنت من مازن لم تَسْتَبِحْ إبلى * بنو اللَّقِيطة من ذُهْل بن شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعْشَر خُشُنٌ * عنـد الكريهة إن ذو لُوثَةٍ لانا
قوم اذا الشرُّ أبدى ناجذَيْه لهم * طاروا إليـه زَرَافاتٍ ووُحْدانا
لكنّ قومى وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرّ فى شىء وإن هانا
يَجْزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً[5] * ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأنّ ربّك لم يخلُقْ لخشْيته * سواهُمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهـمُ قوما إذا ركبوا * شَنُّوا الإغارةَ فُرْسانا ورُكْبانا
لا يسألون أخاهم حين يندُبُهم * فى النائبات على ما قال برهــانا
لكن يطيرون أشتاتا إذا فَزِعوا * وينفِرون إلى الغارات وُحدانا

(١) فى الحماسـة "الكتائبا" . (٢) فى الحماسة "لم تُرْدع عزيمة همه" .
(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التى يهم بها من مقطع الأمر» .
(٤) هو قُرَيط بن أُنَيف كما فى الحماسة . (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا» .

وقال آخر :

ولئن عَمِرْتُ لأشفيَنّ النفسَ من تلك المَسَاعى * ولأُعلمنّ البَطْن أنّ الزاد ليس بمُستطاع

أمّا النهار فرأى أصحابى بمَرْقَبةٍ يَفَاع * أثَرُ الشجاع بها كَسْرِ دِ الخَرْز فى سَيْرِ الصَّنَاع

تَرِدُ السباعُ معى فأُلْفَى كالمُدِلّ من السباع

وقال آخر :

إنا مُحيوكِ ياسَلْمى فحيّينا * وإن سَقَيتِ كرامَ الناس فاسقينا

إنّا لَنُرْخِصُ يوم الرَّوْع أنفسنا * ولو نُسامُ بها فى الأمْن أُغْلينا

بِيضٌ مفارقُنا تَغْلِي مراجلُنا * نَأْسُو بأموالنا آثار أيدينا

وقال المَعْلُوط :

ألم تَرَنى خُلِقت أخا حروب * إذا لم أَجْنِ كنت مِجَنّ جانِى

وقال آخر[(١)] :

لعَمْرى لقد نادى بأرفع صوته * نَعِيّ سُوَيد[(٢)] أنّ فارسَكم هَوَى

أجلْ صادقًا والقائلَ الفاعلَ الذى * إذا قال قولا أَنْبَطَ الماءَ فى الثرى

فَتًى قَبَلٌ لم تَعْنُس[(٣)] السنّ وجهَه * سوى خُلْسة[(٤)] فى الرأس كالبرق فى الدُّجَى

(١) هو سُوَيْد المراثد الحارثى كما فى الحماسة واللسان فى مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفى الفتوغرافية «نعى جوى» ، وفى الكامل «نعىّ حَيّ» . (٣) لم تعنس : لم تغير . (٤) كذا بالحماسة واللسان ، و فى الأصل «شهب» . وقد ذكره اللسان فى مادة «خلس» وقال أبو زيد : أخلس رأسه فهو مخلس وخليس إذا ابيضّ بعضه فإذا غلب بياضه سواده فهو أغثم .

أشـارت له الحرب العَوانُ فجاءها * يُقَعْقِـع بالأَقْراب[1] أوّلَ من أتى
ولم يَجْنِها لكن جناها وليّــه * فآسَى فآداه فكان كمن جنى

وقال بَشَامَةُ :

إنا بنى نَهْشَـلٍ لا نَدّعِى لأب * عنـه ولا هو بالأبنـاء يَشْرِينا
إن تُبْتَـدَر غايَةٌ يوما لَمكْرُمَــة * تَلْقَ السوابقَ منـا والمُصَـلّينا
إنا لَمِنْ معشر أفنى أوائلَهــم * قِيلُ الكُمَاة ألا أين المحـامونا
لوكان فى الألف منا واحد فدعَوْا * مَنْ فارسٌ[2] ؟ خالهم إيّاه يَعْنُونا

وقال زهير :

يَطْعَنُهُم ما ٱرتَمَـوْا حتّى إذا ٱطَّعَنوا * ضَارَبَ حتى إذا ما ضاربوا ٱعْتَنَـقا

وقالت امرأة من كِندة :

أَبَوْا أن يَفِرّوا وٱلقَنا فى نحورهم * ولم يَرْتَقُوا من خَشْـية الموت سُـلّما
ولو أنهـم فـرّوا لكانوا أَعِزّة * ولكنْ رأَوا صَبْرًا على الموت أكْرما

وقال آخر :

بنى عَمِّنا رُدُّوا فُضُـولَ دمائنـا * يَنَمْ لَيْلُكم، أوْ لا تَلُمْنا اللّوائمُ
فإنا وإياكم وإن طال تَرْكُكُمْ * كَذِى الدَّينِ ينأَى ما نأى وهو غارم

وقال أبو سعيد المَخْزُومىّ وكان شجاعا :

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بالجمر مُكْتَحِلٍ بالنَّبْل مُشْـتَمِلِ
لا يشرب المـاء إلا من قَليبِ دم * ولا يبيت له جارٌ على وَجَـلِ

(١) فى الأصل «فى الأقراب» والذى فى الصلب عن الحماسة

(٢) كذا بالحماسة وفى الأصل «عاطف» .

وقال عبد القُدُّوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بَشِير :

نَدًى تَحْكُمُ الآمالُ فيـه ، ونجدةٌ * تَحَكَّمُ فى الأعداء بالأسْرِ والقتل

وقال آخر :

ضربنـاكُمُ حتى إذا قام مَيْلُكم * ضربنا العِدَا عنكم بأبيض صارم

تمثَّل زيد بن على يوم قُتِل بقول القائل :

أذُلّ الحيـاة وعِزّ الممات * وَكُلًّا أراه طعـاما وَبِيـلا

فإن كان لا بُدّ من واحد * فسيروا إلى الموت سيرا جميلا

وقال قَيْس بن الخَطِيم

أَبْلِـجُ لا يُهَـمُّ بالفِرار * قد طاب نفسًا بدخول النار

وقال آخر (١) :

ومَنْ تكنِ الحضارةُ أعجبتْه * فأىَّ رجالِ باديةٍ تَـرانا

ومَن رَبَط الجِحَاش فإن فينا * قَنًا سُـلُبًا وأفراسا حِسَـانا

وكُنّ إذا أغَرْن على قبيـل * فأَعْوزهن كونٌ حيث كانا (٢)

أغرن من الضِّباب على حِلالٍ (٣) * وضَبَّةَ إنه من حان حانا

وأحيـانا نـكرّ على أخينا * إذا مالم نجـد إلا أخانا

وقالت الخَنْساء :

تَعَرَّقَنِى الدهرُ نَهْسًـا وحَزًّا * وأوجعنى الدهر قَرْعا وغَمْزا

(١) هو القطامى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة :

وكن إذا أغرن على جَنَاب * وأعوزهن نَهْبٌ حيث كانا

(٣) جمع حِلّة بكسر أوله،وهى كما فى القاموس القوم النُّزول ، وفى ديوان الحماسة : «حلول» جمع حالّ والحى الحلول الذين يكونون فى مكان واحد .

وأفنى رجالى فبـادُوا معـا * فأصبح قلبى بهم مســتَفزّا
ومن ظن ممن يلاقِى الحروب[1] * بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

وفيها تقول :

ونلبَس للحرب أثوابهـا * ونلبس فى الأمن خزّا وقـزّا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لَبُوسها .

وقال عبد الله بن سَبْرة الحَرَشى[2] حين قُطعت يده :

وَيْلُمِّ جارٍ غداةَ الجَسْر فارقـنى * أعزِزْ علىّ به إذ بان فانصـدعا
يُمـنَى يدىّ غدتْ منّى مفارقة * لم أستطع يوم خِلْطاس[3] لهـا تبعا
وما ضَنِنتُ عليهـا أن أصاحبها * لقـد حَرَصت على أن نستريح معا
وقائـلٍ غاب عن شأنى وقائلة * ألّا اجتنبتَ عـدوّ الله إذ صُرِعا
وكيف أتركه[4] يمشى بمنصُـــله * نحوى وأجبنُ عنـه بعدما وقعـا
ما كان ذلك يوم الرَّوْع من خُلُقى * وإن تقارب منى الموت واكْتنَعا
ويْلُمِّـــه فارسـا ولَّتْ كتيبتُه * حَامَى وقد ضيَّعوا الأحسابَ فارْتجعا
يمشى إلى مُستميتٍ مثـلِه بَطَلٍ * حتى إذا مَكَّنا سـيفيهما امْتَصَعا
كلٌّ ينوء بماضى الحَدِّ ذى شُطَبٍ * جَلَّى الصَّـيَاقلُ عن دُرِّيِّه[5] الطَّبَعا
حاشيته[6] الموت حتى اشتفّ آخرَه * فمـا استكان لمِـا لاقَى وما جَزِعا

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للمبرد ، وفى النسخة الألمانية «يقاسى» .

(٢) فى الأصـل الفتوغرافى «الجرشى» ويوافقه ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه «الحَرَشى» قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحريش بن كعب فنهم مطرف بن عبدالله بن الشِّخِّير وزُرارة بن أوفى وعبدالله ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى اهـ . (٣) فى الأمالى «فلطاس» . (٤) فى النسخة الفتوغرافية «أنكبُه» . (٥) كذا بالأصل يعنى تلأْلؤه و إشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى «ذَرِّيِّه» والذَّرِّىُّ فِرِنْد السيف وماؤه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن « حاسيته » بالسين المهملة .

كأنّ لِمّتَه هُــدّابُ مُخْمَــلةٍ * أحمرُ أزرقُ[1] لم يَشْمَطْ وقد صَلِعا
فإن يكن أُطْرُبُونُ الروم قطّعها * فقــد تركتُ بها أوصاله قِطَعا
وإن يكن أُطْرُبُونُ الروم قطّعها * فإنّ فيها بحمــد الله مُنْتَفعا
بَنانتانِ وجُذْمُور[2] أقيمُ بها * صــدر القناة إذا ما آنسوا فَزَعا

وقال بعض الشعراء :

إن لنـا من قومنا ناصرةً * بيضَ الظُّبا سُمْرَ القنَا شُهْبَ اللِّمَمْ
يستنفرون[3] الموتَ من مَجْثِمــه * ويبعثون الحرب من عَقْد السَّلَمْ
أُولاك قيسٌ قومُنا أكرِمْ بهــم * قيسُ النّدى قيس العُلا قيس الكرَمْ

وقال جعفر بن عُلْبة الحارثى :

لِيَهْنِ عُقَيلا أنني قــد تركتُها * بنوءٍ بقَتْلاها الذئابُ الهَوامل[4]
لهم صدرُ سيفي يومَ بُرْقة مَخْبَلٍ * ولى منه ما ضُمّت عليه الأنامل
إذا القوم ستّوا أزْقاقوَجتْ لنا * بأيماننا بيضٌ جلَتْها الصَّياقل

وقال عمرو بن مَعْديكرب :

أعاذِلَ شِــكّتى بَزّى ورمحى * وكلّ مقلّص سَلِس القياد
أعاذِلَ إنمـا أفنى شــبابى * ركوبٌ فى الصَّريخ إلى المنادى

قال أبو دُلَف :

لقــد علمتْ وائلٌ أننـا * نخوضُ الحُتُوفَ غداةَ الحتوفِ
ولا نتّقيها بزَحْف الفِـرار * إذا ما الصفوف انبرتْ للصفوف

(١) كذا بالأصل وهى محرّفة عن «أحمّ» واَلحُمّة كما قال ابن سيدة لون بين الدُّهْمة والكُمْتة .
(٢) الجذمور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) فى النسخة الألمانية «يبتغون» .
(٤) فى الأصلين : * تبوء بقتلاها دماء هوامل * وقد أخذنا ما فى الأصل عن هامش النسخة الألمانية .

ويوم أفاءتْ لنا خيلُنا * لدى جبــل الدَّيْلَمِىّ المُنِيفِ
طِــوَالَ الفتى بطوال القنــا * وبيضَ الوجوه بيضِ السيوفِ
وكلَّ حَصَــان بكلِّ حِصَــان * أمينٍ شَــظَاه سليم الوَظِيف
ألا نعِّـــمانى فما نعمـــتى * برادعتى عن ركوب المخوف
لىَ الصــبر عنــد حلول البَلا * إذا نزلت بىَ إحدى الصُّروف
وإن تسألى تخـبَرِى أننى * أَقى حســبى بأُلوف الألوف
وأحلُم حتى يقــولوا ضــعيفٌ * وما أنا — قدعلموا — بالضعيف
خفيف على فرسى ما ركبت * ولســت على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

قال ابن اسحاق : لمــا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبرونى ممن أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال الشيخ : خُبِّرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ، فإن كان الذى خبّرنى صدَق فهى اليوم بمكان كذا ، للوضع الذى به قريش . وخُبِّرت أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا ، فإن كان الذى خبّرنى صدَق فهو اليوم بمكان كذا ، للوضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول : نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال حدّثنى شيخ من بنى العنبر قال : أسرتْ بنو شيبان رجلا من بنى العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلى ليَفْتدونى . قالوا : ولا تكلِّم

الرسولَ إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : آئت قومى فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلى فقل لهم : عَرُّوا جملى الأَصْهب وآركبوا ناقتى الحمراء وسَلُوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا إلى حارث فقصّ عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم : أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله: «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشِّكَاء للغَزْو، وهى أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شَكْوة. وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثلَ الليل أو فى الليل . وقوله : «عرُّوا جملى الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصَّمَّان . وقوله : «اركبوا ناقتى الحمراء» يريد اركبوا الدَّهْناء. قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .

أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لمـا قدم البصرة فقال: ائت الزبير ولا تأت طلحة فإن الزبير أَلْين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصًا قَرْنه، يركب الصعوبة ويقول هى أسهل، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق، فما عَدَا مما بَدَا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد، وأُمٌّ مبرورة، ومشاورة العشرة، ونشر المصاحف، نحلّ ما أحللت ونحرّم ما حرمت .

الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجى على غلام فى الفرات يستنقع فى المـاء، فقال له شبيب : اخرجْ إلىّ أسائلك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعمْ . قال : فوالله لا ألبسه .

قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهُرْمُزان . فآستسقى فأُتى بماء فأمسكه بيده وآضطرب، فقال له عمر : لا بأس عليك، إنى غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمنّى ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العُتبى : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِضَاه الأشعرى إلى ابن الزبير فقال له : إن أوّل أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست فى عنق بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش، قد سمعتم ماقال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائنى قال : أقبل واصل بن عطاء فى رُفْقة فلقيهم ناس من الخوارج، فقالوا لهم : من أنتم؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فاعرِضوا علينا. فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا. قالوا : فٱمْضُوا راشدين. قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبْلِغونا مأمننا. قال الله تعالى:(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمننا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنهم .

وقال معاوية : لا ينبغى أن يكون الهاشمى غير جواد ولا الأموى غير حليم ولا الزُّبيرى غير شجاع ولا المخزومى غير تيّاه . فبلغ ذلك الحسن (١) بن على فقال : قاتله الله! أراد أن يجود بنو هاشم فينفَد ما بأيديهم، ويحلُم بنو أمية فيتحبّبوا إلى الناس، ويتشجّع آل الزبير فيفنَوْا، ويَتِيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عِرْبَاض اليهودى وهم بحَرُورَى فقال : هل خرج إليكم فى اليهود شىء ؟ قالوا : لا . قال : فٱمضوا راشدين .

المدائنى قال : لما بلغ قتيبةَ بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلّب كتب إليه ثلاث صحائف، وقال للرسول: ادفع إليه هذه، فإن دفعها

(١) فى النسخة الألمانية : الحسين .

إلى يزيد فادفع إليه هـذه ، فإن شتمنى عند قراءتها فادفع إليه الثالثة . فلما صار إليه الرسول دفع إليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه إلى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمنُ ابن دَحْمَة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشتم قتيبةَ ، فدفع إليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم إلى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأُوَثِّقَنَّ لك آخِيَّةً لا ينزعها المهر الأَرِنُ . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . ياغلام ، جدِّد له عهده على خراسان .

لما صرف أهلُ مِزّة الماءَ عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب إليهم أبو الهِنْدام[1] : إلى بنى آستها أهلِ مزة ، ليمسِّينى الماءُ أو لتصبِّحنكم الخيل . فوافاهم الماء قبل أن يُعْتِموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُنْبِى عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص ، فكتب إليه يزيد : أما بعد فإنى « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام .

ولما هُزِم أمية بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد لم يَدْرِ الناسُ كيف يعزّونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأَهْتم فقال : [مرحبا بالصابر المخذول][2] الحمد لله الذى نظَر لنا عليك ولم ينظُر لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام إليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عاملَ يزيد بن معاوية على مكة — إلى مسلم بن عُقْبة المُرّىّ ، فأتاه الكتاب وهو بآخر رمق ، وفى الكتاب : أصلح الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : أبو الهيذام . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية .

الأمير، إنّ ابن الزبير أتانى بما لا قِبَل لى به فأنحزتُ . فقال : ياغلام اكتب إليه : أمّا بعد:فقد أتانى كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فانحزت . وَايْمُ الله ما أبالى على أىّ جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبّهما إلىّ ، وبالله لئن بقيتُ لك لأُنزلنّك حيث أنزلت نفسك والسلام .

أبو حاتم قال، حدّثنـا العتبى قال حدّثنا إبراهيم قال : لمـا أسنّ معاوية اعتراه أرق فكان إذا هَوَّم أيقظتْه نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال : يامعشر العرب، هل فيكم فتى يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث دِيَات أعجِّلها له وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غَسّان فقال : أنا ياأمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبى(١) إلى ملك الروم، فإذا صرتَ على بساطه أذّنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال لقد كلّفتَ صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذّن، فتناجزتِ البطارقة واخترطوا سيوفَهم فسبق إليه ملكُ الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه لمـا كفّوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه(٢)، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسنّ وقد أُرِق وقد آذته النواقيس، فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل مَنْ قِبَلَه منّا ببلاده على النواقيس، والله ليرجعنّ إليه بخلاف ماظنّ . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أو قد جئتنى سالمـا ؟ قال : نعم، أمّا من قِبَلِك فلا .

وكان يقال : ما ولى المسلمين أحد إلا ملَكَ الرومَ مثلُه إن حازما وإن عاجزا . وكان الذى ملَكهم على عهد عمر هو الذى دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العـدوّ، وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاويةَ فى حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتى من قِبَلهم الدنانير، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابى الخ . (٢) فى النسخة الألمـانية : يديه .

عبدالملك أوّل من كتب (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الطَّوَامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم فى طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فانْهَ عنه وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذكره ما تكرهون. فكَبُر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدَع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه فى الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات طَبَق(١)، وأخبره الخبر. فقال : لِيُفْرِخْ رُوعُك، حَرِّمْ دنانيرهم وٱضرب للناس سِكَكا ولا تُعْفِهم مما يكرهون . فقال عبد الملك : فرّجتَها عنّى فرّج الله عنك .

حدّثنا الرياشيّ قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمتَ الكنيسة التى رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب إليه الوليد: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ) إلى آخر القصة .

حدّثنا الزياديّ محمد بن زياد قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدّثنا علىّ ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك، أمّا بعد: فأنبئنى بأحبّ كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومَن أكرمُ عباده إليه وأكرم إمائه، وعن أربعة أشياء فيهنّ الروح لم يَرْتكِضْنَ فى رحم، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان فى الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرّة ما موضعها من السماء، وقوس قُزَح وما بدء أمره؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم ٱلعنه! ما أدرى ما هذا! . فأرسل إلىّ يسألنى فقلت : أمّا أحب كلمة إلى الله فلا إلٰه إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهى المنجية، والثانية سبحان الله وهى صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة

(١) بنات طبق : الدواهى .

لاحول ولا قوة إلا بالله . وأمّا أكرم عباد الله إليه فآدم خلقه بيـده وعلّمه الأسماء كلّها ، وأكرم إمائه عليـه مريم التى أحصنت فرجها . والأربعة التى فيهنّ روح ولم يرتكضن فى رحم فآدم وحوّاء وعصا موسى والكبش . والموضع الذى لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى وبنى إسرائيل . والقبر الذى سار بصاحبه فبطن الحوت الذى كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتبىّ عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعـدهما بين يديه وجعـل يسألهما عن أعمالهما إلى أن اعترض عمرو فى حديث معاوية ، فقـال له معاوية : أعلىّ تعيب وإلىّ تقصد؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملى . قال عمرو : فعلمت أنه بعملى أبصر منى بعمله وأنّ عمر لا يدَع أوّل هذا الحديث حتى يأتى على آخره، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدى فلطمتُ معاوية، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفَه منك، يامعاوية ٱلطمه . فقال معاوية إنّ لى أميرا لا أقضى الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبى سفيان فلما رآه ألقى له وِسَاده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلىّ ؟ أخوه وٱبن عمه وقد أتى غيرَ كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال ذكر بِشْر بن أَرْطاة عليا فنال منه فضرب زيد بن عمر — وأمّه ابنة علىّ بن أبى طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت ؟ وَثَبْت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقـال أتدرى ما صـنعت ؟ وثبت على ٱبن الفاروق وٱبن على بن أبى طالب تسـبّه وسط الناس وتزدريه، لقد أتيت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشىء وإلى هذا بشىء .

المدائني قال : كان ابن المقفع محبوسا فى خَراج كان عليه وكان يعذَّب، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعيَّن[(١)] من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال المختار : ادعو إلى المهدىّ محمد بن الحَنَفِية . فلما خشى أن يجىء قال : أما إنّ فيه علامة لا تخفى، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعى عرَّضه لأن تجرّب به .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عَوَانة بن الحَكَم الكلبى قال : ولّى علىّ رضى الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطُرًا مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر. هل لك فى شربة من سويق أَجْدَحُها لك؟ قال : نعم . فجَدَح له بعسل وجعل فيها سمًّا قاضيا فلما شربها يبس، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردَها على الكبد ! «إنّ لله جنودا منها العسل» . وقال علىّ: «لليدين وللفم» .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد[(٢)] قال نظر علىّ إلى ولد عثمان كأنهم مستوحِشُون فسألهم فقالوا نُرمى بالليل، فقال: من أين يأتيكم الرمى؟ قالوا: من ههنا. فصعد علىّ ولفّ رأسه ثم جعل يرمى وقال : إذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمى . قال محمد بن كعب القُرَظىّ : جاء رجل إلى سليمان النبى عليه السلام فقال يا نبىّ الله: إنّ لى جيرانا سرقوا إوزّتى فنادى : الصلاةَ جامعةً . ثم خطبهم فقال فى خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل على رأسه، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) العَين والعِينة الربا، وعيَّن التاجرُ وتعيَّن أخذ بها .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية ''أبى الزياد'' .

أخذ الحكم بن أيوب الثّقفى عاملُ الحجاج إياسَ بن معاوية فى ظِنّة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجى منافق وشتمه، ثم قال آئتنى بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بى منك . قال : وما علمى بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : ففيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلّى سبيله .

دخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا، فقال له عبـد الملك : أليس قد ردّك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رُدّ عليـك فقد رُدّ على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف الى الضّحّاك بن مُزَاحِم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمنعنى من ذلك حبّى للخمر . قال فأسلِمْ وآشربها . فأسلم، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمـر حددناك وإن رجعت عن الإسـلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أمّ أَفْعى العَبْدية على عائشة رضى الله عنها فقالت : ياأم المؤمنين ما تقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين فى امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوّة الله .

العتبىّ قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أمّا بعد فإنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال . إنى والله قد لبستُكم فأخلقتُكم ورَقَعت بكم فآخترقتكم ثم وضـعتكم على رأسى ثم على عينى ثم على فمى ثم على بطنى . وَآيْمُ الله لئن وضعتكم تحت قدمى لأطأنّكم وَطأة أُقِلّ بها عددكم وأُذِلّ غابرَكم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثّل

لعـل الحـلم دل علىّ قومى ✱ وقد يُستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسـونى ✱ فمعـوجٌ علىّ ومسـتقيم

أبو حاتم قال حدّثنا أبو عبيدة قال : أُخذ سُرَاقة بن مِرْداس البارقىّ أسيرا يوم جَبَّانة السَّبيع ، فقدم فى الأسرى فقال :

امنُنْ علىّ اليوم يا خيرَ معدّ * وخيرَ من حلّ بصحراء الجَنَدْ (١)

* وخير من لبّى وصلّى وسجدْ *

فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق (٢) بن الأشعث عليه فجىء بسراقة أسيرا فقال له المختار : ألم أعفُ عنك؟ أما والله لأقتلنّك . قال : إنّ أبى أخبرنى أن الشأم ستُفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلنى . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنا نَزْوةً كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بَطَرا وحَيْنا

نراهم فى مَصَفِّهم قليلا * وهم مثل الدَّبا لما ٱلتقينا

فأسجح إن قدرت فلو قدرنا (٣) * لجُرْنا فى الحكومة وٱعتدينا

تقبّل توبةً منى فإنى * سأشكر إن جعلتَ النَّقْد دَيْنا

فخلّى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقة فأُخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا عدو الله ، فقال سراقة : ما هؤلاء الذين أخذونى! فأين هم؟ لا أراهم! إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض . فقال المختار : خلُّوا سبيله ليخبر الناس . [ثم (٤) عاد لقتاله وقال:

ألا مَن مخبر المختار عنى * بأن البُلْق بيض مصمتات (٥)

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بشجر والجند" وهو محرّف وصوابه كما فى الطبرى "بشحر والجند" .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية "عبد الرحمن" وقد صوبه فى هامشها بأنه إسحاق ويرجحه ما فى الطبرى والعقد الفريد .

(٣) فى النسختين «إن» وفى ابن جرير «فاسجح إذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الطبرى:

ألا أبلغ أبا إسحاق إنى * رأيت البلق دهما مصمتات

أرى عيـــنىّ ما لم ترْأياه * كلانا عالم بالــتُّرَّهات
كفرتُ بدينكم وجعلت نذرا * علىّ قتالَــكم حتى الممات]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وكانت له عَنَزة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعةَ الطريق فيمرّ بها المارّ فيأخذها، فإذا صار إلى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علىّ رضى الله عنه فقال: لأخبرنّ النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرتَه لا تُرَدّ بعدها ضالةٌ أبدا . فأمسك علىّ .

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أُسامة عن زائدة عن سِماك عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون: يكون فى هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحمقكم! إنّ بعد الاثنى عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدى يسلمها إلى الدجّال . قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن ولد المهدىّ يكونون بعده إلى خروج الدجال .

وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علىّ بن أبى طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فحَرُورية مارقة وأعراب كأعْلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى . وأما أهل الشأم فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النِّحَل ولم تَشْغلها ديانة ولم يتقدّم فيها فساد وليست لهم اليوم هممُ العرب ولا فيهم كتحازُب

الأتبــاع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر ، ولم يزالوا يُذَالُون ويُمتهنون ويُظلمون ويَكظمون ويمّنون الفرج ويؤمّلون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولِحًى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعدُ فكأنى أتفأّل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

وقال سعيد بن عمرو بن جَعْدة المخزومى : كنت مع مروان بن محمد بالزّاب فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه؟ قلت : نعم، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفرًّا رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية؟ فقال : بلى قد عرفته والله، يابن جعدة ليت علىّ بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إنّ عليا وأولاده لا حظّ لهم فى هذا الأمر، وهذا رجل من بنى العباس ومعــه ريح خراسان ونصر الشأم، يا بن جعدة أتدرى لم عقدتُ لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبــد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدتِ الذى يلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله، فكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك .

وكتب مروان إلى عبد الله بن علىّ : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا إليكم ،فإذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم . فكتب إليه عبد الله إنّ الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسِيرهم وأنهم لم يزالوا على آستقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترَفين فكانت هممهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصدَ الشهوات وإيثارَ اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمنًا لمكره، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله[1] بن مروان لمـا دخل أرض النُّوبة هاربا فيمن معه سأل ملكُ النوبة عنهم فأُخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هـذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلِم لى فافترشته بها وأقمت ثلاثا ، فأتانى ملك النوبة وقد خُبِّر أمرَنا ، فدخل علىّ رجل طُوَال أَقْنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال : لأنى ملك ، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعـه . ثم قال لى : لم تشربون الخمر وهى محرّمة عليكم ؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنّ الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهّالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرّم عليكم؟ قلت : ذهب الملك منـا وقلّ أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليًّا وجعل يقلّب يديه وينكُت فى الأرض [ويقول[2]: عبيدنا وأتباعنا دخلوا فى ديننا وزال الملك عنا ! يردّده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنـه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزوّدوا ما آحتجتم إليه وآرتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولمـا آفتتح المنصور الشأم وقتـل مروان قال لأبى[3] عون ومن معـه من أهل خراسان : إن لى فى بقيـة آل مروان تدبيرا فتأهبوا يوم كذا وكذا فى أكمل عُدَّة ، ثم

(١) فى الفتوغرافية «عبيدالله» . (٢) فى الفتوغرافية بدل هذه الجملة «وينكت فى الأرض ويردّد كلامى ثم قال الخ» . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده ما فى الكامل للمبرد أنها وقعت مع عبد الله بن على وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور .

بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم فجُمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم فى العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلا فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولَّدهم[(١)] ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي : ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولَّدْتُهم . قال : فانصرفْ ودع القوم . فأبى أن يفعل وقال : إنى خالهم ومنهم . فلما آستقرّ بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب ؟ ليدخل ، فأيقن القوم بالهلكة ، ثم خرج الثانية فنادى : أين الحسن بن علىّ؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى : أين زيد بن علىّ بن الحسين ؟ ثم خرج الرابعة فقال : أين يحيى بن زيد[(٢)] ؟ ثم قيل : ائذنوا لهم . فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد[(٣)] وكان له صديقا فأومأ اليه : أن ارتفعْ . فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين : اجلسوا . وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال : أين العَبْدىّ الشاعر؟ فقام وأخذ فى قصيدته التى يقول فيها :

أما الدُّعاة الى الجِنَان فهاشم * وبنو أميّة من دعاة النار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر : يابن الزانية . فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال : امض فى نشيدك . فلما فرغ رمى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول القائل:

ولقد ساءنى وساء سوائى * قربهم من منابر[(٤)] وكراسى

أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والإتعاس

[لا تُقِيلنّ عبدَ شمس عِثَارا * وآقطعوا كل نخلة وغِرَاس][(٥)][(٦)]

واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المِهْراس

---

(١) ربّاهم . (٢) فى الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن على بن الحسين .

(٣) فى الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .

(٤) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «نمارق» ولعله فى الكامل للبرد .

(٥) زيادة فى النسخة الألمانية . (٦) كذا بالأصل ، وفى الكامل للبرد «كل رَقْلة وأواسى» وقال : الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسيَة: وهى أصل البناء بمنزلة الأساس .

ثم قال لأهل خراسان : دِهِيدْ(١) . فشُدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبىّ فقال : أيها الامير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال :

وَمُدخِلٍ رأسَه لم يُدْنِه أحد * بين القرينين حتى لزّه القَرَنُ

ثم قال : دهيد . فشُدخ الكلبى معهم ثم التفت إلى الغمر فقال : لا خير لك فى الحياة بعدهم . قال : أجلْ ، فقُتل ثم دعا ببَرَاذِعَ فألقاها عليهم و بسط عليها الأَنْطاع ودعا بغدائه فأ كل فوقهم و إن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ عقَلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم فجُرُّوا بأرجلهم وأغنم أهلَ خراسان أموالَهم ثم صُلبوا فى بستانه . وكان يأ كل يوما فأمر بفتح باب من الرُّواق إلى البستان فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أحبّ إلى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال :

حسبتْ أميةُ أن سترضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلّا وربِّ محمد وإلٰهه * حتى تُباح سُهولها وحُزونها
وتَذِلَّ ذُلّ حليلةٍ لحليلها * بالمَشْرفىّ وتُستردّ ديونها

وأُتى المهدىّ(٢) برجل من بنى أمية كان يطلبه فتمثل بقول سُدَيف شاعرهم

جرِّد السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أُمَوِيّا
لا يغرّنْك ما ترى اليوم منهم * إنّ تحت الضلوع داء دَوِيّا

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول :

شُمْس العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما إذا قدَروا

فقال المهدىّ(٢) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

(١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المنصور» .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد فى المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعْنا نجلس فى هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا فى عافية.

وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصورَ يطوف حول الكعبة فى قُرْطين يقول: إن يُرِدِ الله بأمة محمد خيرا يُوَلِّ أمرَها هذا الشابَّ من بنى هاشم. وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف، قال: ياأبا عثمان سَلْ حاجتَك. قال: حاجتى ألّا تبعث الىّ حتى آتيك ولا تعطينى حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور:

كلُّكم ماشِى رُوَيْدْ * كلُّكم خاتِلُ صيدْ
* غيرَ عمرِو بن عُبَيْدْ *

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال:

صلّى الإلٰه عليك من متوسِّد * قبرا مررتُ به على مَرّانِ
قبرا تضمَّن مؤمنا متحنِّفا * صدَق الإلٰهَ ودان بالقرآن
وإذا الرجال تنازعوا فى سنّة * فصَل الحديثَ بحكمة وبيان
فلوأنّ هذا الدهر أبقى صالحا * أبقى لنا حيّا أبا عثمانِ

قال الوَضّاح بن حبيب: كنا إذا خرجنا — يعنى أصحابه — من عند المنصور صرنا إلى المهدىّ وهو يومئذ ولىعهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز إلى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكببت عليها فقبّلتها وضرب بيدى إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشىء فى يده، فوضع فى يدى كتابا صغيرا تستره الكفّ، فلما خرجت فتحته فإذا فيه: ياوضّاح، إذا قرأتَ كتابى فاستأذنْ إلى ضِياعِكَ بالرَّىّ، فرجعت فقلت للربيع: استأذنْ لى. فدخل فاستأذن، فأَذن لى، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعى بالرى

قد اختلّت وبى حاجة إلى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت إليه اليوم الثانى والقوم معى فدخلنا فاستأذنتُه ، فردّ الىّ مثل الجواب الأوّل . فقلت : ياأمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسُرِّى عنه ، ثم قال : إذا شئتَ فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج إلى خَلْوة . فنهض القوم وبقى الربيـع قلت : أَخلِنى . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتنحّى الربيع ، فقال : قد خلوتَ فقل إن جدتَ لى بمالك ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك ، حقنت دمى ودم أبى ورددت علىّ مالى وآثرتنى بصحبتك . قال : إنه يهجس فى نفسى أن جَهْورا(١) على خَلْع وليس له غيرك لمــا أعرفه بينكما ، فاظهرْ إذا صرتَ إليه الوَقِيعةَ فىّ والتنقُّص لى حتى تعرف ما عنده ، وإن رأيته يهمّ بخلع فاكتب إلىّ ، ولا تكتبنّ على يد بريد ولا مع رســول ولا يفوتنى خــبرك فى كل يوم فقد نصبتُ لك فلانا القَطّانــ فى دار القُطن فهو يُوصل كتبك فى كل يوم إلىّ . قال : فمضيتُ حتى أتيت الرىّ فدخلت على جهور فقال : أَفْلتَّ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فيه حتى أظهر ما ظنّ به المنصور فكتبت إليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطائىّ على المنصور وعنــده إسحاق بن مســلم العُقَيلى وعبد الملك بن حُميد الشامى الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق ففتح ذلك المنصور ، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام ردّه . فلمــا رجع قال : يا أبا محمد إنّ إسحاق بن مسلم حدّثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك ناَضًّا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأحببتُ أن تعرفه .

(١) فى النسخة الألمــانية : «جوهر» وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجلى أحد قواد المنصور .

أبو الحسين المدائنى قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال :

ألم تر حَوْشَبا أمسى يُبَنِّى * قصورا نفعها لبنى بُقَيْلَهْ

يؤمّل أن يعمَّر عمرَ نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلهْ

ثم آنتبه فقال : أقلنى [أقالك الله][1] . قال : لا أقالنى الله إن بتَّ فى عسكرى ، فأخرجه إلى المدينة . [حَنَشُ[1] بن المغيرة قال : جئتُ وأبو ذَرٍّ آخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغِفَارى ، من لم يعرفنى فأنا جُنْدَب صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أهلِ بيتى مثلُ سفينة نوح مَنْ ركبها نجا»] .

حدّثنا خالد بن محمد الأزدى قال حدّثنا شَبَابة بن سَوّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبىّ قال ، قيل لابن عمر: إن الحسين قد توجّه إلى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا فى مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأخرج إليه كتبا وطَوَامِيرَ قال : هذه كتبهم و بيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إنى سأحدّثك حديثا : إن جبريل عليه السلام أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم نخيّره بين الدنيا والآخرة فآختار الآخرة ، وإنكم بَضعة من النبى صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فآرجع . فأبى فآعتنقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن على بن محمد عن مَسْلمة بن مُحَارِب عن السَّكَن قال : كتب الحسين بن على رضى الله عنهما إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه فلم يردّ الجواب وقال : قد جربنا آل أبى الحسن فلم نجد عندهم إيَالَةً للملك ولا جمعا للمال ولا مكيدة

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

فى الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبى طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعَب بن الزبير خرجت سُكَينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدّى وأبى وعمّى وزوجى مُصعبًا، أيتمتمونى صغيرة وأرملتُمونى كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء :

اِبْك حسينًا ليوم مَصْرعه * بالطَّف بين الكتائبِ الخُرْس
أضحت بنات النبيّ إذ قُتلوا * فى مَأْتَم والسباع فى عُرْس

روى سِنَان[1] بن حَكيم عن أبيه قال : انتهب الناس وَرْسا فى عسكر الحسين ابن على يوم قُتل فما تطيبت منه آمرأة إلا بَرِصتْ . ولما قتل حسين قالت بنت لعَقيل بن أبى طالب :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأمم
بعترتى وبأهلى بعد منطلَقى * منهم أَسارى وقتلَى ضُرِّجوا بدم
[[2]ما كان هذا جزائى أن نصحتُ لكم * أن تخلُفونى بقتلٍ فى ذوى رحمى]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[[2]دخل زيد بن علىّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتما .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمَّر بعدى حتى يولد لى مولود آسمه كآسمى يَبْقَر العلم بَقْرا فإذا لقيتَه فأقرئه منى السلام» فكان جابر يتردّد فى سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمانية وفى الفتوغرافية «سيّار بن الحكم» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الناس : قد جُنّ جابر . فبينا هو ذات يوم بالبَلَاط إذ بَصُر بجارية يتورّكها صبىّ فقال لها : ياجارية، من هذا الصبى ؟ قالت : هذا محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب . فقال : أَدْنيه منى فأدنته منه فقبّل بين عينيه وقال : يا حبيبى ، رسول الله يقرئك السلام. ثم قال: نُعيت إلىّ نفسى وربِّ الكعبة . ثم انصرف إلى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغنى أنك تَرَبَّصُ(١) نفسُك للخلافة وتطمع فيها وأنت ٱبن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم فى أولاد السّرارِى تقصيرا عن بلوغ غاية ماأعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث إليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثْلَتِنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرِمَكم * وأن نكُفَّ الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبّكم * ولا نلومكم ألّا تحبّونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا فى كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء والكلأ والمُحْتَطَب .

قال ٱبن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عُوفى من وبائها. وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فَحَا(٢) أرضنا فقلّما أكل قوم من فَحَا أرض فضرّهم ماؤها .

(١) هكذا فى الأصل، وفى الجملة حذف. ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن على ، كما يدل عليه باقى القصة ورواية العقد الفريد، وقد وردت القصة كاملة هكذا فى النسخة الألمانية ، واقتصر فى الفتوغرافية على قوله « كتب زيد بن على بن الحسين إلى هشام بن عبد الملك» ثم ساق الأبيات .

(٢) الفحا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما : لسان العرب .

حدّثنى الرياشىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال، قال معاوية: أغبطُ الناسِ عندى سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يتربّع جُدّة ويتقيّظ الطائف ويتشتّى مكة.

حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الخِطْر والكُنْدُر والعَصَب والوَرْس.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال: اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول: هى مَغِيض الطوفان. قال وقال الأصمعى عن مَعْمَر[1] قال: سبعٌ محفوظات وسبع ملعونات، فمن المحفوظات نَجْرَان ومن الملعونات أَثَافِتُ [وبَرْذَعة][2]. وأثافِتُ باليمن. وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر:

أحب أَثَافِتَ عندالقِطَاف * وعند عُصَارة أعنابها

[قال الأصمعى[2]: سواد البصرة الأهْواز ودَسْتُمِيسَان وفارس، وسواد الكوفة كَسْكَر إلى التراب[3] إلى عمل حُلْوان إلى القادسية، وعمل العراق هِيتُ إلى الصين والسند والهند ثم كذلك إلى الرىّ وخُراسان إلى الديلم والجبال كلها، وأصبهان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعرى، والجزيرة ما بين دِجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق].

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: أوّل قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقَرْدَى تسمى سوقَ ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى اللغوى النحوى وقد كان معاصرا للأصمعى. (٢) زيادة فى النسخة الألمانية.

(٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزاب» كما فى ياقوت.

سوق ثمانين . قال : وحَرّان سميت بِهَارَانَ بن آزَرَ أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

[(1) قال النبي صلى الله عليه وسلم لبُرَيدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بُعُوث فإذا بُعِثْتَ فكن فى أهل بَعْث المشرق ثم فى بعث خراسان ثم فى بعث أرض يقال لها : مَرْو ، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه بناها ذوالقرنين وصلّى فيها ، غزيرةٌ أنهارُها تجرى بالبركة ، فى كل نقب منها ملَك شاهر سيفه يدفع عنها السوء إلى يوم القيامة » فقدمها بُريدة(2) فمات بها] .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى الأصمعى قال أخبرنى النَّمِر بن هلال الحَبَطى عن قَتَادة عن أبى جلدة(3) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ .

[(1) وقال أبو صالح كنا عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس، فقال له : ممن أنت؟ قال من أهل خراسان، قال: من أىّ خراسان؟ قال : من هَرَاة . قال : من أىّ هراة؟ قال : من بُوشَنْج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامر يُصلَّى فيه . قال : ابن عباس كان لإبراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوشَنْج . ثم قال : ما فعلت الشجرة التى عند المسجد ؟ قال : بحالها . قال : أخبرنى العباس أنه قال فى ظلها] .

---

(1) زيادة فى النسخة الألمانية . (2) فى الأصل «يزيد» وهو تحريف .

(3) كذا بالألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية «أبى الجلد» ولم نعثر فى كتب التراجم على من تكنّى بهذه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة «أبا بردة بن أبى موسى» فلعلّه محرف عنه .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون[1] الحرّانى عن عوف بن أبى جميلة عن الحسن البصرى قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة[2] ويا أتباع البهيمة، رغا فاتّبعتم وعُقر فانهزمتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفتَحُ أرضٌ يقال لها البصرةُ أَقْوَمُ الأرضين قبلةً، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومُتصدِّقها أعظم الناس صدقةً، وتاجرها أعظم الناس تجارة . منها إلى قرية يقال لها الأُبُلَّة أربعة فراسخ . يُسْتَشهَدُ عند مسجد جامعها أربعون ألفا، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معى يوم بدر » .

حدّثنا القاسم بن الحسن قال حدّثنا أبو سَلَمة قال أخبرنى أبو المُهَزِّم عن أبى هريرة قال : مُثِّلت الدنيا على مثال طائر، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربتا وقع الأمر .

وحدّثنى أيضا عن هارون بن معروف عن ضَمْرة عن ابن شَوْذَب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشدّ الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شوذب عن يزيد الرشد[3] : قست البصرة فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى فوجدت طولها فرسخين غير دانِق .

وقال محمد بن سلام عن شُعيب بن صَخْر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّتِ البصرةُ لجعلتُ الكوفةَ لمن دلَّنى عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية « يزيد بن خالد عن عبد الله بن ميمون المرئى » ولم نعثر فى كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة «حدّثنا يزيد بن خالد بن عبدالله عن ميمون المرئى» إذ الاسمان موجودان معا فى كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها و بالبهيمة الجمل الذى ركبته، وبه سمّى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «الرشت» وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبى يزيد الضُّبَعى .

وٱستعمله على الكوفة . [وقال(١) علىّ حين دخل البصرة : يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة رَغَا فأجبتم وعُقر فانهزمتهم ، دينكم نِفَاق وأخلاقكم رِقَاق وماؤكم زُعاق ، يا أهل البصرة والبُصيرة [و] السُّبَيْخَة والخُرَيبة ، أرضكم أبعد الأرض من السماء وأبعدها من الماء وأسرعها خرابا وغرقا .

مر عُتْبة بن غَزْوان بموضع المِرْبد فوجد فيها الكَذَّان الغليظ فقال : هذه البصرة فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختطّ الناس البصرة سنة سبع عشرة] .

فخر ناس من بنى الحارث بن كعب عند أبى العباس ، فقال أبو العباس لخالد بن صَفْوان : ألا تَكلّم يا خالد؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعَصَبته . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج بُرْد ودابغ جلد وسائس قرد ، دلّ عليهم هدهد وغرّقتهم فأرة وملكتهم امرأة .

[سئل خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وثمارنا رُطب ، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرِيّة وأعظم منكم بَحْرِية(٢) وأغذى منكم(٣) بَرِّية . وقال أبو بكر الهذلىّ : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجّاجا] .

وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة :

زُرْ وادىَ القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زَوْرة عن غير ميعاد
تُرفا به السُّفْن والظُّلمان واقفة * والضَّبُّ والنّون والملّاح والحادى

وقال ٱبن أبى عيينة فى مثل ذلك :

يا جنةً فاتت(٤) الجنانَ فما * تبلغها قيمةٌ ولا ثمنُ
ألفتُها فاتخذتُها وطنا * إن فؤادى لحبّها وطنُ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى البيان والتبيين «وأعظم منكم تجربة» .
(٣) هكذا فى الأصل ، وفى كتاب البيان للجاحظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب إلى الصواب يقال عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . (٤) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : فاقت .

زوّج حيتانها الضِّباب بها * فهذه كَنَّة وذا خَتَن
فانظر وفكِّر فيما تُطيف به (١) * إن الأريب المفكِّر الفطِنُ
من سُفُنٍ كالنَّعام مقبلة * ومن نَعَام كأنهـا سفنُ

أنشد محمد بن عمر عن ابن كُنَاسةَ فى ظهر الكوفة :

وإن بها لو تعلمين أصائلا * وليـلا رقيقا مثل حاشـية البُرد

بلغنى عن إبراهيم بن مهدى عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التَّيْمى قال : لمـا أُمرت الأرض أن تغيض غاضت إلا أرض الكوفة فلُعنت ، فجميع الأرض تُكرَب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران . وكان يقال : إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شأمية فقد كمل .

[لمـا (٢) اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب ، كتب عمر إلى سعد فى بعثة روّاد يرتادون منزلا برّيّا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء . فسأل مَن قِبله عن هذه الصفة فيما يليهم ، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين إلى عين بنى الحَذّاء ، وكانت العرب تقول : أَدْلَع البَرُّ لسانه فى الرِّيف ، فما كان يلى الفرات منه فهو المِلْطاط وما كان يلى الظهر (٣) منه فهو النِّجَاف ، فكتب إلى سعد يأمره به] .

وقال النابغة الجعدى يمدح الشأم :

جاعلين الشأم حَمًّا (٤) لهمُ * ولئن هَمّوا لنعم المنتقَلْ
موته أجر ومَحْيـاه غنى * وإليه عن أذاه معـتزَل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما فى الأغانى . (٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .
(٣) فى معجم ياقوت فى الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف» .
(٤) يقال حم حَمَّه : أى قصد قصده .

وقال أيضا :

ولكن قومى أصبحوا مثل خَيبر * بهـا داؤُهـا ولا تضرّ الأعاديا

قال الأصمعى : لم يولد بغَدير خُمٍّ مولود فعاش إلى أن يحتـلم إلّا أن يتحول عنها . قال : وحَرَّة لَيْلَى ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون أن من دخل أرض تُبَّت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عَجَب حتى يخرج منها ، ومن أقام بالموصـل عاما ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا فتفقّد عقله وجد النقصان فيه بيّنا . والناس يقولون : حُمّى خيبر وطِحَال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشأم .

قالوا : من أطال الصوم بالمَصِيصة فى الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف إلى طبائع أهلها ، ووباؤها وحُمّاها يكون فى وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمّى عن جميع البلدان ، وكل محموم فإن حُمّاه إذا أقلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة إلى أن يعود إلى التخليط وإلى أن يجتمع فى جوفه الفساد الا محمومَ الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علّة حدثت ، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها المطلّ عليها والجرارات (١) فى بيوتها ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقّها مسايل كُنُفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال مُقامها وآستمرت مقابلتها لذلك الجبل (٢) قبل الصخرية (٣) التى فيها الجرارات ، فإذا امتلأت يبسا وحرّا وعادت جمرة واحدة قذفت ماقبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجرارة كجبانة : عقرب قتالة تجر ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) فى الأصل «طالت معاناتها بذلك الجبل» والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا فى الأصل . وفى معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات الخ » ولعل صواب العبارة «قبلت بسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات فإذا امتلأ ت الخ» .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب : حدثنى مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهنّ ربما قَبِلْن الطفلَ فيجدْنه فى تلك الساعة محموما [يعرفن ذلك ويتحدّثن به] . قال : ومن قدم من شِقّ العراق إلى بلد الزَّنْج لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارَجيل طمس الخُمَارُ على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفى عهد سِجِسْتان على العرب حين افتتحوها : ألّا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه ، لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيّاش لأبى بكر الهُذَلى يوم فاخره عند أبى العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللَّهَاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغيّره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عُطَارِد : إن الكوفة قد سَفُلت عن الشأم ووبائها وآرتفعت عن البصرة وعمقها فهى مَرِيئة مَرِيعة عَذْبة ترِيّة[1] ، إذا أتتنا الشَّمال ذهبت مسيرةَ شهر على مثل رَضْراض الكافور ، وإذا هبت الجَنُوب جاءتنا بريح السّواد ووردِه وياسَمِينه وأُتْرُجِّه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة عجوز بَخْراء أوتيت من كل حَلْي وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلةً فى سَمَر يزيد بن عمر بن هُبَيرة ، فقال يزيد : أىّ البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأَزَاذُ والمَعْقِلىّ وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بَشير العِجْلى : لست أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجلْ . قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأىَّ الرُّطب تحملون إليه؟ قالَ : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه واحدة . ثم أيّة؟ قال : السَّابِرى . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن

(١) كذا بالأصول ، وفى معجم البلدان : «وحرّها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأيّ التمر تحملون إليه ؟ قال : النِّرْسيَان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهَيْرُون أَزَاذ . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأيّ القَسْب تحملون إليـه ؟ قال : قَسْب العنبر . قال : ولا بالبصرة منـه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادّعى عليك خمسا فشاركته فى واحدة وسلّمتَ له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعَزَب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصِّحْناء(١) لا ينفق فى الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج فلا عَيْلة عليه ما بقيت عليه ٱستُه يخرأ ويبيع .

أبو الحسن المدائنى قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليـد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة على السـواء لعلمت . قال معاوية : إذًا كنتُ أكون ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ينشقّ عنه سيله ، وكنتَ ابنَ خالد منزلك أَجْيَادٌ أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رَثّة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب . فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رِجْلين قلّما وطئتا البطحاء . قال له التغلبىّ : البَطْحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهى لى دونك ، وبطحاء ذى قار وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُنزلنى ماء سـوء فأكون آمرأ سوء . قال خالد ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثـل الأُبُلّة أقرب مسافة ولا أعذب نُطفة ولا

(١) إدام يتخذ من السمك الصغار .

أوطأ مطيّة ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبى عيينة يذكر قصر أنس بالبصرة :

فيا حسنَ ذاك القصر قصرا ونزهة * بأَفْيَح سهل غير وعْر ولا ضَنْك
بغرس كأبكار الجوارى وتُرْبة * كأن ثرَاها ماء وَرد على مِسك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله * إلى ملك مُوفٍ على منبر الملك
يُدِلُّ عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهى مُطرقة تبكى

قال جعفر بن سليمان(١) : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمِرْبَد عين البصرة ، ودَارِينُ عين المِربَد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخِصْب من شقّ العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشأم كان الخِصب بالشأم ، وإذا عمّ جوانب البيت كان المطر عاما . قال : (٢)[وذرع الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعا] .

المدائنى قال قال الحجاج : لما تبوّأتِ الأمورُ منازلَها قالت الطاعة : أنزل الشأم ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشِّقوة : [و] أنا معك .

(١) فى الفتوغرافية «مسلم» وفى الألمانية «سليمان» و يوافقه ما فى لطائف المعارف للثعالبى .
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه فى الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السؤدد

مخايل السُّؤْدُد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة رحمه الله : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعى قال : أخبرنا جميع بن أبى غاضرة وكان شيخا مُسنًّا من أهل البادية وكان من ولد الزِّبْرِقان بن بدر من قِبل النساء، قال : كان الزبرقان يقول : أبغضُ صبياننا إلىّ الأُقَيْعِسُ الذكر الذى كأنما يَطّلع فى حجره، وإن سأله القوم أين أبوك، هرّ فى وجوههم وقال : ما تريدون من أبى . وأحبُّ صبياننا إلىّ الطويلُ الغُرْلة السَّبْط الغُرّة العريض الورك الأبله العَقول الذى يطيع عمّه ويعصى أمه، وإن سأله القوم أين أبوك، قال : معكم .

قال وقال الأصمعى قال معاوية : ثلاث من السُودد : الصَّلَع، وٱندحاق البطن، وترك الإفراط فى الغَيرة .

قال وقيل لأعرابى : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغرّة طويل الغُرلة مُلْتاثَ الإِزْرة وكانت فيه لَوْثة فلسنا نشكّ فى سودده . وقيل لآخر : أىّ الغلمان أسود ؟ قال : إذا رأيتَه أَعْنق أَشْدق أَحْمق فأَقْرِب به من السودد . وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حَديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرْجُه، إلا أن يريد الله أمرا فيبلغه .

حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعى قال : قريش تمدح بالصّلَع ، وأنشد :

إن سعيدًا وسعيدًا فرعُ * أصلع تنميــه رجال صُلْعُ

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إنى أظن هــذا الغلام سيسود قومه . فقالت هند : ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه .

قال شبيب بن شيبة لبعض فُرسان بنى مِنْقَر : ما مُطلتَ مَطْلَ الفُرسان ولا فُتِقت فَتْق السادة . وقال آخر لسِــنَان بن سَــلَمة الهُذَلىّ : ما أنت بأَرْسَحَ(١) فتكون فارسا ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا . وقال بعض الشعراء :

فقبّلت رأسا لم يكن رأس سَــيِّد * وكَفًّا ككَفّ الضَّبّ أوهى أحقر

وقال آخر :

دعا ابنُ مُطيع للبِيَاع بجئتُــه * إلى بَيْعَــة قلبى لهـا غيرُ آلف

فنا ولنى خشــناءَ لمّـا لَمستُهـا * بكَفّىَ ليست من أكُفّ الخلائف

وقرأت فى كتاب للهند أنه قد قيل فى الفِراسة والتّوسّم : إنه من صغُرت عينه [و] دام اختلاجها وتتابع طَرْفها ومال أنفُه إلى أيمن شقّيه وبعُــد ما بين حاجبيه وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفّت تارة بعــد أُخرى ، غلَبت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسَوِّدْنَ العبد : الأدب، والصّدق، والعفّة، والأمانة . وقال بعض الشعراء فى النبي صلى الله عليه وسلم :

لو لم تكن فيــه آياتٌ مُبَيّنة * كانت بَدَاهته تُنْبِيك بالخبر

وقال معاوية : إنى لأكره البكارة(٢) فى السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ولعلها محرّفة عن «الغباوة أو البلادة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر فى هذا المعنى :

ليس الغَبيّ بسيّد فى قومه * لكنّ سَيِّدَ قومه المُتَغابِى

ويقال فى مَثَلٍ : «ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدِع» . وقال الفرزدق :

لاخير فى خِبٍّ من تُرَجى فواضله * فاستمطِروا من قريش كل مُنخَدِع

كأنّ فيه إذا حاولتَه بَلَهًا * عن ماله وهو وافى العقل والوَرَع

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يخدعنى . وقال مالك بن أنَس عن ابن شهاب : الكريم لمّا تُحكِمْه التجارب .

قال بعض الشعراء

غيرَ أَنى أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يَسُودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل، الحليم حين يُستجهَل، البارّ بمن يعاشِر . قال عَدِىّ بن حاتم : السيد الذليل فى نفسه، الأحمق فى ماله، المُطَّرِح لحقده، المعنِيّ بأمر عامّته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد، فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقَيْس بن عاصم : بم سدتَ قومك؟ فقال : ببذل القِرَى وترك المِرَا ونُصرة المَوْلى . وقال على بن عبد الله بن عباس : سادة الناس فى الدنيا الأسخياء وفى الآخرة الأتقياء . وقال سَلْم بن قُتَيبة لولده : إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سِرَار الشيوخ البُخْر . وقال : الدنيا هى العافية ، والصحة هى الشباب، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هَدّاب : كنا نعرف سُودد سلم ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد عيبَه : بم سدتَ قومك ؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العَنَزِىّ[1] : أخبرنى عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وهو فى النسخة الفتوغرافية غير واضح، وذكر فى العقد الفريد فى باب السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنباع .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فى أىّ شىء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد، ولم يَلِ شيئا قط . وكذلك أسماء بن خارجة لم يل شيئا قط . قيل لعَرَابة الأوْسِىّ : بم سُدْتَ قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى، وأَذِلُّ لهم فى عِرضى، ولا أحقِر صغيرهم، ولا أحسُد رفيعهم .

وقال المُقَنع الكندىّ وهو محمد بن عميرة :

ولا أحمِـلُ الحقْـدَ القديم عليهمُ * وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نَصْرى سِرَاعًا وإن هُمُ * دعوْنى إلى نصر أتيتُهُمُ شَـدّا
إذا أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومَهــم * وإن هدموا مجدى بَنَيْتُ لهم مجدا
يُعَيّرنى بالدَّيـن قومى وإنمـا * ديونِىَ فى أشياء تَكْسِبهم حَمْدا

وقال آخر:

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيْسارٌ ذوو يَسَرٍ * سُوّاس مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيْسارِ
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يُمَـارُون إن ماروْا بإ كْثار
مَنْ تَلْقَ منهم تقل لاقيتُ سَيِّدَهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر .

وإنّ سيادةَ الأقوام فأعلم * لها صُعَدَاء مَطْلَعُها طويلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسوّد إلا من يُوَطّئنا رَحْله ويُفَرّشنا عِرْضه ويُمَلّكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : «مَنْ بذل معروفه وكفّ أذاه فذلك السيد» . ويقال : لاسُودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعَمّم » يريدون أنّ كل جِنَاية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يعتَمّ بعمامة صفراء لا يعتم بها غيره . وإنمـا سُمّى الزِّبْرِقان بصفرة عمامته . يقال : زَبْرَقْت الشىء إذا صَفَّرته، وكان اسمه حُصَيْنا . قيـل لابن هُبيْرة : مَن سيدُ الناس اليوم ؟ قال : الفَرَزْدَق، هجانى مَلِكا ومدحنى سُوقَةً . وقال عامر بن الطُّفَيْل:

إنى وإن كنت ابنَ سيد عامر * وفارسها المشهور فى كل مَوْكب
فما سَوَّدتنى عامر عن وِراثة * أبَى اللهُ أن أسمُو بأُمّ ولا أب
ولكننى أحْمِى حِمَاها وأتّقى * أذاها وأرمى من رماها بمِنكبِ

هذا نحو قول الآخر:

نفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاما * وعلّمته الكَرّ والإقداما
* وصيّرته ملِكا هُمَاما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المُنْذر . وله يقول النابغة:

فإنّى لا ألوم على دُخول * ولكن ما وراءكَ يا عِصامُ؟

الكمال والتناهى فى السُّودَد

حدّثنى أبو حَمْزة الأنصارىّ عن العُتْبىّ قال، قال الأحنف: الكامل من عُدّت هَفَواته . وكتب معاوية إلى زياد: انظر رجلا يصلح لثغر الهند فولّه، فكتب إليه: إن قِبَلى رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قَيْس، وسِنَان بن سَلَمة الهُذَلى . فكتب إليه معاوية: بأىّ يومَي الأحنف نكافيه: أبخذْلانه أمَّ المؤمنين، أم بسَعْيه علينا يوم صِفِّين؟ فوجّه سنانا، فكتب إليه زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسودد مالا تنفعه الولاية ولا يضرّه العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا:

أوحده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمُسْتَنْكَر * أن يجمعَ العالَمَ فى واحد

وقال أيضا فى نحو هذا:

ياناق لا تسأمى أو تبلُغى رجلا * تَقْبِيلُ راحته والرُّكْنِ سِيّانِ
متى تَحُطّى إليه الرَّحْلَ سالمة * تَسْتَجْمِعِى الخَلْقَ فى تِمثال إنسانِ

محمد خير من يمشى على قَــدَم * ممن برا اللهُ من إنس ومن جان

تنازع الأحمدان الشِّــبْهَ فأشتبها * خَلْقا وخُلْقا كما قُــدَّ الشِّراكان

سِيّانِ لافرق فى المعقول بينهما * معناهمــا واحد والعِــدّة اثنان

وقال الطائى

لو أنّ إجماعَنا فى فضــل سُودَدِه * فى الدين، لم يختلف فى المِلّة اثنان

وقال أيضا

فلو صوَّرتَ نفسك لم تَزِدها * على مافيك من كَرم الطِّباع

وقال خالد بن صَفْوان : كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : وفد الأحنف والمنــذر بن الجَارُود إلى معاوية، فتهيّأ المنــذر وخرج الأحنف على قَعود وعليــه بَتٌّ، فكلما مرّ المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أرانى تزيّنْتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف : ماأعظم مِنّتنا عليك! فضّلناك وسوّدناك، فقال : هذا شِبْل بن مَعْبَد، من سوّده وليس بالحَضَرة بَجَلىّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن عبــد الأعلى الشاعر الشَّيْبانىّ : مَن أكرمُ العرب أو مَن خيرُ الناس ؟ قال : مَن يُحِبُّ الناسُ أن يكونوا منــه، ولا يُحب أن يكون من أحد، يعنى بنى هاشم . قال : مَن ألأم النــاس ؟ قال : مَن يُحب أن يكون من غيره، ولا يُحِب غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إن الشَّرَف نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرمُ الصَّفَايا أشدّها وَلَهًا إلى أولادها، وأكرمُ الإبل أحنُّها إلى أوطانها، وأكرم الأفلاء[1] أشدُّها مُلازمةً لأمهاتها، وخير الناس آلَفُ الناس للناس .

(١) جمع فِلْو بالكسر أو كعدوّ وسُمُوّ، وهو الجحش أو المهر إذا فطما أو بلغا السنة .

السّيادة والكمال فى الحَدَاثة

قال الأحنف : السّودد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أنته السيادة فى حداثته وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعامّتهم يُراد أن السُّودد يكون بتسويد العامّة . وقال أبو اليقْظان ولّى الحجّاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحَكَم الثَّقَفِيّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السِّنْدَ فافتتح السندَ والهندَ وقاد الجيوشَ وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر:

إن السماحة والمُرُوءة والنّدى * لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوشَ لِسبْعَ عَشْرَةَ حِجّةً * ياقربَ ذلك سُوددا من مولد!

ويروى* ياقرب ذلك سُورة من مولد * السُّورة المنزلة الرفيعة . قال أبو اليقظان: وهو جعل شِيرَاز معسكرا ومنزلا لوُلاة فارس . وقال حمزة بن بيض[1] لمخلَّد بن يزيد بن المُهَلّب:

بلغت لعشر مضت من سنيـ * ـك ما يبلغ السيِّدُ الأشيب
فهمُّك فيها جِسام الأمور * وهمُّ لِدَاتك أن يلعبوا

نظر الحَطَيئة إلى ابن عباس يتكلم فى مجلس عمر، فقال : مَن هذا الذى نزل عن الناس فى سنه وعَلَاهم فى قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشره[2] منّا رجل . ونظر رجل إلى أبى دُلَف فى مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عُبَيد الله بن زِياد خُراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها لمعاوية . وقيل لزياد عند موته : استخلِف عبيد الله ، فقال : إن يَكُ فيه خير فسيولّيه عمُّه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يولّيك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين، لا يقولنّها أحد

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال فى بيانها : لو كان فى السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشر علمه .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعملاه، فرغب فيه فاستعمله على خراسان . وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناسُ عن إبراهيم النَّخَعىّ وهو ابن ثمـانى عشرة سنة . وولّى رسول الله صلى الله عليه وسـلم عتّاب بن أَسِـيد مكة وهو ابن خمس وعشرين سنة . وسوّدت قُريش أبا جهل ولم يطُرّ شاربه فأدخلته مع الكهول دارَ النَّدوة . قال الكميت :

رُفِعتْ إليـك وما ثُغِر(١) * تَ عيونُ مستمِع وناظر
ورأوا عليك ومنك فى الـ * ـمهد النُّهَى ذات البصائر

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوّز يريد الكلام ، فقال عمر : كبِّروا كبِّروا، فقال الفتى : ياأمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان فى المسلمين من هو أسنّ منك، قال صدقتَ فتكلّم . قال الشاعر فى خلاف هذا المعنى :

إنما الهُلْكُ أن يُساسوا بغِرٍّ * لم تُعِرْه الأيامُ رأيا وَثِيقَا

وقال آخر :

ألا قالت الحسـناء يومَ لقيتها * كبِرتَ، ولم تجزع من الشيب مَجْزعا
رأت ذا عصًا يمشى عليها وشيبة * تَقَنَّعَ منها رأسـه ما تقنّعا
فقلتُ لها: لا تهزَئى بى فقلّما * يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
ولَلْقارحُ اليَعْبُوبُ خـيرٌ عُلَالَةً * من الجذَع المُجْرَى وأبعدُ مَنْزَعَا

رأى بُكَير بن الأخنس المُهَلَّبَ وهو غلام فقال :

خذونى به إن لم يَسُد سَرَواتِهم * ويبرع حتى لا يكون له مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام: إذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمّة والخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جُوَيرية عن محمد بن ذُؤيب الفُقَيمىّ[١] وهو العُمانىّ الراجز عن دُكَيْن الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلِف أستنجزُ منه وعدا كان وعدنيه وهو والى المدينة، فقال لى : يا دُكَين إن لى نفسا توّاقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت الى الجنة . وما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا، وما عندى إلا ألفا درهم، فاختر أيّهما شئت، وهو يضحك . فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلُك خيرٌ من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كثير غيرك، فاختر لى أنت، فدفع إلىّ ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فابتعتُ بها إبلا وسُقتها إلى البادية، فرمى الله فى أذنابها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله ماترون .

قال معاوية لعمرو بن العاص حين نظر معسكر علىّ عليه السلام : من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول: عليكم بكل أمر مَزْلَقَةٍ مَهْلَكةٍ، أى عليكم بجسام الأمور . وقال كَعْب بن زُهَير:

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغْيةٌ * وليس لرَحْلٍ حطّه الله حامـلُ

إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخَنَا * أصَبْتَ حليما أو أصابك جاهل

وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همّـة وعظيم خَطَر : عمـل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ . وفيه أيضا : لا ينبغى أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرّما أو مع النُّسّاك مُتَبتِّلا ، كالفيل لا يَحسُن أن يُرَى إلا فى موضعين : فى البَرِّيّة وحشيّا أو للملوك مركبا . وفيه أيضا : ذو الهمة إن حُطّ فنفسُه تأبى إلا عُلُوّا كالشُّعلة من النار يُصَوِّبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتّابىّ:

تلوم على ترك الغِنى باهليّـةٌ * طوى الدّهرُ عنها كلّ طِرْفٍ وتالد

(١) نسبة إلى فقيم دارم ، قال فى القاموس : والنسبة الى فقيم كنانة فُقَمى كعُرَنى وهم نسأة الشهور فى الجاهلية ، والى فقيم دارم فقيمى اهـ .

يسرّكِ أنى نِلتُ ما نال جعفـر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصّنى * مغصّهما بالمُشْرِقات البـوارد؟
ذَرِينى تَجِئْـنى مِيتتى مُطْمئنّـةً * ولم أتقحّم هـولَ تلك الموارد
فإن كريمات المعـالى مَشُوبة * بمستودَعات فى بطون الأساود

وقال الطائىّ:

وأخرى لَحَتْنِى يومَ لم أمنع النَّوى * قِيـادى ولم يَنْقُض زِمَاعِىَ ناقضُ
أرادت بأن يَحوِى الغِنى وهو وادعٌ * وهل يَفرِسُ الليثُ الطَّلَا وهو رابض؟

وقال أيضا:

فاطلب هدوءا فى التقلْقُل[1] وٱستثِرْ * بالعِيس من تحت السُّهاد هُجُودا
ما إن ترى الأحسابَ بِيضًا وُضَّحًا * إلا بحيث ترى المنـايا سُـودا

وقال آخر:

* ما العِزُّ إلا تحت ثوب الكدّ *

وقال آخر:

الذُّلّ فى دَعة النفوس ولا أرى * عِزّ المعيشـة دون أن يُشْقَى لها

وقال بعض المُحْدَثين وأظنه البُحْتُرِىّ:

فاطلبا ثالثـا سـواىَ فإنّى * رابعُ العِيس والدُّجَى والبِيدِ
لستُ بالواهن ٱلمقيم ولا القا * ئل يوما إن الغنى بالجُدود
وإذا استُصْعِبت مَقادةُ أمرٍ * سهّلتها أيدى المَهارِى القُود

وقال عبد الله بن أبى الشِّيص:

أظنّ الدهر قد آلى فبرّا * بأن لا يَكسِبَ الأموالَ حُرّا
لقـد قعـد الزمانُ بكل حُرّ * ونقّض مِن قُـواه المُسْتَمِرّا
كأن صفائح الأحرار أَرْدَتْ * أباه فحارب الأحرار طُرّا

(١) فى النسخة الألمانية: التقلد، وفى الفتوغرافية: التقلل، والتصويب عن الديوان.

فأصبح كلُّ ذى شرف رَكوبا * لأعناق الدجى برًّا وبحـرا
فهتَّك جَيْبَ درع الليل عنه * إذا ماجيبُ درع الليل زُرّا
يراقبُ لِلْغنَى وجها ضَحُـوكا * ووجهـا للنيّـة مُكْفَهِرّا
ومن جعل الظلامَ له قَعُودا * أصاب به الدجى خيرا وشرّا

وكان يقال : مَن سرّه أن يعيش مسرورا فليقنَع ، ومن أراد الذكر فليجهَد . قيل للعتّابى : فلان بعيدُ الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء : مَن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتّسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعُدت همّتُه .

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع :

والمـرء يُورِثُ جودَه أبنـاءَه * ويموتُ آخرُ وهو فى الأحياء

أبو اليقظان قال : كان أوّلُ عمل وليَـه الحجّاج تَبَالَةَ ، فسار إليها فلما قرُب منها قال للدليل : أين هى وعلى أىّ سَمْت هى ؟ قال : تسترها عنك هذه الأَكَمةُ . قال لا أرانى أميرا إلّا على موضع تستر منه أكَمَة ! أهْوِنْ بها وِلاية ! وكرّ راجعا . فقيل فى المثل : «أهوَنُ من تَبالةَ على الحجّاج» . وقال الطائىّ :

وطولُ مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ * لديبـاجتيه فاغتربْ تتجـدّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبّةً * إلى الناس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهـل قدرَه وتعـدّى طَوْره فشقّ العصا وفرّق الجماعة ، لا جَرم لقد هُزِم ثم أُسِر ثم قُتـل ثم صُلب . قال الآخر : دَعْنى من ذكر هزيمة أبى ومن صَلْبه ، أبوك ما حَدّث نفسَه بشىء من هذا قطّ . قال حاتم طيئ :

لحى اللهُ صُعلوكًا مُناه وهَمُّـه * من العيش أن يلقى لَبوسا ومَطْعما
يرى الخِمْصَ تعذيبا وإن يَلْقَ شَبْعة * يَبِتْ قلبُه من قلّة الهمّ مُبهَما
ولله صُـعلوكٌ يُساوِر همّـه * ويمضى على الأهوال والدهرِ مُقْدِما

يرى قوسَه أو رُمحه ومِجَنَّه * وذا شُطَبٍ لَدْنَ المَهَزَّة مِخْذَما
وأحناءَ سرج قاترٍ(١) ولجامَه * مُعَدّا لدى الهَيْجا وطِرْفا مُسَوَّما
فذلك إن يَهْلِك فحُسْنٌ ثناؤه * وإن يَحْيَ لا يقعُدْ لئيما مُذَمَّما

وقال آخر :

لا يمنعنّك خَفْضَ العيش تطلبه * نِزاعُ شوق إلى أهل وأوطانِ
تَلْقى بكلّ بلاد إن حللتَ بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيرانِ

ويقال : ليس بينك وبين البلدان نسبٌ فخير البلاد ما حملكَ . وقال عُرْوة بن الوَرْد :

لحى اللهُ صُعلوكا إذا جَنّ ليلُه * مُصافي المُشاش(٢) آلفا كلَّ مَجْزِرِ
يَعُدّ الغنى من دهره كلَّ ليلة * أصاب قِراها من صديقٍ مُيَسَّرِ
ينام عِشاء ثم يُصبِحُ قاعدا * يَحُتّ الحصا من جنبه المُتعفِّرِ
يُعينُ نساءَ الحيّ لا يستَعِنَّه * ويُمسي طَليحا كالبعير المُحسَّرِ
ولله صُعلوكٌ(٣) صَفيحةُ وجهه * كضوء شهاب القابس المُتَنَوِّرِ
مُطِلٌّ على أعدائه يزجُرونه * بساحتهم زجر المَنيح المشهَّرِ

وقال آخر :

تقول سُلَيمى : لو أقمتَ بأرضنا ! * ولم تَدْرِ أنى للمُقام أطوفُ

وقال الطائيّ في نحوه :

أآلِفَةَ النَّحيب كم افتراقٍ * ألمَّ(٤) فكان داعيةَ اجتماع
وما إن فرحةُ الأوباتِ إلا * لموقوفٍ على تَرَح الوَداع

(١) القاتر والمُقْتَر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهى رأس العظم الممكن مضغه . (٣) كذا فى الأصول والأغانى ، وفى الحماسة : «ولكن صعلوكا الخ» . (٤) فى الأصول اظل ، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى رَوح بن حاتم واقفا فى الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقُوفك فى الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقامى فى الظل . وقال خِداش بن زُهير:

ولن أكون كمن ألقى رِحالَته * على الحمار وخَلّى صَهْوة الفرس

وقال آخر:

لا أنتَ قصّرتَ عن مجدٍ ولا أنا، إذ * أسْمُو إليك بنفسى، قصّرتْ هِمَمى

قال عمر بن الخطاب: أشِيعُوا بالكُنَى فإنها منبِّهة. دخل عُبيد الله بن زِياد بن ظَبْيان التيمىّ على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : ألَا أُوصى بك الأميرَ؟ فقال عبيد الله : إذا لم يكن للحىّ إلّا وصيّةُ الميت فالحىّ هو الميت . وقال الشاعر فى نحوه:

إذا ما الحىّ عاش بعَظْمِ مَيْتٍ * فذاك العظمُ حىٌّ وهو مَيْتُ

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صبىّ : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلىّ ولم يُوصِ بى . نظر أبو الحارث جمير إلى بِرْذَوْنٍ يُستقَى عليه، فقال: المرء حيث يجعل نفسَه، لو هَمْلَجَ هذا لم يُبتَلَ بما تَرَوْن . قال الطائىّ:

وقلقَلَ نابى من خراسان جاشُها * فقلت ٱطمئنى أنضرُ الرَّوضِ عازِبُهْ

وركب كأطراف الأسنَّة عرَّسوا * على مثلها، والليلُ تَسْطو غياهبُه

لأمرٍ عليهم أن تتِمّ صدورُه، * وليس عليهم أن تَتِمّ عواقبُه

وقال آخر:

وعِشْ مَلِكا أو مُتْ كريما، وإن تمت * وسيفُك مشهور بكفك تُعذَرِ

والمشهور فى هذا قول امرئ القيس:

فلو أن ما أسعَى لأدنَى معيشةٍ * كفانى ولم أطلُب قليلٌ من المال

ولكنّما أسعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ * وقد يدرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالى

وقوله :

بكى صاحبي لمـا رأى الدربَ دونه * وأيْقَن أنّا لاحقانِ بقَيْصرا
فقلت له : لا تبكِ عينُـك ، إنمـا * نُحاول مُلْكا أو نموتَ فنُعذَرا

وقال أبو نُوَاس :

سأبغي الغِنَى إمّا جليسَ خَليفةٍ * نقوم سَواءً ، أو مُخِيفَ سبيل

وقيل ليزيد بن المُهَلّب : ألَا تبنى دارا ! فقال : منزلى دارُ الإمارة أو الحبس .
والمشهور فى سقوط الهمة قولُ الحُطَيْئة :

دَعِ المكارمَ لا ترحَـل لبُغيَتها * واقعُد فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِى

وقال مالك بن الرَّيْب :

فإن تُنصِفونا آلَ مروانَ نَقْترِبْ * إليـكم وإلّا فأْذَنوا بتَعَادِى (١)
فإنّ لنـا عنكم مَرَاحًا ومرحلا * بعِيسٍ إلى ريح الفَـلَاة صَوَادِى
وفى الأرض عن دار المَذَلّة مَذْهبٌ * وكـلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبلادِى
فمـاذا عسى الحجاج يَبلُغُ جهدُه * إذا نحن جاوزنا حَفِيرَ زياد
فبِاْستِ أبى الحجاج واْستِ عَجوزه * عُتَيِّـدُ (٢) بَهْـمٍ يَرْتعى بوِهَـادِ
فلولا بنو مروان كان ابنُ يُوسفٍ * كما كان عبـدًا من عبيـدِ إياد
زمانَ هو المُقْرِى (٣) المُقِـرُّ بذلّةٍ * يُرَاوِح غِلمانَ القُرى ويُغَـادِى

بعث نجاب (٤) خليفتها إلى ابن عائشـة المحدّث وهو عُبَيد الله بن محمد بن حَفْص التَّيْمىّ ، فأتاه فى حلقته فى المسجد فقال له : أبو من؟ قال : هلّا عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) فى الكامل للبرد طبع ليبزج : «بيعاد» بدل «تعادى» وهو الأنسب للسياق .
(٢) العتيد تصغير عتود وهو كما فى لسان العرب من أولاد المعز ما رعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .
(٣) المقرى: طالب الضيافة ، وفى الحماسة والكامل : «العبد» . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخْلِيَنِى . قال: فى حاجة لك أم فى حاجة لى؟ قال: فى حاجة لى . قال: فَأْلقَنِى فى المنزل. قال: فإن الحاجة لك . قال: ما دون إخوانى سرّ .

وقال بعض لصوص هَمْدان وهو مالك بن حَرِيم:

كذبتم وبيتِ اللهِ لا تأخذونها * مُرَاغَمَـةً ما دام للسّيف قائمُ
متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارما * وأنفًا حَمِيًّا تجتنبْـك المظـالمُ
ومَن يَطلبِ المـال المُمَنَّعَ بالقَنَا * يَعِشْ مُثْرِيًا أو تَخترِمْه المخَارمُ
وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنِى غزوتُهم * فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدان ظالمُ

وقال أبو النَّشْنَاش، من اللصوص:

إذا المرءُ لم يَسْرَح سَوامًا ولم يُرِح * سَوامًا ولم تعطف عليـه أقاربهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ للفتى مِن حياته * فقـيرا ومِنْ مَوْلًى تدِبّ عقاربه
وسائلةٍ بالغيب عنّى وسـائلٍ * ومَن يسألُ الصّعلوكَ أين مذاهبُه؟
وطامسةِ الأعلام مائلة الصُّوَى * سَرَتْ بأبى النَّشناش فيها ركائبه
فـلم أر مثلَ الفَقْر ضاجَعَه الفتى * ولا كسواد الليل أخفَق صاحبه (١)

وقال آخر من اللصوص:

وإنّى لأستَحْيِى من الله أن أُرَى * أَطُوفُ بأرض ليس فيـه بعـيرُ
وأن أسألَ المـرء اللئـيم بعـيرَه * وبُعْرَانُ ربّى فى البـلاد كثيرُ
فلِلَّيـل إن وارانِىَ الليـلُ حكمةٌ * ولِلشـمس إن غابت علىّ تدورُ
عَوَى الذِّئبُ فاستأنَسْتُ للذئبِ إذ عوى * وصوت إنسانٌ فكِدْتُ أطـيرُ
رأى اللهُ إنّى للأنيس لَشَـانِئٌ * وتُبْغِضُهـم لى مقْـلةٌ وضَمِـيرُ

(١) فى الحماسة: «طالبه» . أى الطالب فيه .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

خاطِر بنفسك كَىْ تُصيبَ غنيمةً * إنّ الجلوسَ مع العيال قبيحُ
فالمـالُ فيـه تَجِـلَّةٌ ومهابةٌ * والفقــرُ فيـه مَـذَلَّة وقُبُوحُ

وقال آخر :

تقول ابنتى : إنّ انطلاقكَ واحدا * إلى الرَّوْع يومًا تارِكى لا أبَالِيَا
ذَرِينى من الإشفاق أو قدّمى لنـا * من الحَدَثانِ والمنيَّة واقيـا
سَتَتْلَفُ نفسى أو سأُجْمعُ هَجْمـةً * تَرى ساقِيَيْها يَأْلَمَـانِ التَّراقِيـا

وقال أوس بن حَجَر :

ومَنْ يكُ مثلى ذا عيـالٍ ومُقْـتِراً * من المـال يطرَحْ نفسَه كلَّ مطرح
لِيُبْلِىَ عُـذْرًا أو لِيَبْلُغَ حاجةً ، * ومُبلِـغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنجِح

وقال آخر :

رمى الفقرُ بالأقوام حتى كأنّهم * بأَطْرار آفاق البـلاد نجومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع . وقال الشاعر :

خُلُقانِ لا أرضى اختلافَهما : * تِيـهُ الغِنى ، ومَذَلّةُ الفقرِ
فإذا غَنِيتَ فلا تكن بَطِـرًا * وإذا افتقرت فَتِهْ على الدّهر
واْصبر ، فلستَ بواجِدٍ خُلُقًا * أدنى إلى فرجٍ من الصَّبْر

كان أعرابىّ يمنع ابنَه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه :

إذا ما الفتى لم يَبْغِ إلّا لِباسَــه * ومطعَمَه ، فالخـيرُ منـه بعيـدُ
يُذَكّرنى خوفَ المنايا ، ولم أكن * لأهْرُبَ ممّـا ليس منـه مَحِيـدُ
فلو كنتُ ذا مال لَقُرِّب مجْلِسى * وقيل إذا أخطأتُ : أنتَ رشيدُ
رأيتُ الغِنى قد صار فى الناس سُودَدًا ، * وكان الفتى بالمكرُمات يسودُ

وإن قلتُ لم يُسمع مَقالى وإنّنى * لَمُبدئٌ حقٍّ بينهم ومُعيدُ
فذَرْنى أُجَوِّلْ فى البلاد لَعلّه * يُسَرُّ صديقٌ أو يُساءُ حسودُ
ألَا رُبّما كان الشّفيقُ مَضَرّةً * عليك من الإشفاق وهو وَدُودُ

وقال أعرابىّ من باهلة :

سأُعْمِلُ نَصَّ العِيس حتى يَكُفّنى * غِنَى المال يوما أو غِنى الحَدَثانِ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها * على الحرّ بالإقلال وَسْمُ هَوانِ
متى يتكلَّمْ يُلْغَ حُسنُ كلامه * وإن لم يَقُلْ قالوا : عَديمُ بَيانِ
كأنّ الغِنى عن أهله ـ بُورِكَ الغِنى ـ * بغير لسانٍ ناطقٌ بلسانِ

الشرف والسُّودَد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابىّ :

ومَن يفتقرْ فى قومه يَحمَد الغِنى * وإن كان فيهم ماجدَ العَمِّ مُخْوِلَا
يَمُنُّون إن أَعْطَوْا ويبخلُ بعضُهم * ويُحْسَبُ عجزًا سَكْتُه إن تَجَمَّلَا
ويُزْرِى بعقل المرء قِلّةُ ماله * وإن كان أقوى من رجال وأَحْوَلَا

وقرأت فى كتاب للهند : ليس من خَلّة يُمدَح بها الغَنِىُّ إلا ذُمّ بها الفقيرُ، فإن كان شجاعا قيل أَهْوَجُ ، وإن كان وَقُوراً قيل بليدٌ ، وإن كان لَسِنا قيل مِهذارٌ، وإن كان زِمِّيتا[(1)] قيل عَيِىّ . وقال آخر :

الفقر يُزْرِى بأقوام ذَوِى حسبٍ * وقد يُسَوِّدُ غيرَ السيّد المالُ

وأنشد ابن الأعرابىّ :

رُزِقتُ لُبًّا ولم أُرزَق مُرُوءتَه * وما المروءة إلّا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُساماةً يُقَعِّدُنى * عما يُنَوِّه باسمى رِقّةُ الحالِ

---

(١) الزميت : كثير الوقار .

وقال آخر :

يُغَطِّى عيوبَ المرء كثرةُ ماله * يُصدَّق فيما قال وهو كَذوبُ
ويُزْرِى بعقل المـرء قِلَّةُ ماله * يُحَمِّقــه الأقـوامُ وهو لبيبُ

وقال آخر :

كم من لئيم الجُدود سوّده الـ * ـمال، أبوه وأمّــه الوَرِقُ
وكم كريم الجـدودِ ليس له * عيبٌ سوى أنّ ثوبه خَلَقُ
أدّبه سادةٌ كـرام فما * ثوباه إلا العـفاف والخُـلُق

وأنشد الرِّياشىّ :

غضبان(١) يعـلم أنّ المـال ساق له * ما لم يَسُـقْه له دِينٌ ولا خُلُق
لولا ثلاثون ألفـا سُقْتها بَطَـرًا * إلى ثلاثين ألفـا ضاقت الطُّرُق
فمَن يكن عن كِرام الناسِ يسألنى * فأكرمُ(٢) الناسِ من كانت له وَرِق

وقال أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح :

استغنِ أومُتْ ولا يَغْرُرْكَ(٣) ذونَشَب * من آبن عمّ ولا عمّ ولا خال
يلوون ما عنـدهم من حقّ أقربهم * وعن صديقهـم والمـالُ بالوالى
ولا أزال على الزَّوْراء(٤) أعمُرها، * إنّ الكريم على الإخوان ذو المـال
كلّ النـــداء إذا ناديتُ يَخـذُلنى * إلّا ندائى إذا ناديتُ يا مالى

وقال حسّان :

رُبّ حلِمٍ أضاعه عَـدَمُ المـا * ل وجهـلٍ غطّى عليه النعيمُ

وقال الهُذَلىّ :

رأيتُ مَعاشِرا يُثْنَى عليهـم * إذا شَبِعوا وأوجُهُهم قِباحُ

(١) فى العقد الفريد «حيران» . (٢) فى الأصل «قلت له الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد .
(٣) فى الأصول يعزرك بالعين والزاى ، والتصويب عن الأغانى . (٤) فى القاموس : الزوراء مال لأحيحة .

يَظَلُّ المُصْرِمون[1] لهم سُجُودا * ولو لم يُسْقَ عندهُمُ ضَيَاحُ[2]

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أنّ لى مثل أُحُد ذهبا لا أنتفع منه بشىء. قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمنى عليه. قال الصَّلَتان:

إذا قلتَ يوما لمن قد ترى: * أرُونى السَّرِىَّ، أرَوْك الغَنِى
وسِرُّك ما كان عند امرئٍ * وسِرّ الثلاثة غيرُ الخَفِى

وقال آخر:

لا تسألى النّاسَ: ما مجدى وما شَرَفى، * الشأنُ فى فِضّتى والشأنُ فى ذهبى
لو لم يكن لىَ مال لم يَطُرْ أحد * بابى ولم يعرفوا مجدى ومجد أبى

وقال آخر:

أجلّك قوم حين صِرْتَ إلى الغِنى، * وكلُّ غَنِىّ فى العيون جليلُ
ولو كنتَ ذا عقل ولم تُؤتَ ثروةً * ذَلَلتَ لديهم والفقير ذليلُ
إذا مالت الدنيا على المرء رغَّبَت * إليه ومال الناسُ حيث يميلُ
وليس الغِنَى إلّا غِنىً زَيّنَ الفتى * عشيّةَ يَقْرِى أو غداةَ يُنيلُ

وقال آخر:

وكلُّ مُقِلٍّ حين يغدو لحاجةٍ * إلى كلّ من يغدو[3] من الناس مذنبُ
وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رَأَوْنى مُعْدِماً مات مرحبُ

وقال آخر:

أبا مصلح أَصلح ولا تك مفسدا * فإنّ صلاحَ المال خيرٌ من الفقرِ
ألم تر أنّ المرء يزداد عِزّةً * على قومه إن يعلموا أنه مُثرِى

وقال عُرْوة بن الوَرْد:

ذَرِينى للغِنَى أَسعى فإنى * رأيتُ النّاس شرُّهم الفقيرُ

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياح: اللبن الرقيق الممزوج بالماء.
(٣) كذا بالأصول، وفى العقد الفريد: «يلق».

وأبعدُهم وأهونُهم عليهـم * وإن أمسى له حَسَبٌ وخيرُ
ويُقصيه النّدىُّ وتزدريه * حليلتُه وينهَـرُه الصـغيرُ
ويُلْفِى ذا الغِنَى وله جلالٌ * يكاد فؤاد صاحبـه يطيرُ
قليـلٌ ذنبـه والذنبُ جَمٌّ * ولكن للغَنِى ربٌّ غفـورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل :

وَيْكَأَنْ مَن يكن له نَشَـبٌ يُحْـ * ـبَبْ ،ومن يَفتقرْ يعِش عيشَ ضرِّ
ويُجَنَّب سرَّ النـجِىّ ولكنْ * أخا المـال مُحضَرٌ كلَّ سرِّ

وقال آخر :

ألم تر بيتَ الفقر يُهجَرُ أهـلُهُ * وبيتَ الغِنَى يُهْدَى له ويُزارُ .

وقال آخر :

إذا ما قلّ مالك كنتَ فردا * وأىُّ الناس زُوّار المُقِلّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرارة :

وما لبُّ اللبيب بغـير حظّ * بأغنى فى المعيشة من فَتيـلِ
رأيتُ الحظّ يسـتُر عيبَ قوم * وهيهات الحظوظُ من العقول

وقال الطائىّ :

الصبر كاسٍ وبطنُ الكف عاريةٌ * والعقلُ عارٍ إذا لم يُكسَ بالنَّشَب
ما أضيَعَ العقل إن لم يَرْعَ ضيعتَه * وَفْرٌ، وأىّ رحًا دارت بلا قُطُب؟

وقال آخر :

عِش بجَدٍّ ولا يضُرُّك نَوْكٌ (١) * إنما عيشُ من ترَى بالجدود
عِش بجـدّ وكن هَبَنَّقَةَ القيـ (٢) * ـسىّ نَوْكا أو خالدَ بن يزيد

(١) فى الأصول «فلم» ، والتصويب عن البيان للجاحظ .

(٢) فى البيان للجاحظ «شيبة بن الوليد» ، وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة هبنق .

وقال الطائىّ:

يَنالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكْدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ
ولو كانت الأرزاقُ تجرى على الحِجَا * هلكنَ إذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال المرّار:

إذا لم تُرافِد فى الرِّفاد ولم تَسُقْ * عدوًّا ولم تستغن فالموت أروحُ

وقال ابن الدُّمَيْنة الثقفىّ:

أطعتُ العِرْسَ فى الشهوات حتى * أعادتنى عَسِيفًا عبدَ عبدِ
إذا ما جئتُها قد بعتُ عَذْقا * تُعانِقُ أو تقبِّلُ أو تُفدِّى

وقال الأسْعَر الجُعْفىّ:

وخَصاصةُ الجُعْفىّ ما دايَنْتَه * لا ينقضى أبدا وإن قيل انقضى
إخوانُ صدقٍ ما رأوك بغِبْطة * فإن افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى

وقال آخر:

إذا المرء لم يَكسِب معاشا لنفسه * شكا الفقر أو لاقَى الصديقَ فأكثرا
وصار على الأدنينَ كَلًّا وأوشكت * صِلاتُ ذوى القربى له أن تنكَّرا
فسِر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعِشْ ذا يسار أو تموتَ فتُعْذَرا
وما طالبُ الحاجات من حيث تُبتغى * من الناس إلا من أجدّ وشمَّرا
فلا ترض من عيش بدونٍ ولا تَنَمْ * وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعسِرا

وقال آخر:

مَنْ يجمع المالَ ولا يُثِبْ بِه * ويترك العامَ لعامِ جَدْبِه
* يَهُنْ على الناس هوانَ كلبه *

قال أبو اليَقْظان: ماساد مُمْلِقٌ قط إلا عُتْبَةُ بن ربيعة .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمَة عن عُبَيد الله بن العَيْزار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احرُث لدنياك كأنّك تعيش أبدا واحرُث لآخرتك كأنّك تموت غدًا .

قال حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنى أصحـاب أيّوب عن أيّوب قال : كان أبو قِلَابة يَحُثُّ على الاحتراف ويقول : إنّ الغِنَى من العافية .

قال وقال الأصمعىّ : سأل أعرابىّ عن رجل فقالوا : أحمقُ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ مالَه فقد حفظ الأكرمَيْن: الدِّينَ والعِرضَ . ويقال فى بعض كتب الله : أطعنى فيما آمرك ولا تُعلِمْنى بمـا ينفَعُك وآمدد يدَك لباب من العمل أفتحْ لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غَلَى دماغه فى الصيف غَلَتْ قِدْرُه فى الشتاء . ويقال : حفظُ المـال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : إذا أردتم أن تعلموا منْ [أين](١) أصاب المـال فانظروا فيم ينفِقه فإنّ الخبيث يُنفَقُ سَرَفا . ونحوه قولهم: من أصاب مالا من نَهاوِش(٢) أذهبه الله فى نَهابِر. ويُقال فى مثل « الكَدّ قبل المَدّ » يراد الطلبُ قبـل العجاجة(٣) والعجز . وقال لَقِيط «الغزو أدرّ(٤) لِلّقاح وأحدّ للسلاح» . وقال أبو المعافَى :

وإن التوانى أنكح العجزَ بنتَـه * وساق إليها حين زوّجها مَهْـرا
فِراشًا وطِيئًا ثم قال لهـا آتّكى * قُصاراهما لا بدّ أن يَلِدا الفقرا

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل «مهاوش» بالميم، والتصحيح عن لسان العرب فى مادة نهبر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) فى النسخة الألمـانية هكذا : « وقال لقيط الفزارى درّ لِلّقاح وأحد للسلاح » وفى الفتوغرافية «الغز» بغير واو، والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى .

وقال زيد بن جَبَلة : لا فقير أفقرُ من غنيّ أمِنَ الفقرَ . وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلافِ درهم نفقةٌ، وما فوقها كنزٌ . ويقال : القبرُ ولا الفقرُ . ويقال : ماسبق عيالٌ مالًا قطّ إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالَكَ لا يَنمِى مالُكَ؟ قال : لأنى اتخذتُ العيالَ قبل المال واتخذ الناسُ المالَ قبل العيال . ويقال : العيالُ سوسُ المال . وقيل لمدينيّ : كيف حالُك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب مالُه وبقيت عادتُه . ويقال : الغِنَى فى الغربة وطنٌ والفقرُ فى الوطن غربةٌ .

حدّثنى محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكا نبيّ من الأنبياء إلى الله شدّةَ الفقر فأوحى اللهُ إليه : هكذا جرى أمرُك عندى أفتريد من أجلك أن أُعيدَ الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدّثنا العُتبيّ قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجدب أهلُ البادية قطّ حتى تسوّيهم السَّنةُ ثم جاءهم الخِصْب إلا عاد الغِنى إلى أهل الغنى .

قال الأصمعيّ رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمِنًى فقلت : يا أمة الله تَسألينَ ولكِ هذا الجمالُ! قالت : قدّر اللهُ فما أصنعُ؟ قلت : فمن أين معاشُكم؟ قالت : هذا الحاجّ نتقمّمُهم ونغسلُ ثيابَهم . فقلت : فإذا ذهب الحاجُّ فمن أين؟ فنظرتْ إلىّ وقالت : يا صُلْبَ الجبين! لو كنا إنما نعيشُ من حيث نَعلمُ لما عِشْنا . وقال الشاعر

أتُرَانى أَرَى من الدهر يوما * لِىَ فيه مطيةٌ غيرُ رِجْلى
وإذا كنتُ فى جميع فقالوا * قرّبوا للرحيل قدّمتُ نَعْلى
حيثما كنت لا أُخَلِّف رحلا * مَنْ رآنى فقد رآنى ورَحْلى

قيل لمدينيّ : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلبيةُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة؟ قال : الماءُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القَرِيس؟ قال : الشتاءُ .

ذم الغـــنى ومـــدح الفقر

قال شُرَيح : الجِدَةُ كنيةُ البَخْل . وقال أكثَمُ بن صَيْفِيّ : ما يسرُّنى[1] أنى مَكْفِىٌّ كلَّ أمرِ الدنيا . قيل : وإن أسمنتَ وألبنتَ ؟ قال : نعم ، أكره عادةَ العَجْز . وكان يقال : عيبُ الغِنَى أنه يُورِثُ البَلَهَ ، وفضيلةُ الفقر أنه يورث الفِكرَةَ . وقال محمد بن حازم الباهلىّ :

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شَرَف * ولا سخـاء فى طاعةٍ سَرَف
مالكَ إلّا شيءٌ تُقـــدِّمه * وكُلُّ شيء أخّرتَه تَلَف
ترُكُكَ مالًا لـــوارثٍ يتهنّـــاه وتَصْـلَى بحرّه أسـفُ

وقال ابن مُناذر :

رَضِينا قِسْــمةَ الرحمٰن فينا * لنـا عِــلمٌ وللثقفىّ مالُ
وما الثقفىُّ إن جادت كُساه * وراعَكَ شخصُه إلا خيـالُ

وقال أنس بن مالك : لمّـا خرج مروانُ من المدينة مرّ بماله بذى خُشُبٍ[2] فلما نظر إليه قال : ليس المـالُ إلا ما أُسْرِجتْ عليه المناطقُ . ورُوِى عن المسيح أنّه قال : فى المـال ثلاثُ خصالٍ ، قالوا : وما هى يارُوحَ الله : قال : لا يَكسِبُه مِنْ حِلّه قالوا : فإن فعل قال : يمنعُه من حقّه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يَشْغَله إصلاحُه عن عبادة ربه . قيل لابن عمر : توفّى زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكنها لا تتركه . وقال المَعْلوط :

ولا ســوّد المــالُ الدنىَّ ولا دنا * لذاك ولكنّ الكريم يَسُــودُ
متى ما يَرَ النـاسُ الغنىَّ وجارَه * فقــيرًا[3] يقولوا عاجـــزٌ وجليـدُ

(١) فى النسخة الألمـانية : «يسوءنى» . وهو خطأ .

(٢) فى القاموس : وخشب بجنب واد باليمامة وواد بالمدينة ، وفى المرتضى فى شرح القاموس وابن الأثير فى النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير فى الأحاديث والمغازى ويقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى الحماسة : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغِنَى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ
فكم قد رأينا من غنيٍّ مُذَمَّمٍ * وصُعلوكِ قومٍ مات وهو حميدُ
إذا المرء أعيته المُروءة ناشئا * فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

وقال آخر :

ولا تُهِينَ الفقيرَ علّك أن * تركعَ يومًا والدهرُ قد رفَعَهْ

الأخفش قال : قال المبرّد : أُريد النونُ الخفيفةُ في ولا تهينَ فأسقط التنوين لسكونه (1) وسكون اللام . وقال آخر :

ولستُ بنظّارٍ إلى جانب الغِنَى * إذا كانت العلياءُ في جانب الفقر
وإنّى لصبّارٌ على ما ينُوبُني * لأنّى رأيتُ الله أَثْنَى على الصبر

وقال أعرابيّ يمدح قومًا :

إذا افتقروا عَضّوا على الصبر حِسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِراعًا إلى الفقر

يقول : يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيّرت اليهودُ عيسى بن مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتيتُم ، وقال : حسبُك من شرف الفقر أنك لا ترَى أحدا يعصى الله ليفتقرَ . أنشد ابن الأعرابيّ (2) :

المال يغشى رجالا لا طَبَاخَ (3) بهم * كالسَّيل يغشى أصولَ الدِّنْدِنِ (4) البالى

وقال الطائىّ :

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنَى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكان العالى

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال أعرابيّ : الغَنِيُّ من كثُرت حسناته والفقير من قلّ نصيبه منها . وقال ذو الأصبع

(1) عبارة المبرد فى الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين فلعل ما هنا محرف عن «فأسقط النون لسكونها وسكون اللام» . (2) عزاه فى اللسان إلى حسان ابن ثابت ، ثم قال وورد هذا البيت فى شعر حية بن خلف الطائى . (3) الطباخ : القوة ، قال فى اللسان ومعناه فى البيت : لا عقل لهم . (4) ما بلى وعفن من أصول الشجر .

لِيَ آبْنُ عمّ على ما كان من خُلُقِي * مخـالفٌ لِيَ أقْلِيـه ويَقْلِينِي
أَزْرَى بنا أننـا شَالَتْ نَعَامَتُنا * فخالني دونه بل خلتُــه دوني

وقال آخر :

إنّ الحــرام غزيرةٌ حَلَبَـاته * ووجدتُ حالبةَ الحلال مَصُورا

قيل لأعرابى : إن فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟ . وفى كتاب للهند : ذو المروءة يكرَم مُعْدِمًا كالأسد يُهَابُ وإن كان رابضًا ، ومن لا مروءة له يُهَانُ وإن كان موسرا كالكلب وإن طُوِّق وحُلِّى . وقال خِدَاشُ بن زُهير :

أعاذِلَ إنّ المـالَ أعْـلَمُ أنّه * وجامعَـه للغائلات الغوائل
متى تجعليني فوق نعشك تعلَمِى * أَيُغْنِي مكانِى أبْكُرِى وأَفَائِلِى

وقال آخر :

اذا المرء أثرى ثمّ قال لقومــه * أنا السيّدُ المَقْضِى إليــه المعظَّمُ
ولم يُعطهم خيرًا أبَوْا أن يسودَهم * وهان عليهم رغْمُــه وهو أظلم

وقال زَبّانُ بن سَيّار :

ولسنا كقوم مُحْدَثِينَ ســيادةً * يُرَى مالُهـا ولا يُحَسّ فَعَالُهـا
مساعيهم مقصــورةٌ فى بيوتهم * ومسعاتُنا ذُبيانُ طُرًّا عِيالُهـا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصــبر على ألم الحاجة ، وذِلّةُ الفقر مانعةٌ من عزّ الصبر كما أنّ عزّ الغِنى مانعٌ من كرم الإنصاف . وقال بعض المتكلمين فى ذمّ الغنى : ألم تر ذا الغِنَى ما أدْوَمَ نَصَبَه ، وأقلّ راحتَه ، وأخسّ من ماله حظّه ، وأشدّ من الأيام حَذَرَه ، وأغرى الدّهر بثَلْمه ونقضه ، ثمّ هو بين سلطان يرعاه ، وحقوق تسترثيه ، وأكفاء يتنافسونه ، وَوَلَدٍ يودّون فراقَه ، قد بعث عليه الغِنى من سلطانه العَناءَ ، ومن أكفائه الحسدَ ، ومن أعدائه البَغْيَ ، ومن ذوى

الحقوق الذمَّ، ومن الولَد الملامةَ، لا كذِى البُلْغة قَنِع فدام له السرورُ، ورفض الدنيا فسلِم له الجسدُ، ورضى بالكَفاف فتنكّبته الحقوقُ. ضَجِر أعرابىٌّ بكثرة العيال والولَد مع الفقر وبلغه أنّ الوباء بخَيْبَرَ شديد فخرج إليها بعياله يُعرِّضهم للموت، وأنشأ يقول:

قلتُ لحُمَّى خيبرَ آستعِدِّى * هاكِ عيالى وآجهَدِى وجِدِّى

وباكِرِى بصالبٍ ووِرْدِ * أعانكِ اللهُ على ذا الجنْدِ

فأخذته الحمّى فمات هو وبقى عيالُه. وكتب عمر بن الخطاب إلى آبنه عبد الله: يابنىّ، آتق الله، فإنه من آتّقى الله وقاه، ومن توكّل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عِمادَ عينيك وجِلاءَ قلبك، وآعلم أنه لا عمل لمن لا نيّة له ولا أجر لمن لا حِسْبَة له، ولا مال لمن لا رِفق له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له. وقال محمود الورّاق:

يا عائبَ الفقر ألا تَزْدَجِرْ * عيْبُ الغِنَى أكثرُ لو تَعْتَبِرْ

مِن شَرَفِ الفقر ومن فضله * على الغِنَى إن صحّ منك النظرْ

أنك تَعْصِى اللهَ تبغى الغِنَى * ولستَ تَعصِى اللهَ كى تفتقرْ

وقال آخر:

ليس لى مالٌ سوى كرمى * فيه لى أمْنٌ من العُدُمِ

لا أقول: اللهُ أعدَمنى * كيف أشكو غيرَ متَّهَمِ

قنِعتُ نفسى بما رُزِقَتْ * وتمطّت بالعُلى هِمَمِى

وجعلتُ الصبرَ سابغةً * فهى من قَرْنِى إلى قَدَمِى

فإذا ما الدّهرُ عاتَبَنِى * لم يجِدْنى كافرًا نِعَمِى

التجارة والبيع والشراء

قال: حدّثنى محمد بن عُبَيْد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عمّن حدّثه يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ مَرْغَمَةً ومرحمةً ولم أُبعَثْ تاجرًا ولا زَرّاعًا وإنّ شرّ هذه الأمّة التّجّارُ والزرّاعون إلّا مَنْ شَحّ عن دينه». وفى حديث

آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جُبَير: سئل النبيّ صلى الله عليــه وسلم أىُّ الكسب أطيبُ قال : «عَمَلُ الرجل بيــده وكلُّ بيع مبرور» .

حدّثني يزيد بن عمرو قال حدّثنا عَوْن بن عُمارة عن هشام بن حسّــان عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ فى شيء ثلاث مرات فلم يُصبْ فيه فليتحوّل منه إلى غيره. وقال : فرّقوا بين المنايا،[1] واجعلوا الرأسَ رأسين ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزَة. وقال: إذا اشتريتَ بعيراً فاشترِه عظيمَ الخَلْق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخطئك سوقٌ. وقال : بع الحيوانَ أحسَنَ ما يكون فى عينك . وقال الحسن: الأسواقُ موائدُ الله فى الأرض فمن أتاها أصاب منها. ابن المبارك عن مَعْمَر عن الزُّبيرى قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئا، فقال : «عليك بالسَّوْم أوّلَ السوق فإن الرَّبَاح مع السماح». وكان يقال : اِسْمَحْ يُسْمَحْ لك . وفى بعض الحديث المرفوع : «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياءَ باتخاذ الغنم والفقراءَ باتخاذ الدَّجاج» . وقيل للزُّبَير : بمَ بلغتَ ما بلغت من اليسار؟ قال : لم أَرُدَّ ربحًا ولم أستُرْ عيباً . دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيعُ الرقيق . قال : بئس التِّجارةُ ضمانُ نفسٍ ومَئُونةُ ضِرْسٍ .

باع رجلٌ ضَيْعةً فقال للمشترى : أما والله لقد أخذتَها ثقيلةَ المَئُونة قليلةَ المنفعة، فقال : وأنت والله لقد أخذتَها بطيئةَ الآجتماع سريعةَ التفرّق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير فى النهاية وابن منظور فى اللسان «فرّقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين الخ» وقالا فى تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا فى الثمن واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بقى الآخر فكأنكم فرقتم مالكم عن المنية اهـ ولا تلثوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحوّلوا عنها إلى غيرها .

رجل دارًا فقال له المشترى: لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بعتُك الذراع بدرهم .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ أنّ أبا سُفيان بن العَلاء باع غلامًا له بثلاثين ألفًا فقال عمر بن أبى زائدة: هذا أحمق، قالوا: كيف؟ قال: لأنّه لم يبلغ ثلاثين ألفا حتى أُعطى قبل ذلك عشرون ألفا فكيف انتظر ولم يغتنمها . ورُئى عبد الله ابن جعفر يُمَاكِس فى درهم فقيل له: أتُمَاكس فى درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالى جدتُ به وهذا عقلى بَخِلْتُه[1] . ابتاع ابن عمر شيئا فحثا له البائعُ على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدكَ ولا تُمسكْ على رأسه فإنّما لى ما يحمله المكيالُ . كان جريرُ بن عبد الله إذا اشترى شيئًا قال لصاحبه: إن الذى أخذنا منك خيرٌ ممّا أعطيناك إذ أظنّ أنّه كذلك فأنتَ بالخيار . اشترى عمرو بن عُبيد إزارا للحسن بستّة دراهم ونصف فأعطاه سَبْعَةَ دراهم فقال الرجل: إنما بعتهُ بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إنى اشتريتهُ لرجل لا يقاسِم أخاه درهما .

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبى الزِّناد قال: إذا عَزَبَ المالُ قلَّتْ فواضلُه، لا بَلَحةَ ولا بُسْرةَ ولا رُطَبةَ ولا كُرْنَافةَ . ونحوه قول بعض الحجازيّين:

سَأَبغيكَ مالًا بالمدينة إنّنى * أرى عازبَ الأموال قلَّتْ فواضلُهْ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَم سهلُ بن حُنَيف بيننا أموالنا وقال لى: يابنَ أختى إنى أُوثِرك بالقرابة، اعلمْ أنّه لامال لأخرقَ ولا عَيْلةَ على مُصلح، وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمتَه، وإن الرقيقَ جَمَالٌ وليس بمال . قال زياد: ليس لذى ضَعْفٍ

(١) كذا بالأصل ولعله بخلت به .

مثل أرض عُشْرٍ وليس لذى جاه مثلُ خَراجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامتٍ. قال رجل لآخر: بكم تبيع الشاةَ؟ قال: أخذتُها بستةٍ وهى خير من سبعةٍ وقد أُعطيتُ بها ثمانيةً فإن كانت من حاجتك بتسعةٍ فَزِنْ عشرةً. كان يقال: خيرُ المال عينٌ خَرَّارة، فى أرض خوّارة، تُفَجِّرُها الفارة، تسهرُ إذا نِمتَ، وتشهدُ إذا غِبتَ، وتكون عقباً إذا مِتَّ. عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزهرىّ عن سعيد بن المسيِّب قال: إن الله إذا أبغض عبدا جعل رزقه فى الصِّياح. وقال الفُضَيل مثلَ ذلك وقال: أما سمعتَ إلى أهل دارِ البطِّيخ والملّاحين ودَوِيِّهم.

قال حدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أحمد بن الحارث الهُجَيْمىّ قال حدّثنا المُبارك بن سعيد عن بُرْد بن سِنان عن نافع عن ابن عمر أنّه كان لا يرى بالمُكايسة والمُماكسة فى الشراء والبَيْع بأسًا.

قال حدّثنى محمد قال حدّثنى الأصبهانىّ عن يحيى بن أبى زائدة عن مُجالِد عن أبى بُردة. قال: أتى عمرُ غلامًا له يبيع الحُلَل، فقال له: إذا كان الثوب عاجزا فانشره وأنت جالسٌ وإذا كان واسعا فانشره وأنت قائم. قال، فقلتُ له: اللهَ اللهَ ياعمرُ. قال: إنما هى السُّوق. قال عبد الله بن الحسين: غَلّةُ الدور مُسْكةٌ وغلّةُ النخل كَفافٌ وغَلّةُ الحَبِّ الغِنَى. قال أعرابىّ:

زيادةُ شيءٍ تُلحِقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاء فى التجارة أربحُ

ولمّا بلغ عُتبةَ بنَ غَزْوانَ أنّ أهل البصرة قد اتخذوا الضِّياعَ وعَمَرُوا الأرضين كتب إليهم: لا تَنْهَكُوا وجهَ الأرض فإن شَحْمتها فى وجهها. قال أعرابىّ:

وفى السُّوق حاجاتٌ وفى النَّقدِ قِلّةٌ * وليس بِمُقْضِى(1) الحاجِ غيرُ الدّراهمِ.

قال ميمون بن ميمون: من اشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غُبِنَ.

(1) كذا بالأصل. ولم نجد فى القاموس أو اللسان أقضى بمعنى قضى. ولعله: وليس مُقضِّى الخ.

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى . قال : حدّثنى شُكْر الحَرَشى [١] قال : جاء الحسن بشاةٍ فقال لى بِعْها وأبرأ من أنّها تقلِبُ المَعْلَف وتَنزِعُ الوَتِدَ مِنْ قَبْلِ البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر :

إذا ما تاجرٌ لم يُوفِ كيلاً * فصُبَّ على أنامله الجُذام

ابن الزيات فى الطائىّ :

رأيتُكَ سهلَ البيع سَمْحًا وإنما * يُغَالِى إذا ما ظَنّ [٢] بالشىء بائعُهْ
هو الماء إن أحميتَه طاب شُرْبُهُ * ويَكدُرُ يوما أن تُبَاحَ مشارِعُهْ

حُدِّثت عن شَيْبان بن فَرّوخ عن أبى الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يتّجر فى البحر ويحمل الخمرَ يأتى بها قوما ، فعمَد إليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصِّرْف واشترى قردًا فحمله معه فى السفينة ، فلمّا لَجَّج فى البحر لم يَشعُرْ إلّا وقد أخذ القردُ الكيسَ وعلا على الصّارِى وجعل يُلقِى ديناراً فى البحر وديناراً فى السفينة حتى قسمه قِسمين . قال رجلٌ من الحاجّ : أتانا رجل من الأعراب بالرمل فى طريق مكّة بغِرارة فيها كَمْأة ، فقلنا له : بِكَمِ الغِرارةُ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : فى آست المغبون عُودٌ ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فإذا نحن على الكمأة قيامٌ . قيل لأعرابىّ : ألا تشترى لابنك بِطّيخةً . فقال : لا ، أوْ يبلغَ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يَدَى البقّال وأخذه وعَدَا رماه بأخرى ولم يَعْدُ خلفه . اشترى أعرابىّ غلامًا فقال للبائع : هل فيه من عيبٍ ، فقال : لا ، غيرَ أنّه يبول فى الفراش . فقال : ليس هذا بعيبٍ ، إن وجد فِراشًا فليبُلْ فيه .

(١) فى الألمانية «الحارثى» .
(٢) هكذا بالأصل ظنّ بالظاء ، ولعله ضنّ بالضاد المعجمة بمعنى بخل .

الدَّيْن

قال ثابت قُطْنة : الدَّين عُقْلة الشريف . وقال دُليم :

اللهُ لَقّى من عَرابة بَيْعـةً * على حين كاد النَّقدُ يعسُر عاجِلُهْ
ولوّى بَنانَ الكفّ يحسُب ربحَه * ولم يحسُبِ المَطْلَ الذى أنا ماطِلُهْ
سيرضى من الرِّبح الذى كان يرتجى * أس الذى أَعْطَى وهل هو قابِلُهْ

عبد الرازق عن آبن جُرَيج قال : رآنى عمر وأنا متقنّع ، فقال : يا أباخالد ، إن لقمان كان يقول : القِناعُ بالليل رِيبةٌ وبالنهار مذلّةٌ ، فقلتُ : إنّ لقمان لم يكن عليه دَينٌ . كتب يعقوب بن داود إلى بعض العُبّاد يسأله القدومَ عليه ، فأتى محمدَ بن النضر الحارثىَّ فاستشاره وقال : لعلّ اللهَ يقضِى دَينِى ، فقال محمد بن النضر : لأن تلقى الله وعليكَ دَينٌ ولك دِينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيتَ دَيْنَكَ وذهب دِينُكَ . قال عِياض بن عبد الله : الدَّينُ رايةُ الله فى أرضـه فإذا أراد أن يُذلّ عبدًا جعلها طَوقًا فى عنقه . دخل عُتْبة بن عمرو[1] على خالد القَسْرىّ . فقال خالد يُعرّض به : إنّ ههنا رجالا يَدّانون فى أموالهم فاذا فنيت آدّانوا فى أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالا تكون مُروءاتُهم أكثرَ من أموالهم فيَدّانون على سَعَة ما عند الله ، فخجل خالد وقال : إنّك منهم ما علمتُ . وقال أعرابىّ يذكر غُرَماء له :

جاءوا إلىّ غِضـابًا يَلْغَطون معا * يَشفِى أذاتَهمُ أن غاب أنصارى
لمـا أبوْا جَهْـرةً إلا ملازمتى * أجمعتُ مكرًا بهم فى غـير إنكار
وقلت إنى سـيأتينى غدًا جَلَبى * وإنّ موعدَكم دارُ آبنِ هَبّار
وما أُواعِـدهم إلا لِأَرْبُثَهُـم[2] * عنى فيُخرِجُنى نَقْضِى وإمرارى

(١) فى الألمانية عمير بالتصغير . (٢) فى العقد الفريد : لأدرأهم .

وما جلبتُ إليهم غيرَ راحلةٍ * تَخْدى برحلى وسيفٍ جَفْنُه عارى
إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ[1] * فاطوِ الصحيفةَ وآحفظها من الفار

وقال آخر لغرمائه:

ولو علّقتمونى كلَّ يوم * برجلى أو يدى فى المنجنيق
لما أعطيتُكم إلا تُرابا * يُطيَّرُ فى الخَيَاشم والحلوق

وقال آخر:

إذا جئتَ الأميرَ فقل سلامٌ * عليك ورحمةُ الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبّحَ من غريم
له ألفٌ علىّ ونصفُ ألفٍ * ونصفُ النصفِ فى صَكٍّ قديم
دراهم ما آنتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخَ بنى تميم

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى . قال : جاء رجل من بنى مخزوم إلى الحارث بن عبد الله بن نَوْفل وهو يقضى عن أخيه دينًا فقال : إنّ لى على أخيك حقًّا، قال : ثبِّتْ حقَّك تُعْطَه . قال : أفَمِنْ مَلَاءة أخيك ووفائه ندّعى عليه ما ليس لنا؟ فقال : أمِنْ صدقِكَ وبِرّك نقبل قولَكَ بغير بينةٍ ؟ . لزم سهلَ بن هارون دَيْنٌ كثيرٌ، فقال أعرابىّ يوصيه بالتّوارى عن غُرمائه:

انزل أبا عمرو على حدّ قريةٍ * تَرَبّعْ إلى سهل كثير السَّلَائق
وخذ نَفَقَ اليَرْبوع فآسلك طريقه * ودع عنك إنّى ناطقٌ وآبنُ ناطق
وكن كأبى قُطْب على كلّ رائع * له بابُ دارٍ ضيّق العَرْض سامق

وأبو قُطْبَة خَنّاق كان بالكوفة مولى لِكِنْدَة .

حدّثنى محمد بن عبيد . قال : حدّثنى سُفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمير أنّ رجلًا كان يُبايع الناسَ ويداينهم، وكان له كاتب ومَتْجَرٌ، فيأتيه

(١) فى العقد الفريد : النار .

المُعْسِرُ والمستنظِرُ فيقول لكاتبه : أَكْلِئْ وٱستنظِرْ وتجاوَزْ ليومٍ يتجاوز اللهُ عنا فيه ، فمات لا يعمل عملا غيره فغفر الله له . قال شُقْرانُ القُضاعيّ :

لو كنتُ مولى قيسِ عَيْلانَ لم تجد * عليّ لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنّني مولى قُضاعَةَ كلها * فلستُ أُبالى أن أَدِينَ وتَغْرَما

بلغنى عن يحيي بن أيّوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى عبد الرحمن بن عوف يستسلِفُه أربعمائةِ درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلِفُنى وعندك بيت المـال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إنى أتخوّف أن يصيبنى قَدَرى ، فتقول أنت وأصحابُك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلّفها منك لما أعلم من شُحّك فإذا مِتُّ جئتَ فٱستوفيتَها من ميراثى .

كتب أبو عَبّاد المهلّبى[1] إلى صديق له مُكثِرٍ يَستسلِفُه مالا ، فٱعتلّ عليه بالتعذُّر وضيق الحال ، فكتب إليه ٱبنُ عبّاد[1] : إن كنتَ كاذبا فجعلك الله صادقًا وإن كنتَ ملومًا فجعلك الله معذورًا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العبّاس بن عُتبة بن أبى لَهَب الشاعرِ يُعَيِّن الناسَ فإذا حلّت دراهمُه ركب حمارًا له يقال له شاربُ الريح فيقف على غرمائه ويقول :

بَنِى عمِّنا رُدّوا الدراهمَ إنما * يُفَرِّق بين الناس حُبُّ الدراهم

وكان رجل من بنى الدِّيل عَسِر القضاء فإذا تعلّق به غرماؤه فرّ منهم وقال :

فلو كنتُ الحديدَ لكسّرونى * ولكنى أشَدُّ من الحديد

فعيّنه الفضلُ فلما كان قبل المَحِلّ جاء فبنى مَعْلَفًا على باب داره ، وكان يقال للرجل عَقْرب فلقِىَ كل واحد من صاحبه شِدّةً ، فهجاه الفضل فقال :

(١) فى الألمانية المُهَلّبى ولم نقف على من اشتهر بأبى عباد وهو ابن عباد سوى أبى عباد يحيى بن عباد الضبعى البصرى ولكن المنسوب إلى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلبى .

قد تَجَرتْ فى دارنا عقربٌ * لا مرحبًا بالعقرب التاجره
إن عادتِ العقربُ عُدنا لها * وكانت النّعـلُ لها حاضره
كُلّ عـدوٍ يُتّقى مُقبِـلًا * وعقربٌ تُخشَى من الدّائره
إنّ عدوّا كيدُه فى آسته * لَغيرُ ذى كيـدٍ ولا نائره

قال بعضهم : ثلاثة من عازّهم عادت عِزّته ذِلّة : السلطان، والوالد، والغريم . وفى الحديث المرفوع : «لصاحب الحقّ اليدُ واللسانُ» . المدائنى قال : سايَر بعضُ خلفاء بنى أميـة رجلًا وهو يحادثه ثم قطعَ حديثه وآصفرّ لونه ، فقال له الرجل : ما هـذا الذى رأيتُ منك؟ قال : رأيت غريمًا لى ، قال الشاعر :

إذا ما أخذتَ الدَّين بالدَّين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرمًا على غُرم

وقال آخر :

أخذتُ الدَّينَ أدفع عن تِلادى * وأَخْذُ الدَّين أهلكُ للتِّـلاد

كان لرجل من يَحصُبَ على رجل من باهلة دينٌ ، فلما حل دينُه هرب الباهلىّ وأنشأ يقول :

إذا حلّ دينُ اليحصُبىّ فقل له : * تزوّد بزادٍ وآستعن بدليـلِ
سَيُصبحُ فوقى أقتمُ الرأس واقعًا (١) * بقَالِى قَلَا أو من وراء دَبِيـلِ

قال المحدّث بهذا : فحدّثنى من رآه بقالِى قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت عليه عُقابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابىّ على باب قوم يسألهم ، فحلفوا له : ما عندهم شىء يُعطُونه ، فقال : استقرضوا لنا شـيئا ، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شـيئا ، فقال أبو فرعون : ذلك لأنكم تأخذون ولا تُعطُون ، أو قال ولا تَقضُون . أتى قومٌ عِباديًّا فقالوا : نحبّ أن تُسلِفَ فلانا ألفَ درهم وتؤخِّرَه بها سنةً ، قال : هاتان حاجتان ،

(١) الذى فى اللسان : سيصبح فوقى أقتم الريش واقعا .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلتُ فقد أنصفتُ، أنا أؤخرّه ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ: قد آن للحقّ الذى عندك أن يرجعَ إلى أهله، ونَستغفرُ اللهَ تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعُروة بن الزُّبَير ومُصعَب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعبٌ : تمنَّوْا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولايةُ العراق وتزوّجُ سُكَينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عُبَيد الله، فنال ذلك وأصدقَ كلَّ واحدة خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها. وتمنى عُروةُ بن الزُّبَير الفقهَ وأن يُحمَلَ عنه الحديثُ فنال ذلك . وتمنّى عبدُ الملك الخلافة فنالها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنةَ .

قال قُتَيبة بن مُسلم لحُصين بن المُنْذر : ما السّرورُ ؟ قال : امرأةٌ حسناء، ودارٌ قَوْرَاء، وفرسٌ مُرتبِطٌ بالفِناء . وقيل لِضرار بن الحُسين : ما السّرورُ؟ قال : لِواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والسـلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبـد الملك بن صالح : ما السّرورُ ؟ فقال :

كلّ الكرامة نِلتَها * إلاّ التحيةَ بالسلام

يريد أنه لم يُسَلَّم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر :

مِن كلّ ما نال الفتى * قد نِلتُـه إلا التحيه

يريد المُلكَ . قيل لعبد الملك بن الأهتم : ما السّرورُ؟ فقال : رفعُ الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطولُ البقاء، مع القدرة والنّمـاء(١) . وقال آخر :

أطيبُ الطيّبات قتلُ الأعادى * واختيالٌ على متُونِ الجياد

وأيادٍ حَبَوْتهنَّ كريمـا * إن عند الكريم تزكو الأيادى

(١) فى النسخة الألمـانية: «والنّهى» .

قيل للفضل بن سهل : ما السّرورُ؟ فقال : توقيعٌ جائزٌ وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيءٍ أسَرُّ للقلوب؟ فقالوا : رجل هَوِىَ زمانا ثم قَدَر، فقال : إن هذا السّرورُ. وقال آخر : رجل طلب الولدَ زمانا فلم يولَد له ثم بُشّر بغلام ، فقال يزيد : أسرّ من هذا كلّه قَفْلَةٌ على غَفْلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكَفَاف من عيش يَسُدّ خَلّتى ويستر عورتى ، والانتقال من ظِلّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من مَلاذّك ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديثَ على التِّلَاع العُفْر فى الليالى القُمْر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيشِ الدنيا؟ فقال : بيضاءُ رُعْبُوبة، بالطِّيب مَشوبة(١)، بالشحم مكروبة . وقيل لطَرَفة مثلُ ذلك فقال : مطعمٌ شهِىّ وملبسٌ دَفِىّ، ومركبٌ وطِىّ . وقيل للأعشى مثلُ ذلك ، فقال : صهباءُ صافية، تمزُجُها ساقية، من صَوْب غادية . وقال طَرَفة :

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى * وجَدِّك لم أحْفِلْ متى قام عُوّدى
فمنهن سبق العاذلاتِ بشَربة * كُمَيتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِد
وتقصيرُ يوم الدَّجْن والدجنُ مُعْجِبٌ * ببهْكَنَةٍ تحت الطِّراف المُعَمّد
وكَرّى إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبا * كسِيدِ الغَضا نَبّهْتَه المتورِّد

وقال أبو نواس :

قلت بالقُفْص ليحيى * ونداماى نيامُ
يا رَضِيعِى ثَدْىَ أُمٍّ * ليس لى عنه فِطَامُ
إنّما العيشُ سَماعٌ * ومُدامٌ ونِدامُ
فإذا فاتك هذا * فعلى العَيْش السلامُ

وقال سُحَيمٌ :

تقول حَذْراءُ: ليس فيك سوى الـ * ـخمر مَعَابٌ يَعيبه أَحَدُ

(١) كذا بالأصل ولعله «مشبوبة» .

فقلتُ: أخطأتِ، بل مُعَاقرتى الـ * ـخمرَ وبَذْلى فيها الذى أجِدُ
هو السَّناء(١) الذى سمعتِ به * لا سَبَدٌ مُحْتَدِى(٢) ولا لَبَدُ
ويحكِ لولا الخمورُ لم أحْفِلِ الـ * ـعيشَ ولا أن يَضُمَّنى لَحَدُ
هى الحيا والحياة واللهو لا * أنت ولا ثَرْوَةٌ ولا وَلَدُ

وقال أبو الهندىّ

تركتُ الخمورَ لأربابها * وأصبحتُ أشربُ ماءً قَرَاحا
وقد كنتُ حينا بها مُعجَبًا * كحبِّ الغلامِ الفتاةَ الرَّدَاحَا
وما كان تركى لها أننى * يَخافُ نديمى علىّ افتضاحا
ولكنّ قولِى له مرحَبًا * وأهلًا مع السهل وأنعِمْ صَبَاحا

وقال آخر:

اِسْقِنِى بالكبير إنّى كبيرٌ * إنّما يشربُ الصغيرَ الصغيرُ
لا يَغُرَّنْكَ يا عُبَيْدُ خُشوعى * تحت هذا الخشوعِ فِسقٌ كثيرُ

كان ابن عائشة يُنشِد

لمّا رأيتُ الحظّ حظَّ الجاهلِ * ولم أرَ المَغْبونَ غيرَ العاقلِ
رَحَّلْتُ عَنْسًا من كروم بابل * فبِتُّ من عقلى على مراحل

وقال آخر:

شَرِبنَا من الدّاذىّ حتى كأننا * ملوكٌ لهم بَرُّ العراقَين والبحرُ
فلمّا انجلت شمسُ النهار رأيتَنا * تَوَلَّى الغِنَى عنا وعاودَنا الفقرُ

قال بعضهم: العيشُ كله فى كثرة المال وصحةِ البدن وخمولِ الذكر. وكان يقال: ليس السّرورُ للنفس بالجِدَةِ، إنما سرورُ النفس بالأمل. قال يزيد بن معاوية:

(١) فى النسخة الألمانية: الثناء. (٢) فى النسخة الألمانية: مخلدى.

ثلاث تُخْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضّعف : سرعةُ الجواب ، وطول التمنّى ، والاستغراب فى الضحك . وكان يقال : المُنَى والحُلْمُ أخوان . وسئل ابن أبى بَكْرة : أىُّ شىءٍ أدْوَمُ إمتاعًا ؟ فقال : المُنَى . وقال الشاعر :

إذا تمنَّيتُ بتُّ الليلَ مُغتبِطًا * إن المُنَى رأسُ أموالِ المَفاليس

وقال آخر :

ما فاتنى منك فإنّ المُنَى * تدنيـه(١) منّى فكأنّا معا

وقال آخر :

وإن لوًّا ليس شيئا سوى * تسلية اللّوْماء بالباطل

وقال بعض الأعراب :

مُنًى إن تكن حقّا تكن أحسنَ المنَى * وإلّا فقد عشنا بها زمنا رَغْدَا

أمانِىّ من سُعْدَى عِذَابًا كأنما * سَقَتْك بها سُعدى على ظمأ بَرْدا

وقال بشار :

كررنا أحاديثَ الزمان الذى مضى * فـلذّ لنـا محمودُها وذميمُها

وقال المجنون :

أيا حَرَجَاتِ الحىّ حيث تحمّلوا * بذى سَلَم لا جَادَكُنّ ربيعُ

وخَيماتُكِ اللاتى بمُنعرَج اللِّوَى * بلَين بِلًى لم تَبْلَهنّ رُبوعُ

فَقدتُكِ من نفس شَعاعٍ(٢) فطالما * نهيتُكِ عن هـذا وأنتِ جميعُ

فقرّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ * إليكِ ثنايا(٣) مالهنّ طُلوعُ

(١) فى الأصل «يدنيه» . (٢) كذا فى الأغانى واللسان . وفى الأصول «قلب» .

(٣) فى الأصول «منال ثنايا الخ» . والتصويب عن الأغانى .

وقال ابن أبى الدُّمَينة[(١)] :

يا ليتنا فَرَدَا وحش ندورُ معًا * نرعَى المِتَانَ[(٢)] ونخفَى فى نواحيها
أو ليتَ كُدْرَ القَطا حلّقن بى وبها * دون السماء فعِشْنا فى خوافيها
أكثرتُ مِن ليتنا لو كان ينفعُنى * ومِن مُنَى النفس لو تُعطَى أمانيها

وقال كُثير :

فياليتنا يا عزّ من غــير ريبة * بعيران نَرعَى فى الفلاة ونَعزُب
نكونُ لذِى مالٍ كثيرٍ يُضيعُنا * فلاهو يرعانا ولا نحن نُطلَب

وقال جِرانُ العَوْد :

ألا ليتنا طارت عُقابٌ لنا معًا * لها سببٌ عنــد المَجَرّة أو وَكْرُ

وقال مالك بن أسماء :

ولمـا نزلنا منزلًا طَلّه النّــدى * أنيقًا وبُستانا مِن النَّوْر حاليَا
أجَدّ لنا طِيبُ المكان وحسنُه * مُنًى فتمنّينا فكنتِ الأمانيَـا

وأنشدنا الرِّياشىّ :

نهارى نهارُ الناس حتَّى إذا دجا * لِيَ الليلُ مَلّتنى[(٣)] هناكَ المضاجعُ
أُقضّى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعُنى والهمَّ بالليــل جامعُ

وأنشد أبو زيد :

كأنّى إذ أسعى لأظفَرَ طائرٌ * مع النجم فى جوّ السماء يَطيرُ
فتًى مُتَلَهّى بالمُنَى فى خلائه * وهنّ وإن حسّنتَهنّ غُرورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبى، والصواب ابن الدمينة .
(٢) المتان جمع متن: وهو ما صلب من الأرض وارتفع .
(٣) فى ديوان ابن الدمينة : « هزتنى اليك » بدل « ملتنى هناك » .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : زعم شيخ من بنى القُحَيف قال : تمنّيتُ دارا فمكثتُ أربعة أشهر مُغْتمًّا للدّرجة أين أضعُها. قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيح المُغَنِّى: خذ بنا فى التمنّى فوالله لأغلبنَّك . قال : والله لا تغلبنى أبدا . قال : بلى . قال بُدَيحٌ: فإنى أتمنّى كِفْلَين من العذاب، وأن يلعَنَنى الله لعنا كثيرا فخذ ضِعفَىْ ذلك . قال : غلبتنى لعنك الله . قيل لمُزَبِّد : أيسرّكَ أنّ هذه الجنة لك؟ قال : وأَضْرَبُ عشرينَ سوطا . قالوا : ولِمَ تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شىء إلا بشىء .

الأصمعىّ عن مُبَشّر بن بَشير أن رجلا كان يطلبه الحجّاج فمرّ بساباط فيه كلب بين جُبَّين يَقْطُر عليه ماؤهما . فقال : ياليتنى مثلُ هذا الكلب ، فما لبث ساعةً أن مُرّ بالكلب فى عنقه حبلٌ ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب . قال مَدِينىّ لكوفىّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: وَدِدتُ أنى وَقَيتُه ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شىءٌ من المكروه إلّا كان بى دونه . قال المدينىّ : وَددتُ أن أبا طالب كان أسلَمَ فسُرّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنّى كافرٌ .

تمَنّى ابن أبى عَتيق أن يُهدَى له مسلوخٌ يَتخذُ منه طعاما ، فسمعته جارةٌ له فظنّت أنه قد أمر أن يُشترَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقّ البابَ ، وقالت : شَمِمتُ ريحَ قُدوركم فجئتُ لِتطعِمونى ، فقال ابن أبى عتيق : جيرانى يَشَمّون ريحَ الأمانِى .

وفى كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن فى جرّة ، ففكّر يوما فقال : أبيعُ الجرّةَ بعشرة دراهم ، وأشترِى خمسةَ أعنُزٍ فأُولِدُهُنّ فى كلّ سنةٍ مرتين ، ويبلغ النِّتاجُ فى سنين مائتين ، وأبتاعُ بكل أربع بقرةً ، وأُصيب بَذْرا فأزرع ، ويَنْمِى المالُ فى يدى ، فأتّخذُ المساكنَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولَدُ لى ابنٌ فأسميه كذا وآخذه

بالأدب ، فإن هو عصانى ضربتُ بعصاى رأســه وكانت فى يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابت الجرّةَ فانكسرت ، وانصبّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبىّ قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال :

ليت أيّامنا ببُرْقة خَاخ ✻ ولياليكَ ياطويلُ تعودُ

وإذا كان مغتمّا قال :

تَرَى الشيءَ مما نتّقِى فتخافُه ✻ وما لا تَرَى مما يَقِى اللهُ أكثرُ

الأصمعىّ عن أبيــه قال قال زِياد : أىّ الناس أنعمُ ؟ قالوا : معاوية . قال : فأين ما يَلْقَى من الناس ! قالوا : فأنت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخــراج ! قالوا : فمن ؟ قال : شابٌّ له سِدَادٌ من عيشٍ ، وامرأةٌ قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرَفَنا وعرَفْناه أفسدنا عليه دينَه ودنياه .

التواضــــع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال حدّثنا مسـلم بن قُتيبة عن شـيخ من أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حَيْوَة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلحَ من السِّراج فقلت : يا أمير المؤمنين لِمَ لا أمرتَنِى بذلك ، أو دعوتَ له من يُصلِحُه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمرُ وعدتُ وأنا عمرُ .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القُرَظىّ ، فقيل له : أو الأنصارىّ . فقال : أكره أن أَمُنّ على الله بما لم أفعل .

قال حدّثنى أحمد بن الخليــل قال حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة عن يعقوب بن حمّاد المدنىّ عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيــه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر لا يقوم فى الظلّ ، وكان يَرْحلنا رِحالَنا ويُرَحِّلُ رحلَه وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهمّ * والبس له القميص واعتمّ (١)
وكن شريكَ نافع وأسلم * ثم اخدُم الأقوامَ حتى تُخدَم

وروى وَكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال : جاء رجل إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، فأصابته رِعدةٌ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القَديدَ» .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جلس الأحنف على باب دار، فمرّت به ساقيةٌ فوضعتْ قِربتَها وقالت : ياشيخ ، احفظ قربتى حتى أعودَ ومضت ، فأتاه الآذن وقال : انهض . فقال : إن معى وديعةً ، وأقام حتى جاءت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن جَرير بن حازم عن الزُّبير بن الحارث عن أبى لَبيد ، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البَصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة قد طوّق الحبلَ فى عنقها تحت اللجام .

الأصمعىّ قال ، قال يحيى بن خالد : الشريفُ إذا نُقِّر (٢) تواضع والوضيع إذا نُقّر تكبّر . الأصمعىّ قال : لا أُراه أخذه إلا من كِيس غيره .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيّوب عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الله بن عُروة بن الزُّبير قال : إلى الله أشكو حمدى مالا آتى ، وذمّى مالا أتركُ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن أبى نُعَيم عن مَنْدَلٍ عن حُمَيد عن أنَس قال : مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم وأنا فى غلمانٍ فسلم علينا .

وحدّثنى أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شُعْبة عن جابر عن طارق التَّيْمىّ عن جَرِير بن عبدالله البَجَلىّ قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنِسْوة فسلّم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول وهو مختل الوزن . (٢) يقال نقر إذا نودى بٱسمه من بين الأسماء .

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : أخبرنى معْمر قال : قلت لجـار لعَطاء السُّلَمىّ : من كان يخدُم عطاء؟ قال : مُخنّثون كانوا فى الدار يستقون له وَضُوءَه . فقلت : أيُوضّئه مخنّثون! فقال: هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعىّ عن رجل عن البَتّى قال : آذى ابن لمحمد بن واسع رجلا، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك و إنما اشتريتُ أمّك بمائة درهم .

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ : يامعشر عَدْوان، إن الخيرَ ألوف عَرُوفٌ عَزَوفٌ، و إنه لن يُفارِقَ صاحبَه حتى يفارقَه، و إنى لم أكن حكيما حتى صحِبتُ الحكماءَ، ولم أكن سيدَكم حتى تعبّدتُ لكم . قال عُروة بن الزبير: التواضعُ أحدُ مصايد الشرف. كان يقـالُ : اسمان متضادّان بمعنى واحد : التواضعُ والشرفُ . وقال بُزُرْجِمْهر : ثمرةُ القناعة الراحةُ، وثمرةُ التواضع المحبةُ . وقال الوليد: خِدمةُ الرجلِ أخاه شرفٌ . وقال عبد الله بن طاهر:

أمِيلُ مع الذّمام على ابن عمّى * وأحتملُ الصديقَ على الشقيق
وإن ألْفَيتَنِى مَلِكا مُطاعاً * فإنك واجِدى عبدَ الصديقِ
أُفرّقُ بين معروفى ومَنّى * وأجمَـــعُ بين مالى والحقوقِ

وقال آخر:

و إنى لعبدُ الضَّيْف من غير ذِلّة * وما فىّ إلّا تلك من شِيمة العبد (١)

و يقال : كلُّ نِعمةٍ محسودٌ عليها إلّا التواضعَ . قال المسيح عليه السلام لأصحابه: إذا اتّخـذكم الناسُ رءوسا فكونوا أذنابا . اعتمّ هشام بن عبـد الملك فقام الأبرش ليُسوِّىَ عمامتَه، فقال هشام : مَهْ إنا لا نتخذُ الاخوان خَوَلًا . كان عمر بن الخطاب يلقُط النَّوَى و يأخذ النَّكْثَ من الطريق، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال: انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت فى الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للقنع الكندى هكذا :

و إنى لعبد الضيف مادام نازلا * ولا شيمة لى غيرها تشبه العبـدا

قال يوسف بن أَسْبَاط : يَجْزِى قليلُ الورع من كثير العلم ، ويجزِى قليلُ التواضع من كثير الاجتهاد . وقال بكر بن عبد الله : إذا رأيتَ أكبرَ منكَ فقل : سبقنى بالإسلام والعمل الصالح فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ أصغرَ منكَ فقل : سبقتُه بالذنوب والمعاصى فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ اخوانَك يُكرِمونك فقل : نعمةٌ أحدثوها ، وإذا رأيتَ منهم تقصيرا فقل : بذنب أحدثته . قال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ ، وأنصف عن قوةٍ . قال ابن السَّمَّاك لعيسى بن موسى : تواضعُكَ فى شرفك خيرٌ لك من شرفك . وقال عبد الملك بن مروان : ثلاثةٌ من أحسنِ شىء : جُود لغير ثواب ، ونَصَبٌ لغير دنيا ، وتواضعٌ لغير ذلّ .

قال إبراهيم النَّخَعىّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجيب دعوةَ العَبد ويركبُ الحمارَ رِدْفا . الأعمش عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدعَى إلى خُبزِ الشعير والإهالة السَّنِخة[1] فيُجيبُ . قال غيره : وكان لا يأكلُ مُتَّكِئًا ويأكلُ بالحَضِيض ، وهو الأرض ، ويقول : إنما أنا عبدٌ آكُلُ كما يأكل العبدُ . قال أوْس ابن الحَدَثان : رأيتُ أبَا هُبيرةَ وهو أمير المدينة راكبا على حمار عُرْىٍ يقول : الطريقَ الطريقَ ، قد جاء الأميرُ . قال حَفْص بن غِيَاث : رأيتُ الأعمش خارجا إلى العيد على حمار مقطوع الذنَب قد سَدَلَ رجليه من جانب . المدائنىّ قال : بينا عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر إذ أحسّ من نفسه بريح خرجت منه ، فقال : أيها النـاسُ إنى قد مَيَّلْتُ بين أن أخافكم فى اللهِ وبين أن أخاف اللهَ فيكم ، فكان أن أخاف اللهَ فيكم أحبَّ إلىّ ، ألا وإنى قد فسَوْتُ ، وهأنذا أَنزِلُ لأُعِيدَ الوضوءَ . كان يقال : من لم يستحْىِ من الحلال قلّت كِبْرِياؤه وخفّت موازينُه . قال معاوية : مامنا أحد إلا فُتِّشَ[2] عن جائفةٍ أو مُنَقِّلةٍ خلا عمر بن الخطاب . المُنَقِّلة الشجة التى يخرج منها

(١) الإهالة : ما يؤتدم به من الأدهان ، والسنخة : المتغيرة الريح .

(٢) يريد : ليس فينا أحد إلا وفيه عيب عظيم ، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك .

العظام، والجائفة التى تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبى حمزة قال [قال] إبراهيم : لقد تكلّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا ماتكلمت، و إن زمانا تكلمتُ فيه لزمانُ سوء . كان رجل من خَثْعَم رَدِىَ فقال فى نفسه :

لو كنتُ أَصْعَدُ فى التكرُّم والعُلا * كتحدُّرِى أصبحتُ سيّد خثعمِ

فباد أهلُ بيته حتى ساد فقال :

خَلَتِ الدّيارُ فسُدْتُ غيرَ مُســوَّدِ * ومن الشّقاء تفَــرُّدِى بالسُّودد

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ فى مثله :

إنّ بقوم سوّدوك لحاجةً * إلى سيّدٍ لو يَظفَرون بسيّد

قال يحيى بن خالد : لستَ ترى أحدا تكبّر فى إمارته إلّا وهو يعلم أن الذى نال فوق قَدْرِه، ولستَ ترى أحدا يضعُ نفسَه فى إمارة إلّا وهو فى نفسه أ كثرُ مما نال فى سلطانه . ومثله ، قيل لعُبيد الله بن بَسّام : فلان غيّرته الإمارةُ، فقال : إذا وَلِى الرجلُ ولايةً فرآها أ كثر منه تغـيّر ، و إذا وَلِى ولايةً يَرى أنه أ كثرُ منها لم يتغيّر . ويقال : التواضُع مع السخافة والبخلِ أحمدُ من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظِمْ بنعمةٍ عفّت من صاحبها بسيّئتين، وأقبِحْ بسيئةٍ حَرَمتْ صاحبَها حسنتين. وفى بعض كتب العجم : علامةُ الأحرار، أن يُلقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا أحبُّ إليهم من أن يُلقَوْا بما يكرهون و يُعطَوْا؛ فانظر إلى خَلّة أفسدت مثلَ الجود فاجتنبها، وانظر إلى خَلّة عفّت مثلَ البخل فالزمْها . كان يقال: الشرفُ فى التواضع، والعزُّ فى التّقوى، والغِنَى فى القَنَاعة . أبو الحسن قال: خَطَب سلمانُ إلى عمر فأجمعَ على تزويجه، فشقّ ذلك على عبدالله بن عمرَ وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردّه عنك، فقال: إن ردَدْتَه بما يكره أغضبتَ أمير المؤمنين، قال : عَلَىَّ أن أردّه عنك راضيا، فأتى سلمانَ فضرب بين كتفيه بيده، ثم قال: هنيئا لك أبا عبد الله، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك،

فالتفتَ إليه مُغضَبًا وقال، أبى يتواضع ! والله لا أتزوّجها أبدا . وقال المرّار بن مُنْقذ العَدَوىّ[1] :

ياحبّذا حين تُمسى الريحُ باردةً[2] * وادِى أُشَىٍّ، وفتيانٌ به هُضُمُ
يُخدَّمون، كرامٌ فى مجالسهم، * وفى الرحال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحبُ قوما ثم أذكُرهم * إلّا يزيدُهُمُ حُبّا إلىّ هُمُ

ابن المبارك عن ذَرّ عن الشعبىّ قال : ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يابن عمّ رسول الله ، فقال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرنى يدك، فأخرج يده فقبّلها زيد، ثم قال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأسُ التواضع أن تَبدأ مَنْ لَقِيتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس . ابن أبى الزِّناد عن أبيه أن العبّاس بن عبد المطّلب لم يمرّ قطّ بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلّا ترجّلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمرّ وهما راكبان وهو يمشى . كان سَلْمان يتعوّذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلْج إذا استعرب . المدائنىّ قال : سلّم رجل على حسّان ابن أبى سِنَان فدعا له، فقيل : أتدعو لمثل هذا! فقال : إن ممّا يفضّلُنى به أن يَرَى أنّى خيرٌ منه . قال عبد الله بن شدّاد : أربعٌ مَنْ كُنّ فيه فقد برئ من الكِبر : من اعتقَل العنزَ، وركب الحمار، ولبسَ الصوفَ، وأجاب دعوةَ الرجل الدُّونِ .

باب الكِبر والعجب

حدّثنى إبراهيم بن مسلم قال حدّثنا أبو السُّكَيْن قال حدّثنى عمُّ أبى زَحْرُ بن حِصْن قال، قال رجل للحجّاج : أصلح الله الأميرَ، كيف وجدتَ منزلكَ بالعراق ؟

(١) جاءت هذه الأبيات فى الحماسة ضمن قصيدة معزوّة إلى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث، قال التبريزى : ويقال زياد بن منقذ . (٢) كذا فى الأصل، وفى الحماسة «بادرة» .

قال : خيرُ منزلٍ لو كان الله بلّغنى أربعةً فتقربتُ بدمائهـم إليه . قال : ومَنْ هم؟ قال : مُقاتِل بن مِسْـمَع ، وَلِى سِجِسْتانَ فأتاه الناسُ فأعطاهم الأموالَ، فلمّا عُزِل دخل مسجد البَصرة فبسط الناسُ له أردِيَتهم فمشى عليها، وقال لرجل يُماشِيه : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيميّ، حزبَ أهـلَ البصرة أمرٌ فخطب خطبةً أوجز فيها ، فنادى الناسُ من أعراض المسجد : أكثر اللهُ فينا أمثالك . فقال : لقـد كلفتم الله شَطَطًا . ومَعْبَد بن زُرَارة، كان ذات يوم جالسا فى طريق، فمرّت به آمرأة فقالت : يا عبـد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا، فقال: لِمثْلى يقال هذا! أنا لِهذّ[1]، أراد كفى بكِ أنا ، يريد الفخر. وأبو سِماك[2] الأسديّ، أَضلّ راحلتَـه فآلتمسها الناس فلم يجـدوها ، فقال : والله لئن لم يَردُد علىّ راحلتى لا صلّيتُ له أبدا ، فآلتمسها الناسُ حتى وجدوها، فقالوا : قد ردّ الله عليك راحلتك فصلِّ، فقال : إن يمينى كانت صريا[3] .

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ عن كُرْدِين المِسْمَعىّ . قيل لرجل متكبّر : هل مرّت بك أَحْمِرةٌ؟ فقـال للسائل : تلك دوابّ لا يراها عمُّك . قال وقال كُرْدِين : رآنى ابنُ مَيّادةَ الشاعر فأعجبْته لِمـا رأى مِنْ جَلَدِى وبيانى . فقال : ممن أنت؟ قلت : من بكر بن وائل، فقال : وفى أىّ الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جُبَـير بن مُطْعِم فى حَلْقة العلاء بن عبد الرحمن الحُرَقىّ وهو يُقْرِئُ الناسَ . فلما فرغ قال : أتدرون لِمَ جلستُ إليكم ؟ قالوا : لتسمع، قال : لا، ولكن أردتُ التّواضعَ لله بالجلوس إليكم . قال : ومرّ محمـد

(١) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ، وفى العقد الفريد الجزء الأوّل صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثلى يقال ياعبدالله ! ويلك !   (٢) كذا بالأصول ، وفى العقد الفريد : «وأبو سماك الحنفى» وفى اللسان فى مادة صرى : «أبو سَمّال الأسدى» .   (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفى الألمانية «ضريا» والذى فى اللسان والصحاح «علم ربى أنها منى صِرّى» . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أى عزيمة قاطعة ويمين لازمة .

ابن المنذر بن الزُّبير بن العوّام فى حاجة له، فانقطع قِبالُ[١] نعله، فنزع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يُعَرِّج عليهما . قال بعض الشعراء:

وأُعْرِضُ عن ذى المال حتى يُقالَ لى * قد ٱحدث هــذا نَخْوةً وتعظّما

وما بىَ كِبرٌ عن صديقٍ ولا أخٍ * ولكنّه فِعْلِى إذا كنتُ مُعْــدِما

قيل لبعضهم : ما الكِبر . قال : حُمْقٌ لم يدر صاحبُه أين يضعُه . قال معاوية بن أبى سُفيان : قدِم عَلْقَمةُ بن وائل الحَضْرمىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأمرنى رسولُ الله أن أنطلق به إلى منزل رجل من الأنصار أُنزِلُه عليه ، وكان منزلُه فى أقصى المدينة ، فٱنطلقتُ معه وهو على ناقة له وأنا أمشى فى ساعة حارّة وليس علىّ حذاءٌ ، فقلتُ : احملنى يا عمّ من هــذا الحَرّ فإنه ليس علىّ حذاءٌ ، فقال : لستَ من أرادف الملوك ، قلت : إنّى ٱبن أبى سُفيان ، قال : قد سمعتُ رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال قلت : فألْقِ إلىّ نعلك ، قال : لا تَقْبلُها قدماك ولكن ٱمش فى ظلّ ناقتى فكفاك بذلك شرفًا ، وإن الظلّ لك لكثير . قال معاوية : فما مرّ بى مثل ذلك اليوم قطّ ، ثم أدرك سلطانى فلم أؤاخذه بل أجلستُه معى على سريرى هذا . قال ابن يَسَار:

ولو لَحَــظَ الأرضَ لى والدٌ * تطأطأتِ الارضُ من لَحْظتِهْ

وقال آخر:

أتيــهُ على جِنّ البــلاد وإنْسها * ولو لم أجد خَلْقًا لتِهْتُ على نفسى

أتيهُ فمــا أدرى من التّيه مَنْ أنا * سوى ما يقول الناس فىّ وفى جنسى

فان زعموا أنّى من الإنس مثلُهم * فما لِىَ عيبٌ غيرَ أنى من الإنس

وكان عند الرُّسْتَمىّ قوم من التُّجار فحضرت الصلاةُ فنهض ليصلّى فنهضوا فقال : ما لكم ولهذا وما أنتم منه ! الصّلاةُ ركوعٌ وسجود وخضوع ، وإنمــا فرض اللهُ هذا

(١) قبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها .

يريد به المتكبّرين والمتجبّرين والملوك والأعاظم مثلى ومثل فرعون ذى الأوتاد ونُمْروذ وأنوشَرْوان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه . قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألّا يكون فيه خير إلّا أن يرى أن فيه خيرًا . رأى رجلٌ رجلًا يختال فى مِشْيته ويتلفّت فى أَعْطافه ، فقال : جعلنى اللهُ مثلكَ فى نفسك ولا جعلنى مثلَكَ فى نفسى . قيل لعبد الله بن المُبارك : رجلٌ قتل رجلًا فقلتُ إنى خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجِبتُ لمن جرى فى مجرى البَوْل مرتين كيف يتكبر . ابن عُلَيَّةَ عن صالح بن رُسْتَم عن رجل عن مُطَرِّف ، قال : لأن أَبيتَ نائمًا وأُصبحَ نادمًا أحبُّ إلىّ من أن أبيتَ قائمًا وأُصبِحَ مُعْجَبًا . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم : إن الرجل ليعمل السيئةَ ما عمِل حسنةً قطّ أنفعَ له منها وإنّه ليعمل الحسنةَ ما عمل سيّئةً قط أضرّ عليه منها . قال الشاعر :

أما ٱبنُ فَروة يونُسٌ فكأنّه * من كِبْره أَيْرُ الحمار القائمُ
ما ٱلناسُ عندك غير نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاكَ بهائمُ

قال المسعودىّ :

مُسًّا ترابَ الأرض منها خُلقتما * وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ
ولا تَعجَبا أن تَرجِعا فتُسلّما * فما خَشِى الأقوامُ شرًّا من الكِبْرِ
ولو شئتُ أدْلَى فيكما غيرُ واحد * علانيةً أو قال عندىَ فى سترِ
فإن أنا لم آمُر ولم أنْهَ عنكما * ضحكتُ له حتى يَلِجّ ويَسْتَشْرِى

الأصمعى قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبر قط إلا تحوّل داؤه فىّ ، يريد أنى أتكبّر عليه . وقال آخر : ما تاه أحد قط على مرتين ، يريد اذا تاه مرة لم أُعاوِده . قال الشاعر :

يا مُظْهِرَ الكِبْرِ إعجابًا بصورته * أُنظر خَلاءَكَ إن النَّتْنَ تثريب

لو فكّر النـاسُ فيما فى بطونهـم * ما استشعر الكِبْرَ شُبّانٌ ولا شِيبُ
هل فى ابن آدم غيرُ الرأس مكرُمة * وَهُو بِخَمْسٍ من الأقذار مضروب
أنفٌ يَسيلُ وأُذْنٌ رِيحُها سَهِكٌ * والعينُ مُرمَصَـةٌ والثغرُ مَلْعوبُ
يا بنَ التراب ومأكولَ التراب غدًا * أَقصِرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

دفع أَرْدَشِيرُ الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابًا، وقال له : إذا رأيتنى قد اشتدّ غضبى فادفعه إلىّ، وفى الكتاب : أمسك فلستَ بإله انما أنتَ جَسَد يُوشِك أن يأكلَ بعضُه بعضا ويصيرَ عن قريب للدُّود والتراب . كان للسِّنْدىّ والى الجسر غلامٌ صغير قد أمره بأن يقوم إليـه إذا ضرب الناسَ بالسِّـيَاط فيقول له : ويلك ياسِندىّ، اذْكر القصاصَ . كتَبَ إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك:

أبا جعفرٍ عَرِّج على خُلَطائكا * وأقصر قليـلًا عن مدى غُلَوائكا
فإن كنتَ قد أُعْطيتَ فى اليوم رِفعةً * فإنَّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

قال لى بعضُ أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعتُ رجلًا يُنشد:

ألا رُبّ ذى أَجَلٍ قد حضرْ * طويلِ التمنّى قليـلِ الفِـكَرْ
إذا هزّ فى المشى أعطافَه * تبيّنتَ فى مَنْكِبَيْه البَطَرْ

قال : فغدوتُ عليه لأكتبَ تمـامَ القصيدة فوجدتُه قد مات . المدائنىّ قال : رأيتُ فلانًا مولى باهلةَ يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيتُـه بعد ذلك راجلًا فى سَفَر، فقلتُ له : أراجلٌ فى هذا الموضع ؟ قال : نعم، إنى ركبتُ حيثُ يمشى الناسُ فكان حقًّا على الله أن يُرْجِلَنى حيث يركبُ الناس . وقال أبو نواس فى جعفر ابن يحيى البرمكى :

وأعظمُ زَهْوًا من ذباب على خُرْء * وأبخلُ من كلب عَقُورٍ على عَرْق
ولو جاء غيرُ البُخلِ من عند جعفرٍ * لمـا وضعوه[1] النـاسُ إلا على حُمْق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهى لغة أزدشنوءة .

وقال آخر :

أَلَجُّ لَجَـاجًا(١) من الخُنفساء * وأزْهَى إذا ما مشى مِن غراب

قيل لرجل من بنى عبد الدار : ألا تأتى الخليفةَ ، قال : أخشى ألّا يَحْمِلَ الجسرُ شَرفى . وقيل له : البَس شيئًا فإن البرد شديد، فقال: حَسَبى يُدْفِئُنى . قال أبو اليَقْظان : كان الحجّاج آستعمل بِلالًا الضَّبيّ على جيش وأغزاه قِلاعَ فارس، وكان يقال لذلك الجيش . بِيبى(٢) ، سُمّى بذلك لأنه فرض فرضا من أهل البصرة فكان أهلوهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بِيبى . وفى جيشه قال الشاعر :

إلى الله أشكو أنّنى بتُّ حارسًا * فقام بلالٌ فبـال على رجلى
فقلت لأصحابى آقطعوها فإننى * كريمٌ وإنّى لن أُبَلِّغها رَحْلى

مدّ أعرابىّ يده فى الموقف وقال : اللّهمّ إن كنتَ ترى يدًا أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعتُ الحجّاج بن أَرْطَاة يقول : قتلنى حُبّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضُر الجماعة؟ قال : أكره أن يَزْحَمنى البقّالون . كان جَذيمةُ الأبرشُ — وهو الوَضّاح سُمّى بذلك لبَرَص كان به — لا يُنادِمُ أحدًا ذَهَابًا بنفسه، وقال : أنا أعظمُ من أن أُنادِمَ إلا الفرقدين، فكان يشرب كأسا و يصبّ لكلّ واحد منهما فى الأرض كأسًا، فلما أتاه مالك وعَقيل بابن أخته الذى آستهوتْه الشياطين قال لهما : احتكِما، فقالا له : مُنادمتُك، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حَديثًا . وفيهما يقول مُتَمِّم بن نُوَيْرة :

وكنّا كنَدْمَانَىْ جَذيمـةَ حِقْبَـةً * من الدهر حتى قِيلَ لن نتصدّعا

---

(١) كذا بالأصل وفى لسان العرب فى مادة زها . وأورد الميدانى المثل هكذا «ألحّ من الخنفساء» بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وعلله فى كتاب فرائد اللآل بأن الخنفساء اذا وقعت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله بأبى، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان فى مادة أبى . وفى الأغانى ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجىء إلى ابنها وقد جُرِّد فتضمّه إليها وتقول له بأبى جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بأبى .

وقال الهذليّ :

ألم تَعْلَمِي أنْ قد تفرّق قبلنا * خليلا صفاء مالكٌ وعقيــلُ

قيل لإياس بن معاوية : مافيك عيبٌ إلا أنكَ مُعجَبٌ، قال: أفأعجبكم؟قالوا: نعم قال : فأنا أحقّ أن أُعجَب بما يكون منّى . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلّ شىء، وما آستُنبط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حُصّنتِ النعَمُ بمثل المواساة، ولا اكتُسبت البِغْضَة بمثل الكِبْر .

باب مَدْح الرجل نفسَه وغيره

قال الله عزّ وجلّ حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ". وقال للأنصار: "والله ما علمتُكم إلّا تَقِلّون عند الطمع وتَكْثُرون عند الفزع". وذكر أعرابىّ قومًا فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئًا إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا، وإن أقصى مُنَاهم لأدنى فعالنــا . ابن إدريس عن إسمعيل بن أبى خالد، قال : كنتُ أمشى مع الشّعْبىّ وأبى سَلَمَة ، فسأل الشّعبىُّ أبا سَلَمة: مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال: الذى يمشى بينكما، يعنى نفسَه . وقال الشّعبى : ما رأيتُ مثلى، وما أشاءُ أن ألقى رجلًا أعلمَ منّى بشىء إلا لقيتُه . قال معاوية لرجل : مَنْ سيّدُ قومك؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك لم تَقُلْ . الوليد بن مُسْلم عن خليد عن الحسن قال : ذَمُّ الرجلِ نفسَه فى العلانية مَدحٌ لها فى السرّ. كان يقال: مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها . الأعمش عن إبراهيم عن عبــد الله قال : إذا أثنيتَ على الرجل بمــا فيه فى وجهه لم تُزكّه . قال عمر بن الخطاب: المدح ذَبْح . ويقال: المدح وافدُ الكِبْر . وقال علىّ بن الحسين : لا يقول رجل فى رجل من الخير ما لا يعلمُ إلا أوشك أن يقولَ فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا يصطحب آثنان على غير طاعةِ الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله . قال وهب بن منبّه : إذا سمعتَ الرجلَ يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمنْ

أن يقولَ فيك من الشرّ ما ليس فيك . و يقال فى بعض كتب الله عزّ وجلّ : عجبًا لمن قِيلَ فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرحُ ! ولمن قِيل فيه الشّرُّ وليس فيه كيف يَغضَبُ ! واعجبُ من ذلك من أحبّ نفسَه على اليقين وأبغضَ الناسَ على الظُّنون ! . وكان يقال : لا يَغلِبنَّ جهلُ غيرك بك عِلمَك بنفسك . وقال أعرابىّ : كفى جهلًا أن يَمدَح المادحُ بخلاف ما يَعرِف الممدوحُ من نفسه ، وإنّى(١) والله ما رأيتُ أعشقَ للعروف منه . قال ٱبن المقفع : إيّاك إذا كنتَ واليًا أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتزكية وأن يَعرِفَ الناسُ ذلك منك فتكونَ ثُلْمةً من الثُّلَم يَقتَحِمون عليك منها ، وبابًا يفتتحونك منه ، وغِيبَةً يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وٱعلم أن قابِلَ المدح كمادح نفسه ، والمرءُ جديرٌ أن يكون حُبُّه المدحَ هو الذى يحملهُ على ردّه ، فإن الرادَّ له ممدوحٌ والقابلَ له مَعيبٌ . وقال البَعِيثُ :

ولستُ بِمِفْراحٍ اذا الدّهرُ سَرّنى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفه المتقلّبِ
ولا أتمنّى الشرَّ والشَّرُّ تارِكى * ولكنْ متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ
ويعتــدّه قومٌ كثيرٌ تجارةً * ويَمنعُنى من ذاكَ دِينى ومَنْصِبى
فإن مسيرى فى البــلاد ومنزلى * لبــالمنزِلِ الأقصى إذا لم أُقَرَّبِ

قول الممدوح عند المِدْحَة

حدّثنى سَهْلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان أبو بكر يقول عند المِدحة : اللهم أنتَ أعلَمُ بى منّى بنفسى وأنا أعلَمُ بنفسى منهــم ، اللهم ٱجعلنى خيرًا ممـا يَحسَبُون وٱغفر لى ما لا يعلمون ولا تُؤاخذنى بما يقولون . قال حدّثنا الرِّياشى عن الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمة قال : أثنى رجلٌ على علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وجهه ، وكان تُهَمَةً ، فقال علىّ : أنا دونَ ما تقولُ وفوقَ ما فى نفسكَ .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينتظم به السياق ، ففى العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابى رجلا فقال : ما رأيت أعشق للعروف منــه . وفى الصحيفة نفسها : ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال : إن جهلا أن يقول المــادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وانى والله ما رأيت أعشق للكارم فى زمان اللؤم منك .

قيل لأعرابى : ما أَحسَنَ الثناءَ عليك ! فقال : بلاءُ الله عندى أحسنُ من وصف المـادحين وإن أحسنوا ، وذنوبى إلى الله أكثر من عيب الذامّين وإن أكثروا ، فيا أسفًا على مافرّطتُ ويا سوءتا مما قدّمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الثناءَ إلا من مُكافئ (١) . ومِن أحسنِ ما قِيلَ فى مدح الرجلِ نفسَه قولُ أعشى بنى ربيعةَ :

ما أنا فى أهلى ولا فى عشـيرتى * بمهتضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سِـنّى
ولا مُسـلِمٍ مولاىَ عنـد جنايةٍ * ولا خائفٍ مولاى من سوء ما أجنى
وإنّ فؤادًا بين جَنْبَىَّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمِعتْ أُذْنى
وفضّلنى فى الشِّـعر واللُّب أنّنى * أقول على علم وأعـلَمُ ما أعْنِى
فأصبحتُ إن فضّلتُ مروانَ وآبنَه * على الناس قد فضّلتُ خيرَ أَبٍ وآبْنِ

وقال آخر :

إذا المـرءُ لم يمدَحْه حسنُ فَعـاله * فمادِحُه يهْـذِى وإن كان مُفْصِحَا

وقال آخر :

لعمرُ أبيكَ الخـيرِ إنى لخادمٌ * لِصَحْبِى وإنّى إن ركِبتُ لَفارِسُ

وقال آخر :

ونحن ضِياءُ الأرض ما لم نَسِرْ بهـا * غِضابًا، وإن نَغْضَبْ فنحن ظَلَامها

وأنشدَ الحسنُ البصرىّ (٢) قولَ الشاعر :

لولا جَريرٌ هلكتْ بَجِيلهْ * نعم الفتى وبئستِ القَبِيـلهْ

---

(١) فى اللسان مادة كفأ بعد أن أورد الحديث : قال القتيبى معناه إذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه، وإذا أثنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنبارى هذا غلط إذ كان أحد لا ينفك من إنعام النبى صلى الله عليه وسلم لأنّ الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافىء ولا غير مكافىء والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . قال وقال الأزهرى وفيه قول ثالث : إلا من مكافىء أى مقارب غير مجاوز حدّ مثله ولا مقصر عما رفعه الله إليه اهـ ومثله بالحرف فى ابن الأثير .

(٢) فى الأصل «الحسن بن البصرى» وظاهر أن لفظة «ابن» من زيادات النساخ .

قال الحسنُ : ما مُدِح رجلٌ هُجِىَ قومُه . وقال أبو الهِنْدام :

يقولون: الحديدُ أشدُّ شىءٍ * وقد ثُنِىَ الحديدُ وما ثُنِيتُ
تَخِرُّ الأرضُ إن نُودِيتُ باسمى * وتَنهـدُّ الجبـالُ إذا كُنِيتُ

ومَدْحُ النفسِ فى الشِّعر كثيرٌ، وهو فيه أسهل منه فى الكلام المنثور .

باب الحيـاء

حدّثنى أبو مسعود الدّارِمىّ، قال : حدّثنى جَدّى خِرَاش عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبةٌ من الإيمان» . وروى ٱبنُ نُمَير عن الأحوص ابن حَكيم، قال : حدّثنى أبو عَوْن المدنىّ قال : سمِعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلّةُ الحياءِ كفرٌ» . وروَى جريرُ بن حازم عن يَعْلى ابن حَكيم عن رجل عن ٱبن عمر، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرونانِ جميعا فإذا رُفِع أحدُهما ٱرتفع الآخرُ . وكان يقال : أحْيُوا الحياءَ بمجالسة مَنْ يُسْتَحيا منـه . ذكر أعرابىٌّ رجلًا فقال : لا تراه الدّهرَ إلا وكأنه لا غنَى به عنك وإن كنتَ إليه أحوجَ، فإن أذنبتَ غفَر وكأنه المذنبُ، وإن أسأتَ اليـه أحسن وكأنه المسىء . وقالت ليلى الأَخْيَلِيّةُ :

ومُقدَّرٍ عنـه القميصُ تَخالُه * وَسْطَ البيوتِ من الحيـاء سقيمَا
حتى إذا رُفِع اللواءُ رأيتَـه * تحت اللواءِ على الخميس زعيمَا

ونحوه قول الآخر إلّا أنه فى التواضع :

يبدو فيبدو ضعيفًا مِن تَواضُعه * ويكفَهِرّ فيُلْفَى الأسـودَ الْحَجِا

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحىّ[1] :

إن البيوتَ معادِنٌ فنِجارُه[2] * ذَهَبٌ وكلُّ جُدودِه[3] ضَخْمُ

(١) يمدح النبى صلى الله عليه وسلم . (٢) فى الأصول . «فتجارة» وهو تحريف والتصويب عن الحماسة . (٣) فى الحماسة «بيوته» يعنى القبائل التى اكتنفته من أخواله وأعمامه .

مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ للاء مُجانِبٌ * سِيّانِ منه الوَفْر والعُدْمُ
نَزْرُ الكلام من الحياء تَخَالُه * ضَمِنًا وليس بجسمه سُقْمُ
عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ شبيهَهُ * إنّ النساءَ بمثله عقْمُ

حدّثنا أبو الخطاب قال : حدّثنا المعتمر، قال : سمعتُ لَيْثَ بن أبى سليم يُحدّث عن واصل بن حَيّان عن أبى وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظ من كلام النبوّة « إذا لم تَسْتَحْىِ فاصنع ما شئت » . قال الشاعر :

تَخَالُهُمُ للحلم صُمًّا عن الخَنا * وخُرْسًا عن الفحشاء عند التهاجُرِ
ومَرْضَى إذا لُوقوا حياءً وعِفةً * وعند الحِفاظ كاللّيوث الخَوادر

وقال آخر :

عليه من التقوى رداءُ سكينةٍ * وللحقِّ نورٌ بين عينيه ساطعُ

وقال الشَّعْبى : تعايَش الناسُ زمانًا بالدّين والتّقوى، ثم رُفِع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمّم ، ثم رُفِع ذلك فما يتعايش الناسُ إلا بالرغبةِ والرهبةِ ، وأظُنه سيجىء ما هو أشدّ من هذا .

باب العَقْل

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الشَّهيدى، قال : حدّثنا الحارثُ بن النّعمان، قال : حدّثنا خَليد بن دَعْلَج عن معاوية بن قُرّة يرفعه، قال : « إن الناس يعملون الخيرَ وإنما يُعْطَوْنَ أجورَهم يوم القيامةِ على قَدْر عقولهم» . مَهْدىُّ بن غَيْلان بن جرير قال : سمعت مُطَرّفا يقول : عُقولُ الناس على قَدْر زمانهم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنبّه قال : وجدتُ فى حكمة داودَ: ينبغى للعاقل أن لا يَشْغَلَ نفسَه عن أربع ساعاتٍ، ساعةٍ يُناجى فيها ربَّه، وساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسَه ، وساعةٍ يخلُو فيها هو وإخوانُه والذين يَنصحُون له

فى دينه ويَصْدُقُونه عن عيوبه، وساعةٍ يُخَلِّى بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ ويُحْمَدُ فإن هذه الساعةَ عونٌ لهذه الساعات وفَضْلُ بُلْغَةٍ واستجمامٌ للقلوب . وينبغى للعاقل أن لا يُرَى إلا فى إحدى ثلاثِ خِصَالٍ: تزوّدٍ لمَعادٍ، أو مَرَمّةٍ لمعاشٍ، أو لذّةٍ، فى غير محرّم . وينبغى للعاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مُقْبِلًا على شانه .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا هِلالُ بنُ حقٍّ قال، قال عمرو بن العاص: ليس العاقلُ الذى يَعرِفُ الخيرَ من الشرّ ولكنه الذى يعرِفُ خيرَ الشّرّينِ، وليس الواصلُ الذى يصِلُ مَنْ يصِلُه ولكنه الذى يصِلُ مَنْ قطعه . وقال زياد: ليس العاقلُ الذى يحتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذى يحتال للأمر ألّا يقعَ فيه . قال معاوية لعمرو : ما بلغَ من دَهائِكَ ياعمرو؟ قال عمرو : لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه . قال معاويةُ: لكنّى لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه . وقرأتُ فى كتابٍ للهند: الناسُ حازمانِ وعاجزٌ، فأحدُ الحازمينِ الذى إذا نزل به البلاءُ لم يَبْطَرْ به وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ منه، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر إذا أقبلَ فيدفعُه قبل وقوعه، والعاجزُ فى تردُّدٍ وتَمَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمرُ رَشَدًا ولا يُطيعُ مُرشِدًا . وقال أعرابىٌّ : لو صُوِّرَ العقلُ لأظلمتْ معه الشمسُ، ولو صُوِّرَ الحمقُ لأضاءَ معه الليلُ . قال بعض الحكماء : ما عُبِدَ اللهُ بشىءٍ أحبَّ إليه من العقل وما عُصِىَ اللهُ بشىءٍ أحبَّ إليه من السّتر . أبو رَوْقٍ عن الضّحّاك فى قول الله عزّ وجل: (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال: مَنْ كان عاقلا . ذكر المغيرةُ بن شُعْبةَ عمرَ بن الخطاب فقال : كان أفضَلَ مِنْ أن يَخْدَعَ وأعقلَ مِنْ أن يُخْدَعَ .

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال، قال إياس : لستُ بخَبٍّ والخَبُّ لا يَخْدَعُنِى ولا يخدعُ ابنَ سيرينَ ويخدعُ أبى ويخدعُ الحسن. قال غيرُه : وكان كثيرا ما يُنشِدُ :

أَبِى لى البلاءُ وأَنّى امرؤٌ * إذا ما تَبَيَّنْتُ لم أَرْتَبِ

وفى كتاب كليلة ودمنة : الأدبُ يُذْهِبُ عن العاقلِ السّكرَ ويَزِيدُ الأحمقَ سُكرًا، كما أن النهارَ يزيدُ كُلَّ ذِى بصرٍ بصرًا ويَزِيدُ الخفافِيشَ سُوءَ بصرٍ . وفيه : ذو العقل لاتُبطِرُه المنزلةُ والعِزُّ كالجبل لايَتزعزعُ وإن آشتدّتْ عليه الريحُ، والسَّخيفُ يُبطِرُه أدنَى منزلةٍ كالحشيشِ يُحرّكه أضعفُ ريحٍ . وقال تأبّط شرًّا فى هذا المعنى:(١)

ولستُ بِمفْرَاحٍ إذا الدّهرُ سَرَّنى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفِه المتقلّبِ
ولا أتمنّى الشرّ والشرُّ تارِكى * ولكن متى أُحْمَلْ على الشرّ أَرْكَبِ

وفى كتاب كليلة : رأسُ العقل التميـيزُ بين الكائن والممتنع، وحسنُ العَزاءِ عما لايُستطاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُبالِـغُ فى العمل ويَعترفُ بزلّةِ عقله ويَستقيلُها كالرجل يَعْثُرُ بالأرض وبها ينتعشُ . ويقال : كُلُّ شيءٍ محتاجٌ إلى العقل، والعقلُ محتاجٌ إلى التَّجارِب . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقول الرجال: الكتابُ، والرسولُ، والهديةُ . وكان يقال: دَلَّ على عقل الرجل آختيارُه، وما تمَّ دِينُ أحدٍ حتى يتمَّ عقلُه، وأفضلُ الجهادِ جهادُ الهوى . سُئِلَ أنوشرْوانُ : ما الذى لا تَعَلُّمَ له، وما الذى لا تَغيُّرَ له، وما الذى لا مَدْفَعَ له، وما الذى لا حِيلةَ له . فقال: تَعلُّمُ العقلِ، وتَغيُّرُ العُنصُرِ، ودَفعُ القَدَرِ، وحِيلَةُ الموت . وكان يقال : كتابُك عقلُك تضعُ عليه خاتَمكَ . وقالوا : كتابُ الرجلِ مَوضعُ عقـله، ورسولُه موضعُ رأيه . كان الحسنُ إذا أُخبِرَ عن رجلٍ بصلاحٍ قال : كيفَ عقلُه . وفى الحديث "أن جبريلَ عليـه السلام أَتَى آدمَ عليه السلامُ فقال له: إنى أتيتُك بثلاثٍ فاخترْ واحدةً، قال: وما هى يا جبريلُ؟ قال : العقلُ والحياء والدينُ. قال : قد آخترتُ العقلَ فخرج جبريل إلى الحياء والدينِ فقال : ارجعا فقد اختار العقل عليكما، فقالا: أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان"

(١) تقـدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران فى باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة منسوبة هناك للبعيث .

كان يقال : العقلُ يظهرُ بالمعاملة وشِيَمُ الرجالِ تظهر بالوِلاية . ويقال : العاقل يَقِى ما لَه بسلطانه، ونفسَه بمـاله، ودِينَه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعًا عقولٌ لخرِبتِ الدنيا . خُيِّر رجلٌ فأبَى أن يختارَ وقال : أنا بِحَظِّى أوثَقُ مِنِّى بعقلى فأقرِعُوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدّثنى الزِّيَادِىُّ قال : حدّثنا حمّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيَعْجِزُ أحدُكم أن يكونَ كأبى ضَمْضَمٍ كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنّى قد تصدّقتُ بِعِرْضِى على عبادِكَ" .

حدّثنا زياد بن يحيى قال : حدّثنا بِشر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الغضبَ جمرةٌ تُوقَدُ فى جوف آبن آدم، ألم تَرَوْا إلى حُمرةِ عينيه وآنتفاخ أوداجه" . قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى عبد الله بن رَجَاء عن إسرائيل عن أبى حُصَين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال، قال رجل : يا رسول الله أوصِنِى، فقال : لا تَغْضَبْ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال، حدّثنى عبد الله بن نافع عن مالك عن آبن شِهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ إنما الشديدُ الذى يَملِكُ نفسَه عند الغضب" . قال : حدّثنا حسين بن الحسن المَرْوَزِىّ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك قال : حدّثنا حبيب بن حجر القَيْسىّ قال، كان يقال : ما أحسنَ الإيمانَ يَزِينُه العِلْمُ وما أحسنَ العِلْمَ يَزِينُه العملُ وما أحسنَ العَمَلَ يزينُه الرفقُ، وما أُضيفَ شىءٌ إلى شىءٍ أَزْيَنَ مِن حلم إلى عِلمٍ ومِنْ عفوٍ إلى مَقْدُرَةٍ . وكان يقال : مَنْ حَلُمَ ساد ومن تَفَهَّم ازداد . والعرب تقول : احْلُمْ تَسُدْ . وقال : سمّى اللهُ يحيى

سـيدًا بالحِلم . وقال عبـد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيا بحياة السُّؤدَدِ . أغلظَ رجلٌ لمعاوية فحَلُمَ عنه ، فقيل له : تحلُم عن هذا ! فقال : إنّى لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولُوا بيننا وبين سلطاننا . شتَمَ رجلٌ الأحنفَ وألَحَّ عليه ، فلما فرغ قال له : يابن أخى ، هل لك فى الغداء؟ فإنك منذ اليوم تَحْدُو بجملٍ ثَفَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عبد الله بن دينار عن عبـد الله بن بكر المُزَنىّ قال : جاء رجل فشتم الأحنفَ فسكتَ عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والهَفَاه ! ما يَمنعُه منْ أن يَرُدّ علىّ إلّا هَوانِى عليه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لَأْمٍ ، قال : نزلتُ برجلٍ من بنى تغلبَ فأتانى بِقِرًى فانفلتَ[(1)] مِنّى فقال:

والتَّغلِبىُّ إذا تَنحنحَ لِلقِرَى * حَكَّ آسْتَهُ وتَمثَّلَ الأمثالَا

فانقبضتُ فقال : كُلْ أيها الرجلُ فإنما قلتَ كلمةً مقولةً .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ ، قال : أسمع رجلٌ الشعبىَّ كلاما فقال له الشعبىّ : إن كنت صادقا فغفر اللهُ لى وإن كنتَ كاذبا فغفر اللهُ لكَ . ومرّ بقوم ينتقصونه فقال :

هَنيئًا مريئًـا غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ * لِعزّةَ مِن أعراضنا ما آستحلّتِ

وآستطال رجلٌ على أبى معاويةَ الأسود فقال : أستغفرُ اللهَ من الذنب الذى سُلِّطتَ به علىّ . قال معاوية : إنى لأرفعُ نفسِى أن يكون ذنبٌ أوزنَ من حِلْمى . وقال معاوية لأبى جهم العَدَوىّ : أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا جهم[(2)]؟ قال : لقد أكلتُ فى عرس أُمِّكَ هندٍ ، قال : عند أىّ أزواجها؟ قال : عند حَفْص بن المُغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياكَ والسلطانَ فإنه يغضبُ غضبَ الصبىّ ويُعاقِب عقوبةَ الأسدِ ، وإن قليله يغلبُ كثيرَ الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل فى معاوية :

(١) هكذا بالنسخ التى بين أيدينا ، ولعل الصواب "فقلت" . (٢) فى النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

تَمِيلُ على جوانبــه كأنَّا * إذا مِلنَا نَميــلُ على أبينا
نُقَلِّبـــه لِنَخْبُرَ حالتيــــه * فَنَخبُرَ منهما كَرَمًا ولِينا

سَمِـع الأحنفُ رجلا ينازع رجلا فى أمرٍ فقال له الأحنف: حسبكَ(١) إلا ضعيفا فيما تُحاوِلُ، فقال الرجلُ: ما على ظنِّك خرجتُ من عند أهلى، فقال الأحنفُ لأمرٍ مَّا قيل: احذروا الجوابَ. جعل رجلٌ جُعلًا لرجلٍ على أن يقومَ إلى عمرو بن العاص يسألُه عن أمِّه، فقام إليه وهو يخطبُ على منبر تِنِّيس، فقال له: أيها الرجل أَخْبِرنا مَنْ أُمُّكَ، فقال: كانت امرأةً من عَنَزَةَ أُصيبت بأطرافِ الرِّماح فوقعت فى سهم الفاكه بن المغيرة فاشتراها أبى فوقع عليها، انطلِق وخُذْ ما جُعِلَ لك على هذا. قال الشاعر:

قل ما بدا لكَ مِنْ زُورٍ ومن كَذِبٍ * حِلْمِى أَصَمُّ وأُذْنِى غيرُ صَمَّـاء

نظر معاويةُ إلى ابنه يزيدَ وهو يضرب غلاما له، فقال له: أتُفْسِدُ أدبكَ بأدبه فلم يُرَ ضارِباً غلامًا له بعـد ذلك. قيـل ليحيى بن خالد: إنك لا تُؤدِّبُ غلمانَكَ ولا تضربُهم، قال: هم أمناؤنا على أنفسنا فإذا نحن أخفناهم فكيف نأمَنُهم. وكان يقال: «الحليم مَطِيَّةُ الجَهُول»(٢). وذكر أعرابىٌّ رجلا فقال: كان أحلَمَ من فَرْخِ طائر. وفى الإنجيل: كونوا حُلَماء كالحيات وبُلَهاء كالحمام. قال بعض الشعراء:

إنى لَأُعْرِضُ عن أشياءَ أسمعُها * حتى يقــولَ رجالٌ إنّ بى حُمُقَا
أخْشَى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ له * فَسْلٍ(٣)، وظَنَّ أُناسٍ أنه صـدَقَا

قال الأحنفُ: مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِـع كلماتٍ ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعتُه مَخَافَةَ(٤) ماهو أشدُّ منه. قال أكثم بن صيفىّ: العِزُّ والغلبةُ لِلحلم. وقال علىّ بن أبى طالب

(١) هكذا بالأصول. ولعله «لا أحسبك». (٢) فى النسخة الألمانية: «الجود»، وفى الفتوغرافية: «الجول» وكلاهما تحريف والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى.
(٣) بهامش النسخة الفتوغرافية: الفسل من لا خير فيه. وفى القاموس: الرذل الذى لا مروءة له.
(٤) فى الأصل الألمانى «أخاف» وفى الفتوغرافية «يخافه» والتصويب عن العقد الفريد.

عليه السلام : أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمِه أنّ النّاسَ أنصارُه على الجَهُول . وقال المنصور : عقوبةُ الحلماءِ التّعريضُ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدّثنى سُهيل قال حدّثنا الأصمعىّ قال : بلغنى أن رجلا قال لآخر : والله لَئِنْ قلتَ واحدةً لتَسْمَعنَّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكنّك إن قلتَ عشرًا لم تَسمَعْ واحدةً . قال : وبلغنى أن رجلا شتم عمر بن ذَرّ فقال له : يا هذا لا تُغْرِقْ فى شتمنا ودَعْ للصلح موضعاً ، فإنّى أَمَتُّ مُشاتَمةَ الرجال صغيرا ولن أُحييها كبيرا ، وإنى لا أُكافئُ مَنْ عَصَى اللهَ فِىّ بأكثرَ مِنْ أن أُطيعَ اللهَ فيه . وقال بعض المحدَثين :

وإنّ اللهَ ذو حلم ولكن * بِقَدْرِ الحِلم ينتقم الحليمُ
لقد وَلَّتْ بِدولتك الليالى * وأنتَ مُعَلَّقٌ فيها ذَميمُ
وزالَتْ لم يَعِشْ فيها كريمٌ * ولا آستغنَى بِثروَتها عديمُ
فَبُعْدًا لا انقضاءَ له وسُحْقًا * فَغيرُ مُصابِكَ الحدَثُ العظيمُ

المدائنى قال : كان شَبيب بن شَيبةَ يقول : مَنْ سَمِع كلمةً يكرهُها فسكتَ عنها آنقطع عنه مايكره ، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره ، وكان يتمثّل بهذا البيت :

وتَجزَعُ نفسُ المرءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمةٍ * ويُشْتَمُ أَلفًا بعدها ثم يَصْبِرُ

قاتَلَ الأحنفُ فى بعض المواطن قتالًا شديدا ، فقال له رجل : يا أبا بحر ، أين الحِلْمُ قال : عند الحُبَى . وقال مسلم بن الوليد :

حُبًى لا يَطيرُ الجهلُ فى جَنَباتِها * إذا هى حُلَّتْ لم يَفُتْ حَلَّها ذَحْلُ

أَغْضَبَ زيدُ بنُ جَبَلةَ الأحنفَ ، فوثب إليه فأخذ بعمامته وتناصيا ، فقيل للأحنف : أينَ الحلمُ اليومَ ! فقال : لو كان مِثلِى أو دونى لم أَفْعَلْ هذا به . كان يقال : آفةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجَعْدىّ :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تكن له * بوادِرُ تَحمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرا

وقال إياسُ بن قَتَادَةَ .

تُعاقِبُ أَيدِينا ويَحْلُمُ رَأْيُنَا * ونَشْتِمُ بالأفعال لا بالتكلم

وأنشد الرِّياشيّ

إنى آمرُؤٌ يَذُبُّ عن حَرِيمِى * حِلْمِى وتَرْكِى اللَّوْمَ لِلئيم *
* والعِلمُ (١) أَحْمَى من يدِ الظَّلُومِ *

وقال الأحنف : أصبْتُ الحلْمَ أَنْصَرَ لى من الرجال . قال أبو اليقظان : كان المتَشْمِسُ بنُ معاوية عمُّ الأحنف يَفْضُلُ فى حِلمه على الأحنف قَبْلُ ، فأمره أبوموسى أن يَقْسِمَ خيلًا فى بنى تميم فقسمها ، فقال رجل من بنى سعد : مامنعكَ أن تُعطِيَنى فرسًا ووثَبَ عليه فَمَرَش وجْهَه ، فقام إليه قوم ليأخذوه ، فقال : دَعُونِى وإياه ، إنى لا أُعَانُ على واحد ، ثم انطلَقَ به إلى أبى موسى ، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال : دَعْ هذا ولكن آبنُ عمِّى ساخطٌ فآحمِله على فرسٍ ، ففعل .

قيل للأحنف : ما أحلَمَكَ قال : تعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَرى ، بينا هو قاعد بِفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه ، أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له : هذا آبنك قتله ابن أخيك ، فوالله ماحَلَّ حُبْوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفتَ إلى آبن له فى المجلس ، فقال له : قم فأطلِقْ عن آبن عمك ووَارِ أخاك وآحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غَرِيبـةٌ (٢) ، ثم أنشأ يقول :

إنى آمرُؤٌ لا شائنٌ (٣) حَسَبِى * دَنَسٌ يُغَـيِّرُهُ ولا أَفَنُ
مِنْ مِنْقَرٍ فى بيتِ مَكرُمةٍ * والغُصْنُ يَنبُتُ حولَهُ الغُصْنُ

(١) كذا فى الأصول ولعله: «والحلم» . (٢) فى الأصلين «عربية» وهو تحريف، والتصويب عن العقد الفريد . (٣) رواه فى العقد الفريد :

إنى امرؤ لا يطَّبى حسبى * دَنَس يهجِّنه ولا أفن

خُطَباءُ حين يَقُولُ قائلُهم * بِيضُ الوجوهِ، أَعِفَّةٌ لُسُنُ
لا يَفْطَنُونَ لِعَيبِ جَارِهمُ * وهمُ لِحفْظِ جِوارِهِ فُطُنُ

ثم أقبلَ على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرابَتَك، وقطَعْتَ رَحِمَكَ، وأَقلَلْتَ عَدَدَكَ، لايبْعِدِ اللهُ غيرَكَ . وفى قيس بن عاصم يقول عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب، إسلامىّ :

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُـه ماشاء أن يَترحَّمَا
تَحِيّةَ مَنْ ألبستَه منك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّمَا
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ * ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدَّمَا

وقال الأحنفُ : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم فى الحِلْمِ كما نَخْتَلِفُ إلى الفقهاء فى الفقه . شتم رجلٌ الأحنفَ وجعل يتبعُه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف : يا هذا إن كان بَقِيَ فى نفسك شىء فهاتِه وانصرفْ لَا يَسمَعْكَ بعضُ سُفَهائنا فتلْقَى ما تَكْرَهُ. شتم رجلٌ الحسنَ وأَرْبَى عليه، فقال له : أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئاً، وما يعلمُ اللهُ أكثرُ. قال بعضُ الشعراء :

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُمُوا * حتّى يذِلُّوا — وإن عَزُّوا — لأقوامِ
ويُشتَمُوا فتَرَى الألوانَ مُشْرِقةً * لَا صَفْحَ ذُلٍّ ولكن صَفْحَ أحْلامِ

قال [حدّثنى] أبو حاتم عن الأصمعى قال : لا يَكَادُ يَجتمِعُ عشرةٌ إلا وفيهم مُقاتِلٌ وأكثرُ، ويجتمِعُ ألفٌ ليس فيهم حليمٌ . ابن عُيينة قال : كان عُرْوة بن الزُّبير إذا أسرع إليه رجلٌ بِشَتْمٍ أو قولٍ سَيِّئٍ لم يُجِبْهُ وقال : إنّى أَترُكُكَ رفعًا لنفسى عنكَ، فجرى بينه وبين علىّ بن عبد الله كلامٌ، فأسرع إليه، فقال له علىّ : خَفِّضْ عليكَ أيها الرجلُ فإنّى أتركَكَ اليومَ لِما كنتَ تتركُ له الناسَ .

قال حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال رجل : لمثلِ هذا اليومِ كنتُ أدعُ الفُحْشَ على الرجال، فقال له خَصْمُه : فإنّى أدعُ الفحشَ عليكَ اليومَ لِما تركتَه

أنتَ له قبل اليومِ . وأغلظَ عبدٌ لسيده، فقال : إنى أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَروْنَ لأَرُوضَ نفسى بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانَتْ لغير المملوك أصْبرَ .

كلّم عمر بن عبد العزيز رجلا من بنى أميّة وقد ولدتْه نساء بنى مُرّة فعاب عليه جَفَاءً رآه منه، فقال: قبَّح الله شَبَهًا [غلب] (١) عليك من بنى مرّة، وبلغ ذلك عَقِيل بن عُلَّفَة المُرِّىّ وهو بجَنَفَاءَ من المدينـة على أميال فى بلد بنى مرة ، فركب حتى قَدِم على عمر وهو بدَيْر سِمْعَان، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغنى أنك غضبت على فتى من بنى أبيك، فقلت : قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة، وإنى أقول : قبّح الله ألأمَ طرفيه، فقال عمر : دَعْ ويحك هذا وهات حاجتَك . فقال : والله مالى حاجة غير حاجته (٢)، وولّى راجعا من حيث جاء، فقال عمر : ياسبحان الله! من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جنفاء ليس إلّا يشتِمُنا ثم انصرف! فقال له رجل من بنى مرة : إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله ألأم طرفيه .

المدائنى قال : لما عزل الحجاج أميةَ بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بنى تميم فعابه بخراسان وشنّع عليـه ، فلما قفل لقيه التميمىّ فقال : أصلح الله الأمير لا تَلُمْنى فإنى كنت مأمورا، فقال : يا أخا بنى تميم أوَحدّثتك نفسُك أنّى وَجدْتُ عليك؟ قال : قد ظننتُ ذاك، قال : إن لنفسك عندك قَدْرا! . كان يقال : طَيِّروا دماءَ الشباب فى وجوههم . ويقال : الغضب غُول الحلم . ويقال : القدرة تُذهب الحَفِيظةَ . وكتب كِسْرى أَبْرَوِيز إلى ابنـه شِيرَوَيْهِ من الحبس : إن كلمة منك تَسْـفك دما، وإن كلمة أخرى منك تحقن دما ، وإن سخطَك سيوفُك (٣) مسلولةٌ على من سَخِطتَ عليه، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه، وإن نَفَاذ

(١) زيادة فى العقد الفريد .
(٢) رسم فى النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل الناسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيها السياق .
(٣) لعله «وإن سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتنكير ليتناسب فى السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس فى غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لونك أن يتغيّر ومن جسدك أن يَخِفّ ، وإن الملوك تُعاقب قدرةً وحزما ، وتعفو تفضُّلا وحلما ، ولا ينبغى للقادر أن يُستخفّ ولا للحليم أن يَزْهو ، و إذا رضيتَ فأبلغ بمن رضيت عنه يَحرِصْ من سواه على رضاك ، وإذا سخِطتَ فضَعْ من سخِطتَ عليه يهرُبْ مَنْ سواه من سخطك ، و إذا عاقبتَ فأنْهِكْ(١) لئلا يُتعرّض لعقوبتك ، واعلم أنك تَجِلّ عن الغضب وأن غضبك يصغُر عن ملكك ، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب . قال محمد بن وُهَيب :

لئن كنتُ محتاجا إلى الحلم إننى * إلى الجهل فى بعض الأحايين أَحْوجُ
ولى فرس للحلم بالحلم مُلْجَمٌ * ولى فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن رام تقويمى فإنى مُقوَّمٌ * ومن رام تعويجى فإنى معوَّجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْنا وصاحبا * ولكننى أرضى به حين أُحْرَجُ
ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهله * وأمكن من بين الأسنّة مَخْرَجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا ، والذلُّ بالحرّ أَسْمجُ

وقال ابن المقفع : لا ينبغى للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته ، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد ، ولا يبخل لأنه لا يخاف الفقر ، ولا يَحْقِد لأن خطره قد جَلّ عن المجازاة . قال سُوَيد بن الصامت(٢) :

إنى إذا ما الأمرُ بُيِّن شكُّه * وبدتْ بصائرُه لمن يتأمّلُ
أَدَعُ التى هى أرفق الحالات بى * عند الحفيظة للتى هى أجمل

أُتى عمرَ بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه ، فقال : لولا أنى غضبان لعاقبتُك ، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام ، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه ،

(١) نهك السلطان : بالغ فى العقوبة . (٢) فى الأغانى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام .

كراهةَ أن يَعْجَل عليه فى أوّل غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردتَ أن يستفزّنى الشيطانُ بعزِّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّى غدًا، انصرفْ رحمك الله.

قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضِى لم يُخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضِب لم يُخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه، فإن أنصفك فى غضبه وإلّا فدَعْه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبتَ، فنزل مُغضَبا فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطرُ لحيتُه ماءً، فصَعِد المنبرَ فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليُطفِئه بالماء، ثم أخذ فى الموضع الذى بلغه من خطبته . وفى الحديث المرفوع : "إذا غَضِب أحدُكم فإن كان قائما فَلْيَقعُدْ وإن كان قاعدا فَلْيضطَجِع" . وقال الشاعر :

إحذر مَغَايِظَ أقوامٍ ذوى أَنَفٍ * إن المَغِيظَ جهولُ السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أَشْفِى غيظى؟ أحينَ أَقْدرُ فيقال لى : لو عفوتَ، أو حينَ أَعْجَز فيقال لى : لو صبرت؟ . والعرب تقول : «إن الرَّثيئة(١) مما يَفْثأُ(٢) الغضبَ» والرثيئة اللبن الحامض يُصَبُّ عليه الحليب، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولّى سَلْمَ بن قتيبة البصرةَ وولى مولًى له كُوَرَ البصرة والأُبُلَّة، فورد كتاب مولاه أنّ سَلما ضربه بالسِّياط ، فاستَشاط المنصور وقال : علىّ تجرّأ سَلْم ! لأجعلنَّه نَكالا ، فقال ابن عيَّاش —وكان جريئا عليه— : يا أمير المؤمنين، إن سَلْمًا لم يضرب مولاك بقوّته ولا قوّة أبيه، ولكنك قلَّدْتَه سيفَك وأصعدتَه مِنْبَرك، فأراد مولاك أن يُطأطِئ منه مارفعتَ ويُفسِدَ ما صنعتَ، فلم يحتمل ذلك، ياأمير المؤمنين

(١) فى الأصل «الربثة» وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل، وهو مثل . ونصه كما فى اللسان ومجمع الأمثال للميدانى «إن الرثيئة تفثأ الغضب» وفثأ الغضب سكنه وكسر حدّته .

إن غَضَبَ العربىّ فى رأسه فإذا غضب لم يهدأ حتى يُخرجَه بلسان أو يد، وإن غَضَبَ النَّبَطىّ فى آسته فإذا غَضِب [و] خَرِئَ ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال: فعل الله بك يامنتوف وفعل، فكفّ عن سَلْم.

كان يقال: إياك وعِزّةَ الغضب فإنها مُصيِّرتُك إلى ذلّ الاعتذار. قال بعض الشعراء:

الناسُ بعدك قد خفّت حُلُومُهُمُ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال: كنت مع رجل فوقع فى إبراهيم، فأتيت إبراهيم فأخبرته وقلت: والله لهَمَمْتُ به، فقال: لعل الذى غضبتَ له لو سمعه لم يقل شيئا.

باب العزّ والذلّ والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا عمر بن السَّكَن قال قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلَّب: فيمن العِزُّ بالبصرة؟ فقال: فينا وفى حلفائنا من ربيعة، فقال عمر بن عبد العزيز: ينبغى أن يكون العزّ فيمن تُحُولِفَ عليه يا أمير المؤمنين. قالت قريبةُ: إذا كنت فى غير قومك فلا تَنْسَ نصيبَك من الذِّلّة. قال رجل من قريش لشيخ منهم: عَلِّمْنِى الحِلْمَ، قال: هو يابن أخى الذلّ، أفتصبر عليه؟. وقال الأحنف: ما يسرّنى بنصيبى من الذلّ حُمْرُ النَّعَم، فقال له رجل: أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يَرَوْن الحِلمَ ذلّا، فقلت ما قلت على ما يعلمون.

وقرأت فى كتاب للهند أن الريح العاصف تَحطِم دَوْحَ الشجر ومُشيَّدَ البنيان وتَسلَمُ عليها ضعيفُ النبت لِلينه وتثنِّيه. ويقال فى المثل: «تَطَاطَأْ لها تُخطِئْكَ». وقال زيدبن علىّ بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغضَبا: ما أَحبّ أحد قطّ الحياةَ إلا ذلّ؛ وتمثّل:

شرّده الخوفُ وأَزْرى به * كذاك مَنْ يكره حَرّ الجِلَاد

منخرقُ الخُفّين يشكو الوَجَى * تنكُبه أطرافُ مَرْوٍ حِدَاد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس :

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجَسْرة الأُجُدُ (١)
ولا يُقيم بدار الذلّ يَعرفها * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوَتِدُ

وقال الزُّبير بن عبد المطلب :

ولا أُقيم بدار لا أَشُدُّ بها * صوتي إذا ما اعترتني سَوْرَةُ الغضب

وقال آخر :

إذا كنتَ في قومٍ عِدًا لستَ منهم * فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيّبِ

وقال العباس بن مِرْداس :

أبلغْ أبا سَلْمٍ رسولا نصيحة * فإن معشرٌ جادوا بعِرْضك فابخلِ
وإن بوّءوك منزلا غيرَ طائل * غليظا فلا تنزلْ به وتحوّلِ
ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفونك إنهم * أتَوْكَ على قُرْبانهم بالمُثَمَّلِ
أراك إذن قد صرت للقوم ناضحا * يقال له بالغَرْب أَدْبِرْ وأَقْبِلِ

وقال آخر :

فأبلغْ لديْكَ بني مالكٍ * على نأيها وسَراة الرِّباب
بأنّ امرأً أنتمُ حوله * تحفُّون قُبّته بالقباب
يُهينُ سَراتَكُمُ عامدا * ويقتلكمْ مثلَ قتل الكلاب
فلو كنتمُ إبلا أَمْلَحَتْ (٢) * لقد نَزَعَتْ للمياه العِذاب
ولكنكم غَنَمٌ تُصطفى * ويُترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .
(٢) يقال : أملحت الإبل أي وردت ماء ملحا وفي الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر:

تالله لولا انكسارُ الرُّمح قد علموا * ماوجدونى ذليلا كالذى أجد
قد يُحْطَم الفحلُ قسْرًا بعد عزّته * وقد يُرَدّ على مكروهه الأسد

وقال بعض العَبْديين:

ألا أَبْلغا خُلّتِى راشدًا * وصِنْوِى قديما إذا ما اتصلْ
بأن الدَّقيق يَهيجُ الجليل * وأن العزيزإذا شاء ذَلّْ
وأن الحَزامة أن تصرفوا * لحىٍّ سِوانا صُدورَ الأَسَلْ
فإن كنتَ سيِّدَنا سُدْتَنا * وإن كنت للخَال فاذهبْ فَخَلْ

وقال البَعيث:

ولو تُرمى بلُؤم بنى كليب * نجومُ الليل ماوَضَحَتْ لِسَارِى
ولو لَبِس النهارَ بنو كليب * لدنَّس لُؤمُهم وَضَحَ النهار
وما يغدو عزيزُ بنى كليب * لِيطلب حاجة إلا بجار

جاور ابنُ سَيَابَةَ مولى بنى أسد قوما فأزعجوه، فقال لهم: لِمَ تُزعجونى من جواركم؟ فقالوا: أنت مُرِيب، فقال: فمن أذلُّ من مريب ولا أحسنُ جوارا. أبو عبيدة عن عَوَانَةَ قال: إذا كنتَ من مُضَر ففاخرْ بكنانة وكاثرْ بتميم والْقَ بقَيْس، وإذا كنت من قحطان فكاثرْ بقُضَاعة وفاخرْ بمَذْحِج والْقَ بكلب، وإذا كنت من ربيعة ففاخر بشيبان والْقَ بشيبان وكاثر بشيبان. كان يقال: مَنْ أراد عزًّا بلا عَشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذلِّ معصية الله إلى عز طاعة الله. قيل لرجل من العرب: مَنِ السَّيدُ عندكم؟ قال: الذى إذا أقبل هِبْناه وإذا أدبر اغتَبْناه. ونحوه قول مسلم:

وكم مِنْ مُعِدٍّ فى الضمير لِيَ الأذى * رآنى فألقى الرعبُ ما كان أضمرا

وقال أيضا:

ياأيها الشاتِمى عِرْضى مُسَارَقَةً * أَعْلِنْ به، أنت إن أعلنتَه الرجلُ

ومن أحسن ما قيل فى الهيبة :

فى كفّه خَيْزُرانٌ ريحُها عبِقٌ * من كفّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مَهَابته * فما يُكلَّم إلا حين يبتسِمُ

وقال ابن هَرْمة فى المنصور :

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ سريرِه * إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأمّ الذى آمنتَ آمنــةُ الرَّدَى * وأمّ الذى أوعدتَ بالثُّكْل ثاكلُ
كريم له وجهان وجه لدى الرضا * أَسِيلٌ، ووجه فى الكريهة باسلُ
وليس بمُعْطِى العفوِ عن غير قدرة * ويعفو إذا ما أمكنتْه المَقَــاتِلُ

وقال آخر فى العفو بعد القدرة :

أســدٌ على أعــدائه * ما إن يَلِينُ ولا يهون
فإذا تمكّن منهـــمُ * فهنــاك أحلم ما يكون

وقال آخر فى مالك بن أنس :

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هيبةً * والسائلون نَوَا كسُ الأذقانِ
هَدْىُ التّقِىِّ وعزُّ سلطانِ التُّقَى[(1)] * فهــو المُطَاع وليس ذا سلطانِ

وقال آخر :

وإذا الرجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهـم * خُضُعَ الرِّقابِ نوا كسَ الأبصار

وقال أبو نواس :

أُضمِرُ فى القلب عتَاباً له * فإن بدا أُنْسِيتُ من هيبتهْ

المدائنى قال : قال ابن شُبْرُمة القاضى لابنه : يابُنَىّ لا تُمكِّن الناسَ من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرُهم لها مُعاينةً . قيل لأعرابىّ : كيف تقول : استخذأتُ أو استخذيتُ؟ قال : لا أقوله ، قيل : ولِمَ؟ قال : لأن العرب لا تَستخذى . وكان يقال : اصفَحْ أو اذبَحْ .

(١) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَدْىُ الوَقَار .

باب المروءة

فى الحديث المرفوع : قام رجل من مُجَاشِع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، ألستُ أفضلَ قومى؟ فقال: "إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة ، وإن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك تُقًى فلك دين" وفيه أيضا « إن الله يُحِبّ مَعَالِىَ الأمور ويكره سَفْسافَها». روى كَثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثَّقَفىّ قال : سمعت عبد الملك بن عُمير يقول : إن من مروءة الرجل جلوسَه ببابه . قال الحسن: لا دينَ إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال : إصلاح المـال، والرَّزانةُ فى المجلس، والغداء والعشاء بالْفِناء . قال إبراهيم : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات فى الطريق ولا سرعةُ المشى . ويقال: سرعةُ المشى تُذهِب بَهاءَ المؤمن .

قال معاوية: المروءة ترك اللذة . وقال لعمرو: ما ألَذُّ الأشياء؟ فقال عمرو : مُرْ أَحْداثَ قريش أن يقوموا ، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد عن أبيه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَقِّروا(١) الذوى المروءات عن عَثَراتهم، فوالذى نفسى بيده إن أحدهم ليعثُر وإنّ يدَه لفى يد الله". كان عروة بن الزبير يقول لولده: يابَنِىّ ٱلعبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف: ما المروءة؟ فقال: العِفَّةُ(٢) والحِرْفة . قال محمد بن عِمْران التَّيْمى: ما شىءٌ أشدَّ حَمْلا علىّ من المروءة، قيل: وأىّ شىءٍ المروءةُ؟ قال : لا تعملُ شيئا فى السرّ تستحيى منه فى العلانية . وقال زهير فى نحو هذا:

السِّتْرُ دون الفاحشات، ولا * يلقاك دون الخير من سِتْرِ

(١) كذا فى الأصول، وفى العقد الفريد: «تجاوزوا» .
(٢) فى الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر :

فسِرّى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمةُ ليـلى مثلُ ضـوء نهاريا

قال عمــر بن الخطاب : تعلّموا العربيةَ فإنهـا تزيد فى المروءة، وتعلّموا النسبَ فرُبَّ رَحِمٍ مجهولة قد وُصِلت بنسبها . قال الأصمعىّ : ثلاثة تحكُمُ لهم بالمروءة حتى يُعرفوا : رجل رأيتَــه راكبا ، أو سمعته يُعرِب، أو شممتَ منه رائحةً طيبة. وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا: رجل شَمِمتَ منه رائحةَ نبيذ فى مَحْفِل، أو سمعتَه يتكلم فى مصرٍ عربىّ بالفارسية، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع فى القَدَر . قال ميمون آبن ميمون : أوّل المروءة طلاقة الوجه، والثانى التودّد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسَبُ أبيه . قال مَسْلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان : الرِّياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثيابُ الطاهرة. قالوا: كان الرجل إذا أراد أن يَشِينَ جارَه طلب الحاجةَ إلى غيره . وقال بعض الشعراء :

نومُ الغداةِ وشُربٌ بالعشِيّاتِ * موكّلان بتهـديم المروءات

باب اللباس

حدّثنى محمــد بن عبيد قال ، حدّثنا آبن عيينة عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس عن آبن عباس ، قال : كُلْ ما شئتَ والبَسْ ما شئتَ اذا ما أخطأكَ شيئان: سَرَفٌ أو مَخِيلةٌ .

قال حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنـا آلمِنْهال بن حَمّاد عن خارجة بن مُصْعَب عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن أبيه، قال : كانت مِلْحَفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يَلبسُ فى أهله مُورَّسةً(1) حتى إنها لتَردَعُ(2) على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر باليمن . وفى الأصول: "مورّشة" بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) تنفض صبغها .

حدّثنى أبو الخطّاب ، قال حدّثنـا أبو عَتّاب قال حدّثنا المختار بن نافع عن (١) إبراهيم التيمىّ عن أبيـه عن علىّ ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رُقْعة من أَدَم و رقعةٌ من ثيابنا .

حدّثنا الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريرىّ عن ابن عباس ، قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت و إزارُه مرقوع بأدَم . نظر معاوية إلى النَّخّار العُـذْرىّ (١) الناسب فى عباءة فازدراه فى عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلّمك و إنمـا يكلّمك مَنْ فيها . قال سُحَيم بن وَثِيل:

أَلَا ليس زينُ الرحل قِطْعًا يُمَزّق * ولكنّ زينَ الرحل يا مَىّ راكبُهْ

وقال آخر :

إيّاك أنـ تَزْدَرِى الرجالَ فما * يُدرِيكَ ماذا يُكِنُّـه الصَّدَفُ
نفسُ الجـواد العتيقِ باقيـةٌ * يومًا وإن مسّ جسمَه العَجَفُ
والحـرُّ حرّ و إنـ ألمّ به الضُّـرُّ * وفيـه العَفَافُ والأَنَفُ

وقال آخر من المحدَثين :

تَعجَّبَتْ دُرُّ مِنْ شَيبِى فقلتُ لهـا * لا تَعْجَبِى قد يَلوحُ الفجرُ فى السَّدَف
و زادها عَجَبًا أَنـ رُحْتُ فى سَمَلٍ * وما دَرَتْ دُرُّ أنّ الدُّرّ فى الصَّدَف

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن ابن عَوْن آشـترى بُرْنُسا من عمر بن أنس بن سيرين فمرّ على مُعَاذَة العَدَويّة ، فقالت : أمِثْلُك يلبَس هذا ! قال : فذكرتُ ذلك لآبن سيرين فقال : ألا أَخبرْتَها (٢) أن تميما الدارىّ آشترى حُلّة بألفٍ يُصلّى فيها .

(١) كذا فى النسختين .
(٢) فى الاصل : ألا أخبرتم . والتصويب عن العقد الفريد . ج ٣ ص ٣٤٨

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا مُصعَبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرنى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيــه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رِداءٌ وعِمامةٌ

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا على بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيْبانىّ قال : رأيتُ محمد آبن الحنفية واقفا بعرفات على بِرْذونٍ عليه مُطْرَفُ خَزٍّ أصفرُ .

حدّثنى الرّياشىّ عن الأصمعىّ عن حَفْص بن الفُرَافِصة(١) قال : أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيقَ بن ثَوْر فمن دونه وآنيتُهم فى بيوتهم الجِفانُ والعِسَسَةُ فإذا قعدوا بأفنيتهم لَبِسوا الأكسيةَ وإذا أتَوا السلطانَ ركبوا ولبِســوا المَطارِفَ .

قدِم حَمَّادُ بن أبى سليمان البصرة فجاءه فَرقَدٌ السَّبَخِىُّ وعليــه ثيابُ صوف فقال حماد : ضَعْ نصرانيّتك هــذه عنك، فلقد رأيْتُنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليــه مُعصفَرةٌ ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له .

وروى زيد بن الحُبَاب عن الثَّوْرىّ عن آبن جُرَيج عن عثمان بن أبى سليمان أن ابن عباس كان يرتدى رداءً بألفٍ . قال مَعْمَر : رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يمسّ الأرض، فكلمتُه فى ذلك فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت فى تذييل القميص وإنما اليومَ فى تشميره .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال : جاء سَيَّار أبو الحَكَم إلى مالك بن دينار فى ثيابٍ آشتهرها(٢) مالكٌ، فقال له مالك : ماهذه الشُّهرةُ؟ فقال له سيار : أتضعنى عندك أم ترفعنى ؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهانى عن التواضع، فنزل مالك فقعد بين يديه .

---

(١) فى لسان العرب : كل ما فى العرب فرافصة بضم الفاء إلا فرافصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله فإنه بفتح الفاء لا غير . (٢) اشتهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الخُرَيمىّ : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعىّ فدفع إلى خادم كيسا فيه ألفُ دينارٍ وقال : إنى سأنزل فى رجعتى إلى الأصمعىّ وسيحدّثنى ويُضحِكنى فإذا ضحِكتُ فضَع الكيسَ بين يديه ، فلما رجع ودخل عليه رأى حُبًّا[1] مكسور الرأس وجَرّة مكسورة العنق وقصعة مُشَعَّبة وجَفْنةً أعشارا ورآه على مصلًّى بالٍ وعليه بَرَّكَانٌ[2] أجردُ فغمز غلامَه ألّا يضعَ الكيسَ بين يديه ولم يَدَعِ الأصمعىُّ شيئا مما يُضحِكُ الثَّكلانَ إلا أورده عليه فما تبسّم وخرج ، فقال لرجل كان يُسَايِره : "مَنْ آسترعى الذئبَ ظلَم" ومن زرع سَبَخَةً حصد الفقرَ ، فإنى والله لو علمتُ أن هذا يكتُم المعروفَ بالفعل لما حَفَلتُ نشرَه له باللسان ، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغِنى ، لأن اللسان قد يكذِب والحال لا تكذِب . ولله درّ نُصَيبٍ حيث يقول:

فعاجُوا فأثنَوْا بالذى أنت أهلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال له : أعلمتَ أن ناووسَ أبرويزَ أمدحُ لأبرويزَ من شعر زهير لآل سِنَان .

قال ربيعة بن أبى عبد الرحمن : رأيت مشيخةً بالمدينة فى زىّ الفتيان لهم الغدائرُ وعليهم المُورَّد والمُعصفَر وفى أيديهم المَخاصِرُ وبها أثر الحِنّاء ، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثريّا إذا أُرِيدَ دِينَه . ذمّ آبن التوءم رجلا فقال : رأيتُه مُشحَّم النعل دَرِنَ الجَورب مُغضَّن الخفّ دقيقَ الخِزَامة . أنشد آبن الأعرابىّ :

فإن كنتَ قد أُعطيت خَزًّا تجرّه * تبدّلتَه من فروةٍ وإهابِ
فلا تأيسَنْ أن تَملِكَ الناسَ إنّنى * أرى أُمّةً قد أدبرت لِذَهابِ

قال أيوب يقول الثوبُ : آطوِنى أُجمِّلْك . هِشَامُ بن عُرْوة عن أبيه قال ، يقول المال : أرِنى صاحبى أعمُرْ ، ويقول الثوب : أكرِمْنى داخلا أُكرِمْك خارجا .

(١) فى اللسان وغيره : الحُبّ الخابية فارسىّ معرب . (٢) كساء أسود

ويقال: لكل شيء راحةٌ، فراحةُ البيت كنسُه، وراحةُ الثوب طيّه. قيل لأعرابيّ: إنك تُكثِرُ لُبسَ العِمامة، فقال: إن عظمًا فيه السّمعُ والبصرُ لجديرٌ أن يُكَنّ من الحرّ والقُرّ. ويقال: حُبَى العرب حيطانُها، وعمائمها تيجانُها. وذكروا العِمامةَ عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنّةٌ في الحرب، ومَكنّة في الحرّ والقرّ، وزيادةٌ في القامة، وهي بعدُ عادةٌ من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدّهنُ يُذهِبُ البؤسَ، والكُسوةُ تُظهِرُ الغِنى، والإحسانُ إلى الخادم مما يَكبِتُ اللهُ به العدوّ.

أبو حاتم قال حدّثنا العتبيّ قال: سمعت أعرابيا يقول: لقد رأيتُ بالبصرة بُرُودا كأنما نُصِحَت(١) بأنوار الربيع وهي تَروعُ، واللابسوها أَروَعُ. قال يحيي بن خالد للعتّابيّ في لباسه — وكان لا يُبالي ما لبس —: يا أبا عليّ أخزى الله امرأً رضيَ أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله، فإنما ذلك حظُّ الأدنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: هِمّتُه ونفسُه، وأصغراه: قلبُه ولسانُه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحبّ أن يَرَى أثرَها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تَعِزَّ في خَصَفَةٍ خيرٌ لك من أن تَذِلّ في مُطْرَفٍ، وما اقترضتُ من أحد خيرٌ من أن أقترضَ من نفسي. قال عمرو بن معديكرب:

ليس الجمــالُ بمِـــئزَرٍ * فاعــلمْ وإن رُدِّيتَ بُرْدَا
إن الجمالَ معــادنٌ * ومواربثُ أورَثْنَ مَجْـــدَا

وقال ابن هَرْمة:

لو كان حولي بنُــو أميـــة لم * يَنطِق رجال إذا هــمُ نطقــوا
إن جلسوا لم تَضِــقْ مجالسُهم * أو رَكِبوا ضاق عنهمُ الأفقُ

(١) نصح الثوب: خاطه.

كم فيهمُ مِن أخ وذى ثِقةٍ * عن منكِبيه القميصُ مُنخَرِقُ
تجهّـم عـوّذَ النسـاء إذا * ما احمرّ تحت القَوانس الحَدَقُ
فريحُهُم عند ذاك أندى من الـ * ـمسك وفيهمْ لخـابِطٍ وَرَقُ

قال حدّثنى أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبى سعدٍ[1] المخزومىّ الشاعر كردوانيا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد، هذا خزّ؟ فقال : لا ، ولكنه دَعِىٌّ على دَعِىٍّ ، وكان أبو سعد دعيا فى بنى مخزوم، وفيه يقول أبو البرق:

لما تاه على النـاس * شريفٌ يا أبا سعد
فتِهْ ما شئتَ إذ كنت * بلا أصلٍ ولا جَدِّ
وإذ حَظُّك فى النسبـ * ـة بين الحرّ والعبد
وإذ قاذفُـك المُفحِـ * ـشُ فى أمنٍ مِنَ الحَدِّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدّبنى ؟ قال: أحسن طاعةٍ، قال : فأطِعْنى الآن كما كنتُ أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدوَ شَفَتاك، ومن ثوبك حتى يبدوَ عَقِباك . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد قلَب فروةً جِلدُها على جلده وصوفُها إلى خارج ، وعلى كتِفيه مِنديلُ الخِوان مكانَ الرِّداء . قال حدّثنى أبو الخطاب عن أبى داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت الشعبىّ يَقْضِى على جِلْدٍ . قال الأحنف : استجيدوا النِّعال فإنها خلاخيل الرجال . أبو الحسن المدائنىّ قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْلم فى مِدْرَعةِ صوف فقال له قتيبة : ما يدعوك إلى لُبس هذه؟ فسكتَ، فقال له قتيبة : أُكلِّمك فلا تجيبنى ! قال : أكره أن أقولَ زهدا فأُزكِّىَ نفسى، أو أقول فقرا فأشكوَ ربّى.

(١) فى الأصول : "سعيد". والتصويب عن الأغانى وهو الموافق لما فى البيت الأول .

قال ابن السَّمَّاك لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسُكم هـذا موافقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناسُ عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يعتذر من أطمارٍ عليه :

فما أنا إلا السَّيفُ يأكلُ جفنَهَ * له حليةٌ من نفســه وهو عاطِلُ

التّخـــتُّم

قال حدّثنى أبو الخطاب زِياد بن يحيى الحَسَّانىّ قال حدّثنا عبـد الله بن ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تختَّم فى يمينه .

قال حدّثنى أبو الخَطَّاب قال حدّثنا سهل بن حَماد قال حدّثنا أبو خَلْدة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كان نقشُ خاتَم النبىّ صلى الله عليه وسلم؟ قال : "صَدَقَ اللهُ"(١) قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله "محمد رسول [الله]" .

قال أبو الخطاب حدّثنا عَتَّاب(٢) قال حدّثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشىء أَوْثَقَ فى خاتمه خيطا .

حدّثنى أبوالخطاب قال حدّثنا عبد الله بن ميمون قال : حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علىّ كان من وَرِقٍ نقشُه "نِعمَ القادرُ اللهُ" . كان على خاتم علىّ بن الحسين بن علىّ "عَلِمتَ فَاْعمَلْ" . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علىّ "تبـاركَ مَنْ

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من الناسخ . ويؤيده ما فى "شرح المواهب اللّدنية" للزرقانى فى رواية ابن سعد عن أبى العاليــة : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . انظرج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فإنا لم نجد فى شيوخ أبى الخطاب الا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه فى أوّل سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبى عتاب .

نَخْرِى بأنى له عبد" ونقش خاتم شريح "الخاتمُ خيرٌ من الظن". ونقش خاتم طاهر "وَضعُ الخدّ للحق عِزٌّ" . وكان لأبى نواس خاتمان : أحدهما عقيق مربع وعليه

تعاظَمَنى ذنبى فلما عَدَلْتُــهُ * بعفوك ربِّى كان عفوُك أعظَمَا

والآخر حديد صينىّ مكتوب عليه : "الحَسَنُ يشهدُ أن لا إله إلا الله مخلصًا". فأوصى عند موته أن يُقلَعَ الفصُّ ويُغسَلَ ويُجعلَ فى فمه .

باب الطّيب

قال حدّثنا محمد بن عُبَيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن أبى عثمانَ النَّهْدىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خيرُ طِيب الرجال ما ظهر ريحُه وخَفِى لونُه، وخيرُ طيبِ النساء ما ظهر لونُه وخَفِى ريحُه» .

حدّثنا القُطَعِىُّ قال حدّثنا بِشْر عن آبن لَهِيعَة قال حدّثنى بُكَير عن نافع : أن آبن عمر كان يستجمر بعُودٍ غيرِ مُطَرًّى ويجعل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول الله يستجمر .

قال حدّثنا زياد بن يحيى قال حدّثنا زياد بن الربيع عن يونس، قال قال أبو قِلابة : كان آبن مسعود إذا خرج إلى المسجد عرف جيرانُه ذاك بطيب ريحه .

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا أبو نعيم عن شَقيق عن الأعمش قال قال أبو الضّحى : رأيتُ على رأس آبن الزبير من المسك ما لو كان لى كان رأسَ مال .

قال حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمىّ عن أبيه قال : رأيتُ آبن عباس حين أَحْرم والغاليةُ على صلعته كأنها الرُّبّ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو بن يحيى عن محمد بن يحيى بن حَبّان قال : كان عبد الله بن زيد يتخلّق بالخَلُوق ثم يجلسُ فى المجلس .

وحدّثنى أيضا عن سُوَيد بن سعيد عن ضِمام بن إسماعيل عن عُمَارة بن غَزِيَّة قال: لـما[1] أولم عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبـد الملك أسرج فى مسارجه تلكَ الليلةَ الغاليـةَ .

قال وحدّثنى عن أبى عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبى أيوب عن عبيد الله آبن أبى جعفر عن الأعرج، قال: قال أبو هريرة، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَرُدُّوا الطِّيبَ فإنه طَيِّبُ الريح خفيفُ المَحمِل» .

قال حدّثنى زيد بن أَخْزم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا أنس بن مالك قال حدّثنا عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كأنى أنظر إلى وبيص الطِّيب فى مَفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيـه قال [قال] عِكرمة: كان آبن عباس يَطْلِى جسدَه بالمسك فإذا مرّ بالطريق قال آبن عباس[2]: أَمَرّ ابنُ عباس أم مَرّ المسكُ؟ . قال المُسَيَّب بن عَلَس يمدح بنى شيبان:

تَبيتُ الملوكُ عـلى عَتْبهـا * وشيبانُ إن غَضبتْ تُعْتَبُ
وكالشَّهْد بالراح أحلامُهُـم * وأحلامُهـم منهما أعذبُ
وكالمسـكِ تُربُ مَقاماتِهـم * وتربُ قبورِهـمُ أطيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال:

وأنت إذا ما وطِئتَ الترا * بَ صار ترابُك للناس طِيبا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما:

المطعِمون إذا ما أَزمةٌ أَزَمَتْ * والطيِّبونَ ثيـابًا كلَّما عَرِقُوا

---

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وظاهر السياق يقتضى «بنى» أما النسخة الفتوغرافية فالفعل فيها محذوف سهوا .

(٢) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابى :

خَوْد يكون بها القليل تَمسُّه[1] * من طيبها عَبِقًا يطيبُ ويكثرُ
شَكَر الكرامةَ جِلدُها فصَفَا لها * إن القبيحةَ جِلدُها لا يَشكُرُ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ذُكِر لأيوب هؤلاء الذين يتقشّفون فقال : ما علمتُ أن القذرَ من الدّين .

باب المجالس والجُلَساء والمحادثة

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن حبّان بن موسى قال حدّثنا ابن المبارك عن معْمر عن سُهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الرجلُ أحَقُّ بمجلسه إذا قام لحاجة ثم رجَع» .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المُسيِّب بن رافع عن عبد الله بن يزيد الخَطْمىّ عن عبد الله بن الغَسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المرءُ أحقُّ بصَدْر بيته وصدرِ دابته وصدرِ فراشه ، وأحَقُّ أن يَؤُمّ فى بيته» .

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر محمد بن على قال : أُلقِى لعلىّ وِسادةٌ يجلس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامةَ إلا حمارٌ .
وفى الحديث المرفوع عن أبى موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ الجليس الصالح مَثَلُ الدّارِىّ إن لم يُحْذِك[2] من طيبه علِقَكَ من ريحه ، ومَثَلُ الجليس السوء مَثَلُ الكِير إن لم يُحرِقْكَ بشَرَار ناره علِقَكَ من نَتْنه» . قال أبو إدريس الخَوْلانىّ :

(١) فى النسخة الألمانية : الغليل وفى الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محرّف عن «القليل» إذ هو الذى يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطيَبُ المجالسِ ما سافرَ فيــه البصرُ واتَّدع[1] فيه البدنُ ، فأخذه علىّ بن الجهم فقال :

صُحُونٌ تُسافرُ فيها العيون * وتَحْسِرُ عن بُعد أقطارها

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْف وكثرت فيه فائدةُ الجليس . قيل للأوْسيَّةِ : أىُّ مَنظَرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قصورٌ بِيضٌ فى حدائقَ خُضْرٍ . ونحوه قول عدِىّ بن زيد :

كدُمَى العاج فى المحاريب أو كالـــبَيْض فى الرّوض زهرُه مُستنـير

حدّثنا سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعىّ قال : كان الأحنفُ إذا أتاه إنسان أوسع له ، فإن لم يجــد موضعا تحرّكَ ليُرِيَه أنه يُوسِعُ له . وكان آخر لا يُوسِــعُ لأحد ويقول "ثَهْلانُ ذو الهَضَبات ما يَتَحَلْحَلُ"[2] .

قال ٱبن عباس : لجليسى علىّ ثلاثٌ : أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبــل ، وأن أُوسِعَ له إذا جلس ، وأُصْغِىَ إليه إذا تحدّث . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلسًا نخفت أن أُقامَ عنــه لغيرى . وكان يقول : لَأن أُدعَى من بعيد فأُجيبَ أحبُّ إلىّ من أن أُقْصَى من قريب .

كان القَعْقاع بن شَوْر إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا فى ماله ، وأعانه على عدوّه ، وشفع له فى حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا . وقسم معاوية يوما آنيةَ فضةٍ ودفع إلى القعقاع حظَّه منها ، فآثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال:

---

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شطر بيت من قصيدة للفرزدق، وقد جاء فى الأصل و فى معجم البلدان هكذا: «ثهلان ذوالهضبات» بالرفع . وقال ابن برى فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه « ثهلان ذا الهضبات » بالنصب لأن صدره :

* فارفع بكفك إن أردت بناءنا *

وكنتُ جليسَ قَعقاع بن شَوْر * ولا يَشْـقَى بقعقاعٍ جليسُ
ضحوكُ السنّ إن نطقوا بخـير * وعنـد الشرّ مِطراقٌ عَبـوسُ

كان يقال : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلس قُلْعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا تجلسُ متكئا ! فقال : تلك جِلْسَةُ الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمَلُّهمْ : جليسي ما فَهِمَ عنّى ، وثوبي ما سترنى ، ودابتي ما حملت رجلى (١) . وزاد آخر : وآمرأتي ما أحسنَتْ عِشرتي .

ذكر رجل عبدَ الملك بن مروان فقال : إنه لآخِذٌ بأربع ، تارِكٌ لأربع : آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدّث ، وبأحسن البِشْر إذا لقِيَ ، وبأيسر المئونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة (٢) اللئيم ، ومنازعة اللَّجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند آنقضاء مجلســه قال : إنك جلستَ إلينـا على حينِ قيامٍ منّا أفتأذن ؟ . قال الفُضَيل بن عِياض للثوريّ : دُلَّني على مَنْ أجلسُ إليـه ، قال : تلك حالةٌ لا تُوجد . قال مُطرِّف : لا تُطعِم طعامَكَ مَنْ لا يشتهيه ، يُريد : لا تُقبِل بحديثك على من لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن سَـلْم : إذا لم تكن المحدِّثَ أو المحدَّث فانهضْ . ونحوه قول آبن مسعود : حَدِّث القومَ ما حدَجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عَيّاش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبـد العزيز ، فلمـا رآني رَحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضـلا فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس . وقال آبن عباس : ما أحدٌ أكرم عليّ من جليسي ، إن

(١) فى النسخة الألمانية : رحلى . (٢) فى العقد الفريد : لمجاوبة .

الذباب يقع عليه فيشقّ علىّ . ذكر الشّعبىّ قوما فقال : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تناوبا[1] فى مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محدِّث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفـارِهَ ووطئنا الحسناءَ ولَبِسنا الليِّنَ وأكلنا الطيِّبَ حتى أَجِمْنا[2]، ما أنا اليومَ الى شيءٍ أحوجُ منّى إلى جليس أضعُ عنّى مئونة التحفظ فيما بينى وبينه.

روى ابن أبى ليلى عن حبيب بن أبى ثابت عن يحيى بن جَعْدة قال، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أَسيرَ فى سبيل الله أو أضعَ جَبهتى فى التراب لله أو أُجالسَ قومًا يلتقطون طَيِّبَ القول كما يُلتقَط طيِّبُ الثمر لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله. قال عامر بن عبـد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لى منهم الأسودُ بن كُلثوم . وقال آخر ما آسَى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السّكر[3]، وليلِ الخَرِير[4]، وحديثِ ابن أبى بَكرة . وقال المغيرةُ : كان يجالس إبراهيمَ صيرفىٌّ ورجل متّهَـمٌ برأى الخوارج، فكان يقول لنـا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول :(تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) إلا عنـد ختم القرآن فى شهر رمضان من أجل اللَّهَبِيِّينَ .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقِحُ ألبابَها . كان بعض الملوك فى مسـير له ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقطَعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فلينفُض كل رجل منكم بنا

(١) فى الأصول : تنابذا، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وملّه .

(٣) فى الأصول : رطب،والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبى .

(٤) فى الأصول : الحزين وهو تحريف،والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : فى أعلى جبانة البصرة موضـع يقال له الخرير . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا[1] منه . قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تلذّه ؟ قال : محادثةُ أهل العلم، وخبرٌ صالح يأتيني من ضَيْعتي . قال أبو مُسْهِر : ما حدّثت رجلا قط إلا حدّثني إصغاؤه : أفَهِمَ أم ضَيَّع .

باب الثُّقَلاء

قال إبراهيم : إذا علم الثقيلُ أنه ثقيلٌ فليس بثقيل . كان يقال : مَنْ خاف أن يُثَقِّل لم يثقُل . قيل لأيوب : ما لكَ لا تكتبُ عن طاوُس؟ فقال : أتيته فوجدته بين ثقيلين : ليث بن أبي سليم، وعبد الكريم بن أبي أميّة .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقلَ في كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على خاتمه : أَبْرمتَ فقُمْ، فكان إذا جلس إليه ثقيلٌ ناوله إياه . قال بَخْتَيشُوعُ للمأمون: لا تُجالس الثقلاءَ فإنا نجدُ في الطب : مجالسةُ الثقيل حُمَّى الروح . قال بعض الشعراء:

إني أُجالسُ معشرًا * نَوْكَى أخَفُّهمُ ثقيلُ
قومٌ إذا جالستَهُم * صَدِئَتْ بقربهم العقولُ
لا يُفهمونى قولَهم * ويَدِقّ عنهم ما أقولُ
فهُمُ كثيرٌ بي وأعلم أنني بهمُ قليلُ

أخبرنا النُّوشَجَانِيّ عن عمر بن سعيد القرشيّ قال حدّثني صَدَقة بن خالد قال : أتيت الكوفة فجلستُ إلى أبي حنيفة، فقام رجل من جلسائه فقال:

فما الفِيلُ تحمِلُه ميّتًا * بأثقلَ من بعض جُلّاسنا

فما حملت عنه شيئا .

(١) في القاموس : الجوش القطعة العظيمة من الليل أو من آخره اهـ . والجوشن بزيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك؟ فقال :

وقائلٍ كيف أنت قلتُ له * هذا جليسى فما ترى حالى

وقال بشّار:

ربّما يثقُل الجليسُ وإن كا * ن خفيفا فى كفّة الميزانِ
ولقد قلتُ حين وتّد فى الأر * ض ثقيلٌ أربَى على ثهلانِ
كيف لم تحمِلِ الأمانةَ أرضٌ * حملتْ فوقها أبا سفيانِ (١) !

وقال آخر:

هل غُربةُ الدار منك مُنجيتِى * إذا اغتدتْ بى قلائصٌ ذُمُلُ
وما أظن الفلاة تنجينى (٢) * منكَ ولا الفُلْكُ أيها الرجلُ
ولو ركبتُ البُراق أدركنى * منكَ على نأى دارك الثقَلُ
هل لك فيما ملكتُ نافلةٌ * تأخذُه جملةً وترتحلُ

وقال أعرابىّ:

كأنى عند حمزة فى مُقامى * ألا حُيِّيت عنا يا مَدينا
بَلينا عنده حتى كأنا * ألا هُبّى بصحنك فاصبَحينا

وقال آخر:

ثقيلٌ يُطالعنا من أَمَمْ * إذا سرّه رغمُ أنفى أَلَمّْ
لطلعته وخزةٌ فى الحشا * كوخز المشارط فى المحتجَمْ
أقول له إذ بدا طالعا (٣) * ولا حملتْه إلينا قَدَمْ
فقدتُ خيالكَ لا من عمًى * وأُذْنِى (٤) كلامَك لا من صَمَمْ

(١) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أبا عمران . (٢) هكذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية "تنجينى" ولعلها "منجيتى" . (٣) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «إذ بدا لا بدا» وفى ديوان ناظمه أبى نواس لا أتى . (٤) فى العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سُهيل بن عبد العزيز : مَنْ ثَقُـلَ عليك بنفسه وغمّك فى سؤاله فألزمه أذناً صماء وعيناً عمياء .

وكتب بعضُ الكتّاب فى فصل من كتابه : ما آمنُ نزغَ مُستميحٍ حرمته ، وطالبِ حاجةٍ رددتُه ، ومُثابرٍ ثقيلٍ حجبتُه ، أو منبسطِ نابٍ قبضتُه ، ومُقبلٍ بعِنانه علىّ لَوَيتُ عنه ، فقد فعلت هـذا بمستحقين وبتعذر الحال ، فتثبت رحمك الله ، ولا تُطعْ كلَّ حَلّافٍ مَهِين .

وقال بعض المُحَدَّثين للخليل :

خرجنا نُريد غُزاةً لنـا * وفينا زِيادٌ أبو صَعْصَعهْ
فستّةُ رهطٍ به خمسـةٌ * وخمسةُ رهطٍ به أربعهْ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عدىّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبىّ قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم : أخبرنى عن مكان من القرية لا يَخْرَبُ حتى أستقطعَ ذلك الموضعَ ، فقال له : ما بين المـاء إلى دار الإمارة ، فاختطّ لثقيف ذلك الموضعَ ، قال الهيثم بن عدىّ : فبتُّ عندهم فإذا ليلُهُم بمنزلة النهار .

وقال قائل فى الدار : ليكن أوّلَ ما تَبتاعُ وآخرَ ما تبيعُ .

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط داره ليبنيها : هى قميصُك فإن شئتَ فوسّعه ، وإن شئت فضيّقه . وأتاه وهو يبنى دارَه التى ببغداد بقرب الدور ، وإذا هم يُبيِّضون حيطانَها فقال : اعلم أنك تُغَطّى الذهبَ بالفضة ، فقال جعفر : ليس فى كلّ مكانٍ يكون الذهبُ أنفعَ من الفضة ، ولكن هل ترى عيبا؟ قال : نعم ، مخالطتُها دورَ السُّوقة .

دخل ٱبن التوءم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرةَ الذرع ، واسعةَ الصحن ، رفيعةَ السَّمك ، عظيمةَ الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مئونة لا تُطاق ، وعيالا لا يُحتَملُ مثلُهم ، ولا بد لك من الخدم والسّتور والفرش على حسب ما ٱبتُليتْ به نفسُك ، وإن لم تفعل هُجّنتَ رأيك .

وقرأت فى كتاب " الآيين " أنه كان يُســتقبَلُ بفراش الملك ومجلسه المشرِقُ ، أو يُستقبلُ به مَهبُّ الصَّبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والأرتفاع ، وناحيةَ الدَّبور وناحيةَ المغرِب يُوصَفان بالفضيلة(١) والانخفاض ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملِك المشرِقُ أو مَهبُّ الدبور ، ويُستقبلُ بصدور ٱلخلاء وما فيه من المقاعد مَهبُّ الصَّبا ، لأنه يقال : إن ٱستقبالَ الصَّبا فى موضع ٱلخلاء آمنُ من سِحْر السَّحَرة ومن ريح ٱلجِنَّة .

وكان عمر يقول : على كلّ خائنٍ أمينان : ٱلمـاءُ والطينُ . ومر ببناء يُبنَى بآجُرٍّ وجِصٍّ فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عاملٍ له ، فقال : تأبى ٱلدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها ، وشاطَره مالَه .

أبو ٱلحسن قال : لمـا بلغ عمرَ أن سعدا وأصحابه قد بَنَوْا بالمدَر قال : قد كنتُ أكره لكم البنيانَ بالمدر ، فأمّا إذ قد فعلتم فعرِّضوا ٱلحِيطانَ ، وأطيلوا السَّمْكَ ، وقاربوا بين ٱلخشب . وقيل ليزيد بن ٱلمهلب : لم لا تَبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأنى لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنتُ أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنتُ أميرا فدارُ الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتخذَ ٱلدورُ بين المـاء والسّــوق ، وأن تكونَ ٱلدورُ شرقيةً والبساتينُ غربيةً .

قال بعض الشعراء :

بنو عُميرٍ مجدُهم دارُهم * وكلُّ قــومٍ لهم مَجْــدُ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبي محمد اليزيدى:

قَوْمى خِيارٌ غيرَ ما أنهم * صَولَتُهُمْ منهمْ على جارِهم
ليس لهم مجدٌ سوى مسجِدٍ * به تَعَدَّوْا فوقَ أطوارهم
لو هُدِمَ ٱلمسجدُ لم يُعرَفُوا * يوما ولم يُسمَعْ بأخبارهم

وقال رجل من خُزاعة:

فخر ٱلمسيَّبُ بالمناره * ومنارهُ بِرحا[(١)] عُماره
فإذا تفاخرتِ القبا * ئلُ من تَميم أو فزاره
حَفلَتْ عليك شُيوخُ ضَبَّـ * ـةَ بالمسيَّب والمناره

مرّ رجل من ٱلخوارج بدار تُبنَى فقال: مَنْ هذا ٱلذى يُقيم كفيلاً ؟، وقالوا: كُلُّ مال لا يَخرجُ بخروجكَ ولا يرجعُ برجوعكَ ولا ينتقلُ فى الوجوه بانتقالكَ فهو كفيلٌ .

وقالت ٱلحكماء من ٱلروم: أصْلحُ مواضعِ البنيان أن يكونَ على تلٍّ أو كَبْسٍ وثيقٍ ليكونَ مُطِلًّا، وأحقُّ ماجُعِلتْ إليه أبوابُ المنازل وأفنيتُها وكَواؤها ٱلمشرقُ وٱستقبالُ الصَّبا، فإن ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه فى البناء قولُ علىّ بن ٱلجهم:

صُحُونٌ تُسافِر فيها العيون * وتَحْسِرُ عن بعد أقطارها
وقُبَّةُ مُلْكٍ كأن النجو * مَ تُصْغِى إليها بأسرارها
وفَوّارةٌ ثأرُها فى السماء * فليست تُقَصِّرُ عن ثارها
إذا أُوقِدتْ نارُها بالعراق * أضاء ٱلحجازَ سَنا نارها
تَرُدُّ على ٱلمزن ما أنزلَتْ * على الأرض من صَوْب أقطارها

(١) محلة بالكوفة تنسب إلى عمارة بن عقبة بن أبى معيط . معجم البلدان .

لهـا شُرُفاتٌ كأنّ الربيـع * كساها الرياضَ بأنوارهـا
فهنّ كمُصطحباتٍ خرجن * لفصح النصارى وإفطارها
فمِنْ بينِ عاقصـةٍ شعرَهـا * ومُصـلِحةٍ عَقْـدَ زُنّارِهـا

وقال الوليد بن كعب :

بكتْ دارُ بِشرٍ شجوَهَا أن تبدّلت * هــلالَ بن عياد بِبشر بن غالب
وما هي إلا مثلُ عِرسٍ تنقّلتْ * على رَغْمِها من هاشم فى مُحَارِبِ

وقال آخر :

ألم تر حَوْشــبًا أمسى يُبَنّى * قصورا نَفعُها لبنى بُقيــلهْ
يُؤمِّل أن يُعمَّرَ عُمْــرَ نوح * وأمرُ الله يحـدُثُ كلَّ ليله

كان مالك بن أسماء يَهْوَى جاريةً من بنى أسـد وكانت تنزل خُصًّا وكانت دارُ مالك مبنيةً بآجُرٍّ فقال :

ياليتَ لى خُصًّا يُجاورُها * بدلًا بدارى فى بنى أسد
الخُصُّ فيه تَقَرُّ أعيُنَنـا * خيرٌ من الآجُرِّ والكَمَـد

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه قال حدّثنـا إسحاق بن الفُرات قاضى مصر عن الأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يابُنَىّ إن من ضيق العيش شِراءَ الخبز من السوق، والنقلةَ من منزلٍ إلى منزلٍ .

بلغنى أن رجلا من الزّهاد مرّ فى زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح: واعُمَراه! فسمعه المأمونُ فدعا به فقال : ما قلتَ؟ قال : رأيتُ بناء الأكاسرة فقلتُ ما سمعتَ. قال المأمون : أرأيتَ لو تحوّلتُ من هذه المدينـة إلى إيوان كسرى بالمدائن هل كان لك أن تَعيبَ نزولى هناك؟ قال : لا، قال : فأراك إنما عِبتَ إسرافى

فى النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبتُ قيمةَ هذا ٱلبناء لرجل أكنتَ تعيب ذلك؟ قال : لا، قال : فلو بَنَى هذا ٱلرجلُ بما كنتُ أهبُ له بناءً أكنتَ تَصيحُ به كما صِحتَ بى ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قَصَدتَنى لخاصّتى فى نفسى لا لعلة هى فى غيرى، ثم قال له : هذا ٱلبناءُ ضربٌ من مكايدنا نبنيه ونتخذ الجيوشَ ونُعِدُّ السلاحَ والكُراعَ وما بنا إلى أكثره حاجةٌ، فلا تَعُودنّ إلىّ فتمسَّكَ عقوبتى، فإن الحفيظة ربما صرفَتْ ذا الرأى إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص (١) فيه

قال حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن هشام بن عروة عن أبى سلمة قال : أخبرتنى عائشةُ أنها سابقتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فسبقتْه، وسابقتْه فى سفر آخر فسبقها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفةً لمروانَ، فربما ركب حمارا قد شدّ عليه برذعةً وفى رأسه حِليةٌ فيلقَى الرجلَ فيقول : الطريقَ، قد جاء الأميرُ، وربما دعانى إلى عشائه بالليل فيقول : دع العُراق (٢) للأمير، فأنظر فإذا هو ثريدٌ بزيت .

قال حدّثنى محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصَّلْت الطاحى (٣) عن سعيد ابن عثمان قال، قال الشعبىّ لخياط مرّ به : عندنا حُبٌّ مكسور تخيطُه ؟ فقال الخياط : إن كان عندك خيوطٌ من ريح .

(١) كذا فى الأصل، ولم نجد فى القاموس ولا فى اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسهيل؛ والوارد فى هذا المعنى إنما هو الرخصة بتاء التأنيث فلعل التاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) العُراق : العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) فى الأصل : الطاجى بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدّثنى بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبيّ ومعه فى البيت امرأة فقال : أيكمُ الشعبيّ ؟ قال الشعبيّ : هذه . وسـئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكَفَاف، قال : فما تقول فى الذِّبَّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذى (لمّا رأينــه أكبرنه وقطعن أيديهن)، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذى قالت فيـه الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ) .

حمـاد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشـام بن حسان قال : تُوفّى البارحة، أَمَا شَعَرتَ؟ فجزع واسترجع، فلما رأى ابنُ سيرين جزعه قرأ: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَـا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا) .

مَرَّ بالشعبيّ حَمَّالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٍّ ، فلما رآه وضعَ الدنَّ وقال : ما كان اسمُ امرأةِ ابليسَ؟ فقال الشعبيّ : ذاك نكاحٌ ما شَهِدناه .

حدّثنى محمد بن عبـد العزيز عن الأصبهانيّ عن يحيى بن أبى زائدة عن الأعمش قال : عادنى إبراهيم فنظر إلى منزلى فقال : أمّا أنتَ فَتُعْرَفُ فى منزلك أنكَ لستَ من أهل القَريتينِ عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال، قالت أم سلمة : خرج أبو بكر فى تجارة ومعه نُعَيمان وسَوَيبِطُ بن حرملة، وكانا شهدا بدرا، وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان مزّاحا : أطعمْنى، فقال : حتى يجيء أبو بكر، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط : أتشترون منى عبدا لى ؟ قالوا : نعم، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إنى حرّ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا علىّ عبدى، فقالوا : بل نشتريه منك

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا فى عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيمان : إن هـذا يستهزئ بكم وإنى حرّ، قالوا : قد أُخبرنا بخبرك، وٱنطلقوا به، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهـم القلائص وأخذه، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا[1] .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عبدالله بن عبد الوهاب الحَجَبىّ عن أبى عَوَانة عن قتادة أن عدىّ بن أرطاة تزوّج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينـك وبين الحائط، قال : إنى رجل من أهل الشأم، قال : بعيد سحيق، قال : إنى تزوّجت امرأة، قال : بالرفاء والبنين، قال : وولدتْ غلاما، قال : لِيَهْنِئك الفارسُ، قال : وشرطتُ لهـا دارها، قال : الشرطُ أملكُ، قال : اقض بيننا، قال : قد قضيتُ، قال : بِمَـهْ ؟ قال شريح : « حَدِّثْ امرأة حديثين فإن أبت فارْبَعْ »[2] قال لى المحـدِّث : فأربعة، وإنمـا هو فاربع أى كُفَّ وأمسِكْ .

وتقدّم رجلان إلى شريح فى خصومة فأقرّ أحدُهما بمـا يدّعى الآخر عليـه وهو لا يعلم، فقضى عليه شريح، فقال الرجل : أتقضى علىّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندى ثقة، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن سيرين يُنشِد :

نُبِّئتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبُها مثلُ شهرٱلصوم فىٱلطول

(١) فى القاموس فى مادة نعم أن نعيمان هو المزّاح وأنه هو الذى باع سويبطا وبعـد نحو صفحتين من هذا الكتاب ستجد ذكر نعيمان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميـدانى « حدّث آمرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكأنك حدثتها حديثين، والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما فان لم تفهم فاجعلهما أربعا . ورواه فى اللسان كما فى الأصل وقال فى معناه:أى قف واقتصر وهو بن ربع يربع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا :

لقد أصبحت عِرسُ ٱلفرزدق ناشزا * ولو رضيتْ رمحَ آسته لٱستقرّتِ

وكان ٱبن سيرين يضحك حتى يسيل لُعابه .

ٱلمدائنى قال، قال عمرو بن ٱلعاص لمعاوية : إنى رأيت ٱلبارحةَ فى المنام كأن القيامة قد قامت ووُضعت ٱلموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت واقف قد ألجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال ٱلجبال ، فقال معاوية : فهل رأيتَ شيئا من دنانير مصر !

كان مَعْن بن زائدة ظَنِينا فى دينه ، فبعث إلى ٱبن عيّاش المَنْتوف بألف دينار ، وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار ٱشتريتُ بها دينَك ، فاقبض المال وٱكتب إلىّ بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ ٱلدنانير وبِعتك بها دِينى خلا التوحيد لِما عرفتُ من زهدك فيه .

قال ٱلرشيد ليزيدَ بن مزْيد : ما أكثرَ الخلفاءَ من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ، ولكن منابرهم ٱلجُذوع .

قال بلال بن أبى بُرْدة لٱبن أبى علقمة : إنما دعوتك لأسخَر منك ، فقال له ٱبن أبى علقمة : لئن قلتَ ذاك لقد حَكَّمَ المسلمون رجلين سَخِرَ أحدُهما من الآخر .

كان يقال : ٱلسِّبابُ مِزاح ٱلنَّوْكَى[1] . وقال الشاعر :

أخو ٱلجِدّ إن جاددتَ أرضاكَ جِدُّه * وذو باطل إن شئتَ ألهاك باطلُهْ

وقال مِسْعرُ بن كِدَام لابنه :

ولقد حبوتك يا كِدامُ نصيحتى * فاسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ
أمّا المُزَاحةُ والمِراءُ فدعهما * خُلُقان لا أرضاهما لصديقِ
ولقد بلوتُهما فلم أحمَدْهما * لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيقِ

(١) كذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال للميدانى : «المزاح سباب النَّوكَى» .

وقال الكميت :

وفى الناس أقذاعٌ مَلَاهِيجُ بالخَنَا * متى يَبلُغِ الجِدُّ الحفيظةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قول بعض المحدَثين :

أرانى سَأُبدِى عنــد أول سكرة * هواى لفضــل فى خفاءٍ وفى ســترِ
فإن رضِيَتْ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غضِبَتْ حمّلتُ ذنبى على السكر

وقال الراعى — فى نحو هذا يصف نساء —

يُناجِينَنا بالطَّرْف دون حديثنا * ويَقْضين حاجاتٍ وهنّ مَوَازحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عملين ليختار أحدَهما فيوليه ، فقال : «كلاهما وتمرا» ، فقال : أعندى تمزح! لا وَليتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكه قلّت هيبتُه . وقال علىّ : إذا ضَحِك العالِم ضَحْكةً مجّ من العلم مَجّةً . وقال أكثم : «المُزاحَةُ تُذْهِبُ المهابةَ» .

الهيثمُ عن عوانة الكلبىّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم وعنده رجل كان يحسُده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدى بأبى هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بنى جُشَم ، وشيخنا الذى نصدرُ عن رأيه ، فاهتزّ لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه أمرنا ذات يوم وقــد نورت الرياضُ أن نَخرُجَ إلى روضــة فى ظهر بيوت الحىّ فنتحدّث فيها ، فخرجنا وابتسطنا[1] لعبا ، وخرج الرجل منا بالبَكْرة الكَوْماء وبالخروف والجدى ، وقام الفتيانُ فاجتزروا واشتَوَوْا ودارت السُّــقاةُ علينا ، فبينما نحن كذلك رُعِفَ أبوه فما تركنا فى الحىّ روثة حمار إلا نَشَقْناه إياها فلم يَرقأ دمُه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجدْ فى كتب اللغة التى بين أيدينا «ابتسط» ، ولعلّه محرّف عن «انبسطنا» .

شُدّوا خُصْيَىِ الشيخ عَصْباً ، ففعلنا ذلك فرقاً الدمُ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتانا الصريخُ عن أمّه أنها قد رَعَفتْ ، فبادرنا إليها ، فوالله ما درينا ما نَعصِبُ منها حتى خرجتْ نفسُها، وعبد الملك يَفحَصُ برجليه ضحكا، والفتى يقول : كذب والله، فقال عبد الملك : ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم !

حدّثنى أحمـد بن عمرو قال : كان رجل من الفقهاء فى طريق مكة، فرأى وهو محرم يربوعاً فرماه بعصا كانت فى يده فقتله ، فقال الجمّالُ : ألستَ مُحرِما؟ قال : بلى وما كانت بى إلى رميه حاجة إلا أن تعلمَ أن إحرامى لا يمنعنى من ضربك .

قال وكان الأعمش يقول : مِنْ تمـام الحج ضربُ الجمّال .

المدائنىّ قال : كان نُعيمانُ رجلا من الأنصار وشهد بدرا وجلده النبىّ عليه السلام فى الخمر أربعَ مرات، فمرّ نعيمانُ بمَخْرَمة بن نَوْفل وقد كُفَّ بصرهُ فقال : ألا رجل يقودنى حتى أبولَ، فأخذ بيده نعيمان، فلما [بلغ](1) مؤخرَ المسجد قال : هاهنا فبُلْ ، فبال فَصِيحَ به، فقال : مَنْ قادنى ؟ قيل : نعيمان، قال : لله علىّ أن أضربه بعصاى هذه، فبلغ نُعيمانَ فأتاه فقال له : هل لك فى نعيمانَ ؟ فقال : نعم، فقال : قم، فقام معه فأتى به عثمانَ بن عفانَ وهو يصلى، فقال : دونك الرجلَ، فجمع يديه فى العصا ثم ضربه، فقال الناس : أمير المؤمنين، فقال : مَنْ قادنى؟ قالوا : نعيمان ، قال : لا أعود إلى نعيمان أبدا .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال : قلت لخارجة بن زيد : هل كان الغناء يكون فى العُرُسات؟ قال : قد كان ذاك، ولا يُحضَر بمـا يُحضَر اليوم

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية وهى لازمة .

من السفه، دعانا أخوالنا بنو نُبيط فى مدعاةٍ لهم فشهد المدعاةَ حسانُ بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغنّيان:

أنظر خليلى بباب جِلّقَ هل * تُؤنِسُ دون البَلْقاء من أحد

فبكى حسان وقد كُفّ بصرُه، وجعل عبد الرحمن يُومئ إليهما أن زِيدا، فلا أدرى ما ذا يُعجبه مِن أن تُبكيا أباه، ثم جىء بالطعام، فقال حسان: أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدين؟ فقالوا: طعامُ يد، يريدون الثريدَ فأكل، ثم أُتِى بطعام آخر فقال: أطعامُ يد أم طعام يدين؟ قالوا: طعامُ يدين، يعنون الشِّواء فكفّ.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: كان طُوَيسٌ يتغنّى فى عُرس، فدخل النعمان ابن بَشير العرسَ وطويسٌ يقول:

أَجَدّ بعَمرةَ غُنيانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها[1]

وعمرة أم النعمان، فقيل له: اسكت اسكت، فقال النعمان: إنه لم يقل بأسا وإنما قال:

وعَمْرةُ مِنْ سَرَوَاتِ النّسا * ءِ تَنفَحُ بالمسك أردانُها

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا الحجاج بن نُصير قال حدّثنا شُعبة عن قتادة عن أبى العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس:

وهُنّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسَا * إنْ تَصدُقِ الطيرُ نَنِلْ لَمِيسَا[2]

فقالوا: تقول الرفثَ وأنتِ محرم يابن عباس! فقال: إنما الرفثُ عند النساء.

قال جابر الجُعْفىّ: رأيت الشعبىّ خارجا من الكوفة فقلت له: أين؟ قال: أنظرُ إلى الفيل.

(١) كذا بالأصول ولسان العرب. وفى نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١: أم شأنها شاننا، وهو أوجه.

(٢) كذا فى الأصل ننل باللام. ورُوى فى شرح القاموس للمرتضى والعقد الفريد بالكاف بدل اللام.

حدّثني أبو الخطاب قال حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة قال حدّثنا شَريك عن جابر الجعفيّ عن عِكْرِمة قال : ختن ابن عباس بنيــه فأرسلني فدعوتُ اللعّابين فلعبوا فأعطاهم أربعمائة[1] درهم .

حدّثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : وَلِيَ الأوقصُ المخزوميُّ قضاءَ مكة فما رُئِيَ مثـلُه في العَفاف والنُّبل ، فبينا هو نائم ذاتَ ليلة في جَناحٍ له مرّ به سكران يتغنّى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربتَ حراما ، وأيقظتَ نُوّاما ، وغنّيتَ خطأً ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقصُ قالت لي أمي : يا بُنيّ إنك خُلقتَ خِلقةً لا تصلُح معها لمجامعة الفِتْيانِ في بيوت القِيان ، إنك لا تكون مع أحد إلا تخطّتْك إليه العيونُ ، فعليك بالدِّين فإنه يرفع الخسيسةَ ويُتِمّ النقيصةَ ، فنفعني الله بكلامها فبلغتُ القضاءَ .

قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غنّتْكَ فلانةُ جاريتي صوتَ كذا ما أدركتَ دُكّانكَ .

حدّثني شيخ لنا عن سلمِ بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مرّ بي عمرُ ، وأنا وعاصمُ بن عمرَ نتغنّى غناء النَّصْبِ[2] ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مَثَلُكُما مَثَلُ حِمارَي العِبَاديّ ، قيل له : أيّ حمارَيك أشرّ[3] ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدّثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جُريج قال : سألتُ عطاء عن القراءة على ألحان الغِناء والحُداء فقال : وما بأس ، لقد حدّثني عبيد بن عمير الليثيّ قال : كانت لداود نبيّ الله مِعْزَفةٌ يَضربُ بهـا إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجنّ والطير فبكى وأبكى مَنْ حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزاميرُ داود ، كأنه أغاني داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمـانية وفي النسخة الفتوغرافيـــة "أربعة درهم" ولا ندري أسقط من الناسخ كلمة مائة أم ألف الجمع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب .
(٣) كذا بالأصل ، وفي مجمع الأمثال «شرّ» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال:

وإذا المِعْدةُ جاشت * فارْمِها بالمَنجنيق

بثلاثٍ من نبيذٍ * ليس بالحُلو الرقيق

النُّوشَجانيّ قال حدّثني محمد بن سابق قال حدّثنا مالك بن مِغْوَل عن أبي حَصين قال : شرِبَ الأسودُ فقال : لو سقيتموني آخرَ لغنّيتُ .

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أسامة عن المجالد[1] عن الشعبيّ عن عمه قال : صحبتُ ابنَ مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يَصم يوما واحدا، [فـ][2]أهمني ذلك وسألتُ عنه، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن مهديّ بن ميمون قال : كان أبو صادق لا يتطوع من السّنة بصوم يوم، ولا يصلي ركعةً سوى الفريضة قبلها ولا بعدها، وكان به من الورع شيء عجيب .

حدّثني الزِّياديّ قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من الفقهاء وهو يلعب بالشِّطْرَنْج .

وحدّثني الزِّياديّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن سيرين عن اللَّعِب بالشِّطْرَنْج فقال : لا بأس به هو رِفقٌ .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال ، قال أبي : تَرَون أن الشِّطْرَنْج وُضِعت[3] على أمر عظيم؟ .

---

(١) كذا في الأصل بالتعريف والمعروف في كتب التراجم: «مجالد» بدون أل، ودخول أل في مثل المنقول عن اسم الفاعل لمح الصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لم نقف في كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنيثه ولعل تأنيثه هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدّثنا الأصمعىّ عن آبن أبى زائدة عن إسماعيل بن أبى خالد قال: كان قيس ابن أبى حازم فى مَدْعَاةٍ فقال لصاحب المنزل : طَيِّرْ .

حدّثنى شَبابة قال حدّثنى القاسم بن الحَكَم العُرَنى قال: حدّثنى سُلَيمٌ مولى الشعبىّ أن الشعبىّ كان إذا اختضَب فغَرِض[1] لاعب آبنته بالنَّرْد حتى يَعْلَقَ الخضابُ .

حدّثنا إسحاق بن رَاهْوَيْه[2] قال أخبرنا النَّضْرُ بن شُمَيلٍ قال حدّثنا شُعْبة عن عبد ربه قال: سمعتُ سعيدَ بن المسيب وسُئل عن اللعِب بالنَّرد فقال: إذا لم يكن قِماراً فلا بأس .

حدّثنا إسحاق بن راهويه[2] قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْـدين بن كُرَيب قال : رأيت عِكرِمةَ أُقيم قائمًا على اللعب بالنّرد . قال إسحاق : إن كان لَعِبُه على غير معنى القِمار يريد به التعليمَ والمكايدةَ فهو مكروه، ولا يبلغُ ذلك إسقاطَ شهادته .

وروى عبـد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرنى أبى قال : رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبى بأربعةَ عشرَ على ظهر المسجد .

حدّثنى محمد بن عبيـد قال حدّثنى علىّ بن عاصم عن أبى إسحاق الشَّـيْبانى عن خَوّات التيمىّ عن الحارث بن سُوَيد قال : أتى عبدَ الله بنَ مسعود رجلٌ فقال : يا أبا عبـد الرحمن إن لى جارا يُرْبِى وما يتورّع من شىء أصابه ، وإنى أُعسِرُ فأستسلفُه ، ويدعونى فأجيبه، فقال : كُلْ فلك مَهنَؤُه وعليه وِزرُه .

كان أبو فَضَالة أَسَنَّ وشَقّت عليه الصلاةُ، فكان يقول: مُشْقِيةٌ مُنصِبَة، مُقِيمَةٌ مُقْعِدة، لا تزال بصاحبها حتى يضعَ أَكرَمَه ويرفعَ أَخَسَّه .

---

(١) غرض : أصابه الملال .

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه فى ابن خلكان ثم قال : وقيل له أيضا رَاهُوَيَه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء .

قال عبد الله بن القَعْقاع الأسدىّ :

أتانا بهـا صـفراءَ يزعم أنهـا * زَبيبٌ، فصدّقناه وهو كذوبُ
فهل هى إلا ليلةٌ غابَ نحسُها * أُصلّى لربّى بعـدها وأتوبُ

وقال آخر :

مَنْ ذا يُحرِّمُ ماءَ المزن خالطه * فى جوف آنيـةٍ ماءُ العناقيدِ
إنى لأكره تشديدَ الرُّواة لنا * فيها ويُعجِبُنى قولُ ابنِ مسعود

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخيَّرُ الشعر فى الشراب يقع فى كتابى المؤلف فى الأشربة، ولذلك تركت ذكرها .

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديق له فى فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْـدَةَ الإسلام فى قلوبنا صحيحةٌ، وأَواخِيَه ثابتةٌ ، ولقد اجتهد قومٌ أن يُدْخِلوا قلوبَنا من مرض قلوبهـم، وأن يَلْبِسُوا يقينَنا بشكّهم، فمنعتْنا عصمةُ الله منهم، وحالَ توفيقُه دونهم ، ولنا بعدُ مذهبٌ فى الدُّعابة جميلٌ ، لا يَشُوبه أذًى ولا قذًى ، يُخرِج إلى الأنس من العُبُوس، وإلى الاسترسال من القُطُوب، ويُلحِقُنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لِبْسَةِ الرياء والتصنّع .

التوسّط فى الأشياء، وما يُكره من التقصير فيها والغلوّ

باب التوسط فى الدّين

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبـد العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ قال حدّثنى محمد بن طَحْلاء عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ، قال النبىّ صلى الله عليـه وسلم : "اِكْلَفُوا من العمل ما تُطيقونَ فإنّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإنّ أفضلَ العمل أدومُه وإن قَلَّ" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعىّ قال حدّثنا محمد بن على بن مُقَدَّم عن مَعْنٍ الغِفَارىّ عن المَقْبُرىّ عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا الدِّينَ يُسرٌ ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه، فَسَدِّدُوا وقَارِبوا وأَبْشِرُوا".

حدّثنى القُومَسِىُّ عن أحمد بن يونس عن زُهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الحسنُ والسَّمْتُ الصالحُ والاقتصادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوّة".

حدّثنى محمد بن عُبيدٍ عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن خالد الحذّاء عن أبى قِلَابة عن مسلم بن يَسَار أنّ رُفقةً من الأشعريين كانوا فى سفر، فلما قدموا قالوا: يا رسولَ الله ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضلَ من فلانٍ، يصومُ النهارَ، فإذا نزلنا قام يُصلّى حتى نرتحلَ، قال: "مَنْ كان يَمْهَنُ له أو يَكْفيه أو يَعمَلُ له"؟ قالوا: نحن، قال: "كُلُّكم أفضلُ منه".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علىّ عليه السلام قال: خِيارُكم كلُّ مُفَتَّنٍ تَوّابٍ. وقال علىّ أيضا: خيرُ هذه الأمة النَّمَطُ الأوسطُ، يَرجِعُ إليهم الغالِى ويَلحَقُ بهم التالى (1).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرّة قال، قال حذيفةُ: خيارُكم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم. وكان يقال: دِينُ الله

(1) كذا فى اللسان والعقد الفريد وفى الأصل «البالى» وهو تحريف، ورواه فى نهج البلاغة «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالى وإليها يرجع الغالى» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد إليهم فى أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها فكان الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوز اهـ.

بين المقصِّر والغالى . وقال المطرّف[1] لابنه : يابُنَىَّ، الحسنةُ بين السيئتين، يعنى بين الإفراط والتقصير، وخيرُ الأمور أوساطُها، وشرُّ السَّيرِ الحَقْحقةُ[2]

وفى بعض الحديث المرفوع : "ليس خيرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرةَ للدنيا ولكن خيرُكم مَن أخذَ مِنْ هذه وهذه" . وقال : "إنّ الله بعثنى بالحَنيفيَّة السهلة، ولم يبعثنى بالرَّهْبانية المبتَدَعة، سُنَّتِى[3] الصلاةُ والنوم، والإفطارُ والصوم، فمن رَغِبَ عن سنتى فليس منّى" . وفى الحديث : "إنّ هذا الدّينَ متينٌ فأوغِلْ فيه برِفقٍ، فإن المنبتَّ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقَى" .

وكان يقال : طالبُ العلمِ وعاملُ البرّ كآكلِ الطعام إن أخذ منه قوتا عَصَمه، وإن أسرف فى الأخذ منه بشمه[4]، وربما كانت فيه مَنِيَّتُه، وكآخذ الأدوية التى قَصْدُها شفاءٌ، ومجاوزةُ القدر فيها السمُّ المميتُ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال : حدّثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبى حَفْصة أنّ ابن أبى نُعْمٍ كان يُهِلّ من السنة إلى السنة ويقول فى تلبيته : لبيك، لو كان رياء لاضمحلّ .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدركَ أصحابُنا محمّدَ بن أبى نُعْمٍ لرجَموه، كان يُواصِل كذا وكذا يومًا ويُهِلّ بالحج إذا رجع الناسُ من الحج .

وقال سلمانُ : القصدَ والدوامَ وأنت السّابقُ الجواد . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مَريم لقِيَ رجلا فقال : ما تَصنع ؟ قال : أتعبَّدُ . قال : مَنْ يعود عليك؟ قال : أخى، قال : أخوك أَعبدُ منك .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرّف» بدون أل . (٢) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فنّى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان، يقال : بَشِمَ الرجلُ وأبشمه الطعامُ .

رَوْحُ بن عُبادةَ عن ٱلحجاج بن ٱلأسود قال : مَنْ يَدُلّنى على رجل بَكّاءٍ بالليل بَسّامٍ بالنهار ؟

وروى أبو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحاق بن سُويد قال ، قال مُطرِّفٌ : انظروا قوما إذا ذُكِروا ذُكِروا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وٱنظروا قوما إذا ذُكِروا ذُكِروا بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب ٱلتوسّط فى ٱلمداراة وٱلحلم

قرأت فى كتاب للهند : بعضُ ٱلمقاربة حزمٌ ، وكلُّ ٱلمقاربة عجزٌ ، كالخشبة ٱلمنصوبة فى ٱلشمس تُمالُ فيزيدُ ظلُّها ، ويُفرَطُ فى ٱلإمالة فينقُصُ ٱلظلُّ . ومن أمثال العرب فى هذا : «لا تكن حُلْوًا فتُسْتَرَطَ[(١)] ولا مُرًّا فتُلْفَظَ» وأبو زيد يقول : ولا مُرا فتُعقِيَ ، يقال : أعقَ ٱلشيءُ إذا ٱشتدّتْ مرارتُه[(٢)] . وقال الشاعر :

* وإنّى لصعبُ ٱلرأس غيرُ جَمُوحِ *

وقال آخر فى صفة قوس :

* فى كفّه مُعطِيةٌ مَنُوعُ *

وقال آخر :

* شِرْيانةٌ تمنعُ بعد اللّينِ *

وقال أبرويز لٱبنه : ٱجعل لٱقتصادك السلطانَ على إفراطك ، فإنك إذا قدّرتَ ٱلأمورَ على ذلك وزنتَها بميزان ٱلحكمة وقوّمتها تقويمَ ٱلثّقاف ، ولم تجعل للندامة سلطانا على الحلم .

---

(١) سرطه واسترطه : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف فى قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعق الشىءَ إذا لفظه من فيه لمرارته ، وبهذا يصح أن يكون الفعل مبنيا للمجهول ، وقد روى المثل بالوجهين كما فى اللسان .

وقال ٱلنابغة الجعدىّ:

ولا خيرَ فى حِلمٍ اذا لم تكن له * بوادرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

وقال آخر:

ولاخيرَ فى عِرْض ٱمرِئٍ لا يصونه * ولا خيرَ فى حِلم ٱمرِئٍ ذَلَّ جانبُـه

وقال أكثم بن صيفىّ: الانقباضُ من ٱلناس مَكْسَبَةٌ للعداوة، وإفراطُ ٱلأنس مَكْسَبَةٌ لقُرَنَاءِ ٱلسُّوءِ.

باب ٱلتوسّط فى ٱلعقل وٱلرأى

رُوِى فى ٱلحديث أن زياد بن أبى سفيان كان كاتبا لأبى موسى ٱلأشعرىّ فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد: أعن عجزٍ عزلتَنى يا أميرَ المؤمنين أم عن خيانة؟ فقال: لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكنّى كرِهتُ أن أحمِلَ على ٱلعامّة فضلَ عقلِكَ. ويقال: إفراطُ ٱلعقل مُضِرٌّ بالجَدِّ. ومن ٱلأمثال ٱلمبتذَلة: استأذنَ ٱلعقلُ على الجَدِّ فقال: اذهب لا حاجة بى إليك. وقال ٱلشاعر:

فَعِشْ فى جَدٍّ أَنْوَكَ حالفتْه * مقاديرٌ يُساعِدُها ٱلصوابُ

وقال آخر:

إنّ ٱلمقاديرَ إذا ساعدَتْ * أَلْحَقَتِ ٱلعاجزَ بالحازمِ

وقال آخر:

أرى زمنا نَوْكاهُ أسعدُ أهلِه * ولكنّه يَشْقَى به كلُّ عاقلِ

وقال الحسن: تشبّه زيادٌ بعمرَ وأفرط، وتشبّه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناسَ. وقالت الحكماء: فضــلُ ٱلأدب فى غيرِ دِينٍ مَهْلَكَةٌ، وفضلُ ٱلرأى إذا لم يُستعمَلْ فى رِضوان الله ومنفعةِ ٱلنـاس قائدٌ إلى الذنوب، وٱلحفظُ ٱلزاكى الواعى لغير العلم النافع مُضِرٌّ بالعمل ٱلصالح، والعقلُ غيرُ ٱلمورِّع عن الذنوب خازنُ الشيطان.

تنازع ٱثنان : أحدهما سلطانىّ والآخر سُوقِىّ ، فضربه السلطانىّ فصاح : واعُمَرَاه ! ورُفِعَ خبرُه إلى المأمون فأمر بإدخاله عليه ، قال : مِنْ أين أنت ؟ قال : من أهل فَامِيَةَ ، قال : إن عمرَ بن ٱلخطاب كان يقول : مَن كان جاره نَبَطياً وٱحتاج إلى ثمنه فَلْيبِعْه ، فإن كنتَ تطلبُ سِيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بألف درهم .

باب ذمّ فضل الأدب وٱلقول

قيل لبعض ٱلحكماء : متى يكون ٱلأدبُ شرًّا مِن عدمه ؟ قال : إذا كَبُرَ الأدبُ ونقصَ ٱلعقلُ . وكانوا يكرهون أن يَزيد مَنطِقُ الرجل على عقــله . ويقال : من لم يكن عقــلُه أغلبَ خصال ٱلخير عليــه كان حَتْفُه فى أغلب خصال ٱلخير عليه .

وقال الشاعر :

رأيتُ ٱللســانَ على أهــله ⁂ إذا ساسه ٱلجهلُ لَيْثاً مُغيرَا

وقال سليمان بن عبد ٱلملك : زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعةٌ ، وزيادةُ عقلٍ على مَنْطِقٍ هُجْنةٌ ، وأحسنُ مِن ذاكَ ما زَيَّنَ بعضُه بعضا .

قال ضِرار بن عمرو لابنته حين زوّجها : أمسكى عليك ٱلفَضْلَين : فضلَ الغُلْمَةِ وفضلَ الكلام .

وقال عمر بن ٱلخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ ٱمرَأً أمسكَ فضلَ ٱلقول وقدّمَ فضلَ العـــمل .

نزل ٱلمنذرُ بن ٱلمنذر فى كَتِيبةٍ موضعًا ، فقال له رجل : أبيتَ ٱللّعنَ إن ذُبِحَ رجلٌ هاهنا ، إلى أىّ موضع يبلغُ دمُه مِن هذه الرابيةِ؟ فقال ٱلمنذر : ٱلمذبوحُ واللهِ أنتَ ، ولأنظرنّ أينَ يبلغُ دمُكَ ، فقال رجل ممن حضر[١]: «رُبَّ كَلمةٍ تَقولُ [لصاحبها][٢] دَعْنِي» .

(١) الذى فى مجمع الأمثال للميدانى : أن القائل هو المنذر نفسه .

(٢) الزيادة عن مجمع الأمثال للميدانى .

قال زياد على المنبر : إن الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمة لا يَقطعُ بها ذَنَبَ عنْزٍ مَصُورٍ ولو بلغتْ إمامَه سَفكتْ دمَه . وقال أكثم بن صيفيّ : مَقْتَلُ ٱلرجلِ بين فكّيه . وقال ٱلأحنف : حَتْفُ ٱلرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه .

باب ٱلتوسّط فى ٱلجِدَة

كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهمّ إنى أعوذ بك من غِنًى مُبْطِرٍ ومن فَقرٍ مُلِبٍّ أو مُرِبٍّ"[1]، وكذلك "اللهمّ لا غِنًى يُطْغِى ولا فقرًا يُنْسِى" .

وقال أبو ٱلمعتمر ٱلسُّلمىّ : ٱلناسُ ثلاثةُ أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراءُ موتَى إلا مَنْ أغناه الله بعزّ ٱلقناعة ، والأغنياءُ سُكَارَى إلا مَنْ عصمه اللهُ بتوقّعِ ٱلغِيَر ، وأكثرُ ٱلخير مع أكثر الأوساط وأكثرُ الشرّ مع ٱلفقراء وٱلأغنياء لِسَخْفِ ٱلفقر وبَطَر ٱلغنى . ومن أمثال ٱلعرب فى هذا : «بينَ المُمِخَّةِ والعَجْفَاء» .

باب ٱلاقتصاد فى ٱلإنفاق وٱلإعطاء

قال ٱلله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَيْنِ بن عبد العزيز عن إبراهيم ابن مسلم عن أبى الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدّثنى أيضا عن مسلم قال حدّثنا أبو قُدَامَةَ ٱلحارثُ بن عبيد قال حدّثنا بُرْدُ بن سِنَان عن ٱلزُّهرى قال ، قال أبو الدَّرداء : حُسْنُ ٱلتقدير فى ٱلمعيشة أفضلُ من نصف ٱلكسب ، ولَقَطَ حَبًّا منثورا وقال : إن فقهَ ٱلرجل رفقُهُ فى معيشته .

---

(١) من ألبّ بالمكان وأربّ به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا ٱللّهَ فإنه أجودُ وأمجدُ، وإنه لو شاء أن يُوَسِّعَ على الناس كلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفَعَلَ، فلا تُجهِدُوا أنفسَكم فى ٱلتوسعة فتَهْلِكُوا هُزْلًا.

قيل لمحمد بن عمران قاضى ٱلمدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله —: إنك تُنْسَبُ إلى البخل، فقال: والله إنى لا أَجْمُدُ فى ٱلحق ولا أذوبُ فى ٱلباطل. وكان يقال: لا تَصُنْ كثيرًا عن حقٍّ ولا تُنفِقْ قليلا فى باطل. ومن أمثال العرب فى ذلك: «لا وَكْسَ ولا شَطَطَ» و«إذا جَدَّ السؤالُ جَدَّ ٱلمنعُ». وقال ٱلشاعر:

إلَّا أكُنْ كلَّ ٱلجـوَاد فإنّنى * على ٱلزاد فى ٱلظَّلماء غيرُ لئيمِ
وإلَّا أكن كلَّ ٱلشجاع فإننى * أَرُدُّ سِنان ٱلرمح غيرَ سَليمِ
وقد علِمَتْ عُلْيَا هوازنَ أننى * فتاها وسُفلَى عامرٍ وتميمِ

قال معاوية: ما رأيتُ سرفا قطّ إلا وإلى جانبه حقّ مُضَيَّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدّثنى ٱلرِّياشيّ قال حدّثنا ٱلأصمعيّ قال حدثنا ابن عمران قاضى ٱلمدينة أن طلحة كان يقال له: [طلحة][1] ٱلخير، وطلحة ٱلفيّاض، وطلحة ٱلطَّلَحات وأنه فدى عشرة من أُسَارى بدر وجاء يمشى بينهم، وأنه سُئل برَحِمٍ فقال: ما سُئلتُ بهذه ٱلرحِم قبل ٱليوم، وقد بعتُ حائطا لى بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخِيار، فإن شئتَ ٱرتجعتُه وأعطيتُكه، وإن شئتَ أعطيتُك ثمنَه.

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال أخبرنى شيخ من مَشْيَخَتِنا، — وربما قال: هارون ٱلأعور — أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلنى أبى إلى ضِرَار بن ٱلقَعْقَاع بن مَعْبد ٱبن زُرَارة فقال: قل له قد كان فى قومك دماء وجِراح، وقد أحبّوا أن تحضُرَ ٱلمسجدَ فيمن يحضُر، قال: فأتيته فأبلغتُه فقال ياجارية: غَدِّينى، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة فى النسخة الألمانية.

خُشنٍ فثردتهنّ فى مَرِيس[1] ثم برقَتهن[2] فأكل، قال قتيبة : فجعل شأنُه يصغُر فى عينى ونفسى، ثم مسح يده وقال : الحمدُ لله، حِنطةُ ٱلأهواز وتمرُ الفرات وزيتُ الشأم، ثم أخذ نعليه وٱرتدى، ثم ٱنطلق معى وأتى ٱلمسجدَ ٱلجامع فصلى ركعتين ثم ٱحتبى، فما رأته حَلْقَــة إلا تقوّضت إليه، فاجتمع ٱلطالبون وٱلمطلوبون فأكثروا ٱلكلام، فقال : إلى ماذا صار أمرُهم؟ قالوا : إلى كذا وكذا من إبل، قال : هى علىّ، ثم قام.

الهيثم عن ٱبن عباس قال : كان معديكرِب بن أَبْرَهة جالسا مع عبد ٱلعزيز بن مروان على سريره فَأُتِى بفتيانٍ قد شربوا ٱلخمرَ، فقال : يا أعداء الله، أتشربون الخمرَ! فقال معديكرب : أنشُدُكَ ٱلله أن تَفضَح[3] هؤلاء، فقال : إنّ ٱلحق فى هؤلاء وفى غيرهم واحد، فقال معديكرب : يا غلام صُبَّ من شرابهــم فى ٱلقدح، فصبّ له فشربه وقال : والله ما شرابُنا فى منازلنا إلا هذا، فقال عبد ٱلعزيز : خَلّوا عنهم، فقيل له حين ٱنصرفوا : شَرِبتَ الخمرَ! فقال : أما والله إن الله ليعلم أنّى لم أشربْها قطّ فى سرٍّ ولا علانية، ولكنّى كرِهتُ أن يُفضَحَ مثل هؤلاء بمحضرى[4].

وحدّثنى شيخ لنا قال : مدح شاعرٌ ٱلحسنَ بن سهل، فقال له : احتكِمْ، وظنّ أن همّتــه قصيرةٌ، فقال : ألف ناقة، فوَجَمَ ٱلحسنُ ولم يمكنْه، وكره أن يفتضِحَ وقال : يا هذا إنّ بلادنا ليست بلادَ إبل، ولكن ما قال ٱمرؤ القيس:

إذا ما لم يكن إبلٌ فمِعزَى * كأنّ قرونَ جِلّتِهَا العِصِىُّ[5]

قد أمرتُ لك بألف شاة، فألْقَ يحيى بن خاقان، فأعطاه بكلّ شاة دينارا.

(١) فى هامش النسخة الفتوغرافية : «المريس تمروزيت» ، وفى القاموس أنه التمر المروس أو اللبن.

(٢) برق الطعام بزيت أو سمن : جعل فيه منه قليلا . قاموس .

(٣) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ، وظاهر الكلام يتوقف على "لا" النافية .

(٤) فى الأصل بمصرى وهو تحريف . (٥) فى الأصل : عصىّ . والتصحيح عن الديوان والأغانى .

قال : وقدم زائر على أبى دُلَف فأمر له بألف دينار وكُسوَةٍ ثم قال – و يقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر –

أعْجلْتَنا فأتاك عاجِـلُ بِرّنا * قُـلًّا ولو أمهلْتنا لم يَقْلِـلِ
فَخذِ القليلَ وكن كأنك لم تَقُلْ * شيئا، ونحن كأننـا لم نفعَلِ

وقال بعض الشعراء :

ليس جودُ الفِتيان من فضل مالٍ * إنمـا الجـودُ للمُقِـلِّ المُوَاسِى

وقال دِعْبِل فى نحوه :

لئن كنتَ لا تُولِى يدًا دون إمْرة * فلستَ بمُـولٍ نائـلًا آخرَ الدّهرِ
فأىُّ إناءٍ لم يَفِضْ عنـد مَلئِه! * وأىُّ بخيـلٍ لم يُنِلْ ساعةَ الوَفْر!
وليس الفتى المعطِى على اليسر وحدَه * ولكنه المعطِى على العسر واليسر

ابن الكلبىّ قال : أخبرنى غيرُ واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة، فدُعِىَ القاسم ليَقْسم، فلما مدّ الحبل قال له عبد الله : أقِمِ المِطْمَرَ، يعنى الحبل الذى يمدّ. فقال له عبيد الله : يا أخى، الدارُ دارك لا يُمَدُّ والله فيها اليوم مِطْمَرٌ. وكان يقال : مَنْ أراد العلمَ والسخاءَ والجمـالَ فليأتِ دار العباس ، كان عبدُ اللهِ أعلمَ الناسِ، وعبيدُ اللهِ أسخَى الناسِ، والفضـلُ أجملَ الناسِ .

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضا بثمـانين ألفا، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المـال ذُخْرًا! فقال : أنا أجعلُ هـذا المـالَ ذخرا لى عند الله ، وأجعلُ اللهَ ذخرا لولدى، وقَسَمَ المـالَ .

ويقال : إنّ أوّلَ ما عُرِفَ به سُؤْدُدُ خالد بن عبد الله القَسرى أنه مرّ فى بعض طرق دِمشقَ وهو غلام فأوطأ فرسَه صبيًّا فوقف عليه، فلما رآه لا يتحرّك أمرَ غلامَه

لحمله، ثم انتهى به إلى أوّل مجلس مرّ به فقال: إنْ حَدَثَ بهذا الغلامِ حَدَثُ الموتِ فأنا صاحبُه، أوطأتُه فَرسى ولم أعلم.

قال عدِىُّ بن حاتم لابنٍ له حَدَثٍ: قُمْ بالباب فامنع مَنْ لا تعرِفُ وأْذَنْ لمن تَعرف، فقال: لا والله، لا يكونُ أوّلُ شيءٍ وَلِيتُه من أمرِ الدنيا مَنْعَ قومٍ من الطعام.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: ضاف بَنِى زِيادٍ العبسيّينَ ضيفٌ، فلم يَشعُرُوا إلا وقد احتضن أُمَّهُم من خلفها، فَرُفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال: لا يُضَارَ الليلةَ عائذُ أمّى، إنه عاذَ بحَقْوَيْها.

المدائنىّ قال: أحدثَ رجلٌ فى الصلاة خلفَ عمرَ بن الخطاب، فلما سَلَّمَ عمرُ قال: أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى، فلم يَقُم أحدٌ، فقال جرير ابن عبد الله: يا أميرَ المؤمنين اعزم على نفسك وعلينا أن نتوضأَ ثم نُعيدَ الصلاةَ، فأمّا نحن فتصيرُ لنا نافلةً، وأما صاحبُنا فيَقْضِى صلاتَه، فقال عمرُ: رحمك الله، إنْ كنتَ لشريفا فى الجاهلية فقيها فى الإسلام.

كان عبدُ الله بنُ جُدْعانَ التيمىّ حين كَبِرَ أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يُعْطِىَ شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال: ادنُ مِنّى، فإذا دنا منه لطَمه ثم قال: اذهب فاطلبْ بلَطْمتك أو تُرضَى، فتُرضِيه بنو تيم من ماله. وفيه يقول ابنُ قيس الرُّقيّات — حين فخر بسادة قريش —

والذى إن أشار نحوَك لَطْماً ﴿ تبِعَ اللَّطْمَ نائلٌ وعطاءُ

وابن جُدْعانَ هو القائل:

إنّى وإن لم يَنَلْ مالى مَدَى خُلُقِى ﴿ وهَّابُ ما ملكتْ كفّى من المال

لا أحبِسُ المالَ إلّا رَيْثَ أُتلِفُه ﴿ ولا تُغيِّرُنى حالٌ عن الحال

الهيثم عن حمّاد ٱلراوية عن مشايخ طيئ قالوا : كانت عنبةُ[1] بنتُ عفيفٍ أمُّ حاتم لا تُلِيقُ[2] شيئا سخاءً وجودا، فمنعها إخوتُهـا من ذلك فأبتْ، وكانت مُوسِرةً فحبسوها فى بيتٍ سنةً يُطعِمُونها قُوتَها رَجاءَ أن تَكُفَّ، ثم أخرجوها بعد سنةٍ وظنّوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صِرْمةً[3]، فأتتها ٱمرأة من هَوَازنَ فسألتْها فأعطتها الصِّرمَةَ وقالت : وٱلله لقد مسّنى من الجوع ما آليتُ معه ألّا أمنعَ سائلا شيئا، وقالت:

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضّنِى ٱلجوعُ عَضّةً * فآليتُ ألَّا أمنـعَ الدّهرَ جائعـا
فقولا لهـذا ٱللّائمى ٱلآن أَعْفِنى * فإن أنْتَ لم تفعل فَعَضَّ الأصابعا
[فمـاذا عساكم أن تقولوا لأختكم[4] * سوى عذلكم أو عذلِ مَنْ كان مانعا]
ولا ما تَرَوْنَ الدّهرَ إلا طبيعةً[5] * فكيف بتركى يا ٱبن أُمَّ الطبائعا

ٱبن الكلبىّ عن أبيه عن رجالات طيئ قالوا: كان حاتم جوادا شاعرا، وكان حيثما نَزَلَ عُرِفَ منزلُه، وكان ظَفِراً إذا قاتل غَلَبَ، وإذا غَنِمَ أَنْهَبَ، وإذا سُئِلَ وَهَبَ، وإذا ضَرَبَ بالقِدَاحِ سَبَقَ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ، وكان أقسمَ بالله: لا يقتُل واحدَ أُمِّه .

---

(١) كذا بالنسختين بعين مهملة ونون وباء موحدة بعدها . ويوافقه مافى الشعر والشعراء للؤلف وعلق عليه ناشره بأنه يُروى «عتبة» و«غنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و١٢٤ ، وفى الأغانى طبع بولاق ج ١٦ ص ٩٧ «عنبة» . وكذا فى شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه فى رواية الميدانى «غنية» . أنظر نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تُليق : لا تُمسك .

(٣) القطعة من الإبل واختلف فى عددها من العشرة إلى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغانى وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسختين . وفى الأغانى وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ، وفى هامش نسخة الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو اليقظان قال : أخذ عبيدُ الله بن زياد عروةَ بنَ أُذينةَ(١) [أخا](٢) أبى بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره، فقال لأهله : انظروا هؤلاء الموكّلين بى فأحسِنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيدُ بن العاص إذا أتاه سائلٌ فلم يكُ عنده ما سأل قال : اكتب علىّ بمسألتك سِجِلًّا إلى أيام يُسْرِى .

باع أعرابىّ ناقةً له مِنْ مالك بن أسماء، فلما صار الثمن فى يده نظر إليها فذَرَفَتْ عيناه، ثم قال :

وقد تَنزِعُ الحاجاتُ يا أمّ معْمرٍ * كرائمَ مِنْ ربٍّ بِهنّ ضَنينِ

فقال له مالك : خُذ ناقتكَ وقد سوّغتُكَ الثمنَ . اشترى عبيدُ الله بن أبى بَكْرة جاريةً نفيسةً فطُلِبَتْ دابةٌ تُحمَلُ عليها فلم تُوجَدْ ، فجاء رجل بدابّةٍ فحملها ، فقال له عبيدُ الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبى بكرة دارَ الصّفاق من مُقاتِل بن مِسْمَع نَسيئةً ثم اقتضاه فلزمه فى دار أبيه ، فرآه عبيدُ الله فقال : مالَكَ؟ قال : حبسنى ابنُكَ . قال : بِمَ؟ قال : بثمن دار الصّفاق، قال : ياثابتُ أما وجدتَ لغُرَمائكَ مَحْبِسًا إلّا دارى، إدفع إليه صَكّه وأعوّضك . قيل لرجل : مالَكَ تنزل فى الأطراف؟ فقال : منازلُ الأشراف فى الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة و يتناولهم مَنْ يريدهم بالحاجة . لمّا كَبِرَ عَدِىٌّ بن حاتم آذاه بردُ الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وهو محرّف عن "أُدَيَّة" ، وعروة بن أدية هذا هو الذى قتله عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوربا المجلد الثانى من القسم الثانى ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوربا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من الناسخ لأن المكنى بابى بلال إنما هو أخوه مرداس بن أُدَيَّة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا فى ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لَحِيًّا فَنَهَشَتِ الأرضُ فَخِذَيه بجمع قومَه فقال : يابَنِي ثُعَل ، إنى لستُ بخيركم إلا أن تَرَوْا ذلك فقد كان أبى بمكانٍ لم يكن به أحدٌ من قومه ، بَنَى لكم الشرفَ ونَفَى عنكم العارَ فأصبح الطائىّ إذا فعل خيرا قال العرب : مِنْ حَىٍّ لا يُحْمَدُون على الجود ولا يُعذَرُونَ على البخل ، وقد بلغتُ من السنّ ما تَرَوْنَ وآذانى بردُ الأرض فأْذَنُوا لى فى وِطَاءٍ فوالله ما اريده فخرًا عليكم ولا احتقارًا لكم ، وسأخبركم : ما على مَنْ وضَـعَ طِنْفِسةً وقُعِدَ حوله إلا أنّ الحقّ عليه أن يَذِلّ فى عِرضه و يَنخَدِعَ فى ماله ولا يَحسُدَ شريفا ولا يَحقِرَ وضيعًا ، فقال القوم : دعنا اليوم ، ثم غَدَوْا عليه فقالوا : يا أبا طَرِيف ضَع الطِّنْفَسَةَ والبَسِ التاجَ ، فبلغ ابنَ دَارَةَ الشاعرَ فأتاه وقال : قد مدحتُك ، فقال : أَمسكْ عليك حتى أُنبئَكَ بمالى فتمدَحَنى على حَسَـبه ، لى ألفُ ضائنةٍ وألفا درهم وثلاثةُ أعبُدٍ[1] ، وفرسى هذا حبيسٌ فى سبيل الله ، هاتِ الآنَ فقال :

تَحِنُّ قَلُوصِى فى مَعَـدٍّ و إنمـا * تُلاقِى الربيعَ فى ديار بَنِى ثُعَـلْ
وأبقَى اللّيالِى مِنْ عدىّ بن حاتمٍ * حُسامًا كَلَوْنِ المِلح[2] سُلَّ مِنَ الخلَلْ
أبوكَ جـوادٌ ما يُشَـقُّ غُبارُهُ * وأنتَ جوادٌ لستَ تُعذَرُ بالعِلَلْ
فإن تفعلوا شرًّا فمثلُكُمُ اتّقى * وإن تفعَلوا خيرًا فمثلُكُمُ فَعَـلْ

فقال : أَمسكْ عليك ، لا يبلغُ مالى أكثرَ من هذا ، وشاطره مالَه .

جاء رجل إلى مَعْنٍ فاستحمله عَيْرًا فقال معنٌ : ياغلامُ أعطه عَيرًا و بغلا و بِرْذَونًا وفرسا و بعيرًا وجاريةً ، ولو عرفتُ مركوبا غيرَ هـذا لأعطيتُكَه . وكان يقال : حَدِّثْ عن البحر ولا حرجَ وعن بنى إسرائيل ولا حرجَ وعن معنٍ ولا حرجَ . قال رجل من كَلْب للحكم بن عَوَانة وهو على السِّند : إنما أنت عبدٌ ، فقال الحكم : والله لَأُعطينّك عطيّةً

(١) فى العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ زيادة «وثلاث إماء» .
(٢) رواية العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ « كنصل السيف » .

لا يُعطيها العبدُ فأعطاه مائةَ رأس من السَّبْي. وقرأت فى بعض كتب العجم أن جاماتِ كسرى التى كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرَق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى يَنظُر إليه، فلما رُفِعت الموائدُ ٱفتقدَ الطبّاخُ الجامَ فرجع يَطلبها، فقال له كسرى: لا تَتَعَنّ فقد أخذَها مَنْ لا يردّها ورآه مَنْ لا يُفْشِى عليه، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حَلّى سيفَه ومِنْطَقَته ذهبا، فقال له كسرى بالفارسية: يافلان هذا، يعنى السيفَ، مِنْ ذاك قال: نعم وهذا، وأشار إلى مِنطَقَتِه. قالوا: لم يكن لخالد بن بَرْمَك أخٌ ٱلا بنى له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعيشُهُمْ أبدا ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له.

بلغ ٱبنَ المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدينٍ ركبه وكان يجلس فى ظلّ داره، فقال: ما قمتُ إذًا بحرمة ظِلّ داره إن باعها معْدِمًا وبتُّ واجدًا، فحمل إليه ثمنَ الدار وقال: لا تَبِـعْ. قال أبو اليقظان: باع نَهيكُ بن مالك بن معاوية إبلَهُ وٱنطلق بثمنها إلى مِنًى فجعل يُنْهِبُهُ، والناسُ يقولون: مجنونٌ، فقال: لستُ بمجنونٍ ولكنّى سَمْحٌ أُنهبكم مالى إذا عزّ الفتحُ. قال: وأتى عبدَ الله بنَ جعفر قَهْرَمانُه بحسابه فكان فى أوّله حبلٌ بخمسين درهما، فقال عبد الله: لقد غَلَتِ الحبالُ، فقال القَهْرَمانُ: إنه أبرقُ، فقال عبد الله: إن كان أبرقَ فأنا أُجيزُه، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له: يا هذا، إنك قد اخترتنى جارا فجنايةُ يدكَ علىّ دونك، و إن جَنَتْ عليك يدٌ فاحتكِمْ علىّ حُكمَ الصبىّ على أهله. وقال بعض الشعراء — يُثنى على قوم بحسن الجِوَار—

هُمُ خلطونى بالنفـوس ودافعوا * ورائى بركنٍ ذى مَناكبَ مِدْفَعِ
وقالوا تعلَّمْ أن مالكَ إن يُصَبْ * يَعُدْكَ و إن تُحبَسْ يَزِدْكَ ويَشْفَعِ

وروى عبد الله بن بكر السَّهْمى عن حاتم بن أبى صَغيرةَ عن حبيب بن أبى ثابت أن الحارثَ بنَ هشام وعِكْرِمةَ بن أبى جَهْل وعَيّاشَ بن أبى ربيعة خرجوا يوم اليَرْمُوك

حتى ٱنْبَتُّوا، فدعا الحارثُ بنُ هشام بماء ليشرب به، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه إلى عكرمةَ فنظر إليه عيّاشٌ فقال عكرمةُ: ادفعه الى عيّاشٍ، فما وصل إلى عيّاشٍ حتى مات ولا عاد اليهم حتى ماتوا، فسُمِّى هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل السِّيرةِ يذكرون أن عكرمةَ قُتِل يومَ أَجْنَادِينَ وعَيّاشٌ مات بمكة، والحارثُ مات بالشأم فى طاعون عَمْوَاس[1].

أعطى رجلٌ ٱمرأةً[2] سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تَعرِفُكَ وإنما كان يُرضِيها اليسيرُ، فقال: إن كانت تَرضى باليسير فإنّى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تَعرِفُنِى فأنا أَعرِفُ نفسى.

قال بعض الشعراء:

وما خيرُ مالٍ لا يَقِى الذمَّ ربَّهُ * ونفسِ ٱمرئٍ فى حَقّها لا يُهِينُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِى تَتُوقُ الى أمورٍ * ويَقْصُرُ دون مَبلَغِهنَّ حالى[3]

فنفسِى لا تُطاوِعُنى ببخلٍ * ومالى لا يُبَلِّغُنِى[4] فَعَالى

وقال أيضا:

ولا أقولُ نَعَمْ يومًا فَأُتبِعُهَا * مَنعًا ولو ذَهبَتْ بالمالِ والولدِ

ولا ٱؤْتُمِنْتُ على سِرٍّ فَبُحْتُ به * ولا مَدَدتُ إلى غيرِ الجميل يَدِى

وقال كعب بن سعد الغَنَوِىّ:

وذى نَدَبٍ دَامِى الأَظَلِّ[5] قَسمتُهُ * محافظةً بينى وبين زَمِيلِى

(١) هكذا بفتح أوّله وسكون ثانيه كما فى التاج وكما نقل هو عن الروض الأنُف للسهيلى، ثم نقل أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البَكرىّ فى معجمه ضبطها كذلك. (٢) هو عبد الله بن جعفر كما فى العقد الفريد، ج ١ ص ١١٢ (٣) الذى فى ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزى «مالى». (٤) فى الأصول «ليس يبلغه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح التبريزى ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظلّ بطن الأصبع من الانسان، ومن الإبل باطن المنسم.

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تجمُّلًا * لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أَكيلِى
وما أنا للشىء الذى ليس نافِعِى * ويَغضَبُ منه صاحبى بِقَؤُول

وقال زهير:

وأبيض فيّاضٍ يَداه غمامةٌ * على مُعْتَفِيه ما تُغِبُّ نَوافِلُهْ
غَدوتُ عليه غَدوةً فوجدتُه * قُعودًا لديه بالصَّرِيم عَواذِلُهْ
فأعرضْنَ منه عن كريمٍ مُرَزَّإٍ * جَمُوعٍ على الأمر الذى هو فاعِلُهْ
أخِى ثِقَةٍ لا تُذْهِبُ الخمْرُ[1] مالَه * ولكنه قد يُذهِبُ المالَ نائلُهْ
تراه إذا ما جِئْتَه مُتَهَلِّلًا * كأنكَ تُعطِيه الذى أنتَ سائلُهْ

المدائنىّ قال: أضلّ فَيروزُ بنُ حصين سوطَه يوما، فأعطاه رجلٌ سوطا فأمر له بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: مَن أنتَ؟ قال: صاحبُ السوطِ فأمر له بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: مَن أنتَ؟ قال: صاحبُ السوط، قال: أعطوه ألفَ درهم ومائةَ سوطٍ فٱنقطع عنه. قال الشاعر:

إنّى حَمِدْتُ بَنِى شَيْبانَ اذ خَمَدَتْ * نيرانُ قومى فَشَبَّتْ فيهم النارُ
ومِن تَكَرُّمِهِمْ فى المَحْلِ أنّهمُ * لا يَحْسَبُ الجارُ فيهم أنه جارُ

وقال آخر:

نزلتُ على آل المهلّب شَاتِيًا * بعيدًا قَصِىَّ الدار فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بِى إلطافُهُمْ وٱفتقادُهمْ * وإكرامُهُمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أهلى

وقال آخر:

إذا كان لى شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ * فإنّ لِجَارِى منهما ما تَخَيَّرا

(١) فى الأصل «لا يذهب الحمد» وهو تحريف، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة

وقال عمرو بن الأهْتم :

ذَرِينى فانّ الشُّــحَّ [(١)] يا أمَّ هيثَمٍ * لِصالحِ أخــلاقِ الرجالِ سَرُوقُ
ذَرِينِى وحُطِّى [(٢)] فى هَــوايَ فإنّنى * على الحَسَبِ العالى الرَّفيعِ [(٣)] شَفِيقُ
ومُستَمْنِحٍ بعــد الهُدُوءِ دعوتُه * وقد كان مِنْ سَارِى الشتاءِ طُرُوقُ
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبًا * فهــذا مَبِيتٌ صالحٌ وصَــدِيقُ
أضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليه ولم أقُلْ * لِأحْرِمَهُ إنّ الفِناءَ مَضِيقُ
لَعَــمْرُكَ ما ضاقت بلادٌ بأهلها * ولكنّ أخلاقَ الرجالِ تَضِــيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَارى بنى هاشم، وجَفْنةٌ لجاره ومِقْطَرَةٌ [(٤)] لجاهلهم. قال بكر بن النَّطّاح :

ولو خَذَلَتْ أموالُه جودَ كفِّه * لَقَاسَمَ مَنْ يرجوه بعضَ حياته
ولو لم يَجِــد فى العُمْرِ قِسمًا لزائرٍ * لجادَ له بالشَّــطْرِ مِنْ حسناته

وقال الفرزدق :

إنّ المهالبةَ الكرامَ تَحَمَّــلوا * دفعَ المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قديمَهُمُ بحســن حديثهم * وكريمَ أخــلاقٍ بحسن وجوه

كان يقال : الشّرفُ فى السَّرفِ . قال عامر بن الطُّفيل:

إذا نزلَتْ بالناس يومًا مُلِمَّــةٌ * تَسوقُ من الأيام داهــيةً إدًّا

(١) فى الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى، ج ٤ ص ٩٤
(٢) فى الأصل : حظِّى بالظاء المعجمة، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى، ج ٤ ص ٩٤ وتاج العروس فى مادة «حطّ» ويقال كما فى أساس البلاغة : «حطّ فى هواه وانحط فيه» أى اندفع فيه والمراد منه فى البيت مساعدته على الجود .
(٣) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ٩٤ «الزاكى» .
(٤) هى خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يُدْخل فيها أرجلُ المحبوسين .

دَلَفنا لها حتى نُقَـــوِّمَ مَيْـلَهَا * ولم نَـهْـدَ عنها بالأسنّة أو تَهْـدَا
وكم مُظْهِـرٍ بَغْضاءنا وَدَّ أنه * اذا ما التقينا كانَ أَخْفَى الذى أبدَى
مَطَاعيمُ فى اللأْوا مَطَاعِينُ فى الوغى * شمائلُنا تَنْكِى وأيمانُنا تَنْـدَى

وقال حاتم طيئ :

أَكُفُّ يدِى من أن تنالَا أَكُفَّهم (١) * إذا ما مَدَدناها وحاجتُنا معـا
وإنى لَأستَحْيِي رَفِيقِىَ أن يَرَى * مكانَ يدِى مِنْ جانبِ الزادِ أقرعَا

وقال جابر بن حبان (٢) :

فإن يَقْتسِمْ مالى بَنِىَّ ونِسـوتِى (٣) * فلن يَقْسِمُوا خُلْقِى الكريمَ ولا فعلِى
وماوجدَ الأضـيافُ فيما يَنُوبهُمْ * لهم عندعِلّاتِ النفوس (٤) أبًا مِثلِى
أُهِـينُ لهم مالى وأعْـلَمُ أننى * سَأُورِثُه الأحياءَ سِـيرةَ مَنْ قَبلِى

كان سعيد بنُ عمرو مُؤاخِيا ليزيدَ بن المهلب ، فلما حبسَ عمرُ بن عبدالعزيز يزيدَ ومُنِـعَ من الدخول عليه ، أتاه سعيدٌ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لِى على يزيدَ خمسون ألف درهم وقد حُلْتَ بينى و بينه ، فإن رأيت أن تأذن لى فأَقتضِيَه ؟ فأذن له فدخل عليه فَسُرَّ به يَزِيدُ ، وقال : كيف وصلتَ إلىّ ، فأخبره ، فقال يزيد : والله لا تخرج إلا وهى معك فأمتنع سـعيدٌ فحلف يزيدُ ليَقبضَنّها ، فقال عَدِىّ بن الرِّقَاع

(١) كذا فى الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزى ج ٤ ص ١١٨
أكفّ يدى عن أن ينال التماسها * أكفَّ صحابى حين حاجتنا معا

(٢) هكذا فى الأصول «حبّان» بالباء الموحدة . والذى فى ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزى ج ٤ ص ١١٦ «حيّان» بالياء المثناة . (٣) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ، ج ٤ ص ١١٦ «و إخوتى» . (٤) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ١١٧ «عِلّات الزمان» .

لم أر محبوسا من الناس واحدًا * حبَا زائرا فى السجن غيرَ يزيد
سـعيدُ بنَ عمرو إذ أتاه أجازه * بخمسين ألفا عُجِّلَتْ لِسَعيد

وقال بعضُ الشعراء

وإنّى لحَلّالٌ بِىَ الحقُّ، أتّقِى * إذا نزلَ الأضيافُ أن أتجهَّمَا
إذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحومها * حَلبنَا لهم منها بأسيافنا دَمَا

دخل شاعر على المهدىّ فامتدحه، فأمر له بمالٍ فلما قبضه فرّقه على مَنْ حضر وقال

لمستُ بكفّى كفَّه أبتَغِى الغِنى * وما خلْتُ أنّ الجودَ مِنْ كفّه يُعْدِى
فلا أنا منه ما أفادَ ذَوُو الغِنَى * أفدْتُ وأعدانى فبدّدتُ ماعندى

أخبرنى أبو الحسن على بن هارونَ الهاشمىّ قال، أخبرنى وكيع قال حدّثنى أبو العَيْناء قال: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهودىّ وكان ذا مالٍ وقد تأدّبَ وقال الشعرَ وعرفَ شيئا من العلوم وكان له وَلَدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاةُ جمعَ مالَه وفرّقه على أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثا فعُوتِبَ على ذلك فقال.

رأيتُ مالى أبَرَّ من وَلَدِى * فاليومَ لا نِحْلةٌ ولا صَدَقَهْ
مَنْ كان منهم لها فأبعده اللهُ ومَنْ كان صالحا رَزَقَهْ

وحدثنى الأخفشُ بهذا الخبرِ عن المبرّد عن الرِّياشىّ والله أعلم

نجز الجزء الثالث وبه ينتهى المجلد الأوّل ويتلوه فى أوّل المجلد الثانى
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

التراث للجميع



تأليف

أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِىّ

المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثانى

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة — كتاب العلم والبيان — كتاب الزهد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

فهرس

المجلد الثانى من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبـــة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

صحيفة

تشابه الناس فى الطبائع وذمهم ١
رجوع المتخلق الى طبعه ٥
باب الشيء يفرط فينتقل الى غير طبعه ٧
باب الحسد ٨
باب الغيبة والعيوب... ... ... ١٢
باب السعاية ٢٠
باب الكذب والقحة ٢٥
باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر... ... ... ٣٠
باب الحمق ٣٧
طبائع الإنسان ٦٢
ما نقص خلقه من الحيوان ٦٩
المشتركات من الحيوان ٧٠
المتعاديات ٧١
الأمثال المضروبة بالطبائع ٧١
الأنعـام ٧٣
السباع وما شاكلها ٧٨

صحيفة
الذئب ٨٢
الفيـــل ٨٣
الفهـــد ٨٣
الأرنب... ... ... ٨٣
القرد والدب ٨٤
مصايد السباع العادية ٨٤
النعـام... ... ... ٨٥
الطـــير ٨٨
البيض... ... ... ٩٢
الخفـاش ٩٢
الخطـاف والزرزور ٩٣
العقـاب والحدأة ٩٣
الغـراب ٩٤
القطـا ٩٤
باب مصايد الطير ٩٤
الحشرات ٩٥
النبـات ١٠٥
الحجارة ١٠٨
الجن ١٠٩

كتاب العـلم والبيان

العـلم ١١٧
الكتب والحفظ ١٣٠
القرآن ١٣١

	صفحة
الحديث	١٣٤
الأهواء والكلام فى الدين	١٤٠
الرد على الملحدين	١٥٢
الإعراب واللحن	١٥٥
التشادق والغريب	١٦١
وصايا المعلمين	١٦٦
البيان	١٦٨
الاستدلال بالعين والاشارة والنصبة	١٨١
الشعر	١٨٣
حسن التشبيه فى الشعر	١٨٦
الأبيات التى لا مثل لها	١٩١
التلطف فى الكلام والجواب وحسن التعريض	١٩٧
مقطعات ألفاظ تقع فى الكتاب والكلام	٢١٥
ألفاظ تقع فى كتب الأمان	٢٢٥
ألفاظ تقع فى كتب العهود	٢٢٦
الخطب	٢٣١
خطبة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه	٢٣١
خطبة لأبى بكر أيضا	٢٣٢
خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة	٢٣٣
خطبة لأبى بكر رضى الله عنه	٢٣٤
خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه	٢٣٤
خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه	٢٣٥
خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه	٢٣٥
خطبة علىّ بعد مقتل عثمان	٢٣٦

	صفحة
خطبة أيضا لعلى رضى الله عنه	٢٣٦
خطبة لمعاوية رحمه الله	٢٣٧
خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية	٢٣٨
خطبة لعتبة بن أبى سفيان	٢٣٩
خطبة لعتبة أيضا	٢٣٩
خطبة لعبد الله بن الزبير	٢٤٠
خطبة زياد البتراء	٢٤١
خطبة للحجاج حين دخل البصرة	٢٤٣
خطبة للحجاج أيضا	٢٤٤
خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج	٢٤٥
خطبة للحجاج أيضا	٢٤٥
خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله	٢٤٦
خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد	٢٤٦
خطبة للحجاج	٢٤٧
خطبة سليمان بن عبد الملك	٢٤٧
خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد	٢٤٨
خطبة أبى حمزة الخارجى	٢٤٩
خطبة لقطرى الخارجى	٢٥٠
وفى خطبة ليوسف بن عمر	٢٥١
وفى خطبة للحجاج	٢٥١
خطبة للمنصور	٢٥١
خطبة لداود بن على	٢٥٢
خطبة لداود بن على أيضا	٢٥٢
خطبة لأعرابى	٢٥٣

صفحة
خطبة المأمون يوم الجمعة... ... ... ٢٥٣
وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول ٢٥٤
وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول ٢٥٥
كلام من أرتج عليه ٢٥٦
المنابر... ... ... ٢٥٨

كتاب الزهد

ما أوحى الله جل وعز إلى أنبيائه عليهم السلام ٢٦١
الدعاء ٢٧٧
المناجاة ٢٩١
باب البكاء ٢٩٣
التهجد ٢٩٨
الموت ٣٠٢
الكبر والمشيب... ... ... ٣١٩
الدنيا... ... ... ٣٢٧

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بن يدى المهدى ٣٣٣
مقام رجل من الزهاد بين يدى المنصور ٣٣٣
مقام آخر والمنصور يخطب ٣٣٦
مقام عمرو بن عبيد بين يدى المنصور... ... ... ٣٣٧
مقام أعرابى بين يدى سليمان ٣٣٧
مقام أعرابى بين يدى هشام... ... ... ٣٣٨
مقام الأوزاعى بين يدى المنصور... ... ... ٣٣٨

صفحة

مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام... ... ... ٣٤١

مقام محمد بن كعب القرظى بين يدى عمر بن عبد العزيز ٣٤٣

مقام الحسن عند عمر بن هبيرة ٣٤٣

باب من المواعظ

كلام للحسن ٣٤٤

كلام لبعض الزهاد... ... ... ٣٤٤

كلام لغيلان ٣٤٥

كتاب رجل إلى بعض الزهاد ٣٤٦

وكتب رجل من العباد إلى صديق له ، وجواب صديقه عليه ٣٤٦

موعظة مستعملة ٣٥٠

موعظة لعمر بن عتبة ٣٥١

صفات الزهاد ٣٥١

كلام من كلام الزهاد ٣٥٨

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابهُ الناس في الطبائع وذمّهم

حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا يحيى بن هاشم الغَسّانيّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصْعَب بن سعد قال، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم . قال وحدّثني حسين بن الحسن المروزيّ قال، حدّثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدَّرْداء : «وجدتُ الناسَ اَخْبُرْ تَقْلِهْ»[1] .

قال حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا شُرَيحُ بن النعمان عن المُعَافَى بن عمر أن عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يَتّبِعُون رجلا قد أُخِذَ في رِيبةٍ فقال : لا مرحبا بهذه الوجوهِ التي لا تُرَى إلا في الشرّ .

قال وحدّثني محمد بن داود قال، حدّثنا الصَّلْتُ بن مسعود قال حدّثنا عَثّامُ ابن عليّ عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عَبِيدَةَ أن الوليد السُّوائيَّ قال : لَغَطَ قومٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل : يارسولَ الله لو نَهَيْتَهُمْ! فقال : "لو نَهَيْتُهُمْ أن يأتُوا الحَجُونَ لأتاه بعضُهم ولو لم تَكُنْ له حاجة" .

(1) القلى: البغض وهو من باب نصر ورمى ورضى والهاء فيه للسكت إذ أصله اخبر الناس تقلهم فحذف الضمير وحل محله الهاء، وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله * سمعتُ الناسُ ينتجعون غيثا * البيت. ومعناه وجدت : الناسُ مقول فيهم ذلك . وروى أيضا بنصبه، وتقديره وجدتُ : الناسَ اخبر تَقْلَه أي وجدت الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريد أنك إذا خبرتهم قليتهم، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحُدِّثنا عن عفَّانَ عن مهدىّ بن ميمون عن غَيلانَ بن جرير قال قال مطرِّف : هم الناس وهم النِّسْنَاس وناسٌ غُمِسُوا فى ماءِ الناس .

قال يونس بن عُبيد : لو أُمِرْنَا بالجزَع لَصَبَرْنَا .

وكان يقال : لو نُهِىَ الناسُ عن فَتّ البَعْر لَفَتُّوه، وقالوا : ما نُهِينَا عنه إلا وفيه شىءٌ . وقال الشاعر:

ولما أن أتيتُ بنى جُوَينٍ * جلوسًا ليس بينهُمُ جَلِيسُ
يَئِستُ مِنَ التى أقبلتُ أَبغِى * لديهم ، إنّنى رجلٌ يَئُوسُ
إذا ما قلتُ أيُّهُمُ لأىٍّ * تشابَهتِ المناكبُ والرءوسُ

ويقال : ”لا يزالُ الناسُ بخيرٍ مَا تباينُوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا“[1] .

وقال آخر :

النّاسُ أَشْوَاءٌ[2] وشَتَّى فى الشِّيَمْ * وكُلُّهُمْ يجمعهُمْ بيتُ ٱلأَدَمْ

وقال آخر — يذكر قوما:—

سَوَاءٌ[3] كأسنانِ الحمارِ ولا تَرَى[4] * لِذِى شَيبةٍ منهم على نَاشِئٍ فضلا

وقال آخر : «سَوَاسِيةٌ كأسنانِ الحمارِ»[5]

وكان يقال : «المرءُ تَوّاقٌ الى مالم يَنَلْ»[5]

والعجم تقول : كلُّ عزٍّ دخل تحت القدرةِ فهو ذليل .

---

(١) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ، وساقه ابن الأثير فى النهاية والمرتضى فى تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ: ”لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا“ الخ .

(٢) رواه فى اللسان : الناس أخياف الخ، والأخياف: الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفى اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفى اللسان « فما » . وفى مجمع الأمثال: «فلا» ، ولا يخفى أنّ الفاء هنا أحسن موقعا من الواو وأنسب للسياق . (٥) كلاهما مثل كما فى مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مَملولٌ مَحقورٌ .

وقال الشاعر :

وزاده كَلَفًا بالحُبِّ أن مَنَعَتْ * أَحَبُّ(١) شَيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا

وقال آخر :

تَرَى النّاسَ أسواءً إذا جلسوا معًا * وفى الناس زَيفٌ مثلُ زَيفِ الدّراهم

ويقالُ : النّاسُ سيلٌ وأسرابُ طيرٍ يتبعُ بعضُها بعضًا .

وقال طَرَفَةُ :

كلُّ خليلٍ كنتُ خالَلتُهُ * لا تَرَكَ اللهُ له واضحَهْ
كلُّهُمُ أرْوَغُ منْ ثعلبٍ * ما أشْبَهَ اللّيلةَ بالبارِحَهْ

وقال آخر :

فإنكَ لا يَضُرُّكَ بعد حَوْلٍ * أظبيٌ كان أُمَّكَ أم حِمَارُ
فقد لَحِقَ الأسافلُ بالأعالِى * وماجَ اللُّؤمُ واختلطَ النِّجارُ
وعاد العبدُ(٢) مثلَ أبى قُبَيسٍ * وسِيقَ معَ المُعَلْهَجَةِ(٣) العِشارُ

يقول : سِيقتِ الإبلُ الحوامِلُ فى مهرِ اللئيمة .

---

(١) كذا بالأصول . وفى لسان العرب فى مادة «حبّ» :

* وحَبَّ شيئًا إلى الانسان ما مُنِعَا *

وأصله حَبُبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت فى الثانية ، وما فى قوله «ما مُنِعَا» فى موضع الرفع بحَبّ .

(٢) وفى رواية حكاها صاحب خزانة الأدب فى ج ٣ ص ٢٣١ «الفِند» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولا ، وقيل: الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة، والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضيع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه فى كتابه عن خداش بن زهير ج ١ ص ٢٢ * وصار مع المعلهجة العشار *

قال أبو محمد: بلغنى عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمعُ حَسيسا ولا أرَى أنيسا، صبيانٌ حيارَى ما لهم تفاقدُوا [عُقولهم] (١) وفَرَاش نار وذِبّانُ طَمَع.

وقال أبو حاتِم عن الأصمعىّ: لو قَسمتُ فى النـاس مائةَ ألف درهم كان أكثرَ للائمتِى مِن لو أخَذتُها منهم (٢).

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنْعُ الجميع أرضَى للجميع.

وقال ابن بشير:

سَـــوْءةً للناس كُلِّهِـــمُ * أنَا فى هـــذا منَ أوّلِهِمْ
لستَ تَدرِى حِين تَنْسُبُهُمْ * أينَ أدناهم مِنَ أفضَـلِهِمْ

وقال نهارُ بن تَوْسعَةَ:

عَتَبتُ على سَـــلْم فلمّـا فَقَدْتُه * وجَرَّبتُ أقواماً بكيتُ على سَلْم

وهذا مِثل قولهم: ما بكيتُ من زمان إلا بكيتُ عليه.

وقال الأحنف بن قيس:

وما مَرَّ يومٌ أرتَجِى فيـــه راحةً * فأُخْبِرُه إلّا بـكَيتُ على أمسِ

وقال آخر:

ونَعْتِبُ أحيانا عليـــه ولو مضى * لكنّا على الباقى مِنَ الناس أعْتَبَا

وقال آخر:

سَـبكْنَاه ونَحسَـــبُهُ لُجَيْنـاً * فأَبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

قال، وحدّثنى أبو حاتم، قال حدّثنى الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال: لَا يزالُ فى الناس بَقيّةٌ ما تُعُجِّبَ مِنَ العَجَب.

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) فى النسخة الفتوغرافية «أن» بدل من.

رجوعُ المتخلّق إلى طبعه

بلغني أن أعرابيا رَبَّى جَرْوَ ذئب حتى شَبَّ وظنّ أنه يكون أَغْنَى عنه مِنَ الكلب وأقوى على الذبِّ عن الماشية، فلما قَوِىَ وَثَبَ على شاةٍ فقتلها وأكل منها فقال الأعرابىّ:

أَكَلْتَ شُوَيْهَتِى ورَبِيتَ فينا * فما أدراكَ أَنَّ أباكَ ذيبُ

ويُرْوَى:

* وُلِدتَ بِقَفْرَةٍ ونَشَأْتَ عندى *

إذا كان الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ * فليسَ بنافعٍ أدبُ الأديبِ[1]

وقال الخُرَيمىّ:

يُلامُ أبو الفضلِ فى جُودِه * وهل يملك البحرُ ألّا يَفيضَا

وقال أبو الأَسَد:

ولائمةٍ لَامَتكَ يا فَيضُ فى النَّدَى * فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللّومُ فى البحرِ

أرادتْ لتَثْنِى الفَيضَ عن عادة الندى * ومَنْ ذا الّذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْرِ

مَواقِعُ جُودِ الفَيضِ فى كُلِّ بلدةٍ * مَوَاقعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ

وقال كُثَيِّر:

ومَنْ يَبتدِعْ ماليس مِنْ سُوسِ[2] نفسه * يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النفس خِيمُها

وقال زهير:

ومَهما تكُنْ عند ٱمرِئٍ مِنْ خَليقَةٍ * وإن خالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

(١) كذا فى الأصول، وعليه يكون فى البيت إقواء، وروى فى حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢
* فليس بنافع فيها الأديب * وبهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذى فى اللسان : «مِن خِيمِ» والخيم: الطبيعة والأصل كالسوس .

وأنشدنى ٱبن الأعرابىّ لذى الإصبع العَدْوَانى :

كلّ ٱمرئٍ راجعٌ يومًا لشيمَته * وإنْ تَخَلَّقَ أخلاقًا إلى حينِ

وقال آخر :

إرْجِع إلى خُلقِكَ المعروفِ دَيدَنُه * إنّ التخلُّقَ يأبى دونَه الخُـلُقُ

وقال كُثيرِ فى خِلافِ هذا :

وفى الحلم والإسلامِ للرءِ وازعٌ * وفى تركِ أهواءِ الفؤادِ المتيّمِ

بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُستبينةٌ * وأخلاقُ صِدقٍ علمُها بالتعلّمِ

ونحوه للتلمس :

تَجَاوَزْ[1] عن ٱلأَدْنَيْنَ وٱستبقِ وُدَّهُمْ * ولَنْ تَستطِيعَ الحِلْمَ حَتّى تَحَلَّمَا

وقال الطائىّ :

لَيسَ الشَّجَاعَةَ إنهــا كانت له * قِدمًا نَشُوءًا فى الصِّبا ولَدُودَا

بَأْسًا قَبِيليًّا وبأسَ تَكَــرُّمٍ * فينا[2] وبأسَ قريحــةٍ مَوْلُودَا

وقال أبو جعفر الشِّطْرَنجىّ مولى المهدىّ فى سَوداءَ :

أَشْبَهكِ المسكُ وأَشْبَهْتِهِ * قائمةٌ فى لَونِهِ قَاعِــدَهْ

لا شَكَّ إِذْ لَونُكُمَا واحدٌ * أَنَّكُمَا من طينــةٍ واحِدَهْ

وقال أبو نُوَاس :

تلْقَ النَّدَى فى غيره عَرَضًا * وتَراه فيــه طَبِيعةً أَصْــلَا

وإذا قَرنْتَ بِعَــاقِلٍ أَمَلًا * كانت نَتِيجَــةُ قَولِه فِعْــلَا

وأنشدنا الرِّيَاشىّ :

لا تَصْحَبَنَّ ٱمرءًا على حَسَبٍ * إنّى رأيتُ الأحسابَ قد دُخِلَتْ

(١) الذى فى اللسان فى مادّة «حلم» وكتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحلّم» .

(٢) الذى فى الديوان «حَمٍّ» بدل «فينا» .

مالَكَ مِنْ أن يُقالَ إنّ له * أباً كريماً فى أُمّةٍ سَلَفَتْ
بل ٱصْحَبْنَهُ على طبائعه * فكلُّ نفسٍ تَجْرِى كما طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس :

إنكَ لم تكُ كابن الشَّرِيد * ولٰكنْ أبوكَ أبو سالِمِ
حَمَلْتَ المِئِينَ وأثقالَها * على أُذُنَىْ قُنفُذٍ رازِمِ
وأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجُدُو * دِ والعِرقُ يَسْرِى إلى النائمِ

وقال بعض العَبْدِيين :

وما يَستوِى المرْءَانِ هذا ٱبنُ حُرَّةٍ * وهذا ٱبنُ أخرى ظَهْرُها مُتَشَرَّكُ
وأدرَكَهُ خالاتُه فَخَذَلْنَهُ * ألا إن عِرقَ السُّوءِ لا بدّ يُدْرِكُ

باب الشىء يُفْرِطُ فَيَنتَقِلُ إلى غير طبعه

قرأت فى كتاب للهند : لا ينبغى اللَّجاجُ فى إسقاط ذى الهمّة والرأى وإذالته فإنه إمّا شَرِسُ الطبع كالحية إن وُطِئتْ فلم تلسَعْ لم يُغترَّ بها فيعادَ لوطئها ، وإما سُجُحُ الطبع كالصندل البارد إن أُفرِطَ فى حكّه عاد حارّا مؤذيا . وقال أبو نواس :

قُلْ لزهيرٍ إذا حَدا وشَدا * أَقْلِلْ وأكثِر فأنتَ مِهْذارُ
سَخُنْتَ مِنْ شدّةِ البرودة حتّى * صِرتَ عندى كأنك النارُ
لا يَعْجَبِ السامعونَ مِنْ صفتى * كذلك الثَّلجُ باردٌ حارُ

ويقال : إنما مَلُحَ القردُ عند الناس لإفراط قبحه . قال الطائىّ :

أخرجتموه بِكُرْهٍ مِنْ سَجيّته * والنار قد تُنتَضَى[(1)] من ناضر السَّلَمِ

(١) فى الأصل: « تقتضى » والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمًى نزل الناسُ الرُّبَى فنجَوْا * وأنتمُ نُصْبُ سيلِ الفتنةِ العَرِمِ
أم ذاكَ مِن هِمَمٍ جاشَتْ فكم ضَعَةٍ * حدا إليها غُلُوُّ القومِ فى الهِمَمِ

وكان يقال : مِن التوقِّى تركُ الإفراط فى التوقِّى

باب الحســـد

قال حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْهِ قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمّية قال، قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثةٌ لا يسلمُ منهنّ أحدٌ الطِّيَرَةُ والظَّنُّ والحسد" قيل: فما المخرجُ منهنّ يارسول الله؟ قال: "إذا تطيَّرتَ فلا ترجِعْ وإذا ظننتَ فلا تُحقِّقْ و إذا حَسدتَ فلا تَبْغِ" . وقال بكر بن عبدالله: حصَّتُكَ من الباغى حسنُ المُكاشَرَة، وذنبُكَ إلى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك. وقال رَوْحُ بن زِنْبَاعٍ الجُذَامىُّ: كنتُ أرَى قوما دُونِى فى المنزلة عند السـلطان يدخلونَ مداخلَ لا أدخلها فلمـا أذهبتُ عنّى الحسدَ دخلتُ حيثُ دخلوا . وقال ٱبن حُمَام :

تمنّى لِىَ الموتَ المعجَّلَ خالدٌ * ولاخيرَ فيمَنْ ليس يَعرِفُ حاسِدَهْ

وقال الطائىّ :

وإذا أراد اللهُ نشرَ فضـيلةٍ * طُوِيَتْ أتاحَ لهـا لسانَ حَسُودِ
لولا ٱشتِعالُ النارِ فيما جاورتْ * ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوّفُ للعواقبِ لم تَزل * للحاسـد النُّعْمى على المحسـودِ

وقال عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرِفُ عيبَ نفسه فَعِبْ نفسَكَ قال: أَعْفِنى ياأميرالمؤمنين. قال: لَتفعلنّ . قال: أنا لَجوجٌ حقودٌ حسود، قال عبد الملك: مافى الشيطان شرٌّ مما ذكرتَ. قال بعض الحكماء: الحسدُ من تَعادِى الطبائع واختلافِ التركيب وفساد مِزاجِ البِنْيَة وضَعْفِ عَقْد العقل والحاسدُ طويلُ الحَسَرات .

قال ابن المقفع : أقلّ ما لتارك الحسد فى تركه أن يَصْرِف عن نفسه عذابا ليس بمُدْرِكٍ به حظًّا ولا غائظ به عدوًّا، فإنا لم نَرَ ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد، طولُ أَسَفٍ ومحالفةُ كآبةٍ وشِدّةُ تحرُّقٍ، ولا يبرحُ زاريًا على نعمة الله ولا يجدُ لها مَزالًا ويُكدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَعْمًا ولا يزالُ ساخطا على مَنْ لا يترضّاه ومُتَسخِّطًا لِمَا لَنْ ينَالَ فوقه، فهو مُنغَّصُ المعيشة دائمُ السَّخْطَة محرُومُ الطَّلِبَة، لا بما قُسِمَ له يَقْنَعُ ولا على ما لم يُقْسَمْ له يَغْلِبُ، والمحسود يتقلَّبُ فى فضل الله مُباشِرًا للسّرور مُنتفِعًا به مُمَهَّلًا فيه إلى مدّة ولا يَقدِرُ الناس لها على قَطْعٍ وانتقاصٍ .

قيل للحسن البصرى : أيَحْسُدُ المؤمنُ أخاه ؟ قال : لا أبَا لَكَ، أنسيتَ إخوةَ يوسُفَ . وكان يقال : إذا أردتَ أن تَسْلَمَ من الحاسد فَعَمِّ عليه أُمُورَكَ . ويقال : إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًا لا يرحَمُه سلَّطَ عليه حاسدا . وقال العُتْبِيُّ — وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتَّى بَكَى لِي حُسَّادُهُمْ * وقد أقْرَحُوا(١) بالدّموعِ العُيونَا

وحسبُكَ من حادثٍ بامرئٍ * يَرَى حاسِدِيهِ له راحِمِينَا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرَعَ حَسَدَ الناس إلى قومك! فقال:

إنّ العَرَانِينَ تلقاها مُحَسَّدةً * ولا تَرَى لِلِئَامِ النـاس حُسَّادَا

وقال آخر:

وتَرَى اللبيبَ مُحَسَّدًا لم يَجْتَرِمْ * شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتُومُ

حسَدُوا الفتَى إذ لم ينَالُوا سعيَهُ * فالقومُ أعداءٌ له وخُصُـومُ

كضرائرِ الحسْناءِ قُلْنَ لوَجهها * حَسَـدًا وظُلْمًا إنه لذميمُ(٢)

---

(١) فى النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا فى النسختين بالذال المعجمة وهى رواية ثعلب، قال صاحب اللسان : وقد رُدّ ذلك عليه . والأصح رواية: «إنه لدميم» بالدّال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدوٌ مَهِينٌ لا يُدرِك وَتْره إلا بالتمنّى . قيل لبعضهم : أىُّ الأعداءِ لاتُحِبّ أن يعودَ لك صديقا ؟ قال : مَنْ سَببُ عَداوته النعمةُ . وقال الأحنف : لا صَـديقَ لِمَلُولٍ ولا وَفاءَ لِكَذُوب ولا راحةَ لِحَسُود ولا مُرُوءةَ لبخيلٍ ولا سُؤْدُدَ لسيِّئ الخلق . وقال معاوية : كلّ الناس أَستطِيعُ أن أُرضِيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فإنه لايُرضِيه إلا زَوالُها . وقال الشاعر :

كُلُّ العَـداوةِ قـد تُرْجَى إماتَتُها * إلا عداوةَ مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌّ لنِعمَتى مُتَسخِّطٌ لقضائى غيرُ راضٍ بِقَسْمِى بين عبادى . وكان يقال : قد طلبكَ مَنْ لايُقَصِّرُ دون الظَّفَرِ وحسَدَكَ مَنْ لاينامُ دون الشِّفَاء . وخطب الحجاج يوما بِرُسْتُقْباذَ بقول سُوَيد بن أبى كاهل :

كيف يَرْجُونَ سِقَاطِى بعدما * جَلَّلَ الرأسَ بيـاضٌ وصَـلَعْ
رُبَّ مَنْ أنضَجتُ غيظًا صَدْرَهُ * قــد تَمَنَّى لِىَ مَوْتًا لم يُطَـعْ
ويرانِى كالشَّـجَا فى حَلْقِــه * عَسِرًا مَخْرَجُـهُ ما يُنْـتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِـرُ ما لَمْ يَرَنِى * فإذا أَسْمَعتُه صَوْتِى ٱنقمَـعْ
لم يَضِرْنِى غيرَ أَنْ يَحْسُـدَنِى * فهو يَزْقُو مثلَ مايَزْقُو الضُّوَعْ (١)
ويُحَيِّيــنِى إذا لاقيتُــهُ * وإذا يَخْـلُو له لَحْمِى رَتَـعْ
قد كَفَانِى اللهُ ما فى نفسه * وإذا ما يَكْفِ شيئًا لا يُضِعْ (٢)

وقال آخر :

إن تَحْسُـدُونِى فإنّى لا أَلُومُـكُمُ * قَبْلِى مِنَ الناسِ أَهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

---

(١) الضوع : طائر ليلىّ .

(٢) كذا بالأصول . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يَكْفِ شيئا لم يُضَعْ *

فدامَ لِي ولَكُمْ ما بِي وما بِكُمُ * وماتَ أكثرُنا غيظًا بمـا يجِدُ
أنا ٱلذى تَجِدونِى فى حُلوقِكُمُ * لا أرتَقِى صُعُدًا فيها ولا أَرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِىَ اللهُ به فى السماء، يعنى حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّل ذنب عُصِى اللهُ به فى الأرض، يعنى حسد ٱبن آدم أخاه حتى قتله . وأنشدنى شيخٌ لنا عن أبى زيد الأعرابىّ:

لا تقبلُ الرشدَ ولا ترْعَوِى * تأبَى رأسٍ كٱبنِ عَـوّاءِ
حَسَدْتَنِى حين أفَدْتُ الغنى * ما كنتَ إلا كٱبن حَـوّاءِ
عاذَى أخاه مُحَـرِمًا مُسْلِمًا * بطعنـةٍ فى الصُّلْب نجْـلاءِ
وأنتَ تَقْلِينِى ولا ذنبَ لِى * لكنّنى حَمَّـالُ أعْبَـاءِ
مَنْ يأخُذِ النارَ بأطرافِه * يَنْضَحْ على النـارِ مِنَ المـاءِ

مرَّ قيسُ بن زُهير ببلاد غَطَفَانَ فرأى ثَرْوَةً وجماعاتٍ وعددًا فكَرِه ذلكَ، فقال له الربيع بن زياد : إنه يَسوءُكَ ما يَسُرُّ الناسَ! فقال له : يا أخى إنكَ لا تَدرى، إنّ مع الثروةِ والنعمة التحاسدَ والتخاذلَ، وإنّ مع القِلّةِ التحاشُدَ والتناصُرَ.

قال الأصمعىّ : رأيت أعرابيـا قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سـنةً، فقلت له : ما أطْوَلَ(١) عمرَكَ! فقال : تركت الحسدَ فبقيتُ . وقال زيد بن الحكم الثقفىّ:

تملّأْتَ مِنْ غيظٍ علىّ فلم يَزَلْ * بكَ الغيظُ حتّى كدتَ بالغيظِ تَنْشَوِى
وما بَرِحَتْ نفسٌ حَسُـودٌ حُشِيتَها * تُذيبُكَ حتى قيل هل أنتَ مُكْتَوِى
وقال النِّطاسِـيُّون إنكَ مُشْـعَرٌ * سُلالًا ألا بل أنت من حَسَدٍ جَوِى(٢)

(١) فى النسخة الألمـانية : ما طوّل .
(٢) فى الأصل: «ذَوِى» والتصويب عن خزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ٤٩٧، و «جوِى» من الجَوَى وهو السلّ وداء فى الصدر .

بدا منك غِشٌّ طالمـَا قد كتمته * كما كَتَمَتْ داءَ ٱبنها أمُّ مُـدْوِى
جَمَعْتَ وفُحْشًا غِيبـــةً ونميـمةً * خِلَالًا ثلاثًا لستَ عَنها بِمُرْعَوِى

وكان يقال : سِتَّةٌ لا يَخْلُونَ مِنَ الكآبة : رجلٌ ٱفتقر بعد غِنًى، وغَنِيٌّ يخاف على ماله التَّوَى، وحَقودٌ، وحسودٌ، وطالبُ مَرتبةٍ لا يبلغُها قدرُه، ومُخَالِطُ[1] الأُدبَاءِ بغير أدبٍ .

باب الغِيبة والعُيوب

قال حدّثني أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء[2] عن ابن خُثَيْم عن شَهر بن حَوْشَب عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم قال : «ألا أُخْبِرُكُم بِشِرَارِكُم» قالوا : بلى، قال : "مِنْ شِرارِكم المشَّاءُونَ بالنّميمةِ المُفسِدُونَ بينَ الأحبّةِ الباغُونَ البُرآءَ العَنَتَ" .

قال وحدّثني حُسينُ بن الحسن المروزيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا الأجلحُ عن الشّعبيّ قال : سمعتُ النعمانَ بن بَشيرٍ يقول على المنبر : يأَيُّها الناسُ خُذُوا على أيدى سُفَهائكم، فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إنّ قومًا رَكِبُوا البحرَ في سَفينة، وٱقتسمُوها فأصابَ كُلُّ واحدٍ منهم مَكانًا، فأخذَ رجلٌ منهمُ الفأسَ فنقر مكانَه، فقالوا : ما تَصنعُ ؟ فقال : مَكاني أَصْنعُ به ما شِئتُ، فإن أخَذُوا على يديه نَجَا ونَجَوْا، وإن تركوه غَرِقوا وغَرِقَ" .

بلغني عن حمّاد بن زيد عن ابن عَوْن قال، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أُصبِحُ فيـه لا يَرميني الناسُ بداهية إلا كان نعمةً من الله عليّ . وقال حسان : قلتُ شِعرًا لم أقلْ مثلَه :

وإن ٱمرءًا أَمسَى وأَصْبحَ سالمًا * من الناس إلا ما جنى لَسَـعِيدُ

(١) في النسخة الفتوغرافية «ومُخَالَطَةُ» .

(٢) في الأصل : «العطاء» بالتعريف، والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغنى عن ابن عيينة قال، قال مِسْعَرٌ : ما نصحتُ أحدًا قطُّ إلّا وجدتُه يُفَتِّشُ عن عيوبى. وقال بعضهم : مَنْ عابَ سَفِلَةً(١) فقد رفعه، ومَنْ عاب شريفا فقد وضَعَ نفسَه. وقال عمر بن الخطاب : أحبُّ الناسِ إلىَّ مَنْ أَهْـدَى إلىَّ عُيوبى

أحمد بن يونُس عن الفُضَيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشةَ لَتَشِيعُ فى الذين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خُزّانًا . قال وسمعته يقول أيضا : حسناتُكَ مِنْ عَدوّكَ أكثرُ منها مِنْ صَدِيقكَ، لأن عدوّكَ إذا ذُكِرتَ عنده يَغتابُكَ وإنما يَدفع إليكَ المِسكينُ حسناتِه

محمد بن عبد الله الأنصارىّ قال حدّثنا ابن عون قال : مرّ ابنُ سيرينَ بقوم فقام إليه رجل فقال : ياأبا بكرٍ إنا قد نِلنَا منك فحَلِّلْنَا، فقال : إنى لا أُحِلُّ لك ما حرّم اللهُ عليك، فأما ما كان إلىّ فهو لكَ .

محمد بن مسلم الطائفىّ(٢) قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بلغنى أنك نِلتَ مِنّى، فقال : نفسى أعزُّ علىّ من ذلك .

الوليدُ بن مسلم عن الأوزاعىّ عن بلال بن سعد قال : أخٌ لك كلّما لقيكَ أخبرك بعيبٍ فيكَ خيرٌ لك مِنْ أخٍ لك كلّما لقيك وَضَع فى كفِّك دينارا .

شَريكٌ عن عَقيلٍ قال، قال الحسن : لا غِيبةَ إلا لثلاثة، فاسقٍ مجاهرٍ بالفسق، وذِى بدعةٍ، وإمامٍ جائرٍ . وكان يُقالُ : [مَنْ اغتابَ(٣)] خَرَقَ ومَنِ استغفرَ اللهَ رَفَأَ .

(١) كذا فى الأصل، وفى اللسان نقلا عن الجوهرى : يقال : هو من السَّفِلة ولا يقال : هو سَفِلَةٌ لأنه جمع والعامة تقول : رجل سَفِلَةٌ من قوم سَفِلٍ . قال ابن الأثير : وليس بعربىّ . ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِلَةٌ .

(٢) فى الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ويؤيده أن الموجود فى كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفى» ولم يوجد فيها من يسمى «محمد بن سالم» منسوبا إلى الطائف .

(٣) الزيادة عن لسان العرب فى مادة «رفأ» .

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أَحَدُكم أخاه فَلْيَستغفرِ اللهَ" . كان يقال : إياكَ وما يُصِمُّ الأذنَ . العتبيّ قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أُسَايِرُ أبي ورجلٌ يقع في رجل، فالتفت إليّ أبي فقال: يا بُنَيَّ نَزِّه سمعَكَ عن استماع الخَنَا كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به، فإن المستمِعَ شريكُ القائل، ولقد نظر إلى أخبثِ ما في وِعَائه فأفرغه في وِعَائك، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل في فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّها كما شَقِيَ قَائلُها .

فُضَيلُ بن عِياض قال حدّثنا عبد الله بن رجاء عن موسى بن عُبيدَةَ عن محمد بن كعب قال : إذا أراد اللهُ بعبد خيرا زهّده في الدنيا وفقّهه في الدّين وبصّره عيوبَهُ . قال فضيل: وربما قال الرجلُ: لا إله إلا الله، أو سبحان الله فأخشَى عليه النارَ، قيل: وكيف ذاك ؟ ، قال : يُغتَابُ بين يديه ويُعْجِبه ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعَه، إنّما موضعُ هذا أن يَنصَحَ له في نفسه ويقول له : اتّقِ اللهَ .

في الحديث المرفوع أن آمرأتين صامتا على عهد النبيّ عليه السلام وجعلَتَا تَغتَابانِ الناسَ، فأُخبِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "صَامَتَا عمّا أُحِلّ لهما وأَفْطرَتَا على ما حَرّمَ اللهُ عليهما" . وقال حمّادُ بنُ سلمةَ : ما كنتَ تقوله للرجل وهو حاضرٌ فقلتَه مِنْ خَلْفِه فليسَ بغيبةٍ .

عاب رجلٌ رجلًا عند بعض الأشراف فقال له : قد آستدلَلْتُ على كثرة عُيوبكَ بمـا تُكثِرُ من عيب[1] الناس، لأنّ الطالبَ للعيوب إنّما يطلبُها بقدر ما فيه منها . قال بعض الشعراء:

وأَجْرأُ مَنْ رأيتُ بِظَهْـرِ غَيْبٍ ☆ على عَيب الرجال ذَوو العُيُوب

(١) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «عيوب» .

وأنشد ابن الأعرابي :

اسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ خَيَّابْ[1] ... كُلُّكَ ذُو عَيب وأنتَ عَيَّابْ

وأنشدني أيضا :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الجَيْبِ ... وَابنِ أَبٍ مُتَّهَمِ الغَيْبِ

وكُلُّ عَيَّابٍ له مَنْظَرٌ ... مُشْتَمِلُ الثَّوبِ على العَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يَصبِرُ، ثم تَرَكَ ذلك، فقيل له : أتركتَها ؟ قال : نعم، على أنّي والله أُحِبُّ أن أسمَعَهَا .

أتَى رجلٌ عمرَو بنَ مَرْثَدٍ فسأله أن يُكلِّمَ له أميرَ المؤمنين، فوعده أن يفعلَ، فلما قام قال بعضُ مَنْ حضر : إنه ليس مُستحِقًّا لِما وعدتَه، فقال عمرو : إن كنتَ صَدقتَ في وصْفِك إياه فقد كذبتَ في ادّعائك مَودَّتَنا، لأنه إن كان مُستحِقًّا كانت اليدُ موضعَها، وإن لم يكن مُستحِقًّا فما زِدتَ على أنْ أعلمتَنا أنّ لنا بمغيبنا عنك مثلَ الذي حضرتَ به مَنْ غاب مِنْ إخواننا .

وفي الحديث : "إنّ الغِيبةَ أشدُّ من الزنا" . قيل : كيف ذلك ؟ قال : "لأنّ الرجلَ يزني فيتوبُ، فيتوبُ الله عليه، وصاحبُ الغِيبةِ لا يُغْفَرُ له حتّى يَغفِرَ له صَاحِبُها"[2] .

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنّي اغتبتُ رجلا وأُريدُ أن أستَحِلَّه، فقال له : لم يَكْفِكَ أن اغتبْتَه حتى أردتَ أن تَبْهتَه . اغتابَ رجلٌ رجلًا عند قتيبةَ بن مسلم فقال له قتيبةُ : أَمسِكْ أيها الرجلُ، فوالله لقد تلمَّظْتَ بِمُضغَةٍ طَالَمَا لَفَظَهَا الكِرامُ .

(١) في النسخ التي بأيدينا «حباب» بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف، والتصويب عن اللسان فإنه ذكر هذا البيت في مادتي «خاب» و«عاب» وقال في تفسير «خَيَّاب» — بعد أن ذكر أن الخياب القِدْحُ الذي لا يُوري — : يجوز أن يكون فعّالا من الخيبة ويجوز أن يُعنَى به أنه مثل هذا القدح الذي لا يوري .

(٢) في الإحياء ج ٣ ص ٩٩ «صاحبه» .

مرّ رجلٌ بجارَيْنِ له ومعه رِيبةٌ، فقال أحدُهما لصاحبه: أفَهِمتَ مامعه من الرِّيبةِ؟ فقال الآخرُ: غُلامي حُرٌّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يُعرِّفْنِي مِنَ الشرّ ما عرَّفكَ.

شعبةُ عن يحيى بن الحصين[1] عن طارق قال: دارَ بين سعدِ بن أبى وقّاصٍ وبينَ خالدِ بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ لِيَقَعَ فى خالدٍ عند سعدٍ، فقال سعدٌ: مَهْ إنَّ مَا بيننا لم يبلُغْ دينَنَا. أى عداوةٌ وشرٌّ. وقال الشاعر:

ولستُ بِذِى نَيْرَبٍ فى الكِرام[2] * ومنَّاعَ خَـــيرٍ وسَـــبَّابَهَا
ولا مَنْ إذا كان فى جانبٍ * أضَاعَ العَشِـــيرَةَ واغْتَابَهَا
ولكن أُطاوِعُ سَادَاتِهَا * ولا أَتَعَـــلَّمُ ألقَابَهَـــا

وقال آخرُ:

لا يَأمُلُ الجارُ خيرًا مِنْ جوارِهِمُ * ولا مَحَالَةَ مِنْ هُزْءٍ وألْقَابِ

وقال الفرزدقُ:

تَصَرَّمَ مِنّى وُدُّ بكرِ بنِ وائلٍ * وما خِلتُ عَنِّى وُدَّهُم يتَصَرَّمُ
قَـوَارِصُ تأتينى ويَحتقرُونَهَـا * وقد يَمْلأُ القطرُ الإناءَ فيُفعَـمُ

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّبيِّين:

ألا رُبَّ مَنْ يَغْتَـابُنِى وَدَّ أَنَّنِى * أبوه الذى يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ مِن أُمه أو لِغَيَّةٍ * فَيغلبُها فحلٌ على النسل مُنْجِبُ
فَبِالخيرِ لا بِالشرِّ فاطلُبْ مودّتِى * وأىّ امرئٍ يَغتَالُ منه التَّرهُّبُ

(١) فى الأصول «حصين» بدون أل. والتصويب عن كتب التراجم.

(٢) كذا فى الأصول. وفى اللسان «فى الصديق». ثم قال. قال ابن برى: وصواب انشاده
ولست بذى نيرب فى الكلام * ومنّاع قومى وسبّابها
وانظر اللسان فى مادة «نيرب».

وقال آخر في نحوه :

ولمـا عَصَيتُ العاذِلين ولم أُبَلْ * مَلاَمَتَهم أَلْقَوْا على غاربى حبلى (١)

وهازِئةٍ مِـنّى تَوَدُّ لو ٱبنُهَـا * على شِيَمِي أو أن قَيِّمَهَا مِثْـلِي

قيل لِبُزُرْجِمْهر : هلْ من أحدٍ ليس فيه عيبٌ؟ قال : لا ، إن الذى لا عيب فيه لا ينبغى أن يموتَ . وقال فى مثل هذا مُوسَى شَهَوَات :

ليس فيما بدا لنـا منكَ عيبٌ * عابه النـاسُ غـيرَ أنكَ فَانِى

أنتَ خيرُ المتاع لو كنتَ تبقَى * غيرَ أنْ لا بقـاءَ للإنسانِ

وقال أبو الأسود الدؤلىّ :

وتَرَى الشَّقِىَّ إذا تكاملَ عيبُه * يُرْمَى ويُقْرَفُ (٢) بالذى لم يَفْعَلِ

لَقِيَ بكرُ بنُ عبد الله أخًا له فقال : إذا أَردتَ أن تَلْقَى مَن النِّعمَةُ عليكَ أعظمُ منها عليه وهو أشكرُ للنّعمة لَقِيتَه ، وإذا شِئتَ أن تَلْقَى مَنْ أنتَ أعظمُ منه جُرْمًا وهو أَخْوَفُ لله منكَ لَقِيتَه . أرأيتَ لو صحِبكَ رجلانِ : أحدُهمـا مَهتوكٌ لك سِتْرُه ولا يُذْنِبُ ذنبًا إلا رأيتَه ولا يقول هُجْرًا إلا سمعتَه فأنتَ تُحبّه على ذلك وتُوافقه وتكرهُ أن تُفارِقَه ، والآخر مَستورٌ عنك أمرُه غيرَ أنك تَظُنُّ به السوءَ فأنتَ تُبْغِضُه ، أَعَدَلتَ بينهُما ؟ قال : لا ؛ قال : فهل مَثَلِي ومَثَلُكَ ومَثَلُ مَنْ أنتَ راءٍ مِنَ الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرفُ ٱلحقَّ فى الغيب مِنْ أنفسنا فنحبُّها على ذلك ، ونَتَظَنَّنُ الظُّنُونَ على غيرِنا فنُبْغِضُهمْ على ذلك . ثم قال : أَنزِلِ الناسَ منك ثلاثَ مَنازِلَ ، فاجعل مَنْ هو أكبرُ منكَ سِنًّا بمنزلة أبيكَ ، ومَنْ هو تِرْبُكَ بمنزلة أخيكَ ، ومَنْ هو دونكَ بمنزلة ولدكَ ، ثم ٱنظر أىُّ هؤلاء تُحبُّ أَن تَهتِكَ له سِترًا أو تُبدِىَ له عَوْرَةً !

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية «رحلى» . (٢) يقرف : أى يُعابُ ويُتّهم .

سعيدُ بن واقد ٱلمُزَنِىّ قال حدّثنا صالح بن الصَّـقْر عن عبد الله بن زُهَير قال : وَفَدَ العلاءُ بنُ الحَضْرمِىّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأُ من القرآن شيئا"؟ فقرأ "عَبَس" وزاد فيها من عنده : وهو الذى أخرجَ من ٱلحُبْلَى ، نَسَمةً تَسْعَى ، مِنْ بين شَراسِيفَ وحَشًى ؛ فصاح به النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال له : "كُفَّ فإنَّ السورة كافِيَةٌ" . ثم قال : "هل تَرْوِى مِنَ الشِّعر شيئا"؟ فأنشده :

حَىِّ ذَوِى ٱلأَضْغان تَسْبِ قلوبَهُمْ * تَحِيَّتَكَ القُرْبَى فقـد تُرقَعُ النَّعَـلْ
وإنْ دَحَسُوا(١) بالكُرْهِ(٢) فَٱعْفُ تَكَرُّمًا * وإن خَنَسُوا(٣) عنكَ ٱلحديثَ فلا تَسَلْ
فإنّ ٱلذى يُؤْذِيكَ منـــه سَمَـاعُه * وإنّ ٱلذى قالوا وراءكَ لم يُقَـلْ

فقال النبى عليه السلام : " إنّ مِن الشِّعرِ حِكَمًا وإنّ مِنَ البيان سِحْرًا " .

وحدّثنى أبو حاتم عن ٱلأصمعىّ قال : قال رجل لبكر بن محمد بن عَلْقَمة : بلغنى أنك تَقَعُ فىّ ؛ [قال](٤) : أنتَ إذًا أكرمُ علىّ مِنْ نفسى ! . وقال بعض الشعراء :

لا تَلتمِسْ(٥) مِن مَساوِى الناس ماستَرُوا * فَيَكْشِفَ اللهُ سِـترًا عن مَساوِيكَا
وٱذكرْ مَحاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا * ولا تَعِبْ أحدًا منهـم بمـا فيكَا

وقال أبو ٱلدرداء : لا يُحْرِزُ ٱلإنسانَ مِنْ شِرار الناس إلا قبرُه .

قال عمر بن عبـد العزيز لمُزَاحِمٍ مولاه : إن الوُلاةَ جعلوا العيونَ على العوامّ وأنا أجعَلُكَ عينِى على نفسى ، فإن سمعتَ مِنّى كلمةً تَرْبَأُ بِى عنها أو فَعَالًا لا تُحِبّه فعِظْنِى عنده وٱنْهَنِى عنه .

العُتْبِىّ قال : تَنَقَّصَ ٱبنٌ لعامرِ بن عبد الله بن ٱلزبير علىَّ بنَ أبى طالب عليه السلام ؛ فقال له أبوه : لا تَتَنَقَّصْه يا بُنَىَّ ، فإن بَنِى مَروانَ ما زالوا يَشْتُمونه ستّين سنةً فلم

(١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفى اللسان فى مادّة دحس «بالشرّ» .
(٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
(٥) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهتكن» ، وفيه أيضا : «فيهتك» بدل «فيكشف» .

يَزِده الله إلا رفعةً، وإن الدِّينَ لم يَبْنِ شيئا فهدَمَتْه الدنيا، وإن الدنيا لم تَبْنِ شيئا إلا عادت على ما بَنَتْ فهدمتْه. وقال بعض الشعراء:

اِبدَأْ بنفسك فانهَهَا عن غَيِّهَا * فإذا انتهَتْ عنه فأنتَ حكيمُ
فهناكَ تُعذَرُ إن وعَظْتَ ويُقتَدَى * بالقول منك ويُقْبَلُ التعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِيَ مثلَه * عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر:

ويأخُذُ عيبَ الناس مِنْ عَيْبِ نفسه * مُرادٌ لَعَمْرِي ما أراد قريبُ

وقال آخر:

لَكَ الخيرُ، لُمْ نفسًا عليك ذُنوبُها * ودَعْ لَوْمَ نفسٍ ما عليك تُلِيمُ(١)
وكيف تَرَى فى عين صاحبك القَذَى * ويَخْفَى قَذَى عينيك وهو عظيمُ

كان رجلٌ مِنَ المُتَزمِّتِينَ(٢) لا يزالُ يَعيبُ النبيذَ وشرَابَه فإذا وَجَدَه سِرًّا شَرِبَهُ؛ فقال فيه بعضُ جيرانه:

وعَيَّابَةٍ للشُّرْبِ لو أنَّ أُمَّه * تبولُ نبيذًا لم يزل يَستَبِيلُها

قال رجل لعمرو بن عُبَيد: إنى لأَرْحَمُك مما تقولُ الناسُ فيك؛ قال: أفتسمَعُنِي أقول فيهم شيئا؟ قال: لا؛ قال: إيّاهُم فارحَمْ.

قال أعرابيّ لامرأته:

وإمّا هَلَكْتُ فلا تَنكِحِى * ظَلُومَ العَشيرةِ حَسَّادَهَا
يَرَى مَجْدَه ثَلْبَ أعراضها * لديه ويُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم: من ألام الرجلُ إذا أتى ذنبا يلام عليه.

(٢) مِن تَزَمَّتَ إذا توقّر فى مجلسه، ومنه الزَّمِيت كأمير، أى الوقور الساكن القليل الكلام، والزِّمِّيت كسِكِّين أوقر منه.

باب السِّـــعاية

روى وكيع عن أبيه عن عَطاء بن السائب قال : قَدِمت مِنْ مكة فلقينى الشعبىّ فقال : يا أبا زيد أَطْرِفْنَا مما سمعتَ ؛ قلتُ : سمعتُ عبدَ ٱلرحمن بنَ عبد الله بن سَابِط يقول : لا يَسْكنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ ، ولا آكلُ رِبًا ، ولا مَشَّاءٌ بنميم ؛ فعجبتُ منه حين عدل النميمةَ بسَفْكِ ٱلدماء وأَكْلِ ٱلرِّبا ؛ فقال الشعبىّ : وما يُعجبُك مِنْ هذا ! وهل تُسفَكُ ٱلدِّماءُ وتُرْكَبُ العظائمُ إلا بالنميمة !

عاتب مُصْعَب بن ٱلزبير ٱلأحنفَ بن قَيس على شىءٍ بلغه عنه ، فاعتذَر إليه الأحنفُ من ذلك ودَفَعه ؛ فقال مُصعَبٌ : أَخبرنى بذلك الثِّقةُ ؛ فقال الأحنفُ : كلّا أيها الأميرُ ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغ . قال الأعشى :

وَمَنْ يُطِعِ الواشِـينَ لا يترُكُوا له * صَديقًا وإن كانَ ٱلحبيبَ المقرَّبَا

وذُكِرَ السُّعاةُ عند المأمون فقال رجلٌ ممن حضر : يا أميرَ ٱلمؤمنين ، لو لم يَكُنْ مِنْ عيبِهم إلّا أنّهم[1] أصدقَ ما يكونونُ أبغضُ ما يكونون إلى الله لكَفَاهُمْ[2] .

سَعَى رجلٌ إلى بلالِ بن أبى بُرْدَةَ برجل ؛ فقال له : انصرفْ حتى أسألَ عمّـا ذكَرْتَ ، وبَعَث فى ٱلمسألة عن السَّاعى فإذا هو لغيرِ أبيه ٱلذى يُدْعَى له ، فقال بلالٌ : أخبرنا أبو عمرو قال حدّثنى أبى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "السَّاعِى بالناس لغيرِ رِشْدَة[3]" . وقال الشاعر :

إذا الوَاشِى نَعَى يومًا صـديقًا * فلا تَدعِ الصَّديقَ لِقولِ وَاشِى

---

(١) هاتان الكلمتان (إلا أنهم) ليستا بالأصل ، وقد نقلناهما عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفى الأصل «إلى الناس» .

(٣) يقال : هـذا ولد رِشْـدة إذا كان لزواج صحيح ، وجاء هـذا الحديث فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ولسان العرب فى مادة: «رشد» بلفظ «الساعى لغير رشدة» .

أَتَى رجلٌ الوليدَ بنَ عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لأبيه ، فقال : للأمير عندى نصيحةٌ ، فقال : إن كانت لنا فأَظْهِرْها ، و إن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ، قال : جارٌ لى عَصَى [وفَرَّ](١) مِنْ بَعْثِه ، قال : أمّا أنتَ فتخبر أنكَ جارُ سوء ، فإن شئتَ أرسلنا معك ، فإن كنتَ صادقا أقْصيناكَ ، و إن كنتَ كاذبا عاقبناك ، و إن شئت تارَكْناكَ ؛ قال : بل تارِكْنى .

وقال عَبْدَةُ بنُ الطّبيب :

وٱعصُوا ٱلّذى يُسْدِى(٢) ٱلنميمةَ بينكم * مُتَنصِّحًا وهـو السِّمامُ(٣) ٱلمُنْقَـعُ

يُزْجِى عقَـارِبَهُ لِيبعثَ بينكـم * حَرْبًا كما بَعَثَ العُـرُوقَ ٱلأخدعُ(٤)

حَرّانَ لا يَشْـفِى غَليـلَ فُؤَادِهِ * عَسَـلٌ بمـاءٍ فى ٱلإناء مُشَعْشَعُ(٥)

لا تأمنُوا قـوما يَشِبُّ صَبِيُّهـم * بين القبائل بالعَـدَاوة يَنْسَـعُ(٦)

إن ٱلذيـن تُرَوْنَهـمْ خُلّانَكمْ * يَشْفِى صُداعَ رُءوسِهم أن تُصْرَعوا(٧)

فَضَلَتْ عَدَاوتُهـم على أحلامهم * وأَبَتْ ضِبَابُ(٨) صدورهم لا تُنْزَعُ

قومٌ إذا دَمَسَ(٩) الظـلامُ عليهمُ * حَـدَجُوا قَنافِذَ(١٠) بالنميمة تَمْـزَعُ(١١)

---

(١) فى النسخة الفتوغرافيـة «من يعنه» وفى الألمـانيـة «من يعَنِّه» . وماوضعناه والزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضّليّات : يزجى النمائم ، أى يسوقها . (٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السِّمام . (٤) الأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هـذا البيت فى المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينْشَع * و يُنْشَع من نُشِع فلانٌ بكذا : أُولع به . (٧) كذا فى الأصل . وروى فى المفضّليّات وشواهد "المسند اليه" من تلخيص المفتاح :

إنّ الذين ترونهم إخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

(٨) الضباب جمع ضَبّ ، والمراد به : الغل الممعن فى الصدر إمعان الضب فى جحره . (٩) دمس : اشتدّت ظلمته . (١٠) حدجوا قنافذ : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال فى الشرّ كما يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينام ليله أجمع . كذا فى شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو دَهْبَلٍ ٱلْجُمَحِيُّ :

وقــد قَطَعَ الواشونَ ما كان بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ ٱلحبلُ أحوجُ
رَأَوْا عورةً فاســتقبلوها بِأَلْبِهِــمْ (١) * فَراحُوا على ما لا نُحِبُّ وأَدْلَجُــوا
وكانوا أُناسا كنتُ آمنُ غَيبَهم * فــلم ينهَهُمْ حِلمٌ ولم يَتَحَــرَّجُوا

وقال بشّارٌ :

تشتهى قُربَكَ ٱلرَّبابُ وتَخْشَى * عينَ واشٍ وتَتَّقِى أَسمَـاعَهْ
أنتَ مِنْ قلبها مَحَــلُّ شَرَابٍ * تَشتَهِى شُربَهُ وتَخشَى صُدَاعَهْ

وقال أبو نُوَاس :

كنتُ من ٱلحبّ فى ذُرَى نِيقِ (٢) * أَرُودُ منـــه (٣) مَرَادَ مَوْمُــوقِ
حتى ثَنَـانِى عنـــه تَخَلُّقُ وا * شٍ كِـذْبَةً لَفَّهـا بِتَزْوِيقِ
جُبْتُ قَفَا ما نَمَتْــه مُعْتَــذِرًا * منه وقد فُزتُ بعــد تخريقِ (٤)
كقول كسرى فيما تَمَثَّـــله * مِنْ فُرَصِ ٱللّصِّ ضَجَّةُ السُّوقِ

وقرأت فى كتاب للهند : قَلَّمَا يُمْنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه ، فإن ٱلمـاءَ أَلينُ من القول والحجرَ أصلب من القلب ، وإذا ٱنحدَر عليه وطال ذلك أثَّر فيه ، وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فتَنْبُتُ ويُقطعُ ٱللحمُ بالسيوف فيندَمِلُ وٱللسانُ لا يندملُ جُرحُه ، والنُّصولُ تَغيبُ فى ٱلجوف فتُنْزَعُ والقولُ إذا وصل إلى القلب لم يُنْزَعْ ، ولكلّ حريقٍ مُطفِئٌ : للنار المـاءُ ، وللسمّ ٱلدواءُ ، وللحزن الصبرُ ، وللعشق الفُرقةُ ، ونارُ ٱلحقدِ لا تَخْبُو .

---

(١) بألبهم : بجمعهم . (٢) نيق : مرتفع .

(٣) فى النسخة الفتوغرافية «فيه» .

(٤) فى الأصلين ونسختى الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أثبتناه رواية فى هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

وتَصُدُّ[1] عنك مَخِيلَةَ الرجُلِ الـ * ـعِرِّيضِ مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ
بِحُسَامِ سيفكَ أو لسانِكَ والـ * ـكَلِمُ الأصِيلُ كأوسَعِ الكَلْمِ

ونحوه قوله :

* والقولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ *

وقال آمرؤ القيس :

* وجَرْحُ اللّسانِ كجَرْحِ اليدِ *

سأل رجلٌ عبدَ الملك بن مروان الخَلْوةَ، فقال لأصحابه : إذا شئتم [تَنَحَّوْا][2]، فلما تَهيَّأ الرجلُ للكلام قال له : إياكَ وأن تمدَحَنى فإنى أعرَفُ بنفسى منكَ، أو تكْذِبَنِى فإنه لا رأْىَ لكَذُوبٍ، أو تَسعَى بأحدٍ إلىّ، وإن شئت أن أُقِيلَكَ أَقَلْتُكَ، قال: أَقِلْنِى.

وقال ذو الرياستين : قبولُ السِّعايةِ شرٌّ من السِّعايةِ، لأن السعايةَ دَلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شىءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ، فامقُتِ الساعىَ على سِعَايَتِه وإن كان صادقا لِلُؤْمِه فى هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحرمةِ، وعاقِبْهُ إن كان كاذبًا لجمعِهِ بين هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحرمةِ مُبَارزةً لله بقول البهتان والزور.

وقال بعضُ المُحْدَثين لعبد الصمد بن المعذَّل :

لَعَمْـرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عَدُوُّه * ولكنَّما سَبَّ الأميرَ المبلِّغُ

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إنّ فلانًا شَتَمكَ، فأكبّ ثم قال : أُرَاهُ شتَمَكَ.

وأتى رجل آبنَ عمرَ فقال له : إن فلانا شتمكَ، فقال له : إنّى وأخى عاصمًا لانُسَابُّ أحدًا.

عوانةُ قال: كان بين حاتم طيئ وبين أَوْس بن حارثة ألطفُ ما يكون بين آثنين، فقال النعمانُ بنُ المنذر لجلسائه : والله لأُفْسِدَنّ ما بينهما، قالوا : لا تَقدِرُ على ذلك،

(١) فى كتاب الشعر والشعراء : «وترد»، والعِرِّيض : الرجل الذى يتعرّض الناس بالشرّ.

(٢) زيادة فى النسخة الألمانيّة.

قال : بلى فقلّما جَرت الرجالُ فى شىء إلا بَلَغتَه ؛ فدخل عليه أوسٌ ، فقال : يا أوسُ ما الذى يقولُ حاتمٌ ؟ قال : وما يقولُ ؟ قال : يقول إنه أفضلُ منك وأشرفُ ، قال : أبيتَ اللّعنَ ، صَدَقَ ! واللهِ لو كنتُ أنا وأهلى وولدى لحاتم لَأَنْهَبَنَا فى مجلسٍ واحدٍ ، ثم خرج وهو يقولُ :

يقولُ لِىَ النعمانُ لا مِنْ نصيحةٍ * أرى حاتمـا فى قوله مُتَـطَاوِلَا
له فَوقَنَا باعٌ كما قال حاتمٌ * وما النُّصْحَ فيما بيننا كان حَاوَلَا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثلَ مقالته لأوسٍ ، قال : صَدَقَ ، أين عسى أن أقَعَ مِن أوس ! له عشرةُ ذكورٍ أخَسُّهم أفضلُ مِنّى ، ثم خرج وهو يقول :

يُسائِلُنِى النعمانُ كى يَسْتَزِلَّنِى * وهَيهاتَ لى أن أُستَضَامَ فأُصْرَعَا
كَفَانِىَ نقصًا أن أَضيمَ عَشيرتِى * بقولٍ أرَى فى غيره مُتَوَسَّـــعا

فقال النعمانُ : ما سمِعتُ بأكرمَ من هذَينِ الرجلين .

ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع المهدىّ أنه وافاه فى يوم واحدٍ ثمــانون رُقعةً كُلّها سعايةٌ ، منها ستون لأهل البَصْرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وَشَى وَاشٍ برجلٍ إلى الإسكندر ، فقــال له : أَتُحِبُّ أنْ أقبلَ منك ما قُلتَ فيـه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك؟ قال : لا ، قال : فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفَّ عنك الشرُّ .

كتب بعضُ إخواننا من الكُتَّاب إلى عاملٍ وكان سُعِىَ به إليه : لستُ أنفكُّ فيما بينى و بينك من إحدى أربع : إما كنتَ مُحسِنا و إنك لكذلك فاربُبْ ، أو مُسيئًا ولستَ به فأَبْقِ ، أو أكونُ ذا ذنبٍ ولم أتعمَّدْ فتغمَّدْ ، أو مقروفا وقد تَلحَقُ به حِيلُ الأشرار فتثبَّتْ ، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ، هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾

باب الكذب والقِحَة

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا سليمان بن داود عن مَسْلَمَةَ بنِ علقمة عن داود بن أبى هندٍ عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن الزِّبْرِقَان عن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَصلُحُ الكذبُ إلا فى ثلاثةِ مواضعَ[١] الحربِ فإنها خُدْعةٌ والرجلِ يُصلِحُ بين آثنين والرجلِ يُرْضِى آمرأته" .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا بَرْبَرُ بنُ[٢] هارونَ قال أخبرنا سفيانُ بنُ حسين عن الزهرىّ عن حُميدِ بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم "لم يَكْذِبْ مَنْ قال خيرًا وأصلَحَ بين آثنين" .

قال : حدّثنى عَبْدَةُ بن عبد الله قال حدّثنا أبو داود عن عِمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلىّ : إذا سَرَّكَ أن تُكْذِبَ صاحِبَك فَلَقِّنْه .

حدّثنى محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أيَكُونُ المؤمنِ جباناً ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون بخيلا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون كذّابا؟ قال : "لا" . قال حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : عاتب إنسانٌ كذّابا على الكذب، فقال : يابن أخى لو تَغرغَرتَ[٣] به ما صَبَرْتَ عنه. قال: وقيل لكذوب: أَصَدقتَ قطُّ؟ قال: أكره أن أقول لا فأَصْدُقَ.
وقال آبن عبّاس : الحدثُ حَدَثانِ : حدثٌ مِن فيكَ وحدثٌ مِن فرجكَ . وقال مدينىّ : مَنْ ثَقُلَ على صديقه خَفَّ على عدوّه ، ومَنْ أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . ومثلُه قول الشاعر :

(١) وفى رواية : «مواطن» . (٢) كذا فى الأصول،ولم نقف فى كتب التراجم على من يسمى بربر ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما فى تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨
(٣) تغرغرت به : ردّدته فى حلقك .

ومَنْ دعَا النـاسَ إلى ذَمِّهِ * ذَمُّوه بالحـــقّ وبالباطِلِ
مَقَـالَةُ السّوءِ إلى أهلهـا * أسرعُ مِن مُنحَدِرٍ سـائِلِ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كلّ] [١] ما أصابَ الصائمُ شَوًى [٢] ما خلا الغِيبةَ والكذبَ. وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجلٌ فقال: اشترطْ خَصلةً واحدة لا يزيد عليها، لقلتُ لا تكْذِبني. كان ابن عبّاس يقول: الكذبُ فُجُور، والنميمة سِحرٌ، فمن كذب فقد فَجَر، ومن نمّ فقد سحَر. وكان يقال: أسْرِعْ الاستماعَ وأبطئ التحقيقَ قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كَذَب عاقلٌ ولا اغتاب مُؤمنٌ. وكانوا يحلفون فيحنَثون ويقولون فلا يكذِبون. ذمّ رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعةُ العَقْعَق [٣] يعني السَّرقَ، وروَغانُ الثعلب يعني الخِبّ، ولمَعانُ البرق يعني الكذبَ. ويقال الأذِلّاء أربعة: النمّـامُ والكذّاب والمدين والفقير. قال ابن المقفّع: لا تَهاوَنَنّ بإرسال الكِذبة في الهَزْل فإنها تُسرِعُ في إبطال الحقّ. وقال الأحنف: اثنان لايجتمعان أبدا: الكذبُ والمروءةُ. وقالوا: مِن شرفِ الصّدق أن صاحبَه يُصَدَّق على عدوّه. وقال الأحنف لابنه: يا بُنيّ اتّخذ الكذبَ كَنْزاً؛ أي لا تُخرجه. وقيـل لأعرابيّ كان يُسهِبُ في حديثـه: أَمَا لحديثك هـذا آخِرٌ؟ فقال: إذا انقطع وصلتُه. وقال ابن عمر: "زعموا" زامِلةُ [٤] الكذب. كان يقال: عِلّة الكَذوب أقبحُ عِلّة، وزَلّة المتوقّي أشـدُّ زَلّة. كان المهلّب كذّابا وكان يقال له: راحَ يَكذِب. وفيـه يقول الشاعر:

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوى». (٢) أي: شيء يسير هيّن. وأصل الشوى الأطراف ومعنى الحـديث أن كل شيء أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست مقاتل، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) العقعق: طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب، ويقال له: القعقع، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثـل في السرقة والخيانة والخبث. (٤) الزاملة: الدابّة التي يحمـل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطيّة الكذب ومركبه.

تبدّلتِ المنابرُ(1) من قُريش * مَزُونيًّا بفَقْحته الصليبُ
فأصبح قافلًا كرمٌ وجودٌ * وأصبح قادمًا كذبٌ وحُوبُ

قال رجل لأبى حنيفة : ما كذبتُ كِذْبةً قطّ ، قال : أمّا هذه فواحدةٌ يُشهَدُ بها عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِف بالصدق جاز كذبُه ، ومَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَجز صِدقُه . قال أبو حيّة النُّمَيْرىّ — وكان كذّابا — : عنّ لى ظَبىٌ فرميتُه فراغ عن سهمى فعارضه واللهِ السهمُ ، فراغ فراوغَه السهمُ حتى صرعه ببعض الخَبَارات(2) . وقال أيضا : رميتُ ظبيةً فلما نفَذ السهمُ ذكرتُ بالظبية حبيبةً لى فشددتُ وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِه(3) . وصَفَ أعرابىّ امرأة فقيل : مابلغ من شدّة حُبّك لها ؟ قال : إنى لأذكُرها وبينى وبينها عقبةُ الطائف فأجِدُ من ذكرها ريحَ المسك .

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك :

ثلاثٌ واثنتان فهنّ خمسٌ * وسادسةٌ تميلُ إلى شِمَامِ
فبِتْنَ بجانبَىَّ مُصرَّعاتٍ * وبِتُّ أفُضُّ أغلاقَ الختامِ
كأنّ مَفالِقَ الرمّان فيه * وجَمْرَ غَضًا قعَدْنَ عليه حامى

فقال له سليمان : ويحك يافرزدقُ ، أحللتَ بنفسك العقوبةَ ، أقررتَ عندى بالزنا وأنا إمامٌ ولا بدّ لى من أن أحُدَّكَ ، فقال الفرزدقُ : بأىِّ شىء أوجبتَ علىّ ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن كتابَ الله هو الذى يَدْرأُ عنّى الحدّ ، قال : وأين ؟ قال : فى قوله : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فأنا قلتُ ياأمير المؤمنين مالم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعرُ مجنونٌ كَلِبْ * أكثرُ ما يأتى على فيهِ الكذِبْ

(1) كذا فى لسان العرب فى مادة «مزن» والذى فى الأصل : «المنازل» .

(2) فى الأصل «الحيارات» وفى الأغانى : «الجبانات» وفى البيان والتبيين «الجنارات» والتصويب عن الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خَبَارة وهى ما لان واسترخى من الأرض وساخت فيها القوائم وفى المثل : «من تجنّب الخبار أمِنَ العثار» .

(3) القذذ جمع قُذّة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليّة بعضُ ما يُحْكَى عليه
مهما سمِعْتَ بِكِذْبةٍ * مِنْ غيره نُسِبَتْ إليه

وقال بشّار :

ورَضِيتُ من طُولِ العَناء بيأسِه * واليأسُ أيسرُ منْ عِدَاتِ الكاذب

والعرب تقول : «أكذَبُ منْ سَالئةٍ»[1] وهى تكذب مخافةَ العين على سَمْنها . و«أكذَبُ من مُجَرِّب» لأنه يخاف أن يُطلَبَ من هِنائه[2] . و«أكذبُ مِنْ يَلْمَع» وهو السراب . منصور ٱبن سَلَمة الخُزَاعىّ قال حدّثنا شبيبُ بن شيبة أبو مَعْمَر الخطيب قال : سمعت ٱبن سيرين يقول : الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ . وقال فى قول الله عزّ وجلّ : (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القينىُّ : أَصْدُقُ فى صِغار ما يضرُّنى لِأُصَدَّقَ فى كِبَار ما ينفعُنى . وكان يقول : أنا رجل لا أبالى ما ٱستقبلتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جَرْم رجلا من الأنصار إلى رجل من قريش ، فقال للجَرْمىّ : أبالجاهلية تُفاخره أم بالإسلام؟ فقال : بالإسلام ؛ فقال : كيف تُفاخره وهم آوَوْا رسولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلامَ؟ قال الجرمىّ : فكيف تكون قلّةُ الحياء . وقال آخر : إنما قَوِيتُ على خصومى بأنّى لم أستترقطّ بشىء من القبيح . وذكر أعرابىّ رجلا فقال : لو دُقَّ وجهُه بالحجارة لرضّها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسَرَقَها . قيل لرجل من بنى أسد : بأىّ شىء غلبتَ الناسَ؟ قال : أَبْهَتُ الأحياءَ وأَستشهِدُ الموتَى . وقال طُرَيْحٌ الثقفىُّ يذمّ قوما :

إن يَعلَمُوا الخيرَ يُخْفُوه وإن عَلِمُوا * شرًّا أُذيعَ وإن لم يَعْلَمُوا كَذَبُوا

(١) فى مجمع الأمثال "السالئة" بالتعريف ؛ وهى التى تسلأ السمن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجن ، قد احترق . والارتجان ألّا يخلص سمنها .
(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : اثنان لا يتفقان أبدًا : القناعةُ والحسدُ، واثنان لا يفترقان أبدا : الحرص والقِحة، وقال الشاعر :

إن يَبْخَلُوا أو يغْدِرُوا * أو يَفْخَرُوا لا يَحْفِلُوا

يَغْدُوا عليك مُرَجَّلِيـ(١) * ـنَ كأنّهُمْ لم يَفْعَلُوا

كأبي بَرَاقِش(٢) كُلَّ لو * نٍ لَوْنُه يَتَخَيَّلُ

هجا أبو الهول الحميريُّ الفضلَ بنَ يحيي ثم أتاه راغبا إليه ؛ فقال له الفضل : ويلكَ بأيّ وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربّي وذنو بي اليه أكثرُ، فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوَقَاح «رَمَتْنِي بدائها وانسلَّتْ» . وقال الشاعر :

أَكُولٌ لأرزاقِ العباد إذا شَتَا * صَبُورٌ على سُوءِ الثَّنَاءِ(٣) وَقَاحُ

قال رجلٌ لقوم يغتابونَ ويكذبونَ : توضَّؤوا فإنّ ما تقولون شرٌّ من الحَدَث . وبلغني عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلتُ لعَبيدَةَ : مايوجبُ الوضوءَ؟ قال : الحدَثُ وأذَى المسلم . روى الصَّلْتُ بنُ دينار عن عُقْبةَ عن أَنَس بن مالك قال : بعثني أبوموسى الأشعريّ من البصرة إلى عمرَ، فسألني عن أحوال الناس ثم قال : كيف يَصلُحُ أهلُ بلدٍ جُلُّ أهلِهِ هَذَانِ الحَيَّانِ : بكرُ بن وائل وبنوتميم، كَذَبَ بكرٌ وبَخِلَ تميمٌ . ذكر بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتَزيُّدَ البحْريِّينَ فقال : البحرُ كثيرُ العجائب، وأهلُه أصحابُ تَزيُّد، فأفسَدُوا بقليل الكذب كثيرَ الصِّدق، وأدخلوا ما يكونُ فيما يكادُ لا يكونُ، وجعلوا تصديقَ الناس لهم في غريب الأحاديث سُلَّمًا إلى ادّعاء المُحَال .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : كان يقال : الصِّدقُ أحيانا مُحرِّمٌ .

(١) جُزِم « يغدوا » لأنه بدل من «لا يحفلوا» فإن غدوّهم مرجّلين هو في معنى أنهم لم يحفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلوّن ألوانا شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغيّر لونه ألوانا شتّى . كذا في اللسان .

(٣) كما يستعمل الثناء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدّثنى شيخٌ لنا عن أبى معاويةَ قال حدّثنا أبو حنيفةَ عن معن بنِ عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا كَذْبةً واحدةً ، كُنتُ أُرَحِّلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجلٌ من الطائف فقلت : هذا يَغْلِبُنى على الرِّحال ، فقال : أىُّ الرِّحال أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفيّة المكيّةُ ، فرحّل بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ رَحَّلَ لَنا هَذا" فقالوا : الطائفىّ ، فقال : "مُرُوا عبدَ الله فليُرَحِّلْ لَنَا" فعُدتُ إلى الرِّحال .

باب سوء الخُلُق وسوء الجوار والسِّبَاب والشّر

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبدالله بن غالب عن أبى سعيد الخدرىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَصْلَتَان لاتجتمعانِ فى مؤْمنٍ سَوءُ الخُلُقِ والبُخلُ" .

قال وحدّثنى أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل ابن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال](١) : قيل : يارسولَ الله ما الشّؤمُ ؟ قال : "سُوءُ الخُلُقِ" .

قال وحدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا بِشر بن المفضَّل قال حدّثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المُسْتَبَّانِ ماقالاَ فَعَلَى البادئ منهما مالَمْ يعتَدِ(٢) المظلومُ» .

قال وحدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخ يمنّى قال : صَحِبَ أيوبَ رجلٌ فى طريق مكة فآذاه الرجلُ بسوء خُلقه ، فقال أيوب : إنى لأرحمُه لسوء خلقه .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الإحياء «حتى يعتدى ...» .

قال وحدّثنى عبدالرحمن عن الأصمعىّ قال : قال أبو الأسود : لو أطعنَا المساكينَ فى أموالنا كُنَّا أسوأَ حالًا منهم . وأوصَى بنيهِ فقال : لاتُجاوِدُوا اللهَ فإنه أَمجدُ وأجودُ، ولو شاء أن يُوسِّعَ على الناس كُلِّهم حتى لايكونَ محتاجٌ لَفعلَ، فلا تَجهَدُوا أَنفُسَكم فى التوسُّع فتَهلِكُوا هُزْلًا . قال: وسمع رجلا يقول: مَن يُعَشِّى الجائعَ؟ فقال: علىّ به، فعَشّاه ثم ذهب لِيخرجَ، فقال : أين تريد؟، قال : أُرِيدُ أهلى، قال : هيهاتَ، عَلَىَّ ألّا تُؤذِىَ المسلمينَ اللّيلةَ، ووضعَ فى رجلِه الأدهمَ حتى أصبحَ. قال: وأكل أعرابىّ معــه تمرا فسقطتْ مِن يدِ الأعرابىّ تمرةٌ فأخذها وقال : لا أدعُها للشيطان، فقال أبو الأسود : لا واللهِ ولا لجبريلَ . نظر ٱبنُ الزبير يوما إلى رجل وقد دَقَّ فى صدور أهل الشأم ثلاثةَ أرماحٍ فقال : ٱعتزِلْ حَرْبنا فإنّ بيتَ المـال لا يقومُ لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه (١) كان يأكل فى كلّ سـبعة أيام أَكْلَةً ويقول فى خطبته : إنمـا بطنِى شبرٌ فى شِبرٍ وما عسى أن يكفينِى . وقال أبو وَجْزةَ مولى آل الزبير :

لو كان بطنُكَ شبرًا قد شَبِعْتَ وقد * أَفْضَلتَ فضـلا كثيرًا للمسـاكينِ
فإن تُصِبْكَ مِنَ ٱلأيّام جائحةٌ * لانَبْكِ منـكَ على دُنيـا ولا دِينِ

وفيها يقول :

مازِلْتَ فى سُورة الأعرافِ تَدْرُسُها * حتّى فُؤادُكَ (٢) مِثْـلُ الخَزِّ فى اللّينِ

وفيها يقول :

إنّ ٱمرأً كنتُ مولاهُ فضيَّعنِى * يَرجُو الفلاحَ لَعندى حَقُّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربُّك غالبٌ * على أمره — يَبْغِى ٱلخلافةَ بالتَّمْر

(١) أى ٱبن الزبير كما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا فى النسخة الألمـانية، وفى النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢ «فؤادى» .

هذا حين قال : أكلتُم تمرى وعصيتُم أمرى . وقال بعضُ الشعراء :

مِنْ دون سَيبِكَ[1] لونُ ليلٍ مُظلِمٍ * وحَفيفُ نافجةٍ[2] وكلبٌ مُوسَدُ[3]
وأخوكَ مُحتمِلٌ عليك ضَغينةً * ومُسيفُ[4] قومِك لائمٌ لا يَحْمَدُ
والضَّيفُ عندك مثلُ أَسْودَ سالخٍ[5] * لا بل أحبُّهما اليكَ الأَسْوَدُ

ومَدَحَ أعرابىٌّ سعيدَ بن سَلْم فقال :

أَيَا سَارِياً باللّيل لا تَخْشَ ضِلّةً * سَعيدُ بنُ سَلْمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلَادِ
لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سيِّدٍ * جَوَادٌ حَثَا[6] فى وجه كلّ جواد

فلم يُعْطِه شيئا، فقال يهجُوه :

لِكلِّ أخى مدحٍ ثوابٌ يُعدُّه * وليس لِمدحِ الباهلىِّ ثَوابُ
مَدَحتُ ٱبنَ سَلْمٍ والمديحُ مَهَزّةٌ * فكان كَصَفْوانٍ عليه ترابُ

وقال فيهم المُمَزِّق الحَضْرَمىّ :

إذا ولَدتْ حليلةُ باهلىٍّ * غلامًا زِيدَ فى عَدَدِ اللِّئامِ
وعِرْضُ الباهلىِّ وإن تَوَقَّى * عليه مِثلُ مِنديلِ الطّعامِ
ولو كان الخليفةُ باهليًّا * لقَصَّرعن مُساماةِ الكِرَامِ

ودخل قُدامةُ بنُ جَعْدة على قُتَيبةَ بنِ مسلم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ، بالباب أَلأَمُ العرب ؛ قال : ومن ذاك؟ قال : سَلُولىٌّ رسولُ مُحاربىٍّ إلى باهلىٍّ ؛ فضَحِك قتيبةُ . وقال آخر

(١) السيب : العطاء، وفى النسختين الفتوغرافية والألمانية : «شيبك» بالشين المعجمة وهو تحريف .
(٢) النافجة بالجيم (كما فى الألمانية) وبالحاء (كما فى الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكلتاهُما صحيحة .
(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .
(٥) الأسود السالخ : الأفعى، ووصف بالسالخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) فى النسخة الألمانية «جنى» والفتوغرافية « حنى » وكلاهما تحريف، والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَومٌ إذا أكَلُوا أخْفَوْا كلامَهُمُ * واستوثقُوا مِنْ رِتَاجِ البابِ والدّارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهِمُ * ولا تُكَفُّ يدٌ عن حُرمةِ الجارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائىّ من أهل حِمْص :

سُمْتُ المديحَ رِجالًا دون قِدرِهِمُ * ضَدٌّ قبيحٌ ولفظٌ ليسَ بالحسَنِ
فلم أَفُزْ مِنهــمُ إلا بمــا حَمَلَتْ * رِجْلُ البعوضةِ مِن نَخّارةِ اللّبنِ

وقال آخر :

أُلَامُ وأُعطِى والبخيلُ مُجَاوِرِى * إلى جَنْبِ بيتِى لَا يُلَامُ ولا يُعْطِى

ونحو هذا قولهم : مَنْعُ الجميعِ أرْضَى للجميع . وقال بشّار :

أَعْطَى البخيلُ فمــا انتفعتُ به * وكذاك مَنْ يُعطِيكَ مِنْ كَدَرِهْ

قيل لخالد بن صَفْوان : ما لك لا تُنفق فإنّ مالَكَ عَرِيضٌ؟ قال : الدهرُ أعرضُ منه ؛ قيل له : كأنك تأمُلُ أن تعيشَ الدهرَ كلّه ؛ قال : ولا أخافُ أن أموتَ فى أوّله .

قال الجاحظ : قلتُ مَرّةً للحِزَامىّ : قد رضيتَ بقول الناس : عبدُ الله بخيل ؛ قال : لا أعدَمَنِى الله هذا الاسمَ ؛ قلت : كيف؟ قال : لأنه لا يقال فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذو مال ، فَسَلِّمْ لِى المــالَ وادعُنِى بأىّ اسم شئتَ ؛ قلت : ولا يقال سخىّ إلا وهو ذو مال ، فقد جمعَ هذا الاسمُ المــالَ والحمدَ وجمعَ هذا الاسمُ المــالَ والذمّ ؛ قال : بينهما فرقٌ ؛ قلتُ : هاته ؛ قال : فى قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المــال فى مِلْكِه ، وفى قولهم سخىّ إخبارٌ عن خروج المــال عن ملكه ، واسم البخل اسم فيه حزم وذمّ ، واسم السخاء اسم فيه تضييعٌ وحمد ، والمــال راهنٌ[١] نافع ومُكرِمٌ لأهله مُعِزٌّ ، والحمدُ رِيحٌ وسُخْرِيةٌ واستماعهُ

(١) أى دائم باق .

ضَعفٌ وفُسولةٌ[(١)]، وما أقلَّ واللهِ غَناءَ الحمـــد عنه إذا جاعَ بطنُه وعَرِىَ جِلدُه وضاعَ عيالُه وشَمِتَ عَدُوُّه[(٢)]! .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : مِنْ شأن مَن آستغنَى عنـك ألّا يُقيمَ عليكَ ، ومَن آحتاج إليك ألّا يَذهَبَ عنك ، فمن ضنّ بصديقه[(٣)] وأحبَّ الآستكثار منـه وأحبَّ التمتعَ به آحتال فى دوام رغبته بأن يُقيمَ له ما يقوته ويمنَعَه ما يُغنيه عنه ، فإنّ من الزهد فيه أن تُغنيَه عنك ومن الرغبة فيه أن تُحوِجَه إليك ؛ وإبقاؤك مع الضنّ به أكرمُ من إغنائكَ له مع الزهد فيه ؛ وقيل فى مثلٍ : «أَجِع كلبَكَ يَتبعْكَ» . فمَنْ أغنَى صديقَه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر ؛ والمعينُ على الغدر شريكُ الغادرِ ، كما أن مُزَيِّنَ الفجور شريكُ الفاجر . قال : وأوصى عند موته وقال فى وصيّته : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الثلث ، والثلث كثير" ، وأنا أزعمُ أن ثلثَ الثلثِ كثيرٌ ، والمساكينُ حقوقُهم فى بيت المـال ، إن طلبوا طلبَ الرجالِ أخذوه ، وإن جلسوا جلوسَ النساء مُنِعُوه ، فلا يُرغِمُ اللهُ إلا أنفَهم ولا يَرحَمُ اللهُ مَنْ يرحَمُهم .

تقدّم رجلان من قريش إلى سَوّارٍ أحدهما يُنازِعُ مولًى له فى حدّ أرض أقطعها أبوه مولاه ؛ فقال سوّار : أتُنازع مولاكَ فى حدّ أرض أقطعها أبوك إياه ! ؛ فقال : الشَّحيحُ أعذرُ من الظالم ؛ فرفع سوّار يده ثم قال : اللّهم آردُدْ على قريش أَخْطَارَها[(٤)]

---

(١) كذا فى النسخة الألمانية ؛ والفسولة : النذالة وقلة المروءة ، وفى الفتوغرافية "فشولة" وهو تحريف .

(٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافى بمناسبة الدفاع عن البخل ما نصـه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهض جانبا للبخل والبخلاء وأبين كلاما وأصدق حجة وأبعـد من المقدّمات الواهية والقضايا المردودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سجية من السجايا الراسخة فى أنفس الأسخياء كاد والله يهـدم ركنه ويميل عماده ويكدر مورده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشح القطر وإن هذا لمن إحدى الكبر » اهـ .

(٣) فى النسختين « تصديقه » وظاهر أنه محرّف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خَطَر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفتوغرافى هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس لقلة ما بيدهم » .

وقال الخَزْرَجِىّ :

إنّ جُودَ المكِّىِّ جُودٌ حِجَازِىٌّ وَجُود الحجاز فيه اقتصادُ
كيف ترجو النوالَ مِن كفِّ مُعطٍ * قد غَذَته الأقراصُ والأمدادُ

نظر سليمان بنُ مُزَاحِم إلى درهم فقال : فى شِقٍّ «لا إله الا الله محمدٌ رسول الله» وفى وجه آخر «اللهُ لا إله إلا هُو الحىُّ القيومُ» (١) ، ما ينبغى أن يكون هذا إلا مَعَاذَةً وقذفه فى الصُّندوق . أنشدَنا عبدُ الرحمن بن هانئ صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل :

كفّاه لم تُخلَقَا (٢) للنَّدَى * ولم يَكُ بخلُهما بِدْعَهْ
فكفٌّ عن الخيرِ مقبُوضَةٌ * كما نقصت مِائةٌ (٣) تِسْعَهْ
وكفٌّ ثلاثةُ آلافِهَا * وتِسْعُمِئِيهَا لها شِرْعَهْ (٤)

---

(١) فى الأصلين بعد قوله القيّوم كلمة «فقال» والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية فى نهاية الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه الكلمة . (٢) كذا فى اللسان مادة شرع . وفى الأصلين «يخلقا» والكف مؤنث لا مذكر . وفى المصباح مادة كفف : «قال ابن الانبارى» : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) فى تاج العروس واللسان مادة شرع : * كما حطّ عن مائة سبعه *

وقد قيل : إن للعرب حسابا خاصا غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلًّا منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحادا وعشرات ومئات وألوفا ، فيشار عن الواحد مثلا بقبض الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذى أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم فى هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبّابة حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعين ، ولهذا نرجح رواية اللسان على رواية الأصل . وكذلك تقضى قواعدهم فى عدّ الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر «بلوغ الأرب فى أحوال العرب» ج ٣ ص ٣٩٦ – ٣٩٩

(٤) يقال : هذا شرعة ذلك أى مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو علىّ الضرير :

لعمرُ أبيك ما نُسِب المُعَلَّى * إلى كرم وفى الدنيا كريمُ

ولكنّ البلادَ اذا اقشعرّتْ * وصَوّحَ نبتُها رُعِىَ الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خوف فقرٍ، تعجّلتَه * وأخّرتَ إنفاقَ ما تجمعُ

فصِرْتَ الفقيرَ وأنتَ الغنىُّ * وهل كنتَ تعدُو الذى تصنعُ

خوّف رجلٌ رجلا جوادا الفقرَ وأمره بالإبقاء على نفسه؛ فكتب إليه: إنى أكره أن أترك أمرًا قد وقع، لأمرٍ لعله لا يَقَعُ. وقال أبو الشَّمَقْمق :

رأيتُ الخبزَ عَزَّ لديكَ حتى * حَسِبتُ الخبزَ فى جوِّ السحابِ (١)

وما رَوّحتَنا لِتَذُبَّ عنّا * ولكن خِفتَ مَرْزِئةَ الذُّباب

وقال دِعْبِلٌ :

صَدَّقْ أَلِيّتَه إذ قال مُجتهِدًا * لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ

قد كان يُعجِبُنى لو أنّ غَيرتَه * على جَرَاذِقِه كانت على حَرَمِهْ (٢)

فإن هَمَمْتَ به فَأفْتِكْ بِخُبزتِه * فإنّ مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِه ودَمِهْ

وقال الشاعر :

أُرفُقْ بحَفْصٍ حين تأ * كُلُ يامُعَاوِىَ من طَعامِهْ

الموتُ أيسرُ عنده * مِن مَضْغِ ضيفٍ والتقامِهْ

وتراهُ مِن خوف النّزيـ * ـلِ به يُرَوَّعُ فى منامِهْ

سِيَّانِ كَسْرُ رغيفه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ

(١) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الفوتوغرافية "الخير" بدل "الخبز".

(٢) جمع جَرْذَق أو جرذقة، وهو الرغيف، وفى النسخة الألمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه.

لا تكسرنَّ رغيفه * إن كنتَ ترغبُ فى كلامهْ
وإذا مررتَ ببابه * فاحفظْ رغيفَكَ من غُلامهْ

وقال أبو نُوَاس :

خُبزُ إسماعيلَ كالوشـ * ـيِ إذا ما انشقَّ يُرفَا
عجبًا من أثر الصنـ * ـعة فيه كيف يخفى
إنّ رفّاءَكَ هذا * أحذقُ[1] الأمة كفّا
فإذا قابلَ بالنصْـ * ـف من الجرذق نصفا
أحكمَ الصنعةَ حتّى * لا ترى[2] موضع إشفى[3]
مثلَ ما جاء من التنّـ * ـور ما غادر حرفا
وله فى الماء أيضا * عملٌ أبدعُ ظَرفا
مزجُه العذبَ بماء الـ * ـبئرِ كَىْ يزدادَ ضعفا
فهو لا يشربُ[4] منه * مثلَ ما يشربُ صِرفا

باب الحُمْق

قال الشعبيّ لرجل استجهله : ما أحوجَكَ إلى مُحَدْرَجٍ[5] شديدِ الفَتْل جيّدِ الجِلَازِ عظيمِ الثمرةِ[6] لَدْنِ المَهَزّةِ يأخذُ منكَ فيما بين عَجْبِ[7] الذَّنب ومَغرِزِ العُنُق فتكثرُ له رقصاتُكَ من غيرِ جذَل؛ فقال : وما هذا ؟ فقال : بعضُ الأمرِ .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «أرفق» . (٢) فى ديوان أبى نواس " مغرز " .
(٣) الإشفى : المثقب (٤) فى ديوان أبى نواس : " لايسقيك " ، وفى هامش النسخة الفتوغرافية ما يوضح الرواية التى هنا ، وهو أن يقدّر مفعول للفعل الثانى هو ماء البئر ويصير المعنى : لا يشرب من الممزوج مثل ما يشرب من ماء البئر، لأن فى الممزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتقتير .
(٥) فى هامش النسخة الفتوغرافية "المحدرج : السوط ، والجلاز : جودة الفتل ، ولدن ، أى لين" .
(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب الذنب : العظم الذى فى أسفل الصلب عند العجز .

قال حدّثنى القُومَسِىّ عن محمد بن الصَّلْت الأَسَدىّ عن أحمدَ بن بَشِير عن الأعمش عن سَلَمةَ بن كُهَيل عن عَطاء عن جابر قال : كان فى بنى إسرائيل رجل له حمارٌ، فقال: يا ربِّ لو كان لك حمارٌ لعلفتُه مع حمارى هذا ؛ فهمّ به نبىٌّ، فأوحى الله إليه : إنما أُثِيبُ كلَّ إنسان على قَدرِ عقله .

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه عن حَمّاد بن زيد عن هِشام بن حَسّان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى فى آلمنام أن له غنمًا وكأنه يُعطَى بها ثمانيةً ثمانيةً، ففتح عينَه فلم يرَ شيئا، فغمَّض عينَه ومدَّ يدَه وقال : هاتوا أربعةً أربعةً .

مرّ رجل من العُبّاد وعلى عنقه عصا فى طرفيها زَبِيلانِ(٤) قد كادا يَحْطِمانه، فى أحدهما بُرٌّ وفى الآخر ترابٌ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلتُ البرّ بهذا التراب، لأنه كان قد أمالنى فى أحد جانبىّ فأخذ رجلٌ زبيلَ التراب فقلَبه وجعل البرّ نصفين فى الزبيلين وقال له : آحمِلِ الآن؛ فحمله، فلما رآه خفيفا قال : ما أعقلَك مِن شيخ ! حَفَر أعرابىّ لقوم قبرًا فى أيام الطاعون بدرهمين، فلما أعطَوْه الدرهمين قال : بِأبى دَعُوهُما عندكم حتى يجتمعَ لى ثمنُ ثوب . كانت أمُّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن جُمْعة السَّدُوسىّ عند عثمانَ بن عفّان، وكانت حمقاءَ تجعلُ الخُنْفُساءَ فى فيها ثم تقول : حاجَيْتُكَ ما فى فِى؟ وهى أمّ عمرو وأبان آبنىْ عثمانَ

إبراهيم بن آلمنذر قال حدّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال: رأيتُ طارقًا وهو والٍ لبعض آلخلفاء من بنى أُميّةَ على المدينة يدعو بالغداء فيتغدّى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يكون فيه العظمُ المُخُّ فينكُته على رُمّانة آلمنبر فيأكله .

(٤) الزبيل كأمير وسكّين وقنديل : القُفّة .

قالت أمّ غَزْوَانَ الرَّقَاشيّ لأبنها — ورأته يقرأ فى المصحف — : ياغزوانُ، أما تجدُ فيه بعيرا لنا ضلّ فى الجاهليّة ؟ فما كَهرها[1] وقال : يا أمّهْ، أجدُ والله فيه وعدًا حسنا ووعيدا شديدًا .

سفيان بنُ عُيينة عن أيوبَ بن موسى قال: قال آبن أبى عَتيق لرجل : ما آسْمُكَ ؟ قال : وثّابٌ، قال : فما كان آسم كلبك؟ قال : عمرو، قال : واخِلَافاه !

قال أبو الدَّرْداء : علامــةُ الجاهل ثلاثٌ : العُجْبُ، وكثرةُ المنطق فيما لا يَعْنِيه، وأن يَنْهَى عن شىء ويأتيه . أُغْمِىَ على رجل من الأَزْد فصاحَ النساءُ وآجتمعَ آلجيرانُ وبعثَ أخوه إلى غاســل الموتى فجاء فوجده حيّا بعدُ، فقال أخوه : آغسله فإنك لا تَفْرُغُ مِن غَسلِه حتى يَقضِىَ . وقال أَرْدَشِيرُ : بِحَسْبِكُمْ دلالةٌ على عيب آلجهل أن كلّ إنسان يَنتفِى منــه ويَغضَبُ إذا نُسِبَ إليه . وكان يقال : لا يَغُرَّنَّكَ من آلجاهل قرابةٌ ولا أخوّة ولا إلْفٌ فإن أحقَّ الناسِ بِتحريقِ النار أقربُهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خَصْلتَان لَا تَعْدَمَانكَ[2] من الجاهل : كثرةُ الآلتفاتِ وسرعةُ الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إيّاكَ ومؤاخاةَ الأحمق فإنه يريدُ أن ينفعَك فيضرُّكَ . وقال بعضُهم : لَأَنْ أُزاوِلَ أحمقَ أحبُّ إلىّ من أَنْ أُزاوِلَ نصفَ أحمقَ، يعنى الأحمقَ المتعاقلَ . وقال هشام بن عبد الملك : يُعرفُ حمقُ الرجلِ بأربعةٍ : بطول لحيته، وبشناعةِ كُنيته، ونقشِ خاتمه، وإفراطِ شهوتِه، فدخل عليه ذاتَ يوم شيخٌ طويلُ العُثْنُون، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أينَ هو من الثلاث، فقيل له : ما كنيتُك ؟ فقال : أبو الياقوت، وقالوا : ما نقشُ خاتَمِكَ ؟ قال : (وجَآءُو عَلَى

---

(١) كهركمنع : انتهر . (٢) فى النسخة الألمانية : "لاتعد مابك"، وفى الفتوغرافية "لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب الى الصواب .

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) . وفى حكاية أخرى:(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) ؛ فقيل له : أىّ الطعام تَشتهى ؟ فقال : جَلَنْجَبِين[1]، وفى حكاية أخرى مصاصة[2] .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يا أبا العُمَرين، فقال: لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما . وقال أبو العاج يوما لجلسائه — وكان يلى واسطَ — : إنّ الطويلَ لا يخلو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث: أن يَفْرَق الكلابَ، أو يكونَ فى رِجله قُرحةٌ، أو يكونَ أحمقَ، وما زلتُ وأنا صغيرٌ فى رجلى قُرحةٌ، وما فَرِقَ الكلابَ أحدٌ فَرَقِى، وأما الحمقُ فأنتم أعلمُ بوَاليكم . ويقال: الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقل بشأن غيره[3] . وقال بشّار :

خليلىَّ إن العسرَ سوف يُفِيقُ * و إنّ يَسارًا فى غد لخَلِيقُ
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا * صَحَوتُ و إن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ
ذَرِينِى أُشِبْ همّى براحٍ فإنّنى * أَرَى الدهرَ فيه كُربةٌ ومَضِيقُ

وقال رجل: فلانٌ إلى مَنْ يُداوِى عقلَه أحوجُ منه إلى مَنْ يُدَاوِى بدنَه . قيل لبعض الحكماء : مَتى يكون الأدبُ شرّا من عدمه؟ قال: إذا كَثُر الأدبُ ونقص العقلُ .

وقرأت فى كتاب للهند: مِنَ الْحمقِ الْتماسُ الرجلِ الإخوانَ بغير وفاءٍ ، والأجرَ بالرياء، ومودّةَ النساءِ بالغِلْظَة ، ونفعَ نفسه بضرّ غيره ، والعلمَ والفضلَ بالدّعة والخَفْض . وفيه : ثلاثةٌ يُهزَأُ بهم : مدّعِى الحرب ولقاءِ الزُّحوف وشدّة النِّكاية فى الأعداء وبَدَنُه سليمٌ لا أثرَ به، ومُنتَحِلُ عِلمِ الدّين والاجتهادِ فى العبادة وهو غليظُ

(١) فى مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مربًّى بالعسل أو بالسكر . وفى أقرب الموارد أنه معجون يعمل من الورد والعسل ، فارسى معرّب عن «كل» ومعناه ورد و«انكبين» ومعناه عسل .

(٢) لعلها محرّفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما فى القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخلّ أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام فى ذم الحمق .

الرقبة أسمنُ من الأئمة، والمرأةُ الخليّةُ تَعيبُ ذاتَ الزوج . وفيه : مَنْ يَعمَلُ بجهلٍ خمسةٌ : مُستَعمِلُ الرَّمادِ فى جَنّته بدلًا من الزِّبل، ومُظهِرُ مستورِ عورته، والرجلُ يَتَزَيّا بِزِىّ المرأة والمرأةُ تَتزيّا بزىِّ الرجل، والمتملّكُ فى بيت مُضيفه، والمتكلّمُ بما لا يَعنِيه ولا يُسألُ عنه. وفيه : الأدبُ يُذهِبُ عن العاقل السّكرَ ويَزيدُ الأحمقَ سُكرا، كما أن النهارَ يزيدُ كلَّ ذى بَصَر بصرًا ويزيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصر . وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطقُ الرجلِ على عقله .

قال الشاعر فى جاهل :

مالِى أرَى الناسَ يأخذونَ ويُعْـطُونَ ويَستَمتِعونَ بالنَّشَبِ * وأنتَ مِثـلُ الحمارِ أبهـمُ لا تَشكُو جِراحاتِ ألسُنِ العَـرَبِ

سمع الأحنف رجلا يقـول : ما أبالى أَمُدِحتُ أم هُجِيت ، فقـال الأحنف : آسترحتَ مِنْ حيثُ تعِبَ الكرامُ .

كان عامرُ بن كُرَيز أبو عبد الله بن عامر من حَمْقَى قريش، نظر إلى آبنه عبد الله وهو يخطُبُ فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرجَ مِنْ هذا وأشار إلى ذكره .

ومن حَمْقَى قريش العاصُ بن هشـام أخو أبى جَهْـل وكانـ أبو لَهَب قامَرَه فقمَره مالَه ثم دارَه ثم قليلَه وكثيرَه وأهلَه ونفسَه فآتّخذه عبدًا وأسلمه قَيْنًا [1]، فلما كان يومُ بدر بعثَ به عن نفسه فقُتِلَ ببدر كافرا، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمرَ . ومن حمقى قريش الأحوصُ بن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، قال له يوما مُجَالِسُوه : ما بالُ وجهك أصفرَ! أتشتكى شيئا؟ وأعادوا عليه ذلك، فرجع إلى أهله يلومهـم ويقول لهم : أنا شاكٍ ولا تُعْلِمُونى! أَلقُوا علىّ الثيابَ وآبعثوا إلى الطبيب . وتَمَارَضَ مرةً فعاده أصحابُه وجعل لا يتكلمُ، فدخل شُرَاعةُ بن عبيد الله بن الزَّنْدَبُوذ وكان أملحَ

(١) عبارة الأغانى: «فأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة» ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرَف أنه متمارضٌ فقال : يا فلانُ كنا أمس بالْحِيرة فأخذنا الخمرَ ثلاثين قِنّينة بدرهم، والخمرُ يومئذ ثلاثُ قَنَانِىّ بدرهم، فرفع الأحوصُ رأسَه وقال : كذا منّى فى كذا من أمّ الكاذب، وٱستوى جالسا، فنثر أهلُه على شُراعة السكّرَ، فقال له شراعة : ٱجلس لا جلستَ وهاتِ شرابَكَ، فشربا يومَهما .

ومن حمق قريش بَكّارُ بن عبــد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهاه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاوية لِمَـا يعرفُ مِن حُمقِ ٱبنه، فجلس يوما إلى خالد، فقال بكّار: أنا والله كما قال الأوّل :

* مُرَدّدٌ فى بنى الحَمْقاء تَرْديدَا *

وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرجَ البازى .

ومن حمق قريش معاويةُ بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحّان نظر إلى حمار الطّحان يُدَوِّرُ الرحا وفى عنقه جُلْجلٌ، فقال للطحان : لِمَ جعلتَ فى عنق الحمار جُلجلاً؟ فقال : ربما أدركتنى سآمةٌ أو نَعْسةٌ فإذا لم أسمع صوتَ الجلجل علمتُ أنه قام فَصِحْتُ به، فقال معاويةُ : أرأيتَ إن قام وحرّك رأسَه ما عِلمُكَ أنّه قائم؟ قال الطحان : ومَنْ لحمارى بمثل عقل الأمير! .

وقال معاوية هذا لأبى آمرأته : مَلَأتنا ٱبنتُك البارحةَ بالدم، فقال : إنها مِن نسوة يَخْبأْنَ ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحتُ ٱبنتَكَ بِعَصَبة ما رأتْ مثلَها قطّ، قال : لو كنتَ عِنّينًا ما زوّجناكَ .

ومن حمق قريش سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن اللهُ الوليدَ أخى فإنه كان فاجرا، والله لقــد أرادنى على أن يفعلَ بى، فقال له قائل : ٱسكُتْ فوالله لئن كان همّ لقد فعلَ .

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحمق لا أتزوّجه أبدا ، له بِرْذَوْنَانِ أشهبانِ فهو يحتمل مَئُونةَ ٱثنين وهما عند الناس واحدٌ .

وأخبرنى رجل أنه كان له صديق له برذونان فى شِيَةٍ واحدة فكنّا لا نظنّ إلا أنّ له برذونا واحدا ، وغلامان يُسَمَّيانِ جميعًا بفَتْح ، وكان إذا دعا واحدا قال : يافتحُ الكبيرُ ، وإذا دعا الآخرَ قال : يا فتحُ الصغيرُ .

قال أبوعُبَيدة : أرسل ٱبنٌ لِعِجْل بن لُجَيم فرسًا له فى حَلْبَة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : يا أَبتِ ، بأىّ شيء أُسَمِّيه؟ فقال : ٱفقأْ إحدى عينيه وسَمِّه الأعورَ . وقال الشاعر :

رَمَتنِى بنو عِجْلٍ بداء أبيهِمُ * وأىُّ عِباد الله أَنْوكُ مِنْ عِجْلِ!
أليسَ أبوهُمْ عارَ عينَ جَواده * فأضحتْ به الأمثالُ تُضربُ فى الجهلِ

ومِن عِجْل "دُغَةُ" التى يُضرَبُ بها المثَلُ فى الجهل(١) ، فيقال : هى دُغَةُ بنتُ مَغْنَج ؛ ويقال : دُغَةُ لقبٌ ، وٱسمها ماريَةُ بنتُ زَمْعَةَ . قال أبو اليقظان : ومن عِجْلٍ حَيّانُ ٱبن غَضْبان ورِثَ نصفَ دار أبيه فقال : أُريدُ أن أبيعَ حِصَّتِى من الدار وأَشْتَرِىَ النصفَ الباقِىَ فتصيرَ كُلُّها لى .

ومن القبائل المشهورِ فيها الحمقُ "الأَزْدُ" . قال رجلٌ منهم فى المهلَّب بن أبى صُفْرَةَ :

نِعمَ أمـيرُ الرُّفقـةِ المهلَّبْ * أبيضُ وضَّاحٌ كتَيْسِ الحُلَّبْ(٢)
* يَنْقَضُّ بالقومِ ٱنقِضاضَ الكوكَبْ *

(١) يقال : "أحمق من دغة" أورده الميدانى فى مجمع الأمثال وقال فى شرحه : إنها مارية بنت معنج بالعين المهملة، ورواه صاحب اللسان فى مواد: «غنج ودغا وجعر» بالغين المعجمة ، وفى شرح القاموس مادة «جعر» نقلا عن البكرى فى شرح أمالى القالى أن المفضّل بن سلمة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميدانى فى مجمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

(٢) يقال تيسُ حُلَّب وتيس ذو حُلَّب . والحلّب بقلة جعدة غبراء فى خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن إذا قطع منها شىء ؛ وهى تنبت فى القيظ بالقِيعان وشُطْآن الأودية .

فلما أنشده المهلّب، قال : حسبُك رحمك الله! .

ومن أشعارهم :

يارُبَّ جاريةٍ فى الحىّ حاليــة * كأنها عُومةٌ(١) فى جوف رَاقودِ

وقال آخر منهم :

زيادُ بنُ عمرٍو عينُه تحت حاجبهْ * وأســنانُه بيضٌ وقد طَرَّ شــاربُهْ

وقال عمر بن لجَأ(٢) يصف إبلا :

تَصْطَكُّ أَلْحِيهَا(٣) على دِلائِهــا * تَلاطُمَ الأزدِ على عَطائِهــا

وقال أبو حَيَّة النُّميرىّ :

وكانَ غَلَّى دِنَانِهــمْ فى دُورهم * لَغَطُ العَتِيكِ(٤) على خِوَانِ زيادِ

كتب مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك إلى يزيدَ بن المهلّب : والله ما أنتَ بصاحب هــذا الأمر، صاحبُ هذا الأمر مَغْمورٌ موتورٌ وأنتَ مشهورٌ غيرُ مَوْتُورٍ؛ فقام إليه رجل من الأَزْد فقال : قَدِّم ٱبنكَ مخلدًا حتى يُقتلَ فتصيرَ مَوْتُورًا .

قام رجل من الأزد إلى عُبيد الله بن زياد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ، إن ٱمرأتى هَلَكتْ وأردتُ أن أتزوجَ أمها وأُزوِّجَ ٱبنى ٱبنتَها وهذا عَرِيفِى(٥)، فأَعِنِّى فى الصَّداق؛ فقال : فى كم أنتَ من العطاء؟ قال : فى سَبعمائةٍ؛ قال : حُطَّا عنه أربعمائةٍ، يَكْفِيكَ ثلثمائةٍ .

---

(١) دُوَيْبَّــة تسبح فى المــاء . (٢) ورد بالأصلين «عمرو» والتصويب عن الكامل للبرّد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع ليبسج وأمالى القالى ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة «لجأ» . (٣) ألحيا جمع لَحْيٍ على أفعُل، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، واللحى : منبت اللحية .

(٤) العَتِيك بالألف واللام : فَخِذ من الأزد والنسبة إليها عَتَكِىّ .

(٥) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم و يتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزد قَبِيصَةُ بن المهلّب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يَهُولَنَّكُم ما تَرَوْنَ فإنّ عامّتها موتَى . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيت . وقال لغلامه : ٱذهب إلى بَيَّاضِ المُلَاءِ .

ومن حمقَ العرب كِلابُ بن صَعصَعةَ ، خرج إخوتُه يَشترُون خيلًا وخرج معهم كِلابٌ فجاء بِعجْل يَقُودُه ؛ فقال له إخوتُه : ماهذا؟ قال : فرسٌ ٱشتريتُه ؛ قالوا : يا مائِقُ ، هذه بقرةٌ أمَا ترى قَرنَيْها ! فرجع إلى بيتـه فقطع قَرْنَيها ، فأولادُه يُدْعَوْنَ « بَنِي فارس البقرة » . قال الكُمَيْتُ :

ولولا أمـيرُ المؤمنين وذَبُّهُ * بِخَيْلٍ عن العِجلِ المبرقَعِ[1] ماصَهَلْ

وكان شَذْرَةُ بنُ الزِّبْرِقَان من الحَمْقِ ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فأخذَ بِعِضَادَتَي[2] البابِ ثم قال : السلامُ عليكم ،أيَلِجُ شَذْرَةُ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستأذنُ فيه ؛ قال : أفَيَلِجُ مثلي على جماعة مثلِ هؤلاءِ ولا يُعْرفُ مكانُه!

عَوانةُ قال : استعملَ معاويةُ رجلا من كَلْب ؛ فذكر المجوسَ يوما فقال : لَعَن اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أُمهاتِهم ، والله لو أُعْطِيتُ عَشرةَ آلاف ما نَكَحْتُ أُمّى ؛ فبلغ ذلك مُعاويةَ ، فقال : قَبَّحَهُ اللهُ! أتَرَوْنَه لو زَادُوه فعَلَ! وعزَله .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : سأل القومُ الحارثَ بنَ جِرَان أن يُعينهم فى تأسيس مسجد ؛ فقال : قَيِّرُوهُ وعلىّ الوَدَعُ .

خطب والى اليمـامة فقال : إن الله لا يُقَارُّ على المعاصى عبادَه ، وقد أهلكَ أُمَّةً عظيمةً فى ناقة ما كانت تُساوِى مائتى درهم ؛ فسُمّى مُقَوِّمَ الناقة .

شرَد بعيرٌ لهبَنَّقَةَ ، وٱسمه يزيد بنُ ثَرْوانَ ، فقال : مَنْ وجدَ بعيرِى فهو له ؛ فقيل له : وما يَنفعُكَ مِن هذا؟ قال : إنكم لا تَدرُونَ ما حَلاوةُ الوِجْدانِ .

(١) المبرقع : الذى أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للرَّبيع : كيف تَعرِفُ الريحَ؟ قال : أَنظرُ إلى خاتَمى فإن كان سَلِسًا فهى شَمالٌ وإلّا فهى جَنُوبٌ؛ فسأل القاسمَ بنَ محمد الطَّلْحىّ عن ذلك ؛ فقال : أَضرِبُ بيدى إلى خُصْيَتَىَّ فإن كانتا قد قَلَصَتَا فهى شَمالٌ وإن كانتا مُتَدَلِّيتين فهى جَنُوبٌ.

قال أبو كعب القاصّ فى قَصَصِه : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال فى كَبِدِ حمزةَ ما قد علمتُم فادعوا الله أن يُطعِمَنا من كَبِدِ حمزةَ. وكان يقول فى قَصَصِه : ليس فىّ خيرٌ ولا فيكم ، فتَبَلَّغُوا بى حتى تجدوا خيرًا منّى. وقال هو أو غيره فى قصصه : كان ٱسم الذئب الذى أكل يوسفَ كذا وكذا ؛ قالوا : فإن يوسفَ لم يأكله الذئبُ ؛ قال : فهذا ٱسم الذئب الذى لم يأكل يوسفَ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه قال : كان قاصٌّ يَقُصُّ فى المسجد فيقول : مَثَلُ الكافر مَثَلُ قَصرِ الإسكاف خارجُه حَسَنٌ وداخلُه مَخْرَأَةٌ ، ومَثَلُ المؤمن مَثَلُ قَصرِ زَرْبِىٍّ[(١)] جدارُه كالحٌ وداخلُه زَهْرَةٌ . ويقول : وما الدنيا ! أخزى الله الدنيا ! إنما مَثَلُها مَثَلُ أَيرِ حمارٍ ، بينا هو قد أنعظ إذ طَفِىَ . وقال : المؤمنُ غِذاؤه فِلْقَةٌ وسَمَكَتُه شِلْقَةٌ ودواؤه عُلْقَةٌ ومَرَقتُه سِلْقَةٌ[(٢)] .

أصابت داودَ المصابَ مُصيبةٌ فاغتمّ ؛ فقال له صاحبٌ له : لا تَتَّهِم اللهَ فى قضائه ؛ فقال داود : أَقُولُ لك شيئا وتكتُمُه ؟ قال : نعم ؛ قال : والله ما صاحِبى غيرُه . وٱستشاره رجل فى حمل أمّه إلى البصرة ، وقال : إن حملتُها فى البرّ خفتُ عليها اللُّصُوصَ ، وإن حملتُها فى الماء خِفتُ عليها الغرَق ؛ فقال : خُذْ بها سُفْتَجَةً[(٣)] .

---

(١) قصر بالبصرة فى سكة المِرْبد لمسلم بن عمرو بن الحُصَين بن قتيبة بن مسلم ، وكان يليه غلام يقال له : زربىّ . (٢) الفلقة : الكِسرة ، والشِّلْق : شىء على خِلقة السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يَدَيْن له يكون فى أنهار البصرة وليست بعربية . كذا فى اللسان . والعلقة : شجر يبق فى الشتاء تَبلَّغ به الإبل حتى تُدرك الربيع . والسلقة : الجرادة ، لعله يريد أنه يجتزئ من المرق بالقليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جرادة واحدة . (٣) السفتجة : أن تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطًّا لمن عنده المال فى ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذى دفعته إليه قبل سفرك ، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشىء المحكم ، سمّى به هذا القرض لإحكام أمره .

دعا بعضُ السلاطينِ مجنونين ليضحَك منهما، فأسمعاه فغَضِبَ فدعا بالسّيف؛ فقال أحدُهما للآخر: كنّا اثنين وقد صرنا ثلاثةً. قال رجل لابن سَيّابة مولى بني أسد: ما أُرَاكَ تعرِفُ اللهَ؛ قال: أتُرَاني لا أَعْرِفُ مَنْ أجاعَني وأعرانِي وأخزاني.

قيل لأعرابيّ: كيف برُّكَ بأمّكَ؟ قال: ما قرعتُها سوطًا قطّ. وقيل لآخر وهو يضربُ أمَّه: ويحَكَ! تضربُ أُمّك! فقال: أُحِبُّ أن تَنْشأَ على أدبي. وقال بعض الشعراء:

جُنونُكَ مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ * طبيبًا يُداوِي من جُنُونٍ جُنُونِ

وقال آخر:

وكيف يُفِيقُ الدّهرَ كعبُ بنُ نَاشِبٍ * وشَيطانُهُ بين الأهلّة يصْرَعُ

وقال أعرابيّ وذكر الله عزّ وجلّ:

خلقَ السماءَ وأهلَها في جمعةٍ * وأبوكَ يمْدُرُ (١) حَوضَه في عامِ

كان أبو العَاجِ والِيَ واسطَ، وأتاه صاحبُ شرطته بِقَوّادةٍ فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، هذه قوادةٌ؛ قال: وأيَّ شيءٍ تَصْنعُ؟ قال: تجمعُ بين الرجال والنساء؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتَني بها لتُعرِّفَها منزلي! خَلِّ عنها لعنك الله. وأتاه يومًا بمُخَنَّثٍ؛ فقال له: ما هذا؟ قال: مُخنّثٌ؛ قال: وما يصنَعُ؟ قال: يُنكَحُ كما تُنكَحُ المرأةُ؛ قال: يَبْذُلُ هذا آستَه وأَحْظُرُ أنا عليه! آذهبْ يابنَ أخي فَأرتَدْ (٢) لها.

خطَب وَكيعُ بنُ أبي سُودٍ بخُرَاسانَ فقال: إن اللهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستة أشهرٍ؛ فقيل له: إنها ستّةُ أيام؛ فقال: والله لقد قلتُها وأنا أستقِلُّها.

(١) مدرت الحوض أمدره، أي أصلحته بالمَدَر وهو قطع الطين اليابس.

(٢) كذا في الأصل الفتوغرافي، وفي النسخة الألمانية: «فارتد بها».

تغدّى رجلٌ عند سليمانَ بنِ عبد الملك وهو يومئذ ولىُّ عهدٍ وقُدّامَه جدْى، فقال له سليمان : كُلْ من كُلْيتِهِ فإنها تزيد فى الدّماغ؛ فقال : لو كان هــذا هكذا كان رأسُ الأمير مثلَ رأسِ البغلِ .

أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ فجعــل رجل من النظَّارَة يُكبِّر ويَثِبُ من الفرح؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتَى، هذا الفرسُ فرسُكَ؟ قال : لا ولكنّ اللِّجامَ لى . دخل أبو عتّاب على عمــرو بن هدّاب(١) وقد كُفّ بصرُه والناسُ يُعزّونه، فقال : يا أبا زيدٍ، لا يَسُوءَنّكَ ذَهابُهما ، فإنك لو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانكَ تمنّيتَ أنّ الله قطعَ يديكَ ورجليكَ ودقّ ظهركَ . كان رجلٌ يقودُ أعمى بكِرَاءٍ، فكان الأعمى ربما عثَر فيقول : اللهم أَبدلْنِى به قائدًا خيرًا منه؛ ويقول القائد : اللّهم أبدلْنى أعمى خيرًا منه .

ادّعَى أبو بكر الشّيبانىّ إلى العرب ذاتَ ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فثارتْ به مِرّة، فجعل يَحُكُّ جسدَه بأظفاره خَمْشًا ويقول: إنما نحن إبل؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبِهُ العربَ ؛ فغضبَ وقال : أيقال لى هــذا ! أنا والله حِرْباءُ تَنْضُبةٍ(٢)، يَشهدُ لى سوادُ لونِى وغُــؤُورُ عينىّ وحُبّى للشمس .

قيل لأبى السَّفّاح عند موته : أوصِهْ؛ فقال : إنّا لَكِرَامُ قومِ طِخْفَةَ(٣)؛ قالوا : قل خيرًا يا أبا السفّاح ؛ فقال : إن أحبّتِ ٱمرأتى فأَعْطُوها بعيرا؛ قالوا : قل خيرًا؛

---

(١) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفى الأصلين «عمر بن هلزاب» وهو تحريف .

(٢) فى الأصلين «مُنْضبَةٍ» والتصحيح عن لسان العرب فى مادّة «نضب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والتَّنْضُبَةُ واحدة التّنضُب: وهو شجر له شوك قصار تألفه الحرابى .

(٣) طخفة بالكسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل . ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذًا مات غلامى فهو حرّ. وقيل لرجل عند موته : قل لا إلٰه إلا الله، فأعرض، فأعادوا عليه مرارا، فقال : أَخْبِرُونى عن أبى طالب أقالَها عند موته ؟ قالوا : وما أنتَ وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه. ولما احْتُضِرَ العُجَيرُ السَّلُولىّ قال لقوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدتُ لى عند الله موضعا لأَكلمنّه فيكم . وقيل لأَوْس بن حارثة عند موته : قل لا إلٰه إلا الله، فقال : لم يَأْنِ لها بعدُ . وقيل لآخر عند موته : ألا تُوصِى ؟ قال : أنا مغفورٌ لى، قالوا : قل إن شاء اللهُ، قال : قد شاء الله ذلكَ، قالوا : لا تَدَعِ الوصيّةَ، فقال لبنى أخيه :

بَنِى حُرَيثٍ ٱرفعـا وِسَادِى * وٱحْتَفِظَا بالخَلّةِ الجِـلَادِ
* فإنما حَولَكُما الأعادِى *

قال سَهْل بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاءَ : الغضبانُ والغَـيْرانُ والسكرانُ، قالوا : فما تقول فى المُنعِظِ ؟ فضَحِكَ وقال :

وما شرُّ الثـلاثةِ أُمَّ عمـرٍو * بصاحبِكِ الذى لا تَصْبَحِينَا

قال الوليد : أَلَا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجّاج جِلدةُ ما بين عينىَّ، ألا وإن الحجاج جلدةُ وجهى كلِّه .

خطب عتّابُ بنُ وَرْقاءَ فحَثَّ على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا * وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وقال آخر فى الرَّبيع والى اليمامة :

شهدتُ بأنّ اللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ * وأنّ الربيعَ العامِرِىّ رَقِيعُ[1]
أقادَ لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ * دِماءَ كلابِ المسلمين تَضِيعُ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للجاحظ ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ، وفى الأصل الفنوغرافى : «رفيع» بالفاء وهو تحريف .

دخل شابٌّ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مات رحمه اللهُ يوم كذا وكذا، وكان مرضُــه رضى الله عنه كذا وكذا، وتركَ عفا اللهُ عنه من المــال كذا وكذا؛ فآنتهره الربيع وقال: أبينَ يَدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالى الدعاءَ لأبيك! فقال الشابّ: لا ألومُكَ، إنكَ لم تَعْرِف حلاوةَ الآباء؛ فما عُلِم أنّ المنصورَ ضَحِكَ مِثلَ ضَحِكه يومَئذٍ. وكان الربيعُ لقيطًا.

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستَجلسَه ودعا بغَدَائه فقال للفتى: آدْنُهْ؛ فقال: قد تَغَدّيتُ؛ فلما خرج آستخفَّ به الربيعُ ودفع فى قَفَاه، وقال: هذا كان يُسَلِّمُ من بعيدٍ ويَنصَرِفُ، فلمّا آستدناه أميرُ المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه إلى طعامه تَبَذَّل[(1)] بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صَــيَّره فيها أن قال: قد تَغدّيتُ، وإذًا ليس عنــده لِمَنْ تَغدّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّة الجُوع.

يونسُ الهَجَرىُّ قال: مات رجلٌ من جُنْــدِ أهل الشأم فحضر الحجّاجُ جَنَازتَه، وكان عظيمَ القَدْر، فصلّى وجلس على قبره وقال: لِيَنْزِلْ قبرَه بعضُ إخوانه؛ فنزلَ نفرٌ منهم، فقال أحدُهم وهو يُسَوِّى عليه: رحمكَ اللهُ أبا فلانٍ! إن كنتَ ما علمتُك لَتُجِيــدُ الغناءَ وتُسرِعُ رَدَّ الكأسِ، ولقد وقعتَ فى موقعِ سُــوءٍ لا تخرج منه إلى الدَّكّة؛ فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر، وكان لا يُكثِرُ الضحكَ فى جِدٍّ ولا هَزْلٍ، ثم قال له: لا أمَّ لكَ! هذا موضعُ هذا! قال: أصلح الله الأميرَ، فرسى حَبِيسٌ لو سَمِعَه يَتَغَنَّى: * يا لُبَيْنَى أَوْقِدِى النارَا * لآنتشرَ الأميرُ على سَعْنَةَ، وكان الميّت يلقَّبُ سَعْنَةَ، وكان من أوحَشِ خلق الله صورةً وأَدَمِّهم؛ فقال الحجاج: إنا لله! أَخرِجُوه عن القبر، ثم قال: ما أبينَ حُجّةَ أهل العراق فى جهلكم يا أهلَ الشأم. ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا آستفرغ ضَحِكًا.

(١) فى الأصلين: «وتبذل» والسياق يقتضى حذف الواو.

تبع داودُ بنُ المُعْتَمِر آمرأةً ظنّ أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليكِ مِنْ سِيما الخيرِ لم أَتْبَعْكِ، فضحكت المرأةُ وأسندتْ ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يعتصمُ مثلي من مثلكَ بِسِيمَا الخير ، فإذا صار سيما الخير هو الدالَّ لمثلكَ على مِثلي فاللهُ المستعانُ . كان بهلولُ المجنونُ يتغنّى بقيراطٍ[(١)] ولا يسكتُ إلا بدانِقٍ . وكان رجل يَهْوَى جاريةً تختلفُ فى حوائج أهلها، وكانت إذا خرجتْ إلى السوق ولم يَعْلَمْ بخروجها ثم رجعتْ فرآها قال وهو يُسْمِعُهَا: (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)، وإن وعدتْه شيئا فأخلفتْ قال : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)، فإن تغضّبتْ لشيءٍ بلغها عنه قال : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) .

مرّ بعضُ الحمْقَى بآمرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهى تبكى، فرقّ لها وقال: مَنْ هذا الميّتُ؟ قالت : زوجى، قال : فما كان عَمَلُهُ ؟ قالت : يحفرُ القبورَ، قال : أبعدَه اللهُ أَمَا علم أن مَنْ حَفَرَ حُفرةً وقع فيها ! أحدثَ رجلٌ من الحمْقَى ليلةً على بابِ رجلٍ ، فلما خرج الرجلُ زَلِقَ ووقع على ذراعه فآنكسرتْ، وآجتمعَ الجيرانُ وجعلوا يختصمون ويُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةً يَسمعُ كلامَهم، فلما أكثروا قال :

رأيتُ الحربَ يَجْنِيهَا رجالٌ * ويَصْلَى حَرَّها قومٌ بُرَاءُ

فأخذوه وقالوا : أنتَ صاحِبُنَا . قال داود المصاب : رأيتُ رؤيا نِصْفُها حقٌّ ونصفُها باطلٌ، رأيتُ كأنّ على عنقى بَدْرَةً[(٢)] فمن ثِقلها أحْدَثْتُ فاستيقظتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أر البَدْرَةَ . رُئِى أعرابىّ يبكى بكاءً شديدا، فسُئل عن سبب بُكائه فقال : بلغنى أنّ جالوتَ قُتِلَ مظلومًا . رأى رجلٌ أحمقُ شيخا فى الحمّام أَعْكَنَ[(٣)]

(١) القيراط : نصف الدانق، والدانق سدس الدينار . (٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . (٣) أعكن البطن، أى فى بطنه عكن وهى ثنايا ها .

البطن، فقال له : يا عمّ إنى أشتهى أن أضعَ هـذا — يَعنِى ذَكَرَه — فى سُرّتِكَ؛ فقال له الشيخ : يابن أخى فأين يكونُ ٱستُكَ حينئذ. نزل يهودىّ على أعرابىّ فمات عنده ، فقام الأعرابىُّ يُصـلّى عليه فقال : اللّهـم إنه ضيفٌ وحَقُّ الضيف ما قد علمتَ، فَأَمْهِلْنَا إلى أن نَقْضِىَ ذِمَامَه ثم شأْنَكَ والكلبَ .

وحدّثنى عبدُ الرحمن عن الأصمعىّ قال : كان بين ٱثنين عبدٌ فقام أحدُهما فجعل يَضربُه؛ فقال له الآخرُ شريكُه : ما تَصْنَعُ! قال: إنما أضربُ حِصَّتِى. قال أعرابىّ لرجل : ما ٱسمُكَ؟ قال : عبدالله، قال : ٱبنُ مَنْ؟ قال : ٱبن عُبيد الله، قال : أَبُو مَنْ؟ قال : أبو عبد الرحمن، قال : أَشهدُ إنك لتَلُوذُ بالله لِوَاذَ يَتيمٍ جَبانٍ . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مُوَيْس(١) يتنازعان فى العِنب النيروزىّ والرازقىّ : أيّهما أطيبُ، فجرى بينهما كلامٌ إلى أن تواثبا، فقطع الكوفىُّ إصبعَ البصرىِّ وفَقَأَ البصرىُّ عينَ الكوفىِّ، ثم لم ألبَثْ إلا يسيرًا حتى رأيتُهما مُتَصافِيَيْنِ مُتَنادِمَيْنِ .

قال : وقال ثُمامةُ : مررتُ فى غِبِّ سماءٍ والأرضُ نَدِيَةٌ والسّماء مُتَغَيِّمةٌ والريح شَمَالٌ وإذا شيخٌ أصفرُ كأنه جرادةٌ، وقد قعد على قارعةِ الطريق وحَجّامٌ يَحْجُمُه على كاهله وأَخْدَعيهِ بمحاجمَ كأنها قِعابٌ وقد مَصَّ دمَه حتى كادَ يَستفرِغُه؛ فوقفتُ وقلتُ : ياشيخُ لِمَ تَحتجمُ؟ قال : لمكان الصَّفَار الذى بى . أتى الطَّحَّانُ قومًا يعودُ عليلًا لهم فعزّاهُم به؛ قالوا : إنه لم يَمُتْ؛ فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء اللهُ، يموت إن شاء اللهُ .

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع قال : كان الغَاضِرىُّ مِنْ أحمقِ الناس؛ فقيل له : ما حُمْقُه ؟ فجعل يتربّثُ(٢)، فلما أكْثَرَ عليه قال : قال لى مرّةً : البحرُ مَنْ حَفَره ؟ وها حُفِرَ فأينَ نبيثتُه(٣) ؟ أَتُرَى أميرَ المؤمنينَ يَقدرُ على أن يَحْفِرَ مثلَه فى ثلاثةِ أيام ؟

(١) فى النسخة الألمانية «مونس» . (٢) يتربّث : يتلبث .
(٣) النبيثة : تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحَمْقَى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ فى نسبه، فقال: إنى قد آمتدحتُكَ بشعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بأنفعَ لكَ منه، قال: ما أَحْوجَنِى إلى المنفعة فهاتِهِ، فقال:

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبنـاءَ سبعينَ وقد نَيَّفُوا
فَكُلُّهُمْ يُخْـبِرُنى أَنَّهُ * مُهَـذَّبٌ جوهرُه يعرفُ

فقـال له: قُمْ فى لعنة الله وفى سُخْطِه! لعنك اللهُ ولعنَ مَنْ سألتَ ومَنْ أَجَابكَ.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمّه فقال: ياعمّ، إنْ وَلَدَ جاريةِ آلِ فلانٍ منّى فاقتَدِه، ففعل، ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل ذلك، فقال له عمُّه: لو عَزَلْتَ! قال: بلغنى أن العزْلَ مكروهٌ.

قال: وحدّثنا الأصمعىّ قال: بَلَغَنِى عن شيخ جَزِعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا، فقيلَ له فى ذلك، فقال: نحن قومٌ لم نَتَعَوّد الموتَ.

أبوالحسن الجعفرىّ قال: قيل لكَرْدَم السَّدُوسِىّ: كُلْ، قال: ما أُرِيدُ، قيل: ولِمَ؟ قال: أَكَلْتُ قليلَ أُرْزٍ فأكثرتُ منه. ضلّ بعيرٌ لأعرابىّ فجعل يَنْشُدُه إلى أن دخل الإمارةَ فأخذَ منها بعيرا، فقيـل له: إنّ بعيركَ كان أعرابيًّا، قال: إنه لمـا أَكَلَ مِن مالِ الإمارة تَبَخَّتَ[1].

الهيثم عن آبن عبّاس قال: لمـا وَلِىَ مَروانُ وجّهَ جيشَ بنِ دُلْجَةَ القَينِىّ إلى المدينة وكان يصعَدُ المنبرَ ومعه الكُتْلةُ من التمر فيأكلُها ثم يُلْقِى النّوى على وجوه أهل المدينة يمينًا وشِمَالا، ثم يقول: يا أهلَ المدينة، إنى لأعلمُ أنّ هذا المكان فى حرمته وموضعه

---

(١) تبخّت صار بُخْتيًا جمعه بخاتى وهى الإبل الخُراسانية.

ليس موضعَ أكلٍ ولا شربٍ، ولكنى أُحبُّ أن أُرِيَكُم هَوانَكُم على الله . قيل لمعلِّم بن معلِّم : مالكَ أحمقَ ؟ قال : لو لم أكن أحمقَ كنتُ ولَدَ زنًا . قال بعضُ الشعراء:

فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعًا * فصرتُ إذًا بعـد المشيبِ مُعَلِّمَـا

وقال آخر :

وكيف تُرَجَّى العقلَ والرأىَ عند مَنْ * يَروحُ على أُنثَى ويَغدُو على طِفلِ

ابن المدائنىّ قال : تحوّل أبو عبد الله الكَرْخىّ إلى الخُرَيبة(١) فادّعى الفقهَ وظنّ أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسَمْتِه، فألقَى على باب داره البوارِى(٢) وجلس فجلس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم : يا أبا عبد الله، رجلٌ فى الصلاة أدخل إصبعَه فى أنفه فخرج عليها دمٌ، أىّ شىءٍ يَصنعُ ؟ قال : يَحتجِمُ رحمك الله، فقال له السائلُ : ظننتُ أنك فقيهٌ ولم أدرِ أنكَ طبيبٌ . قال رجلٌ للشَّعْبىّ: إنى أجدُ فى قَفَاىَ حِكَّةً فتَرَى لِى أَنْ أَحتجِمَ ؟ فقال الشعبىُّ : الحمد لله الذى نَقَلَنا مِن الفقهِ إلى الحِجامةِ . وقال له آخر: رجلٌ ٱستمنَى فى يومٍ من شهر رمضان هل يُؤْجَرُ؟ قال: أَوَمَا يرضَى أن يُفْلِتَ رأسًا برأسٍ . نازع التيمىَّ رجلٌ من بنى عمّــه فى حائطٍ بينهما فبعث إلى قومٍ يُشْهِدُهُم، فأتاه جماعةٌ من القبائل، فوقَف بهـم على ذلك الحائطِ وقال : أُشْهِدُكم جميعا أنّ نصفَ هذا الحائطِ لى . وقَدَّمَ آخرُ رجلًا إلى القاضى فى شىء يدّعيه عليه، فأنكر الرجلُ، فقال : أيها القاضى ٱكتُب إنكارَه، فقال القاضى: الإنكارُ فى يدكَ متَى شئتَ .

قال مَسعدةُ بن طارق الذَّرّاع(٣): إنّا لوقوفٌ على حدود دار لِنقسِمَها ونحن فى خصومة، إذ أقبلَ سيِّدُ بنى تميم ومُوسِرهم والمصلّى على جنائزهم، فأمسكنا عن الكلام، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البوارى جمع بارية : الحصير المنسوج .

(٣) فى الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذرع وهو القياس بالذراع .

حَدِّثُونى عن هذه الدارِ هل ضَمَّ منها بعضُنا إلى بعضٍ أحدا(١) ؟ قال مسعدةُ : فأنا منذ ستين سنةً أُفَكِّرُ فى كلامه فما أَدْرى ما عَنَى . أتت جاريةٌ أبا ضَمْضَمٍ فقالت : إنّ هذا قَبَّلَنى ، فقال : يافتى ، أَذْعِنْ لها بحقِّها ، قَبِّلْهِ عافاكِ اللهُ كما قَبَّلَكِ ، فإن الله يقول : (وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أُلْقِيَتْ على رجلٍ فريضةٌ فاشتدَّتْ عليه بجعل يَحْسُبُ غيرَها ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : عسى أن يكونَ تَرَكَ غيرَ ما ذَكَرُوا .

حدّثنى محمد بن عمر عن ٱبن كُنَاسَةَ قال : قال بعضُ الطالبيّين لأَشْعَبَ : لو رَوَيتَ الحديثَ وتركتَ النوادرَ كان أنبلَ لكَ ، قال : واللهِ قد سمِعْتُ الحديثَ ورويتُه ، قال : فَحَدِّثْنَا ، قال : حدّثنى نافعٌ عن ٱبن عمرَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : خَلَّتَانِ مَنْ كانتَا فيه كان مِنْ خَالِصةِ اللهِ ، قال : هذا حديثٌ حسن فما هُما ؟ قال : نَسِيَ نافعٌ واحدةً ونسيتُ أنا الأخرى . وكان بالبَصْرة ثلاثةُ إخوة مِن ولدِ عَتَّاب بن أَسِيدٍ كان أحدُهم يَحُجُّ عن حَمْزَةَ ويقول : ٱستُشْهِد قبل أن يحجّ ، وكان الآخر يُضَحِّى عن أبى بكرٍ وعمر ويقول : أَخْطَأَا السنّةَ فى تركِ الأُضْحِيةِ ، وكان الآخر يُفْطِرُ عن عائشةَ أيامَ التّشريقِ ويقول : غَلِطَتْ فى صومِها أيامَ العيد ، فمَنْ صامَ عن أبيهِ وأمِّه فأنا أُفْطِرُ عن أمّى عائشةَ .

قال ثُمامةُ : كنّا فى منزل رجلٍ من الدَّهاقِينِ(٢) وفينا شيخٌ منهم ، فأتى رَبُّ البيتِ بِدُهْنٍ طِيبٍ فدهَنَ بعضُنا رأسَه وبعضُنا لِحيَتَه ومَسحَ بعضُنا شارِبَه وبعضُنا يديه ، فقال أحدُهم : ٱدْهُنُوا أَستاهَكم تَأْمَنُوا الحَزَازَ(٣) ، وأَمِرُّوها على وجوهكم ؛ فأخذ شيخٌ

(١) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٣ : هل ضمّ منها بعضها إلى بعض أحدا .

(٢) الدهاقين جمع دِهْقان : رئيس الإقليم .

(٣) الحزاز : هِبْرِيَة فى الرأس كأنه نُخالة ، واحدته حزازة .

منهم بطَرف إصبعه فأدخله فى أنفه ومسحَ حاجبيه، فعَمَدَ الشيخُ إلى بقية الدّهن فصبّه فى أذنه، فقلنا له : ويحك! هل رأيتَ أحدا أُتِىَ بدهنٍ طيب فصبّه فى أذنه؟ قال : إنه مع هذا يضُرّنى .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكْنَى أبا خارجةَ، فقلتُ له : لِمَ كَنَوْك أبا خارجةَ؟ قال : لأنى وُلِدتُ يوم دخل سليمانُ بن علىّ البَصرةَ . قال عمرو بن بَحْر: ذكَر لى ذاكرٌ عن شيخٍ من الإباضيّة أنه جَرى ذكرُ الشيعة عنده فأنكَر ذلك واْشتدّ غضبُه، فقلتُ له : ما أنكرتَ؟ قال : أُنكرُ مكانَ الشّين فى أوّل الكلمة[(١)] لأنى لم أجدها قطّ إلا فى مَسخوطٍ عليه مثل شُؤم وشَرّ وشيطانٍ وشُحّ وشَغْب وشَيبٍ وشَكٍّ وشِرْك وشَتْم وشِيعَــةٍ وشِطْرَنْج وشَاكٍ وشانئ وشجج[(٢)] وشَوْصَة وشابشتى وشَكوى؛ فقلت : ما تقوم بهؤلاء قائمةٌ أبدا[(٣)]. قال : وسمعتُ رجلا يقول : عَجِبتُ لمن يأخذه النومُ وهو لا يزعم أن الاْستطاعةَ مع الفعل؛ فقلت له : ما الدليلُ على ذلك؟ فقال : سبحان الله! الأشعارُ الصِّحاحُ، قلت : مثل ماذا؟ قال : مثلُ قول رُؤْبةَ :

* ما إنْ يَقَعْنَ الأرضَ إلا وَفْقَا *

وقـــوله : * يَهْوِينَ شَتَّى ويَقَعْن وَفْقَا *

وقـــوله : * مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِـلٍ مُدْبِرٍ معًا *

وقولهم فى المثل : "وَقَعَا كَعِكْمَىْ عَيْرٍ[(٤)]" ثم قال : هل فى هذا مَقْنَع؟ قلتُ : بلى وفى دُونِ هذا .

---

(١) فى الأصلين : "فى أوّل كَلمة" بالتنكير وظاهر أن السياق يأباه؛ فلعلّ الصواب ما ذكرناه أو أن فى الكلام حذفا .
(٢) كذا بالأصلين ولم نجده فى مادة «شجج». فى اللسان والقاموس مصدرا أو غيره . ولعله محرّف عن «شَجَنْج» وهو أثر الشجّة فى الجبين .

(٣) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الأصل الفتوغرافى «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين، وفى اللسان فى مادة عكم : «هُمَا كَعِكْمَىِ العَيْرِ» والعِكْم : العِدل مادام فيه المتاع .

وعَد رجلٌ رجلا من الحمق أن يُهْـدِىَ له من مكة نعلًا، فطال عليه الانتظارُ، فأخذَ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيبَ ثم قال : انظُر فى هذا المـاءِ هل يُهدِى لِى بعضُ إخوانى نعلًا حَضْرَمية؟ . وقال الزّيادِىّ: مرّ أشعبُ برجلٍ يعمَلُ طَبَقًا وقال له : زد فيه طوقًا؛ قال : ولِمَ؟ قال : لعلّه يُهْدَى لِى فيه شىءٌ .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا إبراهيمُ بن القَعْقاع قال : رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفةٌ قد ذهب خَمْلُهَا وهو يقول : مَنْ يَشتَرِى مِنّى الرِّمدَة(١)؟ فأتاه رجلٌ فساومَه؛ قال : أَبرأُ إليكَ من عيبٍ فيها؛ قال: وما هو؟ قال : تحترِقُ إن أنتَ لبِسْتَها.

سقط أعرابىّ من بعيرٍ له، فانكسرت ضِلَعٌ من أضلاعه فأتى الجابرَ يستوصفُه؛ فقال : خُذْ تمرًا جيّدا فانزِعْ أقـاعَه ونواه واعجِنه بسمنٍ ثم اضمِدْه عليه؛ قال : أى بِأَبِى أنتَ مِن داخلٍ أم(٢) من خارجٍ؟ قال : مِنْ خارج؛ قال : لا أبا لشَانِئِكَ هو من داخل أنفعُ لى؛ قال : ضَعْه حيثُ تعلمُ أنّه أنفعُ .

مات ابنٌ صغير لأعرابىّ، فقيل له : نَرجُو أن يكوَن لك شفيعًا؛ فقال : لا وَكَلَنا اللهُ إلى شفاعته، حَسْبُه المسكين أن يقومَ بأمر نفسه .

جاء أعرابىّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ، فقال لبعض القوم : ما هذا؟ قال : يدعونَ النـاسَ إلى الطعام ؛ قال : فما يقول صاحبُ المنبر؟ قال : يقول ما يَرْضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحمِلُوا معهم؛ فتخطّى الأعرابىّ الناسَ حتى دنا من الوالى فقال : يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤُنا .

أخذ الحجّاجُ لِصًّا أعرابيًّـا فضربه سبعَمائةِ سوط فكلّما قرعه بسوطٍ قال : اللّهم شكرا؛ فأتاه ابنُ عمٍّ له فقال : والله ما دعا الحجّاجَ إلى التمـادى فى ضربك إلا كثرةُ

(١) كذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى : «الومدة» والرمدة : الكدرة التى صارت كلون الرماد .
(٢) فى الأصلين « أو » وسياق الكلام يقتضى « أم » .

شكركَ، لأن الله يقول : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ؛ فقال : إنّ هـذا فى كتاب الله؟ فقال : اللهمّ نعم؛ فأنشأ الأعرابىّ يقول :

يا رَبِّ لا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِى ＊ أسْرفْتُ فى شكرك فَاعفُ عَنِّى
باعِدْ ثوابَ الشاكرين مِنِّى

فبلغ الحجاجَ فخلَّى سبيلَه . جاء أعرابىّ إلى صَيْرَفىّ بدرهم؛ قال: هذا سَتُّوقٌ؛ فقال الأعرابىّ : وما هو السَّتُّوق بأبى أنتَ؟ قال : داخلُه نُحَاسٌ وخارجُه فضّة؛ قال : ليس كذلك؛ قال : أَكسِرُه فإن كان كذلك فأنا منه برىء؟ قال : نعم؛ فكسره فلما رأى النحاسَ قال : بأبى أنتَ، متى أموتُ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيبَ .

لما حضرت الحُطَيْئةَ الوفاةُ قال : آحملونى على حمار فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ فلعلّى أن أبقَى، ثم تمثّل :

لِكلِّ جـــديدٍ لَذّةٌ غيرَ أنّنى ＊ رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لَذيذِ

المدائنىّ قال : دعا رجلٌ بمكة لأمّه؛ فقال له قائل : فما بالُ أبيكَ؟ قال : هو رجلٌ يحتالُ لنفسه . قيل لأشعبَ : أرأيتَ أحدًا قطّ أطمعَ منك؟ قال : نعم خرجتُ إلى الشأم فنزلتُ أنا ورفيقٌ لى بدَيْرٍ فيه راهبٌ ، فتلاحينا فى أمرٍ فقلتُ : الكاذبُ منّا كذا من الراهب فى كذا مِن أُمّه، فأتى الراهبُ وقد أنعظَ وهو يقول : بأبى مَن الكاذبُ منكما؟ . مرّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بن علىّ الهاشمىّ بِقَاصٍّ وهو يقرأُ : (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ)، فتنفّس ثم قال : اللهم آجعلنا ممن يَتَجَرّعُه ويُسِيغُه .

الأصمعىّ عن أبيه : قلتُ لأعرابىّ : أفيكم زِنًا؟ قال : بالحرائر؟ ذاكَ عند الله عظيمٌ، ولكن مُسَاعاةٌ بهذه الإماءِ . موسى بن طلحةَ قال: جاءنا علىّ بن أبى طالب رحمه الله ونحن فى المسجد شَبَابٌ من شَبَابِ قريش ، فتنحّينا له عن الأُسطوانة

وقلنا : هاهنا يا عم، فقال : يا بنى أخى، أنتم لشيوخكم خيرٌ من مَهْرة[(١)] فإنه إذا كبِر الشيخُ فيهم شَدُّوه عِقالا ثم يُقال له : ثِبْ فيه ، فإن وَثَب خَلَّوا سبيلَه وقالوا : فيه بقيّةٌ من عُلالة ، وإن لم يَثِبْ قدّموه فضربوا عِلاوته[(٢)] وقالوا : لا يُصيبُكَ عندنا بلاءٌ .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعكَ أن تكون مثلَ أبيك؟ قال : الكسلُ . وقال يومًا لزَبْراءَ جاريةِ أبيه : يا زانيةُ ، فقالتْ : لو كنتُ كذلك جئتُ أباكَ بمثلكَ . أبو الحسن قال : جاء قومٌ إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارُكَ فلانٌ فمُرْ لنا بكفنٍ ، فقال : ما عندنا اليومَ شيءٌ ولكن تَعودونَ ، قالوا : أفنُملِي إلى أن يتيسَّرَ عندك شيءٌ! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحكَ اللهُ ، تُعيرُنا ثوبا نُكفِّنُ فيه ميتا؟ . قال قاسمٌ التمّارُ فى كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض . وقال أيضا : رأيتُ إيوانَ كسرى فإذا هو كأنما رُفِعت اليدُ عنه أوّلَ مِنْ أمس .

كان عبد الملك بن هلال الهينابىّ[(٣)] له زَبِيلٌ مملوء حصًا للتسبيح ، فكان يُسبّح بواحدةٍ واحدةٍ ، فإذا مَلَّ طرح ثِنتين ثِنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد مَلالُه طرحه قَبضةً قَبضةً وقال : سبحان الله عَدَدكَ ، فإذا ضَجِر أخذ بِعُرَى الزَّبيلِ وقال : الحمد لله بعددِ هذا كلِّه . دخل قومٌ منزلَ الرُّسْتُمِىّ لأمرٍ وقع ، فحضر وقتُ صلاة الظهر فقالوا : كيف القِبلَةُ فى دارِكَ هذه؟ فقال : إنما نزلناها منذُ شهر .

المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد عن حميد بن أبى البَخْترِىّ[(٤)] أن الشعبىّ قال : مَرِضتُ فلقيتُ ابن الحُرّ فأمرنى أن أمشى كل يوم إلى الثَّوِيّة ، فكنت أغدو كلَّ يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب و إليهم تنسب الإبل المهريّة .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس والعنق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد لهذه النسبة أصلا فى أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا فى الأصل الفتوغرافى وتؤيده كتب اللغة والأنساب ، وفى الألمانية «البحترى» بالحاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلمّا كنت فى جُهَينة الظاهرة[1] إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة مُتَّكئٌ على وِسادة ، فسلّمت ثم ألقيت نفسى على الرمل، فقال : لقد جلستَ جِلسة عاجز أو ضعيف، قلت : قد جمعتُهما، قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلى كانوا يتخوّفون علىّ ثلاثا : نقصان البصر وترك النساء والقِطَاف فى المشى، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدا وأراه آثنين، ولقد تركت النساء فما لى فيهن من حاجة، وإنى لأمشى فأُهَمْلج، قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائنىّ : ركب يزيد بن نَهْشَل النهشلىّ بعيرا وقال : اللّهم إنّك قلت:(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وإنّى لبعيرى هـذا لمُقْرِن ، فنفَر به فطرحه وبقيتْ رجله فى الغَرْز، فجعل يضرب برأسه كل حَجَر ومَدَر حتى مات .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : آختصمت الطُّفَاوة وبنُو راسِب[2] فى رجـل يدّعيه الفريقان إلى آبن عِرْباض، فقال : الحكم بينكم أبينُ من ذلك، يُلْقَى فى النهر فإن طفا فهو لطُفاوة، وإن رسَب فهو لبنى راسِب .

المدائنىّ قال : لمـا حضَرت الحُطَيْئَةَ الوفاةُ قيل له : أوصِ، قال : بم أوصى! مالى للذكور دون الإناث، فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا، فقال : لكنى آمُر به، ثم قال : ويلٌ للشعر من راوية الشعر، فقيـل له : أوصِ يا أبا مُلَيكة للمساكين بشىء، قال : أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبورَ . قيل : أعتق عبدَك يَسَارًا ، قال : آشهدوا أنه عبد مابقى . قيل : فلان اليتيم ماتُوصى فيه؟ قال : أُوصى أن تأكلوا ماله وتَنيكوا أمّه ، قالوا : ليس إلا هذا! قال : آحملونى على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلِّى أنجو، ومات مكانه .

(١) كذا فى النسخة الألمـانية، وفى الأصل الفتوغرافى : «الطاهرة» .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيّان من العرب .

لمّا حضرت سعدَ بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بَنىّ أوصيكم بالناس شرّا ، كلّموهم نَزْرا ، وانظروا إليهم شَزْرا ، ولا تقبلوا لهم عُذْرا ، قَصّروا الأعِنّة ، واشحَذوا الأسِنّة ، تأكلوا القريب ، ويرهَبْكم البعيد . ولمّا حضرت وكيعًا الوفاةُ دعا بَنيه فقال : يا بَنىّ إنّى لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرَحوا جِباهَهم وعرّضوا لِحاهم، يدّعون أن لهم على أبيكم دَينا فلا تَقْضُوهم ، فإنّ أباكم قد حَمل من الذّنوب ما إن غفر الله له لم تضرُرْه ، وإلّا فهى مع ما تقدّم .

تقدّم رجل من بنى العَنْبر إلى سَوّار فقال: إن أبى مات وتركنى وأخًا لى ، وخطّ خطّين ناحيةً ، ثم قال : وهَجينًا لنا ، ثم خط خطّا آخر ناحيةً ، ثم قال : كيف ينقسم المال بيننا؟ فقال : المال بينكم أثلاثا إن لم يكن وارثٌ غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك فهمت ، إنه تركنى وأخى وهجينًا لنا ؛ فقال سوّار : المال بينكم سواء ؛ فقال الأعرابىّ أيأخذ الهجينُ كما آخذ ويأخذ أخى؟ قال أجَلْ! فغضب الأعرابىّ وقال : تعلمَ والله أنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء ؛ فقال سوّار : إذًا لا يضرّنى [ذلك](1) عند الله شيئا .

قال بعض العُمّال لأعرابىّ : ما أحسبُك تدرى كم تصلّى فى كلّ يوم وليلة ؛ فقال: أرأيتَ إن أنبأتُك بذلك تجعلْ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابىّ :

إن الصّلاة أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
* ثم صلاةُ الفجرِ لا تُضَيَّعُ

قال : قد صدقتَ ، فسَلْ ؛ قال : كم فَقَارُ ظهرك؟ قال : لا أدرى ؛ قال : أفتحكُم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرنى رجل حضر مجلس محمد بن الجَهْم البرمكىّ أنه دخل عليه رجل يكتب فى حوائج له ، فقرأها ووعَده قضاءها ، فنهَض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفِظك وأتمّ نعمتَه عليك ؛ فقال له محمد بن الجهم : كتابى إليك وأنا فى عافية .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٩٢

طبـائع الإنسان

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه وجد فى التَّوْراة : إنّى حين خلقتُ آدم ركّبت جسده من أربعة أشـياء ثم جعلتها وِراثة فى ولده تنمى فى أجسادهم ويَنمُون عليها إلى يوم القيامة : رطْب و يابس وسُخن و بارد، وذلك لأنى خلقته من ترابٍ وماء ثم جعلت فيه نفسا و رُوحا، فيُبوسةُ كلّ جسدٍ من قِبَل التراب، ورُطوبتُه من قبل المـاء، وحرارته من قبل النفس، و برودته من قِبل الروح، ثم خلقت الجسد بعد هذا الخَلْق الأوّل أربعةَ أنواعٍ من الخَلْق الآخر وهى مِلَاكُ الجسد بإذنى وقِوامُه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ ولا تقوم واحدة إلا بهن، المِرّة الصفراء والمِرّة السوداء والدّم والبَلْغَم، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخَلْق فى بعضٍ فجعلت مَسْكَن اليبوسة فى المِرّة السوداء ومسكنَ الرطوبة فى الدم ومسكنَ البرودة فى البلغم ومسكنَ الحرارة فى المِرّة الصفراء، فأيّما جسدٍ اعتدلت فيه هذه الفِطَرُ الأربعُ فكانت كلّ واحدةٍ منهنّ رُبُعا لا يزيد ولا ينقص كمَلت صحّته واعتدل بُنيانه، و إن زادت واحدة منهنّ غلبتْهنّ وقهرتهن ومالت بهن ودخل على أخواتها السَّقَم من ناحيتها بقدر ما زادت و إذا كانت ناقصةً تقـلّ عنهنّ[(١)] مِلن بها وعلَونها وأدخلن عليها السّقم من نواحيهنّ لقلّتها عنهن حتى تضعُف عن طاقتهن وتعجِزَ عن مُقاومتهن[(٢)]؛ قال وهب : وجعل عقله فى دماغه وشَرهه[(٣)] فى كُلْيته، وغضبَه فى كَبِده، وصَرامتَه فى قلبه، ورُعبه فى رِئته، وضَحِكه فى طِحَاله، وحزنَه وفرحَه فى وجهه، وجعل فيه ثلثمائةٍ وستين مَفصِلا .

---

(١) فى الألمـانية : «وإذا كانت ناقصة تقلن عنها وملن ...» .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفى الأصلين : «عن مقاربتهن» والفعلان فيهما (تضعف وتعجز) بالياء والسياق يقتضى تاء التأنيث كما وضعنا .

(٣) فى الأصلين وسره . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

قال : حدّثنى زيد بن أخزم[(١)] قال : حدّثنا بِشر بن عمر عن أبى الزِّناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال «كلّ ٱبنِ آدم تأ كل الأرضُ إلا عَجْبَ الذنب منه خُلِقَ وفيه يُرَكَّب» . وقالت الحكماء : الخَنَث يعترِى ٱلأعراب والأكراد والزَّنج والمجانين وكلّ صنف إلا الخِصْيان فإنه لا يكون خَصِىٌّ مُخنَّث . وقالوا : كلّ ذى ريح مُنتنة وذفر كالتيس وما أشبهه ، إذا خُصِى نقص نَتْنُه وذهب صُنانه غير الإنسان فإنّ نتنه يشـتدّ وصُنانه يَحِدّ وعرقَه[(٢)] يخبُث وريحه . وكلّ شىء من الحيوان يُخصَى فإنّ عَظْمه يدقّ ، فإذا دقّ عظمُه ٱسترخى لحمه وتبرأ من عظمه خلا الإنسانَ فإنه إذا خُصِى طال عظمُه وعرُض . وقالوا : الخصىّ والمرأة لا يَصْلَعان ، والخصىّ تطول قدمه وتعظُم . وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم بِرذَونٌ رقيق الحـافر فخصَاه فجاد حافرُه ، ٱعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصِى عظُمت رِجله . قالوا : والخصىّ يشتدّ وقعُ رجله لأن معاقد عَصَبه تسترخى ، ويعتريه الاعوجاج والفَدَع فى أصابعه ، وتُسرع دَمعته ، ويتخدّد جلده ، ويُسرع غضبُه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السرّ . ويزعم قوم أنّ أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك عِلّةُ طول عمر البغل . وقالوا : علّةُ قِصَر عمرِ العُصْفُور كثرةُ سِفَاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قفَاه ، وإن كان ٱمرأةً أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضُرِبت عنقُه سقط على وجهه ثم يقلبه ذَكَرُه إذا ٱنتفخ . قالوا : وفى الغلمان من لا يحتلم أبدا ، وفى النساء من لا تحيض أبدا ، وذلك عيب . وفى الناس من لا يسقط ثَغْره ولا يستبدِل منه ، منهم عبد الصَّمَد بن علىّ ذكروا أنه دخل قبرَه برواضِعه .

---

(١) فى الأصل : أحزم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريحه ، وكتب فى التعليق عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريحه .

والضَّبّ لا تسقط له سنّ . وكذلك الخنزير لا يُلقِى[(١)] شيئا من أسنانه . ولذلك تقول العرب فى مَثَلٍ لها : "لا آتيك سِنّ الحِسْل[(٢)]" يريدون لا آتيك أبدا . وتقول الأطبّاء : إنه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أدِيم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته على الله . ويقول بعضهم : إن الجنين يغتذى دم الحيض يسيل إليه من السُّرّة بغذائه ، وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حملت فلانة سهوا ، إذا حاضت على الحمل . قال الهُذَلىّ[(٣)] يمدح رجلا :

ومُبَرَّأٍ من كلّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ❊ ورَضاعِ مُغْيِلةٍ وداءٍ مُعْضِلِ[(٤)]

فأعلمك أنها لم تر عليه دم حيض فى حملها ، ودلّ على أنه قد يكون . قالوا : فإذا خرج الجنين من الرَّحِم دفعت الطبيعة ذلك الدمَ الذى كان يغتذيه إلى الثَّدْيين ، وهما عُضوان ناهدان[(٥)] عصبيّان فغيّراه وجعلاه لبنا . يقول الله عزّ وجلّ : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) . قالوا : والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لا تبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نَفَق فى بطن الأرض أو مَغَارة قدّموا شَمْعة فى طَرَف قَناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب ما يريدون وإلّا أمسكوا . والعرب تتشاءم بِبِكْر ولد الرجل إذا كان ذكرا . وكان قيس بن زهير أزرق بِكْرًا بين بكرين .

---

(١) فى الأصلين : «وكذلك ... » وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل : ولد الضبّ . (٣) هو تأبّط شرّا . (٤) كذا فى الأصل ، وفى اللسان فى مادة «غبر» والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ ، وشرح الحماسة للتبريزى ج ١ ص ٤٣ .

❊ وفساد مرضعة وداء مغيل ❊ وقد أورده صاحب اللسان هكذا مجرورا وقال هو معطوف على قوله :

❊ ولقد سريت على الظلام بمغشم ❊ وهو صدر بيت متقدّم فى القصيدة . وفى شرح الحماسة للتبريزى : يروى مبرأ بالنصب ومبرإ بالجر ، فالنصب على قوله «غير مهبل» والجر عطف على قوله جلد من الفتيان . والغبّر بقايا الحيض . المغيلة : الحبلى أو التى تُغْشَى وهى ترضع ؛ ولكن الذى ورد فى اللسان والقاموس : أغيلت المرأة فهى مغيل . (٥) كذا فى الألمانية ، وفى الفتوغرافية «بادات» .

حدّثنى محمد بن عائشة عن حمّاد عن قَتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : بِكْر البِكرين شيطان مخلّد لا يموت إلى يوم القيامة ، يعنى من الشياطين . قالوا : وآبن المذكَّرة من النساء والمؤنَّث من الرجال أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أمّه . والعرب تذكُر أن الغَيْرَى لا تُنجِب . قال عمرو بن مَعْدِيكَرِب :

ألستَ تصيرُ [1] إذا ما نُسِبـ * ـتَ بين المُغارة [2] والأحمقِ

وقال بعض الحكماء : كلّ آمرأة أو دابّة تُبطِئ عن الحَبَل ، إذا واقَعها الفحلُ فى الأيام التى يجرى المـاء فى العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عُبيد الله بن الحسن : إذا أردت أن تُذْكِر المرأةُ فأَغْضِبْها ثم قَعْ عليها . وقال الحارث بن كَلَدة : إذا أردت أن تحبَل المرأة فمشِّها فى عَرْصة الدار عشرةَ أشـواط فإنّ رَحِمها ينزل فلا تكاد تُخلِف . والعـرب تقول : إن المرأة إذا لقِحت فى قُبُل الطُّهر [3] فى أوّل الشهر عند تبلّج الفجر ثم أذْكرت جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعانى :

لَقِحت فى الهلال عن قُبُل الطُّهـ * ـر وقـد لاح للصباح بشيرُ

ويقولون : إذا أكره الرجلُ المرأةَ وهى مذعورة ثم أذْكَرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلىّ :

حَمَلتْ به فى ليـلة مزءودةٍ * كَرهًا وعَقْدُ نِطاقها لم يُحلَلِ [4]

فأتت به حُوشَ الجَنان مُبَطَّنًا * سُهُدًا إذا ما نام ليلُ الهَوجَلِ [5]

ومُبرَّأً من كلّ غُبَّر حيضةٍ * ورَضَاعِ مُغْـيِلةٍ وداءٍ مُعضِلِ

---

(١) فى الاصل : قصيرا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أغارها زوجها بتزوّجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوّله . (٤) مزءودة : مذعورة ، وفى تعليقات الشيخ الشنقيطى على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب مزءودة والأصمعىّ يجرّها بجعل الزُّؤْد لليلة . وساق هذا البيت صاحب مغنى اللبيب فى أواخر الكتاب وقال : يروى بالجر صفة لليلة وبالنصب حالا من الضمير فى حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديده . ومبطن : ضامر البطن خميصه . وسهد : قليل النوم . والهوجل : البطىء الثقيل . وقد روى فى الأصل الفتوغرافى : * إذا ما قام ليل الهوجل * وهو تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب فى مادة : «حوش» .

يقول : لم ترعليه فى حملها دما باقيا من حيضةٍ ولا حملته وهى تُرضع ولا أرضعته وهى خامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبّ به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممتُ أن أَنْهَى عن الغِيلة (١) ثم ذكرتُ أن فارسَ والرومَ يفعلونه فلا يَضرّهم" وفى حديث آخر : "إنه ليُدرك الفارسَ فيُدَعْثِره" أى يطرحه .

حدّثنى إسحاق بن راهْوَيه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جَدّةً ٱبنةَ إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّلُ أوقاتِ حمل المرأة تسعُ سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى بنت تسع . وقال عبد الله ٱبن صالح : حدّثنى اللّيث عن ٱبن عَجْلان أن ٱمرأته حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال اللّيث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاثَ سنين حتى خافت أن يكون فى جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتى أهلنا . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أُمّه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولَد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحُبَاب عن ٱبن سِنَان قال : حدّثنى ثابت بن جابان العِجْلىّ أن الضَّحّاك بن مُزاحم وُلد وهو ٱبن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه رَوَى عن جُوَيْبر أن الضحّاك وُلد لسنتين . ووُلد شُعْبة لسنتين . حدّثنا الرياشىّ أو رجل عنه قال حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مُؤَمَّل عن ٱبن أبى مُلَيكة أن عمر رحمه الله قال : يا بنى السائب ، إنكم قد أضْويتُم (٢) فأنْكِحوا فى النزائع (٣) . قال : وقال

---

(١) ورد هذا الحديث فى طبقات ٱبن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل ٱمرأته وهى ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوىّ ، والضاوىّ : الضعيف . (٣) النزائع جمع نزيعة وهى المرأة التى تُزوّج فى غير عشيرتها .

الأصمعىّ قال رجل : بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوسَ الأبطال كآبن عَجَميّة . والعرب تقول : آغتربوا لا تُضْوُوا (١) ، أى آنكِحُوا فى الغرائب فإن القرائب يُضوين الأولادَ . قال الشاعر :

إنّ بِلالًا لم تَشِنه أُمّه * لم يتناسب خالُه وعمّه

وقال آخر :

تنجّبتُها للنسل وهى غريبةٌ * فجاءت به كالبدر خِرْقًا (٢) مُعَمَّمَا
فلو شاتم الفتيانَ فى الحىّ ظالمًا * لما وجدوا غير التكذّب مَسْلَمَا

وكان يقال : أنجبُ النساءِ الفَرُوك (٣) ، لأن الرجل يغلبها على الشَّبه لزهدها فى الرجال .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن المُنجبة التى تَنزِعُ بولدها إلى أكرم الجَدّين .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: حدّثنا حَرْب بن قَطَن قال: يقال : إن الرجل يستفرغ ولد آمرأتين، يُولد له وهو آبن تسعين سنة . وقالت عائشة: لا تلد آمرأةٌ بعد خمسين سنة . قالت الحكماء : الزِّنج شِرارُ الخلق وأردؤهم تركيبا لأن بلادهم سَخُنت فأحرقتهم الأرحامُ، وكذلك من بَرَدت بلاده فلم تَطبُخه الأرحام، وإنما فَضَل أهلُ بابِلَ لعلّة الآعتدال، قالوا : والشمسُ شيَّطت شعورَهم فقبَّضتها، والشعرُ إذا أدنيته إلى النار تجعّد، فإن زدته تفلفل، فإن زدته آحترق . وقالوا : أطيب الأُمم أفواها الزّنج وإن لم تستنّ (٤) ، وكل إنسان رطْبِ الفم كثيرِ الريق فهو طيّب الفم، وخُلوفُ فم الصائم يكون لخُثُورة (٥) الريق، وكذلك الخُلوف فى آخر الليل . وقالت الحكماء : كلّ الحيوان إذا أُلقِىَ فى الماء سبَح إلا الإنسانَ والقِردَ والفرسَ الأعسرَ (٦) ، فإن هذه تغرَق ولا تسبح إلا أن

(١) كذا بالأصلين ، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الفروك : المرأة تبغض زوجها . (٤) تستن : تستاك .
(٥) الخثورة ضدّ الرقّة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلّم الإنسان السِّباحة . قالوا : والرجل إذا ضُرِبتْ عنقُه فأُلقِىَ فى المـاء قام فى وسَط المـاء وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان المـاء أو ساكنا ، حتى إذا جيِّف انقلب وظَهَر بدنُه كلّه مُستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر مُنْكَبَّةً على وجهها . وقالوا : كل مَن قُطعت يداه لم يُجِد العَدْوَ ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجِد الطيَرَان . قالوا : وليس فى الأرض هارب من حرب أو غيرها يَستعمِل الحُضْرَ[١] إلّا أَخَـذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سَوْمَ طبيعته . ولذلك قالوا : بجاءك على وَحْشِيِّه[٢] ، وأنحى على شُؤْمَى يديه[٣] . وقالوا : كلّ ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشيّة والإنسية فإنمـا الأشفارُ لجَفْنه الأعلى إلا الإنسانَ فإن الأشفار — نعنى الهُدْبَ — لجفنيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس فى الأرض إنسان إلا وهو يطرَب من صوت نفسه و يعتريه الغلط فى شعره وولده . قال الطائىّ :

ويُسىء بالإحسانِ ظَنًّا لا كَمَنْ[٤] * هو بابنِـــه و بشِـــعره مفتونُ

وقالوا : كلّ ذى جِلْد فإن جلده ينسلخ إلا جلدَ الإنسان ، فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبَعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن ابن أبى طرَفة الهُذَلىّ عن جُنْدُب بن شُعَيب قال : إذا رأيتَ المولودَ قبل أن يغتذىَ من لبن أُمّه فعلى وجهه مصباحٌ من البيان[٥] ، يريد أن ألبان النساء تُغيّره ، ولذلك قولهم : اللبن يُشتَبَه عليه ، يراد أنه يَنزِعُ بالمولود فى شبه الظِّئْر . قال الشاعر :

لم أرضَع الدهرَ إلّا ثَدْىَ واحدةٍ * لِواضحِ الوجه يحمِى ساحةَ الدارِ

(١) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه . (٢) وحشىّ كل شىء شقه الأيسر وفى الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذى يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمى يديه : اعتمد عليها ، وشؤمى اليدين هى اليسرى ، وفى الأصلين «ألحى» بدل «أنحى» . (٤) فى الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدّثنى الزيادىّ قال : حدّثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عُمر أُتى بامرأة ولدت لستة أشهر فهمّ بها؛ فقال له علىّ : قد يكون هذا، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : اختصم رجلان فى غلام كلاهما يدّعيه؛ فسأل عمرُ أُمَّه؛ فقالت : غَشِيَنى أحدُهما ثم هَرَقْتُ دما، ثم غشِينى الآخر، فدعا عمرُ قائفين[(١)] فسألهما؛ فقال أحدهما : أَعلِنْ أم أُسِرّ؟ قال : أَسِرّ، قال : اشتركا فيه؛ فضربه عمر حتى اضطجع ثم سأل الآخر؛ فقال مثل قوله؛ فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمتُ أن الكَلْبة يسفَدها الكلابُ فتؤدّى إلى كلّ فحل نجلَه . ورُكَب الناس فى أرجلهم ورُكَب ذوات الأربع فى أيديها، وكل طائر كفُّه[(٢)] فى رجليه .

ما نقص خَلْقُه من الحيوان

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال : الفَرَسُ لا طِحَال له، والبعيرُ لا مَرَارة له، والظليمُ[(٣)] لا مُخّ لعَظْمه . قال زهير :

كأن الرَّحلَ منها فوق صَعْلٍ[(٤)] * من الظِّلْمان جُؤْجُؤُه[(٥)] هَوَاءُ

وكذلك طير الماء وحِيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدْمغة . وصَفْن[(٦)] البعير لا بَيضة فيه، والسَّمكة لا رِئة لها ولذلك لا تتنفّس، وكل ذى رِئة يتنفّس .

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى العقد الفريد . وفى الألمانية : ركبه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفى الفتوغرافية «صقل» .

(٥) الجؤجؤ : الصدر .

(٦) الصفن : وعاء الخصية .

المشتَرَكاتُ من الحيوان

الراعى[1] بين الوَرَشان[2] والحمامة[3] . والبَخاتىّ[4] من الإبل بين العِرَاب[5] والفَوالج[6] . والحمير الأَخْدَرِيّة من الأَخْدَر وهو فرس كان لأردشير توحّش فحَمَى عانَاتٍ[7] من الحمير فضرب فيها، وأعمارُها كأعمار الخيل . والزَّرافة بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الضِّبْعان[8]؛ واسمها اشْتُرْكَاوْ پَلَنْكَ[9] أى بين الجمل والكركند[10]؛ وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفَد الناقة فتجيء بولد خَلْقُه بين الناقة والضَّبُع، فإن كان ولدُ الناقة ذَكَرًا عَرَض للمَهَاة[11] فألقحها زَرَافة . وسُمِّيت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضَبُع؛ والزَّرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق: الكلاب تسفَدها الذِّئاب فى أرض سَلُوقيّة[12] فيكون منها الكلاب السَّلُوقيّة[13] .

(١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر القمارى كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل: «اليمامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتى جمع بختى: وهى الابل الخراسانية . (٥) العراب : إبل خلاف البخاتىّ كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل من السند للفحلة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حُمُر الوحش . (٨) هو الذكر من الضباع وهو مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصحاح مركبة من أشتر أى البعير وكاو أى البقر و پلنك أى النمر وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ و پلنك الضبع؛ والأوّل هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفتوغرافية «الكركى» وهو طائر كبير معروف . والكركند كما فى حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكركدّن ، ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس و يقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركاو پلنك) يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة الوحشية، وفى الأصلين : "المهرة" والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ . (١٢) نسبة إلى سَلُوق وهى قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الأصل «بينها» وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعـاديات

بين البُوم والغُراب عـداوة . و بين الفأْرة والعـقرب عداوة . و بين الغراب وآبن عِرْس عداوة . و بين الحِدَأَة والغُدَاف[١] عداوة . و بين العنكبوت و بين العَظَاءة[٢] عداوة . و بين الحيّـة و بين آبن عِرس عداوة . و بين آبن آوى[٣] والدَّجاج عداوة . و بين السِّنَّور والحَمَام عداوة . و بين البُوم و بين جميع الطير عداوة ، لأن البُومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقْوَ عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهى بالنهار تضربها وتنتِف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصِبها للطير . و بين الحمار و بين عُصفور الشوك عداوة ، ومتى نَهَقَ الحمار سقط بَيض عصفور الشوك . و بين الحمـار و بين الغراب عداوة . و بين الحيّة والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحيّة . والجمل يكره قُرب الفرس أبدا و يقاتله . و بين الأسد و بين الفيل عداوة . ويقال : إنّ الأسد والنَّمِر مختلفان ، والأسد والبَبْر[٤] متّفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

يقال : فلان «أسمعُ من قُراد»[٢] ، والقِردان تكون عند المـاء فإن قَرُبت الإبل منها تحرّكت وآنتعشت ، فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمعُ من فرس» . و«أحزم من فرخ العُقاب» ، وذلك أنه يكون فى عُرْض الجبل فلا يتحرّك فيسقط . و«أحلم من

---

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .

(٢) هذه لغة أهل العالية ، ولغة بنى تميم «العظاية» بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهرىّ : هى دويبّة ملساء تعدو وتتردّد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .

(٣) ابن آوى : حيوان طويل المخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر الدّميرى أن ابن آوى إذا مر تحت الدجاج وهى على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا .

(٤) الببر مضبوط فى اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح فى حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بآبن آوى .

(٥) القراد بالضم واحدته قرادة وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حيّة» . و«أهدى من قَطَاةٍ وحَمامة» . و«أخَفّ رأسا من الذئب» . و«أنوم من فَهْدٍ» . و «أظلم من حيّةٍ» ، وذلك لأنها تدخل جُحرَة الحَشَرات وتُخرجها . و «أحذرُ من غراب» . و«أصنع من تَنَوُّطٍ» ، وهو طائر يصنع عُشًّا مُدَلًّى من الشجر . و«أصنع من سُرْفةٍ» ، وهى دُوَيْبَّة تعمل بيتا من قطَع العِيدان . و «أسرق من زَبَابَةٍ» ، وهى فأرة بَرِّيَّة . و«أسرق من كُنْدُشٍ» وهو العقْعَق ؛ ويقال أيضا : «أحمق من عَقْعَقٍ» لأنه من الطير الذى يُضيّع فِراخَه . و «أخرقُ من حمامةٍ» ، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ فربما وقع البيض فانكسر . قال عَبِيدُ بن الأبرص :

عَيُّوا بأمرِهِمُ كما * عَيَّتْ ببَيضتها الحَمامهْ
جعلَتْ لها عُودَينِ من * نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامهْ (١)

يقول : قَرَنت النَّشَمَ بالثُّمام وهو ضعيف فتكسّر ووقع البيض فانكسر . وفى الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام قال للحَوارِيّين : كونوا حُلَماء كالحيّات وبُلْهًا كالحمام . و«أعقّ من ضَبّ» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبرّ من هِرّة» ، وهى تأكل ولدها من شدّة محبّته . و «أروغُ من ثَعْلَبٍ» . و«أموَقُ من رَخَمةٍ» (٢) . و «أزهَى من ذُبابٍ» لأنه يقع على أَنف الملك وتاجه . و «أصنعُ من الدَّبْر» ، وهى النَّحل . و «أسمحُ من لافظةٍ» ، ويقال : هى العَنْز تسمحُ بالحَلَب ، ويقال : الرّحا ، لأنها تلفظ ما تطحَنه لا تحبس منه شيئا . و «أصْرَدُ من عين حِرْباء» (٣) . و «ألحّ من الخُنْفَساء» . و «أخْيَلُ من مُذَالةٍ» ، وهى الأَمَة تُهان وهى تَبختر . و «أحلم من فرخ الطائر» . و «أكيَسُ من قِشّةٍ» ، وهى القِرْدة . و«أجبن من صافِرٍ» ، وهو ماصفَر من الطير ، ويقال : هو

---

(١) النشم بالتحريك : شجر جبلىّ تتخذ منه القسىّ ، والثمامة واحدة الثمام : نبت ضعيف .

(٢) أموق : أحمق ، من المُوق وهو الحمق . (٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : الحرباء . بالتعريف ، وعلله بأن الحرباء يستقبل الشمس أبدا بعينها تستجلب إليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضا .

الصّافر بالمراة للريبة[1] . و «أنمّ من صُبح» . و «أبعد من بَيض الأَنُوق» ، والأنوق: الرَّخمة تبيض فى أعالى الجبال والشواهق حيث لا يبلغه سَبُع ولا طائر. و «أشجع من لَيث عِفرِّين»[2] ، قال بعضهم : هو الأسد، كأنه قال : أشجع من ليث لُيوث تعفر من نازعها وتصرَعه ، وقال الأصمعىّ : هو دابّة مثل الحِرْباء يتحدّى الراكبَ ويضربه بذَنَبه . و «أحنُّ من شارِفٍ» ،وهى الناقة المُسنّة . و «أسرع من عَدْوَى الثُّوَباء» . و «أروَى من النَّقّاقة» ،وهى الضَّفَادع . و«أزنَى من قِرْدٍ» ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزنا . و «أخدعُ من ضَبّ» . و «أشأم من الزَّرْقاء»[3] وهى ناقة .

الأنعـــام

حدّثنى يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلىّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما خلَق الله دابّة أكرم عليه من النّعجة" وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن إهَاب بن عُمَيْر قال : كان لنا جمل يعرِف كَشْجَ الحامل من غير أن يَشُمَّها[4] . قيل لأبنة الخُسّ[5] : ما تقولين فى مائة من المَعز؟

(١) وفى النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس «هو الذى يصفر لريبه فهو وَجِل أن يُظهَرَ عليه» ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ » .

(٢) فى الأصلين « تعقر » والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سيق الفعل لبيان الأشتقاق . (٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : «أشأم من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهى مشئومة وذلك أنها ربما نفرت فذهبت فى الأرض . وما فى الأصل حكاه الميدانى عن أبى الندى وقال : الزرقاء ناقة نفرت براكبها فذهبت فى الأرض . (٤) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل الفتوغرافى هكذا «يسها» وفى النسخة الألمانية «يسهى» . (٥) ابنة الخس : امرأة من إياد جاءت عنها الأمثال وأسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قِنًى ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى . والعرب تضرب المثل فى الصَّرَد[١] بالمِعْزَى فتقول : « أَصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء » . وسئل دَغْفَلٌ عن بنى مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطِيرة ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المُغيرة ، فإنّ فيهم تَشَادُقَ الكلام ، ومُصاهَرةَ الكِرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعْزَى : الآسْتُ جَهْوَى[٢] ، والذنَبُ أَلْوَى ، والجلدُ رُقاق ، والشعَر دُقاق . قالوا : والضأن تضع مرّة فى السنة وتُفرِد ولا تُتْئِم ، والماعز قد تلد مرتين فى السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنَّماء والبَرَكة والعدد فى الضّأن ، وكذلك الخنازير تضع الأُنثى منها عشرين خِنَّوْصًا ولا نَماء فيها . ويقال : الجَواميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأن الإبل ، والبراذِين ضأنُ الخيل ، والجِرذان ضأنُ الفأر ، والدُّلْدُل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأن الذّرّ . ويقول الأطبّاء فى لحم الماعز : إنّه يورث الهمّ ويحرّك السَّوداء ويُورِث النِّسيانَ ويُخَبِّل الأولادَ ويُفسد الدّم ، ولحمُ الضأن يضرّ بمن يُصْرَع من المِرّة إضرارا شديدا حتى يصرَعَهم فى غير أوان الصَّرْع . وأوانُ الصرع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مَدّ البحر وزيادة الماء والدّم . ولزيادةِ القمرِ إلى أن يصير بدرا أثرٌ فى زيادةِ الدّمِ والدماغ وجميع الرُّطوبات ، قال الشاعر :

كأنّ القوم عُشّوا لحمَ ضأْنٍ * فهم بَعِجُونَ[٣] قد مالت طُلَاهُمْ

وفى الماعزة : إنها ترتضع من خِلْفِها[٤] وهى مُحَفَّلة[٥] حتى تأتىَ على كلّ ما فيه ؛ قال آبن أحمر

---

(١) الصرد : البرد ، لأنّ المعزى لاتدفأ لقلة شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة (٣) الرجل البعج : الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ؛ وفى النسخة الألمانية : « فهم يعجون » بالياء المثناة وهو تحريف .
(٤) الخلف بالكسر : حلمة الضرع . (٥) المحفّلة : التى تُرك حلبها أياما ليجتمع اللبن فى ضرعها .

إنى وجدتُ بنى أَعيا[1] وجاملَهم[2] * كالعَنز تعطِفُ رَوْقَيها[3] فترتَضِعُ

وإذا رعت الضائنةُ والماعزة فى قصير نبتٍ لم ينبُت ما تأكله الماعزة لأنّ الضائنة تَقرِضه بأسنانها والماعزةَ تقتلعه وتجذِبه فتنثُره من أصله. وإذا حمل على الماعزة فحملتْ أنزلت اللّبن فى أول الحمل إلى الضَّرْع، والضائنة لا تُنزِل اللبنَ إلا عند الوِلاد، ولذلك تقول العرب: «رمَّدتِ المِعْزَى فرَنِّقْ رَنِّق»[4] و«رمَّدت الضأنُ فربِّقْ ربِّق»[5]

وذكورُ كلّ شيء أحسنُ من إناثه إلا التُّيوسَ فإنها أقبح من الصَّفَايا. وأصوات الذكور من كلّ شيء أجهرُ وأغلظ إلا إناثَ البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها.

قيل لأعرابىّ: بأىّ شيءٍ تعرف حَمْل شاتِك؟ قال: إذا ورم حَياؤها ورجَّتْ شِعْرتُها وآستفاضت خاصرتها.

قال الأصمعىّ: لبنى عقيل ماعِزة لا ترِد، تجتزِئ بالرُّطب. وقرأت فى كتاب من كتب الروم: إن أردت أن تعرف ما لونُ جنينِ النعجة فانظر إلى لسانها فإنّ الجنين يكون على لونه. وقرأت فيه أنّ الإبل تتحامَى أمّهاتِها وأخواتِها فلا تسفِدها.

قالوا: وكلّ ثور أفطسُ[6]، وكلّ بعير أعلمُ[7]، وكل ذُباب أقرح[8]. وقالوا: البعير إذا صعُب وخافه الناس آستعانوا عليه حتى يُبْرَكَ ويُعْقَل ثم يركَبَه فحلٌ آخر فيذِلّ. والعرب تعرف

---

(١) كذا فى الأصل والصحاح والذى فى اللسان فى مادة «رضع»: * إنى رأيت بنى سهم وعزهم * و«أعيا» أبو بطن من أسد كما فى اللسان. (٢) الجامل قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها. (٣) الروق: القرن، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم. (٤) الترميد: أن تعظم الضروع. والترنيق: الانتظار. والمعنى أن عِظم ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها. (٥) أى هئ لأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه عدّة عُرى يُشد به البَهم. كل عروة ربقة بالكسر والفتح) يعنى أن عِظم ضروع الضأن يدل على قرب ولادتها، وهو مثل يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأوّل. (٦) الأفطس: الذى تطأمنت قصبة أنفه وآنتشرت أو آنشرم أنفه فى وجهه. (٧) الأعلم: المشقوق المشفر الأعلى. (٨) الأقرح: الذى بوجهه قرحة تظهر كالغرة.

البعير المُغَدّ(١) بسقوط الذباب عليه. ويقولون : بعير مَذْبوب إذا عَرَض له داء يدعو الذباب إلى السقوط عليه. وقال بعض القُصّاص: مما فضّل الله به الكَبْش أن جعله مستور العَورة من قُبُل ومن دُبُر، ومما أهان به التَّيس أن جعله مهتوكَ السِّتر مكشوف القبل والدّبر.

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أُمَيّة عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه قال: كان فى مناجاة عُزَيْر(٢): اللّهم إنك آخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحُبْلة(٣)، ومن البيوت بكّة(٤) وإيلياء، ومن إيلياءَ بيت المَقدس. وفى الحديث أنّ آمرأة أتت النبي عليه السلام فقالت: يا رسول الله، صلى الله عليك، إنى آتخذتُ غنما ابتغى نَسلها ورِسْلها(٥) وإنها لا تنمو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ألوانها"، قالت: سُود، فقال: "عفِّرى(٦)"، وبعَثَ إلى الرُّعيان "من كانت له غَنَمٌ سُود فليخلِطْها بعُفْر فإنّ دم عَفْراء أزكى من دم سَوداوَيْن". وقال: "الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أقبلت. والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم(٧)" والأقِط قد يكون من المِعْزَى؛ قال آمرؤ القيس:

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقها غِزارٌ * كأنّ قُرونَ جِلّتِها عِصِيٌّ
فتملأ بيتنا أقِطًا وسمنًا * وحسبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيّ

وقالوا: شِقْشِقة البعير: لَهَاتُه يُخرجها. ومن أحسن ما قيل فى الغنم قول مُخارِق آبن شِهاب فى تَيْس غنمه:

---

(١) أغدّ البعير: أصيب بالغدة، وهى طاعون الإبل. (٢) فى النسخة الألمانية "فى مناجاة عزيز الله إنك..." وظاهر أنه تحريف. (٣) الحبلة تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكرم وعلى شجر العضاه. (٤) بكة: مكة. وإيلياء: اسم مدينة بيت المقدس. (٥) الرِّسل: اللبن. (٦) عفرى: من العفر وهو البياض. (٧) الأشأم: الشمال.

وراحت أَصَيلانا كأنّ ضروعَها * دِلاء وفيها واتدُ[1] القَرن لَبْلَبُ[2]
له رعثاتٌ[3] كالشُّنوف[4] وغُرّةٌ * شَديخٌ[5] ولونٌ كالوَذيلة[6] مُذهَبُ
وعينا أحمِّ المقلتين وعُصمةٌ[7] * يواصلها دانٍ من الظِّلف[8] مُكنِبُ[9]
إذا دَوحةٌ من مُخرِفِ[10] الضال أذبلت * عطاها[11] كما يعطو ذُرى الضال قَرهبُ[12]
أبو الحُور والغُرّ اللواتى كأنّها * من الحسن فى الأعناق جَزْعٌ[13] مُثقَّبُ
ترى ضَيفها فيها يبيت بِغبطةٍ * وضيفُ ابن قيسٍ جائعٌ يتحوّبُ[14]

فوفد ابن قيس هذا على النُّعمان فقال: كيف المُخارق فيكم؟ قال: سيِّدٌ كريمٌ من رجل[15] يمدح تَيسه ويهجو ابن عمّه. قال العجّاج فى وصف شاةٍ: حمراء المُقدَّم شعراء المؤخَّر إذا أقبلت حسبتَها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أى كأنها تعطِس، يريد من أىّ أقطارها رأيتَها وجدتَها مُشرقة.

---

(١) واتد القرن: منتصبه. (٢) قال صاحب اللسان: أراد باللبلب شفقته على المعزى التى أُرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة. (٣) رعثتا الشاة: زنمتاها تحت الأذنين. وفى الأصل الفتوغرافى: غرثات وهو تحريف. (٤) جمع شنف وهو القرط، وفى الأصل الفتوغرافى كالسيوف وهو تحريف. (٥) غرة شادخة وشديخ: غشت الوجه من الناصية إلى الأنف.

(٦) المرآة أو قطعة من الفضة مجلوة. (٧) العصمة: البياض فى ذراعى الظبى أو الوعل.

(٨) الظلف: ظفر كل ما اجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبى وما أشبهها.

(٩) مكنب: غليظ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد.

(١٠) المخرف: الذى حان خرافه أى اقتطاف ثمره.

(١١) من العطو وهو التناول. (١٢) القرهب من الثيران: المسنّ الضخم.

(١٣) الجزع بالفتح و يكسر: الخرز اليمانى الصينى فيه سواد و بياض.

(١٤) يتحوّب: يتوجّع. كذلك وردت فى كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفى الفتوغرافية: «يخوب» ولم نجد هذا الفعل و إنما ورد الخوبة: المجاعة.

(١٥) هكذا بالأصول، والذى فى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١٤٠ «سيد شريف يمدح» الخ بدون من رجل.

قال الأصمعىّ : قال أعرابىّ يهزأ بصاحبه : اشتر لى شاة فقماء[1] كأنها تضحك ، مُندلِقةً[2] خاصرتاها ، لها ضَرْع أرقط كأنّه جَيْب ؛ قال : فكيف العَطَل؟ قال : أنّى لهذه عَطَل! العطل : العُنق . يقول : من سِمَنها يُحسب أنه لا عُنق لها .

ومما تقوله العرب على ألسنة البهائم . قالت الضائنـة : أُولَّد رُخَالا[3] وأُجَزّ جُفَالا وأُحلَب كُثَبًا ثِقالا ولم تَرِمثْلى مالا حُفَالًا[4] . تقول : أُجَزّ مرّة وذلك أن الضائنـة إذا جُزّت لم يسقط من صوفها شىء إلى الأرض حتى يُؤتى عليـه ؛ والكُثَب جمع كُثْبة وهى الدُّفعةُ من اللبن ، تقول : أُحْلَبُ دُفَعًا ثقالا من اللبن ، وذلك لأن لبنها أدسَم وأخثَر من لبن المعز فهو أثقل .

السباع وما شاكلها

يقال : إنه ليس شىء من السِّباع أطيبَ أفواها من الكلاب[5] ، ولا فى الوحوش أطيب أفواها من الظِّباء . ويقال : ليس شىء أشدّ بَخَرا من أسد وصَقْر ، ولا فى السباع أسبح من كلب . وليس فى الأرض فَحْلٌ من جميع أجناس الحيوان لذَكَره حَجْم ظاهر إلا الإنسان والكلب . والأسد لا يأكل الحارّ ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض[6] وكذلك أكثر السباع . وتقول الرُّوم : إن الأسد يُذْعَر بصوت الدِّيك[7] ولا يدنو من المرأة الطامِث[8] . والأسدُ إذا بال شغَر[9] كما يشغَر الكلب ؛ وهو قليل الشرب للمـاء ، ونَجْوُه

---

(١) الفقم : تقدّم الثنايا العليا . (٢) فى الأصل الفتوغرافى منذلفة بالذال المعجمة والفاء وفى الألمـانية «منذلقة» بالذال المعجمة والقاف . ولعل الصواب ما أثبتناه ؛ والاندلاق : الأسترخاء . (٣) الرخال : جمع رخل بالكسر وبهاء وككتف : الأنثى من ولد الضأن . (٤) الحفال كغراب : العظيم . (٥) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهى أنسب بالسياق . وفى الأصلين : «الكلب» . (٦) كذا فى العقد الفريد وفى الأصلين : «الحموضة» . (٧) كذا فى النسخة الألمـانية ، وفى الفتوغرافية : من صوت «الذئب» . وعبارة الدميرى «يفزع من صوت الديك ونقر الطست» . (٨) من الطمث وهو الحيض ، وعبارة الدميرى : «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد» . (٩) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل .

يشبه نَجو الكلب، ودواء عَضَّته دواء عضّة الكَلْب الكَلِب . وقالوا : العيون التى تضىء بالليل عيونُ الأُسْد والنُّمور والسَّنانير والأَفاعىّ . والعرب تقول هو: «أحمقُ من جَهِيزَة» وهى الذِّئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُع إذا صِيدت أو قُتلت عالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خامَرتْ فى بيتها أمُّ عامرٍ (١) * لدى الحَبل (٢) حتى عال أَوْسٌ (٣) عِيالها

أوسٌ : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع فى قَيئها : الأسدُ والكلب والسِّنَّوْر ، ويقال : الضّبّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلَب وهو جنون ، والذُّبَحة والنِّقْرِس . والعرب تقول : دماء الملوك شِفاء من عَضّة الكَلْب الكَلِب والجنونِ والخَبَل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميِّين الذين دِماؤهم * شفاء من الداءِ المَجَنَّة والخَبْل

وبلغنى عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عضّة الكَلْبِ الكَلِبِ الذَّرارِيحُ (٤) والعدَس والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذكر كيف صَنْعته وكم يُشرَب منه وكيف يُتعالج به ، والكَلْبُ الكَلِبُ إذا عضّ إنسانا فربما أحاله نَبَّاحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجْرٍ (٥) صغار تراها عَلَقا فى صُوَر الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل، وروى «لذى الحبل» والمراد بذى الحبل الصائد الذى يعلق الحبل فى عرقوب الضبع .

(٣) كذا فى الأصلين وفى لسان العرب فى مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا فى مادة أوس : غال أوس بالغين المعجمة وقال فى تفسيرها : يعنى أكَل جراءها .

(٤) الذراريح جمع ذُرُّوح وهى دويبة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليَقْظان : كان الأسـود بن أوس بن الحُمَّرة أتى النجاشيّ فعلّمــه دواء الكَلَب، فهو فى ولده إلى اليوم. فمن ولده المُحِلّ، وقد داوى المُحِلُّ عُتَيبةَ بن مِرداس فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقًا، قال ابن فَسْوة(١) حين برأ :

ولولا دواء ابن المُحِلّ وعلمُــه * هررتَ إذا ما الناس هرّ كَلِيبُها
وأخرجَ بعدَ الله أولادَ زارِعٍ(٢) * مُوَلَّعةً(٣) أكتافُها(٤) وجُنوبُهــا

الكَلِيب : جمع كلبٍ على غير قياسٍ مثل عبد وعبيد .

وعضّ رجلا من بنى العنبر كلبٌ كَلِبٌ فبال علقا فى صُوَر الكلاب، فقالت امرأته :

أبالَكَ أدْرَاصًا(٥) وأولادَ زارعٍ * وتلك لَعَمْرِى نُهْيةُ المتعجِّبِ

ويزعمون أنّه يطلب المـاء أشدّ طلب، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد لا أريد، أو شيئا فى معنى ذلك . قالوا : وتمام حَمل(٦) الكلْبة ستّون يوما، فإن وضَعت فى أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش. وإناث الكلابِ تحيض فى كل سبعةِ أيامٍ؛ وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَفْر(٧) الكلبة ولا تُريد السِّفادَ فى ذلك الوقت . وذكُورُ السَّلُوقيّة تعيش عشرين سنة، والإناثُ تعيش اثنتى عشرةَ سنة . وليس يُلقى الكلب شيئا من أسنانه سوى النابَين .

قالوا : وعلامةُ سرعةِ الكلب أن يطولَ ما بين يديه ورجليه ويكونَ قصيرَ الظهر. ويوصف الكلب بصغر الرأسِ وطولِ العُنُق وغلظها وإفراط الغَضَف(٨) وزَرَق المعينين

---

(١) ابن فسوة كنية عتيبة بن مرداس، وظاهر ما فى الأصل أن البيتين لعتيبة نفســه ولكن المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب، ومنه قيــل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون فى الدابة ضروب من الألوان . (٤) فى النسخة الألمـانية : «أكتافها» . (٥) جمع درص — بالفتح و يكسر — وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) فى النسخة الفتوغرافيــة « وأيام » . (٧) الثفر — بالفتح و يضم — للباع والمخالب كالحياء للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعِظم المقلتين وطول الخَطْم مع اللطافة وسَعة الشِّدقين ونُتوء الحـدقة ونتوء الجَبْهة وعَرضها، وأن يكونَ الشَّعر الذى تحت حَنَكه طاقةً طاقةً ويكونَ غليظا، وكذلك شعر خَدّيه، ويكونَ قصيرَ اليدين طويل الرجلين عريض الظهر طويل الصدر، فى ركبته آنحناء. ويكره للذكور طول الأذنابِ. ومن علامةِ الفَراهة التى لا تكاد تَخَلَّف أن يكون على ساقيه أو على أحدهمـا أو على رأس الذنب مِخْلَبٌ، وينبغى أن يُقطَع من الساقين. وسودُ الكلاب أعقرُها، ولذلك أُمر بقتلها.

قالوا: وإذا هَرِم الكلبُ أُطعِمَ السَّمْنَ مِرارا فإنه يعود كالشابّ، وإذا حفِى دُهِنت آسـته وأُجِمَّ[1] ومُسِح على يديه ورجليه القَطِرانُ. وإذا بلغ أن يَشْغَر فقد بلغ الإلقاحَ. والكلب من الحيوان الذى يحتلم. قالوا[2] فى الكلبة: إنه يسفِدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدّى إلى كلّ سافدٍ شكلَه وشبَهه.

قعد جماعة من أصحابنا يعدّون ماجاء فى الكلب من الأمثال فحفظت منه: «ألأمُ من كلبٍ على عَرْق[3]» و«أجِعْ كلبك يتبعْك» و«نَعِيم كلبٍ فى بُؤس أهله» و«أسمِنْ كلبك يأ كلْك» و«أحرصُ من كلبٍ على عِقْىِ[4] صبىّ» و«أجوعُ من كلبةِ حَوْملَ» و«أبولُ من كلبٍ» و«جلس فلان مَزْجَرَ الكلب» و«الكلابَ على [البقر][5]» و«الكلبُ أحبّ أهلِه إليه الظاعن» و«هو كالكلب فى الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابّة تعتلف».

---

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى، وفى النسخة الألمـانية: «أرجم». وأُجِمّ: تُرِك ليستعيد قوّته.

(٢) فى الأصلين: «قالوا وفى الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة.

(٣) العرق: العظم أُكل لحمه، أو العظم بلحم.

(٤) العِقْىُ: أوّل حدث الصبىّ.

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة.

الذئب

الذئب إذا سفَد الذئبة فالْتحم الفَرْجان وهجم عليهما هاجِمٌ قتلهما كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السِّفاد توخّى موضعا لا يَطَؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذئب إذا نَهَش شاة ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لحمها وخفَّ وسلِمت من القِرْدان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبَحّ الذئبُ صوتَ ذلك الإنسان. وقالوا : فى طبع الذئب محبّة الدّم، ويبلغ به طبعُه أنّه يرى الذئب مثلَه قد دَمِي فيثِب عليه فيُمَزّقه؛ قال الشاعر (١) :

وكنتَ كذئب السوء لمّـا رأى دمًا * بصاحبـه يوما أحالَ (٢) على الدّم

قالوا : والفرس إذا وطِئ أثرَ الذئب ثقُلت قائمته التى وطِئ بها . وفى كتاب علىّ رضى الله عنه إلى ابن عبّاس : لمّـا رأيتَ العدوّ على ابن عمّك قد حَرِب، والزمانَ قد كلِب، قَلبت لابن عمّك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين، وخذْلانه مع الخاذلين ، واختطفْتَ ما قدَرتَ عليه من الأموال اختطافَ الذئب الأزَلّ (٣) داميةَ المِعْزَى . ويقولون : إنّ الذئب ربمـا نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

ينام بإحدى مُقلتيــه ويتّقى * بأُخرى المنايا فهو يَقْظانُ هاجعُ (٤)

والذئب أشــدّ السِّباع مطالبة، وإذا عجز عَوَى عُوَاء استغاثة فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله؛ وليس شىء من السِّباع يفعل ذلك .

---

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزلّ : الأرسح (الخفيف الوركين) يتولّد بين الضبع والذئب .

(٤) فى العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نائم *

الفيـــــل

قالوا : لِسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُه إلى داخل . والهند تقول : لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلّم . والفيل إذا ساء خُلُقه وصَعُب عَصَبوا[1] رجليه فسكَن . وليس فى جميع الحيوان شىء لذكوره ثَدى فى صدره إلا الإنسانُ والفيلُ . والفيل المغتلِم إن سمع صوت خِنَّوص من الخنازير ٱرتاع ونفر . والفيل يفزَع من السِّنَّور . وتزعم الهند أن نابَىْ الفيل هما قَرْناه يخرُجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرُجا أعْقَفين . وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سـنة . وقال حدّثنى شيخ لنا قال : رأيت فيلا أيام أبى جعفر قيـل : إنه سجد لسابور ذى الأكتاف ولأبى جعفر ، والفِيلة تضعُ فى سبع سنين .

الفَهْـــد

قالوا : السِّباع تشتهى رائحةَ الفَهْد ، فإذا سمِن الفهد عرَف أنّه مطلوب وأنّ حركته قد ثقُلت فأخفى نفسه حتّى ينقضىَ الزمان الذى تسمَن فيه الفُهود . ويعترى الفهدَ داء يقال له خانقــةُ الفهود ، فإذا ٱعتراه أكل العَذِرة فبرَأ . والوحشىّ المُسنّ منها فى الصيد أنفع من الجَرْو المُربَّب[2] .

الأَرنَب

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمَن إلا بزيادةِ اللحم . وقَضيب الذّكَر من الأرانب ربما كان من عَظْم ، وكذلك قضيب الثعلَب . والأرنب تنامُ مفتوحةَ العين . وإنْفَحة[3] الأرنب إذا شربتها المرأةُ من بعد أن تطهُر من المحيض مُنِعت من الحَبَل . والكَلَف إن طُلِى بدم الأرنب أذهبه .

(١) بالأصلين : « وضعف » وظاهر أن ما أثبتناه هو الذى يلائم السياق . (٢) المربّب : الذى يربّونه . لأن الجرو يخرج خبًّا ويخرج المسن على التأديب صبورا غير خب . كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شىء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش .

القِرْد والدُّبّ

قال : حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال : حدّثنى سَلْم بن قُتَيبة عن هشام عن حُصَــين وأبى بَلْج عن عمرو بن ميمون قال: زَنَتْ قِرْدَةٌ فى الجاهليّة فرجَمها القرود ورجمتُها معهم . قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغَيرة إلا الإنسانُ والقِردُ؛ قالوا : والدَّيْسَم جِرْو الدُّبّ تضعه أمّه وهو كَفِدْرَة لحم فتهرُب به فى المواضع العالية من الذَّرّ والنّمل حتى تشتدّ أعضاؤُه .

مصايد السباع العادية

السباع العادِيَة : تُصطاد بالزُّبَى والمُغَوَّيات[١] وهى آبار تُحفر فى أَنْشَاز[٢] الأرض ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيلُ الزُّبَى»[٣] ، قال صاحب الفِلَاحة : ومما تُصاد به السباعُ العادية أن يؤخذ سَمَك من سمــك البحر الكِبَار السِّمان فتقطع قِطعا ثم تُشَرَّح ثم تُكَتَّل كُتَلا ثم تؤجّج نار فى غائط[٤] من الأرض يقرب فيــه السباع ثم تقذف تلك الكُتَل فى النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُتَار[٥] تلك الكُتَل فى تلك الأرض ثم تُطرح حولَ تلك النار قطعٌ من لحم قد جعــل فيها الخَرْبَق[٦] الأسود والأَفْيُون وتكون تلك النار فى موضع لا تُرَى فيه حتى تُقبِل السباع لريح القُتَار وهى آمنة فتأ كل من قطع اللحم ويُغشَى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

---

(١) المغوّيات بفتح الواو مشدّدة : جمع المغواة وهى حفرة كالزبية تحتفر للأسد

(٢) أنشاز جمع نشز وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء ، وهى كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض .

(٥) القتـار : ريح الشواء .

(٦) الخربق بجعفر : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

قالوا فى الظَّلِيم : إن الصيف إذا أقبل وآبتدأ البُسر فى الحمرة آبتدأ لون وَظيفيه[1] بالحمرة ولا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفى الظليم : إنّ كل ذى رجلين إذا آنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلَعٍ غيرَه فإنه إذا آنكسرت إحدى رجليه جَثَم ، ولذلك قال الشاعر فى نفسه وأخيه :

فإنّى وإيّاه كرِجْلَىْ نَعامــةٍ * على ما بِنا من ذى غِنًى وفقيرِ

يقول : لا غنى بواحد منّا عن الآخر . وقال آخر :

إذا آنكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا ولا باستها[2] حَبْوا[3]

قالوا : وعلة ذلك أنه لا مُخّ له فى ساقيه ، وكلُّ عظم فهو ينجبر إلا عظما لا مخّ فيه ؛ وزَمانِخُ[4] الشّاءِ لا تنجبر ؛ قال الشاعر :

أَجِدَّكَ لم تَظلَعْ بِرجل نعــامةٍ * ولستَ بنهّاضٍ وعظمُكَ زُمْخُــرُ

أى أجوف لا مخّ فيه . والظليم يغتذِى المَرْوَ والصَّخْرَ فتُذيبه قانِصتُه[5] بطبعها حتى يصيرَ كالمــاء ؛ قال ذو الرمّة يذكره :

---

(١) الوظيف : مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما والجمع أَوْظِفة ووُظُف .

(٢) فى العقد الفريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفى الأصل : «جبرا» .

(٤) الزمانح جمع زُمْخَرَة وهى كلّ عظم أجوف لا مخّ فيه .

(٥) القوانص للطير كالمصارين لغيرها .

ألهــاه آءٌ(١) وتَنُّـــومٌ(٢) وعُقْبتُـــه(٣) * من لائحِ المَرْو والمَرْعَى له عُقَبُ

قال أبو النجم :

والمروُ يُلقيـــه إلى أمعائهِ * فى سَرْطَمٍ(٤) هادٍ على ٱلتوائهِ

والظليم يبتلع الجَمرة وربما أُلقى الحَجَر فى النار حتى إذا صار كأنّه جمرة قُذِفَ به بين يديه فيبتلعه وربمــا ٱبتلع أوزانَ الحديد . وفى النعامة إنها أخذت من البعير المَنْسِم والوظيفَ والعُنُقَ والخِزَامَةَ ؛ ومن الطائر الرِّيشَ والجناحين والمنقارَ فهو لا بعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حَجَر :

وتَنهَى ذوى الأحلام عنّى حُلومُهم * وأرفــعُ صـــوتى للنَّعام المخــزَّم

جعله مخزَّما للخَرْقين اللذين فى عَرْض أنفــه فى موضع الخِزَامة من البعير . قال يحيى بن نَوْفَل :

ومثـــل نعامةٍ تُدعَى بعـــيرًا * تُعَاصِينا(٥) إذا ما قيـــلَ طيرى
فإن قيـــل ٱحملِى قالت فإنى * من الطير المُرِبّة(٦) فى الوُكور

وتقول العرب فى المثل : هذا «أَمْوَقُ من نعامةٍ» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطُّعْم فترّت ببَيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو ٱبن هَرْمةَ :

---

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ٱبن سيده : التنوم : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلّق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ، وواحدته تنومة . (٣) قال فى اللسان : وعُقبة الماشية فى المرعى أن ترعى الخُلَّة عُقْبة ثم تحوّل إلى الحَمْض ، فالحمض عُقْبَتُها ، وكذلك إذا حوّلت من الحمض إلى الخلة ، فالخلة عقبتها . (٤) السرطم : البلعوم . (٥) كذا فى حياة الحيوان للدّميرى . وفى الأصل «تعاظمها» . (٦) المربّة : المقيمة ؛ وفى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المرفَّه» .

وإنى وتَرْكى نَدَى الأكرمين * وقَدْحى بكفّى زندا شَحَاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعَـراء * ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

إذا ما لقيتَ بنى عامر * رأيتَ جفـاء ونُوكًا كبيرا (١)
نعـامٌ تَمُـدُّ بأعنـاقها * ويمنعُها نُوكُها أن تَطِـيرا

ويُضربُ بها المثل فى الشِّراد والنِّفَار، قال بِشر بن أبى خازم :

وأما بنو عامرٍ بالنِّسار (٢) * فكانوا غَداةَ لَقُونا نَعاما

يُريد: مَرّوا منهزمين . وربما حضنت النعامةُ أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت ثلاثين رألا، قال ذو الرمّة :

كأنه (٣) خاضب بالسِّيِّ (٤) مَرتَعُه * أبو ثلاثين أمْسَى وهو مُنقلب

والبواقى من بيضها الذى لا تَنْقُفُه (٥) يقال لها : التَّرائكُ. وأشدُّ ما يكون الظليم عَدْوا إذا ٱستقبل الريح لأنه يضع عُنقه على ظهره ثم يَخْرِق الريح وإذا ٱستدبرها كبَّته من خلفه . والنعامة تضع بيضها طولا ثم تغطّيها كلَّ بيضةٍ بما يصيبها من الحضن ؛ قال ٱبن أحمر :

* وُضعنَ وكُلُّهنّ على غِرارٍ *

وقال آخر :

* على غِرارٍ كٱستواء المِطْمَر *

(١) النوك : الحمق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبنى عامر ، ومنه يوم النسار لبنى أسد وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى لسان العرب فى مادة «خضب» «أذاك أم خاضب ... الخ» وهى رواية الديوان ، يعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقتى فى سرعتها أم ظليم هذه صفته . (٤) السيّ : الفلاة . (٥) نقفت النعامة البيضة : ثقبتها وٱستخرجت مافيها .

والمطَمَّر خيط البَنّاء، إلا أن ثعلبة بن صُعَير خالف ذلك فقال يذكر الظليم والنعامة :

فتذكّرا ثَقَلاً(١) رَثِيدا بعد ما * ألقت ذُكاءُ(٢) يمينَها فى كافر

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوَحش فى الفلَوات ما لم تَعرف الإنسانَ ولم تره لا تَنفِرُ منه إذا رأته خلا النعامَ فإنه شارد أبدا، قال ذو الرمّة :

وكلّ أحَمّ(٣) المقلتين كأنّه * أخو الإنس من طَول الخلاء المغفَّل(٤)

يريد : أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه فى خَلاء ولم يرَ أحدًا قبل ذلك . وقال الأُحيمر السعدىّ : كنتُ حين خلعنى قومى وأطلَّ السلطان دَمِى وهرَبتُ وترددتُ فى البوادى ظننتُ أنى قد جُزت نخل وَبَار أو قريب منها، وذلك أنى كنت أرى النَّوى فى رَجْع الذئاب وكنت أغشَى الظباءَ وغيرَها من بهائم الوَحش فلا تنفِرُ منّى، لأنها لم ترَ أحدا قبلى وكنت أمشِى إلى الظبى السّمين فآخذُه، وعلى ذلك رأيتُ جميعَ تلك الوحوش إلا النعامَ فإنه لم أره قطّ إلا نافِرًا فَزِعا .

الطـــير

قال حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو عَتّاب قال حدّثنا طلحة بن يزيد الشامىّ عن بقِيّة بن الوليد عن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه قال : كان النبىّ عليه السلام يُعجبه أن ينظر إلى الأُتْرُجّ وإلى الحَمام الأحمر .

حدّثنى الرياشىّ قال : ليس شىء يغيبُ أذناه إلا وهو يبيض، وليس شىء يظهر أذناه إلا وهو يلد، وروى ذلك عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

---

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هى الشمس، والكافر هو الليل، من الكفر وهو الستر والتغطية، يريد أنهما تذكرا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحم : أسود . (٤) المغفل : المجهول، وفى الأصلين: «المعقل» والتصويب عن الديوان .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريج قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتَلن النملةُ والنحلةُ والهُدهُد والصُّرد"[1] . بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبيّ عليه السلام : يا رازقَ النَّعّاب في عُشّه . وذلك أن الغراب إذا فَقَص عن فِراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفَر عنها فتفتحُ أفواهَها ويُرسِلُ الله لها ذُبابا فيدخُل في أجوافها فيكون غِذاءَها حتى تسودّ، وإذا اسودّت عاد الغراب فغَذَّاها ويرفعُ اللهُ عنها الذبابَ .

قال حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تَطرُقوا الطيرَ في أوكارها فإنّ الليلَ أمانُ الله" .

حدّثني أبو سفيان الغَنَويّ عن معاويةَ بن عمرو عن طلحةَ بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن مَعْدانَ عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدِّيك الأبيضُ صَديقي وصديقُ صَديقي وعدوّ عدوّ الله يحرُس دارَ صاحبه وسبعَ أَدْوُرٍ"[2] . وكان النبيّ عليه السلام يُبيته معه في البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائمُ الطير وهو ما لقط الحبوبَ والبزورَ، وسباعُ الطير وهي التي تغتذي اللحمَ، والمشتركُ وهو مثلُ العصفور يشارك بهائمَ الطير في أنه ليس بذي مِخْلَب ولا مِنْسِر وإذا سقط على عود قدّمَ أصابعه الثلاث وأخر الدّابرة . وسباعُ الطير تُقدّم إصبعين وتُؤخّر إصبعين ويشارك سباعَ الطير بأنه يُلْقِمُ فراخَه ولا يَزُقّ وأنه يأكل اللحمَ ويصطاد الجرادَ والنملَ .

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موضوع وقد نبّه عليه ابن الجوزي وملّا على القارى في موضوعاتهما (راجع موضوعات ملّاعلى القارى ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفورُ شديدُ الوطء، والفيلُ خفيفُ الوطء، والورَشَانُ يُصرَعُ فى كلّ شهر مرةً. قالوا: وأسوأُ الطير هدايةً الأسودُ، والأبيضُ لا يجىء من الغاية[1] لضعف قوّته وأجودُها هدايةً الغُبْر والنُّمْر.

قال صاحب الفلاحة: الحَمام يُعجَبُ بالكَمّون ويألفُ الموضعَ الذى يكون فيه الكمّونُ، وكذلك العدَسُ ولا سيما إذا أُنقِعَا فى عصير حلو. ومما يَصلُحنَ عليه ويكثُرنَ أن تدخُنَ بيوتُهنّ بالعِلْك؛ وأسلم مواضعها وأصلحُها أن يُبنَى لها بيتٌ على أساطين خشَب ويُجعلَ فيه ثلاثُ كُوًى: كُوّة فى سَمْك البيت وكُوّة من قِبل المشرق وكوّة من قِبل المغرِب، وبابان من قِبل مَهبّ الجَنوب. قال: والسَّذَاب[2] إذا أُلقِىَ فى البرج تَحامتْه السَّنانيرُ البَرّية.

حدّثنى ابن أبى سَعد عن علىّ بن الصَّبّاح عن أبى المنذر هشام بن محمد قال: حدّثنى الكلبىّ أن أسماء كَنائن[3] نوح إذا كُتبن فى زوايا بيت حَمام نَمت الفروخُ وسلِمت من الآفات. قال هشام: قد جرَّبته أنا وغيرى فوجدته كما قال أبى. قال[4]: وآسم امرأة سام بن نوح «مَحْلَثْ مَحْو»، وآسم آمرأة حام «أَذْنَف نشا»، وآسم آمرأة يافث «زَدْقَت نبث».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكُبَادُ[5] والخُنَانُ[6] والسّلُ والقُمّلُ، فدواء الكُبَاد الزعفرانُ والسكّر الطَّبَرْزَذُ[7] وماء الهِنْدَباء[8] يُجعلُ فى سُكُرّجةٍ[9] ثم يُمَجّ فى حلقه قبل أن يلتقِطَ شيئا.

(١) فى الأصلين: الغابة، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ. والغاية الموضع الذى يرسل اليه الحمام المدرّب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواصّ وطبائع ذكرها آبن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكنائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادر، كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها مما يكسّر على فعائل. والكنة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) عبارة العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) وآسم آمرأة سام بن نوح «محلت محم» وآسم آمرأة حام «نف نفا» وآسم آمرأة يافث «فالر». (٥) الكباد كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنان: داء يأخذ الطير فى حلوقها. (٧) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها آبن البيطار فى مفرداته، وداود الأنطاكى فى تذكرته. (٩) السكرّجة: الصحفة.

ودواءُ الخُنَـانِ أن يُلَيَّن لسانُه يوما أو آثنين بِدُهْنِ البَنَفْسَجِ ثم بالرَّماد والمِلح ويُدلَكَ بهما حتى تَنْسَلِخَ الجلدةُ العليا التى غَشِيَت لسانَه ثم يُطْلَى بِعَسلٍ ودهنِ ورد حتى يبرأ. ودواء السُّلّ أن يُطعمَ المـاشَ(١) المقشورَ ويُمجَّ فى حلقه لبنٌ حليبٌ ويُقطعَ من وظيفيه عرقان ظاهران فى أسفل ذلك مما يلى المَفصل. ودواء القُمَّل أن تُطلَى أصولُ ريشه بالزِّنْبَق(٢) المخلوط بدهن البنفسَج، يُفعلُ به ذلك مرارا حتى يسقطَ قملُه، ويُكنسُ مكانُه الذى يكون فيه كنسا نظيفا.

قالوا: والطيرُ الذى يخرجُ من وكره بالليل البومةُ والصَّدَى والهامةُ والضُّوعُ(٣) والوَطواطُ والخُفَّاشُ وغرابُ الليل. قالوا: إذا خرج فرخُ الحمامةِ نفخ أبواه فى حَلقه الريحَ لتتسعَ الحَوْصَلَة من بعد التحامها وتَنبثِقَ، فإذا آتسعت زَقّاه عند ذلك اللُّعابَ ثم زقّاه سورج(٤) أصول الحيطانِ ليدبُغَا به الحوصلةَ، ثم زقّاه بعدُ الحبَّ.

قال المُثَنَّى بن زهير: لم أر شيئا قطّ فى رجل وآمرأة إلا وقد رأيتـه فى الحمام، رأيت حمـامةً لا تريد إلا ذكرها، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور، ورأيت حمامةً لا تَزِيفُ(٥) إلا بعـد شدّة طلب، ورأيت حمـامة تَزِيفُ للذكر ساعةَ يطلُبها، ورأيت حمامة وهى تُمكّن آخَرَ ماتعـدُوه، ورأيت حمامة تَقمُطُ حمامةً، ورأيت حمامة تقمِط الذكَرَ، ورأيت ذكرا يَقمطُ الذكَرَ، ورأيت الذكر يقمطُ مالقى ولا يُزاوجُ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضُنُ مع هذه وهذه ويزُقّ [مع](٦) هذه وهذه.

(١) المـاش: حبّ مدوّر أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندىّ ثم اليمنىّ وأردؤه الشامىّ. (٢) الزنبق بالنون: دهن الياسمين. وفى النسخة الالمـانية «الزيبق» بالياء. (٣) الضوع: طائر من طير الليل، قيل هو الكروان، وقيل هو ذكر البوم. (٤) كذا بالأصلين، ولعله «الصاروج» وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت. وفى «كتاب الحيوان» للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧) «فيأكلان من صروح الحيطان وهى شىء بين الملح والحمض وبين التراب الخالص فيزقّان الفرخ...الخ». (٥) فى اللسان: الحمامة تزيف بين يدى الحمـام الذكر، أى تمشى مدلة. (٦) الزيادة عن «كتاب الحيوان للجاحظ».

البيض

قالوا : والبيض يكونُ من أربعة أشياءَ : منه ما يكونُ من السفاد، ومنه ما يكون من التراب، ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها، ومنه شيء يعترى الحَجَل[1] وما شاكله فى الطبيعة، فإن الأنثى منه ربما كانت على سُفَالةِ الريح التى تهُبُّ من شِقّ الذكر فى بعض الزمان فتحتشِى من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجنب الفُحّال[2] وتحت ريحه فتلقَحُ بتلك الريحة وتكتفى بذلك، والدّجاجةُ إذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلَق فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طُعْم يغذوه ؛ والفرخ والفرّوج يُخلَقَان من البياض وغذاؤهما الصُّفرةُ ، وإذا باضت الدجاجةُ بيضتين فى اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا نُتف ريشُه آحتبس بيضُه وإذا سَمِع صوتَ الرعدِ الشديدِ .

الخُفَّاش

قالوا : عجائبُ الخُفَّاش[3] أنه لا يُبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة وتَحبَلُ وتَلِد وتَحِيضُ وتُرضِعُ وتَطيرُ بلا ريش، وتحملُ الأنثى ولدَها تحت جناحها وربما قَبضتْ عليه بفيها خوفا عليه، وربما ولدت وهى تَطير . ولها أذنانِ وأسنانٌ وجناحان متصلان برجليها، وأبصارُها تصحّ على طول العمر، وإنما يظهر فى القمر منها المسنّاتُ؛ وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير .

---

(١) الحَجَل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاجَ البرّ . (راجع حياة الحيوان للدّميرى ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف فى البصر، وضيق فى العين، وقيل : هو فساد فى جفن العين وآحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح .

الخُطَّـافُ والزُّرزُورُ

قالوا : الخُطَّاف[1] والزُّرزُور[2] يتبعُ الربيعَ حيث كان . قالوا : وتُقلَعُ إحدى عينيه فترجعُ . والزُّرزورُ لا يَمشي ومتى وقع بالأرض لم يَستقلّ[3] وأُخِذ ، وإنما يُعشِّشُ فى الأماكن المرتفعـة فإذا أراد الطيرانَ رمى بنفسـه فى الهواء فطار ، وإذا أراد أن يشربَ المـاءَ ٱنقضّ عليه فشرب منه ٱختلاسًا من غير أن يَسقُطَ بالأرض .

العُقَابُ والحِدَأةُ

قالوا : العُقابُ تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها فإذا فرخَت غَذَّت ٱثنين وباعدت عنها واحدا فيتعهدُ فرخَها طائرٌ يقال له : كاسرُ العظام[4]، ويَغذُوه حتى يَكْبَرَ ويَقوَى . وقال صاحب الفلاحة : العُقَابُ والحِدَأةُ يَتَبَدّلانِ فتصيرُ العقابُ حِدَأةً والحِدَأةُ عقابا ، قال : وكذلك الأرانبُ تتبدّل[5] فيصيرُ الذكرمنها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكرا . قال صاحب المنطق : العُقاب إذا ٱشتكت كَبِدَها مِنْ رفعها الثعلبَ والأرنبَ فى الهواء وحَطِّها لذلك وأشباهه تعالَجتْ بأكل الأكباد حتى تَبرأَ .

(١) الخطاف : العصفور الأسود ، وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزرزور بضم الزاى : طائر من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته أى تصويته .

(٣) أى لم ينهض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى «المكلّفة» لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلقى واحدا منها فيأخذه هـذا الطائر الذى يتكلّف به . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ٣٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتبدلان » .

الغـــــراب

الغِربانُ لا تقرَبُ النخلَ المواقيرَ (١) وإنما تسقطُ على النخل المصرومة (٢) فتلقُطُ ما يسقط من التمر فى القِلَبَةِ (٣) وأُصول الكَرَبِ (٤). وعلى إناث الغربان الحَضْنُ وعلى الذكور أن تأتىَ الإناثَ بالطُّعْم * والإوَزّةُ دون الذكر (٥) * والغربانُ أكتم شىء للسِّفاد .

القَطَـا

قالوا : والقطا لا تضعُ بيضَها أبدا إلا أفرادا ؛ قال أبو وَجْزَةَ :

وهُنّ يَنْسُبنَ (٦) وَهْناً كلَّ صادقة * باتت تُباشِرُ عُرْماً (٧) غيرَ أزواج

الحيوانُ الذى لا يصلُحُ شأنه إلا برئيس أو رقيب : الناسُ ، والغرانيقُ (٨) ، والكَراكِى والنحل ؛ فأما الإبلُ والبقر والحمير فتتخذُ رئيسا من غير رقيب .

باب مَصَـايد الطير

قال صاحب الفِـلاحة : مَنْ أراد أن يحتالَ للطير والدّجاج حتى يتحيّرنَ ويُغْشَى عليهنّ حتى يَصـيدَهنّ عَمَد إلى الحِلتيت (٩) فداقه بالمـاء ثم جعل فى ذلك المـاء شيئا من عَسل ثم أنقعَ فيه بُرًّا يوما وليلة ثم ألقى ذلك البُرَّ للطير فإنهـا إذا ٱلتقطته تحيّرت

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزّه وقطعه . (٣) القِلَبَة جمع قُلْب وهو شحمة النخل ولبه أو أجود خوصه . وفى التهذيب : القلب بالضم : السعف (جريد النخل أو ورقه) الذى يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة فى الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق . ولعلها زائدة من الناسخ . (٦) كذا فى الاصلين ، وفى اللسان فى مادة: « عرم » وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور المـاء سود وقيل بيض وهى فى قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحلتيت : صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغلظ من الإصبع يتفرّع كثيرا وله قرون كقرون اللوبياء فيها بذر كالعدس أسود حارّ وأبيض لطيف .

وغُشِيَ عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقَى لبنا خالطه سمنٌ. قال : وإن عُمِد إلى طَحين برّ غير منخول فعُجِنَ بخمر ثم طُرِحَ للطير والحَجَل فأكلنَ منه تحيرنَ. وإن جُعِل خمرٌ فى إناء وجُعِلَ فيه بَنْجٌ فشربنَ منه غُشِيَ عليهنّ. قال : ومما يُصادُ به الكراكى وغيرها من الطير أن يُوضعَ لهنّ فى مواقعهن إناءٌ فيه خمر وقد جُعِلَ فيه خَرْبَقٌ أسودُ وأُنقِع فيه شعيرٌ فإذا أكلنَ منه أخذهنّ الصائدُ كيف شاء.

قال غيره : ومما تُصادُ به العصافيرُ بأسهلِ حيلةٍ أن تُؤخذَ شبكةٌ (١) فى صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويُجعلَ فى جوفها عصفورٌ فتنقضّ عليه العصافيرُ ويَدخلن عليه وما دخل منها لم يقدِر على الخروج فيصيدُ الرجلُ فى اليوم الواحد مائتين وهو وادِعٌ. قال : ويُصادُ طيرُ الماء بالقَرْعَة وذلك أن تُؤخذَ قَرْعَةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيُرمَى بها فى الماء فإنها تتحرّك فإذا أبصرها الطيرُ تتحرّك فَزِعَ فإذا كثُر ذلك عليه أَنِسَ حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذَ قرعةٌ فيُقطعَ رأسُها ويُخرقَ فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلَ الصائدُ رأسَه فيها ويَدخُلَ الماءَ فيَمشِي إليها مشيا رُويدًا فكلّما دنا من طائر أدخَل يده فى الماء فقبضَ على رجليه ثم غمسه فى الماء ثم دقّ جناحَه وخلّاه فبقى طافيا فوق الماء يَسبَحُ برجله ولا يُطيقُ الطيرانَ، وسائرُ الطير لا يُمكنُ انغماسُه فإذا فرَغ من صيد ما يُريد رَمَى بالقَرعَة ثم يَلتقِطُها ويَحمِلُها.

الحَشَرات

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرةُ يهوديةٌ ولو سقيتَها ألبانَ الإبل ما شَرِبتْها، والفأر أصناف : منهنّ الزَّبابُ (٢) وهو أصمّ؛ قال الحارثُ بنُ حِلّزةَ :

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) وفى الأصلين : «تؤخذ سَلّة فى صدرها المحبرة» وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٧٦) «يعملون لها مصيدة ويجعلون لها بنية فى صورة المحبرة التى يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة». (٢) جمع زبابة وهى كما قال الدميرى فى حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج اليه وما تستغنى عنه.

وهُمْ زَبَابٌ حائـرٌ * لاتسمعُ الآذانُ رعدًا [(١)]

والخُلْدُ وهو أعمى ؛ وتقول العرب : هو «أسرقُ من زَبَابَة» ، وفأرةُ البيش ، والبيشُ سمٌّ قاتل ؛ ويقال : هو قرونُ السُّنبل ، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره ، ومن غير هذا فأرةُ المسك وفارةُ الإبل [(٢)] [فاحت] [(٣)] أرواحُها إذا عَرِقت . قالوا : ومن الحيات مايقتُل ولا يخطئ : الثُّعبانُ والأفعى والهِنديَّةُ ؛ فأما سِوى هذه فإنما يقتُل بما يُمِدُّه من الفزع ، لأنه إذا فَزِع تفتَّحت مَنافسه فوَغَل السّم الى مواضع الصَّميم وعُمقِ البدن ، فإن نَهَشت النائمَ والمُغمَى عليه والطِّفلَ الصغيرَ والمجنونَ الذى لا يَعقِلُ لم تقتل .

وأذناب الأفاعى تُقطَع فتَنبتُ ونابها يُقطعُ بالعُكَّاز [(٤)] فينبُتُ حتى يعود فى ثلاث ليال ؛ والحيّة إن نُفِث فى فيها حُمّاض الأُترُجّ وأُطبِق لَحْيها الأعلى على الأسفل لم تَقتُلْ بعضَّتها أياما صالحة . ومن الناس من يبصُق فى فم الحيــة فيقتلُها بريقه ، والحيّات تكره ريحَ السَّذَابِ والشّيح ، وتُعجَبُ باللُّفّاح [(٥)] والبِطّيخ والحُرْف [(٦)] والخَردل المُوخَف [(٧)] واللبن والخمر ، وليس فى الأرض حيوانٌ أصبرُ على جوع من حية ، ثم الضَّبُّ بعدها ، فإذا هرِمت صغُرت فى بدنها وأقنعَها النسيم ولم تشته الطعامَ ، ولذلك قال الراجز :

* حاريةٌ [(٨)] قد صَغُرت من الكِبر *

---

(١) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . (٢) اختلف فى فارة الإبل وفارة المسك ؛ هل يهمزان أو لا يهمزان ؟ فذكر صاحب القاموس فأرة المسك فى «ف أ ر» وقال : أو الصواب إيرادها فى «ف و ر» لفوران رائحتها . وفارة الإبل فى «ف و ر» وعلله الصاغانى بأن فارة الإبل من الفوران قطعا ؛ وأورد المرتضى فارة الإبل فى « ف أ ر» مستدركا به على صاحب القاموس . (٣) زيادة فى النسخة الألمانية ، وهى ساقطة فى الأصل الفتوغرافىّ ، ولعلها «فَوّح» ، ففى القاموس واللسان مادة «فور» : «وفارة الإبل فَوّح جلودها اذا نَدِيَتْ بعد الوِرْد» أى فاحت منها رائحة طيبة . (٤) العكاز : عصا ذات زُجّ . (٥) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان طيّب الرائحة . (٦) الحرف بالضمّ : حب الرشاد . (٧) الموخف : المعجون . (٨) فى الأصل جارية ، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى ، لأن جسمها قد حَرَى أى نقص من طول العُمُر .

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتَها بقَصَبة مرة أوهَنتْها القَصبةُ فى تلك الضربة وحيّرتْها ، فإن ألحت عليها بالضرب انسابت ولم تكترث . قال : ومن جيّد مايُعالَجُ به الملسوعُ أن يُشَقّ بطنُ الضِّفدَع ثم يُرفَد به موضعُ لسعة العقرب . والضِّفدَع لا يَصيحُ حتى يُدخِلَ حنكه الأسفلَ فى الماء ، فإذا صار فى فيه بعضُ الماء صاح ، ولذلك لا تَسمع للضفادع نقيقا إذا خرجن من الماء ، قال الراجز :

يُدخِلُ فى الأشداق ماءً يُنصِفهْ(١) * حتى يَنِقَّ والنقيقُ يُتلِفُهْ

يريد أن النقيقَ يدلّ عليه حيةَ البحر ، كما قال الآخر :

ضَفادعُ فى ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ * فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحرِ

وقال فى السبَخ : إنه إن انخرق فيه خرق بمقدار منخر الثور حتى تدخلَه الريحُ استحال ذلك السبخ ضفادعَ . والضّفادع لا عظام لها ، ويُضرب بها المثلُ فى الرَّسَح(٢) ، فيقال : «أرسحُ من ضِفدَع» و «أجحظُ عينًا من ضِفدِع» .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرّك فكّه الأسفل إلا التمساحَ فإنه يُحرّكُ فكه الأعلى . وبمصر سمكٌ يقال له الرَّعّادُ ، مَنْ صاد منه سمكةً لم تزل يده ترعَدُ وتنتفضُ ما دام فى شبكته أو شِصّه(٣) . والجُعَلُ(٤) إذا دفنتَه فى الوَرد سَكنتْ حركتُه حتى يتوهّم مَن رآه أنه قد مات ، فإذا أعدتَه إلى الروث تحرّك ورجع فى حِسّه . والبعيرُ إذا ابتلع

(١) فى الأصلين "ينطفه" والتصويب عن حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى . (٢) الرَّسَح : خفّة لحم العَجُز والفخذين . (٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك [وهى المعروفة بالصنارة] . (٤) الجعل كصرد ، والناس يسمونه « أبا جعران » وهو دويبّة تعض البهائم فى فروجها فتهرب ، وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، فى بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا فى مَراح البقر والجواميس ومواضع الروث ، ويتولد غالبا فى أخثاء البقر ، ومن شأنه جمع النجاسة وادّخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

فى علَفه خنفساءَ قتلته إن وصلت إلى جوفه حيةً . وأطولُ[(١)] شيء ذَماءً[(٢)] الخنفساءُ فإنها يُسرجُ[(٣)] على ظهرها فتصبرُ وتمشى .

والضبُّ يُذْبحُ فيمكث ليـلة ثم يُقرَّبُ من النار فيتحرّك . والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياما تتحرّكُ وإن وطِئها واطئ نهَشته ، ويُقطعُ ثلثُها الأسفلُ فتعيشُ ويَنْبت ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرَحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : وللضبّ ذكرانِ وللضبّة حِرانِ، خبّرنى بذلك سهل عن الأصمعىّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نِزْكٌ وأنشد :

سِبَحْلٌ[(٤)] له نِزْكانِ كانا فضيلةً * على كلّ حافٍ فى البلاد وناعلِ[(٥)]

وكذلك الحِرذَونُ[(٦)] . والذِّبَّانُ[(٧)] لا تَقرَبُ قِـدرا فيها كَمْأةٌ[(٨)] . وسَامٌّ أبرصَ لا يدخل بيتا فيه زعفرانٌ . ومَنْ عَضّه الكلبُ الكلِبُ احتاج إلى أن يستر وجهه من الذّباب لئلا يسقطَ عليه . وخُرطومُ الذباب يده، ومنه يُغنّى، وفيه يُجرِى الصوتَ كما يُجرِى الزامرُ الصوتَ فى القصبةِ بالنفخ .

---

(١) وعبارة الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لى الفضل العنبرى : يقولون للضب أطول شىء ذماء، والخنافس أطول منه ذماء؛ وذلك أنه يغرز فى ظهرها شوكة ثاقبـة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل الدار وهى تدبّ بها وتجول» . (٢) الذماء ممدود : بقية النَّفْس . (٣) يسرج : يوقد .

(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) فى اللسان مادة نزك «فى الأنام» . وذكر هـذا البيت ضمن أبيات قالها حُمرانُ ذو الغُصّة يصف بها ضِبابا أهداها لخالد بن عبد الله القسرى .

(٦) الحرذون بكسر الحاء وبالذال المعجمة : دويبّة شبيهة بالضب، وقيل هو ذكر الضب، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع الى الأنامل (راجع حياة الحيوان) .

(٧) جمع الذباب . (٨) الكمأة : نبات يقال له شحم الأرض، والعرب تسميه : «جدرىّ الأرض» وقيـل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الحمرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيئه ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليس شيء يَدَّخِرُ إلا الإنسانُ والنملةُ والفأرةُ . والذَّرَّةُ (١) تدّخرُ في الصيف للشتاء فإذا خافت العَفَنَ على الحبوب أخرجتها الى ظاهرِ الأرض فشَرَّرَتْها (٢) ، وأكثرُ ما تفعلُ ذلك ليلا في القمر. فإن خافت أن ينبتَ الحبُّ نقرت وسطَ الحبة لئلا تنبتَ. والسُّلَحْفَاةُ إذا أكلت أفعى أكلت سَعْتَرًا (٣) جَبَليا . وابنُ عِرْسٍ إذا قاتل الحيةَ أكل السَّذَابَ . والكلابُ إذا كان (٤) في أجوافها دود أكلت سُنبلَ القمح . والأيِّلُ (٥) إذا نهشته الحيةُ أكل السَّراطِينَ (٦) . قال ابنُ ماسويه : فلذلك يُظَنّ أن السراطينَ صالحة لمن نُهِشَ من الناس . والوَزَغ (٧) يُزاقُّ الحيّاتِ ويُقارِبُها (٨) ، ويكرع في اللبن والمَرَق ثم يمجّ في الإناء . وأهلُ السِّجْنِ (٩) يعملون من الوزغ سمًّا أنفذَ من [سم] (١٠) البِيشِ ومن ريق الأفاعي ، وذلك أنهم يُدخلون الوزغة قارورةً ثم يَصُبُّون فيها من الزيت ما يغمرُها ويضعونها في الشمس أربعينَ يومًا (١١) حتى تتهرّأَ (١٢) في الزيت ، فإن مُسِحَتْ على اللُّقمةِ منه مَسحةٌ وأكله آكل مات من يومه .

---

(١) الذرة واحدة الذر وهي صغار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتجف .

(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض إلى الغبرة ، ويقال له الصعتر بالصاد ، وهي اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » .

(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوعال وهي التيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائيّ ويعيش في البر أيضا ، وهو جيد المشي سريع العدو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس "سام أبرص" .

(٨) في الأصل الفتوغرافي « ويغارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبعض الناس » وفي الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا ويابسا وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .

(١١) كذا في الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تهرّأ اللحم إذا طبخ حتى يتفسخ .

والجرادُ إذا طَلع فعُمِدَ إلى التُّرْمُس والحَنظَل فطُبِخا بماء ثم نُضِح ذلك الماءُ على زرع تنكّبه الجرادُ . وإذا زُرِع خَرْدَلٌ فى نواحى زرع نجا من الدَّبَى[(١)] . وإذا أُخذ المُرداسَنْجُ[(٢)] فعُجِن بعجين ثم طُرِح للفأر فأكلته مُوِّتن عنه، وكذلك بُرايةُ الحديد . وإذا أُخِذ الأَفيون والشُّونيز[(٣)] والبارزذ[(٤)] وقرنُ الأيَّل وبَابُونَج وظِلْفٌ من أظلاف المعز فخُلِط ذلك جميعا ثم دُقّ وعُجِن بخلّ عتيق[(٥)] ثم قُطِعَ قطعا فدُخِّن بقطعة منه نفرت لذلك الحيّاتُ والهوامُّ والنملُ والعقاربُ ، وإن أُحرِقَ منه شيء ودُخِّن به هرب ما وجَدَ منها تلك الريحَ . والنملُ تهربُ من دُخَان أصول الحَنْظَل . وإن عُمِدَ إلى كبريت وسَذَابٍ[(٦)] ونَحْرِبقٍ فَدُقَّ ذلك جميعا وطُرِحَ فى قرية النمـل قتلها ومنعها ظهورهن من ذلك الموضع ذهبن[(٧)] . والبعوضُ تهرُب من دخان القَلْقَديس[(٨)] إذا دُخِّن به ومعه حبُّ السوس[(٩)]، وتهرُب من دخان الكبريت والعِلْك .

وقالت الأطباء : لحمُ ابن عِرس نافعٌ من الصَّرْع . ولحمُ القُنفذ نافع من الجُذام والسّل والتشنّج ووجع الكُلَى، يُجَفَّفُ ويُشرَبُ ويُطعَمُه العليـلُ مطبوخا ومشويّا ويُضمدُ به المتشنِّج[(١٠)] . والعقرب إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّ على موضع اللسعة نفعت . وقد

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، والدبى : أصغر الجراد والنمل . وفى الأصل الفتوغرافى (الوبا) .
(٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفى القاموس : المرداسنج معروف وقد تسقط الراء معرب مرداسنك ومعناه الحجر الخبيث .
(٣) الشونيز : الحبة السوداء .
(٤) البارزذ فى القاموس : « بيرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشـبه القنا فى شكله ، وينبت فى أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدّة . وقد ذكر خواصه ومنافعه ابن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) .
(٥) فى الأصل الفتوغرافى : نقيف ، وفى النسخة الألمانية ثقيف ، والتصويب عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) .
(٦) السذاب : اسم نبات .
(٧) كذا فى الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر .
(٨) القلقديس كلمة يونانيـة معرّبة معناها فى الكيمياء الحديثـة : كبريتات الحـديد ؛ وقيل معناها : الصبغة السـوداء لصانعى الأحذية .
(٩) السوس : شجر فى عروقه حلاوة وفى فروعه مرارة .
(١٠) كذا فى النسخة الألمانية . وفى الأصل الفتوغرافى «التشنج» .

تجعل فى جوف نَخّار مشدود الرأس مُطَيّن الجوانب ثم يوضع الفخّارُ فى تَنُّور، فإذا صارت العقربُ رَمادًا سُقِىَ منْ ذلك الرمادِ مَن به الحصاة مقدارَ نصف دانق وأكثر فيُفَتّت الحصاةَ من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط[١]، وقد تَلسعُ العقربُ مَنْ به حُمَّى عتيقةٌ فتقلعُ ؛ وتلسعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالج، وتُلقَى فى الدُّهن وتُترك فيه حتى يأخذَ الدُّهنُ منها وَيجتذبَ قُواها فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفَرِّقًا للأورام الغليظة .

ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها فى ماء غَمْرٍ بقيت فى وسط الماء لا تطفو ولا تَرسُبُ ؛ وهى من الحيوان الذى لا يَسبَحُ . وعينُ الجرادة وعينُ الأفعى لا تدوران . وإنما تَنسجُ من العناكب الأنثى، والذكر هو الخَدَرْنَق . وولد العنكبوت يَنْسُجُ ساعة يولَد . والقَمْلُ يُخلق فى الرءوس على لون الشعر إن كان أسودَ أو أبيضَ أو مخضوبًا بالحنّاء . الحُلَكاءُ[٢] دُوَيْبَّة تغوص فى الرمل كما يغوص طائرُ الماء فى الماء . وبناتُ النَّقا كذلك، وهى التى يُقال لها : شحمةُ الأرض . وأُمُّ حُبَيْنٍ[٣] لا تُقيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ[٤]، والسُّرفةُ دويبَّة يُضربُ بها المثلُ فى الصّنعة فيقال : "أصْنَعُ مِنْ سُرْفَةٍ" .

ومن أحسنِ ما قيل فى الأفعى قول آمرأة[٥] من الأعراب :

---

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الحلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والعرب تسميها : « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هى دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على مثل الناووس بعضها إلى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) فى اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحمر البجلىّ ليس الباهلىّ :

خلقت لهازمه عزين ورأسه ✻ كالقرص فرطح من طحين شعير »

خُلِقَتْ لَهَازِمُه[1] عِزِينَ[2] ورأسُهُ * كالقُرْصِ فُرْطِحَ[3] من دقيقِ شعيرِ

وكأنّ مَلْقاهُ بكلّ تَنُوفَةٍ[4] * مَلْقاكَ كِفَّةَ مِنْجَلٍ[5] مأطورِ[6]

ويُديرُ عينًا للوِقاعِ[7] كأنها * سَمراءُ طاحت من نَقيضِ[8] بريرِ[9]

قيل لماسرجويه : نجدُ ملسوعَ العقرب يُعالَجُ بالاسفيوش[10] فينفعه ، وآخر يُعالَج بالبندق فينفعه ، وآخر يَشربُ الأنقاس[11] فتنفعه ، وآخر يأكلُ التفاحَ الحامضَ فينفعُه ، وآخر يَطليه بالقِلْي[12] والخلّ فيحمَدُه ، وآخر يَعْصِبُ عليه الثومَ الحارَّ المطبوخَ ، وآخر يُدخِلُ يدَه في مِرْجَلٍ حارٍّ لا ماء فيه فيحمَدُه ، وآخر يعالجه بالنُّخَالة الحارّة فيحمَدها ، وآخر يَحجُم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ثم رأيناه يتعالج بعدُ بذلك الشيء للسعة أخرى فلا يحمده !

(١) اللهازم : أصول الحنكين واحدتها لهزمة بالكسر ؛ وقيل : إنها عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الأذنين .
(٢) عزين : متفرقة . (٣) وردت هـذه الكلمة فى اللسان فى مادة « فرطح » بالراء ، وفى مادة « فلطح » باللام ، واستشهد بالبيت فى المادتين ، وجاء فيه : « وكل شىء عرّضته فقد فلطحته وفرطحته » ووردت فى الأصل الفتوغرافى « قطع » وفى النسخة الألمانية « أقطع » وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٦٠) « أفطح » . (٤) التنوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر : آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفى الأصل الفتوغرافى « منخل » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للجاحظ . (٦) مأطور من الأطر وهو عطف الشىء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه .
(٧) كذا فى الأصل الفتوغرافى وفى اللسان " للوداع " ، وفى النسخة الألمانية وكتاب الحيوان للجاحظ : " للوقاح " . (٨) النقيض فعيل من النقض وهو التحريك ، ورواية اللسان فى مادة « فرطح » نقيص بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفى اللسان بعد هـذا البيت :

وكأن شدقيه إذا استقبلته * شدقا عجوز مضمضت لطهور

(١٠) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى الأصل الفتوغرافى « بالاسفيون » بالنون ولعله محرّف ، لأن هذا الاسم ورد فى مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوس » بالسين المهملة فى آخره ، وورد فى تذكرة داود « الاسفيوش » بالشين المعجمة فى آخره ، وهى كلمة فارسية معناها « بزر قطونا » . (١١) الأنقاس : الحوامض وفى النسخة الألمانية « الأنفاس » بالفاء . (١٢) القلى بالكسر : شب العصفر وله منافع كمنافع الملح إلا أنه أحدّ منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما ٱختلفت السّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر والزمان، وباختلاف ما لاقاه ٱختلفَ الذى يوافقه على حسب ٱختلافه . قالوا : وأشدّ ما تكون لسعتُها إذا خرج الإنسانُ من الحمّام، لتفتّح المنافس وسَعَةِ المجارى وسُخُونة البدن .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال أبو بكر البحرىّ (١) : ما من شىء يضرّ إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلا قال : أنا مثلُ العقرب أَضُرّ ولا أنفعُ ، فقال : ما أقلّ علمَه بها، "إنها لتنفع إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّت على موضع" (٢) "اللّسعة، وقد تُجعل فى جوف فَخّار مشدودِ الرأس مُطيّنِ الجوانب ثم يُوضَعُ الفخّار" "فى تنّور فإذا صارت العقربُ رمادا سُقِىَ من ذلك الرمادِ مقدارَ نصف دانق أو أكثر" "قليلا مَنْ به الحصاةُ ففتّها من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط ." "وقد تَلسعُ العقربُ مَن به الحُمَّى العتيقةُ فتُقلِعُ عنه . ولَسعتِ العقربُ رجلا مفلوجا" "فذهب عنه الفالج . وقد تُلقَى العقربُ فى الدهن وتترك فيه حتى يأخذَ الدهنُ منها" "ويَجتذبَ قواها فيكون ذلك الدّهنُ مُفرّقًا للأورام الغليظة" .

قال أبو عبيدة : ولَسعت أعرابيا عقرب بالبصرة، وخِيفَ عليه فاشتدّ جزعُه ، فقال بعضُ الناس له : ليس شىء خيرا مِنْ أن تُغْسَلَ له خُصيةُ زنجىّ عَرِقَ ففعلوا ، وكان ذلك فى ليلةٍ وَمِدَةٍ (٣) . فلما سَقَوْه قطَب ، فقيل له : طعمَ ماذا تجِدُ ؟ قال : أجدُ طعمَ قِرْبَةٍ جديدةٍ .

قال المأمون : قال لى بَختيشُوع وسلمويه وٱبن ماسويه : إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لسعة الزُّنبور هَدَأ وسكن الألمُ ، فلسعنى زُنبورٌ فحككتُ على موضعه أكثر

---

(١) كذا بالأصلين، وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين فى كتب الأنساب التى تحت أيدينا .

(٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدّمت فى ص ٩٥ من هذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع ٱختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها فى الأصلين، وٱكتفينا بهذه الإشارة تنبيها للقارئ .

(٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألمُ إلا فى قدر الزمان الذى كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبقَ فى يدى منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبورُ حنقًا غاضبًا[1]، ولولا ذلك العلاجُ قتلكَ . قالوا : ومما ينفع من اللسعة أن يُصيروا على موضعها قطعةَ رَصاصٍ رقيقةً وتُشدّ عليه أياما . وقد يُمَوِّهُ بهذا قوم فيجعلونه خاتمًا فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهِشَ فى إصبعه .

قال محمد بن الجَهْم : لا تتهاونوا بكثير مما تَرَوْن من علاج العجائز، فإن كثيرا منه وقع إليهن من قدماء الأطباء، كالذبّان يلقَى فى الإثمِد فيسحقُ معه، فيزيدُ ذلك فى نور البصر ونفاذِ النظر وتشديد مراكز الشعر فى حافات الجفون . قال : وفى أُمّة من الأمم قومٌ يأكلون الذِّبّانَ فلا يرمَدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرُهم فِراخَ الزنابير.

وقال ابن ماسويه : المجرَّبُ للسع العقرب أن يُسقَى من الزَّراوَند[2] المدحرج ويُشربَ عليه ماء بارد، ويُمضغَ ويوضعَ على اللسعة . قال : وللسع الأفاعى والحيّات ورقُ الآس[3] الرطب يُعْصَرُ ويُسقَى من مائه قدرَ نصْف رطل، وكذلك ماء المَرْزَنْجُوش[4] وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويُضمد الموضعُ بورق التفاح المدقوق . وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين[5] والسذابُ يُطعم ذلك العليلُ . قال والثُّوم والملح وبَعَر

(١) التصويب عن الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١١٠ .

(٢) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشىء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما فى تذكرة داود؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٣) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجرا عظيما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء إذا أينعت تحلو وفيها مع ذلك علقمة .

(٤) المرزنجوش ويقال له مرزجوش ومردقوش : فارسىّ، والعرب تسميه : السمسق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبطّ فى نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٥) فى النسخة الألمانية «البيش» .

الغنم نافع جدّا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحيّة إلا أن تكون أَصَلَةً، فإن الأَصَلَة(١) تُوضَعُ على لسعها الكُلْيتان جميعا بالزيت والعسل . والخطمىُّ(٢) إذا أُخِذَ ورقُه فدُقّ ثم وُضِع على لسع قَمْلة النّسر(٣) كان دواء له . وإن طَلَى أحد به يديه أو جسدَه لم يَلدغْ ذلك الموضعَ منه زُنْبورٌ . وإن لَدغَ أحدًا زنبورٌ فآذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول(٤) وهو الطرشَقوقُ إن دُقّ فضُمدبه لسعةُ العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرِب من عصيره . قالوا : وإن أَخَذَ مَنْ حَذِرَ على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونيز على الريق وَقاه .

النبات

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريشُ بن أنس عن كُلَيب أبى وائل رجل من المُطَّوِّعة قال : رأيتُ ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض "محمد رسول الله". والعرب تقول فى مثل هذا هو : "أشكَرُ من البَرْوَقَة(٥)"، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارَجيلَ هو نخل المُقْل قلبه طِباعُ البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكُرُنْب وبين الكَرْم عداوةٌ، فإذا زُرِعَ الكرنبُ بحضرة الكَرْم ذَبَلَ أحدهما وتشنّج، ولذلك يُبطئ السُّكْرُ عمن أكل منه ورقاتٍ على ريق النفس ثم شرب . وقُضبان الرمّان إذا ضُرِبَ بها ظَهرُ رجل آشتدّ عليه الألم. قالوا :

(١) الأصلة بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ، كذا فى حياة الحيوان للدّميرى نقلا عن آبن الأنبارى . (٢) الخطمىّ بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والحصى ، وهو مع الخل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الهوامّ .

(٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ، وتكون فى بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر، لأنها تخرج منه .

(٤) كذا فى الأصلين . وفى مفردات آبن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البلخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوامّ إذا أكل أو شرب ماؤه . (٥) فى مجمع الأمثال والقاموس واللسان «بروقة» وهى كما قال الميدانى : شجرة تخضر من غير مطر بل تنبت بالسحاب إذا نشأ فيما يقال .

وكلّ زَهرٍ ونَوْرٍ فإنه ينحرفُ مع الشمس ويُحـوِّل إليها وجهَه ؛ ولذلك يقال : هو يُضاحِكُ الشمسَ . قال الأعشى :

مارَوضَةٌ من رياض الحَزْنِ[١] مُعشِبةٌ * خضراءُ جَادَ عليها مُسْـبِلٌ[٢] هَطِلُ[٣]
يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ[٤] شَرِقٌ * مؤزَّرٌ[٥] بِعَـميمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ[٦]

وقال آخر :

* فَنُوَّارُه[٧] مِيلٌ إلى الشمسِ زَاهِرُه[٨] *

والخُبَّازَى[٩] يَنضمُّ ورقُهُ بالليـل ويَنفتِحُ بالنهار . والنَّيلُوفَرُ[١٠] يَنبتُ فى المـاء فيغيب الليلَ كلّه ويظهرُ إذا طلعتِ الشمسُ . وقالوا فى الطُّحلُبِ[١١] : إنْ أُخذ بخُفَفٍ

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسبل : مطر، من السَّبل بفتحتين وهو المطر . (٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو تتابع المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملتف . (٦) مكتهل : تامّ الطول . (٧) النوار : واحدته نوارة بالضمة ، وهى الزهرة المشرقة . (٨) عجز بيت للحطيئة ، وصدره :

* بمستأسد القريان حوّ نباته *

وقبله عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشى به ظُلمانه وجآذره

(راجع ص ٦٢ من ديوان الحطيئة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان البيت (بمستأسد ... الخ) إلى قطران العبسى (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخبازى و يقال : الخبيزى : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ؛ و يطلق فى العرف الشائع على نبت برّىّ مستدير الورق فى وسط أوراقه شىء مجوّف دقيق ، له زهر إلى الصفرة و بزر إلى السواد مفرطح ، كذا قال داود الأنطاكى فى تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندىّ سمى بلغتهم وأكثر ماينبت فى مستنقعات المياه ورواكدها والآجام ، ولا ينبت إلا فى المـاء العذب القائم فى أرض طيبة تَرِبة سليمة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحوّل وجهــه الى الشمس إذا طلعت وارتفعت ، فإذا وقع شعاعها عليــه أو لم يقع انفتحت وردته كلها ، ولا يزال تفتيحه يزيد بزيادة الشمس إلى أن تقرب من أوّل العصر وتطلب الغروب فيبتدئ ينضم على ذلك الترتيب الذى كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم فى كرة و يبقى مضموما الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأوّل من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التى تعلو المياه الراكدة ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

فى الظلّ ثم سقطَ فى النار لم يَحترق . وذكروا أن قسًّا راهنَ على صليب فى عنقه من خشب أنه لا يَحترق، وقال : هو من العود الذى صُلِبَ عليـه المسيحُ، فكاد يَفتِنُ بذلك خَلْقًا حتى فَطَن له بعضُ أهل النظر فأتاهم بقطعة عُود تكون بكرمانَ فكان أبقى على النار من صليبه . والطَّلْقُ[١] كذلك لا يصير جمرًا . وطِلاءُ النفّاطين[٢] طَلْقٌ وخِطْمِىٌّ ومَغْرةٌ . وقالوا : إذا أُخذَ بزرُ السَّذاب البرىّ وزُرع وطال به ذلك تَحوّل حرملا، والنَّمامُ[٣] إذا أُعتِقَ تحوّل حَبَقًا[٤] . قالوا : والقُسْطُ[٥] إنما هو جَزَرٌ بحرىّ . قالوا : بالسند نبتٌ من الحشيش يُسمّى تريّة، إذا أخذ فطُبخ ثم صُفّى ماؤه فجُعِلَ فى وِعاء لم يلبث إلا يسيرا حتى يشتدّ ويُسكِر شاربَه إسكارَ الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضرّ بمَبْقَلَة عَمَد إلى شىء من خُرء البَطّ فخلط به مثلَه من ملح ثم طُرِحَا فى ماءٍ فدِيفَا فيه فيُنْضَحُ ذلك المـاءُ على البقل فإنه يَفْسُدُ . قال : ومن أراد إفسادَ الرمّان الكثير ألقى فى أضعافه نوَى التمر والملح والجريش . ومَن أراد قتل السمك فى المـاء القائم عَمَد إلى نبت يسمى "ما هى زهره"[٦] فدُقّ وطُرِحَ فى المـاء فإنه يموت سمكُ ذلك المـاء، والمـازريون[٧] يفعل ذلك . قال : ومما يَجِفُّ له الشجر أن يُعمَد إلى مسمار من حديد فيُحمَى بالنار حتى تشتدّ حُمرته ثم يُدَقّ فى أصل الشجرة، وأن يُعْمَد إلى وتد من طَرْفاءَ فيُثقَبَ أصل الشجرة بمِثْقَب حديد

---

(١) الطلق : حجر برّاق يتخذ منه مضاوى للحمامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرماة بالنفط وهو القطران . (٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان عطرى قوىّ الرائحة سمى بذلك لسطوع رائحته، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام، ويكثر نباته على المـاء، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر، والعقار : العشبة .

(٦) لفظ فارسىّ وتعريبه سمّ السمك . (٧) المـازريون : نبت له أغصان طولها شبر، وورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه، وهو مر يلذع اللسان؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

ثم يُجعَلَ ذلك العودُ على قدر الثَّقْب[١] فى المِثقَب فتجفّ الشجرةُ إن كان غِلظُ العُود على قــدر الثّقب .

قيــل لمــاسرجويه : ما بالُ الأَكَرَة[٢] وسُكّان البساتين مع أكلهم الكُرّاثَ والتّمــرَ وشُربِهم المــاءَ الحارّ على السّمك المــالح أقلّ عُمياناً وعُورَانا وعُمْشَانا؟ قال : فكّرتُ فى ذلك فلم أجِدْ عِلّةً إلا طولَ وُقوعِ أبصارهم على الخضرة

الحجـارة

قال أرسطاطاليس : حَجَرٌ[٣] سنقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نَشَّفَ منه المــاءَ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد فى وزنه؛ وذاكرتُ بهذا رجلا من علماء الأطبّاء فعرفه، وقال : هذا الحجر مذكور فى التوراة. وحجر المغناطيس يَجذِبُ الحديدَ من بُعْدٍ[و]إذا وُضِعَ عليه عَلِقَه، فإن دُلِكَ بالثّوم بطلَ عملُه . قالوا : والرّمانُ والقِلْيُ يُدبَّران فيستحيلان حجارةً سُودًا تَصلحُ للأرحاء . ومن الحجــارة حصاةٌ فى صورة النواة تَسبَحُ فى الخلّ كأنها سمكةٌ . ومنها خَرَزَة العُقْرِ[٤] إن كانت فى حَقْوِ[٥] المرأة فلا تَحبَــلُ . وحجر يُوضَع على حرف التّنور فيتساقط خبزُ التّنور كلّه . وبمصر حجر مَنْ قَبَضَ عليه بجميع كَفّيه فأكل شيئا فى جوفه فإن هو لم يَنْبِذْه من كفّه خِيفَ عليه . ومن الحجارة النّشَفُ[٦]، ليس شىء من الحجارة يَطْفُو على المــاء غيره وفيه حُفَرٌ صِغَارٌ .

---

(١) كذا بالنسخة الألمــانية؛ وفى الأصل الفتوغرافى : « على قدر فى المثقب » .

(٢) الأكرة جمــع أكار وهو الحرّاث لحفرة الأرض، كأنه جمع آكر فى التقــدير . (٣) كذا بالأصلين؛ ولم نجد ذكر هــذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة فى مفردات ابن البيطار، ولا فى تذكرة داود، ولا فى عجائب المخلوقات للقزوينى . (٤) العقر : العقم، وهو استعقام رحم المرأة فلا تحمــل .

(٥) الحقو : الخصر. (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة، وهى التى ينق بها الوسخ فى الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبَّرُ فيستحيلُ مُرْدَاسَنْجًا . وإقليمياء[(١)] النّحاس يدبَّر فيصيرُ تُوتِياء . وحجر البازَهْر[(٢)] يُفَرِّقُ الأورامَ . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض ويَبِسَ آستحال وصار شبًّا ، وهو هذا الشبّ اليمانىّ .

حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أربعــةُ أشياءَ قد ملأتِ الدنيا لا تكون إلا باليمن : الوَرْسُ[(٣)] والكُنْدُرُ[(٤)] والخِطْرُ[(٥)] والعَصْب[(٦)] . وبمصر حجر تُحرّكه فتســمعُ فى جوفه شيئا يَتقلقلُ كالنواة .

حدّثنى شيخ لنا عن علىّ بن عاصم عن خالد الحَذّاء عن محمد بن سيرين قال : آختصمَ رجلان إلى شُرَيْح ، فقال أحدُهمـا : إنّى آستودعتُ هذا وديعــةً فأبى أن يردّها علىّ ؛ فقال له شريح : رُدَّ على هذا الرجل وديعتَه ؛ قال : يا أبا أُمَيّةَ ، إنه حجرٌ إذا رآته الحُبْـلَى ألقتْ ولدَها ، وإذا وقَع فى الخلّ غَلَى ، وإذا وُضِع فى التّنُّور بَرَدَ ، فسكتَ شُرَيْحٌ ولم يَقُلْ شيئا حتى قاما .

الجنّ

قالوا : الشياطينُ مَرَدَةُ الجنّ ، والجانّ ضَــعَفةُ الجنّ . وبلغنى عن يحيى بن آدم عن شَرِيك عن لَيْث عن مُجاهد قال قال — يعنى إبليس عليه لعنة الله — : أُعطِينَا أنّا نَرَى ولا نُرَى ، وأنّا ندخُل تحت الثَّرَى ، وأنّ شيخنا يُرَدّ فتًى .

(١) الإقليمياء بالكسر : ثُفْل يعلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرّب بادزهر : حجر تنسب اليه قوى غريبة فى مقاومة السموم ، فارسىّ مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛ وله منافع وخواص ذكرها آبن البيطار فى مفرداته . (٣) نبات الورس — كما فى مفردات آبن البيطار — كنبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتقت سنفته (وعاء ثمرته) فينتقض منه الورس ، ينبت كل سنة ويثمر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه فى صبغته حمرة . (٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يختضب به . (٦) العصب : صبغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافى ما نصه : «قلت : وعصرنا زاد خامسا وهو القهوة» .

حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال : حدّثنى يَعْلَى بن عُقْبة — شيخ من أهل المدينة مولًى لآل الزُّبَير — : أن عبد الله بن الزبير باتَ بالقَفْر، فقام ليَرْحَل فوجدَ رجلا طُوله شبران عظيمَ اللحية على الوَلِيّة(١)، فنفَضَها فوقع ثم وضَعَها على الراحلة، وجاء وهو بين الشَّرْخَين(٢)، فنفضَ الرحلَ ثم شدّه، وأخذ السوطَ ثم أتاه، فقال : مَنْ أنتَ؟ قال : أنا أَزَبُّ قال : وما أَزَبُّ؟ قال : رجلٌ من الجنّ؛ قال : ٱفتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حُلوقُكم! لقد شُوِّه حُلوقُكم! ثم قَلَبَ السوطَ فوضعه فى رأس أَزَبَّ حتى شقّه.

حدّثنى خالد بن محمد الأزدىّ قال حدّثنا عمر بن يونس قال حدّثنا عِكرِمة ٱبن عمّار قال حدّثنا إسحاق بن أبى طلحة الأنصارىّ قال حدّثنى أنس بن مالك قال : كانت بنتُ عوف بن عفراء مُضطجِعةً فى بيتها قائلةً إذ ٱستيقظَتْ وزِنجىٌّ على صدرها آخذًا بحلقها، قالت : فأمسكَنى ما شاء الله وأنا حينئذ قد حَرُمَتْ علىَّ الصلاةُ، فبينا أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يَنْفَرِج، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفةٌ صفراء تَهوِى بين السماء والأرض حتى وقعَتْ على صدرى، فنشرها وأرسل حَلقى فقرأها، فإذا فيها : من رَبِّ لُكَيزٍ إلى لُكيزٍ، اجتنب ٱبنةَ العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتى وقال : لولا هذه الصحيفةُ لكان دمٌ، أى لذبحتُك؛ فاسودّتْ ركبتى حتى صارت مثلَ رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لى(٣) : يا بنــة أخى ، إذا حِضتِ فألزِمى عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . فحفظها الله بأبيها وكان ٱستُشهِدَ يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفىّ عن عبد الملك بن عُمير عن الشّعْبىّ عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جِنّيًّا فقالت : إن بنتى عَروسٌ وقد تمرّط(٤) شَعَرُها من حُمَّى رِبْع بها، فهل

(١) فى الأصل الفتوغرافى «الوية» وفى النسخة الألمانية «الويّة» والتصويب عن لسان العرب؛ والولية : البرذعة . (٢) شرخا الرحل : حرفاه وجانباه، وقيل : خشبتاه من وراء ومقدّم .
(٣) فى الأصلين : «لها» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٤) تمرّط الشعر : تساقط وتحات .

عندكَ دواء؟ فقال: آعْمِدى إلى ذُباب المـاء الطويل القوائم الذى يكون بأفواه الأنهار فاجعليه فى سبعة ألوان من العِهْنِ(١): أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وأزرقَ وأبيضَ وأسودَ وأغبرَ، ثم آجعليه فى وسطه وآفتِليه(٢) باصبعك هكذا ثم آعقِديه على عَضُدها اليسرى؛ ففعلَتْ فكأنّما أُنشِطَتْ من عِقَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: أخبرنى محمد بن مسلم الطائفىّ فى حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيعُ أن تُغَيِّرَ خَلْقَها ولكنها تُسَخَّرُ .

وقال الأصمعىّ: حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدّثنا النَّهّاسُ(٣) بن قَهْم(٤) قال: دخلتُ مِرْبَدًا لنا فإذا فيه شىء كالعِجَّوْلِ(٥) له قرنان وله رِيشٌ ينظرُ إلىّ كأنه شيطانٌ .

حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله عن عمه قال: سَمِع رجلٌ بأرض ليس بها أحدٌ قائلا من تحته يقول: مَنْ يُحرِّك شُعَيراتِى(٦)؟ ذاك مَقِيلى، وظِلّ مَظَلّى، حاشا الغزيل وعبد الملك وجمعه الأُدْم؛ وكانوا يَرَوْن أنّ الأصمعىّ سمع هذا، وذاك أنه كان فى آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمَير بن ضُبَيْعة قال: بينا أنا أسيرُ فى فلاةٍ أنا وآبنُ ظبيانَ — أو رفيقٌ له آخر ذكره — عَرَضتْ لنا عجوزٌ — كذا سمعته يقول، إن شاء الله — أو شيخ — ورأيتُ فى كتاب محمدٍ آبنه — وصبىٌّ يبكى؛ فقال: إنى مُنْقَطَعٌ بى فى هذه الفلاة فلو تحمّلتمانى! فقال صاحبُ عمير: لو أردفتَه! فحمله خلفَه؛ فمكثنا ساعة فنظر فى وجه عمير وتنفّس فخرج مِنْ فِيه نارٌ

(١) العهن: الصوف أو المصبوغ ألوانا . (٢) كذا بالأصل الفتوغرافى، و فى النسخة الألمانية « اقتليه » بالقاف . (٣) فى النسخة الألمانية « المناسب » وهو تحريف .
(٤) فى الأصلين: فهم بالفاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس .
(٥) العِجّول: العجل . (٦) كذا فى الأصل الفتوغرافى . و فى النسخة الألمانية: «الغرِّيد» .

مثـلُ نار الأَتُّون فأخذَ له عميرٌ السيفَ؛ فبكى وقال : ما تُرِيدُ منّى ؟ فكفّ عنـه ولم يُعْـلِم صاحبَه بمـا رأى؛ فمكث هُنيهةً ثم عاد، فأخذ له السيفَ؛ فبكى وقال : ماتريد منى؟ و بكى؛ فتركه ولم يُعْلِم صاحبَه؛ ثم عاد الثالثةَ ففغر فى وجهه (١)؛ فحمل عليه بالسيف؛ فلما رأى الجِدَّ وثَب وقال : قاتلكَ اللهُ ماأشدَّ قلبَك! مافعلتُه قطّ فى وجه رجل إلا ذهب عقلُه .

بلغنى عن محمد بن عبد الله الأسدىّ عن سفيان عن آبن أبى ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبى أيُّوب الأنصارىّ أنه كان فى سَفْرَةٍ له وكانت الغولُ تجىء، فشكاها إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال : «إذا رأيتَها فقُل باسم اللهِ أجيبى رسولَ اللهِ» ؛ فجاءت فقال لها ذلك؛ فأخذها فقالت : لا أعود؛ فأرسلها؛ فقال له النبىّ عليه السلام : « ما فَعل أسيرُكَ » ؟ فأخبره؛ فقال : « إنها عائدة » ، ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثا، وقالت فى آخرها : أرسِلْنى وأُعلِّمك شيئا تقوله فلا يضرّك شىء : آيةَ الكرسىّ ؛ فأتى النبىّ عليه السلام فأخبره؛ فقال : « صَدَقَتْ وهى كَذُوبٌ » .

حدّثنى زيدُ بن أخزَمَ قال: حدّثنا عبد الصمد عن همّام عن يحيى بن أبى كثير أن عاملَ عُمَانَ كتب إلى عمرَ بن عبدالعزيز: إنّا أُتِينَا بساحرة فألقيناها فى المـاء فطَفَتْ؛ فكتب إليه عمرُ : لَسْنَا من المـاءِ فى شىء، إن قامتِ البينةُ و إلا فَخَلِّ عنها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنـا أبو عاصم قال حدّثنـا آبن جُريج عن آبن أبى الحسين المكىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نعمَتِ الدُّخْنةُ اللُّبانُ واللُّبانُ دُخْنةُ الأنبياءِ ولن يَدخُلَ بيتا دُخِّنَ فيه بِلُبَانٍ ساحرٌ ولا كاهنٌ" .

حدّثنى عبد الله بن أبى سعيد قال حدّثنى عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسمـاء بن خارجةَ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعتُ أعرابيةً تقول : من

(١) ففرفى وجهه : فتح له فاه .

يشترى منّى الخَزَأ؟ فقلتُ: وما الخزأ؟ قالت: يشتريه أكايسُ النساء للطَّشَّة والخافية والإقلاتِ؛ قال عبد الله: سألتُ ٱبنَ مُنَاذِرٍ فقال: الطَّشَّةُ: شيء يُصيبُ الصبيانَ كالزُّكام. والخافيــةُ: الجنّ. والإقلاتُ: قلةُ الولد. يريد أن المرأةَ إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: ٱمرأة مِقْلاتٌ.

بلغنى عن شيخ من بنى نُمير أنه قال: أضْلَلْتُ أباعرَ لى بالشَّرِيف (١) فخرجتُ فى بُغَائها فَدَأَبْتُ أياما فأمسيتُ عشيَّةً بوادٍ مُوحِشٍ وقد كَدَدْتُ راحلتى فاختليتُ (٢) لها من الشجر وأصبتُ لها من المــاء ثم قيّدتُها وٱضطجعتُ مغموما، فلما جَرى وسَنُ النوم فى عينى إذ هَمس قَدَمٌ قريبا منّى، فانتبهتُ فَزِعًا وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا رَبْعَةَ (٣) عليك! ثم سلّم وجلس، ثم جاء آخر وآخر حتى تألّفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللتُ أباعرَ لى وأنا فى طلبها منذ أيام؛ فقال لى الأوّل منهم: كُنّ لك ما كُنّ، وقد ودّعنَ فبِنّ، وصِرنَ حيث صِرنَ، فلا تُتعَنّيَنّ؛ فاجترأت على المسئلة فقلت: أمِن الخافيةِ أنتم نشدتكم بإلٰهكم؟ قالوا: نعم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد؛ فقلت: علّمونى ممــا علّمكم الله شــيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردتَ حِفظَ مالكَ فاقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسىّ، وإذا أمسيتَ فى خَلَاءٍ وحدَك فاقرأ المعوِّذتين، وإن أحببتَ ألّا يعبَثَ بك ولا بأهلك وولدك عابثٌ منّا فعليك بالديك الأبيض، وٱجعل فى حجور صبيانك بَرِيمًا، يعنى خيطا من صوف أبيض وأسود، وٱحتشُوا بٱلإذخِر (٤) يُنشر فى الصوف، فحــدّثونى كحديثنا تلك الليلةَ، فلما أصبحت رجعتُ.

(١) الشريف: اسم ماء لبنى نمير. (٢) اختليت من الاختلاء، وهو احتزاز الخــلى وهو الحشيش تعلف به الدواب. (٣) لا ربعة: لا فزع، من راع يريع إذا فزع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيّب الرائحة.

قال المدائنىّ : كانت وفاةُ زِياد بالعُرْفة[1] ظهرتْ فى إصبعه ، واشتدّ عليه الوجع فجمع الأطبّاء فشاورهم فى قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم : أتجد الوجعَ فى الإصبع أم تجده فى قلبك والإصبع ؟ قال : فى قلبى وفى إصبعى ؛ قال : عِش سليما ومُتْ سليما ، وأمره أن يَغمِسها فى الخلّ ، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضَ الوجع ، فمكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسَمِع أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلا يقول : أنا النقادُ ذو الرُّقَيَة قد كفيتُكم الرجلَ . والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجنّ . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «إنه وَخْزٌ من الجنّ» يعنى الطاعونَ . والله أعلم .

(١) العرفة : قُرْحة تخرج فى بياض الكفّ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية
التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى]

تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة و يتلوه فى الكتاب الخامس كتاب العلم . والحمــد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبى وآله وصحابته وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى ؛ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية . .

إلى هنا ينتهى آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩م . وسنعتمد فى مراجعة الجزء الخامس إلى آخر الكتاب على الأصــل الفتوغرافى وعلى المصادر التى يعوّل عليها فى تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطيـــة التى نقل عنها الأصل الفتوغرافىّ ما يأتى :]

كان سُدَيف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فَيئُنا دُولةً بعد القِسْمة ، وإمارتُنا غلبةً بعــد المشورة ، وعهدُنا ميراثًا بعد الاختيار للأمة ، واشْتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأَرْمَلَة ، وحَكَمَ فى أبشار[1] المســلمين أهلُ الذِّمة وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلّ محلّة . اللهم وقد استحْصَدَ زرعُ الباطل ، وبلغ نُهْيَتَه ، واستجمعَ طريدُه ، اللهم فافتح له من الحق يدًا حاصدةً تُبدِّد شملَه ، وتُفرّق نامّته[2] ، ليظهر الحقُّ فى أحسن صوره ، وأتمّ نُوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقّون ظُلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هــذا الدعاء : «باسم الله ، إنى أعوذ بالرحمن منــك إن كنتَ تقيًّا . اِخْسَئُوا فيها ولا تُكلِّمون . أخذت سمعك وبَصرَك بسمع الله وبصره ، وأخذتُ قوتَك بقوّة الله ، بينى و بينك سترُ النبوة الذى[3] كانت الأنبياء تَســتتر به من سَطَوات الفراعنة ، جبريلُ عن يمينك ، وميكائيلُ عن شِمالك ، ومحمدٌ أمامك ، والله مطلّ عليك يَحجزك منى و يمنعنى منك . والسلام» .

وكتب عُمر بنُ عبد العزيز إلى بعض عُمَّاله : «أما بعد ، فإذا دعتك قدرتُك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرةَ الله عليك ونَفَادَ ما تأتى إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك . والسلام» .

---

(١) أبشار : جمع بَشَر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاثنين والجمع وقد يثنى على بشرين ويجمع على أبشار (اللسان) . (٢) الناتة والنَّامة : الحسّ والحركة وحياة النفس .

(٣) فى الأصل «التى» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِم رجلٌ من بعض النواحى فقيل له : كيف تركتَ الناس ؟ قال : مظلوما لا يَنْتَصِر، وظالمـا لا يُنْتَهَر . والسلام .

فى الحبس :

ما يدخُلُ السجنَ إنسانٌ فتسأَلُه * ما بالُ سجنِـك إلّا قال مظلومُ

وقال بعض المُحْدَثِين :

إن الليالى التى شُغِفتُ بها * غَيَّبهـا الدهرُ فى تقلُّبـــه
لله أمرى ما ملتُ قطُّ إلى * شىء بقَلْبِى إلا فُجِعتُ به
عرفتُ حظّى من الزمان فلا * أَلُوم خَلْقًـا على تجنُّبـــه
وكل سَهْم أعددتُه وقَفتْ * به الليـالى حتى رُمِيتُ به

وحكى أن عبد الملك بن مروان أَتَوْهُ برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأُدخل على عبـد الملك ٱبن له صغير وهو يبكى ؛ فقال الخارجىّ : دعه يا عبدَ الملك ، فإن ذلك أرحب لشدقه ، وأصح لدماغه ، وأذهب لصوته ، وأحرى أَلّا تأبى عليه عينه إذا حَفَزَتْه طاعةُ الله فاستدعى عَبْرتها ؛ فأُعجب عبدُ الملك بقوله وقال له متعجّبا : أَمَا يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغى أن يَشْغَل المؤمنَ عن قول الحق شىءٌ؛ فأمر عبدُ الملك بحبسه ، وصَفَح عن قتله .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم والبيان

العلم

حدّثني الزياديّ قال حدّثنا عيسى بن يُونس عن الأوزاعيّ عن عبد الله بن سعد عن الصُّنَابِحيّ[1] عن معاوية بن أبي سفيان قال : نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الأُغْلُوطات، قال الأوزاعيّ : يعني صِعَاب المسائل[2] .

حدّثني سُهَيل بن محمّد عن الأصمعيّ قال سمعت عِمْران بن حُدَير يُحدّث عن رجل من أهل الشام قد سمّاه، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم في أبي مُسلم الخَوْلانيّ[3]؟ فقالوا : ما أحْسَنَ رأيَنَا فيه وأخْذَنا عنه ! فقال : إنّ

(١) في الأصل «الصنايجي» (بياء مثناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي (بباء موحّدة وحاء بعد الألف)، نسبة إلى صنابح من حمير، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) .

(٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعاب المسائل، والأوجه ما فسرها به الزمخشريّ إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يغالط بها»؛ ويؤيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس»» .

(٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحمر : عابد رحل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فلم يدركه، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ الناسِ فى الحاكم أَهْلُه ، و إنّ مثل ذلك مثل الجامّة(١) تكونُ فى القوم فَيَرْغَبُ فيها الغُرَباء، ويَزْهَـدُ فيها القُرَباء، فَبينَا ذلك غَارَ ماؤُها، وأصاب هؤلاءِ مَنْفَعَتُها، و بَقِيَ هؤلاءِ يتفكَّنُون: أى يتندَّمون .

وفى الإنجيل أن عيسى صلّى الله عليه لمّا أراهم العجائب، وضرب لهم الأمثال والحكمة، وأظْهَرَ لهم هذه الآياتِ، قالوا : أليس هذا ٱبنَ النَّجّار ! أَوَ لَيْستْ(٢) أُمُّه مَرْيَمَ وأخُوه يعقوبَ و يوسفَ وشمعونَ و يَهُوذا وأخواته كلّهنّ عنـدنا ! فقال لهم عيسى : إنّه لا يُبْسَب النبيّ ولا يُحَقَّر إلّا فى مدينته و بيئَتِه(٣) .

حدّثنـا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قيل لدَغْفَل النسّابة : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : بلسانٍ سَؤُول وقلبٍ عَقُول، وكنتُ إذا لَقِيتُ عالمًا أخذتُ منه وأعطيْتُه .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا العَلَاء بن أسلم عن رؤبة بن العجّاج قال : أتيت النسّـابة البكرىّ فقال لى : مَن أنت ؟ فقلت أنا ٱبن العجاج ، قال : قَصّرت وعَرَّفْت، لعلك من قوم إن سكتُّ عنهم لم يسألونى، وإن تكلّمتُ لم يَعُوا عنّى، قلت : أرجو ألا أكونَ كذلك، قال : ما أعداءُ المُرُوءَة؟ قلت : تُخبرنى، قال : بنو عمّ السوء إن رَأَوْا حسنا ستَرُوه، و إن رأَوْا سيّئا أذاعوه، ثم قال : إن للعلمْ آفةً وهُجنةً ونَكدًا، فآفتُه نسيانُه، ونكده الكذبُ فيه، وهُجنته نشره عند غير أهله .

كان يقال : لا يَزَال المرءُ عالمـا ما طَلَب العِلْمَ فإذا ظَنّ أَنْ قد عَلِمَ فقد جَهِلَ .

---

(١) لعلها الجمّة قال فى اللسان : والجَمُوم : البئر الكثيرة الماء، و بئر جَمّة وجَمُوم : كثيرة الماء .

(٢) فى الأصل «ليس» بغير تاء التأنيث .

(٣) فى هامش الأصل الفتوغرافى عن نسخة أخرى : بيته .

حدّثنى شيخٌ لنا عن محمّد بن عُبيد عن الصّلت بن مِهْران عن رجل عن الشعبىّ عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلّم العِلْمَ لأربعة دخل النار لُيباهِىَ به العلماءَ أو يمارِىَ به السفهاءَ أو يُميل به وجوهَ النـاس أو يأخُذَ به من الأمراء» .

وحدّثنى عن أبى معاوية عن حجّاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوما إلّا ظهرت ينابيعُ الحِكْمة من قلبه على لسانه» . وقرأت فى حِكَم لُقمان أنه قال لابنه : يا بُنَىَّ ، اغْدُ عالما أو متعلّما أو مُستمِعا أو مُحبّا ، ولا تكن الخامسَ فتهلك .

حدّثنى محمد بن داود عن سُوَيد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيّاش عن مُعاذ ابن رِفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا العِلْمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه يَنْفُون عنه تحريفَ(١) الغالين(٢) وانتحالَ المُبْطلين وتأويلَ الجاهلين» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبى إسحاق قال قال علىّ عليه السلام : كَلِماتٌ لو رَحَّلْتم المَطِىَّ فيهنّ لا تُصيبوهنّ قبل أن تُدركوا مثلَهن(٣) : لا يرجُوَنّ عبد إلا ربَّه ، ولا يخافنّ إلا ذنبَه ، ولا يَسْتَحيِي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيِي إذا سُئِل عمّا لا يَعْلَم أن يقول : الله أعلمُ . واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأسُ ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان . وكان يقول : من حقّ العالِم عليك إذا أتيتَه أن تُسلِّم على القوم عامّةً وتَخُصَّه بالتحية ، وأن

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ، وفى الأصل «به» . (٢) كذا فى الأصل ومثله فى أدب الدنيا والدين . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .

(٣) فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خمس خذوهن عنى ، فلو ركبتم الفلك ما وجدتموهنّ إلا عندى : ألا لا يرجوَنّ أحد إلا ربه ... الخ» .

تَجْلِس قُدّامَه ولاتُشِيرَ بيــدك ، ولا تَغْمِزَ بعينك، ولاتقولَ قال فلان خلافًا لقوله [1] ، ولا تَغتابَ عنده أحدا ، ولا تَسَارَّ فى مجلسه ، ولاتأخُذَ بثو به ، ولا تُلِحَّ عليــه إذا كَسِل، ولا تَعْرِضْ [2] من صحبته لك، فإنمـا هو بمنزلة النخلة لا يزال يسقط عليك منها شىء . وفيما قال علىّ عليه السلام : ياكُمَيْل [3]، العلم خير من المـال، لأنّ العلم يَحْرُسُك وأنت تحرُس المـال،والمـال تَنْقُصه النفقة،والعلم يزكو على الإنفاق . وقال : قيمةُ كلِّ آمرئٍ ما يُحسن . ويقال إذا أرذَل [4] اللهُ عبدًا حَظَر عليه العِلمَ . وقال الشاعر:

يُعَدُّ رفيعَ القومِ مَن كان عالمًا [5] * وإن لم يكن فى قومه بحسيبِ
وإنْ حلّ أرضا عاش فيها بعلمه * وما عالِمٌ فى بلدةٍ بغـــريبِ

قال بُزُرْجِمْهر : ما ورَّث الآباءُ الأبناءَ شيئا أفضلَ من الأدب، لأنها تَكتسب المـال بالأدب و بالجهل تُتْلفه فتقعُد عُدْما منهما . قال رجل لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبار، وتتدارسون الآثار، وتتناشدون الأشعار، وقَعَ عَلَيَّ النومُ؟ قال : لأنك حِمارٌ فى مسلاخ [6] إنسان .

خرج الوليدُ بن يزيدَ حاجًا ومعه عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج فآستأذن عليــه رجلٌ من ثَقِيف فأَذِنَ له وسَتَرَ

---

(١) عبارة العقدالفريد «خلاف قولك» . (٢) لاتعرض : لا تضجر. وفى الأصل «تفرض» بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تُلِحَّ عليــه فى السؤال ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التى لا يزال يسقط عليك منها شىء» . (٣) فى الأصل : « تكميل العلم خير من المـال » وهو تحريف ، والصواب ماأثبتناه، فقد جاء فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعى قال : أخذ بيدى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فخرج بى إلى ناحية الجبانة فلمـا أصحر تنفّس الصعداء ثم قال : ياكميل ، إن هــذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فآحفظ عنى ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة فى الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) فى العقد الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشِّطْرَنْجُ بمنْدِيل، فلماّ دخل سلمٌ فسأله حاجتَهَ، فقال له الوليد : أقرأتَ القرآن ؟ قال : لا، يا أمير المؤمنين ! شغلتنى عنه أمورٌ وهَنَات، قال : أفتعرف الفِقْه ؟ قال : لا ، قال : أفرَوَيْت من الشِّعر شيئا ؟ قال : لا، قال : أفعلِمتَ من أيام العرب شيئا ؟ قال : لا، قال : فكَشَفَ المنديل عن الشِّطْرَنْج وقال : شاهك، فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسْكُت فما معنا أحد .

وفى كتاب للهند : العالِمُ إذا ٱغترب فمعه من عِلْمه كَافٍ ، كالأسد معه قوّتُه التى يَعِيش بها حيثُ تَوَجّه . وكان يقال : العلم أشرفُ الأحساب ، والمودّةُ أشدُّ الأسباب، قال الشاعر :

الحِلْمُ والعِلْمُ خَلّتَا كَرِمٍ * للمرءِ زَيْنٌ إذا هما ٱجتمعا
صِنْوان لا يَستَتِمّ حسنُهما * إلا بجمع لذا وذاك معا
كم من وضيعٍ سما به العِلْمُ والـ * ـحِلْمُ فنال العَلَاءَ وٱرتفعا
ومن رفيع البِنا اضَاعَهُما * أخمله ما أضاع فاتّضعا

قال الأحنف : كادَ العلماءُ أن يكونوا أَرْبابا ، وكلُّ عزٍّ لم يُؤَكَّدْ(١) بعلْم فإلى ذُلّ ما يصير . وقال ٱبن المُقَفّع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سُلْطانٍ فلا يُعْجِبَنّك ذلك، فإنّ زوال الكرامة بزوالها، ولكنْ ليُعْجِبك إن أكرموك لِدِين أو أدب . وفى بعض الحديث المرفوع : «مَثَلُ العلماء فى الأرض مَثَل النجوم فى السماء» . وكان يقال : استُدِلّ على فضل العلم أنه ليس أحدٌ يُحِبّ أن له بحظه منه خَطَرًا . قال يونس بن حبيب : عِلْمُك من رُوحك، ومَالُك من بَدَنك . قال أبو الأسود : الملوك حُكّامٌ على الناس، والعلماء حُكّامٌ على الملوك .

(١) فى العقد (ج ١ ص ٢٠١) «يكسب» .

قيل لبُزُرْجمهر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء؟ فقال : العلماء، فقيل له : فما بالُ العلماء بأبواب الأغنياء أكثرُ من الأغنياء بأبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغنَى وجَهْلِ الأغنياء بفضل العلم . وفى الحديث : «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلّا فى طلب العِلْم» . قال ابن عبّاس : ذَلَلْتُ طالبا، فعزَزْتُ مطلوبا، وكان يقول: وجدتُ عامّة عِلْم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هـذا الحىّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ أُذِن لى ، ولكن أبتغى بذلك طِيب نفسه . وكان يقال : أوّلُ العلم الصمتُ والثانى الاستماعُ، والثالث الحِفْظُ، والرابع العقل، والخامس نشرُه . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك على أن تقول . قال الحسن : مَن أحسنَ عِبادةَ الله فى شبيبته لقاه الله الحكمة فى سِنّه، وذلك قولُه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمةُ : مَن التمسنى فلم يجِدْنى فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم، وليترك أقبح ما يَعلم، فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يَعرِفْنى. وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالما حتّى يكونَ فيه ثلاثٌ: لا يَحْقِرُ مَن دونه فى العلم، ولا يَحسُد من فوقه، ولا يأخُذ على علمه ثمنا . وقال ابن عُيينة : يُستَحبّ للعالم إذا عَلَّم ألّا يُعنِّف، وإذا عُلِّم ألّا يأنَف . وفى كلام لغَيْلان ، لا تكن كعلماء زمن الهَرْج[(١)] إن عُلِّموا أَنِفوا وإن عَلَّموا عنفُوا . وفى حكمة لقمان : إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ إلى علمه بالصَّمْت والوَقار ، وإن العالِم الأَخْرَق يَطْرُد الناس عن علمه بالهَذَر والإكثار . قال إبراهيم بن المنصور : سَلْ مسئلةَ الحَمْقَى واحفَظْ حِفظَ الأكياس . وأنشد ابن الأعرابىّ :

---

(١) الهرج : الفتنة .

ما أقربَ الأشياءَ حينَ يَسُوقُها * قَدَرٌ وأبعدَها إذا لم تُقْدَرِ
فسلِ الفَقيهَ تَكُنْ فقيها مثلَهُ * مَن يَسْعَ فى عمل بفقهٍ يَمْهَرِ
وتدبّر الأمرَ الذى تُعْنَى به * لاخيرَ فى عملٍ بغيرِ تدبُّرِ
فلقد يَجِدُّ المرءُ وهو مُقَصِّر * ويَخيبُ جِدّ المرءِ غيرَ مُقَصِّر
ذهب الرجالُ المُقْتَدَى بفَعَالهم * والمنكِرون لكلّ أمرٍ مُنْكَرِ
وبقِيت فى خَلَفٍ يُزيِّنُ بعضُهم * بعضا ليَدْفَعَ مُعْوِرٌ(١) عن معوِرِ

وقال الشاعر(٢) :

شِفَاءُ العمى طولُ السؤال وإنّما * تمامُ العمى طولُ السكوتِ على الجَهْلِ

وقال بعضهم: خيرُ خصال المرء السؤالُ. ويقال: إذا جلست إلى عالم فسل تَفَقُّهًا ولا تَسَلْ تَعَنُّتا. قال الحسن: مَن ٱستتَرَ عَن الطلَب بالحَيَاء لَبِس للجهل سِرْبَالَه، فقَطِّعُوا سَرَابيلَ الحياء، فإنّه مَن رَقّ وجهُه رقّ عِلْمُه؛ وقال: إنّى وجدتُ العِلْمَ بين الحياء والسِتْر. وقال الخليل: منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفة. وقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام: قُرِنت الهيْبَةُ بالخَيْبة، والحياءُ بالحِرْمان، والحِكْمَةُ ضالّةُ المؤمن فليَطْلُبْها ولو فى يَدَىْ أهلِ الشِّرك. وقال عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر لبنيه: تعلّموا العلم فإنْ تكونوا صِغَارَ قومٍ فعسى أَنْ تكونوا كِبَارَ قومٍ آخَرِين، فياسَوْءَتَا ماذا أَقْبَحُ من جهلٍ بشيخ! وكان يقال: عَلِّم عِلْمَكَ مَنْ يَجْهَل، وتَعَلَّم ممّن يَعْلَم، فإنّك إذا فعلتَ ذلك عَلِمتَ ما جَهِلتَ وحَفِظْتَ ما عَلِمت.

قيل لبُزُرْجِمْهر: بِمَ أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال: بِبُكُورٍ كبُكُور الغُرَاب، وحِرْصٍ كحِرص الخِنْزِير، وصَبْرٍ كصبر الحِمَار. وقال الحسن: طلبُ العلم

(١) معور من أعور الشىء إذا بدت عورته. (٢) هو بشار بن برد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٤٩ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما عناك فإنما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

فى الصِّغر كالنَّقش فى الحَجَر، وطلبُ العلم فى الكِبَر كالنقش على المـاء. ويقال: التفقّه على غير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يَبْرَح. وفى الحديث المرفوع «ارحموا عزيزا ذَلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالمـا ضاع بين جُهّال» ويقال : أحقّ الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حُكْمُ جاهل .

قال المسيح عليه السلام : يابَنى إسرائيلَ لا تُلقُوا اللؤلُؤَ إلى الخنازير، فإنّهـا لا تَصْنع به شيئا، ولا تُعْطُوا الحِكْمَةَ مَن لا يُريدها ، فإنّ الحكمَة أفضلُ من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شَرٌّ من الخنازير. قال ديمقراط : عالمٌ معاندٌ خيرٌ من مُنْصِف جاهل. وقال آخر : الجاهل لا يكون مُنصِفا، وقد يكون العالم معاندا . قال سُفْيان: تَعَوَّذُوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر(١). قيل للحسن : الحِرْفَةُ فى أهل العلم، ولغيرهم الثَّروة ، فقال : إنّك طلبت قليلا فى قليل فأعجزك، طلبت المـال وهو قليل فى الناس، فى أهل العلم وهم قليل فى الناس . وقال الخُزَيْمِىّ :

لاتَنْظُرَنّ إلى عَقْــلٍ ولا أدب * إنّ الجُــدودَ قريناتُ الحماقات

وقال آخر :

ما ٱزْددتُ من أدبى حَرْفا أُسَرُّ به * إلّا تَزَيّدْتُ حَرْفا تحته شُــومُ
إن المُقَــدَّم فى حِذْقٍ بصَنْعته * أَنَّى توجَّه منهـا فهــو محــرومُ

وقال الطائىّ لمحمد بن عبد الملك :

أبا جَعْفرٍ إنّ الجَهَالة أُمُّها * وَلُودٌ وأمُّ العلم جَذّاءُ(٢) حائلُ(٣)

---

(١) فى الأصل : «العالم» وظاهر أنه تحريف .

(٢) جذاء : من الجذ وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل .

(٣) الحائل : كل أنثى لا تحمل .

قال الثّورىّ : مَن طلب الرِّياسة بالعلم سريعا فاته علمٌ كثير(١). وقال : يهتف العلم بالعمل فإن أجابه و إلّا ٱرتحل. قال بعض أهل العلم : يُغفَر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفَر للعالم ذنب واحد . قال بلال بن أبى بُردَة : لا يَمنعنّكم سوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

اِعْمَلْ(٢) بعلمى ولا تَنْظُر إلى عملى * يَنفَعْك قولى ولا يَضْرُرْك تقصيرى

كتب رجل إلى أخ له : إنّك قد أوتيتَ علما فلا تُطفئنّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى فى الظلمة يومَ يَسعى أهلُ العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلمُ لم يُطلب العمل، ولولا العملُ لم يُطلب العلم، ولأن أَدَعَ الحقَّ جهلا به أحبّ إلىّ من أن أَدَعَه زُهْدا فيه . وقال مالك بنُ دينار: إن العالِمَ إذا لم يَعْمَل بعلمه زَلّت موعظتُه عن القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ عن الصَّفَا(٣) . ونحوه قولُ زياد : إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَعَ فى القلب، و إذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان .

و يقال : العلماءُ إذا عَلِمُوا عَمِلوا، فإذا عَمِلوا شُغِلوا، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبُوا فإذا طُلِبُوا هَرَبُوا . قال الحسن : ما أحسنَ الرجلَ ناطقا عالما ومُستَمِعا وَاعِيا وواعيا عاملا . وقال ٱبن مسعود : إنى لَأَحسَب الرّجل يَنْسَى العلمَ بالخطيئة يَعْمَلُها . وقال ٱبن عبّاس : إذا تَرَك العالمُ قولَ لا أدرى أُصيبت مَقاتِلُه . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدّثتُ فى مَجْلِس * تَنَاهى حديثى إلى ما علمتُ
ولم أَعْدُ علمى إلى غيره * وكان إذا ما تناهى قَصَرْتُ

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفى الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمى و إن قصرت فى عملى» وفى أدب الدنيا والدين «اعمل بقولى ...» . (٣) الصّفَا جمع صَفَاة، وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت .

وقال آخر[(١)]:

إذا ما ٱنتهى عِلْمى تناهيتُ عنده * أطـال فأَمْلَى أم تنـاهى فأَقْصَرا
ويُخْـبِرُنى عن غائب المرءِ فعـلُه * كفى الفعلُ عما غيَّب المرءُ مُخْبِرا

قال عمرُ بن الخطّاب: لا أدركتُ لاأنا ولا أنت زمانا يَتغايَرُالناس فيه على العِلْم كما يتغايرون على الأزواج . قال سَلْمان : علمٌ لا يُقـال به كَكنز لا يُنْفَق منـه . وفى الحديث المرفوع : «العلم علمان علمٌ فى القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان فذلك حُجّةُ الله على ٱبن آدم» قال عمرُ بن عبد العزيز : ماقُرِن شىءٌ إلى شىء أحسن من حِلْم إلى علم ومن عَفْو إلى قُدْرة . قال أبو الدَّرْداء : مَن يَزْددْ علمـا يَزْدَدْ وَجَعـا .

قال أفلاطون : لولا أنــ فى قولِ لا أعلم سبَبًا لأَنّى أعلم لقلتُ إنّى لا أَعْلَمُ. وقال آخر: ليس معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنّى لستُ أعلم .

قال الخليل بنُ أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يَدْرِى ويَدْرِى أنه يدْرِى فَسَلُوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يَدْرِى فذاك ناسٍ فذكِّروه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعلِّموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفُضوه .

كتب كِسْرى إلى بُزُرْجِمْهر وهو فى الحبس : كانت ثمرةُ علمك أن صِرْتَ بها أهلا للحبس والقتل، فكتب إليه بُزُرْجِمْهر : أما ما كان معى الجَدّ فقد كنتُ أنتفعُ بثمرة العلم فالآن إذ لا جَدَّ فقد صِرتُ أنتفع بثمرة الصبر مع أنى إن كنتُ فَقَدْت كثيرَ الخير فقد ٱسترحت من كثير الشرّ .

---

(١) هو زيادة بن زيد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بُزُرْجِمْهِر : من صلح له العُمْرُ صلح له التعلُّمُ . وقيـل لبعض الحكماء : أيحسُن بالرجل أن يتعلّم ؟ فقال : إن كانت الجَهَالةُ تُقَبِّح به فإنّ العلم يُحْسِّنُ به . ويقال : التودُّد زَيْن العلم .

قال عمرُ بن الخطّاب : ما من غاشية(١) أدْوَم أَرَقًا ، وأبطأ شِبَعًا من عالم . قال مالك بن دينار : مَن طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفى ، ومن طلبه للناس لحوائجُ الناس كثيرةٌ .

قال إبُقْرَاطُ : العـلم كثير، والعُمر قصير، والصنعةُ طويلة ، والزمان جديد ، والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تَصِفُون الطريقَ للمُدْلجين، وأنتم مُقيمون مع المتحيِّرين، إنما ينبغى من العلم القليلُ، ومن العمل الكثير. قال سَلْمان: لو حدَّثتُ الناسَ بكلّ ما أَعْلَمُ لقالوا رَحِمَ الله قاتِلَ سَلْمان . كان يقال: لا تقل فيما لا تعلم فتُتَّهَم فيما تَعْلَم . وكان يقال: العلم قائد، والعمل سائق، والنَّفس حَرُون(٢)، فإذا كان قائدٌ بلا سائق بَلُدَتْ وإذا كان سائقٌ بلا قائد عَدَلتْ يمينا وشمالا ، فإذا آجتمعا أنابت طَوْعا وكَرْها . قال أَيُّوب : لا يَعرِف الرجلُ خطأَ مُعلِّمه حتّى يعرِفَ الآختلاف . ويقـال : غريزة العقل أُنْثى وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ ولن يصلُحَا إلّا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أَبْغَضَ العلماء إلى الله رجلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بالمَغيب، ويُوَسَّع له فى المجالس، ويُدْعَى إلى الطعام، وتُفْرَغ له المَزَاوِد(٣)، بحقّ أقولُ لكم : إن أولئك قد أخذوا أُجُورَهم فى الدنيا، وإن الله يُضاعِف لهم العذابَ يومَ القيامة .

(١) الغاشـية : السُّؤّال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك . (٢) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فإن كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا آجتمعا أنابت طوعا أو كرها» .

(٣) المزاود جمع مِزْوَد كمنبر وهو وعاء الزاد .

لما دُلِّىَ زيد بن ثابت فى قبره قال ٱبن عبّاس : من سَرَّه أن يَرَى كيف ذهب العِلْمُ فهكذا ذَهابُ العلم .

ويقال : إذا أردتَ المحبة من الله فكن عالمـا كجاهل . وقال بعضُ الشعراء فى تَلَاقِى العلماء :

إذا تَلَاقَى الفُيُــولُ[1] وٱزْدحمتْ * فكيف حالُ البَعُوضِ فى الوَسَطِ

وقال ٱبن الرَّقاع :

ولقد أصبتُ من المعيشةِ لَذَّةً * ولَقِيتُ من شَظَفِ الخُطوبِ شِدَادَها
وعلمتُ حتّى لستُ أسألُ عالمـا * عن حَرْفِ واحدةٍ لكى أزدادَها

ويقال : أربعٌ لا يَأْنَف منهنّ الشريفُ : قيامُه عن مجلســه لأبيه ، وخِدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرَسه وإن كان له مائةُ عبدٍ ، وخدمته العالِم ليأخذَ من علمه .

قيل لعطاء بن مُصْعَب : كيف غَلَبْتَ على البرامكةِ وعندهم مَن هو آدبُ منك؟ قال : ليس للقُرَباء ظَرَافَةُ الغُرَباء ، كنتُ بعيدَ الدار ، غريبَ الاسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الالتواء ، شحيحا بالإملاء ؛ فقرّبنى إليهم تَباعُدِى منهم ، ورغَّبهم فىَّ رغبتِى عنهم .

قال أبو يعقوب الخُرَيمىّ[2] : تلقّانى سعيد بن وَهْب مع طلوع الشمس فقلت : أين تُريد؟ قال : أَدُورُ لعلِّى أسمع حديثا حَسَنًا ، ثم تلقّانى أَنَس بن أبى شيخ فقلت : أين تُريد ؟ قال : عندى حديثٌ حَسَنٌ فأنا أطلُب له إنسانا حَسَنَ الفهم حَسَنَ الاستماع ، قلت : حدِّثْنى به قال : أنت حَسَنُ الفهم سَيِّئُ الاستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيلَ بن غَزْوَان . وقال الطائىّ فى نحو هذا :

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسّان و يكنى أبا يعقوب الخُرَيمىّ [بالراء المهملة] كما ذكره المؤلف فى كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدنة «ليدن» سنة ١٩١٢ م .

وكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا من قنُوعٍ * تعوّضه صَفُوحٌ من مَلُول[١]

فصِرْتُ أَذَلَّ من معنًى دَقيقٍ * به فَقْـرٌ إلى فَهْمٍ جَليـلِ

كان يقال : إذا أردتَ أن تكون عالما فاقصِد لفنٍّ من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسَنَه . قال إبراهيم بن المهدىّ :

قد يُرْزَقُ المـرءُ لم تَتْعب رواحِلُهُ * ويُحرَمُ الرِّزقَ مَن لم يُؤْتَ من تَعَبِ

معْ أنَني واجِدٌ فى النـاس واحِدَةً * الرزقُ أَرْوغُ شيءٍ عن ذوى الأَدَبِ

وخَلَّةً ليس فيها مَن يُخالفنى * الرزق والنُّوكُ مَقْرونانِ فى سَبَبِ[٢]

يا ثابتَ العقل كم عاينتَ ذا حُمُقٍ * الرزقُ أغرى به من لازم الجَرَبِ

قال أنوشِرْوان للمُوبَذ[٣] : ما رأسُ الأشياء؟ قال : الطبيعة النقيّة تكتفى من الأدب برائحته، ومن العلم بالإشارة إليه، وكما يذهب البَذْر فى السِّباخ ضائعا، كذلك الحكمة تموت بموت الطبيعة، وكما تَغلِب السِّباخُ[٤] طيِّبَ البَـذْر إلى العَفَن ، كذلك الحكمة تَفْسُد عند غير أهلها؛ قال كسرى : قد صدقتَ وبحق قلّدناك ما قلّدناك .

قال بعضُ السلف[٥] : يكون فى آخر الزمان علماء يُزهِّدون فى الدنيا ولا يَزْهَدُون، ويُرغِّبون فى الآخرة ولا يَرْغبون ، يَنْهَوْن عن غِشـيان الوُلاة ولا ينْتَهون ، يُقرِّبون

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى ، وفى نسخة ديوان أبى تمام الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفى ديوانه المطبوع : «عن جهول» .

(٢) كذا فى المحاسن والأضـداد للجاحظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل . وفى الأصل الفتوغرافى : «نسب» .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) السِّباخ جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهى الأرض ذات النّز والملح .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون...الخ» .

الأغنياء ويُباعدون الفقراء،[1] ويَنْقبِضون عند الحُقَراء، وينبسطون عنـد الكُبَراء[2] : أولئك الجبَّارون أعداءُ الرحمن[3] .

نافع عن ٱبن عُمَر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق، وسنةٌ ماضية، ولا أدرى .

الكُتُب والحفظ

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى قريش بن أَنَس قال سمعت الخليل بن أحمد يقول : اِسْلَمْ من الوَحْدة، فقيل له : قد جاء فى الوَحْدةِ ما جاء، فقال : ما أفسدَها للجاهل ! . قال بعض الشعراء فى قوم يَجْمعون الكُتُب ولا يَعْلَمون :

زَوامِلُ[4] للأسفارِ لا عِلْمَ عندهم * بجيِّـدها إلا كعِلْمِ الأباعِرِ
لعمرُكَ ما يَدْرِى المَطِىُّ إذا غدا * بأحمالهـا أوراحَ ما فى الغَرائِرِ[5]

قال يحيى بن خالد : النـاسُ يكتُبون أحسنَ ما يَسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتُبون، ويتحـدّثون بأحسنِ ما يَحفظون . قال الشَّعْبىّ : لو أن رجلا حفِظ ما نَسِيتُ كان عالمـا . ووَصف رجلٌ رجلا فقال : كان يَغْلَطُ فى علمه من وجُوهٍ أربعـةٍ : يَسمع غيرَ ما يُقال له، ويَحفَظ غيرَ ما يَسمع، ويكتُب غيرَ ما يحفَظ، ويُحدِّث بغير ما يَكْتُب .

قيل لأبى نُوَاس : قد بَعثوا إلى أبى عُبَيدة والأصمعىّ ليُجْمَعَ بينهما، فقـال : أمّا أبو عُبَيدة فإن أمْكَنوه من شُقَره[6] قرأ عليهم أَساطيرَ الأوّلين، وأما الأصمعىّ فبُلْبُلٌ فى قَفَصٍ يُطرِبهم بنَغَماته .

(١) فى العقد الفريد «و يبعدون» . (٢) فى العقد الفريد « و يتبسطون للكبراء و ينقبضون عن الحقراء» . (٣) فى العقد الفريد «أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن» . (٤) زوامل جمع زاملة وهى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الغرائر جمع غرارة بالكسر وهى ما يحمل فيه التبن ونحوه . (٦) الشقر كصرد : الكذب، وفى المثل : «جاء بالشُّقَر والبُقَر» أى جاء بالكلام المغيّر عن وجه الصدق .

القــــرآن

حدّثني الزِّيادىّ قال : حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد عن الجُرَيْرِىّ عن عبد الله ابن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكْرَهون بَيْعَ المصاحِف ويَرَوْنه عظيما، وكانوا يكْرهون أن يأخُذَ المعلِّمُ على تعليم الغِلْمان شيئا .

حدّثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلىّ عن أبى إسحاق عن الحارث عن علىّ عليه السلام قال : مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مَثَل الأُتْرُجّة ريحُها طَيِّب وطعمُها طيِّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التَّمْرة طعمُها طيِّب ولا رِيحَ لها ؛ ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيْحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ؛ ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحَنْظَلة طعمها مُرٌّ ولا رِيحَ لها .

وحدّثني محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبى[1] إسحاق عن إسماعيل بن أمية ولَيْث بن أبى سُلَيم عن نافع عن ابن عُمَر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تُسَافروا بالقرآن إلى أرض العدُوّ فإنى أخاف أن يَنالَه العدُوّ" .

حدّثني أبو سفيان الغَنَوِىّ قال حدّثنا عُمَيْر بن عِمْران العَلّاف قال : حدّثنا خُزَيمة ابن أسد المُرِّى قال : كان سعيدُ بن المُسيَّب يَستفتح القراءة بِ(بسم ٱللهِ ٱلرحمنِ ٱلرحيم) ويقول : إنها أوّلُ شيءٍ كُتِب فى المصحف، وأوّل الكُتُب، وأوّل ما كَتَبَ به سُليمانُ[2] بن داود الى المرأة .

---

(١) ورد فى الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور ممن روى عنه «أبو اسحاق الفزارى» ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذى روى عن أبى اسحاق الفزارى أيضا فيتعين مما ورد فى الأصل أن «أبا اسحاق» هو المقصود فى هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ج ١٠ ص ٢١٥) .

(٢) هى بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبأ وقصتها معروفة .

وحدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: حدّثنا رجل عن عِمْران بن حُدَيْر قال: قرأت على أعرابيّ آخرَ سُورة «براءة» فقال: كان هـذا من آخر ما نَزَل. قالوا: كيف؟ قال: أرى أشياء تُقْضَى وعُهودًا تُنْبَذُ. قال: وقرأتُ عليه سُورة الأحزاب فقال: كأنّها ليست بتامّة.

حدّثني محمدُ بن عُبيد قال: حدّثنا سفيانُ بن عُيَينة عن ٱبن أبي نَجِيح عن مجاهد قال: قال ٱبن مسعود: (حمٓ) دِيباج القرآن، قال: وزاد فيه مِسعر[1]، قال عبد الله: إذا وقعتُ في آل (حم)[2] وقعتُ في رَوْضات دَمِثات[3] أتأنّق فيهنّ.

حدّثني شيخٌ لنا عن المُحارِبيّ قال: حدّثنا بكر بن خُنَيس[4] عن ضِرار بن عَمْرو عن الحسن قال: قُرّاءُ القرآن ثلاثةٌ: رجلٌ ٱتّخذه بِضاعةً ينقُلُه من مصر إلى مصر، يطلُب به ما عند الناس، وقومٌ حَفِظوا حروفَه، وضيّعوا حُدودَه، وٱستدرّوا به الوُلاة، وٱستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثَّر الله هـذا الضَّرْبَ في حَمَلة القرآن لا كثّرهم الله — ورجلٌ قرأ القرآن فبَدَأ بما يَعْلَم من دَواء القرآن فوَضَعه على دَاءِ قلبه، فسَهِر ليلَه وهَمَلَت عيناه، تَسَرْبَلوا[5] الخُشُوعَ، وٱرْتَدَوْا بالحُزْن، ورَكَدُوا في محاريبهم، وجَثَوْا[6] في بَرانِسهم[7]، فبهم يَسْقي الله الغيثَ، ويُنْزِل النَّصر، ويَرْفَعُ البَلاءَ، والله لَهذا الضَّرْبُ

(١) هو مسعر بن كِدَام بن ظهير الهلاليّ العامريّ الرّوّاسي، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣). (٢) في النهاية لابن الأثير مادة «دمث»: إذا قرأت «آل حم الخ». وفي مادة «أنق»: إذا وقعت «في آل حم الخ». (٣) دمثات: سهلة لينة. (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا في تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة. وفي الأصل «خنيش» بالمعجمة في آخره وظاهر أنه تحريف. (٥) كذا في الأصل بواو الجماعة والمقام يقضي الإفراد لقوله: «ورجل قرأ القرآن...الخ» ويؤيد هذا ما ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) ونصه: «...ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وٱرتدى الوقار واستشعر الحزن ووالله ... الخ». (٦) في الأصل: خنوا. (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام، وكل ثوب رأسه ملتزق به.

فى حَمَلَة القرآن أقلُّ من الكِبْريت الأحمر . رَوَى الحارثُ الأَعْوَرُ عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كتاب الله فيه خَبَرُ ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحُكْمُ ما بينكم هو الفصلُ ليس بالهَزْل هو الذى لا تُزِيغُ به الأهواء ولا تَشْبَعُ منه العلماء ولا يَخْلَق[1] عن كثرة الردّ ولا تَنْقضِى عجائبُه هو الذى مَن تركه من جَبَّارٍ قَصَمه الله ومن ٱبتغى الهُدَى فى غيره أضلَّه الله هو حَبْلُ الله المتين والذِّكر الحكيم والصراط المستقيم" ؛ خذها إليك يا أعور .

المُحارِبىّ قال : حدّثنا مالكُ بن مِغْوَل[2] عمّن أخبره عن المُسَيَّب بن رافع عن عبدالله ٱبن مسعود قال : ينبغى لحامل القرآن أن يُعْرَف بليله إذ الناسُ نائمون ، وبِحُزْنه إذ الناس يَفْرَحون ، وببكائه إذ الناس يَضْحَكون ؛ وينبغى لحاملِ القرآن أن يكون عليما حكيما لَيِّنا مُستَكِينا[3] .

وكيع عن أبى مَعْشر المَدِينى عن طلحة بنِ عبيد الله بن كَرِيز[4] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من تعظيم جَلَال الله إكرامَ ذى الشَّيْبة فى الإسلام وإكرامَ الإمام العادل وإكرامَ حامل القرآن" . قال بعضُ المفسرين فى قول الله عزّ وجلّ : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) أَحْرِمُهم فَهْمَ القرآن .

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «على» . (٢) ورد فى الأصل «معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما فى الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٣) فى الأصل «سكينا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره إذا الناس يفرطون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ٱبن حبان فى الثقات وقال : كلما يجىء فى الأخبار «كُرَيز» يعنى بضم الكاف إلا هذا اهـ تهذيب .

سَمِـع أعرابىّ ٱبن عباسٍ وهو يقرأ: (وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا) فقال : واللهِ ما أنقذهم منها وهو يُريد أن يُدخِلَهم فيها ؛ فقال ٱبن عباس : خُذْها من غير فقيـــه .

الحـــــديث

حدّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بن حبيب بن الشَّهيد قال : حدّثنا محمد بن فُضَيْل عن الأعْمش قال : كانــ إسماعيلُ بن رَجَاء يجمع صِبْيانَ الكُتَّاب فيُحدِّثهم كيلا يَنْسى حَدِيثَه . وحدّثنى إسحاق الشَّهيدىّ[1] قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عنـ الأعمش قال : قال لى حبيب بن أبى ثابت : لو أنّ رجلا حدَّثنى عنك بحـديثٍ ما بالَيْتُ أن أَرْوِيه عنك .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: أَلْفٌ عن أَلْفٍ خيرٌ من واحدٍ عن واحدٍ إن فلانا عن فلانٍ يَنْتَزِع السُّنةَ من أيديكم .

حدّثنى الرياشىّ قال : رُوِى عن محمد بن إسماعيل عن مُعْتَمِر قال : حدّثنى مُنْقِذٌ عن أيُّوب عن الحسن قال : وَيْحٌ : رَحْمة .

حدّثنا الرياشىّ قال : رَوى ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سُهَيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هُرَيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قَضَى باليمين مع الشاهد ؛ قال ربيعة : ثم ذاكرتُ سُهَيْلا بهذا الحديث فلم يَحفظه ، فكان بعد ذلك يَرْوِيه عنِّى عن نفسه عن أبيه عن أبى هُرَيرة .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شُعْبة قال : كان قَتَادَةُ إذا حدّث بالحديث الجيِّد ثم ذهب يجىء بالثانى غُدْوَةً .

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب المذكور قبله .

بلغني عن ابن مَهْدِيٍّ قال: سئل شُعْبَةُ: مَن الذى يُترَكُ حديثُه؟ فقال: الذى يُتَّهم بالكَذِب، ومن تكثَّر بالغَلَط، ومن يُخطِئ فى حديث مُجْمَع عليه فلا يَتَّهِمُ نفسَه ويُقيم على غَلَطِه، ورجلٌ رَوَى عن المعروفين ما لا يَعْرفه المعروفون.

وعن مالك أنه قال: لا يُؤخَذُ العلمُ من أربعة: سفيهٍ معلَن بالسفه، وصاحبِ هَوًى، ورجلٍ يَكذِب فى أحاديثِ الناس وإن كنتَ لا تَتَّهمه فى الحديث، ورجل له فضل وتعفّف وصلاح لا يعرِف ما يُحدّث.

حدّثنى عبدُ الرحمن عن الأصمعيّ أنه رَثَى سفيان بن عُيينة (١) فقال:

فَلْيَبْكِ سُفْيانَ باغى سُنَّةٍ دَرَسَتْ * ومُسْتَبِيتُ (٢) أثاراتٍ (٣) وآثارِ (٤)
ومُبْتَغِى قُرب إسنادٍ وموعظةٍ * وأَفَقِيُّون (٥) من طَارٍ ومن طارِ
أمستْ مجالسُه وَحْشًا مُعطَّلةً * من قاطنين و حُجّاجٍ وعُمّارِ
مَن للحديثِ عن الزُّهْرِىّ (٦) حين ثَوَى * أو للأحاديثِ عن عَمْرو بن دينارِ (٧)
لن يَسمَعُوا بعده مَن قال حدّثنا الـ * زُهرىّ من أهل بَدْوٍ أو بإحْضارِ
لا يَهنأُ الشامِتَ المسرورَ مَصْرَعُه * من مارقينَ ومن جُحّادِ أقدارِ

(١) قال ابن خلكان: كان إماما عالما ثَبْتًا زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته؛ توفى آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ﻫ. (٢) المستبيت: الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أثارة وهى البقية من العلم تؤثر. (٤) جمع أثر وهو الخبر. (٥) أَفَقِيون جمع أُفُقِى أو أَفَقِى (نسبة الى الآفاق أو الى الأفق). (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدّثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثورى، توفى سنة ١٢٤ﻫ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع ابن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكىّ، كان من أشدّ الناس إتقانا للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبى هريرة؛ توفى سنة ١٢٥ﻫ أو ١٢٦ﻫ.

ومِن زَنادِقةٍ ، جَهْـمٌ(١) يَقُودهم * قَوْدا إلى غَضَبِ الرحمنِ والنارِ
ومُلْحِدين ومُرتابين قد خَلَطُوا * بِسُـنَّة الله أَهتـارا بأَهْتـارِ(٢)

وقال آخر فى مالك بن أنس الفقيه :

يَأْبَى الجَوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً * والسائلون نَواكِسُ الأَذْقانِ
هَدْىُ التقىِّ وعِزُّ سلطانِ التُّقَى * فهو المُطاع وليس ذا سُلْطانِ

حدّثنا أبو الخَطّاب قال حدّثنا محمد بن سَوّار قال حدّثنا هِشام بن حَسّان قال : كان الحسن يُحدِّثنا اليومَ بالحديث ويَرُدُّه الغَدَ ويزيد فيه وينقُص إلا أنّ المعنى واحـــد .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال حُذَيْفَةُ بن اليَمَان : إنّا قومٌ عَرَب فنقـدِّم ونؤخِّر ونَزيد ونَنْقُص ، ولا نُريد بذلك كَذِبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامىّ : لو كان هذا الحديث من الخُبْز نقص .

أبو أُسَامة قال : قال مِسعر : من أبغضنى بجعله الله محدّثا . أبو معاوية قال : سمعت الأَعمش يقول : والله لأَنْ أَتصدّق بِكِسْرة أحبُّ إلىّ من أن أُحدّثَ بستين حديثا .

أبو أُسامة قال : سمعت سُفْيانَ يقول : لوددْتُ أنها قُطعتْ من هامتى ، وأَوْمَأ إلى المَنْكِب ، وأنى لم أَسْمَع منه شيئا .

---

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم ابن أحوز المـازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية، ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .

(٢) جمع هِتْر وهو السَّقَط .

قال ٱبن عُيَيْنَة : ما أُحِبّ لِمَن أُحِبّ أن يكون أَحفَظَ الناس للحديث . قال بعضهم : إنّى لَأَسْمع الحديثَ عُطلا فَأُشَنِّفه وأُقرِّطه وأُقلّده فيَحسُن، وما زدتُ فيه معنى، ولا نقصتُ منه معنى .

أبو أُسامة قال : سَأَل حَفْص بن غِيَاثٍ الأعمَش عن إسناد حديثٍ فأخذ بِحَلْقه وأسنده إلى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدّث ٱبن السَّمّاك بحديثٍ فقال له رجلٌ : ما إسنادُه ؟ فقال : هو من المُرْسَلاتِ عُرْفا . وحدَّث الحسن بحديث فقال له رجلٌ : يا أبا سعيد، عمّن قال وما يصنع بعمّن ؟ أمّا أنت فقد نالتْك موعِظتُه، وقامت عليك حُجَّتُه .

يَعْلَى قال : قال الأعمش : إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببتُ أن أَصْفَعه .

ٱبن عُيينة قال : قال الأعمش : لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنتُ كبعض بقّالى الكُوفة .

ازدحم الناس يومًا على باب ٱبن عيينة أيام المَوْسِم و بالقُرب منه رجلٌ من حاجِّ خُراسَان قد حطّ بَحْمِله فدِيس وكُسِرَ ما كان معه وٱنتُهِب كَعْكُه وسَوِيقُه، فقام يسيرُ إلى سفيانَ ويدعو ويقول : إنى لا أُحِلُّ لك ما صنعتَ ؛ فقال سفيانَ : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا فى السَّماع رحمك الله .

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ للعَلَاء بن المِنْهَال الغَنَوِىّ فى شَرِيك[1] :

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعىّ . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدىّ ثم عزله موسى الهادى، وكان عالما فقيها فهما ذكيا فطنا . توفى سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها فى شريك أيضا فى المجلد الأوّل من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

ليتَ أبا شَرِيكٍ كان حيًّـا (١) * فيُقْصِرَ حين يُبْصِرُه شَرِيكُ
ويَتْرُكَ من تَدَرِّيه (٢) علينا * إذا قلنـا له هــذا أبوكا

وقال آخر :

تحرّز سُــفيانٌ وفرّ بدينـه * وأمسى شَرِيكٌ مُرْصَدًا للدراهم

وقال آخر فى شَهْر بن حَوْشَب :

لقد باع شهرٌ دينَــه بخَرِيطةٍ * فمن يأمن القُرّاءَ بعدك ياشهرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المـال فسَرَق خَرِيطةً ، ورافق رجلا من أهل الشام فَسَرق عَيْبَتَه . وقال ٱبن مُنَاذِر (٣) :

(١) هكذا وردت فى الأصل ، وفى اللسان (ج ١ ص ٦٦) و (ج ٢٠ ص ٧١) ووردت فى المجلد الأوّل من هذا الكتاب (ص ٦٨) : «فليت» .

(٢) فى الأصــل : « تذرّبه » بالذال المعجمة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان (ج ١ ص ٦٦ وج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء فى اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ٱبن سيده : إنما أراد من تدرّئه (أى من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأنّ موضوعها اليا، وكسر الراء لمجاورة هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها فى موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من تدرئه لكان صحيحا ، لأن قوله : تدرئه مفاعلتن ؛ قال : ولا أدرى لمـا فعل العلاء هــذا مع تمام الوزن وخلوص تدرئه من هــذا البدل الذى لا يجوز مثله إلا فى الشعر ، اللهم إلا أن يكون العلاء هــذا لغته البدل » .

(٣) فى شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : «وٱبن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرىّ فمن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر لأنه محمد ابن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه » اه . وقد ورد مايؤكد أنه بالضم لاغير فقــد جاء فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينــة «ليدن») ما نصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان إذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى وهى كورتان من كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب» وقد ورد فى المشتبة فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يبغ الوَصَاةَ فإنّ عِنْدى * وَصاةً للكُهُول وللشَّـباب
خُذُوا عن مالكٍ وعن ٱبن عَوْنٍ * ولا تَرْوُوا أحاديثَ ٱبن دَاب(١)

عبد العزيز بن أَبَان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طلبنا هذا الأمر وما لنا فيه نيّة ، ثم إنّ النيّة جاءت بعدُ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسْلَم : رأيتم رجلا مدّ رِجله فقال : اقطعوها سوف أَجْبُرها . قيل لرَقَبَة : ما أكثر شَكّك! فقال : محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شُعْبَةُ أيُّوب السَّخْتِيَانيّ عن حديث فقال : أنا أشُكُّ، فيه فقال : شَكُّكَ أحبّ إليّ من يقينِ سبعة .

حدّثني زيد بن أخزم قال: سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعمش يَضُم كفَّيه ثم يَضرِب بهما صَدْرَه ويقول : اسكُنْ .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثني بعضُ الرُّواة قال : قلت للشَّرقِيّ(٢) بن قُطَامَى : ما كانتِ العربُ تقول في صلاتها على موتاها؟ فقال : لا أدرى، فأكْذب له؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنتَ(٣) وَكْوَاكًا ولا بِزَوَنَّكٍ * رُوَيْدَكَ حتّى يَبْعَثَ الحَقّ باعِثُهْ

وَكْوَاك : غليظ ، وزونّك : قصير؛ قال : فإذا أنا به يُحدّث به في المقصورة يومَ الجمعة؛ قال أبو نُوَاس :

---

(١) ابن داب الذى يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما فى تهذيب التهذيب (ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) فى الأصل «للشرقى بن القطامى» وما أثبتناه عن المشتبه للذهبىّ وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت فى لسان العرب فى مادة «زنك» هكذا :

ولست بوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق باعثه

حدّثنى الأزرقُ المحدّثُ عن * عَمْرو بن شِمْرٍ عن ٱبن مسعودِ [1]
لا يُخلِفُ الوعدَ غيرُ كافرهِ [2] * وكافرٍ فى الجحيم مَصــفُودِ

حدّثنى مِهْيارُ قال : حدّثنى هُدْبَةُ بن عبد الوهاب عن شَقيق البَلْخىّ أنه أطرى يوما أبا حنيفة رحمه الله بمَرْو فقال له علىّ بن إسحاق : لا تُطْرِه بمَرْو فإنهم لا يحتملون ذلك ؛ فقال شَقيق : قد مَدَحه مُساورٌ الشاعر فقال :

إذا ما الناسُ يوما قايَسُونا * بآبِدَةٍ من الفُتْيَا ظَرِيفَهْ
أتيناهُمْ بمقيـاسٍ صحيحٍ * تِلادٍ من طِرَازِ أبى حنيفه
إذا سَمِـع الفقيهُ بها وعاها * وأثبتهـا بحِـبْرٍ فى صحيفه

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذُو الرّأْىِ خاصَمَ فى قِياسٍ * وجاء بِبِدْعَةٍ هَنَـةٍ سخيفـه
أتينـاهم بقول الله فيهـا * وآثارٍ مـبرَّزة شريفـه
فكم من فَرْجِ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أُحِلَّ حرامُه بأبى حنيفـه
أقال أبو حنيفة بنت صُلْبٍ * تكون من الزنا عُرْسًا صحيحه

سَمِع رجلٌ مناديا يُنادِى : من يَدلُّنا على شيخ ضلّ ؟ فقال : ما سمعتُ كاليوم شيخٌ يُنادَى عليه ؛ ثم جاء به إلى بِشْر المَرِيسِىّ فقال : هـذا شيخ ضالٌّ نَخُذْ بيده ؛ وكان بِشْرٌ يقول بخَلْق القرآن .

الأهواء والكلام فى الدّين

قال المأمونُ يوما لعلىّ بن موسى الرِّضى عليهما السلام : بم تدّعون هذا الأمر؟ قال : بقرابة علىّ من النبي صلّى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضى الله عنها ؛ فقال

(١) لم نجد هذين البيتين فى ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا فى الأصل بمعنى «جاحده» ولعلها «خافره» لأن الخَفْر معناه نقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمون: إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففى خَلَف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من علىّ، ومَنْ هو فى القرابة مثلُه؛ وإن كان بقرابة فاطمةَ من رسول الله، فإنّ الحقّ بعد فاطمةَ للحَسَن والحُسَين وليس لعلىّ فى هذا الأمر حقّ وهما حَيّان؛ وإذا كان الأمر على ذلك، فإن عليًّا قد ٱبتزّهما جميعا وهما حَيّان صحيحان، وٱستولى علىّ على ما لا يَجِبُ له؛ فما أحارَ(١) علىّ بن موسى نطقا.

حدّثنا الرِّياشىّ قال سمعت الأصمعىّ ينشد:

وإنّى لأَغْنَى الناس عن مُتكلِّمٍ * يَرَى الناسَ ضُلّالًا وليس بمهتدى

وأنشدنى أيضا الرِّياشىّ:

وعاجزُ الرَّأْىِ مِضْيَاعٌ لفُرْصَتِهِ * حتى إذا فات أَمْرٌ عاتبَ القَدَرا

وقال آخر:

إذا عُيِّرُوا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ * وما العارُ إلّا ما تَجُرُّ المَقَادِرُ

وأنشدنى سَهْلٌ عن الأصمعىّ:

يأيها المُضْمِرُ هَمًّا لا تَهُمّ * إنّك إن تُقدرْ لك الحُمّى تُحَمّ

ولو غَدَوْتَ شاهِقًا من العَلَمْ(٢) * كيف تَوَقِّيك وقد جَفَّ القَلَمْ

وأَنْشَدَنى غيرُه:

هِىَ المقاديرُ فَلُمْنِى أو فَذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

قال أبو يوسف: مَن طَلَب الدِّين بالكلام تَزَنْدَقَ، ومَن طلب المال بالكِيمْيَاء أَفْلَس، ومَن طَلَب غرائبَ الحديث كَذَب. كان مُسْلِمُ بنُ أبى مَرْيم — وهو

---

(١) ما أحار نطقا: ما ردّ جوابا.

(٢) العلم: الجبل، والشاهق: ما ٱرتفع منه.

مَوْلًى لبعض أهل المدينة وقد حُمِل عنه الحديثُ — شديدا[(1)] على القَدَرِيّة[(2)]، عائبا لهم ولكلامهم، فانكسَرت رِجلُه فتركها ولم يَجْبُرها ، فكُلِّمَ فى ذلك فقال : يَكْسِرها هو وأَجْبُرُها أنا ! لقد عاندته إذًا . قال رجل لهِشَام بن الحَكَم : أَتَرى اللهَ عزّ وجلّ فى فضله وكَرَمه وعَدْله كَلَّفَنَا ما لا نُطيق ثم يُعَذِّبنا ؟ فقال هِشام : قد واللهِ فعَلَ ، ولكننا لانَسْتَطيع أن نتكلّم .

حدّثنى رجلٌ من أصحابنا قال : صاحَبَ رجلٌ من القَدَرِيّة مَجُوسيًّا فى سَفَر فقال له القَدَرِىّ : يا مجوسىّ ، مالك لَا تُسْلِم ؟ قال : حتى يَشَاء الله[(3)] ! قال : قد شاء اللهُ ذلك ، ولكنّ الشيطانَ لايَدَعُك ، قال المجوسىّ : فأنا مع أقواهما .

اِجتمع أبو عَمْرو بن العَلَاء وعمرو بن عُبَيد فقال عمرو: إن الله وَعَدَ وَعْدا وأَوْعَد إيعادا وإنه مُنْجِزٌ وَعْدَه ووعيدَه . فقال له أبو عَمْرو : أنت أَعْجَم ! لا أقولُ إنك أَعْجَمُ اللسان ، ولكنك أعجم القَلْب ! أما تعلم ، وَيْحَكَ ! أن العرب تَعُـدُّ إنجاز الوَعْد مَكْرُمة، وتَرْكَ إيقاع الوعيد مَكْرُمة؟ ثم أنشده :

وإنّى وَإنْ أَوْعدْتُه أو وعَدْتُه * لَمُخْلِفُ إيعادى ومُنْجِزُ مَوْعدى[(4)]

---

(١) فى الأصل : « تشديدا » . (٢) القدرية — محرّكة — جاحدو القدر، وهى كلمة مولّدة . قال بعض متكلميهم : لا يلزمنا هـذا اللقب لأننا ننفى القدرعن الله عزّ وجلّ ومن أثبته فهوأولى به . قال الأزهرى : وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القـدر لأنفسهم ، ولذلك سموا قدرية (راجع شرح القاموس) . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «إن أذن الله على ذلك كان » وقد وردت هـذه المسألة فى حديث جرى بين عمرو بن عبيد وبين مجوسى ركب معه سفينة بصيغة تخالف بعض المخالفة ما هنا وما فى العقد الفريد (راجع ص ٥١ من المجموعة رقم ٣٥٢ توحيد بدار الكتب المصرية) .

(٤) عبارة كتاب المنيـة والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل (ص ٤٧ طبـعة دائرة المعارف النظاميـة بحيـدرآباد) وروى أن أبا على [الجبّائى] ناظر بعضهم فى الإرجاء وأبو حنيفة والزبير حاضران فقال أبوحنيفة : إنّ أبا عمرو بن العلاء لقى عمرو بن عبيد فقال له : يا أبا عثمان ، إنك أعجمىّ ، ولست بأعجمى اللسان ، ولكنك أعجمىّ الفهم ، إن العرب إذا وعدت أنجزت وإذا أوعدت أخلفت ، وأنشد = :

حبيب بن الشهيـــد قال : قال إياسُ بن معاوية[(١)] : ما كلَّمتُ أحدًا بعَقلى كلِّه إلا صاحِبَ القَدَر[(٢)] ، قلت : ما الظلمُ فى كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخُذ الرجلُ ما ليس له ، قلت : فإن الله له كلّ شىء .

وفى كتاب للهند : اليقينُ بالقَدَر لا يَمنعُ الحازِمَ تَوَقِّىَ المهالك ، وليس على أحدٍ النّظرُ فى القَدَر المُغَيَّب ، ولكن عليه العمل بالحَزْم ، ونحنُ نَجْمَع تصديقا بالقَدَر وأَخْذًا بالحَـــزْم .

حدّثنى خالد بن محمد الأَزْدىّ قال حدّثنا شَبَابَةُ بنُ سَـوَّار قال : سَمِعتُ رجلا من الرافضة[(٣)] يقول : رحِم الله أبا لُؤْلُؤَةَ ! فقلت : تَتَرَحّم على رَجُلٍ مَجُوسىّ قتل عُمَرَ ابنَ الخَطّاب رضى الله عنه ! فقال : كانت طعنتُه لعُمَر إسلامَه .

= و إنى وإن أوعدته الخ البيت ، فقال أبوعلى : إن أباعثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب و يصدق ، ولكن حدّثنى عن قول الله تعالى عز وجل : (لَأَملأَنّ جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين) إن ملأ ها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأ ها أفتقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو الذى يُضرب به المثل فى الذكاء ، توفى رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقد الفريد : « كلّمت الفِرَق كلها ببعض عقلى ، وكلمت القَدَرِىّ بعقلى كلِّه ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فإن الأمر كله لله »

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علىّ ثم قالوا له : تَبَرّأْ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرَىْ جَدّى . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبـــد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فى كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علىّ قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استمرّ القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدّك علىّ بن أبى طالب فقال زيد : إنى لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبى يقول فيهما إلا خيرا ، و إنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينـــة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عنـــد ذلك حتى قال لهم : رفضتمونى ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدّثنى أحمـدُ بن الخليـل قال حدّثنـا الأصمعىّ قال أخبرنى عاصم بن محمـد العُمَرِىّ قال: كنتُ جالسًا عند أميرٍ من أمراء المدينة فأُتِىَ برجلٍ شَتَمَ أبا بكر وعُمَرَ فأسلمه حَجّاما حتى حَذِقَ .

وقال بعضُ شعراء الرافِضة[1] فى محمد بن الحَنَفِيَّة[2] :

ألا قُلْ للوَصِىّ فَدتْك نفسى * أطلْتَ بذلك الجبَـــلِ[3] المُقاما
أَضَرَّ بمَعْشرٍ وَالَوْكَ[4] منّـا * وسَمَّـوْكَ الخَلِيفـــةَ والإمَامَا
وعَادَوْا فيك أهلَ الأرْض طُرًّا * مُقامك عنهـــمُ ستيــن عاما
وما ذاق ٱبْنُ خَوْلةَ طَعْمَ موتٍ * ولا وَارتْ له أرضٌ عِظـاما
لقد أمسى بمُورِقِ[5] شِعْبِ رَضْوى * تُراجِعــه المــلائكةُ الـكلاما[6]

وقال كُثَيِّرَ عَزّة فيه وكان رافِضيّا يقول بالرَّجْعة :

أَلَا إن الأئمّــة من قُرَيش * وُلَاةُ الحَقِّ أربعةٌ سَـــواءُ
علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيـــهِ * هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ
فسِـــبْطٌ سِبْطُ إيمـانٍ وبِرٍّ * وسِـــبْطٌ غَيَّبَتْه كَرْبَلاءُ

---

(١) هو السيد الحِمْيَرىّ . كما ذكر صاحب الأغانى (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والحنفية أمه ، وهى خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل بل كانت من سبى اليمامة وصارت إلى علىّ ، وقيل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبنى حنيفة ولم تكن منهم ، إلى آخر ما ذكر ٱبن خلكان ؛ توفى رحمه الله فى أوّل المحرّم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع ، وقيل دفن ببلاد أَيْلَةَ . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية يزعمون أنه حىّ لم يمت وأنه فى جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا فى الأغانى (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفى الأصل : «واروك» .

(٥) كذا فى الأصل ، ومثله فى الأغانى (ج ٨ ص ٣٢) وفى الفرق بين الفرق : « بمجرى » .

(٦) فى الأصل «الكراما» وما أثبتناه عن الأغانى .

وسِبْطٌ لايَذُوق الموتَ حتّى * يَقُودَ الخيلَ يَقْدُمها اللّواءُ
تغيّب — لايُرَى — عنهم زمانا * بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

وهم يذكرون أنه دخل شِعْبا باليمن فى أربعين من أصحابه فلم يُرَ لهم أَثَر.

قال طلحة بن مُصَرِّف لرجل : لولا أنى على وُضوءٍ لأخبرتُك بما تقول الشِّيعة .

قال هارون بن سعد العِجْلىّ وكان رَأْسَ الزّيدية :

ألم تَرَ أنّ الرافضين تَفَرّقوا * فكُلُّهُمُ فى جَعْفرٍ قال مُنْكَرَا
فطائفةٌ قالوا إلهٌ (١) ومنهمُ * طوائفُ سَمّتْهُ النبيَّ المُطَهَّرَا
فإن كان يَرْضَى مايقولون جعفرٌ * فإنّى إلى رَبِّى أُفارِق جَعْفَرَا
ومن عَجَبٍ لم أَقْضِه جِلْدُ جَفْرِهم (٢) * بَرِئْتُ إلى الرحمن ممن تَجَفَّرا
بَرِئت إلى الرحمن من كل رافِضٍ * بَصيرٍ بباب الكُفْرِ، فى الدين أعورا
إذا كَفَّ أهلُ الحق عن بِدْعة مَضَى * عليها وإن يَمْضُوا على الحق قَصّرا
ولو قال إنّ الفِيلَ ضَبٌّ لصدّقوا * ولو قال زِنْجِىٌّ تحوّل أحْمَرَا
وأَخْلَفُ من بَوْلِ (٣) البَعير فإنّه * إذا هو للإقبال وُجِّه أَدْبَرا
فقُبِّحَ أقوامٌ رَمَوْه بفِرْيَةٍ (٤) * كما قال فى عيسى الفِرَى من تَنَصّرا

(١) فى الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بماجاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبى زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بآلهية جعفر بن محمد وآلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه» .

(٢) فى كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كلّ مايحتاجون إليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ

(٣) فى الأصل «قول» ولعله تحريف من الناسخ .

(٤) وفى الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعضَ أهل الأدب[١] يقول : ما أشبهَ تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشِّعْر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بأكذَبَ من بنى تميم ! زعموا أن قولَ القائل :

بَيْتٌ، زُرَارةُ مُحْتَبٍ[٢] بِفِنَـائه * ومُجَاشِعٌ وأبو الفوارِسِ نَهْشَلُ

إنما هو فى رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة الحجر[٣]؛ قيل له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جَشِعت بالمـاء؛ قيل له : فأبو الفوارس؟ قال : أبو قُبَيْس؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشـدّ، وفكَّر ساعةً ثم قال : نعم، نهشل ! مِصباح الكعبة طويلٌ أسودُ فذاك نهشل ! .

قال أعشى هَمْدَان يذكُر قتلَ الرافضةِ الناسَ :

إذا سِرْتَ فى عِجْل فسِرْ فى صحابة * وكِنْدَة فاْحذرْها حِذَارك للخَسْفِ
وفى شـيعة الأَعْمى زِيادٌ[٤] وغِيلةٌ[٥] * ولَسْبٌ وإعمـال لجندلة القَذْفِ

الأعمى هو المُغيرة . وزياد يعنى الخَنْق . واللَّسْب : السمّ؛ وإعمال لجَنْدلة القذف : يريد رَضْخهم رءوسَ الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف فى كثير من الألفاظ نثبتها هنـا لوضوحها ، ونصها : «قال الشعبىّ : ما شبهت تأويل الروافض فى القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبى : ما عندك فى تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه يزعمون أنه مما قيل فى رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بيتا زرارة محبت بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هـذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة . وزرارة : الحجر زرّر حول البيت ؛ فقلت له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالمـاء . قلت : فأبو الفوارس؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل» . (٢) الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها . (٣) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل « الجبى » وهو تحريف . (٤) فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) «خناق» . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه فذهب به إلى موضع فقتله .

وكُلُّهُمُ شَرٌّ على أَنَّ (١) رَأْسَهم * حَمِيدَةُ (٢) والمَيْلاءُ (٣) حاضِنَةُ الكِسْفِ

والكِسْفُ هذا هو أبو منصور (٤)، سُمِّى بذلك لأنه قال لأصحابه: فىَّ نزل: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ وكان يَدِين بخَنْق الناس وقتلِهم . ثم قال :

مَتَى كُنتَ فى حَيٍّ بجِيلَةَ فاسْتَمِعْ * فإنّ لهم قَصْفا يَدُلُّ على حَتْفِ

كان المغيرة بَجَلِيًّا مولًى لهم

إذا آعتَزَمُوا يوما على قَتْلِ زائرٍ * تَداعَوْا عليه بالنُّباح وبالعَزْفِ (٥)

وكان آبن عُيينة يُنْشِد :

إذا ما سَرَّكَ العَيْشُ * فَلَا تأْخُذْ (٦) على كِنْدَهْ

يريد أن الخَنّاقين من المنصورية أكثرُهم بالكوفة من كِنْـدَة، منهم أبو قُطْبة (٧) الخَنّـاق .

(١) فى الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٣٠) . (٢) حميدة كانت من أصحاب ليلى الناعطية ولها رياسة فى الغالية (الفرقة الرابعـة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهيـة . (راجع الملل والنحل ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٠ طبع أوربا) .

(٣) الميلاء حاضنة أبى منصور العجلىّ صاحب المنصورية الذين استحلوا خنق مُخالفيهم . (٤) هو أبو منصور العجلىّ أحد الذين آدّعوا الإمامة، وزعم أنه عرج به إلى السماء، ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يا بنىّ، انزل فبلّغ عنى؛ ثم أهبطه إلى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء . وقد وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع الملل والنحل ص ١٣٦) . (٥) قال صاحب كتاب الحيوان : (ج ٦ ص ١٣٠) : «وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلا معا ولا يُقيمون فى الأمصار إلا كذلك، فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العـلامة بينهم الضرب على دُفّ أو طبل على ما يكون فى دور الناس، وعندهم كلاب مرتبطة، فإذا تجاوبوا بالعزف ليختفى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت، وربمـا كان منهم معلّمٌ يُؤدّب فى الدرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب» اه . (٦) فى كتاب الحيوان «تمرر» . (٧) كانت دار أبى قطبة الخنّاق بالكوفة فى كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩) .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ عن ابن أبى زائدة قال: قال هِشام بنُ القاسم: أخذ خالد[١] بنُ عبد الله المُغيرَة فقتله وصَلَبَه بواسط[٢] عند مَنْظَرة[٣] العاشر، فقال الشاعر:

طال التّجاوُرُ من بَيــانٍ[٤] واقفًا * ومن المُغيرة[٥] عنــد جِذْعِ العَاشِرِ
ياليتــه قد شال جِذْعا نَخْــلَةٍ * بأبى حنيفة وابن قَيْسِ الناصر

وبيان هذا هو بيان التّبّان[٦] وكان يقول: إلىّ أشار اللهُ إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو أوّل من قال بخَلْق القرآن.

---

(١) فى الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبرى ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م، والكامل للبرّد ج ١ ص ٢٠ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م).

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف فى سنتين.

(٣) المنظرة: الموضع الذى ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضع العالية التى يشرف منها على الطريق وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دَخّن أهل قزوين دَخّنت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليبسج).

(٤) هو بيــان بن سمعان التميمىّ الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان فى أعضائه وأنه يَفْنى كلّه إلا وجهــه، وتأوّل على زعمــه قوله تعالى: (كلّ شىء هَالكٌ إلا وَجْهَه) وقوله تعالى: (كُلّ مَنْ عليها فَان وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّك) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر؛ وأنه يدعو به الزُّهَرَة فتجيبه؛ رُفِع خبره الى خالد بن عبد الله القسرىّ فى زمان ولايتــه فى العراق فاحتال عليــه حتى ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذى تعرفه فاهزم به أعوانى عنك (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينــة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٥) هو المغيرة بن سعيد العجلىّ زعم أنه هو المهدىّ المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبــد الله القسرىّ بخبره وضلالاته فطلبه وقتله ســنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٦) التبّان: بائع التبن.

وأما المغيرة فكان مولًى لبَجيلَة وكان سَبائيًّا(١) وصاحبَ نِيرَنْجات(٢) . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان علىٌّ يُحْيِى المَوْتى؟ فقال : لو شاء لَأَحْيَا عاداً وثَمُودَ وقُروناً بين ذلك [كثيرا](٣) .

بَلَغَنِى عن أبى عاصِم عن إسماعيلَ بنِ مُسْلِم المَكِّىّ قال : كنتُ بالكُوفة فإذا قوم من جِيرانى يُكْثِرُون الدخولَ على رجل ، فقلت مَن هذا الذى تدخُلون عليه؟ فقالوا : هذا علىّ بن أبى طالب ، فقلت : أَدْخِلُونى معكم فمضيتُ معهم وخَبأْتُ معى سَوْطًا تحتَ ثِيابى فدخلْتُ فإذا شيخٌ أَصْلَعُ بَطِين ، فقلت له : أنت علىّ بن أبى طالب ؟ فأَوْمَأَ برأسه : أى نعم ، فأخرجتُ السَّوْطَ فما زلت أُقَنِّعُه(٤) وهو يقول : لتاوى لتاوى ، فقلتُ لهم : يا فَسَقَة ! علىُّ بن أبى طالبٍ نَبَطِىٌّ(٥) ! ثم قلتُ له : وَيْلَك ! ما قِصَّتُك ؟

---

(١) فى الأصل « سبابيا » [بباءين موحّدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمى (ص ٣١ طبع أوربا) «السبائية» وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة «سبأ» وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى علىّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم فى علىّ مذهب النصارى فى المسيح ؛ وفيهم يقول السيِّد الحِمْيَرِىّ :

قــوم غلَوْا فى علىّ لا أبالهــمُ * وأجشموا أنفسا فى حبــه تعبا
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له ابن أو يكونَ أبا

رُفع خبرهم إلى علىّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حُفْرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءتْ * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليــه فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ص١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) .

(٢) النيرنجات : أُخَذٌ كالسحر ليست بحقيقته إنما هى تشبيه وتلبيس (معرّبة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنّع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النَّبَطِىّ : نسبة إلى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاك، أنا رجلٌ من أهل السَّـواد[1] أخذنى هؤلاء فقالوا : أنت علىّ ابن أبى طالب .

حدّثنى رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشامُ بن الحَكَم[2] على بعض [الولاة][3] العباسيين فقال رجل للعباسىّ : أنا أُقَرِّر هشاما بأنّ عَلِيًّا كان ظالمـا ، فقال له : إن فعلتَ ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمّد ، أما علمتَ أن عَلِيًّا نازع العبَّاسَ إلى أبى بكر؟ قال : نعم، قال : فأيُّهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقَّف هِشامٌ وقال : إن قلتُ العباسَ خِفتُ العباسىّ[4] ، وإن قلت عَلِيًّا ناقضتُ قولى، ثم قال : لم يَكُن فيهما ظالمٌ، قال : فيختصم آثنان فى أمر وهمـا مُحِقَّان جميعا ؟ قال : نعم، آختصم المَلَكَان[5] إلى دَاوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنّمـا أرادا أن يُنَبِّهاه على ظُلْمه ، كذلك آختصم هذان إلى أبى بكر ليُعَرِّفاه ظُلْمَه [فأسكتَ[6] الرجلَ وأمرَ الخليفةُ لهشام بصِلَةٍ] .

قال حسّان بن ثابت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما :

ثَــلَاثَةٌ بَرَّزُوا بِسَــبْقِهِمُ * نَضَّرهم[7] ربهــم إذا نُشِروا[8]
عَاشُــوا بلا فُرْقَةٍ حياتَهُــمُ * وآجتمعوا فى الممات إذْ قُبِرُوا
فليس مِنْ مُسْلِم له بَصَرٌ * يُنْكِرُ من فَضْلهم إذا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد بآختلاف فى بعض الكلمات لا يخرجه عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) فى العقد الفريد: «الخليفة» . (٥) الملكان هما اللذان بعثهما الله تعالى إلى داود عليه السلام فى صورة إنسانين ؛ وهـذه القصة وردت فى القرآن الكريم فى سورة «ص» فى قوله تعالى : (إنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً .(الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج (ص ٢٧٠) . (٧) نضّرهم ربهم : نعّمهم وحسّنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٩١٠ م ولا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا فى ترجمته بالأغانى (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا فى كتب الأدب التى تحت أيدينا .

وقال أعرابيّ لعَبْد الله بن عُمَر :

إليكَ ابنَ خيرِ الناسِ إلّا محمدًا * وإلّا أبا بكرٍ نَرُوحُ ونَغْتَدِى

وقال أبو طالب فى سُهَيْل بن بيضاء، وكان أسرَ فأطْلقه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بغير فِدَاء، لأنه كان مُسْلما مُكْرَهًا على الخروج :

وهم رَجَعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضاءَ راضياً * وسُرَّ أبو بَكْرٍ بها ومُحمّدُ

وقال عُبَيد الله بن عمر :

أنا عُبَيدُ الله يَنْمِينى عُمَرْ * خيرُ قُرَيْشٍ مَن مَضَى ومَنْ غَبَرْ

بعدَ رسولِ الله والشَّيْخِ الأَغَرّ * مَهْلًا عُبيدَ الله فى ذاك نَظَرْ

وقال حَسّان بن ثابت يَرْثِى أبا بَكْرٍ رَضِىَ الله عنه :

إذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا من أخِى ثِقَةٍ * فاذْكُرْ أخاكَ أبا بَكْرٍ بما فَعَلا

خيرَ البَرِيّة أتْقاها وأَعْدَلَهَا * بعدَ النبىِّ وأوفاها بما حَمَلا

والثانىَ الصادِقَ(١) المحمودَ مَشْهَدُه * وأوّلَ الناس منهم صَدَّقَ الرُّسُلا

وكان حِبَّ رسولِ الله قد عَلِمُوا * من البرية لم يَعدِل به رَجُلا(٢)

حدّثنى مِهْيَار الرازىّ قال : قال جريرُ بنُ ثَعْلَبَة : حَضَرْتُ شيطانا مَرّةً فقال : ارْفُقْ بى فإنّى من الشّيعة ، فقلتُ : فَمَن تَعْرِف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ، فخلّيتُ سَبِيلَه . قال أبو هريرة العِجْلىّ لمحمد بنِ علىّ بنِ الحُسَين عليهم السلام :

أبا جَعْفَرٍ أنت الوَلِىُّ أُحِبُه * وأَرْضَى بما تَرْضَى به وأُتَابِعُ

أتتْنا رِجالٌ يَحْمِلُون عليكُمُ * أحاديثَ قد ضاقتْ بهنَّ الأضالِعُ

أحاديثَ أفشاها المُغيرةُ فيهمُ * وشَرُّ الأُمورِ المُحْدَثاتُ البدائِعُ

(١) ورد فى الأصل «الثانى التالى ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حميدا لأمر الله متبعا * بهدى صاحبه الماضى وما انتقلا

حدّثنى هارونُ بنُ موسى عن الحسن بن موسى الأشْيَب عن حَمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عُمَرُ بن عبد العزيز : مَن جَعَل دِينَــه غَرَضًا للخُصومات أكثَرَ التنقُّل . قال :

ماضَرَّ مَن أصبح المأمونُ سائِسَهُ * إن لم يَسُسْه أبو بَكْرٍ ولا عُمَـرُ

الردّ على المُلحِدين

قال بعض المُلحِدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دَليلٍ على حُدوث[1] العَالَم؟ [قال : الحركة والسكون][2] فقال : الحَرَكَةُ والسُّكون من العَالَم، فكأنّك إذًا قلتَ : الدليلُ على حُدُوث العَالَم العَالَمُ؛ فقال له : وسُؤالُك إيّاىَ من العَـالَم، فإذا جئتَ بمسئلة من غير العالم جئتُك بدليل من غير العالم .

قال المأمونُ لِثَنَوِيٍّ[3] يُناظر عنده : أسألُك عن حرفين قطّ[4]، خَبِّرْنى : هل نَدِمَ مُسيءٌ قَطُّ على إساءته ؟ قال : بَلَى؛ قال : فالنَّدَمُ على الإساءة إساءةٌ أو إحسانٌ ؟ قال : بل إحسان؛ قال : فالذى نَدِم هو الذى أساء أو غيرُه ؟ قال : بل هو الذى أساء؛ قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبَ الشرّ، وقد بطل قولُكم، إنّ الذى ينْظُر نَظَر الوعِيـد هو الذى ينظُر نَظَر الرحمة ؛ قال : فإنى أزعم أنّ الذى أساء غيرُ الذى نَدِم؛ قال : فنَدِمَ على شىءٍ كان من غيره أو على شىءٍ كان منه؟ فأَسْكَته .

(١) فى الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) الثنوىّ واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا فى الأصـل . وفى الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبارة العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «عن حرفين لا أزيد عليهما» .

دخل المُوبَذُ (١) على هِشام بن الحَكَم (٢) فقال له : يا هِشام ، حولَ الدنيـا شىءٌ ؟ قال : لا ، قال : فإن أخرجتُ يدى فثَمَّ شىءٌ يردُّها ؟ قال هِشام : ليس ثَمَّ شىءٌ يَرُدُّك ، ولا شىء تُخْرِج يدك فيه ؛ قال : فكيف أعرِف هذا ؟ قال له : يا مُوبَذ ، أنا وأنت على طَرَف الدنيـا فقلتُ لك يا مُوبَذُ : إنى لا أرى شيئا ، فقلتَ لى : ولِم لا تَرَى ، فقلتُ لك : ليس هاهنَا ظلامٌ يمنعُنى ، قلتَ لى أنت : يا هشام إنى لا أرى شـيئا ، فقلتُ لك : ولِم لا ترى ؟ قلتَ : ليس ضِياءٌ أنظر به ؛ فهل تكافأت المِلَّتـان فى التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فإذا تَكَافأَتَا فى التناقض لم تَتَكَافَآ فى الإبطال أنْ ليس شىءٌ ؟ فأشار المُوبَذُ بيده أن أَصَبتَ . ودخل عليـه يوما آخَرَ فقال : هما فى القُوّة سَواء؟ قال : نعم ؛ قال : فَجَوْهَرُهما واحد؟ قال المُوبَذُ لنفسه — ومَن حضَر يَسْمعُ — إن قلتُ : إنّ جَوْهَرَهُما واحد عادا فى نَعْتٍ واحد ، وإن قلتُ : مُختلِفٌ آختلفا أيضـا فى الهِمَم والإرادات ولم يَتَّفِقا فى الخَلْق ، فإن أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ؛ قال هِشام : فكيف لا تُسْلِم !قال : هَيْهاتَ ! .

---

(١) المُوبَذُ : فقيهُ الفُرْس وحاكم المَجُوس كقاضى القضاة للسلمين . (٢) فى الأصل : « هشام بن عبـد الحكم » بزيادة « عبـد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « الهشامية » كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه ، ولم يُثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض ؛ وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضا أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسّة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحتـه ، ورائحته هى مجسّته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرّك فحـدث مكانه بحركته فصار فيـه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والملل والنحل ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الردّ على ابن الروندى للخياط المعتزلى ص ٦ ، ٤٠ — ٤١ ، ٦٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٢٧) .

وجاءه رجلٌ مُلْحِد فقال له : أنا أقول بالاثنين وقد عَرَفْتُ إنصافك فلستُ أَخاف مُشَاغَبَتَك ؛ فقال هِشامٌ وهو مشغول بثَوْب يَنْشُره ولم يُقْبِل عليه : حَفِظك الله ، هل يَقْـدِر أحدُهما أن يَخْلُق شـيئا لا يَسْتَعِين بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هِشام : فما تَرْجو من آثنين ! واحدٌ خَلَق كلَّ شيء أصحّ لك ! فقال : لم يُكَلِّمْنى بهذا أحَدٌ قبلك.(١)

قال المأمون لمُرْتَدٍّ(٢) إلى النصرانية : خَبِّرْنا عن الشيء الذى أوحَشَك من ديننا بعد أُنْسِـك به وآستيحاشِك مما كنتَ عليه ؛ فإن وجدتَ عندنا دواءَ دائك تعالجتَ به ، وإن أَخْطَأ بك الشِّفَاءُ ونَبَا عن دائك الدَّواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم تَرْجِع على نفسك بلائمـة ، وإن قتلناك قتلناك بحُكْم الشريعة ، وتَرْجِع أنت فى نفسك إلى الآستبصار والثِّقَة وتَعْلم أنك لم تُقَصِّر فى آجتهاد ولم تُفَرِّط فى الدخول من باب الحزم ؛ قال المُرْتَدُّ : أوحشنى ما رأيتُ من كثرة الآختلاف فيكم ؛ قال المأمون : لنا آختلافان : أحدُهما كالآختلاف فى الأذان ، والتكبير فى الجنائز ، والتشهّد ، وصـلاة الأعياد ، وتكبير التشريق ، ووُجُوه القِراءات ، ووجوه الفُتْيا ، وهذا ليس باختلافٍ ، إنمـا هو تخَيُّرٌ وسَـعَةٌ وتخفيفٌ من المِحْنة(٣) ، فمن أَذَّنَ مَثْنَى وأقام مثنى لم يُخَطِّئْ من أَذَّنَ مَثْنَى وأقام فُرَادَى ، ولا يَتَعايَرُون بذلك ولا يَتَعايَبُون ، والآختلافُ الآخر كنحو آختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحَديث مع آجتماعنا على أصـل التنزيل وآتفاقنا على عَيْن الخبر ، فإن كان الذى أوحشك هذا حتى أَنْكَرْتَ هذا الكتابَ ، فقد يَنْبَغى أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون متَّفقا على تنزيله ، ولا يكون

---

(١) ورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم.

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتدّ الخراسانى الذى أسلم على يديه وحمله معـه إلى العراق فارتدّ عن الإسـلام : أخبرنى... الخ » وقد ورد فيه هـذا الخبر بزيادة عن الأصل مع اختلاف فى العبارة .

(٣) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد : «السنة» .

بين جميع اليهود والنصارى آختلافٌ فى شيءٍ من التأويلات ، وينبغى لك ألّا ترْجِع إلا إلى لُغَةٍ لا آختلافَ فى تأويل ألفاظها ، ولو شاء اللهُ أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِه وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسير لَفَعَل ، ولكنّا لم نَرَ شيئا من الدّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمرُ كذلك لسقطَت البَلْوَى والمِحْنـةُ ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هـذا بَنَى اللهُ الدنيا . قال المرتدّ : أشهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ ، وأن المَسيحَ عَبْدٌ ، وأنّ محمدا صادقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حَقًّا .

الإعراب واللحن

حدّثنى أبو حاتم عن الأَصْمَعِىّ قال : سمعتُ مَوْلًى لآلِ عُمَر بنِ الخطّاب يقول : أَخَذَ عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ رَجلا كان يَرَى رَأى الخوارج رأى شَبِيب ، فقال له : ألستَ القائل :

ومنّا سُوَيْدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ * ومنّا أَميرُ المؤمنين شَبِيبُ [١]

فقال : إنما قلتُ : « ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ » بالنصب ، أى يا أميرَ المؤمنين فأمر بتخلية سبيله .

---

(١) هو شبيب بن يزيد الخارجىّ صاحب الشبيبية ، كان من أصحاب صالح بن مسرّح التميمىّ ثم تولى الأمر بعـده على جنده وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحا فى شىء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم . وزعموا أن غزالة امرأة شبيب كانت الإمام بعـد قتل شبيب إلى أن قتلت ؛ وآستدلوا على ذلك بأن شبيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمّه على منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوّة البالغة والبأس الشـديد والمعرفة التامة بأمور الحروب ؛ انتصر على جيوش الحجاج الكثيفة وكبار قوّادها بحسن تدبيره ؛ وكان يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد . وفيـه يقول الشاعر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصـفة والموج يلتطم =

حدّثنى عبدُ الله بن حيّان قال : كتب رفيع[1] بن سَلَمَة المعروف بدَمَاذ إلى أبى عُثمانَ النَّحوىّ :

تفكَّرتُ فى النحو حتّى مَلِلْـــتُ * وأتعبتُ نفسى به والبَدَنْ
وأتعبتُ بَكْرًا[2] وأصحابَهُ * بطولِ المسائل فى كلِّ فنّْ
[فمن عِلْمِـه ظاهرٌ بيِّنٌ * ومن عِلْمِه غامضٌ قد بَطَنْ][3]
فكنتُ بظاهره عالمًا * وكنتُ بباطنه ذا فِطَنْ
خلا أنّ بابًا عليـه العَفَا * ءُ للفـاء ياليتَـه لم يكُنْ
وللواوِ بابٌ إلى جَنْبِـهِ * من المَقْت أحْسبُه قد لُعِنْ
إذا قلتُ هـاتوا لمـاذا يُقَـ * ـال لستُ بآتيـك أو تأتين[4]
أجيبُوا لمـا قيل هـذا كذا * على النصب قالوا لإضمار أنْ[5]

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنب ، وقعنب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده وأهل الرأى فيهم . يزلون إلى الهيجاء فى شجاعة الأسد ، و بأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، وانقضاض النسر ، والتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتمرّن على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها . (راجع أخبـار شبيب والخوارج فى الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبرىّ ج ٣ و ٤ ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سـنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤م) .

(١) فى الأصـل : «غسان بن رفيع» وما أثبتناه عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤م وكنيته «أبو غسان» كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) : «يعنى ببكر أبا عثمان المـازنىّ ، فبلغ ذلك المازنى فقال : والله ماأحسب أنه سألنى قط فكيف أتعبنى» . (٣) الزيادة عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالى فى أماليه : إذا قلت هاتوا لمـا قيل ذا * فلست بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القالى فى أماليه : بمـا نصبوه أبينـوه لى * فقالوا جميعا بإضمـار أن

[وما إن رأيتُ لهـا مَوْضِعا * فأَعرِفَ ما قيـل إلا بِظَنّْ
فقدخِفْتُ يابَكْرُ مِن طُولِ ما * أُفكِّرُ فى أَمْرِ «أَنْ» أن أُجَنّْ(١)]

قال ابنُ سِيرِين : ما رأيتُ على رجل أَحْسن من فَصَاحة، ولا على امرأة أحسن من شَحْم .

وقال ابن شُبْرُمة : إذا سَرَّك أن تَعْظُمَ فى عَيْنِ مَن كنتَ فى عينه صغيرا، ويَصْغُرَ فى عينكَ من كان فى عينك عظيما فتعلَّم العربيّـة ، فإنها تُجْرِيك على المَنْطق وتُدْنِيك من السُّلْطان . ويقال : النحو فى العِلْم بمنزلة المِلْح فى القِـدْر والرَّامِك(٢) فى الطِّيب .

ويقال : الإعرابُ حِلْيَةُ الكلام ووَشْيُه(٣) . وقال بعضُ الشعراء :

النحوُ يَبْسُطُ من لسانِ الأَلْكَنِ * والمرءُ تُكْرِمُه إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العـلوم أَجَلَّها * فأَجَلُّها منها مُقِـيمُ الأَلْسُنِ

قال رجل لأعرابىّ : كيف أَهلِك بكسر اللام ؟ ـــ يُريد كيفَ أَهلُك ـــ فقال الأعرابىُّ : صَلْباً(٤)؛ ظنّ أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون .

وقيل لأعرابىّ : أَتَهْمِز إسرائيلَ؟ قال : إنى إذًا لرجلُ سُوءٍ(٥)؛ قيل له : أَتَجُرُّ فِلَسْطِين ؟ قال : إنى إذًا لَقَوِىٌّ . وقيل لآخر : أَتَهْمِز الفارةَ ؟ فقال : الهِرَّةُ تَهْمِزُها .

وقيل : كان بِشْرٌ المَرِّيسِىّ يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائجَ على أحسنِ الوجوه وأهنؤُها؛ فقال قاسم التّمّار : هذا كما قال الشاعر :

---

(١) الزيادة عن أمالى القالى .

(٢) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف النهرانى كما فى الكامل للمبرّد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قتلة معروفة وهى أن يشدّ الرجل من يديه ورجليه على جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر» . كذا فى كتاب الصاحبى لابن فارس ص ٨ طبعة القاهرة .

إنّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُهــا * ضَنَّت بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها[(١)]

سمِــعَ أعرابىٌّ مُؤَذِّنا يقول : أشهَدُ أنّ محمدا رسولَ الله بنصب رسول، فقال : وَيْحَك ! يفعل ما ذا ؟ .

قال مَسْلَمَةُ بن عبدِ الملك : اللحنُ فى الكلام أقبحُ من الجُدَرِىّ فى الوجه . وقال عبدُ الملك : اللحن فى الكلام أقبحُ من التفتيق[(٢)] فى الثوب النفيس . قال أبو الأَسْوَد : إنى لأجِدُ لِلَّحْن غَمْزًا كَغَمْز اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أَنْشَدَنى أعرابىّ :

وإنّ كِلاباً هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ * وأنتَ برىءٌ من قبائلها العَشْرِ[(٣)]

فجعلتُ أعجَبُ من قوله : عَشْر أَبْطُن حين أنَّثَ لأنه عَنَى القَبِيلة ، فلما رأى عجَبى من ذلك، قال : أليس هكذا قول الآخر[(٤)] :

فكان مِجَنِّى دون من كنتُ أَتَّقِى * ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ[(٥)]

---

(١) كذا فى العقــد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفى المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٨ م وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر ســنة ١٣٣٢ﻫ) . ورواية الأصل : ظلنت . وجاء فى العقد بعد هــذا البيت : "وبشر المريسى رأس فى الرأى، وقاسم التمّار متقدّم فى أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد الفريد، والذى بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بنى كلاب يسمى «النواح» كما فى خزانة الأدب (ج٤ ص٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبى ربيعة من قصيدة طويلة منها :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنْؤُرُ

(راجع الكامل للبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥) .

(٥) المجن : الترس . والمراد فى هذا البيت قوله «ثلاث شخوص» حيث أنث لأنه يريد بالشخص النفس وكاعبان مثنى كاعب وهى التى يبدو ثديها للنهود، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هنّ كاعبان ومعصر، والمعصر هى التى دخلت عصر شبابها وبلغته . (راجع شرح العينى بهامش خزانة الأدب للبغدادىّ ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئِنْ أَعْرَبْنا فى كلامنا حتّى ما نَلْحَن لقد لحنّا فى أعمالنا حتى ما نُعرِب[١] .

دخل أعرابىٌّ السُّوقَ فسمِعهم يَلْحَنُون، فقال : سبحانَ اللهِ ! يَلْحَنُون ويَرْبَحُون ونحن لا نَلْحَن ولا نَربَح ! .

دخل رجل على زِيادٍ فقال له : إنّ أَبِينَا هَلَك ، وإن أَخِينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا، فقال زياد : ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك[٢] .

قال الرِّياشىّ عن محمد بن سلّام عن يُونُس قال قال بلالٌ لشَبِيب بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدِى على عَبْدِ الأعلى بن عبد الله بنِ عامرٍ قال : أَحْضِرْنيه، قال : قد دعوتُه لكُلّ ذلك يأبى، برفع كلّ، قال بلال : فالذنبُ لكلّ . قال بعض الشعراء :

إمّا تَرَيْنِى وأثوابى مُقَارِبةٌ[٣] * ليستْ بخَزٍّ ولا من نَسْجِ كَتّانِ
فإنّ فى المَجْدِ هِمّاتِى وفى لُغَتى * عُلْوِيّةٌ ولسَانى غيرُ لحّانِ

وقال فِيلٌ مَوْلَى زيادٍ[٤] لزيادٍ : أَهْدَوا لنا هِمَار وَهْشٍ[٥]، فقال : ماتقول؟ وَيْلَك ! فقال : أَهْدَوْا لنا أَيْرا[٦]، فقال زياد : الأوّلُ خَير .

---

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فانلحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا» . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ م) «الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك» . (٣) مقاربة بكسر الراء، أى ليست بنفيسة . (٤) هو زياد بن أبى سفيان، كما فى القاموس . (٥) فى الأصل «أهدوا لنا همار جهش» وما أثبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفى نهاية الأرب «احدوا» بابدال الهاء حاء، وهذا الإبدال يعرف باللكنة وهى عجمة فى اللسان وعىّ . (٦) يريد عيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحشىّ .

سَمِع أعرابىٌّ والِيًا يَخْطُب فلَحن مرّةً أو آثنتين، فقال: أشْهَدُ أنك مَلَكت بقَدَر. وسَمِـع أعرابىٌّ إمامًا يقرأ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [بفتح تاء تنكحوا] فقال: سبحانَ الله! هذا قبلَ الإسلام قبيحٌ فكيف بَعْـدَه! فقيل له: إنه لحَن، والقراءةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فقال: قبّحه اللهُ، لا تجعلوه بعدها إماما فإنّه يُحِلُّ ما حَرّمَ اللهُ. قال الشاعر فى جارية له:

أوّلُ ما أَسْمَعُ منهـا فى السَّحَرْ(١) * تذكيرُها الأُنْثَى وتأنيثُ الذَّكَرْ

* والسَّوْءَةُ السوءاءُ(٢) فى ذِكْر القمرْ(٣) *

قال الحجّاج لرجل من العَجَم نَخّاسٍ(٤): أتبيعُ الدّوابَّ المَعِيبة من [جُنْد](٥) السلطان؟ فقال: «شَرِيكاتنا فى هوازها وشَرِيكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون»(٦) فقال الحجّاج: ما تقول؟ ففسّروا(٧) له ذلك، فضَحِك وكان لا يضحَك.

أمّ الحجّاجُ قوما فقرأ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وقرأ فى آخرها ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بنصب أنّ، ثمّ تنبّه على اللام فى لَخَبِير وأنّ «إنّ» قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذَفَ اللامَ من لخبير، فقرأ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾.

قال أبو زيد: قلتُ للخليل بن أحمـد: لِمَ قالوا فى تَصْغير واصـل أُوَيْصل ولم يقولوا وُوَيْصل؟ فقال: كَرِهوا أن يُشَبَّهَ كلامُهم بنبح الكلاب.

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوءة السوءاء: الخلة القبيحة. (٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمر» قالت: «الكَمَر» والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر؛ وهذا الإبدال يعرف باللثغة وهى أن تعدل الحرف إلى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهير الخراسانى النخاس كما فى البيان والتبيين والنخاس: بياع الدّواب والرقيق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠). (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفى الأصل: «شريكاتنا فى هواز ومداينها وكما تجى يكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك. يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها».

التشادُق والغَريب

حدّثنى سهلٌ عن الأصمعىّ قال : كان عيسى بنُ عُمَر لا يَدَعُ الإعرابَ لشىء. وخاصم إلى بلال بن أبى بُرْدَة فى جاريةٍ ٱشتراها مُصابةً ، فقال : لَأَنْ يذهبَ بعضُ حَقّى هذا أحبّ إليه من أن يَلْحَنَ ، فقال له : ومَن يعلم ما تقول؟ فقال : ابن طرنوبة[1] . وضربه عمرُ بنُ هُبَيْرة ضربا كثيرا فى وَديعة أودعها إياه إنسانٌ فطلبها ، فما كان يزيد على أن يقول: واللهِ إن كانت إلا أُثَيَّابًا[2] فى أُسَيْفاط[3] قبضها عَشَّارُوك[4] .

تَبِعَ أبو خالد النُّميرى صاحبُ الغَريب جاريةً مُتنقِّبة فكلّمها فلم تُكلِّمه ، فقال : ياخريدةُ[5] ، لقد كنتِ عندى عَرُوبًا[6] أَنْمَقُك[7] وتَشْنَئِينا !

وقال سهلُ بنُ هارونَ لجارية له رُوميّة أعجميّة : إن أقلّ ما يَنْطوِى عليه ضميرى من رَسيسِ[8] حُبّك لأجلّ من كلّ جليلٍ ، وأكثرُ من كلّ كثير .

وقال مالك بنُ أسماء فى جارية له :

أَمُغَطًّى منّى على بَصَرى للـ * ـحبّ أم أنتِ أكملُ الناس حُسنا[9] ؟

---

(١) كذا فى الأصل ولم نوفق إلى معرفة هذا الآسم فى الكتب التى بين أيدينا . (٢) أثيّاب : جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذى يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشّاروك : جمع عشّار وهو آخذ العشر وجابيه وملتزمه . (٥) الخريدة : الحيية . (٦) العروب : الحسنة التبعل . وقيل المرأة المتحببة إلى زوجها . (٧) نمقك : نحبك . وتشنئينا : تبغضينا . وفى الأصل «ولشنينا» وهو تحريف . والتصويب عن الكامل للمبرد (ص ٤١٨ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ، فما بالنا نمقك وتشنئينا ! فقالت : يابن الخبيثة أتجمشنى ! » . أى أتغازلنى وتلاعبنى . (٨) رسيس الحب : بقيته وأثره . (٩) كذا فى خطبة هذا الكتاب فى المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفى الأصل هنا :

أيغطى منى على بصرى بالـ * ـحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وَحَـــدِيثٍ أَلَذُّهُ هـــو مِمّـا * يَشْتَهِى الناعتون يُوزَنُ وَزْنا[1]
مَنْطِقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحيا * نًا وأَحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنـا

قال ابن دُرَيْد : استثقل منها الإعرابَ .

دخل أبو عَلْقَمةَ على أَعْيَن الطبيب فقال له : أَمْتَعَ اللهُ بك، إنّى أكلت من لحوم هـذه الجَوَازِل[2] فطَسِئْتُ طَسْأَةً[3]، فأصابنى وَجَعٌ ما بين الوَابِلَة[4] إلى دَأْيَة[5] العُنُق فلم يزل يَرْبُو ويَنْمِى حتى خالط الخِلْبَ[6] والشَّرَاسِيفَ[7]، فهل عندك دَوَاءٌ ؟ فقال أَعْيَن : نعم، خذ خَرْبَقًا[8] وشلفقا[9] وشِبْرِقًا[10] فزَهْزِقْهُ وزَقْزِقه واغْسِلْه بماء رَوْثٍ واشربْه ؛ فقال أبو عَلْقمة : لم أَفهمْ عنك؛ فقال أَعْيَن : أفهمتُك كما أفهمتَنِى . وقال له يوما آخَرَ : إنى أجد مَعْمَعةً فى بطنى وقَرْقرةً؛ فقال له : أما المعمعةُ فلا أَعرِفها ، وأما القرقرةُ فهى ضُرَاطٌ لم يَنْضَج .

(١) كذا بالأصل هنا وفى المقدمة ، وفى أمالى القالى : «تشتهيه النفوس» وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : «ينعت الناعتون» . (٢) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) . وفى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساوى للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة ليبسج) : «الجوازئ» . والجوازل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : اتخم من الطعام . (٤) الوابلة : طرف العضد فى الكتف . (٥) الدأية : فقرة العنق . (٦) الخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شُرسوف وهو رأس الضلع مما يلى البطن . (٨) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفى الأصل : «خرنقا» بالنون والخربق كجعفر : ضرب من الأدوية ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كلسان الحمل أبيض وأسود ينفع الصرع والجنون والبهق والفالج . (٩) هكذا وردت فى الأصل «شلفقا» بالشين والفاء والقاف بعد اللام ولم نقف لها على معنى . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوى للبيهقى «سلفقا» وفى البيان والتبيين : «سفلقا» . (١٠) كذا فى الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج : نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) : «جرفقا» وفى المحاسن والأضداد للجاحظ «سربقا» .

أتى رجلٌ الهيثمَ بنَ العُرْيان بغريم له قد مطله حقَّه فقال : أصلح الله الأمير، إنّ لى على هذا حقًّا قد غلبنى عليه؛ فقال له الآخرُ : أصلحك الله، إن هذا باعنى عنجدًا[1] واستنسأتُه[2] حَوْلا وشرطتُ عليه أن أُعطيَه مُشاهرةً[3] فهو لا يلقانى فى لَقَمٍ[4] إلّا اقتضانى؛ فقال له الهيثمُ : أمن بنى أُميّة أنت؟ قال : لا؛ قال : فمن بنى هاشم؟ قال : لا؛ قال : فمن أكفائهم من العرب؟ قال : لا؛ قال : وَيْلى عليك! انزِعْ ثيابَه ياجلواز[5]، فلما أرادوا نَزع ثيابِه قال : أصلحك الله، إنّ إزارى مُرَعْبَل[6]؛ قال : دعوه، فلو ترك الغريبَ فى وقتٍ لتركه فى هذا الوقت .

ومرّ أبو علقمة ببعض الطُّرُق[7] بالبصرة فهاجت به مِرّةٌ فسقط ووثب عليه قومٌ فأقبلوا يَعْصِرون[8] إبهامَه ويُؤذّنون فى أُذُنه، فأفلَتَ من أيديهم وقال : ما لكم تتكأكئون[9] علىّ كما تتكأكئون على ذى جِنّة! افرنْقِعوا عنّى؛ فقال رجلٌ منهم : دَعُوه فإنّ شيطانَه هندىٌّ، أمَا تسمعونه يتكلّم بالهنديّة . وقال لحجّام يحجُمه : أنظُر ما آمُرك به فاصنَعْه، ولا تكن كمن أُمِر بأمرٍ فضيّعه، أَنْقِ غسلَ المحاجم واشْدُدْ قُضُبَ الملازم[10]

(١) العنجد كجعفر وقنفذ وجندب : الزبيب .

(٢) استنسأه : سأله أن ينسئه دينه، أى يؤخره . (٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محرّكة وكصرد : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطىّ .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا فى المحاسن والمساوئ للبيهقى، والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «الطريق» .

(٨) فى المحاسن والأضداد، والمحاسن والمساوئ « يعضون » .

(٩) تتكأكئون : تجمعون . افرنقعوا : تفرقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبتان مشدود أوساطهما بحديدة تجعل فى طرفها قُنّاحة (مفتاح معوجّ طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا، تكون مع الصياقلة والأبّارين ومجلّدى الكتب وغيرهم .

وأَرْهِفْ[١] ظُبَاتِ[٢] المَشارِط وأَسْرِعِ الوَضْعَ وعَجِّل النَّزْعَ ،وليَكُن شرطُك وَخْزًا[٣] ، ومَصُّك نَهزًا ، ولا تُكرِهنّ آبيا ، ولا تَرُدَّن آتيا ؛ فوضع الحَجّامُ محاجمه فى جُونته[٤] ومضى .

سَمِع أعرابىّ أبا المكنون النحوىّ فى حَلْقته وهو يقول فى دعاء الآستسقاء : اللهم ربَّنَا وإلَهَنَا ومولانا صلّ على محمد نبيِّنا ؛ اللهم ومَن أراد بنا سوءًا فأَحِطْ ذلك السوءَ به كإحاطة القلائد على تَرَائب الوَلَائد[٥] ، ثم أَرْسِخه على هَامَته كرُسُوخ السِّجِّيل[٦] ، على هَام أصحاب الفيل ؛ اللهم آسْقِنا غَيْثًا مُغيثا مَرِيئًا مَريعا مُجَلْجِلا[٧] مُسْحَنْفِرًا[٨] هَزِجًا[٩] سَحًّا سفُوحا طَبَقًا[١٠] غَدَقًا[١١] مُثْعَنجِرا[١٢] ؛ فقال الأعرابىّ : ياخليفةَ نوح [هذا][١٣] الطوفان وربِّ الكعبة ، دَعْنِى آوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى من المــاء .

أبو الحسن قال : كان غلامٌ يُقَعِّر[١٤] فى كلامه ، فأَتَى أبا الأسود الدُّؤلىّ يلتمس ما عنده ؛ فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك[١٥] ؟ قال : أخذته الحُمَّى فَطَبَخَتْه طَبْخا وفَضَخَتْه[١٦]

(١) أرهف : حدّد (٢) ظبات جمع ظبة كثبة ، وهى حدّ السيف أو السنان ونحوه .

(٣) فى المحاسن والأضـــداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقىّ (ج ٣ ص ٤٧١) : «وخفّف» . (٤) الجونة بضم الجيم : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطّارين . (٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «بأعناق» . (٦) السجّيل : حجارة كالمدر، وقيل هو حجر من طين ، دخيل معرّب من «سنك وكل» أى حجارة وطين . (٧) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . (٨) قال أبو حنيفة : المسحنفر : الكثير الصب الواســع . (٩) الهَزِج من الهَزَج وهو صوت الرعد . (١٠) طبق : عامّ واسع . (١١) الغدق : المطر الكثير . (١٢) المثعنجر : السيل الكثير . وفى الأصل « مثعجرا » . (١٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) . (١٤) يقعر فى كلامه : يتشدّق و يتكلّم بأقصى حلقه . (١٥) كذا فى الأصل والبيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «وقال أبو الأسود الدؤلى لأبى علقمة : ماحال آبنك ... الخ» . (١٦) فضخته : دقته .

فَضْخًا وفَنَخَتْه فَنْخا[١] فتركته فَرْخا[٢]، قال أبو الأسود: فما فعلت آمرأته التى كانت تُجارُّه[٣] وتُشارُّه وتُزارُّه وتُهارُّه؛ قال: طلقها فتزوّجت غيره فرَضِيت وحَظِيت وبَظِيت، قال أبو الأسود: قد عرفنا حظيت[٤]، فما بظيت[٥]؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك؛ قال أبو الأسـود: يآبن أخى، كلّ حرف من الغريب لم يبلغ عمّك فآستُره كما تستر السِّنّوْرُ خُرْأَها.

قال زيد بن كثيرة: أتيتُ بابَ كبير دارٍ وهناك حَدَّادٌ[٦]، فأردتُ أن ألج الدار فدَلَظَني[٧] دَلْظَةً وادرس الناس عليهم فوالله إن زَلْنا نَظَارِ نَظَارِ[٨][٩] حتّى عَقَل الظِّلُّ[١٠]. وقال أيضا: أتيتِ بابَ كبير وإذا الرجالُ صَتِيتَان[١١] وإذا أَرْمِدَاءُ[١٢] كثيرةٌ وطُهَاةٌ لا أُحْصِيهم والجَامُ كأنّها آكَامٌ. وقال الطائى:

أيوسفُ[١٣] جئتَ بالعَجَب العجيب * تركتَ النـاسَ فى شَـكٍّ مُرِيب
سمعتُ بكـل داهيــةٍ نآدٍ[١٤] * ولم أسمـع بسرّاج أديب

(١) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) وفنخته: أوهنته وأضعفته. وفى الأصل: «فتخته» بالتاء المثناة، ولم نجد لهذه الكلمة فى كتب اللغة معنى يناسب المقام. (٢) الفرخُ: الضعيف المنهوك. (٣) تُجارّه: تطاوله. وتُشارّه: تخاصمه. وتُزارّه: تعضّه. وتُهارّه: تَهِرّ فى وجهه كما يهرّ الكلب (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢): «وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت...». (٥) أتى باللفظ «بظيت» إتباعا لحظيت مثل حسن بسن، لأنه ليس فى كلامهم «بظى» أنظر اللسان مادة «بظا». (٦) الحدّاد: البوّاب. (٧) دلظه: دفعه فى صدره. (٨) هذه العبارة واردة فى الأصل هكذا ولم نوفق إلى تحقيقها. (٩) نظارِ مثل قطامِ: اسم فعل أمر بمعنى انتظر والمعنى: فما زلنا يقال لنا نظار نظار الخ. (١٠) عقل الظل: قام قائم الظهيرة. (١١) صتيتان: فرقتان. (١٢) الأرمداء: جمع رماد. (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصرى كما فى ديوان أبى تمام طبع محمد جمال بتعليق محيى الدين الخياط. (١٤) النآد: نعت للداهية أو بدل منها والمراد داهية شديدة.

أَمَا لَوْ أنّ جهلَك كانَ عِلْمًا ❊ إذًا لنفذتَ[1] فى عِـلم الغُيوبِ
فـالَكَ بالغَرِيب يدٌ ولكنْ ❊ تَعاطيكَ الغـريبَ من الغـريبِ

قال رؤبة بن العَجّاج : خرجت مع أبى، نريد[2] سليمان بنَ عبد الملك، فلمّا صِرْنا فى الطريق أُهْـدِىَ لنا جَنْبٌ من لَحْم عليـه كَرَافئُ الشَّحْم وخريطةٌ[3] من كَمْأةٍ[4] ووطْبٌ[5] من لَبَن فطبَخْنا هذا بهذا، فما زال ذِفْرَيَاىَ[6] تَنْتِحَانِ[7] منـه إلى أن رجعتُ . (الكَرَافئُ : الطبقات، وكذلك كرافئ السحاب) .

وصايا المعلّمين

قال عُتبة بن أبى سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولده[8] : ليكن إصلاحُك بَنِىّ إصلاحَك نفسك ، فإن عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك ، فالحسنُ عنـدهم ما ٱستحسنتَ ، والقبيحُ ما ٱستقبحت، وعلِّمهم سِيَرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وتهدّدْهم بى وأدِّبْهم دونى، وكن لهم كالطبيب الذى لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء، ولاتَتّكِلَنّ على عُذْرٍ منّى، فإنى قد ٱتّكلتُ على كِفاية منك .

قال الحجّاج لمؤدّب بنيه : علِّمهم السِّباحة قبل الكتابة، فإنهم يَجِدُون مَنْ يكتُبُ عنهم، ولا يَجِدُونَ مَن يَسْبَحُ عنهم .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «لرسخت» . (٢) كذا فى الكامل للبرد (ص ١٤٠ طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفى الأصـل : « يزيد » . (٣) الخريطة : وعاء من أدم وغيره . (٤) الكَمْأة : نبات لا ساق له ولا عرق، لونه إلى الغبرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض، وهو عديم الطعم يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذِفرياى تثنية ذِفْرَى، وهو العظم الشاخص خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل للـبرد (ص ١٤٠) وتنتحان : ترشحان بالعرق . وفى الأصل «ينجان» . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكيب لا يخرجها عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لعمرو بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدِّب ولده: علِّمهم الصدق كما تُعلِّمهم القرآن، وجَنِّبهم السَّفِلَةَ فإنهم أسوأُ الناس رِعةً(١) وأقلُّهم أدبا، وجَنِّبْهُم الحَشَمَ فإنهم لهم مَفْسَدة، وأَحْفِ(٢) شُعُورَهم تَغْلُظْ رِقابُهم، وأَطْعِمْهم اللحمَ يَقْوَوْا، علِّمهم الشِّعرَ يَمْجُدُوا ويَنْجُدُوا، ومُرْهم أن يَستاكوا عَرْضًا ويَمُصُّوا الماءَ مَصًّا ولا يَعُبُّوه عَبًّا، وإذا احتجتَ إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سِتْرٍ لا يعلمُ به أحدٌ من الغاشية فيَهُونُوا عليه.

وقال آخر لمؤدِّب ولده: لا تُخرجهم من عِلْمٍ إلى عِلْمٍ حتى يُحْكِمُوه، فإن اصطكاكَ العلم في السمع وازدحامَه في الوَهم مَضَلَّةٌ للفهم.

وكان لشُرَيح ابن يلعب بالكلاب، فكتب شُرَيحٌ إلى مُعلِّمه:

تَرَكَ الصلاةَ(٣) لأَكْلُبٍ يَسعى بها * طلبَ(٤) الهِرَاش مع الغُوَاةِ الرُّجَّسِ

فإذا خَلَوْتَ(٥) فعَضَّه بمَلامَةٍ * وعِظَنْهُ وَعْظَكَ للأَريبِ الكَيِّسِ

وإذا هَمَمْتَ بضَرْبِه فبِدِرَّةٍ * وإذا بلغتَ بها ثلاثًا فاحْبِسِ

واعْلَمْ بأنّك ما فعلتَ فنفسُه * مع ما يُجَرِّعُني أَعَزُّ الأَنْفُسِ

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب:

أيها المُبتَلَى بحبِّ الكلابِ * لا يُحِبُّ الكلابَ إلا الكلاب

لو تَعَرَّيتَ وسطها كنتَ منها * إنما فُقتَها بلُبْس الثِّياب(٦)

---

(١) يقال: فلان سيئ الرعة إذا كان قليل الورع.

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه: بالغ في قصه.

(٣) في المحاسن والمساوئ للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١): «الرواح».

(٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) «يبغى».

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) «أتاك».

(٦) كذا في الأصل، وفيه الإقواء، وهو اختلاف حركة الروي في الإعراب. ولو ورد هكذا: لا يحب الكلاب غير الكلاب، لخلا من هذا العيب.

وقال آخر :

لَتَبْـكِ أبا أحمـــدِ قِــرْدَةٌ * وَكَلْبُ هِرَاشٍ وديكٌ صَدُوحُ
وطــيرُ زِجَالٌ وقُمْــرِيَةٌ[1] * هَتُوفُ العَشِيّ وَكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغنى عن أبى الحسن العُكْلِيّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزَنِىّ قال : سمعت أبى يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ وَلَدَه كالسَّماد للزرع .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن المبارك عن أُسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : عَلِّموا أولادَكُم السِّباحةَ والرَّمْى والفُرُوسيّة .

وكانت العرب تُسـمِّى الرجل ، إذا كان يكتُب ويُحسِن الرَّمْى ويُحسِن العَوْم وهى السِّباحة ويقول الشِّعْر، الكاملَ .

البيان

حدّثنى عَبْدةُ بن عبـد الله قال حدّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عِمارة بن عُمَير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من البيان سِحرًا[2]" فأطيلوا الصـلاةَ وأقصِروا الخُطَبَ . وقال العبّاس : يا رسولَ الله، فيم الجَمَالُ؟ قال : "فى اللسان" .

وكان يقال : عَقْلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المُهلَّب : أَكْرَهُ أن يكون عقلُ الرجل على طَرَف لسانه. يريد أنه لا يكون عقلُه إلا فى الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحرا» باللام .

كَفَى بالمرءِ عَيْباً أن تراهُ * له وَجْـهٌ وليس له لسانُ
وما حُسْنُ الرجالِ لهم بِزَيْنٍ (١) * إذا لم يُسعد الحسنَ البيانُ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يَقْرِى العَيْنَ جَمالاً، والأُذُنَ بيانا . وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

أَعِـذْنِي رَبِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ * ومن نفس أُعالِجُها عِلَاجا
ومن حاجاتِ نَفْسِي فَاْعصِمَنِّى * فإن لمُضْـمَراتِ النفس حَاجا

وصف أعرابىّ رجلا يتكلّم فيُحسن فقال :

* يَضَعُ الهِنَاءَ مواضِعَ النُّقْبِ (٢) *

ومثلُهُ قولهم : فلانٌ يُجِيـد الحَزَّ، ويُصِيب المَفْصِل، وربما قالوا : يُقِلّ (٣) الحزّ .

وقال معاوية فى عبد الله بن عبّاس :

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالاً ولم يَقِفْ * لِعِيٍّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْـرِ
يُصَرِّف بالقول اللسانَ إذا انتحى * ويَنْظُرُ فى أعطافه نَظَرَ الصَّـقْرِ

وقال حسّان فيه :

إذا قال لم يَـتْرُكْ مقـالًا لقـائلٍ * بملتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بينهـا فَصْـلا

---

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفى الأصل : «لها» .

(٢) الهِنَاء : القطران . والنقب : جمع نقبة وهى أوّل ما يبدو من الجرب، أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام، مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هـذا وما قبله من الأمثال التى تضرب فى البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقلّ الكلام ويصيب المعانى ، بالجزار الرفيق يقـلّ حز اللحم ويصيب مفاصـله (راجع العقـد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

شَفَى وكَفَى ما فى النفوس فلم يَدَعْ * لذى إِرْبَةٍ فى القول جِدًّا ولا هَزْلا
سَمَوتَ إلى العلْيَا بغــير مَشــقّةٍ * فنِلْتَ ذُرَاهَـا لَا دَنِيًّـا ولَا وَغْلا (١)

ويقال : الصمتُ مَنَامٌ والكلام يَقَظَةٌ . ويقال : خير الكلام مالم يُحْتَج بعده إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبىّ رجلا فقال : ألفاظُه قوالِبُ معانيه . ومدح أعرابىّ رجلا فقال : كلامه الوَبْلُ (٢) على المَحْل (٣)، والعَذْبُ البارِدُ على الظَّمَا .

وقال الحُطَيئة :

وأخذتُ أقطارَ الكلام فلم أَدَعْ * ذَمًّا يضُرُّ ولا مَــدِيحًا يَنْفَعُ

وكان الحطيئة يقول : إنما شِعْرى حَسَبٌ موضوع ؛ فسَمِع ذلك عمرُو بن عُبَيْد فقال : كَذَبَ ، تَرَّحه الله (٤)، إنما ذلك التقوى .

قيل لعمرو بن عُبيد: ما البلاغة؟ فقال : ما بلّغك الجنّة ،وعَدَل بك عن النار؛ [قال السائل : ليس هذا أريد؛ قال : فـ]ـما (٥) بَصّرك مواقـعَ رُشْدك ، وعواقبَ غَيّك ؛ قال السائل : ليس هــذا أُريد؛ قال : من لم يُحسن الآستماع لم يُحْسِن القول ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إنّا مَعْشَر الأنبياء بِكَاءٌ (٦)" ، وكانوا يكرهون أن يزيدَ مَنْطِق الرجل على عقله ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : كانوا يخافون (٧) من فتنة القول [ومن سَقَطات الكلام مالا يخافون من

(١) فى الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص ٧٤ طبعة ليدن سنة ١٩١٠ م) وهو الأنسب للقام ؛ والوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد . (٣) المحل : الجدب . (٤) ترّحه الله : أحزنه ونغّصه (٥) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٣) . وفى الأصل : «وما بصرك ...» بالواو عطفا على ما قبله . (٦) بكاء جمع بكىّ ، وهو ما قلّ كلامه خلقة . (٧) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) . وفى الأصل : «يكرهون» .

فتنة السكوت(١)] ومن سَقَطات الصَّمْت، قال : ليس هـذا أريد، قال : فكأنك إنما تريد تخيّر اللفظ فى حسن إفهام [قال : نعم، قال(١)] : إنك إن أردت تقرير حُجّة الله فى عقول المكلّفين(٢)، وتخفيف المَئُونة على المُستمعين، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المرِيدين، بالألفاظ المُستحْسَنة فى الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً فى سُرْعة ٱستجابتهم، ونَفْى الشواغل عن قلوبهم، بالمَوْعظة الحسنة من الكتاب والسُّنة، كنت قد أُوتِيتَ فصلَ الخطاب، وٱستوجبتَ على الله جزيلَ الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زيادًا كاسِراً إحْدَى عَيْنيه واضعا إحدى رِجليه على الأخرى يُخاطب رَجُلا إلا رحمتُ المُخاطَبَ . وقال آخر : ما رأيتُ أحدا يتكلّم فيُحسن إلّا أحببْتُ أن يَصْمُتَ خوفا من أن يُسيءَ إلّا زيادًا فإنّه كلّما زاد زاد حُسْناً، وقال(٣):

وقبلَك ما أعييتُ(٤) كاسِرَ عَينِه * زِيادًا فلم تَقْدِرْ(٥) علىَّ حَبَائلُهْ

قال محمد بن سلّام : كان عمرُ بن الخطّاب إذا رأى رجلا يُلَجْلِج فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عَمْرو بن العاص واحد ! .

وتكلّم عمرو بن سعيد الأَشْدَق، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عَثْرَته لمـّا تكلّم، فأحسن حتّى خَشِيت عَثْرَته إن سكت .

---

(١) التكملة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) فى البيان والتبيين والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله بجرير من قصيدة تقع فى ثلاثة وتسعين بيتا مثبتة فى كتاب النقائض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعـــد البيت :

فأقسمت لا آتيه سبعين حِجّة * ولو نشرت عينُ القُباع وكاهلُهْ

والقُباع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وكان أميرا على البصرة لقبــه أهلها به، وذلك أنه مرّ بقوم يكيلون بقفيز فقـال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) . (٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا فى النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفى الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لِصُحَار العَبْدىّ: ما هذه البلاغةُ التى فيكم؟ فقال: شىءٌ تَجيشُ به صدُورُنا ثم تَقْذِفُه على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبُسْر[١] أبصرُ؛ فقال صُحَار: أَجَل، والله إنّا لنعلم أنّ الرِّيحَ تُلقحه وأنّ البرد يُعقده[٢] وأنّ القَمر يَصْبغه وأنّ الحرّ يُنْضِجُه؛ فقال معاوية: ما تَعُدُّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجيب فلا تُبطِئ، وتقولَ فلا تُخطِئ؛[٣] ثم قال: يا أميرالمؤمنين، حسن الإيجاز ألّا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وَفَد الحسن بن علىّ على معاوية الشأمَ، فقال عمرو بن العاص: إنَّ الحسنَ رَجُلٌ أَفَهُّ[٤] فلو حملتَه على المِنْبَر فتكلّم فسَمِع الناسُ من كلامه عابُوه؛ فأمره فَصعِد المِنْبَر فتكلّم فأحسن؛ وكان فى كلامه أنْ قال: أيّها الناس، لو طلبتُم ابنا لنبيّكم ما بين جَابَرْس[٥] إلى جَابَلْق[٦] لم تَجِدُوه غيرى وغيرَ أخى وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فساء ذلك عَمْرا وأراد أن يَقْطع كلامه، فقال: ياأبا محمّد، هل تَنْعت الرُّطَب؟ فقال: أجل، تُلْقِحُه الشَّمال وتُخْـرِّجه الجَنُوب ويُنْضِجُه بَرْدُ الليل بحرّ النهار؛ قال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَتُ الخِرَاءَةَ[٧]؟ قال: نعم، تُبعِد المَمْشَى فى الأرض الصَّحْصَح[٨] حتّى

---

(١) كلمة «البسر» مطموسة فى الأصل وآستعنا على معرفتها بما فى البيان والتبين الذى وردت فيه العبارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ». والبسر: التمر قبيل إرطابه وذلك إذا لوّن ولم ينضج.

(٢) يعقده: يغلظه.

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئْ ولا تخطئْ: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك، قال: لا تبطئْ ولا تخطئْ. قال أبو حاتم: استطال الكلام الأوّل فاستقال وتكلم بأوجز منه».

(٤) كذا فى الأصل والعقد الفريد. والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجىء على «أفعل» والذى فى كتب اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى العىّ فى المنطق): فهّ كضخم وفهيه وفهفه.

(٥) جابرس: مدينة بأقصى المشرق.

(٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب.

(٧) الخراءة بالكسر: التخلى والقعود للحاجة.

(٨) الصحصح بصادين مهملتين: ما آستوى من الأرض مع الآتساع. وفى الأصل: «الضحضح» بضادين معجمتين.

نَتوارَى من القوم، ولا تَسْتَقبِل القِبْلَة ولا تَستَدْبِرها، ولا تَسْتَنجى بالرَّوْثة ولا العَظْم، ولا تَبُول فى المـاء الراكد؛ وأَخَذَ فى كلامه .

وكان يقال : كلّ شيء ثَنَيْتَه يقْصُر ما خلا الكلامَ، فإنّك كلّما ثنيتَه طال . قال الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله .

تكلَّمَ صَعْصَعةُ بن صُوحان عند معاوية فعَرِق ؛ فقال معاوية : بَهَرَك القولُ ! فقال صعصعة : إنّ الجِيادَ نَضَّاحة للمـاء .

ويقال : أبلغُ الكلامِ ما سابق معناه لفظَه .

وفى كتاب للهند : أوّلُ البلاغة اجتماعُ آلةِ البلاغة، وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجَأْش(١)، ساكِنَ الجوارح قليلَ اللَّحْظ مُتَخيّرًا للفظ، لا يُكلِّم سَيِّدَ الأمّة بكلام الأُمَّة، ولا الملوكَ بكلام السُّوقة، ويكون فى قُوَاه فَضْلٌ للتَّصرُّف فى كلّ طبقة، ولا يُدقِّق المعانِىَ كلَّ التدقيق، ولا يُنَقِّح الألفاظَ كلّ التنقيح ولا يُصفِّيها كلَّ التَّصفية [ولا يُهذِّبها غايةَ التهذيب، ولا يفعل ذلك حتّى يُصادِفَ حكيما أو فيلسوفا عليما](٢) ويكون قد تعوّد(٣) حَذْفَ فُضـول الكلام وإسقاطَ مُشْتَرَكاتِ الألفاظ، قـد نَظَر فى صِناعة المَنْطق على جِهَة الصناعة والمُبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفّح .

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البَرْمكىّ وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم يُحيط بمعناك ويُحَكِّى(٤) عن مَغْزَاك، وتُخْرِجه من الشركة ولا تَستعين عليه بالفِكْرة، والذى لابُدَّ(٥) له منه أن يكونَ سَلِيما من التكلُّف، بعيدا من الصَّنعة، بريئا من التعقُّد، غَنِيًّا عن التأويل .

(١) الجأش : القلب، ورابط الجأش : ثابت عند الشدائد . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : «ومن قد تعوّد ... الخ» . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٨) : «يجلى» . (٥) هكذا فى الأصل . وفى البيان والتبيين : «والذى لابدّ منه... الخ» .

قال الأصمعيّ : البليغ مَن طبَّق المَفْصِل وأغناك عن المفسِّر .

قال المدائنى : كتب قُتَيبةُ بن مُسلم إلى الحجّاج يشكو قِلّةَ مَرْزِئته(١) من الطعام وقلّة غِشْيانه النساء وحَصَره على المِنْبر ؛ فكتب إليه : استكْثِر من الألوان لتُصيبَ من كلّ صَحْفة شيئا ، واستكْثِر من الطَّرُوقة(٢) تجِدْ بذلك قُوّةً على ما تُريد ، وأَنْزِل الناس بمَنْزِلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصّتك ، وارْمِ ببصرك أَمامَك تبلُغْ حاجتك .

قال بعض الشعراء :

إن كان فى العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرَةٌ * ففى البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

تكلّم رجل عند معاوية فَهَذَرَ(٣) ، فلمّا أطال قال : أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال : وهل تكلّمتَ !

ويقال : أعيا العِيّ بلاغةٌ بعِيّ(٤) ، وأقبحُ اللّحْن لَحْنٌ بإعراب .

وقال أعرابىّ : الحَظُّ للمرء فى أُذُنه(٥) ، والحظُّ لغيره فى لسانه .

ويقال : ربّ كلمةٍ تقول دَعْنى .

ويقال : الصمتُ أبلغُ من عِيٍّ ببلاغة . ونحوه قول الشاعر :

أرى الصَّمتَ أَدْنى لبعض الصَّواب * وبعض التَّكلُّم أدنى لعِيّ

وقال جعفر البَرْمَكىّ : إذا كان الإكثارُ أبلغَ كان الإيجازُ تقصيراً ، وإذا كان الإيجازُ كافياً كان الإكثارُ عِيّاً .

(١) المرزئة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفحل .
(٣) هذر فى كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغى . (٤) فى الأصل : « أعيا التى بلاغة بق » .
(٥) يريد أن حظ الرجل فى أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ فى لسانه لغيره لأنه إذا تكلم فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السماك : العربُ تقول : العَيِيُّ الناطق أعيا من العَيِيّ الصامت .

قال أنو شِرْوَان لبُزُرْ جِمْهـر : متى يكون العَيِيُّ بليغا ؟ فقال : إذا وَصَف حَبيبا .

قال يُونُس بن حبيب : ليس لعَيِيٍّ مُرُوءَةٌ ، ولا لمنقوص البيان بَهاءٌ ، ولو بَلَغَ يأفُوخُه(١) أعنانَ(٢) السَّماء . قال بعضُ الشعراء :

عَجِبتُ لإدلال العَيِيِّ بنفسه ... وصمتِ الذى قد كان بالحقّ أعلما

وفى الصمت سَتْرٌ للعَيِيِّ وإنما ... صحيفةُ لُبِّ المَرْءِ أن يتكلّما

قال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنان لا أَسْتَحْيِي من العِيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ جاهلا ، و إذا أنا سألتُ حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابىّ رجلا بَعْيا فقال : رأيتُ عَوراتِ الناسِ بين أرْجُلِهم ، وعَوْرَةَ فلان بين فَكَّيْه .

وعابَ آخرُ رجلا فقال : ذاك من يَتَامَى المَجْلِس ، أبلغُ ما يكون فى نفسه أعيا ما يكون عند جُلَسائه .

قال ربيعة الرَّأْى : الساكتُ بين النائم والأَخْرَس .

تذاكر قومٌ فضلَ الكلام على الصمت وفضلَ الصمت على الكلام ، فقال أبو مُسْهِر: كَلَّا ! إنَّ النَّجْمَ ليس كالقَمَر ، إنّك تَصِف الصمتَ بالكلام ، ولا تَصِفُ الكلامَ بالصمت .

---

(١) اليأفوخ : هو الموضع الذى يلتقى فيه عظم مقدّم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

وذمّ قومٌ فى مجلس سليمانَ بن عبد الملك الكلامَ، فقال سليمان: اللهم غَفْرًا، إنّ من تكلّم فأَحْسَن قدَر أن يَصْمُت فيُحْسِن، وليس من صَمَت فأَحْسن قادرًا على أن يتكلّم فيُحْسِن .

قال بكرُ بن عبد الله: طولُ الصمتِ حُبْسَةٌ[1]. ونحوه قول عُمر بنِ الخطّاب: تَرْكُ الحركة عُقْلة .

وكان نَوْفل بن مُساحِق إذا دخل على آمرأته صَمَت، وإذا خرج من عندها تكلّم؛ فقالت له : أمّا عندى فتُطْرِق، وأمّا عند الناس فتَنْطِق! فقال : أَدِقُّ[2] عن جَليلكِ وتَجِلّين عن دقيقى .

وفى حكمة لقمان : يا بُنَىّ، قد نَدِمتُ على الكلام ولم أَنْدَم على السكوت .

قال آبن إسحاق : النَّسْنَاسُ[3] خَلْقٌ باليَمن لأحدهم عَيْنٌ ويَدٌ ورِجْلٌ يَقْفِز[4] بها، وأهلُ اليمن يصطادونهم؛ فخرج قومٌ فى صيدهم فرَأَوْا ثلاثةَ نَفَر منهم فأَدْرَكُوا واحدًا فعقَروه وذَبحُوه وتَوَارَى آثنان فى الشَّجَر، فقال الذى ذَبَحه: إنّه لسَمِينٌ، فقال أحدُ الآثنين: إنه أكَلَ ضِرْوًا، فأخذوه فذَبَحُوه، فقال الذى ذَبَحـه : ما أنفعَ الصمتَ ! قال الثالث : فهأنا الصِّمِّيتُ فأخذوه وذبحوه . (الضِّرْوُ : حبّة الخضراء)[5] .

كان يقال : إذا فاتَك الأدب فآلزم الصَّمتَ .

---

(١) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) : «خرسة» . والحُبْسة بالضم : اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦) : «قال : إنى أجل عن دقيقك، وتدقين عن جليلى» . (٣) وردت هـذه الحكاية فى كتاب الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير فى بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد . (٤) كذا فى حياة الحيوان . وفى الأصل : «ينقر» .

وقال بعضهم : لا يجترئ على الكلام إلا فائقٌ أو مائقٌ[1] .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زيّن أهلَه * وفتّاقُ أبكارِ الكلامِ المُخَتَّمِ[2]

قال أبو الدرداء : أنصِفْ أُذُنَيْكَ مِن فِيكَ ، فإنّما جُعِلَ لك أُذُنانِ [اثنتان][3] وفمٌ واحدٌ ، لتَسْمَعَ أكثرَ ممّا تقول .

حَضَر قُشَيْرِىٌّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمتَ ، فقال له بعضهم : بحقٍّ سُمّيتم خُرْسَ العرب ؛ فقال القُشَيْرِىّ : يا أخى ، إنّ حظّ الرجل فى أُذُنه لنفسه ، وحظَّه فى لسانه لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أكثِرِ الصمتَ ما لم تكن مسئولا فإنّ فَوْت الصواب أيسرُ من خَطَل القول ؛ وإذا نازعَتْك نَفْسُك إلى مراتب القائلين المُصيبين ، فاذكُر ما دون الصواب من وَجَل الخطأ وفضائح المُقصِّرين .

تكلّم رجلٌ فى مجلس الهَيْثم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثمُ : يا هــذا ، بكلام مثلك رُزِقَ أهلُ الصمت المحبة . وقال أبو نُوَاس :

خَــلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ * وَامْضِ عَنْــهُ بِسَلَامِ
مُتْ بداءِ الصمتِ خَيْرٌ * لكَ من داءِ الكَلَامِ
إنّمــا السالمُ[4] من ألـــجَمَ فاه بِلِجَــامِ

---

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الهالك حمقا وغباوة .

(٢) فى الأصل «المحبّر» وهو تحريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب الرقائق برثى مالك بن أنس المدنى كما فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٤٩) : « المسلم » .

وقال آخر :

رأيتُ اللسانَ على أهله * إذا ساسه الجهلُ لَيْثاً مُغيرا

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا صاحبٌ لنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحُف من عندنا لأَقللنا الكلام .

وقال الأصمعىّ : إذا تظرّف العربىّ كَثُر كلامه ، وإذا تظرّف الفارسىّ كثر سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشيءُ يَكْفِيكَهُ التَّرْكُ فاتركه .

قال عبد الله بن الحسن لابنه : استعن على الكلام بطول الفِكْر فى المَواطن التى تدعوك فيها نفسُكَ إلى القول ، فإنّ للقول ساعاتٍ يضُرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قَتَادة :

تُعَاقِبُ[1] أيدينا ويَحْلُم رأينا * ونَشْتُم بالأفعال لا بالتكلّم

تكلم ابنُ السَّمَّاك يوما وجاريةٌ له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسَنَه لولا أنك تُكثر تَرْدَادَه ! قال : أُرَدِّده حتى يَفْهَمَه من لم يَفْهَمْه ، قالت : إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد مَلَّه مَن فَهِمه ! .

قال عيسى بنُ مَرْيم : مَن كان مَنْطِقُه فى غير ذِكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظرُه فى غير اعتبار فقد سَهَا ، ومن كان صَمْتُه فى غير فكرٍ فقد لها .

---

(١) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحماسة أبى تمام شرح التبريزى (طبع مدينة بُن) : « وتجهل أيدينا ... الخ» ونسب البيت فيهما إلى معبد بن علقمة . ونسب فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) الى إياس بن قتادة ، كما فى الأصل هنا .

كان العباس بن زُفَر لا يُكلّم أحدا حتى تَنْبسطَ الشمسُ، فإذا انْفَتَل(١) عن صلاته ضَرَب الأعناقَ وقَطَع الأيدى والأَرْجل . وكان جَرِير لا يتكلّم حتى تبزُغَ الشمس، فإذا بَزَغت قَذَف المُحْصنَات .

قال قَتَادة : مكتوب فى التّوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهْرِىُّ : إعادة الحديث أشدُّ من وَقْع الصَّخْر .

وفى كتب العجم : أنّ أربعةً من الملوك اجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمةً واحدةً كأنّها رميةٌ بسهم : ملك فارس، وملك الهند، وملك الروم، وملك الصين . قال أحدهم : إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكَتْنى ولم أَمْلِكها . وقال آخر : قد نَدِمتُ على ماقلتُ ولم أَنْدَم على ما لم أَقُل . وقال آخر : أنا على ردّ مالم أقل أقدرُ منّى على ردّ ماقلتُ . وقال آخر : ما حاجتى إلى أن أتكلّم بكلمة، إن وقعتْ علىّ ضرّتنى ، وإن لم تقع علىّ لم تنفعنى .

قال زُبَيْد اليامىّ(٢) : أسكتتنى كلمةُ ابن مسعود عشرين سنة : مَنْ كان كلامه لا يوافق فعلَه فإنّما يُوَبّخ نفسه .

وفى كتاب كليلة ودمنة : ثلاثةٌ يؤمرون بالسكوت : الراقى فى جبل طويل ، وآكل السمك، والمُرَوِّى(٣) فى الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء(٤) :

قد أفلح السالمُ الصَّمُوتُ * كلامُ واعى الكلام قوتُ

(١) انفتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا فى الأنساب للسمعانىّ ؛ وتهذيب التهذيب ؛ وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامىّ نسبة إلى يام بطن من همدان . وفى الأصل «زبيد النامى» بالنون وهو تحريف . (٣) المروّى : من روّى فى الأمر ويقال روّأ (بالهمزة) إذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبى العتاهية كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضا فى ديوان والده أبى العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت)

ما كلّ نُطْقٍ لهُ جوابٌ * جوابُ ما يُكرَهُ السكوتُ
يا عجبًا لامرئٍ ظَلُومٍ * مُستيقنٍ أنّهُ يموتُ

بلغنى عن أبى أُسامة عن ٱبن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلّموا وصَمَتَ الأحنفُ ؛ فقال معاوية : ياأبا بَحْر، مالك لاتتكلّم ؟ قال : أَخافُكم إن صَدَقْتُكم، وأخاف الله إن كَذَبت .

حدّثنى محمد بنُ داود قال حدّثنا الحُمَيدىّ قال حدّثنا أبو الحَكَم مَرْوان بن عبد الواحد عن موسى بن أبى درهم عن وهب بن منبّه قال قال ٱبن عبّاس : كفى بك ظالما ألّا تزالَ مُخاصِما ، وكفى بك آثما ألّا تزال مُمارِيا ، وكفى بك كاذبا ألّا تزال مُحدِّثا بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِهِ * وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ[(١)]
فعثرتُه من فِيهِ تَرْمِي برأسِهِ * وعثرتُه بالرِّجْل تَبرا على مَهْلِ

سُئل بعضُ الحكماء عن البلاغة، فقال : من أخذ معانىَ كثيرةً فأدّاها بألفاظ قليلة، أو أخذ معانىَ قليلةً فولّد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغنى عن أبى إسحاق الفَزَارىّ قال : كان إبراهيمُ يُطيل السكوتَ ، فإذا تكلّم ٱنبسط، فقلت له ذاتَ يوم : لو تكلّمتَ ! فقال : الكلام على أربعة وُجُوه، فمنه كلامٌ ترجو منفعتَه وتَخْشى عاقبتَه، فالفضلُ منه السلامةُ، ومنه كلامٌ لاترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه ، فأقلُّ مالَكَ فى تركه خِفة المُؤُونة على بَدَنك ولسانك ؛ ومنه كلامٌ

(١) هذان البيتان لجعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) .

لا ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته، وهــذا هو الدَّاءُ العُضال؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأْمَنُ عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نَشْرُه؛ قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثةَ أرباع الكلام.

الاستدلال بالعين والإشارة والنُّصبة[1]

يقال: رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان. قال أعرابىّ:

إنْ كاتَمُونا القِلَى نَمَّت عيونُهُمُ * والعينُ تُظْهِرُ مافى القلب أو تَصِفُ

وقال آخر:

إذا قلوبٌ أَظْهرتْ غيرَ مَا * تُضْمِره أنْبَتكَ عنها العُيُونْ

آخر:

أَمَا تُبصر فى عيْنَىَّ عُنوانَ الذى أُبدِى

وقال ذو الرُّمَّة:

نَعَمْ هاجت الأطلالُ شَوْقًا كَفَى به * من الشَّوقِ إلا أنَّهُ غيرُ ظاهرِ
فما زِلْتُ أَطْوِى النفسَ حتّى كأنَّها * بِذِى الرِّمْثِ[2] لَم تَخْطُرْ على بال ذَاكرِ
حَيَاءً وإشْفاقا من الرَّكْبِ أن يَرَوْا * دليــلًا على مُسْتَوْدَعات الضمائرِ

وقال الحارثىُّ يذكر ميتا:

أتيناه زُوَّارًا فأمجَــدَنا[3] قِرى * من البَثِّ[4] والدَّاءِ الدَّخيل المُخامِرِ
وأوسَعَنا عِلْمًــا برَدِّ جوابِنا * فأعْجِبْ به من ناطقٍ لم يُحاوِرِ

---

(١) النصبة بالضمّ: هى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس: أضمرها على شىء من حبّ ميّة. وذو الرِّمث: اسم واد لبنى أسد.

(٣) أمجدنا: أشبعنا. (٤) البث: الغمّ والحزن، وقيل أشدّه.

ومثل هذا قولُ القائل[1] : سَلِ الأرضَ فقل لهـا : من شَقّ أنهارَكِ ، وغَرَس أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ، فإن لم تُجِبك حِوَارًا[2] ، أجابتْك ٱعتبارا . قال أبو العَتَاهِيَة[3] :

وللقَلْبِ على القلبِ * دليـــلٌ حين يَلْقاهُ
وللناس من النـــاس * مقاييسٌ وأشـــباهُ
يُقاسُ المـرءُ بالمـرءِ * إذا ما هو ماشــاهُ
وفى العين غِنًى للعـيْــنِ[4] أن تَنْـطِق أفواهُ

الشـــــعر

يقال : خيرُ الشِّعْر ما رَوَّاك نفسَهُ . ويقال : خيرُ الشعر الحَوْلِىّ المُنَقَّح المُحَكَّك . سَمِع أعرابىٌّ رجلا يُنْشِد شِعْرا لنفسه ، فقال : كيف تَرَى ؟ قال : سُكّر لا حَلاوةَ له . قيل لبعض علماء اللغة : أرأيتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد فى لفظ واحد ؟ فقال : عُقول رجالٍ تَوَافت على ألسنتها .

قال بَشّار يَصف نفسَه :

زُورُ[5] مُلوكٍ عليـــه أُبَّهَــةٌ * يُعرفُ من شِعره ومن خُطَبِهْ
لله ما راح فى جَوَانحـــِه * من لُؤلُؤٍ لا يُنام عن طَلَبِهْ
يَخْرُجْنَ[6] من فيه فى النَّدِىّ كما[7] * يَخرُجُ ضوءُ السِّراج من لَهَبِهْ

---

(١) القائل هو الرقاشىّ كما فى الصناعتين لأبى هلال العسكرىّ (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩ هـ) .
(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاوبه وراجعه فى الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات فى ديوان أبى العتاهية المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٤ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) : «للمرء» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا فى الأصل ، وفى ديوان بشّار (ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندىّ ... الخ» .

تَرنُو إليــه الحُدَّاثُ غاديةً * ولا تَمَلُّ الحــديثَ من عَجَبِهْ

تِلِعّـابةٌ(١) تَعكُفُ المـلوكُ به * تأخذ من جِدّه ومن لَعِبِهْ

يَزدحِمُ النـاس كلَّ شارقةٍ * ببابه مُسرعيــن فى أدبِهْ

وقال الطائىُّ يذكر الشعر :

إنّ القَــوافِىَ والمَسَاعِىَ لم تَزَلْ * مِثْـلَ النِّظَـام(٢) إذا أصــابَ فَريدا

هى جَوْهَرٌ نَثْرٌ فإن أَلَّفتَهُ * بالشـعر صار قــلائدًا وعُقُــودا

من أجل ذلك كانت العربُ الأُلَى * يَدْعُون هــذا سُــؤْدُدًا مَجْــدُودا(٣)

وتَنِــدُّ عنــدهمُ العُــلَا إلّا عُلًا * جُعلت لها مِرَرُ(٤) القَرِيض قُيُــودا

وقال أيضـا :

ولم أَرَ كالمعروف تُدْعَى حُقوقُه * مغـارِمَ فى الأقوامِ وهى مَغانمُ

وإنّ العُلَا(٥) ما لم تَرَ الشِّـعرَ بينها * لكالأرضِ غُفْلًا(٦) ليس فيها مَعالِمُ

وماهو إلا القولُ يَسْرِى فيَغتَدِى * له غُرَرٌ فى أوجهٍ ومَواسِــمُ

يُرَى(٧) حِكْمَةً مافيــه وهو فُكَاهةٌ * ويُقْضَى بما يَقْضِى به وهو ظالمُ

ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما دَرَى * بُغاةُ العُلَا من أينَ تُؤْتَى المكارمُ

(١) رجل تِلْعابة بكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .

(٢) فى ديوان أبى تمام المطبوع (ص ٩٠) : «الجُمَان» .

(٣) فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص٩٠) : «محدودا» بالحاء المهملة .

(٤) المِرَر جمع مِرّة ، والأصل فى المِرّة طاقة الحبل .

(٥) رواية الديوان (ص٢٨٦) : «ولا كالعلا ما لم يرَ ... فكالأرض ... الخ» .

(٦) الغُفل من الأرض : ما لا علامة فيه .

(٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصل «ترى» .

وقال عُمر بن لَجَإ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وٱبنَ عمّه .

قيل لعَقِيل بن عُلَّفة : ألا تُطِيل(١) الهِجَاء ؟ فقال : يَكفيك من القِلَادة ما أحاط بالعُنُــق .

وقال بعضُهم : خيرُ الشِّعر المُطمِع .

قيــل لكُثَيِّر : يا أبا صَخْر ، كيف تصنع إذا عَسُر عليك قولُ الشــعر ؟ قال : أطوف بالرِّباع المُخْلِيَة(٢) والرِّياض المُعشِبة ، فيسهُل علىّ أرْصَنُه ويُسرِع إلىّ أحسنُه .

ويقال : إنه لم يُستدَعَ(٣) شارِدُ الشــعر بمثل المــاء الجارى ، والشَّرَف العــالى ، والمكان الخَضِر الخالى أو الحالى(٤) .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لأَرْطَاةَ بن سُهَيّة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال(٥) : ما أشرَب(٦) ، ولا أَطْرَب ، ولا أَغْضَب ؛ وإنمــا يكون الشــعر بواحدة من هذه .

---

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨ طبعة ليدن ســنة ١٩٠٢) والمُخْلِيَة : الخاليــة من السكان ؛ يقال : خلت الدار وأخلت . وفى العقد الفريد (ج ٣، ص ١٤٣) : « بالرباع المحيلة » وهى التى أتت عليها أحوال فغيّرتها . وفى الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢). وفى الأصل : «لم يُسرِع» .

(٤) الخالى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هــذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) بدون الكلمة «الحالى» ثم قال صاحب العقد : "تأوّل بعضهم «الخالى» يريد الخالى من النوار يعنى الرياض وهو توجيه حسن" . وأما «الحالى» بالمهملة فهو المتحلى بالنوار، ومنه قول أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى (ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبى تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولمــا نزلْنا منزلا طلَّه النَّــدَى * أَنِيقًا وبُستانا من النَّوْر حاليا

(٥) فى الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

وقيل لكُثَيِّر[(١)]: ما بَقِىَ من شعرك ؟ فقال : ماتت عَزّة فما أطرب ، وذهب الشَّبَابُ فما أُعْجَب ، ومات ٱبْنُ لَيْلَى فما أرغب — يعنى عبدَ العزيز بن مَرْوان — وإنما الشعر بهذه الخِلَال .

وقيل لبعضهم : من أشعرُ الناس[(٢)]؟ فقال : ٱمرؤُ القيس إذا رَكِب، والنابغة إذا رَهِب، وزهير إذا رَغِب، والأعشى إذا طَرِب .

وقيل للعجّاج : إنك لا تُحسِن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلامًا تمنعُنا من أن نَظلِمَ، وأحسابًا تمنعُنا من أن نُظْلَمَ، وهل رأيتَ بانيًا لا يُحسِن أن يَهْدِم ! .

وقلتُ فى وصف الشِّعر : الشعر مَعْدِنُ عِلْم العرب ، وسِفْرُ حكمتها ، وديوانُ أخبارها ، ومسْتَوْدَعُ أيامها ، والسُّورُ المضروبُ على مآثرها ، والخَنْدَقُ المحجوزُ على مفاخرها ، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار ، والحُجّةُ القاطعةُ عند الخِصَام ؛ ومن لم يقم عندهم على شَرَفه وما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفَعَال الحميد بيتٌ منه ، شَذَّت مَساعيه وإن كانت مشهورة، ودَرَسَت على مُرور الأيّام وإن كانت جِساما ؛ ومن قَيَّدها بقوافى الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر، والمَثَل السائر، والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجَحْد، ورفع عنها كَيْدَ العدوّ وغَضّ عينَ الحسود .

وما جاء فى الشعر كثير. وقد أفردتُ للشعراء كتابا، وللشعر بابا طويلا فى كتاب العرب. وذكرت هذه النُّتْفَةَ فى هذا الكتاب كراهِيَةَ أن أُخْلِيَه من فَنٍّ من الفنون .

(١) رواية الأمالى (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) : «قيل لكثير: مالك لا تقول الشعر ! أجبلت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عَزّة فما أنسب ، ومات ... الخ » وفسّر أبو علىّ القالى : «أجبلت» بقوله : « أجبلت ، أى انقطعت عن قول الشعر . أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر »

(٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «وقالوا : أشعر الناس ، النابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب ، وجرير إذا رغب» .

حُسن التشبيه فى الشّعر

من ذلك قولُ ٱبنِ الزَّبِير الأَسَدىّ فى الثُّرَيّا :

وقد[1] لاح فى الغَوْر الثُّرَيّا كأنّمـا * به رايةٌ بيضاءُ تَخْفُق للطَّعْنِ

شبّه الثُّرَيّا حين تدلّت للمَغيب براية بيضاء خَفَقت للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترةَ فى الذُّباب :

وخَلَا[2] الذُّبابُ بها[3] فليس ببارِحٍ * هَزِجًا[4] كفعْلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ

غَرِدًا[5] يَحُــكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعِهِ * فِعْلَ المُكِبِّ[6] على الزِّناد الأَجْذَمِ[7]

شبّه حكّه يَدَه بيده برَجُل مقطوع الكفَّين يَقْدَح النار بعُودَيْن .

ومن ذلك قولُ أعرابى فى العنَب :

يَحْمِلْنَ أوعيَةَ السُّلافِ كأنّمـا * يَحْمِلْنها بأَكَارع النِّغْرَانِ[8]

أوعية السُّلاف : العنب، جعله ظرفا للخمر، وشبّه شُعَب العناقيد التى تَحمِل الحبَّ بأرجُل النِّغْران . (والنُّغَرُ : طائر مثل العصفور أحمر المِنْقار) .

---

(١) كذا فى معاهد التنصيص ص١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ ھ، ونسخة خطية من الأغانى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م فى أخبار أبى قيس بن الأسلت . وفى نسخة خطية أخرى من الأغانى رقم ١٢٦١ : «تخفض» بدل «تخفق» وفى طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) «وقد لاح فى القور ...» بالقاف . وفى الأصل هنا :

وقـــد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيــه أيضا «خفضت» فى تفســير المؤلف للبيت بدل خفقت التى أثبتناها، تبعا للرواية التى آثرناها فى البيت . (٢) يروى هـــذا البيت فى شرح المعلقات للزوزنى (طبع القاهرة ســنة ١٣٠٤ ھ) : «...فليس ببارح . غردا» ويروى البيت الذى بعده «هزجا يحك ... ... قدح المكب» .

(٣) الضمير فى «بها» يعود على الروضة التى تصدّى عنترة لوصفها فى معلقته . (٤) هزِج ككتف : مصوّت . (٥) غَرِدٌ : من غَرِدَ الطائرُ إذا رفع صوته فى غنائه وطرّب . (٦) المكبّ : من أكبّ على الشىء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجذم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذاهب الأنامل .

(٨) فى اللسان مادة «نغر» : «يحملن أزقاق المـــدام ... بأظافر ... الخ» .

وقال الآخر، وكان غَشِيَ عَيْنَيْه بياضٌ أو نزل فيهما ماءٌ، :

يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَـهُ ❊ وما ماءُ سُوءٍ خان عَيْنِى بطيِّبِ
ولكنّه أزمانَ أنظُرُ طيِّبٌ ❊ بعَيْنَىْ غُدَافِيٍّ(١) علا فوق مَرْقَبِ
كأنَّ ٱبنَ جَحْلٍ(٢) مَدَّ فضلَ جناحِه ❊ على ماء إنسانَيْهِـما المُتَغَيِّبِ

شبّه ما علا الحَدَقة بجناح فَرْخ من فِراخ الزنابير قد مُدَّ على ناظره .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس وذكر العُقاب :

كأنّ قلوبَ الطَّير رَطْبًا ويابسًا ❊ لَدَى وَكْرِها العُنّابُ(٣) والحَشَفُ(٤) البالى

شبّه الرَّطْب بالعُنّاب، واليابس بالحَشَف . وشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد .

ومن ذلك قولُ أَوْس بن حَجَر وذَكَر السيف :

كأنّ مَدَبّ النمل يلتمِسُ الرُّبَى ❊ ومَدْرَجَ ذَرٍّ(٥) خاف بَرْدًا فأسـهلا

شبّه فِرِنْدَ(٦) السيف بمدرج الذّرّ ومدبّ النمل .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى البازى :

ومَنْسِرٌ أَكْلَفُ فيه شَغًا(٧) ❊ كأنّه عَقْـدُ ثمانينا(٨)

(١) الغُدافىّ : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفى الأصل : «بعينى غدافيا» .

(٢) الجحل بتقديم الجيم على الحاء : اليعسوب العظيم، وهو فى خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه، والجمع جحول وجحلان . (٣) العناب كرمّان : شجر معروف، حبه كحب الزيتون فى شكله .

(٤) الحشف : ما يبس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر : صغار النمل، واحدته ذرّة . (٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشَّغا : زيادة فى المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقُّف وانعطاف، ولذا سميت العُقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازى الذى فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقد الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للآلوسى طبعة بغداد ج ٣ ص ٣٩٩) .

ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ فى آمرأة :

قامت تَصَدَّى له عَمْدًا لتقتُلَه * فلم يَرَ الناسُ وَجْدا مثلَ ما وَجَدا
بجيـــدِ آدَمَ(١) لم تُعقَـــد قلائدُه * وناهدٍ مثلِ قلبِ الظَّبْيِ ما نَهَدا
فظلَّ كالحائم(٢) الهَيْمَانِ(٣) ليس له * صَبْرٌ ولا يأْمَنُ الأعداءَ إن وَرَدا

شبّه ثَدْيَها فى نُهوده بقلب الظبى فى صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثَّدْى بقلب الظَّبْى غيره .

ومن ذلك قولُ جَحْدر ٱلعُكْلىّ فى آمرأة :

على قَدَمٍ مكنونة اللونِ رَخْصَةٍ * وكَعْبٍ كَذِفْرَى(٤) جُوذُرِ الرَّمْلِ أَدْرَما(٥)

شبّه كعبها بأصل أُذُن الجُوذُر، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حُمَيد بن ثَوْر يصف فَرْخ القطاة :

كأنَّ على أشـــداقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ(٦) * إذا هو مَدَّ الجيـــدَ منـــه ليَطْعَمَا

ومن ذلك قول دِعْبِل(٧) يهجو آمرأة :

كأنّ الثآليـــلَ(٨) فى وجههـــا * إذا سَفَرَتْ بِدَدُ(٩) الكِشْمِش(١٠)
لهـــا شَـــعْرُ قِرْدٍ إذا آزَّيَّنَتْ(١١) * ووجهٌ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَشِ(١٢)

(١) يقال : ظبى آدم إذا أُشرب لونه بياضا . (٢) الحائم : العطشان الذى يحوم حول الماء . (٣) الهيمان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدرم : مستوٍ . (٦) كذا رواه المؤلف فى كتابه « الشعر والشعراء »(ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات سهلىّ طيب الريح . وفى الأصل «خنوة» بالخاء وهو تحريف . (٧) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى (ص ٨٢١ طبع مدينة بون سنة ١٨٢٨) : «أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبى الغَطَمَّش الحنفى» . (٨) الثَّآليل جمع ثُؤلول،وهو الحبة تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها . (٩) البِدَدُ جمع بِدّة وهى القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير . (١١) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «إذا زينت» . (١٢) الأبرش : ما به بَرَش، والبَرَش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى وصف البطّ :

* كأنّمـا يَصْفِرْنَ من مَلَاعق (١) *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجّاز فى جارية سوداء :

كأنّها والكُحْلُ فى مِرْوَدِها * تَكْحُلُ عينيها ببعض جِلْدِها

ومن ذلك قولُ الجَعْدِىّ (٢) فى فرس :

خِيـطَ على زَفْرةٍ (٣) فتمّ ولم * يَرْجِعْ إلى دِقّةٍ ولا هَضَمِ (٤)

يقول هو منتفخ الجَنْبَيْن، فكأنّه زَفَر فانتفخ جنباه ثم خِيطَ على ذلك .

ومن ذلك قول الطِّرِمّاح يصف الثَّوْر :

يَبْـدُو وتُضمِره البـلادُ كأنّهُ * سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ (٥)

ومن ذلك قول النابغة للنُّعمان :

فإنّك كالليـل الذى هو مُدْرِكى * وإنْ خِلتُ (٦) أن المُنْتَأَى عنك واسعُ

ومن ذلك قولُه فى المرأة (٧) :

نَظَرتْ إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نَظَرَ المريض الى وُجوه العُوَّدِ

يقول : نظرتْ إليك ولم تَقْدِر أن تتكلّم، كما ينظُر المريضُ إلى وُجوه عُوّاده ولا يَقْدِر أن يُكلّمهم .

---

(١) عجزه كما فى الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصرة الأقلام فى المهارق *

(٢) كذا فى اللسان مادتى «زفر» و «هضم» وفى الأصل «الجعفرىّ» . (٣) زفرة الفرس: وسطه ، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة، أى عظيم الجوف . (٤) كذا فى اللسان . وفى الأصل «ولا هرم» والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهى من عيوب الخيـل التى تكون خلقة . (٥) كذا فى «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفى الأصل: «و يعضد» . (٦) كذا فى ديوان النابغة طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفى الأصل: «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجرّدة زوج النعمان .

ومن ذلك قولُ طَرَفَة :

لعمرُكَ إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى * لَكَالطِّوَلِ[1] المُرْخَى وثِنْياهُ باليَــدِ

ومن ذلك قولُ بعض الضَّبيِّين[2] يصف أباريق الشَّراب :

كأَنّ أباريقَ الشَّمُول عَشِــيَّةً * إوَزٌّ بأَعْلَى الطَّفِّ[3] عُوجُ الحناجر[4]

ونحوه قولُ أبي الهنديّ[5] :

سَيُغْنِي أَبَا الهِنْدِيّ عن وَطْبِ سالِمٍ * أباريقُ لم يَعْــلَقْ بهــا وَضَرُ[6] الزُّبْدْ

مُفَــدَّمَةٌ[7] قَــزًّا كأنَّ رِقابَهــا * رِقابُ بَناتِ[8] المــاءِ تَفْــزَعُ للرَّعْدْ

ومن ذلك قولُ نُصَيب في عبد العزيز بن مَرْوان :

وكلُبك آنَسُ بالمُعْتفين * من الأُمِّ بابنتِها الزائرهْ

ومن ذلك قولُ عَديّ بن الرِّقاع في الظبية :

تُزْجِي[9] أَغَنَّ[10] كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِه[11] * قلمٌ أصابَ من الدَّواة مِدَادَها

ومن ذلك قولُ بشّار :

كأنّ مُثَار النَّقْع فوق رءوسِهِم[12] * وأسيافَنا ليــلٌ تَهاوى كواكِبُهْ

---

(١) الطِّوَل : الحبل الطويل تشدّ به قائمة الدابة و يمسك صاحبها بطرفه و يتركها ترعى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبيّ كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطفّ : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . (٤) كذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج الرقاب . وفي الأصل : «المناخر» بالخاء المعجمة . ولعلها «المناحر» بالحاء المهملة ، جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدّوس كما في اللسان مادّة «وضر» .

(٦) الوضر : وسخ الدسم واللبن . (٧) المفدّم : الإبريق الذي على فمه فدام وهو خرقة من قزّ أو غيره . (٨) يريد ببنات الماء الإوزّ وما يشابهها من طيور الماء . (٩) تزجى : تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما في صوته غُنّة . (١١) الرّوْق : القرن .

(١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للقزويني «فوق رءوسنا» وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قولُه :

جَفَتْ عينى عن التَّغْميض حتّى * كأنّ جُفونَها عنهـا قِصَارُ

ومن ذلك قولُ الآخر :

ومولًى كأنّ الشمسَ بينى و بينـه * إذا ما ٱلتقينا ليس ممن أعاتبُـهْ

يقول : لا أقْدِرُ على النظر إليه من بُغْضه ، فكأنّ الشمس بينى و بينه .

ومن ذلك قولُ الآخر :

كأن نيرانَهـم فى كلّ مَنْزِلة * مُصَبَّغاتٌ(١) على أَرسانِ(٢) قَصَّارِ(٣)

الناس يَستحسنون هـذا ، وأنا أرَى أن أقول : الأَولى أن يُشَـبَّه المُصبَّغات بالنيران ، لا النيران بالمصبَّغات .

الأبيات التى لا مِثْلَ لهـا

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنـا مُعْتَمِر عن لَيْث عن طـاوس عن آبن عبّاس قال : إنّها كلمة نَبِىّ :

سَتُبْدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

حدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أبرعُ بيت قالته العرب قولُ أبى ذُؤَيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ إلى قليـل تَقْنَعُ

وأحسن ما قيل فى الكِبَر قولُ حُمَيْد بن ثَوْر الهلالىّ :

أَرَى بَصرى قد رَابَنى بعد صِحَّةٍ * وحسبُك داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما

---

(١) المصّبغات : الثياب التى صُبغت ولُوّنت بالصِّبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَن بالتحريك وهو الحبل

(٣) القَصّار : الذى يُحَوِّر الثياب و يدُقّها بالقَصَرة ، وهى قطعة من الخشب .

وأحسن مَن ٱبتدأ مرثية أوس بن حَجَر فى قوله[١] :

أيتُهــا النفسُ أجْمِلى جزَعًا * إن الذى تَكْرَهين[٢] قد وَقَعا

وأغرب مَن ٱبتدأ قصيدة النابغةُ فى قوله :

كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُميمــة ناصِبٍ * وليلٍ أُقاسِيه بَطِىءِ الكواكبِ

حدّثنى الخَثْعَمىّ الشاعر قال : أحسنُ بيتٍ قيل فى الجُبْن قولُ نَهْشَل ابن حَرِّىّ[٣] :

فلو كان لى نفسان كنتُ مُقاتلًا * بإحداهما حتى تَموتَ وأسلما

قال : و بيت المُخَبَّل فى قَساوة القلب :

يُبَكَّى علينا ولا نَبْكِى على أحدٍ * لنحنُ أغلظُ أكباداً من الإبلِ

قال : و بيت عَبِيد فى الاستعفاف :

مَنْ يسألِ الناسَ يَحْرِمُوه * وسَائلُ اللهِ لا يَخِيبُ

قال : و بيت مَنْجوف بن مُرّة السلمى فى الاحتفاظ بالمـال :

وأَدفعُ عن مالى الحقوقَ و إنهُ * لجمٌّ فإنّ الدهرَ جَمٌّ مصائبُهْ

قال : و بيت الحُطَيئة فى إكرام النفس :

وأُكرِمُ نفسى اليومَ عن سُوءِ طِعْمَةٍ * ويَقْنَى الحياءَ المرءُ والرمحُ شاجِرُهْ[٤]

---

(١) فى الأصل : «وأحسن من ابتدا مرثيـة قول أوس بن حجر» . (٢) فى الشعر والشعراء (ص ٧) «تحذرين» . (٣) فى الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتناه عن الأغانى (ج ٨ ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمحىّ ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) فى الأصل : «شاجر» وما أثبتناه عن ديوان الحطيئة (طبع ليبزيك سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرمت نفسى ... ... الخ . فنى الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان و يمدح آل شماس مطلعها :

عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشى به ظلمانه وجـــآذره

قال : وقول كعب[(١)] فى الإقدام :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا * قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

قال : و بيت عمرو بن الإطْنابة فى الصبر :

وقَوْلِى كُلَّما جَشَأَتْ وجاشت * مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْتَرِيحِى

وأحسن من هذا عندى قول قَطَرِىّ :

وقَوْلِى كلما جَشَأَتْ[(٢)] لنفسى * من الأبطال وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ * على الأَجَلِ[(٣)] الذى لكِ لم تُطَاعِى

قال : و بيت مِسكين الدارِمىّ[(٤)] فى الجُود :

طَعَامى طَعَامُ الضَّيفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ * ولم يُلْهِنِى عنه الغَزالُ المُقَنَّعُ

قال : وفى حسن الجِوَار قوله :

نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قبلى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضرَّ جارا لى أُجاوِرُه * أَلَّا يكونَ لبابه سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جَمِيلٌ، قال :

أُقَلِّبُ طَرْفِى فى السماء لعلَّهُ * يُوافِقُ طَرْفِى طرفَها حين تَنْظُرُ

---

(١) هو كعب بن مالك ، كما فى الكامل للبرد طبع أوربا (ص٦٦) والأغانى (ج ١٥ ص ٣٠) وورد فيه « يوما » بدل « قدما » . (٢) روى هذا المصراع فى حماسة أبى تمام هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ

(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبى تمام . وفى الأصل : « ... حياة ... من الأجل ... الخ » وفى العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى : « قال عتبة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمى » ، وروى البيت فيه هكذا :

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع .

وقول الآخر[1] :

أليس الليلُ يُلبِسُ أُمَّ عَمْرو * وإيّانا فـذاك بنـا تَدَانِى
تَرَى وَضَحَ النهـار كما أَراهُ * ويعـلوها النهـارُ كما علانى

قال : وبيت عمرو بن كُلْثُوم فى الجهل :

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينـــا * فَنَجْهَلَ فوق جهلِ الجاهلينا

قال : وبيت النابغة فى ترك الإلحاح :

فَٱستبقِ وُدَّكَ للصديق ولا تكن * قَتَبًا[2] يَعَضُّ بغَـارِبٍ مِلْحَاحا

قال : وفى إدراك الثأر قول مُهَلْهِل :

لقـد قتلتُ[3] بنى بَكْرٍ بربِّهِـمُ * حتى بكيتُ وما يَبْكِى لهم أحدُ

قال : وبيت عُرْوة بن الوَرْد فى تبليغ العذر فى الطلب :

لِتَبْلُـغَ عُذْرًا أو تُفِيـدَ[4] غنيمةً * ومُبلِـغُ نفس عُذْرَها مثلُ مُنْجِحِ

قال : وبيت جميل فى إنفاق المـال والتوكل على الله تعالى :

كُلُوا اليومَ من رزق الإله وأَبْشِرُوا * فإنّ على الرحمـن رِزْقَكُمُ غدا

قال : وفى الشجاعة قول العباس بن مِرْدَاس :

أَشُدُّ على الكَتِيبة لا أُبالِى * أَحَتْفِى كان فيها أم سِـواها

---

(١) هو المعلوط كما فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثانى هكذا :

* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القَتَب : رحل صغير على قدر السنام . وفى أساس البلاغة : «ومن المجاز قولهم للملحّ : هو قتب يَعَضّ بالغارب ، وقتب مِلْحاح» ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) فى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٢٠٣) : «أكثرت قتلى ... الخ» . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد طبع المطبعة الأهلية ببيروت (ص ٨) : «...أو تصيب رغيبة ... الخ» .

قال : و بيت المتلمِّس[(١)] فى المـال وتثميره :

قليـلُ المـالِ تُصلحه فيَبْقَى ❊ ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِعْبِل بن علىّ الشاعر قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطِّرِمَّاح فى تميم :

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدَى من القَطا ❊ ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

قال : وكذلك قولُ الأخْطَل :

قومٌ إذا ٱستَنْبَحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ ❊ قالوا لأُمِّهِـــمُ بُولى على النـارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْئة للزِّبْرِقَان فى قِصَر الهِمَّة :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَـــلْ لِبُغْيَتِها ❊ وٱقعُدْ فإنّك أنت الطاعِمُ الكاسِى

قال غيره : وقولُ الطِّرِمّاح فى القِلّة والخُمول :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمن خافيةٌ ❊ من خَلْقِه خَفِيَتْ عنه بَنُو أَسَدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنت مَليخ[(٢)] كلحم الحُـوَا ❊ رِ لا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرّْ

وكذلك قولُ جَرِيرٍ[(٣)] فى التَّيم :

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء للؤلف (ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٦٤) . و يروى صدر البيت فى الأغانى والشعر والشعراء : «و إصلاح القليل يزيد فيه ... الخ» . و يروى فى نهاية الأرب : «... مع الفساد» . وفى الأصل نسب البيت «لعبيد» . (٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذى ينحر حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان فى ديوان جرير المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ ش أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

ألَا زارتْ وأهلُ مِنًى هجودُ ❊ وليت خيالَها بمِنًى يعود

و يروى فى الديوان : «... لو لقيت... أيهم ... الخ» و يروى : «... ...ولا يستأمرون... الخ» . وقد عزا صاحب الأغانى «ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق» البيت الأوّل مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنّك لو رأيتَ عبيــدَ تَيْمٍ * وتَيْمًــا قلتَ أيُّهما العبيــدُ
ويُقْضَى الأمرُ حينَ تَغيبُ تيمٌ * ولا يُسْــتأذَنُون وهم شُهُودُ

وأحسن ما قيل فى الهيبة :

يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى من مَهَابته * فمــا يُكَلَّمُ إلّا حينَ يبتسِمُ

وأغرب ما قيل فى مصلوب قولُ محمد بن أبى حَمْزَة مَوْلَى الأنصار :

لَعَمْرِى لئن أصبحتَ فوقَ مُشَذَّبٍ(١) * طَوِيلٍ تُعفِّيكَ الرياحُ مع القَطْرِ
لقد عِشْتَ مبسوطَ اليدين مُرَزَّأً(٢) * وعُوفِيتَ عندالموت من ضَغْطة القبر
وأُفْلِتَّ من ضِيق التُّراب وغَمّه * ولم تَفْقِد الدنيا فهل لك من شــكر

وأغرب ما قيل فى مجوسىٍّ قول أعرابىّ :

شَهِدْتُ عليك بطِيبِ المُشَاشِ(٣) * وأنّك بحرٌ جَــوادٌ خِضَمّْ
وأنّك ســيّدُ أهلِ الجَحِيم * إذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

ومن أغرب ما قيل فى دَعِىٍّ قولُ إبراهيم بن إسماعيل البنوى(٤) :

لو أنّ مَوْتَى تميم كلّهــا نُشِرُوا * وأثبتوك لقيل الأمرُ مصنوعُ
مثل الحديد إذا مازِيدَ فى خَلَقٍ(٥) * تَبيَّن الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

ونحوه قولُ الآخر :

أجارتَنا بَانَ الخَلِيطُ(٦) فأبْشِرى * فما العَيْشُ إلا أن يَبِين خليطُ
أُعاتبُــه فى عِرْضِــه ليصونَه * ولا عِلْمَ لى أنّ الأمــيرَ لقيطُ

---

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم يصيب الناس خيره .
(٣) فى أساس البلاغة للزمخشرى : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا كان برا » . (٤) كذا بالأصــل . وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرىّ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : «النبوىّ» بتقديم النون على الباء. ولم نوفق فى المظانّ التى بين أيدينا إلى استثباته . (٥) فى ديوان المعانى : «إنّ الجــديد ... الخ» . (٦) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دِعْبِل فى مالك بن طَوْق :

النـاسُ كلُّهمُ يسعَى لِحَاجتــه * ما بين ذِى فَرَحٍ منهم ومَهْمومِ
ومالكٌ ظَــلّ مشغولًا بِنسْبته * يَرُمّ[1] منها خَرَابًا غــيرَ مَرْموم
يبنى بيــوتًا خرابًا لا أنِيسَ بها * ما بين طَوْقٍ إلى عَمْرِو بن كُلْثومِ

التلطُّف فى الكلام والجواب وحسن التعريض

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ترك عَقِيلٌ عليًّا وذهب إلى مُعاوية ؛ فقال معاوية : يا أهل الشأم ، ماظنُّكم برجلٍ لم يصلُحْ لأخيه؟ فقال عَقيل : يا أهلَ الشأم ، إن أخى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لى ، وإن مُعاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لى . قال : وقال مُعاوية يوما : يا أهل الشأم ، إن عمّ هذا أبو لَهَب ؛ فقال عَقيل : يا أهل الشأم ، إن عمة هذا حَمَّالة الحَطَب ؛ وكانت أمّ جميل آمرأة أبى لهب وهى بنت حَرْب .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو هِلَال عن قَتَادة قال قال عُبَيد الله آبن زِيَاد لقَيْس بن عَبّاد : ما تقول فىّ وفى الحســين ؟ فقال : أَعْفِنى أعفاك الله ! فقال : لَتَقُولَن ؛ قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفَعُ له ، ويجىء أبوك فيشفَع لك ؛ قال : قد علمتُ غِشّك وخُبْثك ، لئن فارقتنى يوما لأُضَعّنّ بالأرض أكثرَك شَعْرا .

قيل لمَيْمُون بن مِهْران : كيف رِضَاك عن عبد الأعلى[2] ؟ قال : نِعْمَ المرءُ عمرُو آبن ميمون .

مرّ عمر بن الخطّاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّوا ووقف ؛ فقال له عمر : ما لك لم تَفِرّ مع أصحابك ؟ فقال : ياأمير المؤمنـين ، لم أَجْرِم فأخافَك ، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك .

---

(١) رمّ الحائط وغيره : أصلحه . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدّثني الفضلُ بن محمد بن منصور بن زِياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله ٱبن طاهر ذاتَ يوم لرجل أمره بعمل : اِحذر أن تُخطئ فأُعاقِبَـك بكذا (لأمر عظيم) قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابهُ على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلًا له هيئةٌ رَثَّةٌ، فسأل عنه، فقالوا : مِنْ تَغْلِب، فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقـال له : أرى رِجْلين قلّمـا وطئتا البطحاء ؛ فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة[1]، وهي لي دونك ؛ و بطحاء ذي قار[2]، وأنا أحقُّ بها منك ؛ وهذه البطحاء[3]، وسواءٌ العاكفُ فيه والبادِ .

حدّثني سَهْل عن الأصمعيّ عن أبي عَمْرو بن العلاء أو غيره : أنّ مُعاوية عَرَض فرسًا على عبد الرحمن بن حَسّان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجَشَّ هَزِيمًا[4] . يريد قول النجاشيّ[5] :

ونَجّى ٱبنَ حَرْبٍ[6] سابحٌ ذُو عُلالةٍ[7] * أجشُّ هَزِيمٌ والرماحُ دَوانِي

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حَمّاد بن سلمة قال أخبرنا داود بن أبي هنـد عن محمد بن عَبّاد المخزوميّ أن قريشًا قالت : قَيِّضُوا[8] لأبي بكر

---

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذي قار : موضع قريب من ذي قار الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكّة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ الصهيل ، وهو مما يحمد في الخيـل . والهزيم من الخيل : الشـديد الصوت . (٥) هو قيس ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشيّ قال فيه هذا البيت رفع ثندوتيه (تثنية ثندوة وهي للرجل بمنزلة الثدي للرأة) وقال : لقد علم الناس أن الخيـل لا تجري بمثلي فكيف قال هـذا ! راجع الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية جري الفرس . (٨) قيضوا : هيئوا وأتيحوا له .

رجلا يأخذه، فقيَّضوا له طَلْحَة بن عُبيد الله؛ فأتاه وهو فى القوم فقال : يا أبا بكر قم إلىّ؛ قال : إلاَمَ تدعونى؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللّات والعُزّى؛ قال أبو بكر: من اللّات؟ قال بناتُ الله، قال : فمن أمّهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه : أجيبوا صاحبَكم، فسكتوا؛ فقال طلحة : قم يا أبا بكر، فإنى أَشْهد أن لا إلٰهَ إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسولُ الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن مُعاوية عن أبى إسحاق عن عُبيد الله بن عمر أنّ عمر قال : من يُخبرنا عن قَنْدَابِيل(١)؟ فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وَشَل(٢)، وتمرُها دَقَل(٣)، ولِصّها بَطَل؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا ، وإن كان بها القليــلُ ضاعوا؛ قال عمر : لا يسألنى الله عن أحدٍ بعثتُه إليها أبدا .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال(٤) : مَرِض زِيادٌ فدخل عليه شُرَيْح ، فلما خرج بعث إليه مسروقُ [بن الأجدع يسأله] كيف تركتَ الأمير؟ قال : تركته يأمر وينْهَى، فقال [مسروق](٤) : إن شُرَيحًا صاحبُ تعريض(٥) فسَلُوه [فسألوه](٤)؛قال: تركته يأمر بالوصيّة وينَهى عن البكاء . ومات ٱبنٌ لشُرَيح ولم يشعُر به أحدٌ، فغدا عليه قوم يسألون به، وقالوا : كيف أصبح مَن تَصل يا أبا أميّة؟ فقال : الآن سكن عَلَزُه(٦) ورجاه أهلُه .

(١) كذا فى معجم ياقوت ومعجم ما أستعجم للبكرى ، هى مدينــة بالسند . وفى الأصــل : «فنداببل» بالفاء .

(٢) الوشل بالتحريك : الماء القليل والكثير ضدّ . والمراد هنا الماء القليل .

(٣) الدقل بالتحريك : أردأ التمر .

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) .

(٥) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : « ... صاحب عويص الخ» .

(٦) العلز بالتحريك : القلق والكرب عند الموت .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى بعض الأعراب قال : هَوِىَ رجلٌ امرأةً ثم تزوّجها، فأهدَى إليها ثلاثين شاةً وزِقًّا من خَمْر، فشرِب الرسولُ فى الطريق بعضَ الخمر وذبح شاةً، فقالت للرسول لمّا أراد الانصراف : إقرأ على مولاك السلام، وقل له إنّ شهرنا نَقَص يوماً ، وإن سُحَيْماً راعِى شائنا أتانا مرثوما[1] . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقر .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : خَطَب أعرابى إلى قوم، فقالوا : ما تبذل من الصَّدَاق؟ وارتفع السَّجْف[2] فرأى شيئاً كَرِهَه، فقال والله ما عندى نَقْد ، وإنى لأكره أن يكون علىّ دَيْن .

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعى قال: قال سَلْم بن قُتَيبة للشَّعْبىّ : ما تشتهى ؟ قال : أعزّ مفقود ، وأهون موجود ؛ قال : يا غلام اسقه ماء .

المـدائنى قال : كان لابن عَوْنٍ ابنُ عمٍّ يُؤذيه، ولَاحَاه[3] يومًا فقال له ابن عون، لمّا بلغ منه: لتسكتُنّ أو لأشترِينّ مُسَيْلِمَة. فشهد بعد ذلك عند عُبيد الله بن الحسن، فردّ شهادته .

المدائنى قال : قال المغيرة بنُ شُعْبة: ما خَدَعنى أحدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب، فإنى ذكرت امرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها، إنى رأيت رجلا قد خلا بها يقبّلها، ثم بلغنى بعدُ أنه تزوّجها، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمنى أنك رأيت رجلا يقبلها؟ فقال : بلى! رأيت أباها يقبّلها .

(١) مرثوم : مكسور، يقال : رُثِم أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرها : الستر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائنى : أتى شُريحا القاضىَ قومٌ برجل، فقالوا : إن هذا خَطَب إلينا : فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ؛ فلما زوجناه، فإذا هو يبيع السنانير، قال : أفلا قلتم أىَّ الدوابّ تبيع ! وأجاز ذلك .

المدائنى قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبْرُمَةَ، فقال له : أتعرفه؟ [وكان رُمِى عنده بريبة(١)] قال : نعم، إنّ له بيتاً وشَرَفاً وقَدَماً ، [فخلّى سبيله] فلما خرج قال له أصحابه : أعَرَفته ؟ قال : لا، ولكنى أعلم أن له بيتا يأوى إليه، وشرفه أُذناه ومَنْكِباه، وقدمه هى قدمه التى يمشى عليها .

المدائنى قال : سُئل الشعبىّ عن رجل، فقال : إنه لنافذ الطَّعْنة، رَكين القعْدة(٢)، يعنى أنه خيّاط [فأتوه فقالوا : غَرَرتنا ، فقال : ما فعلت ! وإنه لَكَما وصفت](٣)

المدائنى قال : أُتِىَ العُرْيانُ بن الهيثم بشابٍّ سكران، فقال له : من أنت؟ فقال :

أنا ابنُ الذى لا ينزلُ الدهرَ(٤) قِدْرُهُ * وإن نزلتْ يومًا فسوف تعودُ
ترى النـاسَ أفواجًا إلى ضَوْءِ نارِه * فمنهـم قِيامٌ حولَهـا وقُعـودُ

فظنّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلّاه ، ثم ندم على ألّا يكون سأله مَنْ هو ، فقال لبعض الشُّرَط : سَلْ عن هذا، فسأل، فقالوا : هو ابن بيّاع الباقِلّى .

دخل حارثةُ بن بدر الغُدَانىّ على زياد، وكان حارثة صاحبَ شرابٍ وبوجهه أثر، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال حارثة(٥) : أصلح الله الأمير، ركبت فرسا

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .
(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : «الأرض» .
(٥) فى الأصل : «فقال زياد» وهو سهو من الناسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صَدَم بى الحائط، فقـال زياد : أمَا إنك لو ركبت الأشهب لم يُصبك مكروه . عَنَى زيادٌ اللبنَ، وعنى حارثةُ النبيذَ .

قعد قوم على نبيذ فسَقَط ذُباب فى قَدَح أحدهم، فقال رجل منهم : غُطَّ التميمىَّ (١)، فقال آخر : غُطَّه فإن كان تميميًّا رَسَبَ، وإن كان أزْديًّا طَفَا ؛ قال ربّ المـنزل : ما يسرّنى أنه كان[قال] (٢) بعضكم (٣) حرفا . وإنما عنى أن أزْدَ عُمَان مَلّاحون .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد امرأة كانت تأتيه خاتمَ ذهبٍ، فقال لهـا : ادفعى إلىّ خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذَهَب، وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

حدّثنى الزيادىّ قال حدّثنا عبـد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أَنَس قال : أقبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مُردفًا أبا بكر شيخًا يُعْرَف، ورسـول الله شابٌّ لا يُعرف، فَيَلْقَى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر، مَنْ هذا [الرجل الذى] (٤) بين يديك ؟ فيقـول : [هـذا الرجل] (٤) يهدينى السبيل ؛ فيحسب السامع أنه يهديه الطريق، وإنمـا يعنى سبيلَ الخير .

كان سِنَان (٥) بن مُكَمَّل النميرىّ يُساير ٱبنَ هُبَيْرَةَ يوما وهو على بغلة، فقال له عمر بن هبيرة : غُضَّ (٦) من بغلتك ؛ قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد ٱبن هبيرة قول الشاعر :

(١) ورد هـذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع الساسى) بتفصيل عما هنا . وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عَدَوْلىّ يتعصب لأصحابه من تميم . فلمـا رأى القوم يهينون تميما عرّض بأنهـم ملّاحون تعييرا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ . (٣) فى الأصل : «نقصكم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «بعضهم» . (٤) الزيادة من صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . وفى نهـاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : « قال عمر بن هبيرة الفزارىّ لأيوب بن ظبيان النميرىّ ... الخ» . وفى كتاب الكنايات للثعالبى (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ : «ساير شريك بن محمد النميرىّ عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجازت البغلة عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛ فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» . (٦) هو جرير .

فغُضَّ الطَّرفَ إنّك من نُمَيرٍ * فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلَاباَ

وأراد سنان قولَ الآخر (١) :

لا تأمنَنّ فَزارياً خَلَوْتَ به * على قَلُوصك وٱكتُبْها بأَسْيارِ

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء الملفّف فى البِجاد؟ فقال: هو السَّخينة (٢) يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مات مَيتٌ من تميم * فسرَّك أن يعيش فجئ بزَادِ

بِخُبْزٍ أو بتمر أو بسمنٍ * أو الشيء الملفَّف فى البِجَادِ (٣)

وأراد الأحنف أن قريشا تُعَيَّر بأكل السخينة.

المدائنى قال: سأل الحَرَسِيّ أبا يوسف القاضى عن السواد؛ فقال: النور فى السواد. يعنى نور العينين فى سواد الناظر.

المدائنى قال: لقى شيطانَ الطَّاق (٤) خارجيٌّ فقال: ما أُفارقك أو تبرأ من علىّ، فقال: أنا من علىّ ومن عثمان برىء. يريد أنه من علىّ، و برىء من عثمان.

سمع عمر بن الخطّاب ٱمرأةً فى الطَّواف تقول:

فمنهنّ من تُسْقَى بعَذْبٍ مُبرَّدٍ * نُقَاخٍ (٥) فتلكم عند ذلك قَرَّتِ

ومنهن من تُسْقَى بأخضَرَ آجنٍ (٦) * أُجَاجٍ (٧) ولولا خَشْيةُ الله فَرَّتِ

(١) هو سالم بن دارة كما فى الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٤٨١) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٥٥٨ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن وكانت قريش تكثر من أكلها فعيّرت بها حتى سُمّوا سخينة . (٣) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق: حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق؛ وإليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) النقاخ: الماء البارد العذب الصافى . (٦) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج: شديد الملوحة والمرارة .

فعـلم ما تشكو ، فبعث إلى زوجها فوجده متغيرَّ الفم ، فخيّره بين خمسمائة درهم أو جاريةٍ من الفَيْء على أن يطلّقها ، فاختار خمسمائة ، فأعطاه وطلّقها .

حدّثنى أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت آمرأة من هذه الناحية ، وغلامٌ من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه ، ونظرت إليه المرأة ، فلما ٱلتقيا قالت له : ما ٱسمك يافتى ؟ قال : محمد ؛ قالت : ابن من ؟ قال : ٱبن زانة ، وتبسّم عن ثغر أفلج(١) مختلف قبيح ؛ فقالت : واحَرَباهُ على ما قال ! فقلت لها : قد وقعتُ لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبى الخير النصرانىّ كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبى الخير إلى زانة ، صار هذا أبا الخر ، وصار هذا ٱبن زانية .

مر ٱبن أبى عَلْقمة بمجلس بنى ناجية(٢) فكَبَا حمارُه لوجهه فضحكوا ؛ فقـال : ما يضحككم ! إنه رأى وجوه قُرَيش فسَجَد .

قال عمرو بن بحر(٣) قال أبو الهذيل لمحمد بن الجَهْم وأنا عنده : ياأبا جعفر ، إنى رجلٌ مُنخرِق الكفّ لا أُليق(٤) درهما ، ويدى هذه صَنَاعٌ فى الكَسْب ولكنها فى الإنفاق خَرْقاء ، كم من مائة ألف درهمٍ قَسَمتها على الإخوان فى مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك ! أسألُك بالله ياأبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشـك فيما تقول ؛ قال : فلم يرضَ أن حَضَرتُ حتى ٱستشهدنى ، ولم يرض إذ ٱستشهدنى حتى استحلفنى .

(١) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجـية : قبيلة ؛ وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤىّ بن غالب بن فهـر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ ، وقد ورد هـذا الخبر فى كتابه « البخلاء » (ص ١٤٨ طبع مدينة « ليـدن » سنة ١٩٠٠ م) .

(٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمسك .

قال المدائنىّ : بعث يزيد بن قَيْس الأرحَبِىّ ، وكان واليا لعلىّ ، إلى الحسن والحسين رضى الله عنهم بهدايا بعـد انصرافه من الولاية وتَرَكَ ابن الحَنَفِيّة ، فضرب علىّ — عليه السلام — على جنب ابن الحنفيّة وقال :

وما شَرُّ الثـلاثةِ أُمَّ عمرٍو * بصاحِبِك الّذى لا تَصْبَحِينا (١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفيّة بهديّة سنية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى موسى بن محمد قاضى المدينة ، قال : مرّ رجل بأعرابى يوقد فى أصل مِيلٍ ، فقال : كم على الميل؟ فقال : لستُ أقرأ ، ولكنّ كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه؟ قال : مِحْجَنٌ (٢) وحَلْقَة سِمْط وثلاثة أَطْباء وحَلْقة مُذَنَّبة (يعنى صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة (٣) هو الذى قيل فيه :

لذى الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا ليَعْلَما

وذلك أن سـعد بن مالك كان عنـد بعض الملوك (٤) ، فأراد الملك أن يبعث رائدًا يرتاد له منزلًا ينزله ، فبعث بعمرو فأبطأ عليـه ، فآلى الملك لئن جاء ذامًّا أو حامدًا ليقتلنّه ؛ فلما جاء عمرو وسَعْدٌ عنده ، قال سـعد للملك : أتأذَنُ لى فأكلّمه؟ قال : إذًا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذًا أقطع يدك ؛ قال : فأُومِئُ إليه ؛ قال : أقطع حِنْوَ (٥) عينك ؛ قال : فأقرَعُ له العصا ؛ قال : اقْرَعْ . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا فى معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفى الأصـل « لا تصحبينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسقينه الصبوح . (٢) يريد بالمحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطبـاء : السين ؛ وبحلقة مذنّبـة : الهاء . والأطباء جمع طبى بكسر الطاء وتضم : حلمات الضرع التى فيها اللبن من ذوات الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٤ — ٢٠٧) مع اختلاف فى الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما فى الأغانى . (٥) حنو العين : حجاجها وهو العظم الذى ينبت عليه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بهـا عن شماله ثم هزَّها بين يديه ، فلقِنَ(١) عمـرو ، فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! أتيتُـك من أرض زائرها واقف ، وسا كنُها خائف ، والشَّبْعَى بهـا نائمة ، والمهزولةُ ساهرةٌ جائعة ، ولم أر خِصْباً محلا ، ولا جدبا مزلا(٢) .

لمـا حُكِّم أبو موسى وقَدِمَ ليحكم ، دَسّ معـاويةُ إلى عمرو رجلًا ليعلم علمَه وينظر كيف رأيه ؛ فأتاه الرجل فكلّمه بمـا أمره به ؛ فعَضّ عمرو على إبهامـه ولم يُجبـه ؛ فنَهَض الرجل فأتى مُعاويةَ فأخبره ؛ فقال : قاتله الله ! أراد أن يُعلمنى أنى قُرِرْتُ قارحاً(٣) .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمـعى قال حدّثنـا عيسى بن عمر قال : سأل الحجاج جبر بن حبيب عن رجل ، وكره أن يعاقبه إن دلّ عليه ، فقال : تركته والله جسدا يُحَرِّك رأسُه يُصَبُّ فى حلقه المـاء ، والله لئن حُمِـلَ على سرير ليكونَنّ عليـه عورةً ؛ قال : فتركه .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن خالد بن خِدَاش عن حَمّاد عن مُجالد عن عُمَيْر ابن روذى(٤) قال : خَطَبَنا علىٌّ عليه السـلام فقال : لئن لم يدخل الجنـة إلا من قتل عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النـار إلا من قتـل عثمان لا أدخلها(٥) ؛ فقيـل له :

(١) لقن كفرح : فهم . (٢) كذا فى الأصـل . وورد الخبر فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق) : « ... فأقبل عمرو حتى قام بين يدى الملك فقال له : أخبرنى ، هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا ؟ فقال عمرو : لم أذمم هزلا ، ولم أحمد بقلا ؛ الأرض مشكلة ، لا خصبها يعرف ، ولا جدبها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف ؛ قال الملك : أولى لك » . وورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد فى مجمع الأمثال وفيه «لم أذمم جدبا» بدل «لم أذمم هزلا» . (٣) فرّ الدابة فرّا وفرارا : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها . والقارح من ذى الحافر : الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل ، والمراد هنـا أنه اختبر محنكا .
(٤) كذا فى الأصل . ولم نعثر على هذا الاسم . (٥) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠) : «لا دخلتها أبدا» .

ما صنعتَ! فرّقتَ الناس! نخطَبهم فقال: إنكم قد أكثرتم فى قتـل عثمان، ألَا وإن الله قتَله وأنا معه؛ قال: فحدّثنا خالد عن حمّاد عن حَبيب بن الشَّهيد عن محمد بن سيرِينَ قال: كلمةٌ عربيّة لها وجهان. أى وسيقتلنى معه.

سأل زيادٌ رجلا بالبصرة: أين منزلك؟ فقال: وَاسِط، قال: مالك من الولد؟(١) قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبك فى كل ما سألته، ماله إلا ابنٌ واحد، وإن منزلَه بالبصرة. فلما عاد إليـه، قال: ذكرتَ أن لك تسـعة من الولد، وأن منزلك بواسـط؟ قال: نعم؛ قال: خُبِّرتُ بغير ذلك؛ قال: صَدَقتُ وصَدَقوك، دفنتُ تسعةَ(٢) بنين فهم لى، ولى اليوم ابن واحد ولست أدرى أيكون لى أم لا؛ وأما منزلى فإلى جانب الجَبّان(٣) بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأىّ منزلٍ أوسط منـه! قال: صدقت.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عيسى بن عمر قال قال المختار لجنده: ياشُرْطة الله، لَيَخرُجَنّ إلى قريبٍ على الكعبة الحرام دابّةٌ(٤) له ستُّ قوائمٌ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم ٱلتفت إلى رجل إلى جانبـه فقال: أعنى اليَعْسُوب.

كان إبراهيم إذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس إلىّ.

بلغنى عن معاوية بن حيّان عن المبارك بن فَضَالة عن عبـد الله بن مسـلم بن يَسَار، قال: كان أبى إذا غَضِب على البهيمة، قال: أكلتِ سمًّا قاضيا.

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «كم لك من الولد».

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «... لى تسعة من الولد قدّمت منهم ثمانية فهم لى وبقى معى واحد، فلا أدرى ألى يكون أم علىّ».

(٣) الجبان والجبانة بالتشديد: المقبرة.

(٤) تقع الدابة على المذكر والمؤنث؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

حدّثنى زيد بن أخزم(١) قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا أبو المِنهال البَكْرَاوىّ(٢) قال: كان الحسن إذا أُخِذَ من لِحْيته شىء، قال : لا يكن بك السوءُ .

وقيل للحسن : أتى رجلٌ صاحبًا له فى منزله وكان يصلى، فقال : أدخل ؟ فقال فى صلاته : (أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علىّ إذا رأى مُبتلًى أخفى الاستعاذة . وكان لا يسمع من داره ياسائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هـذا ؛ و يقول : سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد الله، فتقولون : ياعبد الله بُورك فيك .

قيـل لعلىّ بن أبى طالب عليه السـلام : كم بين السماء والأرض؟ قال : دعوة(٣) مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب؟ قال : مسيرة يوم (يعنى للشمس) .

كان رَشْمُ(٤) عمر بن مِهْران الذى يرشُم به على طعامه : اللهم ٱحفظه ممن يَخْطَفه .

خرج رجل من بنى أَسَد بإبل له يسقيها، ومعه ٱبنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع إلى ماء لبنى فَزَارة، فسألهم أن يأذنوا له فى سقى إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأْجِئْ(٥) بها ، قال : فإذًا لا تشربُ شُرْبَ خير؛ قالوا : إن رَضِيتَ وإلا فانصرفْ ؛ فقالت له الجارية : اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلوَ ، وجعلت الجارية ترتجز وتقول :

(١) هو بمعجمتين كما فى تهذيب التهذيب ، وفى الأصل «أحزم» بالحاء المهملة وهو تحريف .

(٢) البكراوى بفتح الباء وسكون الكاف بعـدها الراء المهملة منسوب إلى أبى بكر الثقفى وهو من الصحابة الذين نزلوا البصرة رضى الله عنهم كما فى كتاب الأنساب للسمعانى .

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : « مسيرة ساعة لدعوة مسـتجابة » .

(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تختم به البيادر .

(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جئ جئ .

جاريةٌ شَبَّتْ شبابَ العُسْلُجِ * ذاتُ وِشاحين وذاتُ دُملُجِ (١)
وذات ثَغْـــرٍ أشنبٍ مُفلَّجِ * وذات خَلْقٍ مُستتِبٍّ مُـدْمَجِ (٢)

فى أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوِيتْ من غير أن جأجأ بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازِرا (٣) ولا يتنحنح ، فلمـا شربه [و](٤)تقطّع فى حَلْقه ، قال: كَبْشٌ أملح ، فقال صاحبه : فَعلَهَا وربِّ الكعبة ! فقال : مَن فعلها فلا أفلح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعى : قلت لأعرابى معه شَاءٌ : لمن هذه الشّاء ؟ فقال : هى لله عندى .

حدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدّثنا أبو الصهباء قال : قال الحجّاج لسَعيد بن جُبَيْر : اِخْتَرْ أىَّ قِتْلةٍ شئتَ ، فقال له : بل آختر أنت لنفسك، فإن القِصاص أمامك .

وَلِىَ هَرْثمةُ الحرَس مكان جعفر بن يحيى، فقال له جعفر : ما آنتقلت عنى نعمةٌ صارت إليك .

أمرَ (٥) الحجّاجُ آبنَ القِرِّيّة أن يأتى هنـدَ بنت أسمـاء فيطلقها بكلمتين، ويُمتّعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الحجّاج يقول لك : كنتِ فبِنْتِ ، وهذه عشرة آلاف مُتْعةً لك ، فقالت : قل له : كنّا فمـا حَمِدْنا ، وبِنّا فمـا ندِمْنا ، وهذه العشرة الآلاف لك ببشارتك إياى بطلاقى .

---

(١) العسلج : الغصن الناعم . والدملج : ما يشدّ على العضد من الحلى .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدمج : مكتنز غير مسترخ .

(٣) اللبن الحـازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسط عما هنا .

سئل سفيان بن عُيَيْنة عن قول طاوُس فى ذَكَاة السمك أو الجراد، فقال آبنه عنه : ذَكَاتُه صيدُه .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُذْرَة يقـال له يزيد بن المقنّع ، وآخترط[1] من سيفه شبرا ، ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا ، وأشار إلى مُعاوية ، فإن يَهْلِكْ فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : أنت سيِّد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لآبن شُبْرُمَة : مِنْ عندنا خَرَجَ العلمُ ؛ قال آبن شبرمة : ثم لم يَعُدْ إليكم .

قال المدائنىّ قال معاويةُ لآبن عبّـاس[2] : أنتم يابنى هاشِم تُصابون فى أبصاركم ؛ فقال آبن عباس : وأنتم يابنى أمية تصابون فى بصائركم . وقال له معاوية : ما أبينَ الشَّبَق فى رجالكم ! فقال : هو فى نسائكم أَبْيَن .

أبو اليقظان قال : قال آبن ظَبْيان التَّيْمىّ لزُرْعة بن ضَمْرَة : لقد طلبتـك يوم الأهواز ولو ظَفِرتُ بك لقطعت منك طابَقًا سُخْنا ؛ قال : أفلا أدلُّك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بَظْرُ بين إِسْكَتَىْ أمّك .

أبواليقظان قال : بعث الحجّاج إلى الفُضَيْل بن بَزْوَان العَدْوانى ، وكان خيِّرا من أهل الكوفة ، فقال : إنى أريد أن أُوَلِّيك ، قال : أَوَ يُعفينى الأمير ؟ فأبى وكتب عهدَه ، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهَرَب ، فأُخِذَ وأُتِىَ به الحجّاجُ ، فقال : يا عدوّ الله ؛ فقال : لستُ لله ولا للأمير بعدوّ ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردتَ أن تُهينى ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدنى ؛ قال :

(١) أى استله من غمده بمقدار شبر .
(٢) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية ، قال : ما ٱستوجبتُ واحدةً منهن ؛ قال : كل ذلك قد ٱستوجبت بخلافك . وأمر رجلا من أهل الشأم أن يضرب عُنقه .

سليان بن أبى شيخ قال حدّثنى حجر بن عبد الجبّار عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : كان[1] فى مجلس زياد ، الذى يجلس فيه للناس بالكوفة ، فى أربع زواياه كتاب بقلم جليل : "الوالى شديد فى غير عنف ، ليّن فى غير ضعف ؛ الأَعْطية لإبّانها ، والأرزاقُ لأوقاتها ؛ البُعُوث لا تُجمَّر[2] ؛ المحسن يُجْزَى بإحسانه ، والمسيء يُؤْخذ على يديه" كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليان وحدّثنا أبو سفيان الحميرىّ قال : أُبْلِىَ أبو جَهْم بن كِنَانة يوم الراوية ، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة ، قال له الحجاج : قد زدناك فى ٱسمك ألفا ولاما فأنت أبو الجهم ، وزدنا فى عطائك ألفا .

العباس بن بَكّار عن عُبَيد الله بن عمرو الغَسّانىّ عن الشعبىّ قال : قال مُعاوية لشدّاد بن أوس : ياشدّاد ، أنا أفضل أم علىّ ؟ وأينا أحبُّ إليك ؟ فقال : علىٌّ أقدمُ هِجْرةً ، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقةً ، وأشجعُ منك قلبا ، وأسلمُ منك نَفْسًا ؛ وأما الحبّ فقد مضى علىّ ، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنف لمعاوية فى كلام : أنت أعلمُنا بيزيد فى ليله ونهاره ، وسرّه وعَلَانيَته ، فلا تُلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

---

(١) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان فى مجلس زياد مكتوب : الشدّة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته ؛ الأعطيات فى أيامها ؛ لا ٱحتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (٢) تجمير البعوث : جمعهم فى الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمر بعوث فارس . وروى الربيع أن الشافعىّ أنشده :

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده ❊ ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

خطب الحجّـاجُ فشكا سوءَ طاعة أهل العراق، فقال جامعٌ المحاربيّ : أمَا إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك (١) ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقرِّبهم إليك، والتمس العافيةَ فيمن دونك تُعْطَها ممن فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدك، ووعيدُك بعد وعدك؛ فقال الحجاج : والله ما أُراني أردّ بنى اللَّكيعة إلى طاعتى إلا بالسـيف؛ فقال : أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخِيار؛ قال الحجّاج : الخِيار يومئذ لله؛ قال: أجل ! ولكنك لا تدرى لمن يجعله الله؛ فقال : ياهَنَاهُ (٢)، إنك من مُحارب ! فقال جامع :

وللحــرب سُمِّينا وكنّا محُـارباً * إذا ماالقَنَا أمسى من الطعن أحمرا

فقـال الحجاج : والله لقـد هَمَمتُ أن أخلع لسانك فأضربَ به وجهك؛ فقال له يا حجّاج : إن صَدَقْناك أغضبناك ، وإن كَذَبناك أغضبنا الله، فغَضَبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله .

قال الأصمعيّ أخبرنا شيخ من قُضَاعة، قال : ضَلَلْنا مرةً الطريقَ فاســترشدنا عجوزًا؛ فقالت : استبطِن الواديَ وكن سيلاً حتى تبلُغَ .

ابن الكلبيّ قال (٣) : كتب معاوية إلى قيس بن سعد (٤) : أما بعد، فإنما أنت يهوديٌّ ابن يهوديّ، إن ظَفِرَ أحبُّ الفريقين إليك عَزَلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضُهما إليك قتلك ونكّل بك، وقد كان أبوك وَتَرَ قوسَه ورمى غَرَضَه، فأكثر الحَزّ وأخطأ

(١) فى الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» . (٢) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل : ياهناه أقبل ، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرها لاجتماع الساكنين . (انظر اللسان مادة هنا) . (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليبسيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة» .

(٤) فى الكامل : «إلى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب» .

المَفْصِل، فخذله قومُه، وأدركه يومُه؛ ثم مات طريدًا بحَوْران؛ والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعـد، فإنما أنت وثنٌ ابن وثن[١]، دخلت فى الإسلام كرها وخرجت منـه طوعا، لم يقدُم إيمانك ولم يحدُث نفاقك، وقد كان أبى وتر قوسـه ورمى غرضه، وشَغَّب[٢] عليه من لم يبلُغ كعبه ولم يشُقّ غُباره، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه، وأعداءُ الدين الذى خرجت إليه؛ والسلام.

قال يحيى بن سَعِيد الأُمَوِىّ: سمعت الأعمشْ يقول لخالد بن صَفْوان: شَعَرت أن منزلك لا يُعرف إلا بى حتى يقال عنـد منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقتَ، مثل حمام عنترة، ويقال: وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لشَرِيك بين يدى المهـدىّ: بلغنى أنك خُنت أمير المؤمنين؛ فقال شَرِيك: لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبُك.

قال رجل من العرب: أُرِيتُ البارحةَ فى منامى كأنى دخلت الجنةَ فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هـذه؟ فقيل: للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالى: أصعِدتَ الغرف؟ قال: لا؛ قال: فتلك لنا.

وكتب قُتَيبة بن مسلم إلى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: أما بعد، فإن عشمشم أعشى الشجر[٣]. فكتب إليه ابن ظَبْيان: من ذلك الشجر كان بَرْبَطُ[٤] أبيك. يعنى مسلم بن عمرو، وكان مغنيًّا ليزيد بن معاوية.

---

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ) والكامل للمبرد (ص ٢٩٨) ولعلها: وثنى ابن وثنى، نسبة إلى الوثن وهو الصنم. (٢) شغب عليه (بالتشديد): هيج عليه الشر. (٣) كذا بالأصل، ولم نوفق إلى تحقيقه أو فهم التعريض منه.

(٤) البربط كجعفر: العود من آلات الموسيقى، وقيل هو معرّب «بربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط فى الأصل هنا، ومعنى بربط بالفارسية: صدر الإوز؛ أطلق على العود لشبهه به.

قال بَحْر بن الأحنف لجارية أبيه زَبْرَاء : يافاعلة، فقالت : لو كنتُ كما تقول أتيتُ أباك بمثلك .

وقال رجل لابنه : يابن الفاعلة ، فقال : والله لئن كنتَ صدقتَ ما فعلَتْ حتى وجدَتْك فحلَ سَوْء .

أتت ابنةُ الخُسّ عُكَاظ، فأتاها رجل يَمتحن عقلَها و يمتحِن جوابَها، فقال لها : إنى أريد أن أسألكِ، قالت : هاتِ. قال : كاد ، فقالت : المنتَعِل يكون راكبا. قال : كاد، قالت : الفقر يكون كُفْرا. قال : كاد، قالت : العَرُوس تكون مَلِكا. قال : كاد، قالت : النَّعَامة تكون طائرا . قال : كاد، قالت : السِّرار يكون سَحَرا. ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتى، قالت : عجبت ، قال : للسِّباخ لا ينبت كلؤُها ولا يجف ثراها . قالت : عجبت ، قال : للحجارة لا يكبَرُ صغيرُها ولا يَهْرَم كبيرُها . قالت : عجبت، قال : لشُفْرِك لايُدْرَك قعرُه ولا يُملأ حفرُه .

المدائنىّ قال : كان عُرَام[1] بن شُتَيْر عند عمر بن هُبَيْرة، فألقى إليه ابنُ هبيرة خاتَمه وفصُّه أخضر، فعقد عرام فى الخاتم سَيْراً . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زَرِقَتْ عيناك يابن مُكَعْبَرٍ * كما كُلُّ[2] ضَبِّىٍّ من اللُّؤمِ أزرقُ

وأراد عُرَام :

لا تأمنَنّ فَزَارِيًّا خلوتَ به * على قَلُوصك واكْتُبْها بأَسْيارِ

قال جرير للأخطل : أرّقتُ نومَك ، واستهضمتُ قومَك، قال الأخطل : قد أرّقت نومى، ولو نمتُ كان خيرا لك .

---

(١) كذا فى الطبرى (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثانى) . وفى الأصل : "عذام" بالذال المعجمة . (٢) كذا فى اللسان مادة "زرق" والأغانى (ج ١٩ ص ٤٩ طبع بولاق) وفيه ينسب الشعر إلى سويد بن أبى كاهل . وفى الأصل : « كما ظل ظبى ... » وهو تحريف .

أراد معاويةُ أن يخطُب بصِفِّينَ فقال له عمرو بن العاص : دعنى أتكلّم ، فإن أتيتُ على ماتريد وإلّا كنتَ من وراء ذلك ، فأذِنَ له ؛ فتكلّم بكلمات ، قال : قدّموا المُسْتَلْئِمَة (١) وأخّروا الحُسَّر ، كونوا مِقَصَّ الشارب ، أعيرونا أيدِيَكم ساعةً ، قد بلغ الحقّ مَفْصِلَه ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

حدّثنى ٱبن أبى سعد عن محمد بن الحسن التيمى عن عبد الله بن أحمد بن الوَضَّاح ، قال : دخل أعرابىّ على عبد الملك بن مروان (٢) ؛ فقال له : يا أعرابىّ صف الخمر فقال :

شمولٌ إذا شُجَّت وفى الكأس مُزَّةٌ * لها فى عِظَام الشاربين دَبيبُ
تُريك القَذَى من دونها وهى دونَه * لوجهِ أخيها فى الإناء قُطُوبُ

فقال : ويحك يا أعرابىّ ! لقد ٱتّهمك عندى حسنُ صفتك لها ؛ قال : يا أمير المؤمنين وٱتّهمك عندى معرفتُك بحسن صفتى لها .

مقطّعات ألفاظ تقع فى الكتاب والكلام

لو أخطأتُ سبيلَ إرشادك ، لما أخطأتُ سبيلَ حسن النية فيما بينى وبينك .

لو خطر ذلك ببالى من فعلك ، ما عرّضتُ ستر الإخاء للهَتْك بينى وبينك .

قد أحسنت فى كذا قديما . وفعلُك كذا إحدى الحُسْنَيَيْن بل ألطفهما موقعا .

أنت رجلٌ لسانُك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقَدِّم (٣) على نفسك مَنْ قدّمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرتَ ببالى فى وقتٍ من الأوقات إلا مَثَّلَ الذكرُ منك لى محاسنَ تزيدنى صبابةً إليك وضَنًّا بك وٱغتباطا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلئمة : الطائفة التى عليها اللأم وهى الدروع .

(٢) الذى فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد...» . «وورد فيه الشطر الأوّل من البيت الأوّل هكذا : «كميت إذا شجت وفى الكأس وردة» .

(٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفى الأصل : «اتهم على نفسك ...» .

أن تُسهِّل لأخيك السبيلَ إلى ما تقتضيه نفسُــك من بِرِّك ومُعَاوضتك (١) ببعض ما سَلَفَ لك .

ما هــذا الغَبَا العجيب الذى إلى جانبه فِطنــةٌ لطيفة . حكمُ الفَلَتات خِلافُ حكم الإصرار .

من أخطأ فى ظاهر دنيــاه وفيما يُؤخَذ (٢) بالعــين ، كان حَرِيًّا أن يُخطئ فى باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

ومن أوّل ما أُحبّ أن أُوثِرَك به وأَقضِيَ فيه واجبَ حقّك ، تنبيهُكَ على عظيم ما لله عندك ، وحَثُّك على الازدياد ممــا يَزيدك .

من كان بمثــل موضعك بِجُمِعَ له حمدُ إخوانه ورضا مُعامليه والاستقصاءُ مع ذلك لمن استكفاه ، فقد عَظُمت النعمةُ عليه ، ولا أعلم بما أسمع فيك إلا أنك كذلك والحمد لله .

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد ، وأحوجَه إلى ما يجد به طعمَ الحمد !

قد حَسَدك من لا ينام دون الشِّفاء (٣) ، وطلبك من لا يُقَصِّر دون الظفر ، [فاشدُد حَيازِيمك وكن على حَذَر (٤)] .

أنت تَتَجَنَّى على مالك لتُتلفه بأســباب العِلَل ، كما يدفع عن ماله البخيلُ بوجوه الاعتلال . أنت طالبُ مَغْنَم ، وأنا دافع مَغْرَم ، فإن كنتَ شاكرا لما مَضَى ، فاعذِرْ فيما بَقِيَ . مكرُك حاضر ، ووفاؤك متأخِّر . أنا راضٍ بعفوك ، باذلٌ لمجهودى .

نوائب الأيام رمَتْ به ناحيتك ، وإذا رأيتَه أنبأك ظاهرُه عن باطنه ودعاك إلى محبّته قبولُه ، وهو فى الأدب بحيث المستغنِي عن النسب (٥) .

---

(١) فى الأصل "ومعارضتك" . (٢) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : "وفيما توجد..." .
(٣) فى الأصل : "السفا" . (٤) زيادة عن العقد الفريد . (٥) فى الأصل : "السبب" .

قد آن أن تَدَع ما تسمع لما تعلم وإلَّا يكون غيرُك فيما يُبلغك أوثقَ من نفسك فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رِقَّةٍ من حاله وبُعْـدٍ من شُقَّته ، فنَشَدْتُك الله أن تقدّم شيئا على تصديق ظنّه وسَدّ خَلّته وبَلّ ما يَبِّست هذه النكبةُ من أَدِيمه ، فإنه غَذِىُّ نعمةٍ وخدينُ مُرُوءة .

أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِرَاسة تَعِدُنيـه فيك . الحَرِّيَّةُ نسبٌ . فهمتُ ما ٱعتذرتَ به فى تأخُّرك ، وغضضتَ به منى طَرْفًا طامحا إليك ونفسًا توّاقةً إلى قُرْبك .

وصل كتابك فكان موقعــه مَوْقِعَ الرُّوح من البَـدَن . فإن أمير المؤمنين يحب ألا يَدَع سبيلا من سُـبُل البر وإن عَفَا ودَثَر إلا أناره وأوضح مَحَجَّته ، ولا خَلَّة من خلال الخير لا أوّلَ لها إلا ٱهتبل الفرصة (١) فى إنشائها ، وٱختيار مَكرمة ٱبتدائها ، لتجبَ له مساهمةُ الفارِط (٢) فى أجره ، ويكونَ أُسوةَ الغابر فى ثوابه .

لولا وجوبُ تقديم العذر لصاحب السلطان ، فى الذهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته ، بمـا يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذًا لكَثُرَ العَتْبُ .

إنك لكل حسن أبليته ، ومعروف أسديتَــه ، وجميل أتيتَه ، وبَلَاء كان لك ربيتَه ، أهلٌ فى الدين والحَسَب القديم .

لك — أعزّك الله — عنـدى أيادٍ تَشفَعُ لى إلى محبّتك ، ومعروفٌ يُوجب عليك الرِّبَّ (٣) والإتمـام .

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .
وفى العقد الفريد : «الود والإتمـام» .

أفعال الأمير مختارةٌ كالأمانى، متّصلةٌ عنـدنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونُواصل الدعاء والذكر مواصلةَ بِرّه .

أبدأ بذكر يدك التى أجارتنى على صرف الزمان، ووقتنى نوائب الأيام، وثمّرت لى بقية النعمة، وصانت وجهى عن ٱستعباد مَن الرجال، وبَسَطتْ لى الأملَ فى بلوغ ما ناله بك مَنْ رفعت خسيستَه ونوّهتَ بذكره، وأعانتنى على ٱتبـاع مذهب المـاضين من سلفى فى الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدى غيركم، حتى خَلَصتْ لهم منكم فعزُّوا، ولم يشغَلوا شكرَهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعة لسواكم لمـا ٱعتدّوا، ولم تتشعّبهم الدنيا عنكم إذ ٱضطُرُّوا .

إنّ الله أحلك(١) منا أهلَ البيت محلًّا نراك به عِوَضًا من الغائب، وخَلَفًا مـن الهالك، ونجدك مخصوصا بضَرّائنا إذ كنت ولىّ سَرّائنا، وكنا لك كالجوارح تألَمُ لكل ما أَلِمَ منها .

نحن نعوذ بالله من سَخَطك، ونستجير به من غَضَبك، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعتَ قَصَص الكاذبين، فإنا على سلامةٍ ممـا رقّوه(٢) .

كتبى — أعزك الله — تأتيك، فى الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعى، وإن كان حقّك يُلزمنى ألّا تُغبّك، لولا ما أتذكر من زيادتها فى شُغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهضُ بأعباء أهـل مودّته، الصابرُ على ما ناب من حقوقهم .

كنتُ أمس — أكرمك الله — عليـلا، وركبتُ اليوم على ظَلَع(٣) ظاهر ورِقّة شـديدة، فلما ٱنصرفتُ أمرتُ بإغلاق الباب للتودّع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقَك بما يستدعى عَتْبَك عليه وعتبَه عليك ما وافق .

(١) فى الأصل : «أهلك ...» . (٢) أى رفعوه إليك من الأخبار الكاذبة .
(٣) فى الأصل : "ضلع" .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتّابَ[1] إليك فى الحاجة ، فأتوقف أحيانا توقف المبقِ[2] عليك من المؤونة ، وأكتب أحيانا كتّاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المِقَة ؛ لا أعدَمَنا الله دوام عزك ، ولا سَلَب الدنيا بَهْجتَها بك ، ولا أخلانا من الصّنع [لله][3] على يدك وفى كَنَفك ، فإنا لا نَعرِف إلا نعمتك ، ولا نجـد للحياة طعما وندًى إلا فى ظِلّك .

إن كان هذا مما ترضاه لى ، فلست ألتمس أكثر منه ، وقوفا بنفسى عند الحظ الذى رَضِيتَه لى .

أنا والله أراك فى رتبة المنعم إجلالا ، وبمحل الشقيق من القلب محبّةً وإخلاصا .

أما شكرى فمقصورٌ على سـالف أياديك ، وبه قصـور عنه فكيف يتّسـع لمـا جَدّدته ! .

لله عنـدك نِعَمٌ جِسامٌ تُتقاضاك الشكر . وقَاك الله شرّ نفسـك ، فإنها أقرب أعدائك إليك .

ولم أزل وجِلًا من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما ينالك — لا أنالك الله سوءا — متّصلا بى ومُدخِلا الضرر علىّ فى رُكْنٍ منك أعتمد عليه ، وكَنَفٍ لك أَسْتَذْرِى به .

وصل إلىّ كتاب منك ، فما رأيت كتاباً أسهلَ فنونا ، ولا أملس متونا ، ولا أكثر عيونا ، ولا أحسن مقاطعَ ومطالع ، ولا أشدّ على كل مَفْصِلٍ حزًّا منه ؛ أنجزت فيه عِدَةَ الرأى وبشرى الفِراسة ، وعاد الظنّ بك يقينا ، والأملُ فيك مبلوغا .

لا غيّبـك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بعـلوّ يدك ، وهُبوب ريحك ، وآستقادةِ جميع أهلها بزِمام طاعتك .

(١) كذا وردت هذه الجملة من هـذا الفصل فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفى الأصل : « لا أزال قد سئلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) فى العقد الفريد : « المخفف عنك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد .

قد رميتَ غَرَضَ الحق بسهم الباطل وحللت عِقال الشر[1] .

كنتُ[2] سالمـا إن سَلِمتُ من عَتْبك .

أنا أتوسل إليك بحسن ظنّى بك ، وأسألك بحق صبرى على ظُلمك لمّـا أسعفتَ بما سألتُك .

ليس ينبغى لك أن تستبطئ فهمى وقد أسأتَ إفهامى .

مَنْ أبعدُ من البُرْءِ من مريضٍ لا يُؤْتَى فى دائه إلا من جهة دوائه ، ولا فى علّته إلا من قِبَل حِمْيَته ! .

لستُ فى حالٍ يقيم عليها حرٌّ أو يرضَى[3] بها كريم ، وليس يرضَى بهذا الأمر إلا من لا ينبغى لك أن ترضَى به .

قد شِخْتُ فى ذَرَاك وهَرِمت فى ظلّك ، فإمّا رددتَ علىّ شـبابى وأعدتَ إلىّ قوّتى ، وإما دفعتَ إلىّ ما ينوبُ عن الشباب ويجبُرُ الضعف ، ولا بدّ من أحدهما ، فاختَرْ لنفسـك وأخرِج إلينا من هـذا الدّين ؛ فقـد أمسكنا عن التقاضى ما أمكن ، وصَبَرنا على المواعيد ما صَلَح ، ودَعْنا من الحَوالة فإنّ الصنيعةَ لا تتمّ بالحَوالة ؛ وإن جاز أن تقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيما بالشـكر ؛ وإن جاز أن نؤمّلك ويحقّق آمالَنا غيرك ، جاز أن نشكر غيرَ المُنعم ونأمُل غيرَ المصطنع .

ما أستعظمُ أن تَسبِقَ إلى حَسَنٍ بل أستعظم أن تُسبَقَ إليه وتُغلَبَ عليه .

لئن كنتَ[4] جاوزتَ بى قَدْرى عندك لمـا بلغتُ بك أملى فيك .

لا يَقبضك عن الأُنْس بى تقصيرُك فى البِرّ .

---

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل . وظاهر أن فيها تبديلا ونقصا . ولعل صوابها : قد رميت غرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشر بيد الخير . (٢) فى الأصل : "كنت ..." .

(٣) فى الأصل : «ولا يرضى بها ...» وهو غير مستقيم . (٤) فى الأصل «إن كنت ...» .

بلغتنى عِلّتك فنالنى من ألمها ، وغالنى ممـا مسّك فيها حسبُ حقّك وما يخُصّنى من كل حالٍ تصرّفتْ بك .

أعتذر إليك من تأخر كتبى عنك بترامى النُّقلة وتقاذُف الغُرْبة وعدمِ الطمأنينة، فإنى منذ فارقتُك كما قال القائل :

وكنتُ قذَاة الأرض والأرض عينُها * تُلَجْلج شخصى جانباً بعــد جانبِ

إنى[(1)] — أعزك الله — على تشوّقك متزيد، فما أُحاشِى بك أحدا، ولا أقف لك على حسنةٍ يومًا إلا أَنْسَتْنيها لك فَضْلةُ غده .

الحمد لله الذى جعل الأمير معقودَ النيّةِ بطاعته، مطوىّ القلب على مُناصحته ، مشحوذَ السيفِ على عدوّه، ثم وَهَب له الظفرَ، ودوّخ له البلادَ، وشرّد به العدوّ، وخصّه بشَرَف الفتوح العِظام شرقًا وغربا، وبرّا وبحرا .

إلى الله أشكو شدّة الوحشة لغَيْبتك ، وفَرْطَ الجَزَع من فِراقك، وظلمةَ الأيام بعدَك؛ وأقول كما قال حبيب بن أَوْس :

بيَّنَ البيْنُ فقــدَها، قلّما تعــشــرِفُ فقــدًا للشمس حتّى تَغيبَا

ورد كتابُك، فياله واردًا بالرِّىّ على ذى ظَمَأ ! ما أنقعه للغليل، وأعدَلَ شهادَته لك بكرم العقد، وصِدْق الودّ، وحُسن المغيب، ورعاية حق التحرّم ، وبُعدالشيمة من شِيَم أهل الزمان إلا من عَصم الله، وقليلٌ ماهم ، ولله أبواك لقد أوجداك .

قدأجلّ الله خَطَرَك عن الاعتذار، وأغناك فى القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا أن نقنَعَ بما فعلتَ ، ونرضَى بما أتيت وَصَلْتَ أو قَطَعت ، إذ وَثِقنا بحُسن نيّتك ونقَاء طويّتك ، وألزمنا أن نأخذ أنفسنا لك بما لانُحمِّلك مثله ، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

(١) فى الأصل : إنك .

ما أخّركتبي عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عنـد حقٍّ يقع فأقضيه ، أو نعمةٍ تُحدث فأهنِّئ بهـا، والقصـدِ للزيادة فى البِرّ بالزيارة فى الغِبّ، وآستدعاءِ دوام الوِداد بانتهاز فُرَص الوصل .

وكتبتُ إلى محمد بن عبـد الله بن طاهر :

أمّا شـكرى للأمير على سالف معروفه فقـد غَارَ وأنجد . وأمّا آبتهالى إلى الله فى جزائه عنّى بالحُسْنَى فإخلاص النيّة عنـد مَظَانّ القَبـول . وأمّا أملى فأحياه على بُعـد العهد بلاؤه عندى، إذ كان ما تقدّم منه شافعا فى المزيد، وفسحةُ وعدِه إياى عند مفارقتى له ، إذ كان مؤذنا بالإنجاز . وأما زللى فى التأخّر عما أوجب الله علىّ له ، فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمتُه من عزّ رِياسته، ونَباهة صُحبته، وعلوّ الدرجة به، وإن كنتُ سائرَ أيام آنقطاعى عنه مُعتلقا بسبب لا خيارَ معه . مكاتبتُك — أعزّك الله — وأنا مُجاوِرُك ببلدٍ دون السعى إليك مُخِلًّا لقدرك مما أُكْبِر . لاقيك بكتابى هذا فلان، وله علىّ حقّان : حقٌّ عمّ المسلمين فلزمنى بلزومه لهم، وحق خصّنى بالحُرْمة والعِشرة. فرأيَكَ فى كذا إن سَهُل السبيلُ إلى ذلك ورَحُب، وإن يَعُقْ عائق فلستَ على جميلِ رأيِ عندى بمُتَّهَم .

للتفضّل أن يخُصّ بفضـله من يشاء، ولله الحمدُ ثم له فيما أعطى، ولا حجةَ عليه فيما منع .

مُستعفِي السلطانِ أحدُ ثلاثةٍ : رجلٌ آثرالله وما عنـده، وأسأل الله توفيقَه، ورجلٌ عَجَزعن عمله فخاف بعجزه[1] عواقبَ تقصيره، وأستعينُ الله، ورجلٌ سَمَتْ به نفسه عن قليل هو فيه إلى كثيرِأمَله . وأعوذُ بالله من أن أُدَنّس نعمةَ الله بك علىّ

(١) فى الأصل : « تعجزه ... » .

وعلى سَلَفى قبلى بالتصدّى لمن لا يُشبه دهرُه يومَك، ولا أكثرُ جهدِه فى المعروف أقلَّ عفوِك .

كن كيف شئت ، فإنّى واحدُ أمرى خالصةٌ سريرتى ، أرى ببقائك بقاء سُرورى ، وبتمام النعمة عليك تمامها عندى ، فإنه ليس من نعمة يُجدّدها الله لأمير المؤمنين فى نفسه خاصّةً إلا اتصلتْ برعيّته عامّة، وشَمِلتْ المسلمين كافّة، وعَظُمَ بلاءُ الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم](١) شكره عليها ؛ لأنّ الله جعل بنعمته تمامَ نعمتهم ، وبسلامته هدوءَهم واستقامتَهم ، وبتدبيره صلاحَ أمورهم وأمنهم ، وبذبه عن دينهم حفظ(٢) حريمهم، وبحياطته حَقْن دمائهم وأَمْنَ سُبُلهم ، وبرِعْيَته اتّساقَهم وانتظامَهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مُؤَيّدا بالنصر، مُعَزًّا بالتمكين، موصولَ الطلب بالظفر، ومدّةِ البقاء بالنعيم المقيم .

فهمتُ كتابك ولم تَعْدُ فى وعدك ووعيدك سبيلَ الراغبِ فى رَبِّ عارفته، المحامى على سالف بَلائه، المُؤْثِر لاستتمام صَنيعته . وإنى لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذُو نيةٍ حسنةٍ فى شكر مُصطنعه، وعناية(٣) بأداء ما يلزَمُه لولىّ نعمته، ومراقبةٍ لرئيسه فى سرّ أمره وعَلانِيته ، وإيثارٍ للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع سَخَطه . وليس مذهبى فيما أشرحه من العذر وأُطيل بذكره الكتب، مذهبَ من يموّه بالاحتجاج ويَحتالُ فى الاعتذار، ومَنْ تُطمعه نفسه فى سلامة النعمة مع فساد النيّة، وفى محمود العاقبة مع شَرَهِ النفس ، وفى زيادة الحال مع التفريطِ فى العمل. ولو كنتُ ممن سوّلتْ له نفسه ذلك سائرَ دهره، لَقد(٤) وجب إلى أن يَضطرّنى إلى

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) فى الأصل : « وبذبه عن دينهم وحفظ ... » بزيادة الواو، وقد وردت هذه العبارة فى العقد الفريد بحذفها . (٣) فى الأصل : « وغنايه ... » . (٤) فى الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكر الواو مع اعتبار هذه الجملة جوابا للو، كما هو ظاهر السياق، على أن فى جعل «لقد» جوابا "للو" نظرا .

النزوع عنه تأديبُك وتقويمك . وإنى لمجتهدٌ أن [يكون][1] أثرُ فعلى هو المخبرَ عنى دون قولى، وأن يكون ما أمُتّ به إليك ظاهرَ كفايتى دون ذِمَامى .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما فى الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول الخَلَل، وعلمى بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجانى على السلطان وعليه، لكنتُ الجوابَ راجلًا معظِّمًا لأمره، مُكبِرًا لسُخْطه؛ وإن كان الله قد جعل عنـد الأمير من إيثار الحق والعمل به، وتقديم الرويّة قبل الإيقاع، والاستئناء[2] بمن وَضَح ذنبـه وظهر جُرمه دون من وقعتْ الشبهةُ فى أمره، ما أمّننى بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطْوته .

لم أكن أحسَبنى أُحَلّ عندك محلَّ مَنْ جَهِل حظَّه، وعَدِم تمييزَه، وغَبِى عمّا عليه وعمّا له؛ إذ توهّمتَ علىّ أنّى أبيع خطيراً من رضاك، ونفيسا من رأيك، وشرفا باقيا على الأيام بطاعتك، وعُدّةً للنوائب أستظهر بهـا من نصرتك، بالثمن البخس الحقير من كذا، أو أن أستبدلَ بمـا أنا ذو فاقة إليـه من عزّ كَنَفك ومنيع ذَرَاك، ما قد وهب الله الغِنَى عنه بحمده .

كان ورودُك وشخوصُك فى وقتين انطويا عنى، وكان مُقامك فى حالِ شغلٍ منك ومنى، ولذلك فقدْتَنى فى القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمّنا من برّك وتَطَوُّلك ما حسّن شكرى، وأثقل ظهرى، وأُرْتِج عن مضاهاتك بمثله قولى؛ فذكرت به — إذ تحيّرت دون تأمّله، وضَعُفتُ عن تحمّله، وعَجَزتُ عن الشكر عليه عند تمحّله — قولَ القائل[3] :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) الاستئناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس . وقد ورد فى ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سـنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جللتنى" بدلا من "أوليتنى" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحدثن" .

أنت ٱمرؤ أوليتنى نعـــمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحـــدِثَنّ إلىّ عارفةً * حتّى أقوم بشـــكر ما سَـــلَفا

ألفاظ تقع فى كتب الأمان

هــذا كتاب من فلان لفلان : إنى أمّنتُك على دَمك ومالك ومَوَاليك وأتباعك، لك ولهم ذمّةُ الله المُوَفَّى بها، وعهدُه المسكونُ إليه، ثم ذمّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالته وأكرمهم بوحيه، ثم ذِمَمُ النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومَنْ دخل ٱسمُهُ معك فى هـــذا كتاب، وسلامةِ مالك وأموالهم وكذا وكذا؛ فٱقبلوا معروضه، وٱسكنوا إلى أمانه، وتعلّقوا بحبل ذمته، فإنه ليس بعد ماوَكّد من ذلك مُتَوَثَّق لداخلٍ فى أمان إلا وقد ٱعتلقتم بأوثق عُرَاه، ولجأتم إلى أحرز كهوفه، والسلام .

وفى كتاب آخر :

هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين، لمّا جعل الله عليه نيّته فى إقالة العاثر وٱستصلاح الفاسد، رأى (١) أن يتلافاك بعفوه، ويتغمد زَلّاتك برُحْمه، ويبسُط لك الأمانَ على ما خرجتَ إليه من الخلاف والمعصـية : على دمك وشـعرك وبَشَرك وأهلك وولدك ومالك وعَقَارك؛ فإن أنت أتيتَ وسَمِعت وأطعتَ، فأنت آمن بأمان الله على ما أمّنك عليــه أمير المؤمنين، ولك بذلك ذمّةُ الله وذمّة رسـوله، إلا ما كان من حق قائم بعينه لمسـلم أو معاهد، والله بذلك راع وكفيـل، وكفى بالله وكيلا .

(١) فى الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله سهو من الناسخ .

وفى كتاب آخر :

إن فلانا آستوهب أميرَ المؤمنين ذنبَك، وسأله أن يَقبل توبتَك وإنابتك ، ويؤمِّنك على دمك وشعرك وبشرك وأهلك وولدك ومالك وعَقَاراتك ، على أن تسمع وتُطيع وتُشايع ، وتُوالى أولياءه ، وتُعادى أعداءه ؛ فأجابه أمير المؤمنين إلى ذلك، لرأيه فى العفو والصفح وما يحتسب فى ذلك من الثواب والأجر، فأنت آمن بأمان الله على كذا لاتُؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك، ولاتُتبع فيه بمكروه ما أقمتَ على الوفاء ولم تُحدِث حَدَثًا تفسَخ به أمانَك وتجعل به سبيلًا على نفسك، والله لك بذلك راع كفيل؛ وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع فى كتب العهود

أَمَرَه بتقوى الله فيما أُسْنِدَ إليه وجعله بسبيله ، وأن يُؤْثِرَ الله وطاعتَه آخذًا ومُعطيا، وأعلمه أنّ الله سائلُه عمّا عَمِل به وجَازِيه عليه، وأنّه خارجٌ من دُنياه خُروجَه من بطن أُمّه إمّا مَغْبوطا محمودا ، وإمّا مذموما مسلوبا . فليعتبر بمَنْ كان قبلَه من الوُلَاة الذين وَلُوا مثلَ مَا وَلِى ، أين صار بهم مَرُّ الليل والنهار، وما آنقلبوا به من أعمالهم إلى قبورهم ! ويتزوَّد لنفسه الزادَ النافعَ الباقىَ:(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفى فصــل آخر :

وقد ولّاك أميرُ المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيّته، وأشركك فيما أشركك فيه من أمانته ، ثقةً بك، ورجاءً لمتابعتك وإيثارك الحقَّ وأهلَه ، ورفضك الباطلَ وأهلَه ؛ وعَهِــدَ إليك فى ذلك بما إن أخذتَ به أعانك الله وسدّدك ، وإن خالفتَه خذَلك وعاقبك .

وفى الحـــج :

فإنّ أمير المؤمنين قد آختارك من إقامة الحج(١) لوَفْد الله وزَوْر بيته، للأمر العظيم قدرُه، الشريف منزلتُه؛ فعليك بتقوى الله، وإيثارِ مُراقبته، ولزومِ الهُدَى المحمودِ والطريقةِ المُثْلَى والسِّيرة الجميلة التى تُشْبِه حالَك .

فصل — فإن الله نَزَّه(٢) الإسـلام عن كل قبيحة، وأكرمه عن كل رذيلة، ورفعه عن كل دنيّة، وشرّفه بكل فضيلة، وجعل سيماء أهلِه الوقارَ والسكينةَ .

فصل — وإن أحقّ النـاس بالآزدياد فى طاعتـه ومناصحته وأداءِ الأمانة فى عمله مَنْ عَظُم حقُّ الأمير عليه فى الخاصّـة بفضل الصنيعة من الأمير عنده، مع حق الله عليه فى العامّة بحقِّ الولاية .

فصل — وكنتَ سيفًا من سيوف الله، ونكَالًا من أنكاله لأهل الشقاق، وشَجًى لمن آبتغى غيرَ سبيلِ المؤمنين، قد أحكمتك التجاربُ وضَرّستك الأمور، وفُرِرْتَ عن الذكاء وحَلَبْتَ الدهرَ أشطُرَه .

فصل — أنت آبن الحرّية والمرؤة، ومن لا يلحَقه عارُ أُبُوّة ولا بُنُوّة .

فصل — قد آلتمستُ مواجهتـك بشكرك ووصفِ ما أُجِنّ لك وأُخلص من ودّك وأُجِلّ من قدرك وأعتدّ(٣) من إحسانك، فَلَفَتنى عن ذلك تَعَذُّر الخَلْوة مع آنقباضٍ وحِشمة .

---

(١) كذا فى الأصـل وآختيار المنظوم والمنثور لآبن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : «فى الحج» .

(٢) فى الأصل : «فإن الله بحمده الإسلام...» .

(٣) فى الأصل : «واعتيد ...» .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذَرِيعةٍ إليـك ؛ وما تُنازِعنى نفسى إلى ٱستعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظنّ بالله فيـك ، وتأميلُ نُجْح الرغبةِ إليك دون الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرّب إلى الله بالتواضُع لنعمته ، والإغاثة لمستغيثه ، والعائدةِ[1] على راجيه بفضله .

فصل — تبًّا لمن يأتى[2] رأيك ! وقبحا لعُزُوب عقلك ، وأَفَن[3] تدبيرك ! ما أبعدَ مذهبَك فى الخطأ ، وأسوأ أثرَك على السلطان ، وأقصرَ باعَك عن النهوض ! بجزالة[4] تعقدك ، ومَهَانةٌ تُضْرِعك ، وزَهْوٌ يعلُوك ، ونَخْوةٌ يشمَخ لها عِرْنينك . لقد ٱنصرف رأىُ أمير المؤمنين عنك ، ودعوتَ له عَتْبَك ، وكشفتَ له عن قِناع سترك ، واجتررتَ إليك سَخْطته وعَطَفْتَ نحوَك مَوْجِدَته ، وكنتَ على نصيبك منه والضنّ بمنزلتك عنده أولى تقدُّما وأقربَ رُشْدا . والله الغنىّ الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعـل الدنيا نُصْبَ عينه ، ينصِب فيها للخاصّة مَكَايده ، ويرفَع عن مصلحة العامّة هِمّته ، يُذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيامُ القدرة العثرةَ ، حتى تنصرِم مدّتُه وتنقضىَ دولتُه ، لم يرتهن بدنياه شُكرا ولا قدّم بها إلى معَاده ذُخرا . ورجلٌ لا يَحْفِل[5] مع صَلاح الخاصة مادخل من الخلل فى أمور العامّة ، ولا مع وفور حظه[6] ما أدخل النقص فى حظ رعيته . ورجلٌ حاول فى ولايته إرضاءَ من وَلِى له وعليه ، وأعانته النّية وخَذَلته الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا ممن فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعروفه إذا أقبـل . (٢) كذا فى الأصل وفيها ضعف لعدم اتساقها فى السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .
(٤) كذا فى الأصل . (٥) فى الأصل «لايجعل ...» وهو تحريف . وحفله وبه : بالاه .
(٦) فى الأصل : «مع وفور خطر ...» .

والانقيادَ والمحبة ممن دونك، وأعاد إلى النـاس بك عهدَ السلف المـاضى وعَمَّر بك آثارهم، حتى كأنهم بك أحياء لم تَخترمهم منيّة، وجميعٌ لم تتصدعْ بينهم فُرْقة، فليَهْنِئْك أنّ مَنْ تقدّمك من أهل الفضل فى السِّيرة غيرُ متقدّم لك، ومن معك مُقَصِّر عنك، ومن دونك مُقتف لأثرك. فلا زالت الأيام لك، ولا زالت النعمُ عنك، ولا انتقلت عُرَى الأمور وأزِمّتها(١) عن يدك .

فصل — أَبَى طبعُ الزمان أن يسـمَحَ لنا بك، كما أبى ذلك فى مثلك، فلم يزل حتى اعْتَرَض بمكروهـه دونك ، وكم من نعمةٍ ذهلتْ عنها النفس حين أدبرت بخيرك، فإنّ تَعَلُّق القلب بك على قَدْرك فى مواهب الله وقدرِها عندك .

فصل — ولم تأت(٢) فى جميع ما عددتُ من أياديك شيئا ، وإن كان متناهيا إلى الغاية ، مختارًا كالأُمنيّـة ، متجاوزًا للاسـتحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمولُ للزيادة فيه .

وفى كتاب — إن كان ما خبّرنى به فلان عن هَزْلٍ فقـد أحوجنا هزلُك إلى الجِدّ، ووَقَفَنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقةٍ فقد ظهر لنا من ظُلمك وتحريفك ما دلّ على زُهْدك منا فى مثل الذى رَغبنا منك فيه .

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كذا بعد خروجى فيـه ومَنْ قِبلَى من المسلمين إلى المُصلَّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيـد، ونحن بخير حالٍ اجتمع عليها فريقٌ من المسلمين فى عيدٍ من أعيادهم ومَجْمع من مجامعهم، وكان مَخْرَجُنا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرجٍ، ومُنصَرَفُنا عنه أفضل مُنصرَف،

(١) فى الأصل : « وأزمتك ... » . (٢) فى الأصل « ولم يأت » .

بمـا وهب الله من سكون العامّة وهدوئها وأُلفتها ، وآحتشاد الجند والشاكرية (١) بأحسنِ الزِّىّ والهيئة ، وأظهرِ السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا ، وهَنَأ الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينُ وَلَهٍ حليفُ حَيْرة ، أنظرُ بعينٍ كليلةٍ (٢) وأحضُر بقلبٍ غائب : إلى ورود كتابك بما تعتزمه (٣) . فأما النوم فلو مَثَل لعينى لنفرَتْ إلفًا للسُّهاد .

فصل فى كتاب بَيْعة — فبايِعُوا لأمير المؤمنين ولفلانٍ بعدَه على آسم الله وبركته وصُنع الله وحُسن قضائه لدينه وعِباده ، بيعةً منبسطةً لها أكُفُّكم ، منشرحةً بها صدورُكم ، سليمةً فيها أهواؤكم ، شاكرين لله على ما وفّق له أمير المؤمنين .

عدّد معاويةُ على الأحنف ذنوبًا ، فقـال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لِمَ تَرُدُّ الأمورَ على أعقابها ! أما والله إنّ القلوبَ التى أبغضناك بها لبين جوانحنا ، وإنّ السيوفَ التى قاتلناك بها لعلَى عَوَاتقنا ؛ ولئن مَدَدْتَ [لنـا] (٤) بشبرٍ من غدرٍ ، لنمدَّنّ إليك باعًا من خَتْرٍ (٥) ، ولئن شـئت لَتَستصفِيَنّ كَدَرَ قلوبنا بصـفو حلمك ؛ قال معاوية : فإنّى أفعل .

تقدّم رجل إلى سَوّار ـ وكان سوّار له مُبغضا ـ فقال سوّار فى بعض ما يكلمه به : يآبن اللَّخناء ! فقال : ذاك خَصْمى ؛ فقال له الخصم : أَعدِنى (٦) عليه ، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لى بحقى ؛ ففهم ، وسأله أن يغفر له ما فَرَط منه إليه ، ففعل .

الأوزاعىّ قال : دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية ، فنظر إلى ساقَيْه فقال : أىّ ساقيـن ، لو كانتـا على جاريةٍ عاتق (٧) ! فقال له خُرَيم : فى مثـل عَجِيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) فى الأصل «بعين جليلة ...» . (٣) فى الأصل « يعتزم ... » . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدنى عليه : انصرنى عليه وقوّنى . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها ؛ وقيل هى التى لم تتزوّج .

الخطب

تتبّعتُ خُطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدتُ أوائلَ أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له». ووجدت في بعضها: «أُوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: "أيها الناس إن لكم مَعَالِمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نِهايةً فانتهُوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدرى ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بَقِىَ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخُذ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبَر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعدالدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار". ووجدتُ كلّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن ينزِل عن المِنْبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

حدّثنى أبو سَهْل قال حدّثنى الطَّنَافِسىّ عن محمد بن فُضَيْلٍ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن إسحاق عن عبد الله القرشىّ عن عبد الله بن عُكَيْم[1] قال: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال:

(١) فى الأصل «عبد الله بن عظيم» بالظاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث فى كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما فى الأصل تحريف عما أثبتنا: قال فى التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهنى أبو محمد معبد الكوفى. قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبى بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة ... الخ» وفى الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف ... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن رووا عن أبى بكر رضى الله عنه ترجح لدينا أن ما فى الأصل محرّف عنه.

أما بعد ، فإنى أُوصيكم بتقوى الله وحدَه وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه ، وتَخْلِطوا الرغبةَ بالرهبة ، والإلحافَ بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيته فقال : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم ٱعلموا أن الله قد ٱرتهن بحقّه أنفسَكم ، وأخَذَ على ذلك مواثيقَكم ، وٱشترى منكم القليلَ الفانىَ بالكثير الباقى . هذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنَى عجائبُه ولا يُطفأ نورُه ، فصدِّقوه وٱنتصِحُوه وٱستضيئوا منه ليوم الظُّلمة . ثم اعلموا أنكم تغدُون وتروحون فى أجلٍ قد غُيِّبَ علمُــه عنكم ، فإن ٱستطعتم أَلّا ينقضىَ إلا وأنتم فى عمــلٍ لله فٱفعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله . فسابقوا فى مَهَلٍ ، فإنّ قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونَسُوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم ، والوحَا الوحَا ، والنجاءَ النجاءَ ! فإن من ورائكم طالبًــا حثيثًا مَرُّه ، سريعا [ســيره](١) .

وفى غير هذه الرواية : أينَ مَنْ تعرفون من إخوانكم ! قد ٱنتهت عنهم الأعمال ، ووَرَدُوا على ما قدّموا وحلوا(٢) عليهم بالشقْوة والسّــعادة . أينَ الجبّارون الذين بَنَوا المدائنَ وحصَّنُوها بالحوائط ! قد صاروا تحتَ الصَّخْر والآ كام .

خطبة لأبى بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبى(٣) زيد القارئ .

حَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال :

---

(١) التكملة من العقــد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف فى بعض الكلمات عما هنا . (٢) كذا فى الأصل . وهى غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ . وصواب العبارة نقــلا عن تاريخ ابن جرير الطبرى (قسم أوّل ص ١٨٤٧ طبع ليــدن) : « أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدّموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت » . (٣) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم كأنساب السمعانىّ وأسد الغابة : وفى الأصل : « من ولد زيد القارئ » .

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ . فرفع الناس رءوسَهم ، فقال : ما لكم يا معشرَ النـاس ! إنّكم لطعّانون عَجِلون ، إن المَلِك إذا مَلَك زهّـده الله فيما فى يده ، ورَغّبه فيما فى يَدَىْ غيره ، وٱنتقصه شطرَ أجله ، وأشرب قلبَه الإشفاقَ ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخّط الكثير ، ويسأم الرخاءَ ، وتنقطع عنه لذّة البهاء[١] ، لا يستعمل العِبْرة ولا يسكُن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِيّ[٢] والسّراب الخادع ، جَذْل الظاهر ، حَزِين الباطن ، فإذا وَجَبَتْ[٣] نفسُه ونَضَب عمرُه وضَحَا ظلُّه ، حاسَبَه الله فأشدّ حسابَه وأقلّ عفوَه . ألَا إنّ الفقراء هم المرحومون[٤] ، وخيرَ الملوك من آمن بالله ، وحَكَم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوّة ، ومَفْرِق مَحَجّة ، وستَرَوْن بَعْدى مُلْكا عضوضا[٥] ، وأُمّةً شَعَاعًا[٦] ، ودما مُفَاحا[٧] . فإن كانت للباطل نَزْوَة ، ولأهل الحق جَـوْلة ، يعفو لهـا الأثَر ، وتموت السُّنَن ، فالزَموا المساجد ، وٱستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرامُ بعـد التشاوُر ، والصَّفْقة بعـد طُول التناظُر ، أى بلادكم خرسة[٨] فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة

أراد عُمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِك . نحنُ المهاجرون أوّلُ الناس إسـلاما ، وأوْسَطُهم دارًا ، وأكرَمُهم أحسابا ، وأحسنُهم وُجوها ، وأكثرُ النـاس ولادةً فى العرب ، وأمسُّهم رَحِمًا برسول الله صلى الله عليه وسـلم ، أسلَمنا قبلكم ،

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) القسىّ من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظله : كل منها كناية عن الموت . (٤) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفى الأصل « ... ألا إن الفقراء هم المرحومون إلا من آمن ...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاعا : متفرقة . (٧) الدم المفاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين ، ولم نوفق إلى تصويبها أو تفسير صحيح لها .

وقُدِّمْنا فى القرآن عليكم، فأنتم إخوانُنـا فى الدِّين، وشركاؤُنا فى الفَىْء، وأنصارُنا على العَـدُوّ، آويتُمْ وواسَـيْتُمْ[1]، فجزاكم الله خيرا ؛ نحن الأُمَراءُ، وأنتم الوُزراءُ، لا تَدِينُ العربُ إلا لهذا الحىِّ من قُرَيش، وأنتم محقوقون ألّا تَنْفَسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم .

خطبة لأبى بكر رضى الله عنه

الهَيْثم عن مُجالد عن الشَّعْبىّ قال : لمـا بُويع أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، صَعِد المِنْبر فنزل مَرْقاةً من مَقْعَد النبىّ صلى الله عليه وسلم فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال :

إنى وَلِيتُ أمرَكم ولست بخيرِكم ، ولكنه نزل القرآن وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . اعلموا أيها الناس أن أكيس الكَيْس التُّقَى ، وأن أحمقَ الحُمْق الفُجُور، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخُذَ له بحقّه، وأضعفَكم عندى القوىُّ حتى آخذَ منـه الحقّ ، إنمـا[2] أنا متّبع ولست بمبتدِع ، فإن أحسنتُ فأعينونى ، وإن زُغْتُ فقوِّمونى . أقول قولى هذا، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : ولمـا وَلِى عمر صـعِد المنبر وقال :

ما كان اللهُ ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر، ثم نزل عن مجلسه مَرْقاة ، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال : اقرءوا القرآن تُعْرَفوا به، واعمَلوا به تكونوا من أهله . إنه لم يبلُغ حقُّ ذى حقٍّ أن يُطاعَ فى معصيةِ الله . ألا وإنى أنزلتُ نفسى من مال

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : وفى الأصل : «وأسلمتم» .

(٢) كذا فى إعجاز القرآن للباقلانى (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وفى الأصل : «أما» .

الله بمنزلة والى اليتيم : إن استغنيت عففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف تقرّم[1] البهمة الأعرابية : القضم لا الخضم .

خطبة لعثمان بن عفّان رضى الله عنه

قال : ولما ولى عثمان صعد المنبر فقال :

رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، فجلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أوّل مركب صعب ، وإن مع اليوم أياماً ، وما كنّا خطباء ، وإن نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

أما بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت فأشرفت باطّلاع ، وإن المضمار[2] اليوم وغدا السّباق . ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصّر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا لله فى الرّغبة كما تعملون له فى الرّهبة . ألا وإنّى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحقّ ضرّه الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال . ألا وإنكم قد أمرتم بالظّعن ، ودللتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

---

(١) تقرّم الصبىّ والبهم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أوّل ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذى تدفع إليه حاجة الحياة .

(٢) فى الأصل : «الضمار» وهو تحريف .

خطبة علىّ عليه السلام بعد مقتل عثمان رضى الله عنه

أيها الناس، كتابَ الله وسنّةَ نبيكم. لا يدّعى مدّع إلا على نفسه. شُغِلَ مَن الجنةُ والنارُ أَمامَه. ساعٍ نجا، وطالبٌ يرجو، ومقصِّرٌ فى النار: ثلاثة؛ واثنان: مَلَكٌ طارَ بجناحَيْه، ونبىٌّ أخذ الله بيديه، لا سادِسَ. هَلَكَ مَن اقتحم، ورَدِىَ مَن هوَى. اليمينُ والشِّمالُ مَضَلَّة، والوُسطى الجادّةُ: مَنْهَجٌ عليه باقى الكتاب وآثارُ النبوّة. إن الله أدّب هــذه الأمّةَ بأدبين: السوطِ والسيف؛ فلا هَوَادَةَ فيهما عند الإمام. فاسـتتروا ببيوتكم، وأَصْلِحوا ذاتَ بَيْنِكم، والتوبة من ورائكم. مَنْ أبدى صَفْحته للحق هَلَك. قد كانت أمورٌ مِلْتُم علىّ فيها مَيْلَةً لم تكونوا عندى محمودين ولا مُصيبين. والله أن لو أشاءُ أن أقول لقلتُ. عفا الله عمّا سَلَف. أُنظروا، فإن أنكرتم فأَنْكِروا، وإن عَرَفتم فآزِرُوا. حقٌّ وباطل، ولكُلٍّ أهــلٌ. واللهِ لئن أُمِرَ الباطلُ لَقَديمًا فعل؛ ولئن أُمِّرَ الحقُّ[1] لَرُبَّ ولعلّ[2]. ما أدبر شىءٌ فأقبل.

خطبة أيضـا لعلىّ رضى الله عنه[3]

خطب علىّ حين قُتِلَ عامِلُه بالأَنْبار فقال فى خطبته:

يا عَجَبًا من جِدِّ هؤلاء فى باطلهم وفَشَلِكم عن حَقِّكم! فقُبحًا لكم وتَرَحًا حين صرتم غَرَضًا يُرْمَى، يُغارُ عليكم ولا تُغيرون، وتُغْزَوْن ولا تَغزون، ويُعصَى اللهُ وتَرضون.

---

(١) أمر (بالبنـاء للمجهول والتضعيف): سلط. والذى فى العقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م): «... ولئن قل الحق ...» وعلى ما ورد فيهما يكون معنى «أمر الباطل»: كثر و «أمر» وزان فرح. (٢) فى العقد الفريد: «ولقلما أدبر ...». (٣) وردت هذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سـنة ١٨٨٥ م) والعقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا.

إن أمرتُكم بالمسير إليهم فى الحرّ قلتم : حَمَارَّة القَيْظ[1]، أَمْهِلْنا [حتى][2] يَنْسلِخَ الحرّ ، وإن أمرتُكم بالمسير إليهم فى الشتاء قلتم : أمهِلْنا [حتى][2] ينسلِخَ الشتاء هذا أوانُ قُرٍّ[3]، كلّ هذا فِرارا من الحرّ والقُرّ، فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباهَ الرجال ولا رجال! أحلام الأطفال وعقول رَبَّاتِ الحِجَال، أفسدتُم علىّ رأيى بالعِصْيان والخِذْلان، حتى قالت قريش : ابن أبى طالب شُجاعٌ [ولكن] لا عِلْمَ له بالحـرب . لله أبوهم! هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراسا وأطولُ تجرِبةً منّى[4] ! لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين فهأنا الآن قد نيّفتُ على الستين، ولكن لا رَأْىَ لمن لا يُطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغنى عن شُعَيْب بن صَفْوانَ قال : خطب معاوية فقال :

أيها الناس ، إنّا قد أصبحنا فى دَهْرٍ عَنُود ، وزَمن شـديد ، يُعَدُّ فيه المحسنُ مُسيئا ، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُوًّا، لا ننتفع بما عَلِمنا، ولا نَسأل عمّا جَهِلْنا، ولا نتخوّف قارِعةً حتى تَحُلّ بنـا . فالناس أربعـة أصناف : منهم مَن لا يمنعـه من الفساد فى الأرض إلا مَهانةُ نفسِـه وَكَلال حَدّه ونَضيض[5] وَفْره ؛ ومنهم المُصلِت لسـيفه[6] والمُجلِب بخيـله ورَجْلِه والمُعلِن بشرّه، قد أَشْرَط[7] نفسَه وأوبق دِينَـه[8] لحُطَامٍ ينتهِزه

(١) حمارّة القيظ : شدّته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القرّ بضم القاف : البرد الشديد . (٤) كذا فى العقد الفريد والبيان والتبيين ، بزيادة كلمة «لها» بعد كلمة «أطول» فى البيان والتبيين . وفى الأصل : « هل منهم أحد لها أشدّ مراسا ولا أطول تجربة منى » . (٥) فى الأصل : « رضيض » وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن . ونضيض وفره : قلة ماله . (٦) فى الأصل : «بسيفه» بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقدّمها . (٨) أوبق دينه : أهلكه .

أو مِقْنَبٍ[١] يقـوده أو منبرٍ يَفْرَعُه[٢]، ولبئس المَتْجَران[٣] تراهما لنفسك ثمناً وممـا عند الله عِوَضا . ومنهم مَن يطلب الدنيـا بعمل الآخرة [ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيـا][٤] قد طامَنَ[٥] من شخصه وقارَبَ من خَطْوه، وشمَّر من ثوبه، وزَخرَفَ نفسَه للأمانة، واتخذ سِـتر الله ذَريعةً إلى المعصية . ومنهم من أقعـده عن طلب الملك ضُؤُولةٌ فى نفســه وانقطاعٌ من سببه، فقصَّر به الحال عن أمله[٦]، فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بِلباس الزُّهّاد، وليس من ذلك فى مَراحٍ ولا مَغْـدًى . و بقى رجالٌ غضّ أبصارَهم ذكرُ المَرْجِـع، وأراق دموعَهم خوفُ المَحْشر فهم بين شَريد نادٍّ[٧]، وخائفٍ مُنْقَمِع[٨]، وساكتٍ مَكْعُوم، وداعٍ مُخْلِص، ومُوجَعٍ ثَكْلان، قد أخملتْهم التقيّـة، وشمِلَتْهم الذِّلّة، [فهم][٩] فى بَحرٍ أُجاج، أفواهُهم ضامِرةٌ، وقلوبُهـم قَرِحَةٌ، قد وُعِظُوا حتى مَلُّوا، وقُهِروا حتى ذَلُّوا، وقُتِلوا حتى قَلُّوا . فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغرَ من حُثالة القَرَظ وقُرَاضـة الجَلَم، واتّعِظُوا بمَن كان قبلكم قبـل أن يتّعظ بكم مَن بعدكم، وارفضوها ذَميمةً، فإنها قد رَفضتْ مَن كان أشغَفَ بها منكم .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاوية كان حَبْلا من حِبال الله، مدّه ما شاء أن يمدّه، ثم قطعه حينَ شاء أن يقطعَه، وكان دُونَ مَن قَبْله وهو خيرٌ ممن بعده، [ولا أُزَكّيه[١٠] عند

(١) المقنب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفى الأصل : «يترعه» وهو تحريف . (٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وليس المتجران تراها ... الخ» وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقـد الفريد والبيان والتبيين وإعجاز القرآن . (٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفى الأصل : «على حاله ... » . (٧) الناد : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخف . (٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقـد الفريد وإعجاز القرآن للباقلانى . (١٠) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار إليه] فإن يعفُ عنه فبرحمته ، وإن يعاقبْه فبذنبه . وقد وَليتُ الأمرَ بعــده ، ولستُ أعتذر من جَهْل ولا أشــتغل بطلب علم[1] . وعلى رِسْلكم ! إذا كَرِهَ الله أمرًا غيّره .

خطبة لعُتْبة بن أبى سُــفيان

أبو حاتم عن العُتْبىّ قال : احتبستْ كُتُب معاوية حتى أَرْجَفَ[2] أهلُ مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعِد عتبةُ المنبر والكتابُ فى يده فقال :

يا أهل مصرَ! قد طالت معاتبتُنا إياكم بأطراف الرِّماح وظُبَات السيوف حتى صِرْنا شَجًى فى لَهَوَاتكم ما تُسيغُنا حلوقُكم ، وأَقْذاءً فى أعينكم ما تَطْرِف عليها جفونُكم . فحين آشتدّت عُرَى الحق عليكم عَقْدًا ، وآسترختْ عُقَدُ الباطل منكم حَلًّا ، أرجفتم بالخليفة وأردتُم توهينَ السلطان ، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل ، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ ! فآرْبَحُوا أنفسكم إذ خَسِرْتم دينكم ، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبَر السارّ عنه والعهدِ القريب منه . وآعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلِحوا لنا ما ظَهَر، نَكِلْكُم إلى الله فيما بَطَن ؛ وأظهِرُوا خيرا وإن أسررتُم شرًّا ؛ فإنكم حاصــدون ما أنتم زارعون . وعلى الله نتوكّل وبه نستعين .

خطبة لعُتْبة أيضــا

وبهذا الإسناد أن عُتبة خطب أهلَ مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر، خَفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمُّ البــاطل وأنتم تأتُونه ، كالحِمَــار يَحْمِل أسفارا أثقله حَمْلُها ولم ينفعْه عِلْمُها . وإنى والله لا أُداوِى

---

(١) فى العقد الفريد : «ولا آسى على طلب علم» . (٢) أرجف : خاض فى الأخبار التى تحدث اضطرابا وفتنة .

أدواءَكم بالسيف ما ٱكتفيت بالسَّوْط، ولا أبلغُ السوطَ ما كفتنى الدِّرَّة، ولا أُبطِئ عن الأُولى إن لم تصلحوا عن الأُخرى[1] * ناجزا بناجز، ومَن حذَّر كمن بشَّر[2] * فدعوا قال ويقول من قبلِ[3] أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذى ليس فيه عِقاب، ولا بعده عِتاب .

خطبة لعبد الله بن الزُّبَيْر

خطب عبد الله بن الزُّبير حين قُتِلَ أخوه مُصْعَب فقال :

الحمد لله الذى يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلّ مَن يشاء . إنه لن يذِلّ مَن كان الحقُّ معه وإن كان فَرْدًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا خبرٌ من قِبَل العراق أجزَعَنا وأفرحَنا : قتلُ مُصْعَب رحمه الله . فأما الذى أحزَنَنا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذْعةً يَجِدها حميمُه عند المُصيبة به ثم يَرْعَوِى بعدها ذَوُو الرأى إلى جميل الصبرِ وكريم العزاء . وأما الذى أفرحنا من ذلك فعلمُنا أنّ قتله شهادةٌ، وأن ذلك لنا وله الخِيَرة . ألا إن أهل العراق أهلَ الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه به . إنا والله ما نموت حَبَجًا[4] ولا نموت إلا قتلا، قَعْصًا بالرماح تحتَ ظِلال السيوف - ليس كما تموت بنو مروان - واللهِ إنْ قُتِل رجلٌ منهم فى جاهليّةٍ ولا إسلام .

---

(١) كذا فى الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هـذه الجملة التى بين النجمتين وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) فى أثناء خطبة أخرى لعتبة . وفى العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزا بناجز، ومن حذركمن بشر... » .

(٣) فى العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال فى اللسان بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : «يعرض ببنى مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة...» وقعصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عَارِيةٌ من الملك الأعلى [الذى لايَبِيدُ ذكرُه ولايَذِلّ سلطانُه](١) فإن تُقبِل علىّ لا آخُذْها أخْذَ البَطِر الأَشِر، وإن تُدبر عنى لا أَبْكِ عليها بُكاءَ الخَرِف المُهْتَر(٢). ثم نزل.

خطبة زياد البتراء(٣)

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ عن أبى بكر بن أبى عاصم ببعضها، وحدّثنى أبى عن الهيثم بن عَدِىّ، قال: لما قدم زيادٌ أميرا على البَصْرة فنظر إلى أبياتها، قال: رُبَّ فَرِيحٍ بإمارتى لن تنفعَه، [و] كارهٍ لها لن تَضُرَّه؛ فدخل وعليه قَباء أبيض ورِداء صغير، فصعِد المنبر، فخطب الناسَ خطبة بتراء: لم يصلّ فيها على النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان أوّلَ من خطبها، ثم قال:

أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علِمتم، وشهِدت الشهودُ بما قد سمِعتم، وإنما كنت آمرأً حَفظ اللهُ منه ما ضَيّع الناسُ، ووَصَل ماقطعوا(٤). أَلَا وإنا قد وَلِينا ووَلِيَنا الوالون، وسُسْنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمرَ لا يُصلحه إلا شدّةٌ فى غير عُنْف، ولينٌ فى غير ضعف. وآيمُ الله مامن كِذْبةٍ أكبرُ شاهدًا من كِذْبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها منّى فآغتمِزُوها فىّ، وآعلموا أن عندى أمثالَها، وإذا رأيتمونى آمر

---

(١) الزيادة من العقد الفريد: (ج ٢ ص ١٨٣). (٢) الخرف: الذى فسد عقله من الكبر. والمهتر: من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن. وفى العقد الفريد: «بكاء الخرق المهين». (٣) وردت هذه الخطبة فى النوادر لأبى على القالى (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا فى كلمات يسيرة. ووردت فى الكامل لآبن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨ م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا وبتقديم وتأخير فى بعض الجمل والكلمات. (٤) لم ترد هذه القطعة فى الخطبة البتراء فى مصدر آخر من المصادر التى بين أيدينا إلا فى النوادر لأبى على القالى. وقد وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) فى خطبة أخرى لزياد.

فيكم بالأمر فأنفِـذوه على أَذْلَاله[(١)] . وآيم الله إن لى فيكم لَصَرْعَى كثيرة، فليحذَرْ كلّ آمرئ منكم أن يكون من صَرْعاى . وآيمُ الله لآخُذنّ البرىءَ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصى، والمقبلَ بالمدبر، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم، وحتى يقولَ القائل : "أُنْجُ سعد فقد قُتِل سُـعَيْد"[(٢)] . فقام إليه عبدُ الله بن الأَهْتَم[(٣)] التميمىّ، فقال : أيها الأمير، أشهد أنك أُوتيتَ الحكمةَ وفصلَ الخطاب، فقال له : كَذَبْتَ، ذاك نبىّ الله داود . ثم قام إليــه الأحنفُ، فقال : إنمـا المرءُ بجِـدّه، والسيف بحَدّه، والجواد بشدّه، وقد بلّغك جِدُّك أيها الأمير ما ترى، وإنمـا الحمدُ بعد البَلَاء، والثناءُ بعــد العطاء، وإنا لا نُثْنِى حتى نَبْتلِىَ . ثم قام إليــه مِرْداس بن أُدَيّة، فقال : قد سمعنا مقالتك أيها الأمير، وإنّ خليلَ الله إبراهيمَ عليــه السلام أَدّى عن الله غيرَ الذى أدّيتَه، قال الله تعـالى : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[(٤)] وأنت تزعُم أنك تأخُذ البرىءَ

---

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذلل .

(٢) قال فى اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة ابن أدّ ابنان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلاهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشاءم به، وهو يضرب مثلا فى العناية بذى الرحم، ويضرب فى الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهرىّ فى هــذا المكان : وفى المثل، أسـعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء أهو ممـا يحب أو يكره » .

(٣) كذا فى ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبـع ليدن والبيـان والتبيين والعقـد الفريد . وفى الأصـل : «نعيم بن الأهتم» وقـد آثرنا ما فى المصادر الأولى لأن الوقوف فى مثل هـذا الموقف يقتضى شجاعة وجرأة، وفى عبد الله بن الأهتم منهما حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهتم، وعبد الله هذا عمه، فكان كما يقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفى النوادر لأبى على القالى : «صفوان بن الأهتم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهتم .

(٤) وردت هذه الجملة فى ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والتبيين والنوادر لأبى على القالى باختلاف عما هنا ونصها فى ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت، قال الله تعالى : ﴿وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ الخ ...» .

بالسقيم، والمطيعَ بالعاصى، والمقبلَ بالمدبر، فقال له : أُسكت، فوالله ما أجِد إلى ما أُريد سبيلًا، إلا أن أخوضَ إليه الباطلَ خوضا . ثم نزل .

وقال فى خطبة له أخرى (١) :

حَرَامٌ علىّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيها بالأرض هَدْمًا وإحراقا . إيّاى ودَلَجَ الليل، فإنى لا أُوتَى بمُدلج إلا سَفَكتُ دمه، وإيّاىَ ودَعْوى الجاهليّة، فإنى لا أجد أحدًا دعَا بها إلا قطعتُ لسانَه . وقد أحدثتم أَحداثا، وأحدثنا لكل ذنبٍ عقوبة، فمن غَرّق قوما غَرّقته، ومن أحرق قوما أحرقتُه، ومن نَقَبَ بيتا نقبتُ عن قلبه، ومَنْ نَبَش قبرًا دفنتُه فيه حيًّا، فكُفُّوا أيديكم وألسنتكم أَكُفَّ عنكم . وقد كانت بينى وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أذنى وتحت قَدَمى، فمن كان محسنًا فليزدَدْ، ومن كان مسيئا فلينزِعْ . إنّى لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغْضى لم أكشف له قِناعا ولم أهتِكْ له سِترا، حتى يُبدىَ لى صَفْحتَه، فإذا فعل ذلك لم أُناظره؛ فأعينوا على أنفسكم وأْتنفوا أمركم .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة (٢)

دخل وهو متقلِّدٌ سيفًا متنكِّبٌ قوسا عربية، فعلا المنبرَ فقال :

أنا ابنُ جَلَا وطلّاع الثَّنَايَا * متَى أضَعِ العِمامةَ تعرِفُونى

---

(١) هذه الخطبة وردت فى المصادر المتقدّمة، ما عدا النوادر لأبى علىّ القالى، فى ثنايا خطبته البتراء . (٢) وردت هذه الخطبة فى كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكامل للبرد (ص ٢١٥ طبع ليبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة ليدن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير فى بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين نَكَبَ[(١)] عيدانَه بين يديه ، فوجدنى أمرَّها عُوداً وأصْلَبَها مَكْسِرا ، فوجَّهنى إليكم . ألَا فوالله لأَعْصِبَنَّكم[(٢)] عَصْبَ السَّلَمَة ، ولأَلْحُوَنَّكم لَحْوَ العُود ، ولَأَضرِبنّكم ضربَ غرائبِ الإبل[(٣)] ، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم ، وحتى يقولَ القائل : "أَنْجُ سعدُ فقد قُتِل سُعَيْد"[(٤)] . ألَا وإيّاى وهذه السُّقَفَاء[(٥)] والزَّرَافاتِ ، فإنّى لا أُوتَى بأحد من الجالسين فى زَرَافةٍ إلا ضربتُ عُنُقَه . هكذا حدّثنيه أحمد بن سعيد عن أبى عُبَيد فى كتاب غَرِيب الحديث . وقال لى غيره : هو إيّاىَ وهذه الشُّفَعاءَ والزَّرافات . وقد فسّرتُ الحديثَ فى كتابى المؤلَّف فى غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضا

أَرْجَفَ الناسُ بموت الحجّاج ، فخطب فقال :

إنّ طائفةً من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نَزَغَ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات الحجاج ومات الحجاج ! فَمَهْ ! وهل يرجو الحجّاج الخيرَ إلا بعد الموت ! والله ما يسرُّنى ألّا أموتَ وأنّ لى الدنيا وما فيها ! وما رأيت اللهَ رضِىَ بالتخليد إلا لأهونِ خَلْقه عليه إبليس . ولقد دعا اللهَ العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل!

(١) نكب عيدانه : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاه يتخذ منه القرظ الذى يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلا فى التهديد والإنذار. (٤) تقدم شرحه فى خطبة زياد. (٥) فى اللسان مادّة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إياى وهذه السقفاء) فلا يعرف ما هو ؛ وحكى ابن الأثير عن الزمخشرى قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفعاء جمع شفيع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون فى أصحاب الجرائم فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر كما نهاهم عن الاجتماع فى قوله : إياى وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل! . كأنى والله بكلّ حىٍّ منكم ميّتًا ، وبكل رطبٍ يابسًا ، ونُقِل فى ثيابِ أكفانه إلى ثلاثِ أذرُعٍ طُولا فى ذِراع عَرْضا ، وأكلتِ الأرضُ لحمَه ومَصّتْ صديدَه ، وانصرف الحبيبُ من ولده يقْسِم الخبيثَ من ماله ؛ إن الذين يعقِلون يعلَمون ما أقول ، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أيها الناس إنى أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابنى هذا ، وأوصيتُه بخلاف ما أوصَى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] فى الأنصار ؛ إن رسول الله أوصَى أن يُقبَلَ من مُحسنهم ، وأن يُتجاوَزَ عن مُسيئهم ؛ وإنى أمرتُه ألّا يَقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم . ألَا وإنكم ستقولون بعدى مقالةً لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى ، ستقولون بعدى : لا أحسَنَ اللهُ له الصَّحابة! ألَا وإنى مُعجِّلٌ لكم الجوابَ : لا أحسَنَ الله لكم الخِلافة ، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال فى خطبته : سَوْطى سيفى ، فنِجادُه(١) فى عُنُقى ، وقائمُه فى يدى ، وذُبَابه قِلادةٌ لمن اغترّ بى! فقال الحسن : بُؤْسًا لهذا! ما أغرّه بالله ! .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار ، ثم أتى امرأتَه فمنعته نفسَها ؛ فأتى ابنَ سِيرِين يستفتيه ؛ فقال : يابن أخى ، امضِ فكن مع أهلك ، فإنّ الحجّاجَ إن لم يكن فى النار لم يَضُرَّك أن تزنىَ .(٢)

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذى يضرب به .

(٢) فى الاصل : لحلف رجل ... .

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه[1]

حدّثنى أبو سَهْل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيب بن صَفْوان عن رجل من آل سَعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبةٍ خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أَنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبَثًا، ولن تُتْركوا سُدًى، وإنّ لكم مَعادًا يَنزِلِ اللهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخَسِر من خَرَج من رحمة الله وحُرِمَ جنّـةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ . ألم تعلموا أنه لا يأمَن غدًا إلا من حَذِر اليومَ وخاف، وباع نافدًا[2] بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان! ألا ترون أنكم فى أَسْلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين كذلك، حتى تُرَدّ[3] إلى خير الوارثين ! ثم إنكم فى كل يوم تُشـيِّعون غاديًا ورائحًا إلى الله قد قَضَى نَحْبَـه ، حتى تُغيّبوه فى صَـدْعٍ من الأرض فى بطن صَدْع غير مُوَسَّد ولا ممهَّد، قد فارَق الأحباب وباشرَ الترابَ وواجه الحسابَ، فهو مرتَهَنٌ بعمله ، غَنيٌّ عما ترك فقير إلى ما قدّم . فاتّقُوا الله قبل انقضاء مَوَاقِيته ونزولِ الموت بكم! أَمَا إنى أقول هـذا وما أعلم أنّ عنـد أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندى، فأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه . ثم رفع طَرَفَ رِدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلالَه ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكون ، لا يَعـلم كيف أنت إلا أنت، ثم ارتأيتَ أن تخلُقَ الخَلْق، فماذا جئتَ به من عجائب صُنْعك،

---

(١) وردت هـذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥) بزيادة عما هنا . (٢) فى الأصل : «وباع ناقدا...» بالقاف وهو تحريف . (٣) فى الأصل : «وسيكون ... حتى يرد ...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذَرْئك : من صُنوف أفواجه وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجتَ قوائم الذَّرّة والبَعُوضة إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التى امتزجتْ بالأرواح ! .

وخَطَب يوما فسقطتْ جَرادةٌ على ثوبه فقال : سبحانَ مَن الجرادةُ من خلقه ، أدمَجَ قوائمها ، وطوّقها جَنَاحها ، ووَشّى جلدَها ، وسَلّطها على ما هو أعظمُ منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفَظُوا فُروجكم ، وخُذوا الأنفس بضميرها ، فإنها أسوكُ(١) شىء إذا أُعْطِيَتْ ، وأعصَى شىء إذا سُئلت . وإنى رأيت الصبر عن محَارمِ الله أيسَرَ من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دارُ غُرورٍ ومنزلُ باطلٍ ، تُضحك باكيًا وتُبْكى ضاحكا ، وتُخيف آمنا وتؤمن خائفا ، وتُفقر مُثريا وتُثرى مُقْتِرا ، ميَّالةٌ غرَّارة لَعّابة بأهلها ! عبادَ الله ! اتّخذوا كتاب الله إمامًا ، وارتضُوا به حَكَمًا ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبله ولم ينسَخْه كتابٌ بعده . اعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يجلو كَيْدَ الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس ، ظلامَ(٢) الليل إذا عسعس .

---

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفى الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس الصبح : تبلج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيهـا الناس ، والله ما خرجت أَشَرًا ولا بَطَرا ولَا حِرْصًا على الدنيا ولا رغبــةً فى الملك ، وما بى إطراءُ نفسى ، وإنى لظَلُومٌ لهـا إن لم يرحَمْنى الله ، ولكن خرجت غَضَبًا لله ودينه ، داعيًا إلى الله وإلى سنّة نبيّه ، لَمَّـا هُدمت معالمُ الهدى ، وأُطفِئ نورُ أهلِ التقوى ، وظَهَر الجبّار العَنِيد ، المستحِلُّ لكل حُرْمة ، والراكبُ لكل بِدْعة ، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لَابْنُ عَمِّى فى النَّسَب وكَفِيئى فى الحَسَب ؛ فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله فى أمره وسألته ألّا يَكِلَنى إلى نفسى ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابنى من أهل وِلايتى ، حتى أراح الله منه العبـادَ ، وطهّر منه البلاد ، بحَوْله وقُوّته لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس ، إنّ لكم علىّ ألّا أضَعَ حَجَرًا على حجر ، ولا لَبِنةً على لبنة ، ولا أَكْرِى[1] نهرا ، ولا أكنِزُ مالا ، ولا أُعطيه زوجًا ولا وَلَدًا ، ولا أنقُلُه من بلد إلى بلد حتى أسُدَّ نقرَ ذلك البلد وخَصاصةَ أهله ، فإنْ فَضَلَ فضلٌ نقلتُه إلى البلد الذى يَليه . ولا أُجَمِّرَكم[2] فى بُعُوثكم فأفتنَكم وأفتِنَ أهليــكم ، ولا أُغلِق بابى دونكم فيأكُلَ قَوِيُّكم ضعيفَكم ، ولا أحمِلُ على أهل جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم وأقطَعُ به نَسْلَهم . ولكم علىّ إدرارُ العَطَاء فى كل سنةٍ والرزقِ فى كل شهر ، حتى يستوىَ بكم الحال فيكونَ أفضـــلُكم كأدنا كم . فإن أنا وَفَيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة[3] ، وإن لم أَفِ لكم [فلكم][4] أن تخلعونى * إلا أن تستتيبونى[5] ، فإن أنا تبت

---

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تجمير العساكر : حبسهم فى بلاد العدوّ أو الثغور . دون أن يرجعوا الى أهليهم . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : «ولا أجمركم فى ثغوركم» . (٣) المكانفة : المعاونة . (٤) التكملة منقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) وفى الأصل تستسيئونى ، إن تبت ... .

قبلتم منى ، وإن عرفتم أحدا [يقوم مَقامى ممن](١) يُعرف بالصَّلاح يُعطيكم من نفسه مثلَ الذى أعطيتُكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أوّلُ مَنْ بايعه ودَخَل فى طاعته .

أيها الناس، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر اللهَ العظيمَ لى ولكم .

فلما بُويع مَرْوانُ نَبَشَه وصَلَبه . وكانوا يقرءون فى الكتب : يامبذِّر الكنوز ويا سجّادًا بالأسحار، كانت ولايتُك لهم رحمةً وعليهم حجّة، أخذوك فصَلَبوك .

خطبة أبى حمــزة الخارجىّ(٢)

خطب أبو حمزةَ الخارجىّ بمكة فذكر رسولَ الله صلى الله عليه [وسلم]، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله، ثم قال : ووَلِىَ عثمانُ فسار ستَّ سنين بسيرة صاحبَيْه وكان دونَهما، ثم سار فى الستّ الأواخر بما أحبط [به](٣) الأوائل، ثم مضى لسبيله . ووَلِىَ علىٌّ فلم يَبْلُغ من الحقّ قَصْدًا ولم يرفعْ [له](٣) مَنَارا، ثم مضى لسبيله . ثم وَلِى معاوية لَعينُ رسولِ الله وابنُ لعينه، اتّخذ عبادَ الله خَوَلًا، ومالَ الله دُوَلًا، ودينَه دَغَلا، ثم مضى لسبيله، فالْعَنُوه لعنه الله . ثم ولِى يزيدُ بن معاوية، يزيدُ الخمور، ويزيد القُرود، ويزيد الفهود، الفاسقُ فى بَطْنه والمأبون فى فَرْجه . ثم أقتصَّهم خليفةً خليفةً . فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرضَ عن ذكره . ثم ذكر يزيدَ بنَ عبد الملك فقال : يأكلُ الحرامَ، ويلبَس الحُلّة بألف دينار، قد ضُرِبَت فيها الأبشارُ، وهُتِكت الأستار، حَبَابةُ عن يمينه وسَلّامة عن يَساره تغنّيانه، حتى إذا أخَذَ الشرابُ فيــه كلَّ مأخَذ قدَّ ثوبَه ثم التفتَ إلى إحداهما فقال : ألَا أَطير! نعم! طِرْ إلى النار . ثم ذكر أصحابَه

---

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦١) . (٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين .

فقال : شبابٌ واللهِ مُكتهلون فى شَبَابِهم ، غَضيضةٌ عن الشر أعينُهم ، ثَقِيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أَنْضاءُ عِبادة ، وأَطْلاح سَهر،(١) ينظُرُ اللهُ إليهم فى جوف الليل مُنْحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبَهم وأيديَهم وجِبَاهَهم ، واستقَلُّوا ذلك فى جَنْب الله ، حتى إذا رأَوُا السِّهام قد فُوِّقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرِعتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيتْ ، وأَرْعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، وتخضّبتْ محاسِنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت إليه سِباعُ الأرض وانحطَّتْ إليــه طيرُ السماء ، فكم من عيْنٍ فى مِنْقار طائرٍ طالمـا(٢) بَكَى صاحبُها فى جوف الليـــل من خوف الله ! وكم من كفٍّ زَايَلَتْ مِعْصَمَها طالمـا اعتَمَد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أَوْه أَوْه(٣) وبكى ثم نزل .

خطبة لقَطَرِىّ الخارجىّ(٤)

ذَكَر فيهـا الذين قالوا مَنْ أشدُّ منّا قوّةً ، فقال : حُمِلُوا إلى قُبُورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْبَانا ، وأُنْزِلوا فلا يُدعون ضِـيفانا ، وجعلوا(٥) لهم من الضَّرِيح أَجْنـانا(٦) ، ومن التراب أكفانا ، ومن الرُّفَات جِيرانا ؛ فهم جِيرةٌ لا يُجيبون داعيًا ولا يَمنعون ضَيما ، إن

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) فى الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أوّه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهى : آوّه (بالمد وسكون الهاء) وأوّه بضم الهـاء وآووه (بالمد وواوين) وأوه (بكسر الهاء) خفيفة وأوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) فى البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبوا لم يفرحوا، أو أَقْحَطوا لم يَقْنَطوا، جميعٌ أوحادٌ، وجيرةٌ أَبْعاد، لا يَزُورون ولا يُزارون . فاحذَرُوا ما حَذّركم الله، وانتفِعوا بمَوَاعظه واعتصِموا بحبله .

وفى خطبة ليوسف بن عمر :

اِتقوا اللهَ عبادَ الله ! فكم من مُؤَمِّلٍ أملًا لايبلُغه، وجامعِ مالًا لا يأكله، ومانعٍ ماسوف يَتركُه، ولعله من باطلٍ جَمَعَه، ومن حقٍّ مَنَعَه، أصابه حرامًا ووَرَّثَه عدوًا، احتمل إِصْرَه[(١)] وباءَ بوِزْره، ووَرَد على ربّه آسفًا لاهفًا، قد خَسِر الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخُسْرانُ المبين .

وفى خطبة للحجاج :

قال مالك بن دِينار: سمعته على المنبر يقول: اِمرأً[(٢)] زوّر عمله اِمرأً حاسَبَ نفسَه، اِمرأً فكّر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه، اِمرأً كان عند هواه زاجرا، وعند هَمِّه[(٣)] آمرا، أَخَذ بعنان قلبه[(٤)] كما يأخُذ بخِطام جَمَله، فإن قاده إلى طاعة الله تَبِعه، وإن قاده إلى معْصية الله كَفَّه .

خطبــة للمنصــور

خطب المنصور بمكة فقال : أيها الناس، إنما أنا سلطانُ الله فى أرضه، أسوسُكم بتوفيقه وتَسْديده وتأييده وتَبْصيره، وخازنُه على فَيْئه أعمَلُ فيه بمشيئته[(٥)]، وأَقْسِمه بإرادته، وأُعطيه بإذنه، قد جَعَلَنى عليه قُفْلا إذا شاء أن يفتَحَنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم فتحنى، وإذا شاء أن يُقفِلَنى عليها أقفلنى . فَارْغَبُوا إلى الله وَاسألوه

---

(١) الإصر : الثقل . (٢) فى العقد «امرؤ ...» بالرفع . وزوّر عمله : حسنه .
(٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفى الأصل «عند قلبه ...» . (٤) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : «بعنان عمله ...» . (٥) كذا فى العقد الفريد، وفى الأصل : «بشيئه ...» .

فى هذا اليوم الشريف الذى وَهَبَ لكم فيه من فَضْله ما أعلمكم فى كتابه ، إذ يقول : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يُوَفِّقنى للصَّواب والرشاد ، ويُلْهِمَنى الرأفة بكم والإحسانَ إليكم ، ويَفْتَحنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم .

خطبة لداود بن علىّ

خطب فقال : أحرزَ لسانٌ رأسَه ، اتّعظ ٱمرؤٌ بغيره ، اعتبرَ عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَر به ، فأمسكَ الفَضْلَ من قوله وقدّم الفضــلَ من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : إن بكم داءً هذا دواؤُه ، وأنا زعيمٌ لكم بشفائه ، وما بعد الوعيدِ إلّا الإيقاع .

خطبة لداود بن علىّ أيضا

لمـا قام أبو العبّاس فى أوّل خلافته على المنبر قام بوجهٍ كورقة المصحف فٱستَحْيا فلم يتكلَّم ؛ فنَهَض داودُ بن علىّ حتّى صَـعِد المنبر ، فقال المنصور : فقلت فى شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليــه ٱثنان ، فٱنتضَيْتُ سيفى وغَطَّيت ثوبى وقلتُ : إن فَعَلَ ناجزتُه ، فلما رَقِىَ عَتَباً استقبل الناسَ بوجهه دون أبى العباس ، ثم قال : أيهـا الناس ، إن أميرَ المؤمنين يَكْرَه أن يتقدّم قولُه فعلَه ، ولَأَثَرُ الفِعال عليكم أجْدَى من تَشْقيق المَقَال[1] ، وحســبُكم بكتابِ الله مُمْتَثَلاً فيكم ، وٱبنِ عمِ رســولِ الله خليفةً عليكم . والله قَسَمًا بَرًّا لا أُريد إلّا اللهَ به ما قام هــذا المقامَ أحدٌ بعد رســول الله أحقُّ به من علىّ بن أبى طــالب وأميرِ المؤمنين هــذا ، فلْيَظُنَّ ظانُّكم ولْيَهْمِسْ هامسُكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشِمْتُ[2] سيفى .

---

(١) تشقيق الكلام : إخراجه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمده ، ويستعمل بمعنى سل أيضا .

خطبة لأعرابىّ (١)

أمّا بعد، فإن الدنيا دارُ بَلاء والآخرةَ دارُ بقاء، فخُذُوا أيها الناس لمَقَرّكم من مَمَرّكم، ولا تَهْتِكوا أستارَكم عند من لا يَخْفَى عليه أسرارُكم، ففى الدنيا أُحييتم ولغيرها خُلقتم. أقول قولى هذا، والمستَغْفَرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه، ومستوجِبه على خَلْقه، أحمَدُه وأستعينُه وأُومن به وأتوكّل عليه، وأشهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمّدًا عبدُه ورسولُه، أرســله بالهُدَى ودِينِ الحقّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلّه ولو كَرِهَ المُشْرِكون . أُوصيكم عِبادَ الله بتقوى الله وحدَه، والعمل لمـا عنده، والتنجُّز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلَم إلا من اتّقاه ورَجَاه، وعَمِل له وأَرْضاه . فاتّقوا اللهَ عبادَ الله وبادِرُوا آجالَكم بأعمالكم، وآبتاعُوا مـا يبقَى بما يزولُ عنكم، وترحّلوا فقد جُدَّ بكم، واستعِدُّوا للموت فقد أظلّكم، وكُونوا قومًا صِيحَ بهم فآنتبهُوا، وعلَموا أنّ الدنيا ليستْ لهم بدار فآستَبْدَلوا؛ فإنّ الله لم يخلُقكم عبثًا ولم يترُكْكم سُدًى؛ وما بين أحدِكم وبين الجنّــة والنار إلا الموتُ أنْــ يَنزِلَ به . وإنّ غايةً تنقصُها اللحظةُ وتهدِمها الساعةُ الواحدةُ لجديرةٌ (٢) بقِصَر المُدّة، وإنّ غائبًا يحدُوه الجديدانِ الليلُ والنهارُ لَحَرِىٌّ بسُرعة الأَوْبة، وإنّ قادمًا يحُلّ بالفوز أو بالشِّقْوة لمستحِقٌّ لأفضل العُدّة، فآتّق عبدٌ ربَّه، ونَصَحَ نفسَه، وقَدّم توبتَه، وغَلَب شهوتَه، فإنّ أجلَه مستورٌ عنه، وأملَه خادعٌ له، والشيطان مُوكَّلٌ به : يُزَيّنُ له المعصيةَ ليركبَها، ويُمَنّيه التوبةَ ليُسَوّفها، حتى تهجُمَ

---

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية) زيادة عما فى الأصل هنا .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) . وفى الأصل : «جدير» .

عليه منيَّتُه أغفلَ ما يكون عنها . فيالها حسرةً على ذى غَفْلة : أن يكون عمرُه عليه حُجّةً ، أو تؤدِّيَه أيامُه إلى شِقْوة ! نسألُ الله أن يجعلَنا وإيّاكم ممن لا تُبطِره نعمة ، ولا تُقَصِّر به عن طاعته غَفْلة ، ولا تَحُلّ به بعد الموت فَزْعة[1] ؛ إنه سميع الدعاء ، وبيده الخيرُ ، وإنه فعّالٌ لمـا يُريد .

وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأوّل :

إنَّ يومكم هـذا يومٌ أبانَ الله فضلَه ، وأوجبَ تشريفَه ، وعَظّم حُرْمته ، ووفّق له من خَلقه صفوتَه ، وٱبتَلَى فيـه خليلَه ، وفَدَى فيـه من الذّبْح نبيَّه ، وجعله خاتمَ الأيامِ المعلومات من العَشْر ، ومتقدِّم الأيام المعدودات من النَّفْر ؛ يومٌ حرامٌ من أيّام عِظام فى شهرٍ حَرَام ، يومُ الحجِّ الأكبر ، يومٌ دعا اللهُ إلى مَشْهَده ، ونَزَل القرآنُ بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ الآيات ؛ فتقرّبوا إلى الله فى هـذا اليوم بذبائحكم ، وعَظِّموا شعائرَ الله وٱجعلوها من طَيِّبِ أموالكم وبصحّة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿لَنْ يَنَـالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَـٰكِنْ يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ ؛ ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبىّ والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنـة والنار : عَظُمَ قدرُ الدارين وٱرتفع جزاءُ العملين[2] وطالت مدّة الفريقين اللهَ اللهَ ! فوالله إنه الجِـدُّ لا ٱللّعِبُ ، وإنه الحقُّ لا الكذِب ، وما هو إلا الموت والبَعْث والمِيزان والحِساب والقِصَاص والصِّراط ثم العقاب والثَّواب ، فمن نجَا يومئذٍ فقـد فاز ، ومن هَوَى يومئذ فقـد خاب . الخيرُ كلّه فى الجنّـة ، والشرُّ كله فى النـار .

---

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفى الأصل « سرعة » .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفى الأصل : «العاملين» .

وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأوّل :

إنّ يومكم هذا يومُ عيدٍ وسُنّة وٱبتهال ورغبة ، يومٌ خَتَم الله به صيامَ شهر رمضان وٱفتتح به حَجّ بيته الحَرام ، فجعله خاتمةَ الشهر وأوّلَ أيامِ شهور الحجّ ، وجعله مُعقِّبا لمفروض صيامكم ومُتنفَّلِ قيامكم ، أحلَّ فيه الطعامَ لكم وحرَّم فيه الصيامَ عليكم ؛ فٱطلبوا إلى الله حوائجَكم وٱستغفروه لتفريطكم ، فإنه يُقال : لا كبيرَ مع ٱستغفار ، ولا صغيرَ مع إصرار . ثم التكبير والتحميد وذكر النبيّ عليه السلام والوصية بالتقوى . ثم قال : فٱتقوا الله عبادَ الله وبادروا الأمرَ الذى ٱعتدَلَ فيه يقينكُم ، ولم يحتضر الشكُّ[(1)] فيه أحدًا منكم ، وهو الموت المكتوبُ عليكم ، فإنه لا تُستقالُ بعدَه عَثْرةٌ ، ولا تُحْظَر قبله توبة . وٱعلموا أنه لا شيءَ قبله إلا دونَه ولا شيء بعده إلا فوقَه . ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزِه[(2)] وكُرَبه ، ولا يُعين على القبر وظُلْمته وضِيقه ووَحْشته وهَوْل مَطْلَعه ومسألة ملائكته ، إلا العملُ الصالحُ الذى أمر الله به . فمن زَلَّتْ عند الموت قَدَمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته ٱستقالتُه ، ودعا من الرَّجْعة إلى ما لا يجابُ إليه ، وبذَل من الفِدْية ما لا يُقْبَلُ منه . فٱللهَ اللهَ عبادَ الله ! وكونوا قوماً سألوا الرَّجْعةَ فأُعْطُوها إذ مُنِعَهَا الذين طَلَبوها ؛ فإنه ليس يتمنَّى المتقدّمون قبلكم إلا هذا المهلَ[(3)] المبسوطَ لكم . وٱحذَرُوا ما حذَّركم الله ، وٱتقُوا اليومَ الذى يجمعكم الله فيه لوَضْع مَوَازينكم ، ونَشْر صُحُفكم الحافظةِ لأعمالكم . فلينظُرْ عبدٌ ما يَضَعُ فى مِيزانه مما يثقل به ، وما يُمِلُّ[(4)] فى صحيفته الحافظةِ لما عليه وله ؛ فقد حَكَى الله لكم ما قال المفرِّطون عندها إذ طال إعراضُهم عنها ، قال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الآية . وقال : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ . ولستُ أنهاكم عن الدنيا بأعظمَ مما نهتكم

---

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) العلز بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب . (٣) فى العقد الفريد : «الأجل» . (٤) يُمِلّ : يُملى .

الدنيا عن نفسها، فإنه كلُّ مالها ينهى عنهـا، وكل مافيها يدعو إلى غيرها. وأعظمُ مما رأته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونَهْىُ الله عنها، فإنه يقول: (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) وقال: (إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية. فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها، واعلَموا أنَّ قوما من عباد الله أدركتْهم عِصمةُ الله فحَـذِروا مَصَارِعَها، وجانَبُوا خداعها، وآثروا طاعةَ الله فيها، فأدركوا الجنَّة بمـا تركوا منها.

كلام مَنْ أُرتِجَ عليه

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثنا عيسى بن عمر قال: خَطَب أميرٌ مرّةً فانقطع فخجل، فبعث إلى قومٍ من القبائل عابوا ذلك ولَقَّهم[1]، وفيهم يَرْبوعيٌّ جَلْد، فقال: اخطُبُوا؛ فقام واحدٌ فمرّ فى الخطبة، حتى إذا بلغ "أما بعد" قال: أما بعد أما بعد، ولم يدرِ ما يقول، ثم قال: فإنّ امرأتى طالقٌ ثلاثاً، لم أُرِد أن أجمع اليوم فمنعتْنى. وخطب آخر، فلما بلغ "أما بعد" بَقِىَ ونَظَرَ فإذا إنسان ينظر إليه، فقال: لعنك الله! ترى ما أنا فيه وتلمَحنى ببصرك أيضا! . قال وقال أحدهم[2]: رأيتُ القَرَاقِيرَ[3] من السُّفُن تجرِى بينى وبين النـاس. قال: وصَعِد اليربوعيُّ فخطب فقال: أمّا بعدُ فواللهِ ما أدرِى ما أقولُ ولا فِيمَ أقمتمونى، أقول ماذا؟ فقال بعضهم: قل فى الزيت؛ فقال: الزيتُ مبارك، فكُلُوا منه وادّهِنوا. قال: فهو قولُ الشُّطّار[4] اليوم إذا قيل: لم فعلت ذا، فقل فى شأن الزيت وفى حال الزيت.

ولمـا أتى يزيدُ بن أبى سُفْيان الشام واليًا لأبى بكر رضى الله عنه، خطب فأُرتِج عليه، فعاد إلى الحمد لله فأُرتِج عليه، فعاد إلى الحمد لله ثم أرتج عليه، فقال: يا أهل

---

(١) لقهم: جمعهم. (٢) فى الأصل: «أحدهما». (٣) القراقير: السفن العظيمة، واحدها قرقور. (٤) الشطار: جمع شاطر، وهو من أعيا أهله خبثا، والمراد بالشطار هنا: أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتنكيت والمضحكات.

الشأم عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسرا، ومن بعد عِيٍّ بيانا، وأنتم إلى إمامٍ عادل (١) أحوجُ منكم إلى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعِد ثابتُ قُطْنَة (٢) منبرًا بسِجِسْتان فحمِد الله ثم أُرتِج عليه، فنزل وهو يقول :

فإلّا أكُنْ فيكم خطيبًا فإنّنى * بسيفى إذا جَدّ الوَغَى لخَطيبُ

فقيل له : لو قلتَها على المنبر كنتَ أخطبَ الناس .

وأُرتِج على عبد الله بن عامر بالبَصْرة يومَ أَضْحَى ، فمكث ساعةً ثم قال : والله لا أجمَعُ عليكم عِيًّا ولُؤْمًا، من أخَذَ شاةً من السُّوق فهى له وثمنُها علىّ .

وأُرتِج على خالد بن عبد الله القَسْرىّ فقال : إن هذا الكلامَ يجىء أحيانًا ويعزُبُ أحيانا، وربما طُلِب فأَبَى، وكُوبِر فعسا (٣)، فالتّأنّى لمجيّه، أيسرُ من التّعاطى لأبيّه، وقد يَختَلِط من الجرىء جَنَانُه، وينقطعُ من الذَّرِب لسانُه، فلا يُبْطِره ذلك ولا يكْسِره، وسأعودُ إن شاء الله .

وأُرتِج على مَعن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : "فَتَى حُرُوبٍ لا فَتَى مَنَابِر" .

وكان عبد ربِّه اليَشْكُرِىّ عاملًا لعيسى بن موسى على المدائن، فصعِد المنبرَ فحمِد الله وأُرتِج عليه فسكت، ثم قال : والله إنى لأَكون فى بيتى فتجىءُ على لسانى ألفُ كلمة، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرى، ولقد كنتُ وما فى الأيّام يومٌ أحبُّ إلىّ من يوم الجمعة، فصِرْتُ وما فى الأيام يومٌ أبغضُ إلىّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلّا لخطبتكم هذه .

---

(١) فى المصادر التى بين أيدينا : «إلى أمير فاعل ...» . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به لأن عينه أصيبت بسمرقند ، فكان يحشوها بالقطن . وصحت إضافة ثابت إلى قطنة لأن الأسماء تصح إضافتها إلى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْح بن حاتم المنبرَ، فلما رأى جَمْعَ الناسِ حَصِر، فقال : نَكِّسوا رءوسَكم وغُضُّوا أبصاركم، فإنّ أوّلَ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وإذا يَسّر الله فَتْحَ قُفْل تيسّر .

ودُعِي رجلٌ ليخطب فى نكاح فحَصِر، فقال : لَقِّنوا موتاكم شهادةَ أنْ لا إلهَ إلا الله، فقالت آمرأةٌ حضرتْ : ألهذا دعوناك ! أماتك الله ! .

قال عُبَيد الله بن زِياد : نِعْمَ الشيءُ الإمارةُ لولا قعقعةُ البريد والتّشرّف للخُطَب

قيل لعبد الملك : عَجِّلَ عليك الشَّيبُ، فقال : كيف لا يُعجِّل علىّ وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مَرّةً أو مرتين .

ووَلِىَ رجلٌ من بنى هاشم يُعْرَف بالدَّنْدَان بحر اليمامة . فلمّا صعد المنبر أُرتِج عليه، فقال : حَيّا الله هذه الوجوهَ وجعلنى فِداءَها، إنّى قد أَمرتُ طائفى بالليل ألّا يرى أحدًا إلا أتانى به وإن كنت أنا هو[1] . ثم نزل .

المنــابر

قال بعض المفسّرين فى قول الله جلّ وعزّ:(وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) إنّه المنبر . وقال : الشــاعر :

لنا المساجدُ نَبْنِيها ونَعْمُرُها * وفى المنابر قَعْداتٌ لنا ذُلُلُ
فلا ثَقِيــلُ عليها حين نركَبُها * ولا لهنّ لنا من مَعْشَرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْت يذكر بنى أُميّة :

مُصيبٌ على الأعوادِ يومَ رُكُوبِهِ * لِــا قال فيها، مُخطئٌ حين ينزِلُ
يُشَبِّهها[2] الأشــباهَ وهى نَصِيبُه * له مَشْرَبٌ منهــا حرامٌ ومأكَلُ

(١) كذا فى الأصل والعقد الفريد، وقواعد اللغة تقتضى أن يكون : « ولو كنت أنا إياه » .
(٢) الضمير للدنيا .

وقال بعض المُحْدَثين:

فما منبرٌ دَنَّسته باستِ "أفكلٍ" * بزاكٍ ولو طهّرته بآبن "طاهرِ"

ومرّ الأُقَيْشر بمَطَر بن نَاجِية اليربوعىّ حين غَلَب على الكوفة فى أيام الضَّحّاك ابن قيس الشّارى ومَطَرٌ يخطُبُ، فقال :

أبنى تميم ما لمنــبرِ مُلْككم * لا يستــمِرّ قعــودُه يتَمَــرْمرُ[1]

إنّ المنابرَ أنكرتْ أشــباهكم[2] * فآدعُوا خُزَيْمةَ يستــقِرّ المنــبرُ

خلعُوا أميرَ المؤمنــين و بايَعُوا * مَطَرًا لعمرُك بَيْعــةً لا تظهرُ

وآستخلفوا مطرًا فكان كقائلٍ * بَدَلٌ لعمرُك من أُميّــة أعورُ

خَطَب قُتَيْبة بن مُسْــلم على منبر خُرَاسان فسَقَط القضيبُ من يده، فتفاءل له عدوّه بالشرّ وآغتمّ صديقُه، فعرَف ذلك قُتَيبة فقال : ليس الأمرُ على ما ظَنّ العدوّ وخاف الصديقُ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقتْ عَصَاها وآستقرّ بها النّوَى * كما قرّ عَيْنًــا بالإيابِ المُســافرُ

وقال واثلةُ بن خَليفة السَّدُوسىّ يهجو عبد الملك بن المُهَلَّب :

لقد صَــبَرتْ للذُّلّ أعواد منبرٍ * تقوم عليها فى يديك قضيبُ

بكى المنبرُ الغربىّ إذ قُمْتَ فوقَه * وكادت مساميرُ الحديد تذوبُ

تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبــار لآبن قتيبة رحمه الله، ويتلوه فى الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

---

(١) يتمرمر : يتحرك .

(٢) فى الشعر والشعراء للؤلف (ص ٣٥٣) «أنكرت أستاهكم» .

صورة ماكتبه الناسخ بخطه فى آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُنِيَ الإســلامُ على خمسة : التواضـع عند الدولة، والعفو عند القدرة، والسخاء مع القِلّة، والعطيّة من غير مِنّة، والنصيحة للعامّة .

وقال بعض الشعراء فى الصبر :

وإذا ٱبتُليتَ بمِحْنةٍ فٱلبسْ لهـا * ثوبَ السكوتِ فإنّ ذلك أسلمُ
لا تشكوَنّ إلى العباد فإنما * تشكو الرحيمَ إلى الذى لا يَرْحَمُ

ويُرْوَى للشافعىّ رضى الله عنه :

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا * وما لزماننـا عيبٌ سوانا
وقد نهجُو الزمانَ بغير جُرْمٍ * ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التصـنُّعُ والترائى * ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ * ويأكلُ بعضُنا بعضًا عِيانا

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ إلى أنبيائه عليهم السلام

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدّثنا خَلَف بن تَميم عن أبي عِصْمَة[1] الشاميّ عن ابن أخت وهب بن منبِّه عن وهب قال : أوحَى الله إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له "أَرْمِياء" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظَهْرانَيْ قومك فأخبرهم أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون، وأعينا ولا يبصرون، وآذانا ولا يسمعون، وأنّي تذكّرتُ صلاحَ آبائهم ، فعطّفني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غِبَّ طاعتي ، وهل سعِد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي، وهل شقِيَ أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي! إنّ الدوابَّ تذكُرُ أوطانَها فتنزِعُ إليها ، وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمتُ عليه آباءهم ، والتمسوا الكرامةَ من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّي ؛ وأما قرّاؤهم

(١) لم نعثر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد الأملوكي (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شاميّ مجهول يروي عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ، ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي وممن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه مروزيّ وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني في اسم عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فعبدوا غيرى؛ وأمّا نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما عُلّمُوا من حكمتى؛ وأمّا وُلاتهم فكذَبوا علىّ وكذّبوا رسلى، خزنوا المكر فى قلوبهـــم، وعوّدوا الكذبَ ألســنَتَهم؛ وإنى أقسم بجـــلالى وعزتى لأُهيّجنّ عليهـــم جنودا لايفقهون ألســنتهم، ولا يعرفون وجوههـــم، ولا يرحمون بكاءهم، ولأبتعثن فيهـــم ملِكا جبّارا قاســيا، له عساكر كقِطَع الســحاب، ومواكبُ كأمثــال العَجَاج، كأنّ خَفَقانَ راياته طَيرانُ النسور، وكأنّ حمــلَ فُرسانه كرُّ العِقبان، يعيــدون العُمران خرابا، ويتركون القُرى وحشةً. فياويلَ إيلياء(١) وسُكانِها! كيف أُذلِّلهم للقتل، وأُسلِّطُ عليهم السِّباء، وأعيدُ بعد لَجَبِ الأعراس صُراخَ الهامِ، وبعد صهيل الخيل عُواءَ الذئاب، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع، وبعد ضوءِ السُّرُج رَهَجَ العَجَاج. ولأبدلنّ رِجالهم بتلاوةِ الكتّاب انتهــارَ الأرباب، وبالعــزّ الذلَّ، وبالنعمةِ العبوديّةَ. ولأبدلنّ نساءهم بالطِّيب الترابَ، وبالمشى على الزرابىّ الخِبَبَ(٢)؛ ولأجعلنّ أجســادَهم زبلا للأرض، وعظامَهم ضاحيــةً للشمس. وفى رواية أخرى: ولأدوســنّهم بألوان العذاب، حتى لوكان الكائنُ خاتَمــا فى يمينى لوصَلتِ الحربُ إليــه؛ ثم لآمرنّ السماءَ فلتكوننّ طبَقا من حديد، والأرضَ فلتكوننّ سبيكةً من نحاس، فإن أمطرت السماءُ وأنبتت الأرضُ شيئا فى خلال ذلك فبرحمتى للبهائم، ثم أحبِسه فى زمن الزرع وأُرســله فى زمن الحِصاد، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلّطتُ عليــه الآفةَ، فإن خلَص منــه شىء نزعتُ منه البركةَ، فإن دعَوْنى لم أُجبهم، وإن سألوا لم أعطِهم، وإن بكَوْا لم أرحمهم، وإن تضرّعوا صرفتُ وجهى عنهم.

---

(١) إيلياء: مدينة بيت المقدس.

(٢) الزرابىّ: البسط. والخبب (وزان عنب): الخلق من الثياب.

حدثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى بن مَنَسَّى[1] بن يوسف أن قُلْ لقومك : إنى برىء ممن سَحَـر أو سُحِر له ، أو تكَهَّن أو تُكُهِّن له ، أو تَطَيَّر أو تُطُيِّر له ؛ من آمن بى صادقا فليتوكّل علىّ صادقا ، فكفى بى مثيبا ؛ ومن عدل عنّى[2] ووثِق بغيرى فإنى[3] خير شريك أردّ عليه ما توسّل به إلىّ ، وأَكِلُه إلى من توكل عليه ؛ ومن وكّلته إلى غيرى فليستعدّ للفتنة والبلاء .

وحدثنى بهذا الإسناد قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام فى الزَّبور : ياعبدى الشكور! إنى قد وهبتُ لك الزبورَ ، وأتبعتُــه بنصح منّى من أعين السطور ، ومن الوحى المحفوظ المحجوب من وراء الستور ، فاْعبدْنى به فى الأيام والليالى والشهور ؛ وأحِبنى من كلّ قلبك ، وحبّبْنى إلى خَلْقى ، وأبغِضْ من عبادى كلَّ منافقٍ جهول . قال : يارب ، كيف أُحَبِّبُكَ إلى خلقِك؟ قال : تُذكِّرهم آلائى .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانت صُحُفه أمثالا وعِبَرا وتسبيحا وتمجيدا وتهليلا ، فكان فيها : أيها الملك المسلَّط المغرور المبتـلَى ، إنى لم أبعثك لتجمعَ الدنيــا بعضَها على بعض ولتبنىَ المدائنَ والحصونَ ، ولكن بعثتك لتَرُدَّ عنى دعوةَ المظلوم ، فإنى لا أرُدّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشَعْيا : قم فى قومك أُوحِ على لسانك ؛ فلمـا قام شَعْيا أنطق اللهُ لسانَه بالوحى ، فقال : ياسماءُ اَستمعى ، يا أرضُ أنصتى ، فأَنصتت الأرضُ واَستمعت السماءُ ، فقال : إن الله يقول لكم : إنى استقبلتُ بنى إسرائيــلَ

(١) فى الأصل : « ميشا » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ٤١) طبع بيروت . (٢) كذا فى قصص الأنبياء لأبى اسحاق الثعلبى طبع المطبعة البهية سنة ١٣٠١ هـ وفى الأصول « عدل بى » . (٣) كذا فى الأصول ، وفى قصص الأنبياء «فأنا أغنى الشركاء عن الشركة ، أكله إلى من وثق به دونى . ومن وكلته ... الخ » .

بالكرامةِ وهم كالغنم الضائعةِ لا راعىَ لها، فآويتُ شاذَّتَها، وجمعتُ ضالَّتَها، وجبَرتُ كسيرها، وداويتُ مريضَها، وأسمنتُ مهزولَها؛ فبطِرتْ فتناطحتْ، فقتل بعضُها بعضا حتى لم يبق منها عظمٌ صحيح يُجبر إليه آخرُ كسيرٌ. إن الحمار مما يتذكر آرِيَّه[1] الذى شبع عليه فيراجعه، وإنّ الثور مما يتذكر مَرْجَه الذى سمِن فيه فينتابه، وإنّ البعير مما يتذكر وطنَه الذى نُتِج فيه فينزِع إليه، وإنّ هؤلاء القومَ لا يذكرون أنّى جاءهم الخيرُ وهم أهلُ الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبلٍ ولا بقرٍ ولا حميرٍ. وإنى ضاربٌ لهم مثلا فاسمعوه: قل لهم: كيف ترَوْن فى أرضٍ كانت زمانًا من زمانها خربةً مواتا لا حَرْثَ فيها، وكان لها ربٌّ قوىٌّ حليم، فأقبل عليها بالعِمارة وكرِه أن تخرَبَ أرضُه وهو قوىٌّ وأن يقال له ضيَّع وهو عليم، فأحاط عليها سِياجا وشيَّد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصنَّف فيها غِراسا من الزيتون والرُّمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار، وولَّى ذلك ذا رأيٍ وهمّةٍ حفيظا قويًّا أمينا؛ فلما جاء إبّانُ إثمارها أثمرت خَرُّوبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه؟ قالوا: كنا نقول: بئست الأرض أرضُك، ونشير عليه أن يقلعَ سياجها، ويهدِمَ قصرها، ويدفِنَ نهرها، ويحرق غرسَها حتى تعودَ خربةً مواتا لا عُمرانَ فيها؛ قال الله تعالى: قل لهم، إن السياجَ ذمتى، وإنّ القصرَ شريعتى، وإن النهر كتابى، وإن القيِّم نبيّى، وإن الغرسَ مثَلٌ لهم، والخرّوبَ أعمالُهم الخبيثةُ؛ وإنى قد قضيتُ عليهم قضاءَهم على أنفسهم، يتقرّبون إلىّ بذبح الغنم والبقر وليس ينالنى اللحمُ ولا آكُلُه، ويَدَعون أن يتقربوا إلىّ بالتقوى والكفِّ عن ذبح الأنفس التى حرَّمتُها ويُشيِّدون لى البيوتَ ويزوِّقون لى المساجدَ؛ وأىّ حاجةٍ بى إلى تشييد البيوت ولستُ أسكنُها، وإلى تزويق المساجد ولست أدخلُها؛ إنما أمرتُ برفعها لأُذكَرَ فيها وأُسَبَّح، ويُنجِّسون أنفسهم وعقولَهم

(١) الآرى: محبس الدواب وحبل تشد به فى محبسها.

وقلوبهم ويخرِّبونها، يقولون: لو كان يقدِرُ على أن يجمعَ أُلفتَنا لجمعَها، ولو كان يقدر على أن يُفقِّه قلوبَنا (١) لفقَّهها . فاْعمِـدْ إلى عودَين يابسَين فاْكتب فيهما كتّابا ثم ٱئتِ نادِيَهم أجمـعَ ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعـودا عُودا واحدا؛ فقال لهما ذلك ، فاْختلطا فصارا عُودا واحدا ، وصار الكتّاب فى طرَفَى العـودِ كتّابا واحدا : يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم : إنى قدرت على أن أفقّه العيدانَ اليابسـة وعلى أن أُؤلِّف بينها، فكيف لا أقـدِرُ على أن أجمـعَ أُلفتكم إن شئت ! أم كيف لا أقدِر على أن أؤلِّف قلوبكم ! يقولون: صمنا فلم يُرفَع صيامُنا وصلَّينا فلم تُنَوَّرْ صَلاتُنا (٢) وزكَّينا فلم تَزْكُ زكاتُنا ، ودعَونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عُواء الذئاب، فى كلّ ذلك لا يُسـمعُ منّا ولا يُستجابُ لنا؛ قال الله تبارك وتعالى : سلهم لم ذلك وما الذى منعنى أن أجيبَهم ؟ ألستُ أسْمَعَ السامعين وأبْصَرَ الناظرين وأقْرَبَ المجيبين وأرحم الراحمين ! ألأنّ خزائنى فَنِيَتْ ! كيف ويداى مبسوطتان بالخير أُنفق كيف أشاء! أم لأن ذاتَ يدى قَلَّتْ ! كيف ومفاتيح الخير بيـدى لا يفتحها ولا يُغلقها غيرى! أم لِأنّ رحمـتى ضاقت ! كيف ورحمتى وسِعتْ كلَّ شىء، وإنمـا يتراحم بفضلها المتراحمون ! أم لأنّ البخل يعترينى ! كيف وأنا النفّاح بالخيرات أَجوَدُ مَن أعطَى وأكرمُ مَن سُئل ! ولكن كيف أرفعُ صيامَهم وهم يَلْبِسونه بقول الزور ويتقوّون عليه بطُعْمة الحرام ! كيف أُنوِّر صلاتَهم وقلوبهم صاغيَةٌ إلى من يُحادُّنى وينتهك محارمى ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنمـا هو قولٌ بألسنتهم والعملُ من ذلك بعيـد ! أم كيف تزكو صـدقاتُهم وهى من أموال غيرهم ! إنمـا أَجزِى عليها المغصوبين . وإنّ من علامة رضاى رضا المساكين .

---

(١) كذا فى قصص الأنبياء، وفى الأصل «قلوبهم» وهو تحريف . (٢) فى قصص الأنبياء (ص ٢٥٣) : «فلم تنور قلوبنا ...» .

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لاتُعجبْكما زينة ولا ما مُتِّعَ به، ولا تَمُدَّا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزيِّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تَعجز عما أُوتيتما فعلتُ ، ولكنّى أرغب بكما عن ذلك وأُزوِيه عنكما؛ وكذلك أفعل بأوليائى، إنى لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعى الشفيقُ غنمَه عن مراتع الهَلَكة، وإنى لأحميهم عيشَها وسَلوتها[1] كما يُجنِّبُ الراعى الشفيقُ إبلَه مباركَ العُرِّ[2]، وما ذاك لهوَانهم علىَّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفَّرا لم يَكلِمْه الطمعُ[3] ولم يُطبِعْه[4] الهوى . واعلم أنه لن يتزيَّنُ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندى من الزهد فى الدنيا، إنما هى زينة الأبرار عندى. وأنْقَ ما تَزيَّنَ به العبادُ فى عينى عليهم منها، لباسٌ يُعرَفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم النحولُ والسجود ، أولئك أوليائى حقا . فإذا لقيتَهم فاخفِضْ لهم جناحَك، وذلّل لهم قلبَك ولسانَك .

واعلم أنه من أهان لى وليًّا أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرَّضنى لنفسه ودعانى إليها، وأنا أسرع شىء إلى نُصرة أوليائى ، أفيظنّ الذى يحاربنى فيهم أنه يقوم لى! أم يظنّ الذى يعادينى فيهم أنه يُعجزنى ! أم يظنّ الذى يبادرنى إليهم أنه يسبقنى أو يفوتنى ! كيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة ، لا أَكِلُ نصرَهم إلى غيرى !

وفى التوراة : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لُبنان، أنت عبدى وأنا إلهك الديّان ، لا تستذلّ

---

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) العر : جمع أعرّ وهو الجمل الأجرب .

(٣) فى الاصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : يدنسه .

الفقير ، ولا تَغبِط الغنىَّ بشىء يسير ؛ وكن عند ذكرى خاشعا ، وعند تلاوة وحيى طَائعا ؛ أسمِعْنى لذاذةَ التوراة بصوت حزين .

وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : أنزِلْنى من نفســك كهمّك ، وٱجعلْنى ذُخرَك فى مَعادك ، وتقــرَّبْ إلىّ بالنوافل أُدْنِك ، وتوكّل علىّ أَكْفِك ، ولا تَوَلَّ غيرى فأخذُلك ؛ اصــبِرْ على البلاء ، وارضَ بالقضــاء ، وكن كمَسرّتى فيــك ، فإنّ مَسرّتى أن أُطاعَ ، وأَحْيِ ذكرى بلسانك ، وليكن وُدّى فى قلبــك ؛ تيقَّظْ لى فى ساعات الغفلة ، وكن راهبا لى وراغبا إلىّ . أَمِتْ قلبَك بالخشية ؛ راعِ الليــلَ لتحرِّى مَسَرّتى ، وأظمأ لى نهارَك لليوم الذى عندى ؛ نافسْ فى الخيرات جُهْدَك . قم فى الخليقة بعدلى ، وٱحكم فيهــم بنصيحتى ، فقــد أنزلتُ عليك شــفاءَ وساوسِ ما فى الصدور من مرض الشيطان ، وجلاءَ الأبصارِ من غشاء الكَلال ؛ ولا تكن حِلْساً[1] كأنك مقبورٌ وأنت حىّ تتنفّس . اِكْحَلْ عينيك بمُلمولِ[2] الحزن إذا ضحِك البطّالون . اِبكِ على نفسك أيّام الحياة بكاءَ من قد ودّع الأهلَ وقَلَى الدنيا ، وتركَ اللذاتِ لأهلها ، وٱرتفعتْ رغبتُــه فيما عنــد إلٰهه . طوبَى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين ! تَرَجَّ من الدنيا يوما فيوما ، وٱرضَ بالبُلْغَــة ، ولْيكفِك منهــا الخشِنُ . تذَوّق مذاقةَ ما قد خلا أين طعمُه ! وما لم يأت أين لذّتُه ! لو رأت عيناك ما أعددتُ لأوليائى لذابَ[3] قلبك وزهِقَتْ نفسُك شوقا إليه .

وفيما قال للحواريّين : بحقٍّ أقول لكم : إنّ شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تُبصِر وتَهتدى ؛ بحقٍّ أقول لكم : إنه من ليس عليه دَينٌ أروَحُ وأقلّ همًّا ممن عليه دين وإن حَسُنَ قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل

(١) الحلس : الذى يلزم بيته فلا يبرحه . (٢) الملمول : المرود . (٣) فى الأصل « لذار » .

الخطيئة أروحُ وأقلُّ همًّا ممن عمل بها وإن حسُـنتْ توبتُه . إنّ الدابة تزداد على كثرة الرياضــة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إنّ الجســدَ إذا صلَح كفاه القليــلُ من الطعام، وإنّ القلب إذا صحَّ كفاه القليــلُ من الحكمة . كم مِن سراجٍ قد أطفأته الريحُ ، وكم من عابد قد أفسده العُجْب . يابني إسرائيل، أسمعوا قولى ، فإنّ مَثَـل من يسـتمع قولى ثم يعمَلُ به مثـلُ رجلٍ حكيم أسس بنيانَه على الصّــفا(١) ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وضربتـه الرياحُ فثبت بنيانُه ولم يَخِرَّ ، ومَثَـلُ الذى يستمعُ قولى ثم لا يعمَل به مَثَـلُ رجلٍ سفيهٍ أسّس بنيانَه على الرمل ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وهاجت الريحُ فضربته فسقط بنيانُه . يا بنى إسرائيل ، ما يُغنِى عن الأعمَى سَعَةُ نورِ الشـمس وهو لا يُبصرها ! وما يغنِى عن العالِم كثرةُ العـلم وهو لايعمَل به ! . بحقٍّ أقول لكم : إنّ قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان ، وأَوْلاهمـا بها من حقّقها بعمله . بحقٍّ أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقّد بالقَطِران فى ليلة مظلمةٍ لاَستضأتم بنورهِ ولم يمنعكم منه نَتْنُ قَطِرَانه، فكذلك ينبغى لكم أن تأخذوا الحكمةَ ممن وجدتموها عنده .

بلغنى عن محمد بن فُضَيل عن عمران بن سـليم قال : بلغنى أنّ عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخوانى وأصحابى فوطِّنوا أنفسَكم على العـداوة والبغضاء من الناس؛ إنكم لا تُدرِكون ما تطلبون إلا بترك ما تشـتهون، ولا تنالون ما تحبّون إلا بالصـبر على ما تكرهون . إياكم والنَّظْرَةَ، فإنها تزرع فى القلب الشهوةَ . طوبى لمن كان بصرُه فى قلبه ولم يكن قلبه فى بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة .

قال : وبلغنى أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جُبَّةٌ من صوف وكساءٌ وتُبَّانٌ(١) حافيا مجزوزَ الرأس والشار بين باكيا شَعِثا مصفَرَّ اللون من الجوع يابسَ الشَّفتين من العطش، طويلَ شعر الصدر والذراعين والساقين؛ فقال : السلام عليكم يا بنى إسرائيل، أنا الذى أنزلتُ الدنيا منزلَها، ولا عَجَبَ ولا فخر، أتدرون أين بيتى؟ قالوا : أين بيتك يا رُوحَ الله ؟ قال : بيتى المساجد، وطيبى الماء، وإدامى الجوعُ، ودابتى رجلى، وسراجى بالليل القمرُ، وصِلائى(٢) فى الشتاء مشارقُ الشمس، وطعامى ما تيسَّر، وفاكهتى وريحانى بُقُولُ الأرض، ولباسى الصوفُ، وشعارى الخوفُ، وجلسائى الزَّمْنى والمساكينُ، أُصبِحُ وليس لى شىء، وأُمْسى وليس لى شىء، وأنا طيِّب النفس غنىّ مكثر، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت فى بعض الكتب : عبدى! ما يزال مَلَكٌ كريمٌ قد صعِد إلىّ منك بعمل قبيح؛ أتقرب إليك بالنّعم، وتَمقَّتُ إلىّ بالمعاصى؛ خيرى إليك نازلٌ، وشرُّك إلىّ صاعدٌ .

وفى التوراة : لعلّك يا إسرائيلُ إذا أنت خرجتَ من البرِّيَّة فدخلتَ الأرضَ المقدّسة، أرضَ بنى آبائك إبراهيم وإسحاقَ، فإنها تَفيضُ بُرًّا وشعيرا ولبنا وعسلا، فَورِثتَ بيوتا بناها غيرُك وعصرتَ كروما غرسها غيرك، فأكلتَ وشربتَ وتنعّمتَ بشحم لُبابِ القمح، ضربتَ بيدك إلى صدرك ورمحتَ كما ترمح الدّابّةُ برجليها، وقلتَ : بشدّتى وبقوّتى وبأسى ورِثتُ هذه الأرضَ وغلَبتُ أهلَها، ونسيتَ نعمتى عليك! فأقذف الرُّعبَ فى صدرك إذا أنت لقيتَ عدوّك، وإذا هبّت الريحُ

(١) التبان : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

(٢) الصلاء : الوقود أو النار العظيمة . وفى الأصل «صلاتى» بالتاء .

فتقعقعَ لهـا ورقُ الشجر ٱنهزمتَ، فأُقِلُّ رجالكَ، وأُرمِّلُ نساءك، وأُيتِّمُ أبنـاءك، وأجعلُ السماءَ عليك نُحاسًـا والأرضَ حديدا، فلا السماءُ (١) تُمطِـر ولا الأرضُ تُنبِت، وأُقِلُّ لك البركةَ حتى تجتمع نِسوةٌ عَشْرٌ يختبزن فى تنُّورٍ واحدٍ .

بلغنى عن عبد الرحمن المحاربىّ عن جعفر بن بُرْقان قال : بلغنى عن وهب بن منبِّه قال : أَجدُ فى الكتاب أنّ قوما يتـدَيّنون لغير العبادة، ويختِلون الدنيا بعمل الآخرة (٢)، يلبسون مُسُوكَ (٣) الضأن على قلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وأنفُسهم أمرّ من الصبر، أبى يغترُّون ! أم إياى يخادعون! أقسمتُ لأبعثنّ عليهم فتنةً يعود الحليمُ فيها حَيْرانَ .

وقرأت فى الإنجيـل : « لا تجعلوا كنوزكم فى الأرض حيث يفسدها السُّوسُ والدودُ وحيث ينقُبُ السراقُ، ولكن ٱجعـلوا كنوزكم فى السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم . إنّ العينَ هى سِراجُ الجسـد فإذا كانت عينك صحيحةً فإنّ جسدَك كلَّه مُضِىء . وإنه لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ لربَّيْن ٱثنين إلا أن يُحبَّ أحدَهُما ويبغُضَ الآخر، ويُوقِّر أحدهما ويُهينَ الآخرَ، فكذلك لا تستطيعون أن تعمَلوا لله وللمـال . ولا يُهمَّنَّكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون، أليست النفسُ أفضـل من الطعام، والجسدُ أفضلَ من اللباس ! ! أُنظروا إلى طَير السماءِ فإنهنّ لا يزرعن ولا يَحصدن ولا يَجمعنَ فى الأَهْراءِ (٤)، وأبوكم الذى فى السماء هو الذى يرزقُهنَّ، أفلستم

(١) فى الأصل : «ولا السماء» والسياق يقتضى العطف بالفاء لأنه مفرع على ما قبله .

(٢) أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ما جاء فى الحديث . «من أشراط الساعة أن تعطل السيوف من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين» أى تطلب الدنيا بعمل الآخرة، من ختله إذا خدعه (أنظر اللسان [مادة ختل) .

(٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد .

(٤) الأهراء : جمع هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

أفضلَ منهنّ ! ! وأيُّكم الذى إذا جهِد قدَر[(١)] أن يزيدَ فى طوله ذراعا واحدا ! فلِمَ تهتمون باللباس ! اعتبروا بسُوس البرِّيّة فإنه لا يعمَل ولا يغزِل ، أنا أقولُ : إنّ سليمانَ بوقاره[(٢)] لم يستطع أن يلبسَ كواحدةٍ منــه ؛ فإذا كان الله يُلبِسُ عُشبَ الأرض الذى ينبت[(٣)] اليوم ويُلقَى فى النارِ غدًا ، أفلستم ياقليلى الإيمــانِ أفضلَ منه ! ولا تهتمّوا فتقولوا : ماذا نأكل وماذا نشربُ وماذا نلبَس ، فإنه إنمـا يهتمُّ لذلك ابنُ الدنيا ؛ وإن أباكم الذى فى السماء يَعْلم أنّ ذلك ينبغى لكم[(٤)] ؛ فابدءوا فالتمسوا ملكوتَ الله وصدِّيقيّته[(٥)] ، فإنكم سوف تُكْفَون . ولا يُهمَّنْكم ما فى غدٍ ، فإن غدًا مكتفٍ بهمه ، وحَسْبُ اليوم شرُّهُ . وكما تَدينون تُدانون ، وبالمكيال الذى تكيلون يُكال لكم . وكيف تُبصِر القــذاةَ فى عين أخيك ولا تُبصر الساريةَ فى عينك ! لا تُعطوا الكلاب القُدْس ، ولا تُلقوا لؤلؤكم للخنازير . سَلُوا تُعْطَوا ، وابتغُوا تجِدُوا ، واستفتِحُوا يُفتحْ لكم ، وانظروا الذى تُحِبُّون أن يأتِىَ الناسُ إليكم فأتوا إليهم مِثلَه . اُدخلوا البابَ الضيِّق ، فإن البابَ والطريقَ إلى الهَلَكة عَريضان ، والذين يسلُكونَهما كثيرٌ . وما أضيقَ البابَ والطريقَ اللذين يُبلِّغان إلى الحياة ! والذين يسلكونَهما قليلٌ » .

وقال له رجل : أَتْبعُك حيث ذهبتَ ؛ فقال له عيسى : للثعالبِ جِحَرَةٌ ، ولطير السماء كِنَانٌ ، وليس لابن الإنسانِ مكانٌ يُسنِدُ فيه رأسَه .

وقال له رجلٌ من الحَوارِيِّين : أتأذن لى أن أدفِنَ أبى؟ فقال له : دع الموتَى يَدفنون موتاهم واتْبَعْنى . وقال للحواريّين : لا تتزوّدوا شيئا ، فإن العائلَ محقوقٌ أن

(١) فى الأصل : «إذا جهد فقدر» بالفاء فى جواب إذا ، ولا معنى لذكر الفاء فى هذا الموضع .

(٢) الوقار : العظمة . وفى الأصــل : « بوفاره » بالفاء ، ولا معنى له هنـا الا أن يكون محرفا عن (وفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الغنى . (٣) فى الأصل : «تنبت» «وتلق ... ... منهن» .

(٤) لعل إسم الإشارة يرجع إلى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا» ، ليستقيم الكلام .

(٥) الصدّيقية : درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوة .

يُطْعِمَ قُوتَه ، وإنى أُرسلُكم كالخِرفان بين الذئاب ، فكونوا حُلَمَـاء كالحيّات وبُلْهًا[1] كالحَمام . وإذا دخلتم البيتَ فسلِّموا على البيت ، فإن كان ذلك البيت أهــلاً لسـلامكم فليُصِبْهم ، وإن لم يكن أهــلا لسلامكم فإنه يرجِـع إليكم . ومن لم يُؤوِكم ويسمَعْ لقولكم ، فإذا خرجتم من قَريته فانفُضُوا الغبارَ عن أرجُلِكم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عبــد المنعم عن أبيه عن وَهْب قال : كان فيما ناجَى به عُزَير ربَّه : اللهــمَّ فإن لك من كلِّ خَلْقٍ خلقتَه خِيَرةً اخترتَها ، وإنك اخترتَ من النبات الحُبْلَة[2] ، ومن المواشى الضائنةَ ، ومن الطير الحمامةَ ، ومن البيوت بيتَ إيلياء[3] ، ومن إيلياءَ بيتَ المقدِس ، ومن جميع الخلائق آدمَ ، ومن وَلَدِ آدمَ نوحا ، ومن وَلَد نوحٍ ابراهــيمَ ، ومن وَلَد إبراهيمَ إسماعيــلَ وإسحاقَ ، ومن وَلَد إسحاقَ إسرائيــلَ ؛ اللهــمَّ فأصبحتْ خِيَرَتُك قد تمّت ونفــذَتْ فى كلِّ ما اخترتَ إلا ما كان من وَلَد خليلك إبراهيم ، فإنّهــم أصبحوا أعبُدًا لأهــل معصيتك وخَوَلا لأعدائك ، فالذى سَــلَّط علينا ذلك ؟ أمن أجل خطايانا ؟ فالخاطئون ولَدونا ، أو من أجل ضعفنا ؟ فمن ضعفِ خُلِقْنا ، قال : فجاءنى المَلَكُ فكلَّمنى ، فبينما أنا كذلك سمعت صوتا هالنى فنظرت ، فإذا امرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها ، ناشرةٌ شعرَها ، شاقّةٌ جَيْبَها ، تلطِمُ وجهَها ، وتصرُخُ بأعلى صــوتها ، وتحثُو الترابَ على رأسها ، فأقبلتُ عليها وتركتُ ما كنتُ فيه ، فقلتُ لها : ما بالُكِ أيتّها المرأةُ وما الذى دهاكِ ؟ أخبرينى خبرَكِ ، فقد أصابت المصائبُ غيرَكِ ؛ قالتْ : إليــك عنّى أيهــا الرجلُ ، فإن ربّى هو الذى أبكانى ،

(١) كذا فى الأصل . وفى حياة الحيوان للدميرىّ (ج ١ ص ٢٢٦) : « روى أحمــد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعــالى مثــل الحمام فافعلوا » . وفى إنجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م مجــلد ثالث ص ١٧ س ١٢) : « فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » . (٢) الحبلة بالضم : الكرم أو أصل من أصوله ، وثمر السلم أو ثمر العضاه . (٣) فى الأصل : «بتا ايلياء» .

ومصيبتى أعظمُ مما ترى ، فقلتُ : فإن فى الله عزاءً من كلّ مصيبة ، وخَلَفًا من كلّ هالك ، وعوضًا من كلّ فائتٍ ، فإياه فَاستعينى ، وإلى نظره لك فَانظرى ؛ قالت : إنى كنتُ آمرأةً كثيرًا مالى : عظيمًا شرَفى ، وكنت عاقرا لا وَلَدَ لى ، وكنتُ عند بعلٍ له نِسوةٌ معى وكلُّهن وُلِدَ له غيرى ، فملْنَ به لحبِّ الولد فصرفَ وجهَه عنّى ، فحزنتُ وحزن أهلى وصديقى ، فلما رأيتُ هوانى عليه وسقوطَ منزلتى عنده ، رغبتُ إلى ربى ودَعَوْتُه فأجابنى ، وآستوهبتُه غلاما فوهبه لى ، فقرَّتْ به عينى ، وفرح أهلى ، وعطّف اللهُ به زوجى ، وقطعَ عنّى ألسنةَ ضرائرى ، فربَّيْتُ غلاما لم تحمِلْ أنثى مثلَه حُسناً وجمالاً ونَضرةً وتماما ، فلما بلَغ أشُدَّه وكَل به سرورى خطبتُ عليه عظيمةَ قومى ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خُلعتى [(١)] ، وجمعتُ رجالَ قومى ، فخرج يمشى بينهم حتّى دخلَ بيتَه ؛ فلما قعَد على سريره ، خرّ منه فاندقّت عنقُه فمات ابنى وضلَّ عملى وبطَلَ نصيبى وتلِفَ مالى ، فخرجتُ إلى هذه البَرِّيَّة أبكيه فيها لا أُرِيدُ أن أرى أثرا من آثاره ولا أحدا من أصحابه ، ولن أبرَحَ أبكيه حتّى أَلحقَ به . قال عُزَيرٌ : أُذكرى ربَّك وراجعيه ، فقد أصابت المصائبُ غيرَك أما رأيتِ هلاكَ إيلياءَ وهى سيّدةُ المدائن وأمُّ القُرَى ؟ أوَما رأيتِ مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحمك اللهُ ! إن هذا ليس لى بعزاء وليستْ لى بشىء منه أُسوةٌ ، إنما تبكى مدينةٌ خربَتْ ، ولو تُعمَّرُ عادتْ كما كانتْ ، وإنما تبغِى قوما وعدَهم اللهُ الكَرّةَ على عدوّهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مُصيبة لا أستقيلُها [(٢)] ؛ قال عُزَيرٌ : فإنه خُلِقَ لما صار إليه ، وكلّ شىء خُلِقَ للدنيا فلا بدّ أن سيَفْنَى ،

(١) الخلعة (بالكسر والضم) : المال وخيار ما يخلع على الإنسان . (٢) لا أستقيلها أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشماخ :

* ومرتبة لا يستقال بها الردى *

أى لا يرجى فيها إقالة الردى لإنه لا بد من الهلاك .

أمَا رأيتِ مدينتنا أصبحتْ خاويةً على عروشها بعد عِمارتها، وأوحشتْ بعــد أُنسها وأثاثها! أوَ ما رأيت مسجدَنا كيف غُيّر حسنُه ، وهُدِمَ حِصنُه ، وأُطفئ نورُه ! أوَ ما رأيتِ عزَّ أهلها كيف ذَلّ ، وشرفَهم كيف خَمُــلَ ، ومجدَهم كيف سقط ، ونخرَهم كيف بطَــل ! أو ما رأيتِ كتاب الله كيف أُحْرِق ، ووليَّ الله كيف رُفِعَ ، وتابوتَ السكينة(١) كيف سُبى ! أو ما رأيتِ نساءَ الملوك وبناتِهــم فى بُطونِ الأسواقِ حاسرات عن السُّوق والوجوه والأشعار ! أو ما رأيت الأشياخَ الذين على وجوههم النورُ والسكينةُ مقرَّنين فى الحبال والقِطار ! أو ما رأيتِ الأحبارَ والرهبانَ مصفَّدين فى الإسار ، أو ما رأيتِ أبنــاءَ موسى وهارونَ تُضرب عليهــم السِّهامُ ويقتسمُهم الأشرارُ ، وولدانَ الملوك خَدَماً(٢) للكُفّار ؛ أو ما رأيتِ قتلانا لم يوارِ أحداً منهم قبرٌ ولم يَتعهَّــدْ أحدٌ منهــم إلى ولد ، فالحكماء مبهوتون ، والعلماء يموجون ، والحلمــاء متحيّرون ، وأهــلُ الرأى مُلْقُون بأيديهم مُستسلِمون . قال : فبينا أنا أكلّمها غشَّى وجهَها نورٌ مثلُ شــعاع الشمس حال بينى وبين النظر إليها ، فخمّرتُ من شــدّته وجهى ورددتُ يدى على بصرى ، ثم كشفتُ وجهى فإذا أنا لا أُحِسّها ولا أرى مكانَها ، وإذا مدينــةٌ قد رُفِعتْ لى حصينةٌ بسورها وأبوابها ، فلما نظرتُ إلى ذلك خَررتُ صَعِقا ، فجاءنى المَلَك فأخذ بضَبْعِيّ ونعشنى(٣) وقال لى : ما أضعفك ياعُزَيْر ! وقد زعمتَ أنّ بك من القوّة ماتخاطبُ به ربَّك وتُدلِى بالعــذر عن الخاطئــين من

---

(١) ورد فى دائرة المعارف للبستانىّ عندالكلام على التابوت ما ملخصه : وتابوت العهد أو الشهادة هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج ، وكان موضعه فى قدس الأقداس وكان اليهود يعتبرون ذلك مقدّسا وكانوا يحملونه بالأحتفال أمامهم وهم مسافرون إلى أرض الميعاد . والظاهر أنه فقد عنــد ما هدم بختنصر الهيكل فى القــدس بإتلافه إياه أو نقله إلى بابل . ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هــذا التابوت فليراجع ذلك فى التوراة . (٢) فى الأصل : «خدم للكفار» .

(٣) نعشه : رفعه وأقامه .

بنى إسرائيل ؛ قال له عُزَيْر : مثل الذى رأيتُ وعاينتُ أضعفنى وأذهب روحى ؛ قال الملَك : فإن المرأةَ التى كلّمتْك هى المدينة التى تبكى عليها، صوّرها الله لك فى صورة أنثى فكلّمتك، فافقهْ عنها : أما قولها : إنها عُمِّرتْ زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها، فكذلك كانت إيلياءُ صعيدا من الأرض خرابا لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وأمّا قولها : إن[1] الله وهبَ لها غلاما عند اليأس، فذلك حين أقبل الله عليها بالعُمران فابتعث اللهُ منها أنبياءه وأنزل كتابه. وأما قولها: إنه هلك ولدُها حين كمل فيه سرورُها، فذلك حين غيّر أهلُها نعمَ الله وبدّلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا، فغيّر الله ما بهم وسلّط عليهم عدوّهم حتى أفناهم، وقد شفّعك الله فى قومك وكتابك ومدينتك، وسيُعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانُها وأبوابُها، وفيها مساجدُها وأنهارها وأشجارها.

وحدّثنى بهذا الإسناد قال: لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السلام ويجعلَه قُربانا، أسرَّ ذلك إلى خليلٍ له يقال له : العازر، فقال له الصديق : إن الله لا يَبتلى بمثل هذا مثلَك، ولكنّه يريد أن يُجرِّبك ويختبرَك، وقد علمتَ أنه لم يبتلِك بهذا ليَفتنك ولا ليُضلّك ولا ليُعنتك ولا لينقُص به بصيرتَك وإيمانَك ويقينَك، ولا يروعنّك هذا ولا تَسُوءنّ بالله ظنَّك، وإنما رفَع الله اسمك فى البلاء على جميع أهل البلاء، حتى كنت أعظمهم فى نفسك وولدك، ليرفعَك بقدر ذلك عليهم فى المنازل والدرجات والفضائل؛ فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك، وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك، وليس لأهل البلاء فى جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك. وليس هذا من وجوه البلاء الذى يبتلى اللهُ به أولياءه، لأن الله أكرمُ[2] فى نفسه وأعدلُ فى حكمه وأعدل فى عباده

(١) فى الأصل: «وإنما». (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : «وأرحم بعباده ...».

من أن يجعل ذبح الولد الطيّب بيد الوالد النبيّ المصطفى ، وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا منّى حتما على الله أو ردّا لأمره أو سُخْطا لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاءُ فيه والظنّ به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبدا(١) أحسن علمه بك ؛ فإنى أعلم أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء العظيم إلا لحُسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماما ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدّثنى بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبِث فى السجن سبعَ سنين أرسل الله عزّ وجلّ إليه جبريلَ عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أتعرفنى أيها الصِّدّيق ؟ قال له يوسف : أرى صورةً طاهرةً وروحا طيّبا لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول ربّ العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرّبين ؟ قال جبريل : أوَ لم تعلم أيها الصدّيقُ أنّ الله يطهّر البيوت بطُهر النبيّين ، وأن البقعة التى يحلّون بها هى أطهر الأرَضين ، وأنه قد طهّر بك السجنَ وما حوله يابن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبّهنى بالصالحين ، وتسمّينى بأسماء الصدّيقين ، وتعدّنى مع آبائى المخلصين ، وأنا أسيرٌ بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريلُ : لم يكلِمْ قلبَك الجزعُ ، ولم يغيّر خُلُقَك البلاءُ ، ولم يتعاظمك السجنُ ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاءُ الدنيا بلاءَ الآخرة ، ولم تُنسك نفسُك أباك ولا أبوك ربَّك ؛ وهذا الزمان الذى يفُكُّ الله به عنوك(٢) ، ويُعتِق به رِقّك ، ويبيّن للناس فيه حكمتك ، ويُصدّق رؤياك ويُنصفك ممن ظلمك ، ويجمع إليك أحبّتك ، ويهب لك مُلك مصرَ : يملّكك ملوكها ، ويُعبّد لك جبابرتها ، ويُذلّ لك أعزّتها ، ويُصغّر لك عظماءها ، ويُخدمك سُوقتها ،

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : «فكن عند أحسن علمه فيك ...» . (٢) العنو : الأسر والذل ، يقال : عنا فى القوم عنوّا وعناء صار فيهم أسيرا . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : « عنقك » .

ويخوّلك خوَلهـا ، ويرحَم بك مساكينَها ، ويُلقى لك المودّةَ والهيبةَ فى قلوبهـم ، ويجعل لك اليـدَ العليا عليهم والأثرَ الصالحَ فيهم ، ويُرى فرعونَ حلْمًا يفزَع منـه ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يُسهرَه ويُذهبَ نومَه ،ويُعمّى عليه تفسيره وعلى السحرة والكهنة ويعلِّمك تأويلَه .

وفى بعض الكتب : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكنَ معى غدًا فى حظيرة القُدس فكن فى الدنيا وحيـدا فريدا مهموما حزينا ، كالطائر الوحدانىّ يظلّ بأرض الفـلاة ويرِدُ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر، فاذا جَنَّ عليه الليل أوى وحده استيحاشا من الطير واستئناسا بربّه جلّ وعزّ .

لمـا قُتِلَ عبـدُ الله بن الزُّبَير وجدَ الحجَّاجُ فيما ترك صُـندوقا عليه أقفال حديد، فتعجّب منه وقال : إنّ فى هذا شيئا ، ففتحه فإذا صـندوقٌ آخرُ عليه قُفْـل ففتحه فاذا سَفَطٌ فيـه دُرج ، ففتحه فإذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديث حَلفا ، والميعـادُ خُلْفا ، والمِقْنبُ[1] ألفا ، وكان الولدُ غيظا ، والشتاءُ قيظا ، وغاض الكرامُ غيضا ، وفاض اللئـام فيضا ، فأعنزٌ عُفْرٌ[2] ، فى جبل وَعْر ، خير من مُلك بنى النّضر . حدّثنى بذلك كعب الحبر .

الـــدعاء

حدّثنى أبو مســعود الدارمىّ[3] قال حدّثنـا جرير[4] عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال "ربُّكم عزّ وجلّ ثلاثةٌ: واحدةٌ لى، وواحدةٌ لك

(١) المقنب كمنبر : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفر وعفراء . والعفرة : غبرة فى بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبى مسعود لا فى كتب الأنساب ولا فى كتب التراجم وغيرها من الكتب التى بين أيدينا . (٤) فى الأصل : «جدير» بالدال المهملة . ولم نعثر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة فى الكتب التى عندنا . وقـد ورد فى تهذيب التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى ثم العتكى وقيل الجهضمى» . وجرير هـذا ممن رووا عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل تحريف صوابه ما أثبتناه .

يابن آدم، وواحدةٌ بيني وبينك، فأما التي لى فتُخلِص لى لا تُشرِك بى شيئا، وأما التي لك فأحوجُ ماتكون إلى عملك أُوفِّيكه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاءُ وعلىّ الإجابة".

حدّثني عَبْدةُ بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال حدّثنا معاوية قال حدّثني أزهرُ بن سعيد عن عاصم بن حميد قال: سألتُ عائشةَ رضى الله عنها، ما كان يفتتح به رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم به صلاتَه في قيام الليل؟ قالت: كان يُكبِّر عَشْرا ويحمَدُ عشرا ويسبِّح عشرا ويهلِّل عشرا ويستغفرُ الله عشرا، ثم يقول: "اللّهمّ ٱغفرْ لى وٱهدنى وٱرزقنى وعافنى"، ويتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة.

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا الخُفَافُ عن أبى الوَرْقاء عن عبد الله بن أبى أَوْفَى قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: "أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعظمةُ والخَلْقُ والأمرُ والليلُ والنهارُ وما يسكن فيهما[1] لله ربّ العالمين وحده لا شريك له. اللهم ٱجعل أوّلَ هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخرَه نجاحا. اللهم إنى أسألك خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ياأرحمَ الراحمين".

حدّثنا إسحاق بن راهويه[2] قال أخبرنا حسين بن علىّ الجُعْفِىّ عن إسرائيل عن الحسين أنه كان إذا ٱستسقى قال: «اللهم ٱسقنا[3] سُقْيا واسعةً وادعةً عامةً نافعةً غيرَ

(١) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية): «وما سكن فيهما من شىء لله وحده لا شريك له...الخ». وفى كتاب الأذكار للنووى: «وما سكن فيهما لله تعالى ...الخ».

(٢) قال ابن خلكان فى ترجمة إسحاق بن راهويه: «وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة ... وقيل فيه أيضا: راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء».

(٣) ورد هذا الأثر فى كتاب الأذكار للسيوطى (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) فى صلاة ٱلاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا فى بعض الكلمات وبالزيادة والنقص.

ضارّة تعمّ بها حاضرَنا وباديَنا وتزيد بها فى رزقنا وشكرنا . اللهم آجعله رزقَ إيمانٍ وعطاءَ إيمانٍ إنّ عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا فى أرضنا سكنَها[(١)]، وأنبتْ فيها زينتها ومرعاها» .

روى الكلبيّ عن أبى صالح أن العباس قال يوم آستسقى عمر رضى الله عنه : " اللهم إنه لم ينزلْ بلاءٌ إلا بذنب ، ولا يُكشَف إلا بتوبةٍ ، وقد توجّه بى القوم إليك لمكانى من نبيّك[(٢)] ، وهـذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فآسقنا الغيث " ؛ فأرخت السماءُ شآبيب[(٣)] مثلَ الجبال بديمةٍ مُطْبِقَةٍ .

وروى سفيان بن عيينة عن أبى عبـد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زِدْ فى إحسان محسـنهم ، وراجعْ بمسيئهم إلى التوبة ، وحُطْ من ورائهم بالرحمة " .

حدّثنا حسين بن حسين[(٤)] قال حدّثنا عبـد الله بن المبـارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر[(٥)] عن خالد بن أبى عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات : "اللهم آقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به

---

(١) كذا فى الأصل ولسان العرب مادّة «سكن» . وفى منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسـند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل فى أرضنا بركتها وزينتها وسكنها وآرزقنا وأنت خيرِ الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذى تسكن أنفسهم إليه .

(٢) فى الأصل : «من بيتك» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شآبيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد فى الأصل . وفى تهذيب التهذيب أن ممن رووا عن عبـد الله بن المبارك الحسينَ بن الحسن . ولعل ما فى الأصـل محرّف عنه . (٥) فى الأصل : «زخر» بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما فى تهذيب التهذيب.

إلى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا، ومَتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا، وٱجعـل ذلك الوارثَ منا، وٱنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعـل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلِّط علينا من لا يرحمنا".

بلغنى عن يونس عن الأوزاعىّ عن حسّانَ بن عُطِيَّة[1] قال : كان شدّاد بن أَوْس فى سفرٍ، فنزلنا منزلا فقـال لغلامه : ائتنا بالسفرة نَعبث بها[2]؛ فأُنكرت منه، فقال: ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطِمها وأزمّها غير كلمتى هذه فلا تحفظوها عنى، وٱحفظوا عنى ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا[3] كنز الناسُ الذهبَ والفضّةَ فٱكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إنى أسألك الثباتَ فى الأمر والعزيمةَ فى الرشـد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسنَ عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم، وأستغفرك لمـا تعلم، إنك أنت علّام الغيوب".

بلغنى عن الوليد بن مسـلم قال حدّثنا أبو سلمة الدوسىّ[4] عن سالم بن عبـد الله قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم أرزقنى عينين هطّالتين تبكيان[5] بذروف الدموع وتشفيانى من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمـــرا".

(١) هكذا ضبطه فى تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء. (٢) كذا فى مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٢٣). وفى الأصل: "فعبث بها" وما أثبتناه هو الموافق لقول الزمخشرى فى أساس البلاغة مادّة «عبث» «تعال بالسفرة نعبث بها». (٣) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦): «يا شداد بن أوس إذا رأيت النـاس يكنزون ... الخ» وفى بقية الحـديث بعض زيادات عما هنا، ولعلها رواية أخرى. (٤) هكذا ورد فى الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لأبى سلمة فى الكتب التى بين أيدينا. (٥) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) ه « ... تشـفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك ... الخ ...».

حدّثني أبو سـفيان الغنوىّ قال حدّثنا عمـر بن عِمران قال حدّثني الحارث بن عِنبة عن العلاء بن كثير عن أبى الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ياموضعَ كلّ شكوى وياشاهدَ كلّ نَجْوَى بكلّ سبيل أنت مقيم تَرَى ولا تُرَى وأنت بالمنظَر الأعلى" .

حدّثنا عبد الرحمن (١) عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال : كان دعاء عيسى الذى يدعو به للمرضى والزَّمْنَى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إلٰه من فى السماء وإلٰه من فى الأرض لا إلٰه فيهما غيرُك ، وأنت جبـار مَنْ فى السماء وجبّار من فى الأرض لاجبّارَ فيهما غيرك ، وأنت حَـكَمُ مَنْ فى السماء وحَكَمُ مَنْ فى الأرض لا حَـكَمَ فيهما غيرُك ، وأنت ملِك من فى السماء وملِك من فى الأرض لاملِك فيهما غيرك ، قُدرتُك فى الأرض كقُـدرتك فى السماء ، وسلطانُك فى الأرض كسلطانك فى السماء ، أسألك بآسمك الكريم ووجهك المنير ومُلكك القديم ، إنك على كلّ شيء قدير" . قال وهب : هـذا يُقرأ للفزع على المجنون ويُكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيبرأ بإذن الله أىّ ذلك شاء فعل .

وحدّثني أيضا بهـذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصْلُبوه بزعمهم فرفعه الله إليه : "اللهم أنت القريب فى علوك ، المتعالى فى دنوك ، الرفيع على كل شيء من خَلْقك ، أنت الذى نفذ بصرك فى خلقك ، وحَسرَت الأبصار دون النظر إليك وعَشِيَت دونك ، وشمخ بك العلوّ فى النور ، أنت الذى جَلّيت الظُّلَمَ

(١) ورد فى الأصـل "عبد الرحمن بن عبـد المنعم" وورد فى عدّة أسانيـد أخرى فى الأصل نفسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذى يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبـد الله ابن أخى الأصمعى ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن إدريس بن مناف بن آبنة وهب ابن منبـه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقُــدرتك ، مقدِّر الأمور بحكمتك ، مبتدِعَ الخلق بعظمتك ، القاضى فى كل شىء بعلمك ؛ أنت الذى خلقتَ سبعًا فى الهواء بكلماتك ، مستوِياتِ الطباق مذعِناتٍ لطاعتك ، سماهنّ العلوّ بسلطانك ، فأجبنَ وهنّ دخان من خوفك ، فأتين طائعاتٍ بأمرك ، فيهن ملائكتك يسبّحون قُدسَك بتقديسك ، وجعلتَ فيهنّ نورا يجلو الظلام ، وضياء أضــوأَ من شمس النهــار ، وجعلتَ فيهنّ مصابيحَ يُهتدى بها فى ظلُمات البحر والبر ورجوما للشياطين ، فتباركتَ اللهم فى مفطور سمواتك ، وفيما دَحَوت من أرضك ، دَحوتها على المــاء ، فأذللت لها المــاء المتظاهر[1] فذلّ لطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوّتك أمواج البحار ، ففجّرتَ فيها بعد البحار الأنهارَ ، وبعــد الأنهار العيونَ الغِزارَ والينابيعَ ؛ ثم أخرجتَ منها الأشجارَ بالثمــار ، ثم جعلتَ على ظهرها الجبالَ أوتادا فأطاعتك أطوادُها ، فتباركت اللهم فى صنعك ، فمن يبلغ صفةَ قدرتك ومن يَنعَتُ نعتك . تُنزِل الغيث وتُنشِئ السحابَ ، وتفُكّ الرقابَ وتَقْضِى الحقّ وأنت خير الفاصلين . لا إلٓه إلا أنت سبحانك أمرتَ أن يستغفرك كلُّ خاطئ . لا إلٓه إلا أنت إنمــا يخشاك من عبادك العلماء الأكياس . أشهد أنك لست بإلٓه استحدثناه ، ولا ربٌّ يبيد ذِكرُه ، ولا كان لك شركاءُ يقضون معــك فندعوهم وندعُك ، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِك فنشكّ فيك . أشهدُ أنك أحدٌ صمدٌ لم تلِد ولم يكن لك كفوًا أحدٌ ، ولم تتّخِذ صاحبةً ولا ولدا . أجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجا" ؛ قال وهب : وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك : "أشهد أنك لستَ بإلٓهٍ استحدثناه ، إلى آخره .

(١) «المتظاهر» بالظاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك المــاء الكثير المجتمع يدفع بعضه بعضا لقوّته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتطاهر» بالطاء المهملة .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط[1] يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه إلى السماء، والابتهال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورُهما إلى وجهه".

حدّثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: كان داود إذا دعا فى جوف الليل قال: "اللهمّ نامتِ العيونُ وغارتِ النجومُ وأنت حىّ قيّوم إغفرلى ذنبى العظيم إنك عظيمٌ وإنمـا يغفر العظيمَ العظيمُ، إليك رفعتُ رأسى عامرَ السماء نظرَ العبيد إلى أربابها. اللهـمّ تساقطت القُرَى وأُبطل ذكرُها وأنت دائبُ الدهرَ مُعدٌّ كرسىٌّ القضاء".

قال: وكان من تحميده: "الحمد لله عدد قَطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعددَ ما فى البرّ والبحر. والحمـد لله عددَ أنفاس الخَلْق ولَفْظهم وطَرْفهم وظِلالهم، وعددَ ما عن أيْمانهم وشمائِلهم، وعددَ ما قهره ملكُه، ووسِعه حِفظُه، وأحاطت به قُدرته، وأحصاه علمُه. والحمد لله عددَ ماتجرى به الرياحُ، وتحمله السحابُ، وعددَ ما يختلف به الليلُ والنهارُ، وتسير به الشمسُ والقمرُ والنجومُ. والحمـدُ لله عددَ كلِّ شىء أدركه بصرُه، ونفذَ فيـه علمُه، وبلغ فيه لطفُه. والحمـد لله الذى أدعوه فيُجيبُنى وإن كنتُ بطيئا حين يدعونى. والحمـد لله الذى أسأله فيعطينى، وإن كنتُ بخيلا حين[2] يَستقرِضُنى. والحمد لله الذى أستعفيه فيُعافينى، وإن كنتُ متعرِّضا لمـا يُهلكنى. والحمـد لله الذى حَلُم فى الذنوب عن عقـوبتى حتى كأنى لاذنبَ لى، ولو يؤاخِذُنى لم يظلمنى سيّدى. والحمد لله الذى أرجوه أيامَ حياتى،

(١) كذا ورد فى الأصل. وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥): «... وبسط يده اليسرى وأشار بإصبعه من يده اليمنى ... الخ». وفى نهـاية الأرب للنويرىّ (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عمـا هنا فى أكثر الألفاظ. (٢) فى الأصل: «حتى» وهو تحريف.

وهو ذُخْرِى فى آخرتى ، ولو رَجوتُ غيره لآنقطع رجائى . والحمــد لله الذى تُمسى أبواب الملوك مغلقةً دونى ، وبابُه مفتوحٌ لكلّ ما شئتُ من حاجاتى بغــير شفيع فيقضيها لى . والحمد لله الذى أخلو به فى كل حاجاتى، وأضعُ عنــده سِرّى[1] فى أىّ ساعة شئتُ من ساعاتى . والحمــد لله الذى يتحبّب إلىّ وهو عنّى غنىٌّ، فربّى أحمدُ شىء عندى وأحقُّه بحمدى" .

وكان من دعاء يوسفَ : " ياعُدَّتى عنــد كربتى ، وياصاحبى فى وَحْدَتى ، وياغياثى عند شدّتى، ومَفزَعى عنــد فاقتى، ورجائى إذا آنقطعتْ حيلتى ، ياإلٰهى وإلٰه آبائى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، اجعــل لى فرجًا ومخرجا وآقض حاجتى" .

وكان بَكّاء بنى إسرائيل يقول: "اللهمّ لاتؤدّبْنى بعقوبتك، ولا تمكُرْ بى فى حيلتك، ولا تؤاخذنى بتقصيرى عن رضاك، عظيم خطيئتى فآغفرْ ، ويســير[2] عملى فتقبّل ، كما شئتَ تكون مشيئتك ، وإذا عزمتَ يمضى عزمُك؛ فلا الذى أحسنَ آستغنى عنــك وعن عَونك، ولا الذى أساء آستبدّ بشىء يخرُج به من قُدرتك ؛ فكيف لى بالنجاة ولا توجــدُ إلا من قِبَلِك ! إلٰهُ الأنبيــاء ، ووليُّ الأنبياء ، وبديعُ مرتبــة الكرامة ، جديدٌ لا يبــلى، حفيظٌ لا يَنْسَى؛ دائمٌ لا يبيــد ، حىٌّ لا يموت ، يقظانُ لاينام؛ بك عرفتُــك، وبك آهتديتُ إليك، ولولا أنت لم أدْرِ ما أنتَ؛ فتباركتَ وتعاليتَ" .

قال الأزدىّ حُدِّثتُ عن محمّــد بن النضر الحارثىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقطعوا الشهادة على أهــل القبلة فإنه من يقطع الشهادةَ عليهم فأنا منــه

---

(١) فى الأصل : « سره» وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) فى الأصل : «تسير» .

برىءٌ إنّ الله كتمنا ما يصنع بأهل القبلة". وقال : «من علّم آيةً من كتاب الله أو كلمةً من سنّة فى دين الله حثا[1] الله له من الثواب حَثْوا» .

قال وقال الأوزاعىّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم إنى أسألك التوفيق لمحابّك من الأعمال وحسن الظنّ بك وصدق التوكل عليك" .

محمد بن بشر العَبْدى[2] قال حدّثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر علىٌّ عليه السـلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يامن لا يشـغَلُه سمعٌ عن سمع ، ولا تُغلِطه[3] المسائلُ ، ولا يُبرمه[4] إلحـاحُ الملحّين ، أذِقْنى بَرْدَ عفوك وحلاوةَ مغفـرتك ؛ فقال علىّ : والذى نفسى بيــده ، لو قلتها وعليك ملءُ السـموات والأرَضين ذنوبا لغُفر لك .

دعا أعرابىّ عند الملتزَم[5] فقال : اللهم إنّ لك علىَّ حقوقا فتصدَّقْ بهـا علىّ ، وللناس قِبَـلى تَبِعـاتٍ فتحملها عنّى ، وقد أوجبتَ لكلّ ضيف قِرًى ، وأنا ضيفُك فاجعلْ قِراى الليلةَ الجنةَ .

وقال آخر : اللهم إليك خرجتُ ، وما عندك طلبتُ ، فلا تحرمنى خيرَ ماعندك لشرّ ماعندى . اللهمّ وإن كنتَ لم ترحم نَصَبى وتَعَبى فلا تحرمنى أجرَ المصابِ على مصيبته .

---

(١) حثا له : أعطاه . (٢) كذا فى الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء فى تقريب التهذيب : «محمـد بن بشير العبدى» . (٣) لا تغلطه : لا توقعه فى الغلط ، وهو من قولهم : أغلطه إذا أوقعه فى الغلط . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح فى مادة «لزم» فقال «والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لمـا بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أى يضمونه إلى صدورهم» .

وقرأتُ فى كتاب لشيخ لنا : اللهمّ إنه من تهيّأ أو تعبّأ ، وأعدّ وآستعدّ لوِفادة مخلوقٍ رَجاءَ رِفْـدِه وطَلَبَ نَيلِه ، فإن تهيّئى وتعبّئى وإعدادى واستعدادى لك رجاءَ رِفـدك وطلبَ نائلك الذى لاخطَرَ(١) له ولا مِثلَ . اللهـمّ إنى لم آتكَ بعملٍ صـالحٍ قدّمتُه ، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوتُه ، أتيتك مُقِرًّا بالظُّلم والإساءةِ على نفسى ، أتيتُـك بأنّى لا حجّـةَ لى ، أرجو عظيمَ عفوك الذى عُدْتَ به على الخطّائين ، ثم لم يمنعـك عكوفُهم على عظيم الجُـرمِ أن جُدتَ لهم بالمغفرة . فيا مَنْ رحمتُه واسعةٌ ، وفضـلُه عظيم اغفر الذنبَ العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرَّقاشىّ : اللهمّ لا تُدخِلنا النارَ بعـد إذ أسكنتَ قلوبَنا توحيدَك ، وإنى لأرجو ألّا تفعلَ ، ولئن فعلتَ لتجمعنَّ بيننا وبين قومٍ عاديناهم فيك .

بلغنى عن ابن عيَيْنـةَ عن أبى حازم قال : لَأَنا مِنْ أن أُمنعَ الدعاءَ أخوفُ منّى من أن أُمنعَ الإجابةَ .

أنشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء فى وصف دعوة :

وساريةٍ لم تَسْرِ فى الأرض تبتـغى * مَحَـلًّا ولم يقطع بهـا البيـدَ قاطعُ
سَرتْ حيث لم تَسْرِ الركابُ ولم تُنَخْ * لِوِرْدٍ ولم يَقصُرْ لهـا القيْـدَ مانعُ
تَحُـلُّ(٢) وراءَ الليل والليـلُ ساقطٌ * بأرواقه فيـــه سميـــرٌ وهاجـعُ
تَفَـتَّحُ أبوابُ السماء ودونَهـا(٣) * إذا قَرَع الأبوابَ منهنّ قارعُ

---

(١) الخطر بالتحريك : النظير والمثل .
(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »
(٣) فى العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ» .

إذا أُوفدتْ لم يردُدِ اللهُ وفدَها[١] * على أهلهـا واللهُ راءٍ وسامـعُ
وإنى لأرجو اللهَ حتّى كأنّنى[٢] * أرى بجميلِ الظنِّ ما الله صانعُ

وقال آخر :

وإنى لأدعو اللهَ والأمرُ ضيّقٌ * علىّ فما ينفكّ أن يتفرّجا
ورُبَّ فتًى سُدَّتْ عليه وجوهُهُ * أصاب له فى دعوةِ الله مَخْـرَجَا

ونحـــوه :

إذا تضـايقَ أمرٌ فانتظر فرجا * فأضيقُ الأمرِ أدناه من الفرجِ

أُخِذَ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتبَ إلى آخذِه : يا هـذا ، إنّ الرجلَ ينام على الثُّكل، ولا ينام على الحَرَبِ[٣] ، فإمّا رددتَه ، وإمّا عرضتُ اسمَك على الله تعالى كلّ يومٍ وليلةٍ خمسَ مرّاتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبى فكتب إلى بكر بن عبـد الله يسأله أن يدعُوَ له ، فكتب إليه بكر : يحقّ لمن عمِل ذنبا لا عُذرَ له فيه، وتوقّع موتا لا بدّ له منـه ، أن يكون وَجِلًا مُشفِقًا ، سأدعو لك ، ولستُ أرجو أن يُستجابَ لى بقوّةٍ فى عملٍ، ولا براءةٍ من ذنبٍ، والسلام .

خَلَفُ بنُ تميم عن عبـد الجبّار بن كُلَيب[٤] قال : قال لنـا إبراهيم بن أدهم حين عَرَض لنا السَّبُعُ : قولوا : اللهمّ احرُسْنا بعينك التى لاتنامُ، واجعلنا فى كَنَفك الذى لايُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نَهلِكُ وأنت رجاؤنا، قال خلَف : فما زلتُ أقولُها مذ سمعتُها، فمـا عرَضَ لى قطُّ لِصٌّ ولا غيرُهُ .

---

(١) فى العقد الفريد : * إذا سألت لم يردد الله سؤلها * (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « ... كأنما ... » . (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك بلا شىء . (٤) هكذا ورد فى الأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا .

قال أعرابىّ : من أقام بأرضنا فليُكثر من الاستغفار ، فإنّ مع الاستغفار القُطَار[١] .

بلغنى عن موسى بن مسعود النَّهْـدىّ[٢] عن سفيان الثورىّ عن قُدامة بن حَمَاطَة الضَّبىّ عن خالد بن مِنْجاب عن زياد بن حُدَيْر[٣] الأسدىّ أن العـلاء بنَ الحضرَمىّ عبرَ إلى أهل دَارِينَ[٤] البحرَ بهذه الكلمات : ياحليمُ يا حكيمُ يا علىُّ ياعظيمُ .

حدّثنى محمـد بن عُبَيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن هشام الدَّسْـتَوَائىّ[٥] عن حمّاد عن إبراهيم عن عبد الله فى الرجل إذا أراد الحاجةَ صلَّى ركعتين ثم قال : اللهمّ[٦] إنّى أستخيرك بعلمك ، وأستقدِرُك بقُدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ ، وتملِك ولا أملِك ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ ، إن كان هذا الأمرُ الذى أريده — وتُسمّيه — خيراً لى فى دِينى وخيرا لى فى معيشتى وخيرا لى فيما أبتغى فيه الخَـيَرَةَ فيَسّرْه لى وبارِكْ لى فيـه ، و إن كان شرًّا لى فى دِينى وشرًّا لى فى معيشتى وشرّا لى فيما أبتغى فيه الخيرَ فاصرفه عنّى ويسّرْ لى الخيرَ حيث كان ثم رَضِّنِى [به][٧] .

---

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) فى الأصـل : « المهدى » بالميم وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتناه كما فى تهـذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٣) فى الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرضه بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سـنبر البكرى البصرى الدسـتوائى بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دستوا بالقصر وتمدّ : كورة من كور الأهواز كما فى تهذيب التهذيب والخلاصـة ومعجم ياقوت . وقد ضـبطه صاحب القاموس بضم التاء وقال فى النسبة إليها : دستوائى ودستوانى . (٦) ورد هـذا الدعاء فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ٣٢٦) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اَللهمّ إنّى أستغفرك من كلّ ذنبٍ قوِىَ عليه بدنى بعافيتك، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطتُ إليه بسَعَة رزقك، واحتجبتُ فيه عن الناس بسَتْرك، واتّكلتُ فيه على أناتِك وحلمك، وعوّلتُ فيه على كريم عفوك .

الأوزاعىّ قال : من قال : «اللهمّ إنى أستغفرك لمَـا تبتُ إليك منه ثم عدتُ فيـه ، وأستغفرُك لمَـا وعدتُك من نفسى وأخلفتُك ، وأسـتغفرك لمَـا أردتُ به وجهَك فخالَطَه ما ليس لكَ، وأستغفرك للنِّعم التى أنعمتَ بها علىّ فتقوّيْتُ بهـا على معصيتك، وأستغفرك لكلّ ذنبٍ أذنبتُه أو معصيةٍ ارتكبتُها » غفر اللهُ له ولو كانت ذنوبُه عَدَدَ ورق الشجر، ورملِ عالجٍ(١)، وقَطْرِ السماء .

وكان مُطَرِّف يقول: اللهمّ إنى أعوذُ بك من شرّ السلطان، ومن شرّ ما تجرى به أقلامُهم ، وأعوذ بك أن أقولَ قولا حقّا فيـه رضاك ألتمسُ به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أتزيّن للنـاس بشىءٍ يَشينُنى ، وأعوذ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ من خَلْقك، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقك أسـعدَ بمـا علّمتَنى منّى، وأعوذ بك أن أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يصيبنى .

الأزدىّ عن عبد الواحد بن زيد(٢) قال : شهدتُ مالكَ بن دينار يوما وقيل له : ياأبا يحيى ادعُ اللهَ أن يَسقيَنا ، قال : تستبطِئون المطرَ ! قالوا : نعم؛ قال : إنى والله أستبطئُ الحجارةَ .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاءً السَّلَمِىّ يقول : اللهـمّ ارحَمْ غُرْبتى فى الدنيا ، ومَصرعى عند الموت، ووَحْدتى فى القبور، ومُقامى بين يديك .

(١) عالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه فى بعض .

(٢) كذا فى الأصل . ولم نعثر على اسم عبد الواحد بن زيد فى المراجع الخاصـة التى تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيرا فى المصادر المتقدمة .

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا زُهير عن زُبيد اليامىّ[١] عن مُرّةَ عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسمَ بينكم أخلاقكم كما قسمَ بينكم أرزاقكم، إن الله يُؤتِى المالَ مَنْ يحبّ ومن لا يحبّ، ولا يؤتى الإيمانَ إلا من يُحب. فمن ضنَّ بالمال أن يُنفقه، وهاب العدوّ أن يُجاهدَه، والليلَ أن يكابدَه فليُكثِر من سبحان الله والحمد لله ولا إلٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر» .

ومن جامِع الدعاء: اللهمّ أغننى بالعلم، وزيّنى بالحلم، وجمِّلنى بالعافية، وأكرمنى بالتقوى .

وكان من دعاء أبي المجيب : اللهمّ لا تَكِلْنا إلى أنفسنا فنعجِزَ، ولا إلى الناس فنَضيعَ، اللهمّ اجعلْ خيرَ عملى ماقاربَ أجلى .

ومن دعاء عمرو بن عبيد، اللهمّ أغنِنى بالافتقار إليك، ولا تغنِنى بالاستغناء عنك.

ابن عائشة عن سلّام بن أبي مُطِيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا يَستحِبّون من الدعاء : اللهمّ عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمَتِك لعبيدك وإمائك، أنا الذليلُ ولا أنتصر، وأنا الظالم ولا أعتذر، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسى وإلّا تغفرْلى وترحمْنى أكنْ من الخاسرين، فما أتمّها ابن عون حتى أجهش[٢] بالبكاء .

ومن دعاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « اجعلْنى لك شَكّارا، لك ذَكّارا، لك رَهّابا، لك مطيعا، إليك مُخبِتًا، لك أوّاها مُنيبا، ربّ تقبّلْ توبتى واغسِلْ حَوْبتى وأجبْ دعوتى وثبّت حجّتى واْهد قلبى وسدّدْ لسانى » .

---

(١) فى الأصل : «النامى» بالنون وهو تحريف وصوابه «اليامى» نسبة إلى يام : بطن من همدان، كما تقدّم فى صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد. (٢) أجهش بالبكاء : همّ به وتهيأ له .

المنـاجاة

حدّثنى عبدُ الله بن هارون عن سُلَيم بن منصور عن أبيه قال : كنتُ بالكوفة[1] فخرجتُ فى بعض الليـل لحاجةٍ وأنا أظنُّ أنّى قد أصـبحتُ فإذا علىّ ليـلٌ فملْتُ إلى بعض أبوابها أنتظر الصـبحَ فسمعتُ من وراء الباب كلامَ رجلٍ وهو يقول : فوعزّتك وجلالِك ما أردتُ بمعصـيتى مخالفتَـكَ ، وما عصـيتُك إذ عصيتُك وأنا بنَكالِكَ جاهلٌ ، ولا بعقوبتك ولا بنظرِكَ مُسـتخِفٌّ ، ولكن سوّلتْ لى نفسى ، وأعاننى على ذلك شِقوَتى ، وغرّنى سترُك المرخَى علىّ ، فعصـيتُك بجهلٍ وخالفتُك بجهلٍ ، فالآنَ من عذابك مَنْ يستنقِذُنى وبحبلِ مَنْ أعتصمُ إن قطعتَ حبلَك عنّى ، فواسَوأتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفِّين : جُوزُوا ، وللمُثقلين : حُطُّوا ؛ أفمع المثقلين أحُطُّ أم مع المخفّـين أَجُوز ! ويلى ! كلّما كَبِرتْ سِنّى كَثُرتْ ذنوبى ؛ ويلى ! كُلّمـا طال عمرى كثُرت مَعاصِىَّ فمِن كَمْ أتوبُ ! وفى كم أعودُ ! أما آن لى أن أستحيَ من ربِّى ! .

بلغنى عن الوليد بن مُسلم عن عثمان بن أبى العاتكة قال : كان داودُ النبىُّ عليه السـلامُ يقول فى مُناجاته : سبحانَك إلٰهى ! إذا ذكرتُ خطيئتى ضاقت علىّ الأرضُ برُحْبِهـا ، وإذا ذكرتُ رحمتَـك ارتدّ إلىّ رُوحى ، سـبحانك إلٰهى ! أتيتُ أطباءَ عبادك ليُداووا لى خطيئتى فكلّهم عليك يَدُلُّنى .

حدّثنى بعضُ أشـياخنا قال : كان داودُ الطائىّ يقول : همُّك عطّلَ علىَّ الهمومَ ، وحالَفَ بينى وبين السُّهادِ ، وشدّةُ الشفَق من لقائك أوبَق[2] علىّ[3] الشهواتِ ،

(١) فى العقـد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف فى بعض الكلمات ونقص عمـا هنا .

(٢) أوبق : حبس . (٣) كذا فى الأصل ولعلها "عنى" ليستقيم المعنى .

ومنعنى اللذّاتِ ، فأنا فى طلبـك أيها الكريمُ مطلوبٌ(١) . وقال : تعبَّـدَ ضيغمٌ قائمـا حتى أُقعِدَ ، وقاعدا حتى آستلقَى ، ومُسـتلقيا حتى أُفْحِمْ ؛ فلمـا جَهِدَ رفع بصَره إلى السماء وقال : سبحانك ، عجبا للخليقـة كيف أرادتْ بك بَدَلا ! وسـبحانك ، عجبا للخليقة كيف آستنارت قلوبُها بذكر غيرك ! وعجبا للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك .

عُتبة أبو الوليد قال : كانت آمرأة من التابعين تقول :

سـبحانك ، ما أضـيقَ الطريقَ على من لم تكن دليلَه ، سـبحانك ما أوحشَ الطريقَ على من لم تكن أنيسَـه .

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزُّبير يقول فى مناجاته بعد أن قُطِعتْ رجلُه [ومات ابنُـه(٢)] : كانوا أربعةً ، يعنى بنيه ، فأخذتَ واحدا وأبقيتَ ثلاثةً ، وكنَّ أربعا يعنى يديْه ورِجليْه ، فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثا ، لَيمُنُكَ(٣) لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيت ، ولئن كنتَ آبتليتَ لقد عافيتَ .

وفى حديث بنى إسرائيل أنّ يونُس عليه السـلامُ قال لجبريلَ عليه السـلام : دُلَّنى على أَعبدِ أهل الأرض فدلَّه على رجلٍ قد قَطَع الجُذامُ يديه ورِجليْه ، وذهب ببصرِه ، فسـمِعه يقول : متّعتَنى ما شئتَ ، وسلبتَنى حين شئتَ ، وأبقيتَ لى فيك الأملَ يابارُّ يا وَصُولُ .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهـمّ اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق إلى لقائك ، واجعـل قُرَّةَ عينى فى عبادتك ، وآرزقنى غَمَّ خوفِ الوعيـد ، وشوقَ رجاءِ الموعود ، اَللهمّ إنك تعلم ما يُصلِحُنى فى دنياى وآخرتى فكن بى حفِيًّا(٤) .

(١) فى الأصل : « مطلوبا » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفىّ : اللطيف البارّ المبالغ فى الإكرام .

باب البكاء

حدّثنى أبو مسعود الدارمىّ(١) قال حدّثنى جدّى عن أَنَس بن مالك قال : جاء فتًى من الأنصار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [وقال](٢) : إن أمّى تُكثر البكاءَ وأخاف على بصرها أن يذهب ، فلو أتيتَها فوعَظْتَها ! فذهب معه فدخل فقال لها فى ذلك ، فقالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت إلى الجنة ، أيُبدِلنى الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت إلى النار ، أفيُعيد الله بصرى ؟ فقال النبىّ عليه السلام للفتى : «إنّ أمّك صِدِّيقةٌ » .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى(٣) إسحاق عن الأوزاعىّ عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسُّها النار ، عينٌ حَرَسَتْ فى سبيل الله ، وعينٌ سهِرتْ فى كتاب الله ، وعينٌ بكت فى سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العُتبىّ قال حدّثنا أبو إبراهيم قال : لا يكون البكاءُ إلا من فضلٍ فإذا اشتدّ الحزنُ ذهب البكاءُ ، وأنشد :

فلئن بكيناه يَحِقُّ لنــا * ولئن تركنا ذاك للكِبرِ(٤)
فلمثله جرت العيونُ دمًا * ولمثله جمَــدتْ فلم تَجرِ

---

(١) لم نعثر على هــذه النسبة فى الكتب التى بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيا تقدّم) . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) ورد فى الأصل : «أبيه» وهو تحريف لأن الأوزاعىّ ممن روى عنــه (أبو إسحاق الفزارىّ) ومعاوية المذكور هو ابن عمــرو بن المهلب الذى روى عن أبى إسحاق الفزارىّ أيضا فيتعين حينئــذ أن (أبا إسحاق) هو المقصود فى هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨) وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد فى الأصل كلمة «للصــبر» فوق كلمة «للكبر» ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبى الحارث الليث [(١)] بن سـعد عن أبيه عن ابن لَهِيعَة عن أبى قَبِيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال [(٢)] : دخل يحيى بن زكريّا بيتَ المقـدس وهو ابنُ ثمـانِى حِجج ، فنظر إلى عُبَّادِ بيت المقدس قد لبِسُوا مدارعَ الشَّعْر ، وبَرانسَ الصـوف ، ونظر إلى متهجِّديهم أو قال مجتهديهم قـد خرقوا التراقىَ ، وسلكوا فيهـا السلاسلَ ، وشـدّوها إلى حنايا [(٣)] بيت المقـدس ، فهاله ذلك ؛ فرجع إلى أبويه فمرّ بِصِبيانٍ يلعبون فقالوا : يا يحيى هلمَّ فلنلعبْ قال : إنى لم أُخلَقَ للَّعب ، فذلك قول الله تعـالى : ﴿وآتيناه الحكمَ صبيّا﴾ فأتى أبويه فسألهما أن يُدَرِّعاه الشَّـعَرَ ففعلا ، ثم رجع إلى بيت المقـدس فكان يخدُمه نهـارا ويَصبحُ فيه ليـلا ، حتى أتت له خمسَ عشرةَ سـنة ، وأتاه الخوفُ فساح ولزم أطرافَ الأرض وغِيرانَ [(٤)] الشِّـعاب ، وخرج أبواه فى طلَبه فوجداه حين نزلا من جبال التِّيه على بُحيرة الأردنّ وقد قعـد على شَفِير البُحَيرة وأنقعَ قدميه فى المـاء، وقد كاد العطشُ يذبحُه وهو يقول : وعزّتك لا أذوقُ باردَ الشراب حتى أعلَم أين مكانى منك! فسأله أبواه أن يأكلَ قُرصا كان معهما من شَـعير ، ويشربَ من المـاء ففعلَ وكفَّر عن يمينه فمُدحَ بالبِرّ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ وردّه أبواه إلى بيت المقدس،

---

(١) فى الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ إذ هو الليث بن سـعد ويكنى بأبى الحارث . ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن بن لهيعة ومن بعـده روى عنهم الليث بن سـعد ولذا ترجح لدينا أن ما ورد فى الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهـذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ وج ٨ ص ٤٥٩) وطبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد فى الأصل : « أبى لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة .

(٢) فى قصص الأنبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة بآختلاف فى بعض الألفاظ وزيادات عما هنا .

(٣) فى قصص الأنبياء : « ... وشدّوا بها إلى سوارى المسجد » .

(٤) غيران : جمع غار وهو ما ينحت فى الجبل كالمغارة يأوى إليه الوحوش فإذا اتسع قيل له : كهف .

فكان إذا قام فى صلاته بكى ، ويبكى زكريّا لبكائه حتى يُغمَى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرقتْ دموعُه لحمَ خدّيه ، وبدَتْ أضراسُه ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنتَ لى لاتخذتُ لك لبِدًا ليوارىَ أضراسَك عن الناظرين ؛ قال : أنتِ وذاكِ ، فعمَدَتْ إلى قِطْعَتَىْ لُبودٍ فألصقتهما على خدّيه ، فكان إذا بكى آستنقعتْ دموعُه فى القطعتين فتقومُ إليــه أمُّهُ فتعصِرُهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعَىْ أمِّهِ قال : اللهمَّ هذه دموعى وهذه أُمّى وأنا عبدُكِ وأنت أرحمُ الراحمين .

بلَغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحـاق الحَميسىّ[1] قال كان يزيد الرَّقاشىّ يقول : ويحك يا يزيدُ ! مَن يصومُ عنـك ! مَن يصلِّ عنك ! ومن ذا يترضَّى لك ربَّك من بعــدك ! ثم يقول : يا معشرَ مَنِ الموتُ موعدُه ، والقبْرُ بيتُــه ألا تبكون ! قال : فكان يبكى حتى تسقطَ أشفارُ[2] عينيه .

بلَغنى عن محمّــد بن فُضَــيل عن العَلاء بن المســيَّب عن الحَسن قال : قال النبىّ صــلّى الله عليــه وســلّم : « مَا مِنْ قطرةٍ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ قطرةِ دمٍ فى سبيله وقطرةِ دمعٍ فى جوف الليــل من خشيته ، وما من جَرْعةٍ أحبُّ إلى الله من جَرْعةِ مصيبةٍ مُوجِعةٍ ردّها بصبرٍ وحُسنَ عزاؤه ، وجرعةِ غيظٍ كظَم عليهــا »

مُعتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال : كان فى وجنتَىِ آبن عباس خطّان من أثر الدموع .

---

(١) فى هامش تهــذيب التهذيب ما نصــه : « والحميسىّ بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة «أن السمعانىّ صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحتانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب اللباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، ففى تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشعر فى الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدّثني محمّدُ بن داو[١] عن سـعيد بن نُصَيْر قال حدّثنـا سَيّار عن جعفرٍ قال : كنتُ إذا أحسستُ من قلبي بقسوةٍ أتيتُ محمدَ بن واسعٍ فنظرتُ إليه نظرةً؛ قال : وكنت إذا رأيت وجهَــه حسبتُه وجهَ ثَكلَى .

وكان يقال : أخوكَ مَنْ وعَظَك برؤيته قبلَ أن يعظَك بكلامه .

تكلّم الحسَن يوما حتى أبكَى مَن حولَه فقال : عَجِيجٌ[٢] كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعةٌ كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يبكون .

أبو عاصم قال : فقَــدَ مالكُ بن دينــار مصحفَه في مجلسه ؛ فنظر اليهــم كلِّهم يبكون، فقــال : كلُّكم يبكي ! فمن سَرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقَى للحزن، وكانت له شُعَيراتٌ في مُقــدَّم صُدْغه فإذا رقَّ نتفها أو مدَّها إلى فوق فتقلَّص دمعُــه .

قيل لغالب بن عبيد الله[٣] : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء؛ فقال : هُوَ لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنْفِدَ العينُ ماءَها * ويَشْـفِيَ منّي الدمعُ ما أتوجّعُ

وقال بعض الكُتّابِ في مثله :

ابكِ فمن أنفعِ مافي البكا * أنّه للأحزانِ تسهيلُ
وهو إذا أنت تأمّلتَـــه * حُزْنٌ على الخدّين محلولُ

قيل لعُفَيْرَةَ العــابدة : ألا تسأمين من طول البكاء؟ فبكت ثم قالت : كيف يسأم ذو داءٍ من شيءٍ يرجو أن يكونَ له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن «داود» .   (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : «غالب بن عبد الله» .

قال ابن أبى الحوَارىّ : رأيت أبا سليمان الدارانىّ يبكى ، فقلت له : ما يُبكيك؟ فقال : إنما أبكِى لذلك الغَمّ الذى ليس فيه فرحٌ ، وذلك الأمدِ الذى ليس له آنقطاعٌ .

قال بعضهم : أتيتُ الشأمَ ، فمررتُ بدير حَرْمَلَة ، وبه راهبٌ كأن عينيْه عِدْلَا مَزادٍ ، فقلتُ ، ما يُبكيك ؟ فقال : يا مسلمُ ، أبكِى على ما فرَّطتُ فيه من عمرى ، وعلى يومٍ مضى من أجلى لم يَتبيَّن[1] فيــه عملى . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه ، فقالوا : أسلمَ وغَزَا فقُتِل فى بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرَّقَاشىّ فقــال لى : يا أشعثُ ، تعـالَ حتى نبكىَ على المــاء البارد فى يوم الظمأ ، ثم قال : والهفاه ! ســبقنى العابدون وقُطِعَ بى ، وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميرىّ[2] قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرنى عن لُبْس النصارى هــذا السوادَ ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ، قال فقلتُ : وكلّكم معشرَ الرهبان قد أُصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمـك الله ! وأىّ مصيبةٍ أعظمُ من مصائب الذنوب على أهلها ! قال زيد[3] : فلا أذكر قولَه ذلك إلا أبكانى .

ابن أبى الحوَارىّ قال : دخلت على أبى سليمان وهو يبكى ، فقلت : ما يُبكيك؟ قال : يا أحمدُ ، إنه إذا جَنّ الليلُ وهــدأت العيونُ وأنِسَ كلُّ خليلٍ بخليله ، فرَشَ أهلُ المحبة أقدامَهم ، وجرت دموعُهم على خدودهم يُســمع لها وقعٌ على أقدامهم ، وقد أشرف الجليلُ عليهــم فقال : بعينى مَنْ تلذَّذَ بكلامى وأســتراح إلىّ ، فمـا هذا البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحدٌ أنّ حبيبا يعذِّبُ أحباءَه ! أم كيف أُبيِّتُ

(١) فى العقد الفريد : «لم يحسن فيه عملى» . (٢) هكذا فى الأصل ، وفى العقد الفريد «أبو زيد الجبرىّ» . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : «وقال أبو زيد» .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يتلقونني! فبي حلفتُ أن أكشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهي ينظرون إليّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكي لصخرٍ من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار .

قال عمر بن ذرٍّ لأبيـه : يا أبتِ، مالكَ إذا تكلّمت أبكيتَ الناسَ، وإذا تكلّمَ غيرُك لم يُبكهم؟ فقال : يا بنيّ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجَرة .

وفي بعض ما أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : هبْ لي من قلبك الخشوعَ ، ومن بَدَنك الخضوعَ، ومن عينك الدموعَ، وادعُني، فإني قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالتذكّر .

التهجـــــد

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني مَعْمَر والأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كَثير[1] عن أبي سلَمة عن أبي زَمَعة بن كعب الأسلميّ قال : كنتُ أبيتُ عنـد حُجرة النبيّ صلى الله عليـه وسلم فكنت أسمعُ، إذا قام من الليل، "سبحانَ اللهِ ربِّ العالمين" الهَوِيَّ[2] من الليل، ثم يقول : "سبحانَ الله وبحمده" الهَــوِيَّ .

حدثنا حسين قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن زياد بن عِلاَقة[3] قال : سمعتُ المُغيرةَ بن شُـعْبة يقول : قام رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم حتى تورّمت قَدَماه ؛

(١) في الأصـل : «يحيى بن أبي كنين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٢) الهوِيّ بالفتح : الحـين الطويل من الزمان، وقيل هو مختص بالليل . (لسان العرب) . (٣) في الأصل : «زياد عن علاقة» بالفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة» كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل: يارسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبــد الله بن المبارك قال أخبرنا حمّــاد بن سلَمة عن ثابت البُنَانِيّ عن مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى ولجوفه أزيز كأزيز المِرْجَل.

بلغنى عن رَبَاح عن مُعْتمِر عن رجلٍ قد سمّــاه قال: قال يزيد الرَّقَاشيّ: إذا أنا نمتُ ثم أستيقظتُ ثم نمتُ فلا نامت عيناىَ، وعلى المــاءِ البارِدِ السلامُ. يعنى بالنهــار.

وروى جَرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثَّقفى[1]: لا يشهد علىّ ليــلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بإفطارٍ، فبلغ ذلك عمرَ فأقسم عليه لَيُفطرنّ العيدين.

وروى حمّاد بن سَلَمة عن أبى جعفر الخَطمىّ عن جدّه عُمَير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: ياأهلاه، الدُّلْجَةَ الدُّلْجَةَ، إنه من يسبِق إلى المــاء يظمأ؛ ياأهلاه، الدُّلجةَ الدُّلجةَ، إنه من يسبق إلى الظلّ يَضْحَى.

قال أبو سليمان الدارانىّ: أهلُ الليل فى ليلهم ألَذُّ من أهــل اللهو فى لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء.

خرج عيسى عليه السلام على الحواريّين، وعليهم العَبَاءُ[2] وعلى وجوههم النور، فقال: ياأبناءَ الآخرة، ما تنعَّم المتنعّمون إلا بفضل نعيمكم.

---

(١) هكذا فى الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «عبيدة بن هلال» ولم نعثر عليــه لا فى كتب تراجم الرواة ولا فى كتب الأنساب وغيرها من الكتب التى بين أيدينا؛ وفى البيان والتبيــين (ج ٣ ص ٨٠): «... عن عبدة الثقفى ...».

(٢) العباء بالفتح: كساء من صوف مفتوح من قدّام يلبس فوق الثياب.

وقيل للحسن : ما بالُ المتهجِّدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خَلَوا بالرحمن فألبسهم[(١)] نورا من نوره .

حُصَين بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلٌ يقال له همـام[(٢)] يقول : اللهمَّ اشفنى من النوم باليسـير، وارزقنى سهرا فى طاعتك . وكان يُصبح وجُمّتـه[(٣)] مُرَجَّلة ، فيقول بعضُهم لبعض : إن جُمَّة همام تخبركم أنه لم يتوسَّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَـه . وكان بعضهم يُحيي الليلَ ، فإذا نظر إلى الفجر قال : "عند الصباح[(٤)] يَحمَدُ القومُ السُّرَى" .

حدّثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفُضَيل بن عياض بيدى ثم قال : ياحسين ، يقول الله : كذَبَ من ادّعى محبتى واذا أجَنَّه الليلُ نام عنى ، أليس كلّ حبيبٍ يُحبّ خلوةَ حبيبه ! هأنذا مُطّلِـعٌ على أحبّائى ، إذا أجَنَّهم الليلُ جعلتُ أبصارَهم فى قلوبهم ، ومثّلتُ نفسى بين أعينهم ، فخاطَبونى على المشاهدة وكلّمونى على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدّثنى عبد الرحمن بن يزيد قال : كنّا نعازى[(٥)] عطاء الخُراسانى فكان يُحيِي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثُلثُه أو أكثرُ نادانا ونحنُ فى فِسطاطنا : ياعبـدَ الرحمن بن يزيد ، ويايزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز[(٦)] ، قوموا فتوضّئوا

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ولم نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا فى الأصـل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سـياق الكلام أن كلمة « نعازى » الواردة فى الأصـل محرّفة عن كلمة «نقارئ» من قارأه مقارأة إذا دارسه أى شاركه فى الدرس ؛ وبهـا يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصـل وتهذيب التهذيب وتقريب التهـذيب . وفى الخلاصة : «الغازى» بياء بعد الزاى المعجمة .

وصلُّوا، فإنّ قيامَ هذا الليل وصيامَ هذا النهار أيسرُ من شرب الصديدِ ومن مُقطّعات الحديد، فالوَحا الوحا ثم النجاءَ النجاءَ، ويُقبل على صلاتِهِ .

مالك بن مِغْوَل(١) عن رجل من جُعْفِيّ(٢) عن السدىّ عن أبى أراكة قال : صلّى علىٌّ الغداةَ ثم جلس حتى ارتفعت الشمسُ كأنّ عليه كآبةً، ثم قال : واللهِ ، لقد رأيتُ أثرا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فما أرى أحدا يُشبهُهم، والله إن كانوا لَيُصبحون شُعْثًا غُبْرا صُفْرا، بين أعينهم مثل رُكَبِ المِعْزَى، قد باتوا يتلُون كتابَ الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكروا الله مادوا كما يميدُ الشجر فى يوم ريح، وانهملت أعينُهم حتى تبُلَّ ثيابَهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين.. يريد أنهم يستقلّون ذلك .

المحاربىّ عن الإفريقىّ قال حدّثنا أبو عَلْقَمة عن أبى هريرة قال : إن أهلَ السماء ليرَوْن بيوتَ أهلِ الذكر تُضيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهلِ الأرض .

يَعْلَى بن عُبَيْد عن محمّد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال : كونوا ينابيعَ العلم، مفاتيحَ الهدى، أحلاسَ(٣) البيوت، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرَفوا(٤) فى أهل السماء، وتخْفَوا فى أهل الأرض .

حدّثنى محمد بن داود قال حدّثنا أبو الربيع الزَّهْرانىّ قال حدّثنا أبو عَوانة عن المغيرة عن إبراهيم : فى الرجل يرى الضوءَ [بالليل](٥)؛ قال : هو من الشيطان، لو كان هذا فضلا لأُوثِرَ به أهلُ بدر .

(١) كذا فى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفى الأصل : « معول » بالعين المهملة ، وهو تحريف . (٢) جعفى : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس جمع حلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلازم البيت ولا يبرحه ؛ ومنه الحديث الشريف : « كونوا أحلاس بيوتكم » أى الزموها . (٤) فى الأصل : « تعرفون ... وتخفون ... » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابا للأمر . (٥) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

المـــــوت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى عيسى بن ميمون عن محمـد بن كعب قال : نظرت إلى عمر بن عبـد العزيز فأدَمتُ النظرَ إليه ؛ قال : ما تنظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر إلى ما ٱبيضّ من شعرك ، ونحَلَ من جسمك ، وتغيّر من لونك ؛ فقال : أمَا والله لو رأيتنى فى القبر بعد ثالثـة ؛ وقد سالتْ حدقتاى على وجنتىّ ، وسال منخراى صديدا ودودا ، لكنتَ أشدَّ نَكَرَةً[1] .

وقال الأصمعىّ : دخلتُ بعضَ الجَبَابين[2] ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سنينَ ، وهى تقول :

عَدِمتُ الحيـاةَ ولا نلتُها * إذا كنتَ فى القبر قد ألحدوكا
وكيف أذوق لذيذ الكرى * وأنت بيمناك قد وسّـدوكا

قال الأزدىّ : بلغنى أنّ داود الطائىّ مرَّ بامرأة تبكى عنـد قبرٍ وهى تقول : يا أخاه ! ليت شعرى :

بأىّ خدَّيك تبدّى البِلى * وأىُّ عينيـك إذًا سالا

فصعِق مكانه ثم تعبَّد .

حدّثنى محمـد بن مرزوق قال حدّثنا محمد بن نصر المعـلّم قال حدّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أتيت القبـورَ فناديتُهـنّ* أيـن المعظّمُ والمحتقَرْ
وأين المُـدِلُّ بسـلطانه * وأين المزكّى اذا ما ٱفتخَرْ

---

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الإنكار . (٢) الجبابين جمع جبانة ، وهى المقبرة .

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانَوْا جميعًا فما مُخـبِرٌ * وماتوا جميعا وماتَ الخبَرْ

تروحُ وتغدو بناتُ الثرى * وتُمحَى[1] محاسنُ تلك الصُّوَرْ

فياسائلى عن أناسٍ مَضَوْا * أمَا لك فيما ترى مُعتَبَرْ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغنى أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُلَلِ[2] الأجبال تحرُسهم * غُلْبُ الرجالِ فلم تنفعهم[3] القُلَلُ

واستُنْزِلوا بعـد عزٍّ من معاقلهم * فأُسكِنوا حُفْرةً يا بئس ما نزلوا

ناداهُمُ صارخٌ من بعـد ما دُفنوا * أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ

أين الوجوهُ التى كانت مُحَجَّبةً[4] * من دونها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ[5]

فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوهُ عليها الدودُ تقتتلُ[6]

قد طال ما أكلوا دهرا وما نَعِموا[7] * فأصبحوا بعدطول الأكل قدأُكلوا

وقال آخر :

ربَّ قوم غَبَروا من عيشهم * فى نعيم وسرورٍ وغَدَقْ

سكتَ الدهرُ زمانا عنهُمُ * ثم أبكاهم دمًا حين نَطَقْ

---

(١) فى الإحياء للغزالى : « فتمحو ... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الجبل . (٣) فى تاريخ أبى الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فما أغنتهم » . (٤) فى تاريخ أبى الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهى الستر الرقيق المعروف فى زمننا هـذا بالناموسية . (٦) فى تاريخ أبى الفدا : « يقتتل » وفى اسم الجنس ، كالدود هنا ، يجوز الامران . (٧) فى تاريخ أبى الفدا : « شربوا » .

نزل النُّعمان ومعه عدِىٌّ بن زيد فى ظلّ شجرةٍ عظيمةٍ ليلهُوَا، فقال له عدى بن زيد : أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا، قال تقول :

ربَّ شَرْبٍ(١) قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالمـاءِ الزلالِ
ثم أضحَوْا لَعب الدهرُ بهم * وكذاك الدهرُ حالًا بعد حالِ

وقال إبراهيم بن المهدى :

بالله ربِّك كم بيتٍ مررتَ به * قد كان يُعْمَر باللذّات والطربِ
طارتْ عُقابُ(٢) المنايا فى سقائفه * فصار من بعدها للويلِ والحربِ

أنشـدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمـد العروضىّ :

كن كيف شئتَ فقصرُك(٣) الموتُ * لا مَزْحَلٌ عنــه ولا فَوْتُ
بينـا غِنَى بيتٍ وبهجتُه * زال الغنَى وتقـوَّضَ البيتُ

حدّثنى يزداذ(٤) بن أسـد عن الطَّنافسىّ قال حدّثنا أبو محمد قال : كان مالك بن دينار يخرج إلى القبور كلَّ خميس على حمار قوطرانىّ(٥) و يقول :

ألا حَىِّ القبـورَ ومن بِهِنَّهْ * وجوهٌ فى القبـورِ أُحِبُّهنَّهْ
فلو أنّ القبور سمعنَ صوتى * إذًا لأجبننى من وجدِهنَّـهْ
ولكنّ القبـورَ صمَتْنَ عنّى * فأُبتُ بحسرةٍ من عندِهِـنَّهْ

---

(١) فى الكامل للمبرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : «رب ركب ... حولنا * يمزجون ...» وفى البيت الثانى «عصف» بدل «لعب» . (٢) فى الأصل : «عقار المنايا» . (٣) قصرك : قصاراك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد فى مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ و إنما سموا يزداد (بالدال) و يزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذه النسبة .

ثم يبكى ونبكى .

قال معاوية بن أبى سفيان لعُبَيد بن شرية الجُرْهُمىّ : أخبِرْنى بأعجبِ شىءٍ رأيتَه فى الجاهليّة؛ فقال : إنى نزلتُ بحىٍّ من قُضاعة فخرجوا بجنازةِ رجلٍ من عُذرة يقال له حُرَيث وخرجتُ معهم، حتى إذا وارَوْه فى حفرته انتبذتُ جانبا عن القوم وعيناى تَذْرِفان ثم تمثّلتُ بأبياتِ شعرٍ كنتُ أَرويها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :

تجرى أمورٌ ولا تَدْرِى : أوائلُها * خَيْرٌ لنفسك(١) أم ما فيه تأخيرُ
فأستقدرِ اللهَ خيرا وأرْضَيَنَّ به * فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ فى الأحياءِ مغتبطًا * إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحىّ مسرورُ

قال : وإلى جانبى رجلٌ يسمع ما أقول، فقال لى يا عبدَ الله، هل لك علمٌ بقائلِ هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله، إلا أنّى أَرويها منذُ زمانٍ ؛ فقال : والذى تحلِفُ به إن قائلَها لصاحبُنا الذى دفنّاه آنفا، وهذا الذى ترى ذو قرابته أسرّ الناس بموته، وإنك لغريبٌ وتبكى عليه كما وصفتَ؛ فعجبتُ لما ذكره فى شعره وما صار إليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكانى من جنازته، فقلت : «إنّ البلاء موكَّلٌ بالقول»؛ فذهبتْ مثلا .

قال أعرابىٌّ : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحياةَ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت لنزوله الموت .

---

(١) فى درة الغواص للحريرى (ص ٣٣ طبعة الجوائب) : "وما تدرى أعاجلها * أدنى لرشدك"
وفى الأصل هنا : ولا يدرى أوائلها * خيرا الخ .... وهو تحريف .

وقال أبو زُبَيد :

يَملكُ المرءُ بالرجاءِ ويُضحى * غَرَضا للنون نَصْبَ العودِ
كلّ يومٍ ترميه منها بَرشْــقٍ (١) * فمصيبٌ أو صاف (٢) غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظتْك أجداثٌ صُمُتْ * ونَعَتْك أزمنــةٌ خُفُتْ
وتكلّمتْ عن أوجهٍ * تَبــلى وعن صور شُتُتْ (٣)
وأرتك قبرَكَ فى القبــو * رِ وأنت حىٌّ لم تمُتْ

وقال أعرابىٌّ : أبْعدَ سفرٌ أوّلُ مَنْقَلةٍ (٤) منه الموتُ . وقيــل لأعرابىّ : مات فلانٌ أصحَّ ما كان؛ فقال : أوَ صحيحٌ مَن الموتُ فى عُنقِه ! وقال بعض المحدَثين :

اِسمعْ فقد أسمعك الصوتُ * إن لم تبــادر فهو الفوتُ
بل كُلْ إذاشئت وعِش ناعما * آخرُ هذا كلِّه الموتُ

وكان صالح المرّىّ يقول فى قَصَصه :

مؤمِّــلُ دنيــا لتبــقَى له * فمــاتَ المؤمِّلُ قبــلَ الأَمَلْ
وباتَ يُروِّى أصولَ الفَســيل (٥) * فعاش الفســيلُ ومات الرجُلْ

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكَى أحبَابَهم ثم بُكُوا
تركوا الدنيا لمن بعدهُمُ * وُدُّهم لو قــدّموا ما تركوا

---

(١) الرشق : الشوط من الرمى . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .
(٣) كذا فى ديوان أبى العتاهيــة طبع بيروت . وفى الأصــل والمسعودى : «وعن صور سبت» .
(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينــا من ملوكٍ سُوقةً * ورأينــا سُوقةً قــد مَلَكوا
قَلَبَ الدهرُ عليهـــم وَرِكا * فاستداروا حيث دار الفلكُ

حدّثنى أبى عن أبى العتاهيــة أنه قرئ له بيتــان على جدارٍ من جُدُر كنيسة القسطنطينية :

ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماءِ فى الفلَكِ
إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلِكٍ * كان يحبُّ الدنيا إلى مَلِكِ

وقال آخر:

ما أنزل الموتَ حقَّ منزلِهِ * من عَدَّ يوما لم يأتِ من أجَلِهْ
والصّدقُ والصّبرُ يبلُغان بمن * كانا قرينَيْـــه منتهى أملِهْ
عليك صدقَ اللسان مجتهدا * فإنّ جُلَّ الهـــلاك فى زللِهْ

وقال الطِّرِمَّاح :

فيارَبِّ لا تجعـــلْ وفاتى إن أتت * على شَرجعٍ (١) يُعْـــلَى بِدُكْنِ المطارِفِ
ولكن أجِزْ يومى (٢) شهيدًا وعُصْـبةً * يصابون فى فجٍّ من الأرض خائف
عصائبُ من شتَّى يؤلِّفُ بينهـــم * هُـــدى الله نزّالون عنـــد المواقف
إذا فارقوا دنيـــاهمُ فارقوا الأذى * وصاروا إلى موعودها (٣) فى المصاحف
فأُقتَـــلُ قَعْصًا (٤) ثم يُرمَى بأعظمى * كضِغْثِ (٥) الخَلَا بين الرياح العواصف
ويُصبِـــح لحمى بطنَ طيرٍ مقيلَـةً * دُوَينَ السماء فى نســـورٍ عوائفِ (٦)

(١) الشرجع : النعش. (٢) رسمت هذه الجملة فى الأصل هكذا : «ولكن أحر يومى» . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى فى ترجمة الطرماح باختلاف كثير فى الكلمات عما هنا . (٣) فى الأغانى (ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق) : «إلى ميعاد ما فى المصاحف» . (٤) قعصه قعصا : قتله مكانه . (٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . (٦) العوائف من الطير : التى تستدير على الشىء حائمة حوله تريد الوقوع .

وُهَيب بن الوَرْد قال : اتّخذ نوح بيتـا من خُصٍّ ، فقيل له لو بنيت بيتـا ؟ فقال : هذا لمن يموت كثيرٌ.

بلغنى عن إسماعيل بن عَيّـاش عن شُرَحْبيل بن مسـلم أن أبا الدّرداء كان إذا رأى جنازةً قال : اِغْدى فإنّا رائحون ،أو قال : روحى فإنا غادون . وهذا مثل قول لبيد :

و إنا و إخواناً لنا قد تتابعوا * لكالمغتـــدى والرائح المتهجِّرِ[1]

بلغنى عن وَكِيع عن شَريك عن منصور عن هلال بن إِساف قال : ما من مولود يولد إلا وفى سرّته من تُربة الأرض التى يموت فيهـا .قال الأصمعىّ : أوّل شعر قيل فى ذمّ الدنيا قول ابن خَذّاق[2] :

هل للفتى من بناتِ الدهر من راقى * أم هل له من حِمَـام الموت من واقى
قـد رجّلونى وما رُجِّلتُ من شَعَثٍ * وألبســونى ثيـابا غيرَ أخــلاقِ
وطَيّبـــونى وقالوا أيّمـا رجـلٍ * وأدرجـــونى كأنّى طىّ مخـــراقِ[3]
هوِّن عليـــك ولا تُولَع بإشــفاقٍ * فإنمـا مالُنا للـــوارث البـاقى

محمد بن فُضَيل عن عُبيــد الله بن عُمَير قال : جاء رجل إلى النبىّ عليــه السلام فقال : يا نبىَّ الله، مالى لا أحبُّ الموت؟فقال له : «هل لك مال»؟قال : نعم،قال : «قدِّمه بين يديك» ،قال : لا أُطيق ذلك،قال : فقال النبىُّ عليه السلام : "إنّ المرءَ مع ماله إن قدّمه أحبَّ أن يَلْحَقَ به و إن أخّره أَحَبَّ أن يتخلَّف معه " .

المحاربىّ عن عبـد الملك بن عُمَير قال : قيل للربيع بن خُثَيْم فى مرضه : ألا ندعو لك طبيبا؟ قال : أنظرونى،ثم فكر فقال : (وعادًا وثَمُودَ وأصحابَ الرَّسِّ وقُرُونًا

(١) كذا فى ديوان لبيد ، وفى الأصل «المتبجر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا فى كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى والقاموس وشرحه مادة «خذق» وفى الأصل «حلاق» وهو تحريف .
(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف و يضرب به .

بينَ ذلكَ كثيرًا) قد كانت فيهـم أطباءُ، فمـا أرى المداوِى بَقِى ولا المُداوَى، هلك الناعتُ والمنعوتُ له، لا تدعوا لى طبيبا .

إسحاق بن سليمان عن أبى أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هِجِّيرَى[1] إلا أن يقول :

تُسَرُّ بمـا يَبلَى وتفرَحُ بالمـنَى * كما ٱغترّ باللذّاتِ فى النوم حالمُ
نهارُكَ يا مغـرورُ سهوٌ وغَفْلةٌ * وليـلُك نومٌ والردَى لك لازمُ
وسعيُك فيما سوف تكره غِبَّـهُ * كذلك فى الدنيـا تعيشُ البهائمُ

كم من مستقبِلٍ يوما ليس بمستكمله ، ومنتظِرٍ غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم الأجل ومسيرَه، لأبغضتم الأملَ وغرورَه .

لا يلبث القُرَنَاء أن يتفرّقوا * ليل يَكُرّ عليهـمُ ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وَرْد عن سالم بن بَشِير ٱبن جَحَل عن أبى هريرة : أنه بكى فى مرضه فقـال : أَمَا إنّى لا أبكى على دنياكم ولكنّى أبكى على بعد سفرى وقلّةِ زادى ، وأنى أمسيتُ فى صُعودٍ مهبِطُه على جنةٍ أو نار، ولا أدرى على أيّهما يؤخذ بى ! .

أبو جَنَابٍ قال : لمـا ٱحتُضِر معاذٌ قال لجاريتـه : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا ؛ ثم تركها ساعةً ثم قال لها : انظُرِى ! فقالت : نعم؛ فقال : أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحبا بالموت، مرحبا بزائرٍ جاء على فاقةٍ ، لا أفلَح مَنْ نَدِم ! اللهمّ إنك تعلم أنّى لم أكن أُحبُّ البقاءَ فى الدنيا لكَرْى الأنهارِ ولا لغرس الأشجارِ ، ولكن كنت أُحبُّ البقاءَ لمكابدة الليـل الطويل ولظمأ الهواجر فى الحرِّ الشديد ولمزاحمةِ العلمـاءِ بالرُّكَبِ فى حِلَق الذِّكر .

(١) الهجّيرى : الدأب والعادة .

أبو اليَقْظان قال : لمـا ٱحتُضِر عمرُو بن العاص جعـل يدَه فى موضع الغُلّ من عنقه ثم قال : اللهـمّ إنك أمرتَنا ففرَّطْنا، ونهيتنا فركِبنا ، اللهمّ إنه لا يَسَـعُنا إلا رحمتُك؛ فلم يزل ذلك هِجِّيرَاه حتى قُبض .

قيل لأزاذ مَرْد بن الهِرْبِذ (١) حين احتُضِر : ما حالُك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيـدا بلا زاد، وينزِلُ حفرةً من الأرض مُوحِشةً بلا مؤنس، ويَقْـدَمُ على ملكٍ جبّارٍ قد قَدّم إليه العـذرَ بلا حُجّةٍ !

حدّثنى عَبْدَةُ الصفّارُ قال حدّثنى العَلاء بن الفضل قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيـه قال : سمعتُ أميّةَ بن أبى الصَّلْت عنـد وفاته وأُغمِىَ عليـه طويلا ثم أفاق، ورفع رأسـه إلى سقف البيت وقال : لبّيكما لبّيكما، هأنذا لديكما ، لا عشيرتى تَحمِينى، ولا مالى يَفـديني، ثم أُغمِىَ عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دهرا ＊ صائرٌ مرّةً إلى أن يزولا
ليتنى كنتُ قبـل ما قد بدا لى ＊ فى رءوس الجبال أرعَى الوُعُولا

ثم فاضت نفسُه .

الحَكَم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهمّ إن كنتَ تعـلمَ أنى قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جُرأَةً منّى عليك، فإنك تعلم أنى قد أطعتُك فى أحبّ الأشياء اليـك شهادةِ أن لا إله إلا أنت، مَنًّا منك لا مَنًّا عليـك . وكان سببُ إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائمـا، فأتاه آتٍ فى منامه فقال :

---

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة فى اللغة الفارسية "آزاد" بالدال المهملة فلعل ما فى الأصل تحـريف .

كأنى بهذا القصر قد بادَ أهـلُه * وعُرِّىَ منــه أهـلُه ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمةٍ * إلى جَدَثٍ تُبنَى عليــه جنادلُهْ
فلم يبق إلا رسمــهُ وحديثُـــه * تُبَــكِّى(١) عليه مُعْـوِلاتٍ حلائلُهْ

فٱستيقظ مرعوبا ثم نام فأتاه الآتى فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك وانقضت * سـنُوكَ وأمرُ الله لا بدّ واقــعُ
فهــل كاهنٌ أعددتَه أو منجِّم * أبا جعفرٍ عنــك المنيــةَ دافعُ

فقــال : يا ربيع ائتنى بطَهورى ، فقام وٱغتسل وصــلّى ولبّى وتجهّز للحجّ ، فلمــا صار فى الثلث الأوّل ٱشتدّت علّتُــه ، فجعــل يقول : يا ربيع أَلْقِنى فى حَرَم الله ، فمــات ببئر ميمونٍ(٢) .

حدّثنى محمد بن داود عن سـعيد بن نصـير عن العباس بن طالب قال : قال الربيع بن بَرَّة : كنتُ بالشام فسمعتُ رجلا وهو فى الموت يقال له : قل لا إلٰه إلا الله ، فقال : اشرب واسقنى . ورأيت رجلا بالأهواز قيل له : قل لا إلٰهَ إلا اللهُ ، فقال : ده يا ذده وده دوازده(٣) . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إلٰه الا الله ، فقال :

يارب قائلة يوما وقــد لَغِبتْ * كيف الطريقُ إلى حَمّام منجابِ(٤)

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن معمر عن أبيه قال : لقِّن مَيِّتَك ، فإذا قالهــا فدعه يتكلّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه .

(١) تبكى (بالتشديد) : مثل تبكى بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بمكة منسوبة إلى ميمون ابن خالد بن عامر بن الحضرمىّ . (٣) هــذه كلمــات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر ومعنى الثانيــة عشرة اثنا عشر . وهى كلمــات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمام منجاب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجاب بن راشد الضبىّ .

قال مالك بن ضيغم : لمـا ٱحتُضِر أبى قلنـا له : ألا تُوصِى ؟ قال : بلى، أُوصيكم بمـا أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسنِ الجوار وفعلِ ما ٱستطعتم من المعروف، وٱدفنونى مع المساكين .

وقال عمر بن عبـد العزيز لابنه (١) : كيف تجِـدُك ؟ قال : فى الموت ؛ قال : لأن تكونَ فى ميزانى أحبّ إلىّ من أن أكون فى ميزانك، قال : وأنا والله لأن يكون ما تُحبّ أَحبّ إلىّ من أن يكون ما أُحِبّ .

احتضر سيبويه النحوىّ فوضع رأسه فى حجر أخيه فقطَرت قَطرةٌ من دموع أخيه على خدّه، فأفاق من غشيته وقال :

أُخَيَّيْن كنّا فـرّق الدهر بيننا * إلى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميـد بن هلال : قيـل لهَرِم بن حِبّان : أوص؛ فقال : قد صدَقَتنى نفسى فى الحياة، مالى شىء أُوصِى فيه، ولكن أُوصيكم بخواتيم سورة النحل .

قال الشاعر :

ما ٱرتدّ طرفُ امرئ بلحظته * إلا وشىءٌ يموتُ من جسـدِهْ

وقال آخر :

المرء يشـقَى بمـا يَسعَى لوارثه * والقبرُ وارثُ ما يسعى له الرجُلُ

حدثنى محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن أبى حيّان التيمىّ عن أبيه قال : أَوصَى الربيعُ بن خيثم وأشهدَ على نفسـه وكَفَى بٱلله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازيًا لعباده الصالحين ومُثيبا : إنى رضيت بالله ربًّا وبالإسـلام دينا وبمحمدٍ رسولا ، وأُوصِى نفسى ومن أطاعنى أن يعبُدَ اللهَ فى العابدين ويحمَـده فى الحامدين وينصحَ لجماعة المسلمين ؛ وأَوصَى أهله : أَلَّا تُشعِروا بى أحدا وسُلُّونى إلى ربى سَلًّا .

حدّثنى محمـد بن أحمـد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجرىّ يقول : لمـا مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به بارًّا)؛ فسمعها الشـيخُ فقال : أنَّى أضيعُ واللهُ حىٌّ لا يموت! فلما واراه الترابَ وقف على قبره وقال : رحمك الله ياذرّ! ما علينا بعـدك من خصاصةٍ وما بنا إلى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرُّنى أنّى كنت المقـدّمَ قبلَك ، ولولا هولُ المطَّلَع لتمنّيتُ أن أكون مكانَك ، لقـد شغلنى الحزنُ لك عن الحزن عليـك ، فياليت شـعرى ما ذا قلتَ وما قيل لك! ثم رفع رأسَه إلى السماء فقال : اللهمّ إنّى قد وهبتُ حقّى فيما بينى وبينه له ، فهبْ حقَّـك فيما بينك وبينـه له . ثم قال عنـد آنصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا شُرَيح بن النّعمان عن عبد العزيز بن أبى سَـلَمة المـاجِشُون عن عبـد الواحد بن أبى عَوْن عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «تُوفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بآلجبالِ الراسياتِ ما نزل بأبى لهاضَها، إشرأبَّ النفاقُ بالمدينـة وآرتدّت العـربُ ، فوالله ما آختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بحظها وغَنَائها[1] فى الإسلام» . وكانت مع هذا تقول : « من رأى عمرَ بن الخطاب عرفَ أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسـلام ، كان والله أحوزِيًّا[2] نسـيجَ

(١) فى الأصل : «وغنا بها» . (٢) الأحوزىّ : الحسن السياق للأمور وفيه بعض النفار .

وحده، قد أعدّ للأمور أقرانَها » . وقالت عنـد قبره : « رحمك الله يا أبتِ ! لقـد قمتَ بالدين حين وهى شَـعْبُه (١) وتفاقم صَـدْعُه ورجفت جوانبُه ، انقبضت ممـا أصغَوْا إليـه (٢) ، وشمَّرت (٣) فيما وَنَوا فيه واستخففتَ من دنياك ما استوطنوا (٤) وصـغَّرتَ منهـا ما عظَّموا ورعَيت دينـك فيما أغفلوا ، أطالوا عِنان الأمن واقتعدت مطِيَّ الحـذر، ولم تهضِم دينك ولم تَشِـنْ غدَك ففاز عنـد المساهمة قِدْحُك وخفَّ ممـا استوزروا ظهرُك » . وقالت أيضا عند قبره : « نضَّر الله وجهك يا أبتِ ! فلقـد كنتَ للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها، وللآخرة معزًّا بإقبالك عليها، ولئن كان أجلَّ الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤك وأكبرَ المصائبِ فقدُك إنّ كتابَ الله لَيعِدُ بجميلِ العزاءِ عند أحسنِ العِوَض (٥) منك ،فأنا أتنجّز من الله مَوعودَه فيك بالصبر عليك، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك، عليك سلامُ الله ورحمتُه، توديعَ غيرِ قاليةٍ لحياتك ولا زاريةٍ على القضاء فيك » .

قال الحسين بن علىّ عند قبر أخيه الحسن : « رحمك اللهُ أبا محمـد ! إن كنتَ لَتُباصِرُ الحقَّ مَظَانَّه ، وتُؤْثِر اللهَ عند تداحُضِ (٦) الباطلِ فى مواطن التقيّة بحسن الرويّة ، وتستشِفُّ جليلَ مَعاظمِ الدنيا بعينٍ لهـا حاقرةٍ ، وتُفيضُ عليها يدًا طاهرةَ الأطرافِ نقيّةَ الأسرَّة (٧)، وتردَعُ بادرةَ غربِ أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غروَ وأنت ابن

---

(١) وهى شعبه : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . (٣) شمر : جدّ . وفى الأصل : «سموت» وهو تحريف، إذ ما بعده يعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالأصل .

(٥) الذى فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : «ان كتاب الله ليعـد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك» . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل، ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا، فلعلها «عند مداحض الباطل» جمع «مدحضـة» كمزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهى الخطوط التى تبدو فى ظاهر اليد والجبهة .

سلالة النبوّة و رضيعُ لِبان الحكمةِ ؛ فإلى رَوْح ورَيحانٍ وجنّةِ نعيم ؛ أعظمَ اللهُ لنا ولكم الأجرَ عليه ، ووهبَ لنا ولكم السّلوةَ وحُسْنَ الأُسَى عنه (١) » .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين السعيدىّ عن محمد بن مُصْعَب : أنّ ابن السمّاك قال يوم مات داودُ الطائىّ فى كلامٍ له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه إلى مابين يديه من آخرته ، فأعشَى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر ، فأنتم منه تعجّبون وهو منكم يعجَب ، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولَكم وأماتت بحبّها قلوبَكم استوحش منكم ، فكنتُ إذا نظرتُ إليه نظرت [الى] حىٍّ وسطَ أمواتٍ . يا داود ما أعجب شأنك بين أهـل زمانك ! أهَنت نفسَك وإنمـا تريد إكرامَها ، وأتعبتها وإنمـا تريد راحتَها ، أخشنتَ المطعمَ وإنمـا تريد طِيبَـه وأخشنتَ الملبسَ وإنمـا تريد لِينَـه ، ثم أمتَّ نفسَـك قبل أن تموتَ ، وقبرتَهـا قبلَ أن تُقبرَ ، وعذّبتها ولمّـا تُعذّبْ (٢) ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكَرَ ، رغبتْ نفسُك عن الدنيا فلم ترها لك قدْراً إلى الآخرة ، فمـا أظنُّك إلا وقد ظَفِرت بمـا طالبت ؛ كان سِماك فى سرِّك ولم يكن سمـاك فى علانيتك ، تفقّهتَ فى دينـك وتركت الناس يُفَتُّون ، وسمعتَ الحديثَ وتركتَهم يُحدِّثون ، وخرِسْتَ عن القول وتركتهـم ينطقون ، لا تحسُـد الأخيارَ ، ولا تعيبُ الأشرارَ ، ولا تقبـل من السلطان عطيّة ، ولا من الإخوان هديّة ؛ آنسُ ما تكون إذا كنتَ بالله خاليا ، وأوحشُ ما تكون آنسُ ما يكون النـاس ؛ فمن سمِـع بمثلك وصبرَ صبرَك وعزَم عزمَك ! لا أحسَبُك إلا وقد أتعبت العابدين بعـدَك ، سجنتَ نفسَك فى بيتك فلا مُحدِّثَ لك ولا جليسَ معك ولا فراشَ تحتك ولا سـترَ على بابك

---

(١) الأسى (بضم الاول و يكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهى ما يتعزى به .

(٢) فى الأصل «ولمـا أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لمـا» وليس هذا من مواضع زيادتها .

ولا قُلَّةَ يُبَرَّد فيها ماؤك ولا صحفةَ يكون فيهـا غَداؤك وعَشاؤك ، مِطْهَرتُك قلبُــك وقَصْــعتُك تَوْرُك[(١)] . داود ما كنتَ تشــتهى من المـاء باردَه ولا من الطعام طيِّبَــهُ ولا من اللباس ليِّنَــه ، بلى ! ولكن زَهِدتَ فيــه لمـا بين يديك ؛ فمـا أصغرَ ما بذلتَ ، وما أحقرَ ما تركتَ فى جنب ما أمَّلتَ ، فلما مِتَّ شَهَرَك ربُّك بموتك ، وألبسَــك رداءَ عملك ، وأكثرَ تبعَــك ، فلو رأيتَ من حضَرك عرفتَ أنّ ربَّك قد أكرمك وشرَّفك ، فَلْتتكلم اليوم عشيرتُك بكلِّ ألسنتها ، فقــد أوضح ربُّك فضلَها بك ، ووالله لو لم يَدْعُ عبدا إلى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النَّشرِ من كثرة هذا التَّبَعِ ، لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضيع مُطيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومُثيبا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى أرجوك له وأخافك عليه ، فحقق رجائى وآمن خوفى .

مات ابنٌ لأنَس بن مالك فقال أنسٌ عند قبره : اللهمّ عبدُك وولدُ عبدك وقد رُدَّ إليــك ، فارأف به وارحمْه ، وجافِ الأرضَ عن بدنه ، وافتح أبوابَ السماء لرُوحه وتقبَّلْه بقبولٍ حسنٍ . ثم رجع فأكلَ وشربَ وادّهن وأصاب من أهــله .

وقال جرير فى امرأته :

لا يلبَثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا * ليــلٌ يَكُــرُّ عليهم ونهارُ
صلّى الملائكةُ الذين تُخيِّروا * والطيِّبون عليــكِ والأبرارُ

وقفتْ أعرابيّة على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالُك لبطنك ، ولا همُّك لنفسك ، وما كنتَ إلا كما قال القائل :

رحيبُ الذراع بالتى لا تَشينُــه * وإن كانت الفحشاءُ ضاقَ بها ذَرْعا

(١) التور : إناء صغير يتوضأ به .

حدّثني محمد بن داود عن الصَّلْت بن مسعود قال : كان سفيان بن عُيَينة يستحسن شعرَ عديّ بن زيد :

أين أهلُ الديار من قومِ نوحٍ * ثم عادٌ من بعدهم وثمودُ
بينما هم على الأسرَّة والأنـ * ـماط أفضت إلى التراب الخدودُ
ثم لم ينقَضِ الحديثُ ولكن * بعد ذا الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطباءُ بعدَهم لحقوهم * ضلَّ عنهم سَعُوطهم واللَّدود(١)
وصحيحٌ أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

أخذه عليّ بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تخطَّاه الردى * فنجا وماتَ طبيبُه والعُوَّدُ

حدّثني عَبْدة بن عبد الله قال أخبرنا عُبَيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عُمَير عن رِبْعِيّ بن حِراش قال : أتيتُ أهلي فقيل لي : مات أخوك ، فوجدتُ أخي مُسَجًّى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحَّم عليه وأدعو له إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال: السلام عليكم ، فقلنا : وعليكَ السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تُلُقِّيتُ بِرَوْحٍ ورَيحان وربٍّ غيرِ غضبان ، وكساني ثيابا من سندسٍ وإسْتَبرَق . وإني وجدتُ الامرَ أيسرَ مما تظنّون ولا تتّكلوا ، إني استأذنت ربّي أن أخبركم وأبشّركم ، احملوني إلى رسول الله ، فقد عُهِد إليّ ألّا أبرَحَ(٢) حتى ألقاه ثم طَفِئ .

حدّثني أبو سهل عن عليّ بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مُطرِّفا كان يبدو(٣) على دابّته بين المقام فأغفى فإذا أهلُ القبور جلوسٌ على

(١) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف ، واللدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسعط ويصب في أحد شقي الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

شِفَاه(١) قبورهم يقولون : هــذا مُطَرِّفٌ يروح إلى الجُمعة ؛ قلتُ : هل تعرفون يومَ الجمعة؟ قالوا: نعم، وما تقول الطيرُ فى جوف السماء، يقولون : سلامٌ، يومٌ صالحٌ .

حدّثنى محمد بن عبيــد قال : حدّثنا سُــفيان بن عُيَينة عن أبى الزُّبير عن جابر قال : لمـا أراد معاوية أن تَجرِىَ العينُ التى حفرها ــ قال سفيان : تُسمّى عينَ أبى زياد ــ نادَوْا بالمدينة : من كان له قتيلٌ فليأتِ قتيــلَه ؛ قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابا يتثنّون ، وأصابت المِسحَاة رِجْلَ رَجُلٍ منهم فَانفَطَرَتْ(٢) دمًا . قال أبو سعيد الخدرىّ : لا يُنكَرُ بعدَ هذا مُنكَرٌ أبدا .

حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا آبن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عُبَيد بن عُمَير قال : أهلُ القبور يتوكَّفُون(٣) الأخبــارَ فإذا أتاهم الميت سألوه : ما فعــل فلانٌ ؟ فيقول : ألم يأتكم ! فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سُلِكَ به غيرُ سبيلنا .

حدّثنى عبــد الرحمن العَبْــدىّ عن جعفر بن أبى جعفر قال : حدّثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صَبِيح قال : شهِدتُ ثابتا البُنَانىّ يوم مات وشهِده أهلُ البَصرة، فدخلتُ قبرَه أنا وحُمَيدٌ الطويلُ وأبو جعفر حسن مما يلى رأسَه فلما ذهبتُ أُسَوِّى عليه اللَّبِنةَ سقطَتْ من يدى فلم أرَ فى اللحد أحدا، وأصغى إلىَّ حُمَيدٌ أنْ اختُطِفَ صاحبُنا وضجَّ الناسُ فسوَّينا على اللحد وحثَونا الترابَ؛ فلم يكن لحُميــدٍ هِمَّةٌ حتى أتى سليمانَ بن علىّ وهو أميرٌ على البَصرة فأخبره،فقال: ما يُنكَرُ لله قدرةٌ! إلا أنى أُنكِرُ أن يكون أحدٌ من أهل زماننا يُفْعَلُ هــذا به ، فهل علم به أحدٌ سواك؟ قال:

---

(١) كذا بالأصل، ولعل أصله « أشفاء » جمع شفا أى حرف . (٢) انفطرت دما : سالت دما ، يقال: انفطرت قدم فلان أو أصــبعه دما أى سالت وفى الأصل : « انقطرت » بالقاف ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا صيغة آنفعل من قطر . (٣) يتوكفون الأخبار: ينتظرونها ويسألون عنها .

نعم، الربيع بن صَبيح وحَسَن؛ قال : عَدْلان مَرْضِيّان، فبعثَ أمناءَ جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه فى قبره .

وحدّثنى أيضا عن أعرابيّــة كان يُقال لهــا أمّ غَسّان مكفوفةٍ وكانت تعيشُ بمغزَلهــا وتقول : الحمــدُ لله على ما قضى وآرتضى، رضيتُ من الله ما رضِىَ لى ، وأستعينُ اللهَ على بيتٍ ضيّقِ الفِناء قليلِ الكِوَاء(١) وأستعين الله على ما يُطالَع من نواحيه . وماتت جارةٌ لهــا فقيل لها : ما فعلتْ جارتُك ؟ فقالت :

تقسّم جاراتُهــا بيتَهــا * وصارت إلى بيتها الأتلد

وقالت يوما : إن تقبّلَ اللهُ منى صلاةً لم يعذّبْنى، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأنّ الله عزّ وجل لا يثنى فى رحمتِــه وحلمِهِ، قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معــاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخلَ الجنّةَ» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أمّ غسانَ تقول هذا، فعرفت تأويلَه :

الكِبَر والمشيب

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن عبد الجليــل بن عطيّــة عن شَهْر ابن حَوْشَب عن عمرو بن عَنْبَسَةَ قال : سمعتُ رسول الله صــلّى الله عليه وســلّم يقول : «مَنْ شابَ شَيبةً فى الإســلام كانت له نورا يومَ القيامة ما لم يَخضِبْها أو يَنتِفْها» .

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شــيخ من بنى فَزارة قال : مررتُ بالبــادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شــفيرِ قبرٍ، وإذا فى القبور رجالٌ كأنهم الرّماحُ يدفِنُون رجُلا والشيخُ يقول :

(١) الكواء : جمع كوة وهى الخرق فى الحائط .

أُحثُوا على الدَّيسَم من بَرْد الثرى * قِــدْمًا أَبَى ربُّك إلا ما تَرى[١]

فقلت له : مَن الميتُ؟ فقال : ابنى، فقلت له : مَن الذين يَدفِنونه؟ قال : بنـــوه .

حدّثنا أبو عبد الرحمن قال : دخل يونس بن حبيب المسجدَ يُهادَى[٢] بين اثنين من الكبر فقال له رجلٌ كان يَتَّهِمه على مودّته : بلغتَ ما أرى يا أبا عبد الرحمن ! قال : هو ما تَرَى فلا بَلَغْتَه . ونحوه قولُ الشاعر :

* يا عائبَ الشيبِ لا بَلَغْتَه *

ويقال فى الزبور : «من بلغ السبعينَ اشتكَى من غير عِلّة» . وقال محمد بن حسّان النبطِىّ : لا تسأل نفسَك العامَ ما أعطتك فى العام المـاضى .

رأى ضرار بن عمرو الضبىّ له ثلاثةَ عشر ذكرا قد بلغوا فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسُه .

قال ابن أبى فَنَنٍ :

من عاش أخلقت الأيامُ جِدّتَه * وخانه الثّقتانِ السمعُ والبصرُ
قالت عَهِدتُك مجنونا فقلت لها * إنّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

أبو عبيــدة قال : قيــل لشيخ : ما بقِىَ منك؟ قال : يسبِقُنى مَنْ بين يدَىَّ ، ويُدرِكنى مَنْ خلفى ، وأنسى الحديثَ ، وأذكُر القديمَ ، وأنعُس فى الملا ، وأسهَرُ فى الخلا ، وإذا قمتُ قرُبتِ الأرضُ منّى ، وإذا قعدتُ تباعدتْ عنّى ؛ قال الشاعر :

قالت عَهِدتك مجنونا فقلتُ لها * إنّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

---

(١) كذا بالأصل،وجاء هذا البيت فى اللسان مادة « دسم » هكذا

أخشى على ديسم من برد الثرى * أبى قضـاء الله إلا ما ترى

(٢) بالبناء للفعول أى يمشى بينهما معتمدا عليهما لضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للعُريان بن الهَيثم : كيف تَجِدُك ؟ قال : أَجِدُنى قد ابيض منّى ما كنتُ أُحِبُّ أن يسودّ واسودّ منّى ما كنتُ أُحبّ أن يبيَضّ واشتدّ منّى ما أُحبُّ أن يلين،ولان منّى ما أُحبّ أن يشتدّ،وقال :

سَـلْنِى أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ * نومُ العِشاء وسُعَالٌ بالسّحَرْ
وقِلّةُ النومِ إذا الليـلُ اعتكَرْ * وقِلّةُ الطعمِ إذا الزادُ حضَرْ
وسرعةُ الطرفِ وتَحميجُ النظر (١) * وتركُكَ الحسناءَ فى قُبْلِ الطُّهُرْ
* والناس يَبْلَون كما تَبلَى الشَّجَرْ *

وقال حميد بن ثور :

أَرَى بصرى قد رابنى بعد صحّة * وحسبُك داءً أن تصِحَّ وتَسلما

وقال الكميتُ :

لا تَغبِط المرءَ أن يُقـالَ له * أمسى فلانٌ لسِنّه حَكَما
إن سرَّه طولُ عمره فلقـد * أضحَى على الوجه طولُ ما سَلِما

وقال النَّمِر بن تَوْلب :

يَوَدّ الفتى طولَ السلامة والغنَى * فكيف تُرى طولَ السلامةِ يَفعَلُ

---

(١) التحميج : تصغير العين لتمكينها من النظر، و يقال على إدامة النظر مع فتح العينين، وهكذا ذكره الأزهرى والجوهرى وغيرهما بالحاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها، وفى الأصـل : «تجميح» بتقديم الجيم وتأخير الحاء، وهو موافق لما رواه ابن الأثير فى حديث عمر بن عبد العزيز «فطفق يجمح إلى الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد فى كتاب أبى موسى وكأنه والله أعلم سهو. وقال الزمخشرى : هى لغة فى التحميج (أنظر اللسان مادتى حمج وجمح) .

وقال آخر :

كانت قناتى لا تَلينُ لغامزٍ * فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربّى بالسلامة جاهدا * ليُصحّني[1] فإذا السّلامةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرعَ فى نقص آمرئٍ تمامُهُ *

وقال عبد الحميد الكاتب :

ترحّل[2] ما ليس بالقافلِ * وأعقب ما ليس بالآئلِ
فلهفى من الخلَف النازل * ولهفى على السلف الراحلِ
أبكّى على ذا وأبكى لذا * بكاءَ المولَّهة الثاكلِ
تُبَكّى من آبن لها قاطعٍ * وتبكى على آبن لها واصلِ
تقضت غواياتُ سُكر الصبا * وردّ التُّقَى عَنَدَ الباطلِ

محمد بن سلّام الجُمحىّ عن عبد القاهر بن السرىّ قال : كتب الحجاج إلى قتيبة ابن مسلم : إنى نظرتُ فى سنّك فوجدتُك لِدَتى[3] وقد بلغت الخمسين وإنّ آمرأً سار إلى منهل خمسين عاما لقريبٌ منه . فسمع به الحجاج بن يوسف التيمىّ فقال :

إذا كانت السبعون سِنّك لم يكن * لدائك إلا أن تموتَ طبيبُ
وإنّ آمرأً قد سار سبعين حِجّة * إلى منهل من وِرْده لقريبُ
إذا ما خلوتَ الدهر يوما فلا تقل * خلوتُ ولكن قل علىّ رقيبُ
إذا ما آنقضى القَرْن الذى أنت منهمُ * وخُلِّفتَ فى قَرْنٍ فأنت غريبُ

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : «لينجنى» . (٢) فى الأصل «رحل» . ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبيد :

أليس ورائى إن تراخت منيّتى * لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّر أخبارَ القرونِ التى مضت * أدِبّ كأنى كلّما قمتُ راكعُ

وقال آخر فى مثله :

حنتنى حانياتُ(١) الدّهر حتّى * كأنّى خاتِلٌ(٢) يدنو لصــيدِ

وقيل لرجل مِن الحكماء : مالك تُدْمِنُ إمساكَ العصا ولستَ بكبيرٍ ولا مريض؟ فقال : لأذكرَ أنى مسافر، قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملَها * علــىّ ولا أنى تحنيتُ مِن كِبَرْ
ولكنّنى ألزمتُ نفسىَ حَملها * لأُعلِمَها أنّ المقــيمَ على سَــفَرْ

ومرّ شيخ من العرب بغـلامٍ فقال له الغلام : أحْصَدْتَ(٣) ياعمّاه فقال : يابنىّ وتُحتَصَدون .

قال الحسنُ فى موعظة له : يامعشر الشيوخ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنَع به؟ قالوا: يُحصد . يامعشر(٤) الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ، قال الشاعر :

الدّهر أبلانى وما أبليتُــه * والدّهرُ غيّرنى وما يتَغــيَّرُ
والدّهر قيّدنى بخيط مبرَمٍ * فمشيتُ فيه وكلّ يومٍ يَقصُرُ

(١) كذا فى اللسان مادة «ختل» وفى الأصل «نائبات» . (٢) كذا فى اللسان مادة ختل وفى الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل : وهــذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التى قبلها وبين المراد «ثم قال» الخ

وقال عُمارة بن عَقيل :

وأدركتُ مِلءَ الأرضِ ناسا فأصبحوا * كأهـــل الدّيار قَوّضـوا فتحمّلوا
وما نحن إلا رُفقـةٌ قد ترحَّلت * وأخرَى تُقَضِّى حاجَها وتَرَحَّـــلُ

ذكر أعرابيٌّ الشيبَ فقال : والله لقد كنتُ أُنكر الشـعرةَ البيضاء فقد صرتُ أُنكر السوداء، فياخيرَ بَدَلٍ و ياشرَّ مبدول[1] . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسى وما رأيتُ مشيبَ الـــرّ * أس إلا من فضلِ شَيب الفؤادِ
وكذاك القـــلوب فى كلّ بؤسٍ * ونعـــيمٍ طلائـــعُ الأجســادِ
طــال إنكارىَ البيــاضَ فإن عُـــمّـــرتُ شيئا أنكرتُ لونَ الســـوادِ

رأى إياس بن قَتادة شَعرة بيضاءَ فى لحيته، فقال : أرى الموتَ يطلبنى وأرانى لا أفوته ، أعوذ بك ياربّ من فُجَاءاتِ الأمور، يابنى سعد قد وهبتُ لكم شـبابى فهبوا لى شيبتى، ولزم بيتَه .

قال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحِمام .

قال آخر : الشيب تَوْأم الموت .

قال آخر : الشيب تاريخ الموت .

قال آخر : الشيب أوّل مراحل الموت .

قال آخر : الشّيب تمهيد الحِمام .

قال آخر : الشيب عنوان الكِبَر .

---

(١) كذا فى الأصل : وهذا يوافق قول أبى عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه كما فى اللسان مادة «بدل» دليل على أن بدل متعدّ ، وفى العقد الفريد : «مبدل» .

قال عَبيدُ بن الأبرص : * والشَّيْبُ شـينٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْب الشَّعَر موتُ الشَّعَر، وموتُ الشعَرِ علَّةُ موتِ البشر . قال الشاعر :

وكان الشباب الغضُّ لى فيه لذةٌ * فوقَّرنى عنـه المشـيبُ وأدّبا

فسَقْياً ورَعْياً للشبابِ الذى مضى * وأهلا وسهلا بالمشـيب ومرحبَا

وقال أعرابىّ — ويقال هى لأبى دُلَف — :

فى كل يوم من الأيام نابتـةٌ * كأنما نبَتَتْ فيـه على بَصَرى

لئن قَرَضتكِ بالمقراض عن بصرى * لما قرضـتُكِ عن همٍّ ولا فِكَرِى

وقال أعرابىّ :

أرَى الشيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائباً * يَدِبّ دبيبَ الصبح فى غَسَق الظُّلَمْ

هو السُّـمّ إلا أنه غـيرُ مُؤلِم * ولم أر مثـلَ الشيب سُمًّا بلا ألَمْ

وقال آخر :

قَصَر الحوادثُ خطوَه فتدانَى * وحَنَيْنَ صـدرَ قَناته فتحَانَى

صحِبَ الزمانَ على اختلاف فُنُونه * فأراه منـه شِـدّة ولِيَانَا

ما بالُ شـيخ قد تخدّد لحمُـه * أنضَى[1] ثلاثَ عمـائمٍ ألوانَا

سوداءَ داجيـةً وسَحْقَ[2] مُفَوَّفٍ * وأجدّ أخرى بعـد ذاك هِجَانَا[3]

ثم الممـاتُ وراء ذلك كلِّه * وكأنما يُعْـنَى بذاك سِـوانَا

وقال آخر يذكر الشبابَ :

لما مضى ظاعنًا عنّا فـودّعنا * وكان كالميتِ لم يـترك له عَقِبا

عُدنا إلى حالةٍ لا نسـتطيعُ لها * وصلَ الغواني وعابَ الشيبَ مَنْ لَعِبا

(١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالى ، والمفوف من البرود ما فيه خطوط بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الورّاق :

بكيتُ لقرب الأجلْ * وبُعْـدِ فوات الأملْ
ووافـدِ شيبٍ طـرا * بعُقْب شـبابٍ رَحَلْ
شـبَابٌ كأن لم يكن * وشـيبٌ كأن لم يَزَلْ
طَـوَاكَ(١) بشـيرُ البقا * وجاء بشـيرُ الأَجَلْ
طَوَى صاحبٌ صاحبًا * كذاك ٱنتقالُ الدُّوَلْ

وقال أبو الأسود يذمّ الشبابَ :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا * وكان كجارٍ بانَ يـومًا فـوَدّعَا
فقلت له فٱذهَبْ ذميمـا فليتَـني * قتلتُـك علمًا قبـل أن نتصدّعَا
جنيتَ علىّ الذنبَ ثم خذلتَـنى * عليـه فبئسَ الخَلّتانِ هُمَـا معَـا
وكنتَ سَرابًا ماضحًـا(٢) إذ تركتَنى * رَهينـةَ ما أجنى من الشرِّ أجمعَا

وقال آخر :

استنكرتْ شـيبى فقلتُ لهـا * ليس المشيبُ بناقصٍ عُمْرِى
وتنفَّسَتْ بى هِمَّـةٌ وصلَتْ * أملى بكلّ رفيعـةِ الذِّكـرِ

روى عبد الله بن حَفْص الطاحى عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدىّ عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اخْضِبُوا بالسّواد، فإنه أُنسٌ للنساء وهَيبةٌ للعدو . قال عمرُ بن المبارك الخزاعىّ :

مَنْ لأُذْنِى بمَـلامِ * ولِكَـفّى بمُـدَامِ
دَقّ عظمُ الجهـل منّى * وأنثنَى شَنُّ عُرَامى(٣)

---

(١) طواك : جاوزك . (٢) ماضحا : ما بدا وظهر . (٣) كذا فى الأصل ؛ ومن المحتمل أن يكون : «وأنثنى سن عرامى» والعرام : الشدة والقوّة .

وتمشّى الفَــذُّ من شَيـ * ـبي إلى الشَّيب التُّؤامِ[1]
نَظْمَكَ الدرَّ إلى الد * رّةِ فى سِـــلكِ النِّظامِ

وقال أبو العتاهيةِ :

نَعَى لك ظلَّ الشبابِ المشيب * ونادتْك بأسم سِواك الخُطوبُ
فكن مُســـتعدًّا لداعى المنون * فكلّ الذى هو آتٍ قَــرِيبُ
وقبلكَ داوَى المريضَ الطبيبُ * فعاشَ المريضُ ومات الطبيبُ
يَخافُ على نفسه مَنْ يتوبُ * فكيف ترى حال مَن لايتوبُ

محمدُ بن سلّام قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لا يأمنُ مَنْ قطع فى خمسةِ دراهم خيرَ عُضوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غدًا .

الدنيـــا

حدّثنى أبو مسعود الدارمىّ قال حدّثنى جدّى خِراشٌ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصبحت الدنيا همَّه وسَـدَمه[2] نَزَعَ اللهُ الغِنَى من قلبه ، وصير الفقرَ بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتبَ له ، ومن أصبحتِ الآخرةُ همَّه وسَدَمه نزعَ اللهُ الفقرَ من قلبــه وصيَّرَ الغِنَى بين عينيه وأتته الدنيا وهى راغِمةٌ » .

حدّثنى محمــد بن داود قال حدّثنــا أبو الربيع عن حمّــاد عن علىّ بن زيد عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحّاك بن سفيان : « ما طَعامكَ » قال : اللحمُ واللبنُ ، قال : « ثم يصير إلى ما ذا » قال : ثم يصيرُ إلى ما قد علمتَ ، قال :

(١) التؤام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره فى بطن ، ويستعار للزدوجات كما وقع فى هذا البيت .
(٢) السدم : اللهجة والولوع بالشىء .

« فإنّ الله ضربَ ما يخرجُ من ابن آدم مثلًا للدّنيا » قال : وكان بشـيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أُرِيَكم الدّنيا ، فيجيءُ فيقفُ بهم على السُّوقِ ، وهى يومئذ مَزْبَلةٌ ، فيقول : ٱنظروا إلى عَسَلهم وسَمْنِهم وإلى دَجَاجهم وبطّهم صار إلى ما تَرَوْن .

حدّثنى هارون بن موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القُزوينى عن عمرو[(١)] بن أبى قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرّة قال : سُئلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : «إذا دخل النورُ القلبَ وٱنفسحَ شُرِح لذلك الصدرُ» ، قالوا : يانبىّ الله هل لذلكَ آيةٌ يُعرَفُ بهـا ؟ قال : « نعم الإنابةُ إلى دار الخلود والتّجافِى عن دار الغرور والاستعدادُ للموت قبل نُزول الموتِ » .

بلغنى عن العُتبىّ عن حبيب العَـدَوىّ عن وهب بن منبِّـه قال : رأينا ورقةً يَهفُو بها الريحُ فأرسَـلْنا بعضَ الفِتيانِ فأتانا بها فإذا فيها : الدنيا دارٌ لا يُسَـلَّمُ منهـا إلا فيها ، ما أخذَ أهلُها منها لهـا خرجوا منـه ثم حُوسِبوا به ، وما أخَذَ منها أهلُها لغـيرها خرجوا منـه ثم أقاموا فيـه ، وكأن قوما من أهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها ، عمِلوا بمـا يُبصِرون وبادَرُوا ما يحذَرون ، تتقلّبُ أجسادُهم بين ظهرَانَىْ أهل الدنيا ، وتتقلّبُ قلوبهم بين ظهرانَىْ أهل الآخرة ، يَرَوْن النـاسَ يُعظّمون وفاةَ أجسـامهم وهم أشـدّ تعظيما لموت قلوب أحيائهـم . فسألت عن الكلام فلم أجد مَنْ يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدّنيا قنطرةٌ فٱعبُرُوها ولا تعمُرُوها .

---

(١) كذا فى تهذيب التهذيب فى ترجمة محمد بن سعيد . وفى الأصل « عمر » .

وفى بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِي فَٱخْدُمِيه ، ومَنْ خَدَمكِ فٱستخْدِميه » .

قال بعض العابدين يذكُر الدنيا :

لقد غَرّت الدنيا رجالا فأصبحوا * بمنزلةٍ ما بعدها مُتحَوَّلُ
فساخِطُ أمرٍ لا يُبَدَّلُ غيرَه * وراضٍ بأمرٍ غيرِه سيُبَدَّلُ
وبالغُ أمرٍ كان يأمُلُ دونه * ومختَلَجٌ من دون ما كان يأمُلُ

وقال آخرُ يذكر الدنيا :

حُتوفُها رَصَدٌ(١) وعيشُها رَنَقٌ(٢) * وكَدُّها نَكَدٌ ومُلْكُها دُوَلُ

وقال آخر :

نُراعُ لذكر الموت ساعةَ ذكره * وتعترِض الدنيا فنلهو ونلعبُ
ونحن بنو الدنيا خُلِقنا لغيرها * وما كنتَ منه فهو شيء مُحبَّبُ(٣)

وقال يحيى بن خالد : دخلنا فى الدنيا دُخولا أخرجَنا منها .

ذمَّ رجلٌ الدنيا عند عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال عليّ عليه السلام : الدنيا دارُ صِدقٍ لمن صَدّقها ، ودارُ نَجاة لمن فَهِم عنها ، ودارُ غِنًى لمن تزوّد منها ، مَهْبِطُ وحيِ الله ، ومُصلَّى ملائكته ، ومَسجِدُ أنبيائه ، ومَتْجَرُ أوليائه ، رَبِحُوا منها الرحمَةَ وٱحْتَسَبُوا فيها الجنةَ ؛ فمن ذا يذمّها وقد آذَنَتْ ببينها ونادَتْ بفراقها وشَبَّهتْ بسرُورها السّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيبًا وترهيبًا ؛ فيأيها الذامُّ الدنيا المعلِّلُ نفسَه ، متى خَدَعَتْكَ الدنيا أم متى استذمتْ إليكَ(٤) ! أبمصارع آبائك فى البِلَى ! أم بمضاجع أمهاتك فى الثَّرى !

---

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا فهم منها ، ولهذا كانت محبوبة لهم . (٤) آستذمت إليك : فعلت ما تذمها على فعله .

كم مَرَّضتَ بيديك، وعَلَّلتَ بكفَّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباءَ، غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العِجليّ يقول :

نُرَقِّع دنيانا بتمــزيق ديننا ⁂ فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ (١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أمّا ما مضى فحُلْمٌ وأمّا ما بقى فأمانىّ .

قال ســفيانُ :

أوحى الله تعالى إلى نبىّ من الأنبياء « اتّخِذ الدنيا ظِئْرًا والآخرةَ أُمًّا » .

قال الشعبىّ : ما أعلمُ لنا وللدنيا مَثَلًا إلا ما قال كُثَيِّرٌ .

أَسيئى بنا أو أَحسِنى لامَلُومَةٌ ⁂ لَدَيْنــا ولا مَقلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ (٢)

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النارَ بالتِّبْن .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها مِن سرورٍ فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

وقال بعضُ الحكماء : مَثَــلُ الدنيا والآخرةِ مَثَــلُ رجل له ضَرَّتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : ترك لكم الملوكُ الحكمةَ فاتْرُكوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إن الدنيا قد استودَقَتْ (٣) وأنعظَ الناسُ .

(١) كذا ورد فى الإحياء للغزالى (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف فى رواية هذا البيت وفى الأصل : « نمزق » فى الموضعين، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبغضت، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة . (٣) يقال : ودقت الفرس تدق ودقا واستودقت إذا طلبت الفحل .

قال وُهَيبُ بن الورد : مَنْ أرادَ الدنيا فَلْيَتَهيّأ للذلّ .

قيل لمحمد بن واسع : إنك لَترضَى بالدون؛ فقال : إنما رضِيَ بالدُّونِ مَنْ رضي بالدنيا .

قيل لعليّ بن الحسين : مَنْ أعظمُ الناس خَطَرًا؟ فقال : مَنْ لم يرَ الدنيا خطرا لنفســه .

كانَ يقال : لأَنْ تُطلَبَ الدنيا بأقبح ما تُطلَبُ به الدنيا أحسنُ مِنْ أن تُطلَبَ بأحسنِ ما تُطلَبُ به الآخرةُ .

قالتِ امرأةٌ لبعلها ورأته مهمـوما : مِمَّ همُّكَ ؟ أَبالدّنيا فقـد فرغ اللهُ منها أم بالآخرة فزادك اللهُ همًّا ! .

الثوريّ قال : قال المسيحُ : حبُّ الدنيا أصلُ كلّ خطيئةٍ والمـالُ فيها داءٌ كثيرٌ؛ قيـل : ما داؤه؟ قال : لا يَسلمُ [صاحبه](١) من الفخر والكبر؛ قيل: وإن سَلِم؟ قال : يَشْغَلُه إصلاحُه عن ذكر الله .

بلغني عن محمد بن فُضَيلٍ قال : حدّثنـا عبدالله بن عبـد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال : يأهل حِمْصَ، مالي أراكم تجمعونَ كثيرًا ، وتبنُونَ شَديدًا، وتأمُلُون بعيدا ! إنّ مَنْ قبلكم جمعوا كثيرا وبَنَوْا شديدا وأَمَلوا بعيدا فصار جمعهم بُورا وصارتْ مسا كنُهم قبـورا وأملُهم غُرورا . وفي رواية أخرى : يأهل دمشق، مالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأمُلُون ما لا تُدركون! ألا إن عادا وثمودَ كانوا قـد ملئوا ما بين بُصرَى وعَدَن أموالا وأولادا ونَعَمًا ، فمَنْ يَشترِي مِنّي ما تركوا بدرهمين !

(١) زيادة يتطلبها السياق .

بلغنى عن داود بن المحبّر عن عبـد الواحد بن الخطّاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نُريدُ البصرةَ، حتى إذا كنّا بين الرُّصَافة وحمص سمعنا صائحا يصيحُ من بين تلك الرمالِ — سمعته الآذانُ ولم تره العيونُ — يقول : يا مستورُ يامحفوظُ! اِعْقِلْ فى سِتْرِ مَنْ أنتَ! فإن كنتَ لا تعقِلُ [مَنْ أنتَ][1] فى ستْره فاتّقِ الدنيا فإنها حِمَى الله؛ فإن كنتَ لا تعقِلُ كيف تتّقِيها فَصَيّرْها شوكا ثم انظر أين تضَعُ قدميكَ منها! .

قال المأمون : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أحسنَتْ أن تصفَ نفسَها صِفَةَ أبى نُواسٍ فى هذا البيت :

إذا اختبَرَ الدنيا لَبِيبٌ تكشَّفَتْ * له عن عَدُوٍّ فى ثياب صَـدِيقِ

قال المسيحُ عليه السلام : أنا الذى كَفَأتُ الدنيا على وجهها، فليسَتْ لى زوجةٌ تموتُ ولا بيتٌ يَخرَبُ .

قال أبو العتاهية :

يامَنْ ترفَّعَ للدُّنيـا وزِينتِهـا * ليس الترفُّع رفعَ الطِّين بالطينِ
إذا أردت شريفَ الناس كُلّهِمِ * فآنظر إلى مَلِكٍ فى زِىِّ مِسكينِ

وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تَمَّ أمر دنا نقصُـــه * توقَّـــعْ زوالًا إذا قيــل تَمّ

وقال آخر :

لا تَبْـــكِ للدُّنيـا ولا أهلِها * وابكِ ليومٍ تسكُنُ الحافِرَهْ[2]
وابْكِ إذا صِــيحَ بأهل الثرى * فآجتمَعوا فى ساحة السَّاهِرَهْ[3]
ويْلَكِ يا دنيـا لقــد قصَّرَتْ * آمالَ مَنْ يسكُنُكِ الآخـِـرَهْ

(١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفرفيها قبورهم ، فنياها الحافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها؛ قال تعالى : (فإذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجدّدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهّاد عند الخلفاء والملوك

مقـام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدىّ

قام[1] فقال : إنه لمّا سَهُل علينا ما توعّرَ على غيرنا من الوصول إليك، قُمنا مَقامَ الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عُذر الكِتمان، ولاسِيَّما حين اتّسَمْتَ بِميسَم التواضع ووَعَدتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثار الحق على ما سواه، فجمعَنا و إياكَ مَشْهدٌ من مشاهد التمحيص لِيُتِمَّ مُؤَدينا على موعود الأداء وقابِلُنا على موعود القبول، أو يَزيدنا تَمحيصُ الله إيانا فى اختلاف السرِّ والعلانية، ويُحَلِّينا حِليةَ الكذّابين ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَنْ حجب اللهُ عنه العلم عذّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذابا مَنْ أقبل اليه العلمُ فأدبَرعنه؛ ومن أهدى اللهُ إليه علما فلم يعمَل به فقد رَغِبَ عن هـدِيّة الله وقصّربها، فاقبل ما أهدَى الله إليكَ من ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ لا قبولَ سمعةٍ ورياءٍ، فإنه لا يعدَمك منّا إعلامٌ لما تَجهَلُ أو مواطأةٌ على ما تعلَمُ أو تذكيرٌ من غفلةٍ؛ فقد وطّنَ الله عزّ وجلّ نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات وتحصيناً من التمـادى ودلالةً على المخرَج، فقال : ﴿وإمَّا يَنْزَغنَّكَ مِن الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِاللهِ﴾؛ فأطْلِـع اللهَ على قلبكَ بما يُنَوّره مِنْ إيثار الحقِّ ومُنابذةِ الأهواء . ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

مقامُ رجل من الزهّاد بين يدى المنصور

بينما المنصورُ يطوفُ ليلا إذ سمع قائلا يقول : اَللهمَّ إنى أشكو إليـكَ ظهورَ البغى والفسادِ فى الأرض وما يحولُ بين الحقّ وأهـله من الطمع ؛ فخرج المنصورُ

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى .

فجلس ناحيةً من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصلّى الرجلُ ركعتين وٱستلمَ الركنَ وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصورُ: ما الذى سمعتُـكَ تذكُرُ من ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع؟ فوٱلله لقد حَشَوْتَ مَسَامعى ما أرمَضَنى(١)؛ قال: يا أمير المؤمنين إن أمّنتَنى على نفسى أنبأتُك بالأمور من أصولها، وإلا ٱحتجزتُ منكَ وٱقتصرتُ على نفسى ففيها لى شاغلٌ، فقال: أنتَ [آمنٌ](٢) على نفسك [فقل](٢)؛ فقال: إنّ الذى دخله الطمعُ حتى حال بينه وبين ماظهر من البغى والفساد لأنتَ؛ قال: ويحك وكيف يدخلُنى الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال: وهل دخل أحدٌ من الطمع ما دخلكَ! إن الله تبارك وتعـالى ٱسترعاك المسلمينَ وأموالَهم فأغفلتَ أمورَهم وٱهتممتَ بجمع أموالِهم، وجعلتَ بينك وبينهم حجابا من الجصّ والآجُرّ وأبوابا من الحديد وحَجَبَـةً معهم السلاحُ ثم سجنتَ نفسَكَ فيها عنهم، وبعثتَ عُمّالَكَ فى جباية الأموال وجمعها وقوّيتَهم بالرجال والسلاح والكُرَاع، وأمرتَ بألّا يدخُلَ عليك من الناس إلا فلانٌ وفلانٌ نفرٌ سمّيتَهم، ولم تأمر بإيصـال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيفِ الفقير، ولا أحدٌ إلا وله فى هـذا المـال حقٌّ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين ٱستخلصتَهم لنفسك وآثرتَهـم على رعيّتكَ وأمرتَ ألّا يُحجَبُوا عنـك(٣)، تَجْبى الأموال وتجمعُها ولا تَقسِمُها قالوا: هـذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه! فَأْتمروا بألّا يصلَ إليك منْ علم أخبار الناس شىءٌ إلا ما أرادوا، ولا يخرجَ لك عاملٌ فيخالفَ أمرَهُم إلا قصبوه(٤) عندك ونَفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه ويَصْغُرَ قدرُه،

---

(١) أرمضنى: أوجعنى وآلمنى. (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل «وأمرتهم». (٤) قصبوه: عابوه وشتموه وبالعقد الفريد «خوّنوه».

فلما آنتشر ذلكَ عنكَ وعنهم ، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم ، فكان أولَ مَنْ صانعَهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بهـا على ظلم رعيّتكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلمَ من دونهم ، فآمتلأتْ بلادُ الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شُركاءك فى سلطانك وأنت غافل فإن جاء مُتظلّمٌ حِيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليكَ عنــد ظهورك وجدك قد نهيتَ عن ذلكَ ، وأوقفت للنــاس رجلا ينظر فى مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلَغَ بطانتَكَ [خبرُه][1] سألوا صاحبَ المظالم ألّا يرفعَ مَظْلِمَتَه إليك ، فإن المتظلّمَ منه له بهم حُرمةٌ ، فأجابهم خوفا منهم ؛ فلا يزال المظلومُ يختلف إليــه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه ، فإذا أُجهِدَ وأُحرِجَ وظَهَرْتَ ، صَرَخَ بين يديك ، فضُرِبَ ضَرْباً مُبرِحاً ، ليكون نكالا لغــيره ، وأنت تَنظر فلا تُنكِر ، فما بقاءُ الإسلام على هــذا ! وقد كنتُ يا أميرَ المؤمنين [أسافر][2] إلى الصّين فقَدِمتها مرّةً وقد أُصِيبَ مَلِكُها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحثّه[3] جلساؤه على الصبر فقال : أَمَا إنى لست أبكى للبليّة النازلة بى ، ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوتَه ثم قال : أمّا إذ ذهب سمعى فإنّ بصرى لم يذهب نادُوا فى الناس ألّا يلبَس ثوبا أحمرَ إلا متظلّمٌ ، ثم كان يركب الفيل طرفَىْ نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما . فهذا يا أميرَ المؤمنين مُشركٌ بالله غلبتْ رأفتُه بالمشركين شُحَّ نفسه وأنت مؤمنٌ بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتُــكَ بالمسلمين على شحّ نفسك ! فإن كنت إنمـا تجمع المــال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطّفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الطفل حتى تعظُمَ رغبةُ الناس إليه ، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا فى العقد الفريد «حثه» وفى الأصول «فداه» وهو تحريف .

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المـال لتَشـديد السلطان فقد أراك الله عبرا فى بنى أميةَ: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلتَ إنما أجمع المـالَ لطلب غايةٍ هى أجسمُ من الغاية التى أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تُدركُ إلا بخلاف ما أنتَ عليــه يا أميرَ المؤمنين، هل تُعاقبُ من عصاك بأشـدّ من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملِك الذى خوّلك مُلكَ الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكّن بالخلود فى العـذاب الأليم، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك وعَمِلته جوارحُك ونظر إليه بصرُك وآجترحَتْه يداكَ ومشت إليه رجلاك، هل يغنى عنك ما شَحَحْتَ عليه من مُلك الدنيا إذا آنتزعَه من يدك ودعاكَ إلى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتنى لم أُخْلَقْ! ويحكَ! فكيف أحتال لنفسى قال: ياأمير المؤمنين إنّ للناس أعلاماً يفزعون إليهم فى دينهم ويرضَوْن بهم فآجعلهم بطانَتكَ يُرشِدُوكَ، وشاوِرْهم فى أمرك يُسَدِّدوك، قال: قد بعثت إليهم فهربوا منى، قال: خافوا أن تحملَهم على طريقتك ولكن افتحْ بابكَ وسهِّل حجابَك وآنصُر المظلومَ واقمَعْ الظالمَ وخذ الفىءَ والصدقاتِ مما حلّ وطابَ وآقسِمه بالحقّ والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوكَ ويُسْعِدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد إلى مجلسه وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ.

مقـام آخر والمنصور يخطب

خَطبَ المنصورُ فحمِدَ اللهَ ومضى فى كلامه، فلما آنتهى إلى أشهد أن لا إله إلا اللهُ وثَبَ رجل من أقصى المسجد فقال أذكِّرك مَنْ تذكُرُ، فقال المنصور: سمعًا لمن فَهِم عن الله وذُكِّرَ به، وأعوذ بالله أن أكون جبّـارا عصيًّا، وأن تاخذنى العزةُ بالإثم

لقد ضَلَلتُ إذًا وما أنا من المهتدين، وأنتَ واللهِ أيها القائل ما أردتَ بها اللهَ ولكن حاولتَ أن يقال: قام فقال فعوقِبَ فصَبَر، وأَهوِنْ بقائلها لو هَمَمْتُ، فاهتَبِلها[(1)] ويلكَ إذ عفوتُ، وإياكم معشرَ الناس وأختَها؛ فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انبثَّتْ فرُدُّوا الأمرَ إلى أهله يُصْدِرُوه كما أو ردوه؛ ثم رجع إلى خطبته فقال: وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

مقام عمرو بن عُبَيد بين يدى المنصور

قال للمنصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسك ببعضها، واذكر ليلةً تمخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعده؛ فوجَمَ أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو غمَمْتَ[(2)] أمير المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صحبك عشرين سنة لم يرلك عليه أن ينصحكَ يوما واحدا وما عَمِلَ وراءَ بابك بشىء من كتاب الله ولا سنّة نبيِّـه؛ قال أبو جعفر: فما أصنع! قد قلتُ لكَ: خاتمى فى يدك فتعالَ وأصحابك فاكفِنى؛ قال عمرو: ادعُنا بعدلك تَسْخُ أنفسُنا بعونك؛ ببابك ألف مَظلمةٍ اردُدْ منها شيئا نعْلَمْ أنك صادقٌ.

مقام أعرابىّ بين يدى سليمان

قام فقال: إنى مُكَلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنين بكلام فيـه بعضُ الغلظةِ فاحتَمِلْهُ إن كرهتَه، فإن وراءه ما تُحِبّه إن قبلتَه؛ قال: هاتِ يا أعرابىّ؛ قال: فإنى سأُطلِقُ لسانى بمـا خَرِسَتْ عنه الألسُنُ من عِظَتكَ تأديةً لحقِّ الله وحقِّ إمامتـك، إنه قد

(1) فاهتبلها أى اغتنمها، والاهتبال: الاغتنام وانتهاز الفرصـة. (2) فى الأصـل «اغممت» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «أغم» متعديا، وإنما يقال: «غمه الأمر» من غير همز.

اكتنفكَ رجال أساءوا الاختيارَ لأنفسهم، فابْتاعوا دنياكَ بدينهم ورِضَاكَ بسخط ربّهم، خافوكَ في الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِلْمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا الأمانة تضييعًا والأمة عَسْفًا وخسفًا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحتَ، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتكَ، فإنّ أعظم الناس غَبْنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: أمّا أنت يا أعرابيّ فقد سللتَ[1] لسانكَ، وهو أقطعُ سيفيكَ، فقال: أجلْ، لكَ لا عليكَ.

مقام أعرابيّ بين يدي هشام

قال: أتتْ على الناس سِنُون، أما الأولى فَلَحَتِ[2] اللحمَ، وأما الثانية فأكلتِ الشَّحْمَ، وأما الثالثةُ فهاضَتِ[3] العظمَ، وعندكم فضولُ أموالٍ، فإن كانت لله فاقسِمُوها بين عباده، وإن كانت لهم ففيمَ تُحظَرُ عنهم! وإن كانت لكم فتصــدّقوا عليهم بها فإن الله يَجْزِى المتصدّقين؛ فأمر هشامٌ بمالٍ فقُسِم بين الناس وأمرَ للأعرابيّ بمــالٍ؛ فقال: أكلّ المسلمين له مثل هذا؟ قالوا: لا ولا يقوم بذلك بيتُ مالِ المســلمين؛ قال: فلا حاجةَ لى فيما يبعثُ لائمةَ الناسِ على أمير المؤمنين.

مقام الأوزاعيّ بين يدي المنصور

ذكره عبدُ الله بن المبارك عن رجل من أهل الشأم قال: دخلتُ عليه فقال: ما الذى بَطّأ بك عنّى؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين وما الذى تريد منى؟ فقال: الاقتباسُ منك؛ قلتُ: انظر ما تقول، فإنّ مكحولا حدّثنى عن عطية بن بَشيرٍ أنّ رسول الله

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفى الأصل «لقد».

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها.

(٣) هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض: كسره بعد الجبور فهو مهيض.

صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ بلَغه عن الله نصيحةٌ فى دينه فهى رحمةٌ من الله سِيقَتْ إليه، فإن قَبِلَها من الله بشكرٍ وإلّا كانتْ حُجّةً من الله عليه، ليزداد إثماً وليَزْدادَ الله عليه غضبا، وإن بلغه شىءٌ من الحق فرضِىَ فله الرضا، وإن سَخِط فله السخطُ، ومن كرِهَه فقد كره اللهَ، لأن الله هو الحق المبين"، فلا تجهلَنّ؛ قال : وكيف أجهل؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمَعُ. قال الأوزاعىّ : فسلّ علىّ الربيعُ السيفَ وقال: تقول لأمير المؤمنين هذا! فانتهره المنصورُ وقال: أمسِكْ. ثم كلّمه الأوزاعىّ، وكان فى كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحتَ به، والله سائلُك عن صغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها، ولقد حدّثنى عُروةُ بن رُوَيْم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما مِنْ راعٍ يبيتُ غاشًّا لرعيّته إلا حَرَّمَ اللهُ عليه رائحةَ الجنة"، فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرًا، ولِما استطاعَ من عَوراتهم ساترًا، وبالقسط فيما بينهم قائما، لا يتخوّف محسنُهم منه رهقا ولا مسيئهم عدوانا؛ فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدةٌ يستاكُ بها ويردَعُ عنه المنافقين؛ فأتاه جبريلُ فقال : "يا محمدُ ما هذه الجريدةُ بيدكَ! اقذفْها لا تملأْ قلوبَهم رُعبًا". فكيف مَنْ سفكَ دماءهم وشَقّقَ أبشارهم وأنهبَ أموالهم! يا أمير المؤمنين، إنّ المغفورَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القِصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيًّا لم يتعمّده، فهبط جبريل فقال : يا محمد إن الله لم يبعَثْكَ جبّارا تكسِرُ قرونَ أمتك". واعلم أنّ كلّ ما فى يدك لا يعدِلُ شربةً من شراب الجنة ولا ثمرةً من ثمارها؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنة أو قُذّةٌ[1] خيرٌ له من الدنيا بأسرها". إنّ الدنيا تنقطعُ ويزولُ نعيمها، ولو بقى الملكُ لمن قبلكَ لم يصل إليكَ. يا أمير المؤمنين، ولو أنّ ثوبا من

---

(١) قاب القوس : ما بين مقبضها وسيتها . والقذة (بالضم) : ريش السهم .

ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يتقمَّصه! ولو أن ذَنُوباً[1] من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجنه[2] فكيف بمن يتجرّعه، ولو أن حَلقةً من سلاسل جهنم وُضعتْ على جبل لذاب، فكيف مَنْ سُلِكَ فيها[3] ويُردُّ فضلُها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: "لا يُقَوِّم أمرَ الناس إلا حَصيفُ العقدة، بعيدُ الغِرّة، لا يَطَّلِعُ الناسُ منه على عَورةٍ، ولا يُحْنِقُ في الحقّ على جِرّةٍ[4]، ولا تأخُذُهُ في الله لومةُ لائم".

واْعلم أنّ السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ[5] نفسَه وعُمّالَه، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله وصلاتُه سبعونَ ألفَ صلاةٍ ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ؛ وأمير رَتَع ورَتَع عُمّالُه، فذاك يحمِلُ أثقالَه وأثقالاً مع أثقاله؛ وأمير يَظْلِف نفسَه ويَرتَعُ عُمّالُه، فذاك الذي باع آخرتَه بدنيا غيرِه؛ وأميرٌ يرتَعُ ويَظلِفُ عُمّالَه، فذاكَ شرُّ الأكياس.

واْعلم يا أمير المؤمنين أنك قد اْبتُليتَ بأمرٍ عظيمٍ عُرِضَ على السّمواتِ والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنه[6] وأَشفقنَ منه؛ وقد جاء عن جَدِّكَ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلّا أحصاها﴾: أنّ الصغيرة التّبسّمُ، والكبيرةَ الضّحكُ، وقال: فما ظنكم بالكلام وماعملته الأيدى! فأُعيذك بالله أن يُخيَّل إليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

---

(١) الذنوب: الدلو التى دون الملء، تذكر وتؤنث. (٢) آجنه: جعله آجنا أى متغير الطعم واللون ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها قياسية. (٣) فى الأصل: «فيه». (٤) لا يحنق فى الحق على جرة: لا ينطوى على حقد ودغل. وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصلب والتصاقه به. والجرة (بالكسر): ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه. فكنى عمر رضى الله عنه بعدم الإحناق على الجرة عن عدم إضمار الحقد والغيظ. (٥) يظلف نفسه: يكفها. (٦) فى الأصل «أن يحملنها» ومرجع الضمير هاهنا مذكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ياصفية عمّة محمد ويافاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إنى لا أُغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جدّك الأكبر سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إمارةً، فقال : "أى عمّ نفسٌ تُحييها خيرٌ لك من إمارة لا تُحصيها" ، نظرًا لعمه وشفقة عليه أن يلىَ فيجُورَ عن سنته جناحَ بعوضة ، فلا يستطيعَ له نفعا ولا عنه دفعا . هذه نصيحتى إن قبلتَها فلنفسك عملتَ، وإن رددتَها فنفسك بَخَسْتَ، والله الموفق للخير والمعينُ عليه؛ قال بلى! نقبلها ونشكرُ عليها، وبالله نستعينُ .

مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام

قال خالد : وفدتُ عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدُّهنَ ، وذلك فى عام باكَرَ وَسْمِيُّه وتتابعَ وَلِيُّه[1] وأخذت الأرضُ زُخرُفَها ، فهى كالزرابىّ المبثوثة والقُباطىّ[2] المنشورة، وثراها كالكافور لو وُضعتْ به بَضْعةٌ[3] لم تُتَرَّبْ، وقد ضُربتْ له سُرادقاتُ حِبَرٍ[4] بعث بها إليه يوسفُ بن عمر من اليمن تتلألأ كالعِقْيان ، فأرسل إلىّ فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر إلىّ كالمستنطِق لى؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، أتمّ الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه ؛ هــذا مَقامٌ زَيَّنَ الله به ذكرى وأطاب به نشرى ، إذ أرانى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أنَبِّه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمَدَ الله على ما أعطاه، ولا شىء أحضرُ من حديث

(١) الوسمى : مطر الربيع الاول سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولىّ (وزان غنىّ) : المطر بعد الوسمىّ . (٢) الزرابىّ : البسط الملوّنة . والقباطىّ (بضم أوّله وتشديد آخره أو بفتح الأوّل مع تخفيف الأخير) : جمع قبطية (بضم القاف) وهى ثياب كتّان بيض رقاق تعمل فى مصر . (٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان عنب) : جمع حبرة (كعنبة) وهى المخيط من البرود، يقال : برد حبرة على الإضافة والوصفية .

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لى فيه حدّثته به؛ قال : هات؛ قلتُ : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِـعَ له فَتاءُ السِّنّ وصِحّةُ الطِّباع وسَعَةُ المُلك وكثرةُ المـال، وذلك بالخَوَرْنَق، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحدا أُوتى مثلَ الذى أوتيتُ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلة الحجة : إن أذِنتَ لى تكلّمتُ، فقال: قل، فقال : أرأيتَ ما جُمِـعَ لك، أشىءٌ هو لك لم يزل ولا يزولُ، أم هو شىء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يَزُولُ عنك؟ قال: لا ! بل شىء كان لمن قبلى فزال عنه وصار إلىّ وكذلك يزول عنّى؛ قال : فسُرِرتَ بشىءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتهُ، تكون فيه قليلا وتُرْتَهن به طويلا؛ فبكى وقال: أين المهربُ؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيمَ فى مُلكِكَ فتعملَ فيه بطاعة ربّكَ، وإما أن تُلقِيَ عليك أمساحا(١) ثم تلحق بجبل تعبـد فيه ربَّكَ حتى يأتِيَ عليك أجلُكَ؛ قال : فمـالى إذا أنا فعلت ذلك؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبـلى؛ فأتى جبلا فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدىّ بن زيد :

وتَفَكَّرْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أصـ * ـبحَ يـومًا وللهُـدَى تَفْكِيرُ
سَـــرَّه حالُه وكثرةُ ما يَمْـ * ـلِكُ والبحرُ مُعْرِضًا(٢) والسَّدِيرُ
فارْعَوَى قلبُـــه فقال وما غِبـ * ـطَةُ حىٍّ إلى المَمـات يصـــيرُ

فبكى هشام وقام ودخل؛ فقـال لى حاجبه : لقـد كسبت نفسَـك شرًّا، دعاك أمير المؤمنين لِتحدّثه وتُلهِيَه وقد عرَفتَ علّته فمـا زِدْتَ على أن نَعيتَ إليه نَفْسَه . فأقمتُ أياما أتوقّعُ الشرَّ، ثم أتانى حاجبُه فقال : قد أمر لك بجائزة وأذِنَ لك فى الانصراف .

(١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان . (٢) معرضا : من أعرض الشئ إذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظى بين يدى عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ،فمنها خرج الناسُ بما ينفعهم و بما يضرّهم ، وكم من قومٍ قد غرّهم مثلُ الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموتُ فٱستوعبَهم فخرجوا من الدنيا مُرمِلينَ لم يأخذوا لِما أحبّوا من الآخرة عُدّةً ولا لما كرهوا جُنّةً ، وٱقتسم ما جمعوا من لم يحمَدْهم وصاروا إلى من لا يعذِرُهم . فٱنظر الذى تُحبُّ أن يكون معك إذا قدِمْتَ ، فقدِّمه بين يديك حتى تخرجَ إليه ، وانظر الذى تكره أن يكون معك إذا قدِمْتَ ، فٱبتغِ به البدلَ حيث يجوز البدلُ ، ولا تذهَبَنَّ إلى سِلْعةٍ قد بارت على غيرك ترجو جوازَها عنك . يا أمير المؤمنين ، اِفتح الأبوابَ ، وسهِّل الحجابَ ، وانصُر المظلومَ .

مقام الحسن عند عمر بن هُبَيرة

كتبَ ابنُ هُبيرةَ إلى الحسن وابن سِيرين والشعبىّ فقدِم بهم عليه ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إلىّ فى الأمر ، إن فعلتُه خفتُ على دينى ، و إن لم أفعله خفتُ على نفسى ؛ فقال له ابنُ سيرين والشعبىّ قَولا رَقَّقا فيه ، وقال له الحسن : يٱبن هبيرة ، إن اللهَ يمنعُك من يزيدَ ، و إنّ يزيد لا يمنعُكَ من الله . يٱبن هبيرة ، خَفِ اللهَ فى يزيد ولا تخفْ يزيدَ فى الله . يابن هبيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ اللهُ إليك مَلَكًا فيُنزِلَكَ عن سريرك إلى سَعَةِ قصرك ، ثم يخرجك عن سعة قصرك إلى ضِيق قبرك ، ثم لا يُنْجيك إلا عملُكَ . يٱبن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ؛ فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر لٱبن سيرين والشعبىّ بألفين ؛ فقالا : رَقّقنا فرَقّق لنا .

باب من المـــواعظ

كلام للحسن

قال فى كلام له : أُمتكُم آخرُ الأمم وأنتم آخرُ أمتكم ، وقد أُسْرِعَ بخيارِكم فماذا تنتظرون ! المعاينة[1] ؟ فكأن قـد . هيهات هيهات ! ذهبت الدنيا بحال بمالها، وبقيت الأعمالُ أطواقا فى أعناق بنى آدم ؛ فيالها موعظةً لو وافقَتْ من القلوب حياةً ! إنه والله لا أمّةَ بعـد أمتكم ، ولا نبىّ بعد نبيكم ، ولا كتابَ بعـد كتابكم ؛ أنتم تَسُوقون النـاسَ والساعةُ تسوقكم؛ وإنما يُنتظَر بأوّلكم أن يلحَقَ آخرَكم . مَنْ رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لَبِنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة ، رُفِع له علمٌ فشمَّر إليه ؛ فالوحَا الوحَا ، والنجاءَ النجاء . علام تعرّجون ؟ أُسرِعَ بخيارِكم وأنتم كلّ يومٍ تَرذلون[2] . لقـد صحبتُ أقواما كانت صحبتهم قرّةَ العين وجَلاءَ الصـدور ، وكانوا من حسناتهم أن تُرَدَّ عليهـم أشفقَ منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليهـا ، وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهـدَ منكم فيما حرَّم اللهُ عليكم . إنى أسمع حسيسا ،ولا أرى أنيسًا ،ذهب الناسُ ، وبقِيتُ فى النِّسناس ،لو تكاشفتم ما تدافنتم ؛ تَهَاديتُم الأطباقَ ولم تَهادَوُا النصائح . يابن آدم ، إن دين الله ليس بالتحلّى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وَقَر فى القلوب وصدّقته الأعمالُ .

كلام لبعض الزهاد

لا تغترّنّ بطول السـلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعْمِلنّ نعمةَ الله فى معصيته ؛ فإن أقـلّ ما يَجِبُ لمهديها ألا تجعلَها ذريعـةً إلى مخالفته . واستَدْعِ شاردَ النِّعم

---

(١) كذا بالأصل . (٢) ترذلون : تصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون من الناس .

بالتوبة ، وآستدم الراهن منها بكرم الجوار ، وآستفتح بابَ المزيد بحُسن التوكّل . أو ما علمتَ أن المستشعرَ لذُلّ الخطيئة المخرجَ نفسَه من كُلَف الطاعة[1] نَطِفُ الثناء[2]، زَمِرُ المروءة ، قصيُّ المجلس ، لا يُشاوَرُ وهو ذو بَزْلاء[3] ، ولا يُصَدَّرُ وهو جميل الرُّواء ، غامضُ الشّخص ضئيلُ الصوتِ نَزْرُ الكلام يتوقّع الإسكاتَ عند كلّ كلمة ، وهو يَرى فضلَ مزيّته وصريحَ لُبّه وحسنَ تفضيله ، ولكن قطعه سوءُ ما جنى على نفسه ، ولو لم تَطّلِعْ عليه عيونُ الخليقة لهجَسَت العقولُ بإدهانه[4] . وكيف يمتنع من سُقوط القَدْرِ وظَنِّ المتفرّس[5] مَنْ عُرِّيَ من حِلْية التقوى وسُلِبَ طبائعَ الهُدَى ! ولو لم يَتَغَشَّ ثوبَ سريرته وقبيحَ ما أجنَّ من مخالفة ربه لقطعه العلمُ بقبيح ما قارفَ عن آقتدار ذَوِي الطهارة فى الكلام و إدلال أهل البراءة فى الندىّ .

كلام لغيلان

إن التراجعَ فى المواعظ يُوشِكُ أن يُذْهِبَ يومَها و يأتى يومُ الصاخّة ، كلُّ الخلقِ يومئذ مُصِيخٌ يستمعُ ما يُقالُ له و يُقضَى عليه ، وخَشَعَت الأَصْوَاتُ للرّحمن فلا تَسمَعُ إلا هَمْساً . فآصْمُت اليوم عما يُصْمِتكَ يومئذ ، وتَعَلَّمْ ذلك حتى تعلَمَه ، وآبتغه حتى تجدَه ، و بادِرْ قبل أن تفجأَكَ دعوةُ الموت ، فإنها عَنيفةٌ إلا بِمَنْ رحم الله ، فيُقْحِمكَ فى دار تسمعُ فيها الأصواتَ بالحسرة والويل والثّبور ، ثم لا يُقالُون ولا يُستعتَبُونَ . إنى رأيتُ قلوب العِباد فى الدنيا تخشَعُ لأيسر من هــذا وتَقْسُو عند هذا ، فانظُر إلى نفسك أعبدُ الله أنت أم عَدوُّه ، فيارُبَّ متعبِّدلله بلسانه ، مُعادٍ له بفعله ذلولٌ فى الانسياقِ إلى عذاب السعير فى أُمنيّة أضغاثِ أحلامٍ يَعْبُرُها بالأمانِى والظّنون . فآعرِف نفسَكَ

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ «كنف العصمة» . (٢) نطف الثناء : قليله . وزمر المروءة : قليلها . (٣) البزلاء : الرأى الجيد . (٤) أى باللين له والمصانعة .

(٥) كذا فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفى الأصل «المتقربين» .

وسَــلْ عنها الكتّابَ المنيرَ، سُؤالَ من يُحِبّ أن يعــلم ، وعِلمَ من يُحبّ أن يعمَلَ، فإن الربّ جلّ ثناؤه لا يعذِر بالتعذير والتغرير، ولكن يعذِرُ بالجدّ والتشمير. اكتس نصيحتى ، فإنها كُسوَةُ تقوَى ودليــلٌ على مفاتح الخير ،ولا تكن كعلماء زمن الْهَرْج إن وُعِظوا أنِفوا ،وإن وَعَظُوا عَنُفُوا . والله المستعان .

كتاب رجل إلى بعض الزهّاد

كتب إليه : إنّ لى نفسا تُحِبُّ الدَّعةَ، وقلبا يألف اللذاتِ، وهمةً تَسْتثقِلُ الطاعةَ، وقــد وهّمتُ نفسى الآفاتِ، وحَذَّرتُ قلبى الموتَ، وزجرتُ هِمَّتى عن التقصير، فلم أرضَ ما رجع إلىّ منهنّ ، فأَهدِ لى — رحمك الله — ما أستعينُ به على ما شكوتُ إليك، فقد خفتُ الموت قبلَ الاستعدادِ .

فكتب إليــه : كثر تعجُّبى من قلبٍ يألَفُ الذنبَ ، ونفسٍ تطمئنُّ إلى البقاء ، والساعاتُ تَنقُلُنا والأيامُ تَطوِى أعمارَنا، فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له ، وكيف تنام عينٌ لا تدرِى لعلها لا تطرِفُ بعد رَقْدَتها إلا بين يدى الله ! والسلام .

وكتب رجل من العبّاد إلى صديق له :

إنى لمّــا رأيتُ الناسَ فى اليقين متفقين ، وفى العمل متفاوتين ، ورأيت الحجة واجبــة ، فلم أرَ فى يقينٍ قَصَّرَ بصاحبه عن عملٍ حجةً ، ولا فى عملٍ كان بغيرِ يقينٍ منفعةً ، ورأيتُ من تقصيرِ أنفسنا فى السعى لمرجوّ ما وُعِدَتْ والهــرَبِ من مَخُوف ما حُذِّرَتْ، حتى أسلمها ذلك إلى أن ضَعُفَتْ منها النيةُ وقلّ التحفّظ واستولى عليها السَّقَط(1) والاغفالُ واشتَعلَتْ منهــا الشّهوةُ ، ودعاها ذلك إلى التمرّغ فى فضــائح

(1) السقط : الخطأ من القول والفعل .

اللذّاتِ، وهى تعلم أن عاقبتَها الندمُ، وثمرتَها العقوبةُ، ومصيرَها إلى النار إن لم يعفُ اللهُ — عجبتُ لعملِ آمرئٍ كيف لا يشبِهُ يقينَه ، ولعلِمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا إليه والرهبـةُ منه إلا له . وزادنى عجبًا أنّى رأيت طالب الدنيا أجدَّ من طالب الآخرة ، وخائفَها أتعبَ من خائف الآخرةِ، وهو يعـلم يقينا أنه رُبَّ مطلوبٍ فى الدنيا قد صار حين نِيلَ حتفًا لطالبه، وأنه رُبَّ مَخُوفٍ فيها قد لَحِق كَرْهًا بالهارب منه فصار حظًّا له، وأن المطلوبَ إليـه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ إلى ربه مملوكٌ عليه مالُه مخزونةٌ عنه قدرتُه. واعلم أن جِمَاعَ ما يسعى له الطالبُ وَيهرُبُ منه الهاربُ أمران : أحدهما أجلُه، والآخر رزقُه ، وكلاهما بعينـه شاهدٌ على أنه لا يملِكُه إلا الذى خلقه . فلم أَدْرِ حين صار هذا اليقينُ فى موضع الإيمـان يقينا لا شكّ فيه، كيف صار فى موضع العـمل شبيها بالشك الذى لا يقينَ فيه! وكيف ، حين اخْتُلِفَ فى أمر الآخرة، لم يُختَلَفْ فى أمر الدنيا، فيكون خائفُ الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبرًا له على تجشّم المكروه، وتجرّعًا منه لغُصَصِ الغيظ، واحتمالا منه لفادح النّصَب، وعملا له بالسخرة، وتحفّظا من أن يُضمِر له على غشّ أو يَهُمَّ له بخلاف، ولو فعـل ذلك ما علمه منـه حتى يَظهَرَ له بقولٍ أو فعـلٍ ؛ ولو علمـه ما قَدَر له على قطـع أجل لم يَفْنَ ورزقٍ لم ينفَدْ ؛ فإن آبْتُلِيَ بالسَّخَط من سلطانه فكيف حزنُه ووحشتُه، وإن أَنِسَ منه رضًا عنه فكيف سُرورُه وآختيالُه ! فإن قارفَ ذنبًا إليه فكيف تضعضُعُه واستخذاؤه[1]، فإن ندبه لأمر فكيف خِفّته ونشاطه ! وإن نهاه عنه فكيف حَذَرُه وآتّعاظُه ! وهو يعلم أن خالقَه ورازقَه يعلمُ سرَّه وجهرَه، ويراه فى متقلّبه ومثواه، ويُعاينُه فى فضائحه وعورته ، فلم يَزَعْه عنها حياءٌ منه ولا تقيّةٌ له ، قد أمره فلم يأتمر، وزجره فلم يزدجر،

(١) استخذاؤه : خضوعه .

وحذّره فلم يحذَر، ووعده فلم يرغَبْ، وأعطاه فلم يشكر، وستره فلم يزدَدْ بالستر إلا تعرّضا للفضائح، وكفاه فلم يقنع بالكفاية، وضَمِن له فى رزقه ما هو فى طَلَبه مُشيحٌ[1]، ويقّظه من أجله لما هو عنه لاهٍ، وفرّغه من العمل لما هو عنه بغيره مشغولٌ؛ فسبحان من وَسِعَ ذلك حلمه وتغمّده من عباده عفوُه، ولو شاء ما فعلوه؛ ولا يُسأَلُ عما يفعل وهم يُسْأَلُونَ .

فأجابه : إنى رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظمِ المواضع فى أمر الدنيا والدين، فهو غايةُ علمِ العالم وبصرِ البصير وفهمِ السامع، ليس كسائر الأشياء التى تدخلها الشبهاتُ ويَجرَحُها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ، وأغصانه العملَ، وثمرتَه الثوابَ . وإنما جَعَلَ القلبَ لليقين مَغرِسًا، لأنه جعل الحسَّ الجوالب لعلم الأشياء كلّها إلى القلب : السمعَ والبصرَ والمَجَسَّةَ والمَذَاقَةَ والاسترواحَ . فإذا صارت الأشياء إليه ميّز بينها العقلُ، ثم صارت بأجمعها إلى اليقين، فكان هو المثبتَ لها والموجّه كلّ واحدةٍ منهن جهتَها . ولولا معرفة القلب بالعقل الذى جعله الله لذلك، لم يفرّق سمعٌ بين صوتين مختلفين، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين، ولا مجسّةٌ بين شيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَف بها حالُ الضارّ والنافع فى العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقينُ فى التشبيه كالشجرة النابتة فى القلب، أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتا بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتةً بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعًا إلا بيقين؛ وكما أنه لا تُخلِف الثمرةُ فى الطيب والكثرة إذا كان الأصل نابتاً والأغصانُ ملتفّةً،

(١) المشيح : الجادّ فى الأمر .

فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحَسُنَ عمــله . وقد تعرِضُ للأعمال عوارضُ من العِلل : منهنّ الأملُ المثبِّطُ، والنفسُ الأمّارةُ بالسوء، والهوى المزيِّنُ للباطل، والشيطانُ الجــارِى من ابن آدم مجرَى الدم، يضربن(١) بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررُهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يَعرِضُ للشجرة من عوارض الآفات فَتَذْوِى أغصانها وتَنثُر ورقَها وتمنع ثمرتَها والأصــل ثابتٌ ، فإذا تجلّت الآفةُ عادت إلى حال صلاحها . فماذا يُعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينَه وأن يقينَه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنمــا العجب من خلاف ذلك ! ولَعَمْرِى لو أشــبهَ عملُ امرئ يقينَــه فكان فى خوفه ورجائه كالمعاين لِمَـا يُعاينــه بقلبه من الوقوف بين يدى الله والنظر إلى ما وعَد وأوعَدَ، لكان ما يعتلج على قلبــه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء، حتى يأتىَ على نفســه أوّلَ لحظةٍ ينظر بها إلى النار خوفا لهــا أو إلى الجنة أســفًا عليها إذا حُرِمَها ، وإذًا لكان الموقن بالبعث بقلبــه كالمعاين له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقلَ فضلًا عن أن يعملَ !

وأما قولك : «كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيــا لسلطانه» ، فإن الله عزّ وجلّ خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولًا، فهو لضعفه موكَّل بخوف الأقرب فالأقرب ممــا يكره، وهو بعجلته موكل بحبّ الأعجل فالأعجل ممــا يشتهى، وزاده حِرصا على المخلّص من المكروه وطلبًا للمحبوب حاجتُه إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذى لولا ما طُبِعَ عليه القلبُ من حبّه وسَهُل على المخلوقين من طلبه، لمــا انتفع بالدنيا مُنتفعٌ ولا عاش فيهــا عائشٌ . ومع ذلك إن مكاره الدنيــا ومحابّها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليتُ به لذنبٍ ســلف منّى، وأما المحبوب فيقول فيــه : عسى أن أكون رُزِقتُه بحســنة كانت منى فهو ثواب

(١) فى الأصل "يضرون" .

عُجِّلَ ؛ وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين إلى الضّيق ، وأن قلوبَ أكثر مُسَلَّطِيهم إلى القســوة ، وأن العيبَ عنهــم مستورٌ ، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظـاهر ولا يضع إلا به ، ولا يلتفتُ من امرئٍ إلى صلاح سريرته دون صلاح علانيته (١) ، ومن طباع الإنسان اللؤمُ ، فليس يرضَى إذا خِيفَ إلا بأن يُذلّ ، ولا إذا رُجِيَ إلا بأن يُتعِبَ ، ولا إذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له ، ولا إذا أمرَ إلا بأن يُنَفَّذَ أمرُه ، ولا ينتفع المتشفعُ (٢) بإحسانه عنـده إذا أساء ولا المطيعُ بكثرة طاعتــه فى المعصية الواحدة إذا عصى ، ولا يرَى الثوابَ لازما له ولا العقابَ محجورا عليه ، فإن عاقب لم يَستَبْقِ ، وإن غَضِبَ لم يتثَبَّتْ ، وإن أسـاء لم يَعتذِر ، وإن أذْنَبَ إليه مذنبٌ لم يَغفِر ؛ واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفِرُ بها العلانيةَ ، ويمحو بالحسنة عشرا من السيئات ، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن اسْتُغفِر غَفَر ، وإن أُطيعَ شكر ، وإن عُصِيَ عَفَا ، ومن وراءِ عبده بعدِ هذا كله ثلاث : رحمتُــه التى وسعت كلَّ شيء ، وشهادةُ الحق التى لا يزكو إلا بها عمـل ، وشفاعة النبيّ صـلى الله عليه وسلم ؛ وهذا كله مثبِّتٌ لليقين باسطٌ للأمل مُثبِّطٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليلٌ ما هُمْ . فلا تحمِلْ نَطَفَ عملك على صحةِ يقينك فتُوهِنَ إيمـانَك ، ولا تُرَخِّصْ لنفسك فى مُقارفة الذنوب ، فيكونَ يقينُك خصمًا لك وحُجّـةً عليك ؛ وكَذِّبْ أملَك وجاهِد شهوَتك ، فإنهما داءاك المخوفان على دينك المعتونان (٣) على هلَكَتِك . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظـــة مســتعملة

وكيع عن مِسْعَر عن زيد العَمِّىّ (٤) عن عون بن عبـد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَن عَمِلَ لآخرته كفاه الله أمر دنياه ،

(١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل «المتفع» . (٣) المعتونان : المتعاونان .
(٤) سمى زيد هذا العمى لأنه كان كلما سئل عن شيء قال «حتى أسأل عمى» وقيل : هو منسوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب فى اسم زيد بن الحوارى) .

ومن أصلحَ ما بينــه و بين الله أصلح اللهُ ما بينــه و بين الناس، ومن أصلح سريرتَه أصلح الله له علانيتَه .

موعظة لعمرو بن عتبة

العتبيّ عن أبيه عن أبى خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

كان أبونا لا يرفعُ المواعظَ عن أسماعنا، فأراد مرّةً سفرا فقال : يابَنِيّ تألّفُوا النعم بحسن مُجاوَرتها، وٱلتمسُوا المزيدَ فيها بالشكر عليهـا ، وٱعلموا أن النفوسَ أقبلُ شىء لمـا أُعطِيَتْ وأعْطى شىء لمـا سُئِلَتْ ، فٱحملوها على مطيّةٍ لاتُبطِئ إذا رُكِبَتْ ، ولاتُسبَقُ وإن تُقُدِّمَتْ ، عليها نجا مَنْ هرب من النار، وأدرك مَنْ سابقَ إلى الجنة ؛ فقال الأصاغرُ : ياأبانا ماهذه المطيةُ؟ قال : التوبة .

صـــفات الزهاد

حدّثنى عبد الرحمن العبدىّ عن يحيى بن سعد السعدىّ قال :

سأل الحواريّون عيسى عليه السلام فقالوا : يارُوحَ الله مَنْ أولياءُ الله ؟ قال : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناسُ إلى ظاهرها، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناسُ إلى عاجلها، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميتَهم وتركوا منها ماعلموا أن سيتركُهُم، فصار ٱستكثارُهم منها ٱستقلالا، وفرحُهم بما أصابوا منها حزنًا، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحقّ وضَعوه، فهم أعداء ما سالَم النـاسُ وسِلْمُ ما عادَوْا ، خَلُقَت[1] الدنيا عنـدهم فليس[2] يعمُرونها، وماتت فى قُلوبهم فليس[2] يُحبونَها، يهدِمُونها و يبنون بها آخرتَهم، و يبيعونها و يشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا إلى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مسند لضمير الجماعة ، ووجهه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرْعَى قد خلت منهم المَثُلاتُ فأحيَوْا ذكر الموت وأماتوا ذكرَ الحياة ، بهـم نطق الكتابُ وبه نطقوا ، وبهـم عُلِمَ الكتاب وبه عَمِـلوا ، لا يرون نائلًا مع ما نالوا ، ولا أمنًا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون مايحذرون .

وحدّثنى أيضا عن أنس بن مصلح عن أبى سعيد المصّيصى :

إن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرض ، فإذا فيهم شابٌّ ذابلٌ ناحلٌ ، فقال له عمر : يافتَى ما الذى بلغ بك ما أرَى؟ قال : ياأميرَ المؤمنين أمراضٌ وأسقام ، فقال عمر : لتَصْدُقَنِّى ، قال : ياأمير المؤمنين ذقتُ حلاوة الدنيا فوجدتُها مرّة فصغُر فى عينى زهرتها وحلاوتُها ، وٱستوى عندى حجرُها وذهبُها ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وإلى النـاس يُساقُون إلى الجنة وإلى النار ، فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت له ليلى ، وقليلٌ حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وجنب عقابه .

بلغنى عن إسحاق بن سليمان عن أخيـه عن الفياض عن زبيد اليامى[1] عن معاذ ابن جبل :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ الله يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ الذين إذا غابوا لم يُفتقَدُوا وإذا حَضَرُوا لم يُعرفوا ، قلوبُهم مصابيحُ الهدى يخرجون من كل غبراء مُظلمةٍ" .

وعن وكيع عن عمرو بن منبّه عن أوفَى بن دلهم قال :

قال علىّ عليه السلام : تعلّموا العلمَ تُعرَفُوا به وٱعمَلُوا به تكونوا من أهله ، فإنه يأتى من بعـدكم زمانٌ يُنكِر فيه الحقّ تِسعةُ أعشِرائهم[2] لا ينجو فيه إلا كلّ نُوَمةٍ ، يعنى

(١) نسـبة إلى يام بطن من همدان ، ٱنظر تهذيب التهذيب فى اسم زبيـد بن الحارث ، وفى الأصل « النامى » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشر جزء من عشرة .

الميّتَ الذكرِ[1]، أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم ليسوا بالعُجُلِ المذاييع[2] البُذُرِ[3]. وقال عليّ عليه السلام أيضا : إنّ الدنيا قد ٱرتحلت مُدبِرةً وإنّ الآخرةَ قد ٱرتحلَتْ مُقْبِلةً، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . أَلَا إن الزاهـدين فى الدنيا ٱتخـذوا الأرض بساطا والترابَ فِراشا والمـاء طِيباً . أَلَا مَنِ ٱشتاق إلى الجنة سَلَا عن الشهوات، ومنِ أشفق من النار رجَع عن الحُرُمات، ومَنْ زهد فى الدنيا هانت عليـه المصيبات . أَلَا إن لله عبادا كمن رأى أهلَ الجنـة فى الجنة مخلَّدين وأهلَ النار فى النار مُعَـذَّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسُهم عفيفةٌ، وحوائجهم خَفِيفَةٌ، صبرُوا أياماً قليلةً لعقبى راحةٍ طويلة؛ أمّا بالليل فصافّو أقدامِهـم، تجرى دُموعُهم على خدودهم، يجأَرُون إلى الله : ربَّنا ربَّنـا يطلبُون فَكَاكَ رِقَابِهم؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ بَرَرَةٌ أتقياء كأنهم القِدَاحُ ينظُر إليهمُ الناظر فيقول : مَرْضَى، وما بالقوم من مرضٍ، ويقول : خُولِطُوا، ولقـد خالط القومَ أمرٌ عظيم .

حدّثنا إسحاق المعروفُ بٱبن زَاهَوَيْهِ أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول : يابُنَيّ كن ممّن نأى به عمّن نأى عنه يقينٌ ونزاهة، ودُنُوُّه[4] ممن دنا منه لينٌ ورحمـةٌ، ليس نأيه تكبرا ولا عظمة، ولادنوّه بخَـدْعٍ ولا خِلَابَةٍ، يَقتَدِى بمن قبـله، وهو إمامُ من بعده، لا يعجل فيمن رابه[5] ويعفو إذا تبين له، ينقصُ فى الذى له ويزيد فى الذى عليـه، لا يعزُبُ حِلمُه ولا يحضُرُ جهلُه، الخير منـه مأمول والشرّ

(١) فى الأصل : « الميت الدا» وما أثبتناه يدل عليـه قول أبى عبيدة فى تفسير النومة من هـذا الأثر : الخامل الذكر الغامض فى الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذياع وهو الذى لا يكتم السرّ . (٣) جمع بذور وهو من يبذر السرّ أى يفشيه بين الناس . (٤) كذا بالأصل والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به ممن» . (٥) رابه : شككه وأوجب عنده الريبة .

منه مأمونٌ ، إن رُجِىَ خاف ما يقولونَ وٱستغفرَ لما لا يعلمون ، إن عصته نفسُه فيما كرِهَتْ لم يُطِعها فيما أحبت ، يَصمُتُ ليسلمَ ويخلو ليغنَم وينطِقُ ليفْهَمَ ويُخالطُ ليعْلم . ولا تكن يا بُنىّ ممن يُعْجَبُ باليقين من نفسه فيما ذهبَ وينسَى اليقينَ فيما رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قُدِّر شىء كان ، ويقول فيما بقى : ابتغ أيها الانسانُ ؛ تغلبه نفسُه على ما يظنّ ولا يغلبُها على ما يستيقِنُ ، طال عليه الأملُ ففترَ ، وطال عليه الأمدُ فٱغترّ ، وأُعذِرَ إليه (١) فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّر بمعْذِرٍ (٢) ، عُمِّرَ فيما يتذكر فيه من تذكّر ، فهو من الذنب والنعمة مُوقَر ، إن أُعطِىَ لم يشكر ، وإن مُنِعَ لم يَعذِرْ ، يُحبّ الصالحينَ ولا يعمل عملَهم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدُهم ، يرجو الأجرَ فى البغض على ظنّه ولا يخشَى اليقينَ من نفسه ، يخشى الخلقَ فى ربه ولا يخشَى الربّ فى خلقه ، يَعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعيذَ اللهُ منه مَنْ هو تحته ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله ، يُبصر العورةَ من غيره ويُغفلُها من نفسه ، إنْ صلّى اعترض (٣) ، وإن ركع رَبض ، وإن سجد نَقَر ، وإن جلس شَعَرَ ، وإن سأل ألحفَ ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حدّثَ أخلفَ (٤) ، وإن وُعِظَ كَلَحَ (٥) ، وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يَحسُدُ أن يُفْضَلَ ، ويزهَدُ أن يَفضُلَ ، إن أُفيضَ فى الخير بَرِمَ (٦) وضَعُفَ وٱستسلَمَ وقال : الصمتُ حُكْمٌ (٧) ، وهذا ما ليس لى به علم ؛ وإن أُفيضَ فى الشرّ قال : يُحسَبُ بى عِىٌّ ، فتكلّم يجمع بين الأراوِى (٨) والنعام وبين الخال والعمّ ولاءَمَ ما لا يتلاءم ؛ يتعلّم للمِراءِ ، ويتفقّه للرياء ، ويبادرُ ما يفنَى ، ويُوا كِلُ ما يبقى .

(١) أى أعذر الله إليه ، يقال : أعذر الله إلى من بلغ الستين من العمر ، أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة . (٢) بثابت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء أى تكلفه . (٤) الإخلاف فى المستقبل كالكذب فى الماضى ، وهو أن يقول شيأ ولا يفعله . (٥) كلح : كشر فى عبوس .

(٦) سئم وضجر . (٧) حكم : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدّثنى محمد بن داود عن أبى شُرَيح الخُوارَزْمى قال : سمعت أبا الرّبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسنُ بن علىّ : ألا أخبركم عن صديق كان لى من أعظم الناس فى عينى، وكان رأسُ ما عَظُم به فى عينى صِغَرَ الدنيا فى عينـه ، كان خارجًا من سلطان بطنه فلا يَتَشَهّى ما لا يحلّ ولا يكثرُ إذا وجد، وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يَمُدّ يدًا إلا على ثقـةٍ لمنفعة، كان لا يتشكّى ولا يتبرّم، كان أكثرَ دهره صامتـا ، فإذا قال بَذَّ القائلين، كان ضـعيفا مستضعَفًا فإذا جاء الجِـدُّ فهو الليث عاديا، كان إذا جامع العلمـاء على أن يسمع أحرصَ منه على أن يقولَ ، كان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعَل ما لا يقول، كان إذا عَرَض له أمران لا يدرى أيّهما أقربُ إلى الحق نظر أقربَهما من هواه نخالفه، كان لا يلومُ أحدًا على ما قد يَقَع العذرُ فى مثله . زادنى غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضيًا عَدْلًا وشهودًا عدولا (١) .

وفى كلام على رضى الله عنه لكُمَيْل حين ذكر حُجَجَ الله فى الأرض فقال : هَجَم بهم العلمُ على حقائق الأمور، فباشروا رَوْحَ اليقين، واستلانوا ما استوعر المُتْرَفون، وأنسوا بمـا استَوْحش منه الجاهلون، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمَحَـلّ الأعلى، هَاهْ (٢) شوقًا إلى رؤيتهم .

قال رجلٌ ليونس بن عُبَيـد : تَعْلَمُ أحدًا يعمل بعمـل الحسن؟ قال : والله ما أعرِف أحدا يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله ! قيل : فصِفْه لنـا ، قال : كان

(١) فى الأدب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣٠ : «كان لا يدخل فى دعوى، ولا يشترك فى شراء، ولا يدلى بحجة، حتى يرى قاضيا الخ» .
(٢) فى نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ «آه» وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

إذا أقبل فكأنه أُقبِـل من دَفْن حَميمه ، وإذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِر بضَرْب عُنُقه ، وإذا ذُكِرت النارُ فكأنها لم تُخْلَق إلّا له .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا مَعْمَر عن الأعمش عن شقيق بن سَلَمة قال : ما مَثَلُ قُرّاء هذا الزمان إلا كمثل غنم ضوائنَ ذاتِ صُـوفٍ عِجافٍ أكلتْ من الحَمْض[1] وشَرِبت من المـاء حتى انتفخت خواصرها ، فمرّتْ برجل فأعجبتْه ، فقام إليها فعَبَط[2] منها شاةً فإذا هي لا تُنْقِ[3] ، ثم عبط أخرى فإذا هي كذلك ، فقال : أُفٍّ لكِ ، سائرَ اليوم .

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إذا شئتَ لَقيتَه[4] أبيضَ بضًّا[5] حديد النظر مَيّتَ القلب والعمل ، أنت أبصرُ به من نفســه ؛ تَرَى أبدانًا ولا قلوب ، وتسمع الصوتَ ولا أُنس ، أخصبُ ألسنةٍ وأجدبُ قلوب .

حدّثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفْيان : الزهدُ في الدنيا قِصرُ الأمل ، ليس بأكل الغَليظ ولا لُبْس الغَليظ .
قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أنّ رجلًا في ترك الدنيا مثلُ أبي ذرّ وأبي الدَّرْداء وسَلْمان ، ماقلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المَحْض ، والحلالُ المحض لا نعرِفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُبُهات ؛ فالحلالُ حسابٌ ، والحرام

---

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنق : ليس لها نقى لضعفها وهزالها . والنقى : المخ .

(٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدّم ما يصلح أن يكون مرجعا للضمير في قوله «لقيته» . وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة «بض» : وفي حديث الحسن «تلقى أحدهم أبيض بضا» .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفاؤه .

عذابٌ ،والشبهات عتابٌ ،فأنزِلِ الدنيا منزلةَ المَيْتة خُذْ منها ما يُقيمك ، فإن كان ذلك حلالًا كنت زاهـدا فيها ، وإن كان حراما لم تكن أخذتَ منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطرّ من الميتة ، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيرا . ومثله قولُ بعضهم : ليس الزهد بترك كلّ الدنيا ، ولكن الزهدَ التهاونُ بها وأخذُ البَلَاغ منها . قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ، فأخبر أنهم زَهِدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا .

قال أبو سليمان الدارانيّ : الرضا عن الله والرحمـةُ للخَلْق درجةُ المرسَلين ، وما تعـرف الملائكةُ المقرّبون حدّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قـد نلتُ من الرضا طَرَفا ، لو أنه تبـارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضيا . قال : وليس الحمـد له أن تحمَده بلسانك وقلبُك مُقتصِرٌ على المصيبة ، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبُك مسلّمٌ راضٍ .

وقال ابن أبي الحَوَاريّ : قلت لأبي سـليمان : بلغني في قول الله تعـالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذي يلقَى ربَّه وليس فيـه أحدٌ غيرُه ؛ فبكى وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سـنة أحسنَ من هذا . وقال : كلّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجِدُ له محبّةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فإذا غَلَب الرجاءُ على الخوف فَسَـد القلبُ .

وقال الفُضَيْل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبجر : أن رجلا يُكنى أبا سعيد كان يقول : والله ما رأيتُ قُرّاءَ زمان قطّ أغلظَ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آ كلَ لُمخّ العيش منكم .

أبو أُسامة عن حمّاد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال :

قال مطرّف: أُنظروا قوما إذا ذُكِرُوا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهــم، وقوماً إذا ذُكروا ذُكروا بالفُجُور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .

أوصى ٱبن مُحَيْريز رجلًا فقال: إن ٱستطعتَ أن تعرِف ولا تُعْرَف وتَسأل ولا تُسْأَل وتمشِي ولا يُمْشَى إليك، فَافعل .

قال أيّوب: ما أحبَّ الله عبدًا إلا أحبَّ ألَّا يُشْعَر به .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال: جاء شُرَيح بن عبيد إلى أبي عائذ الأزدى فقال: يا أبا عبـد الله، لو أحييتَ سنّةً قد تركها الناس: إرخاءَ طَرَف العِمامة من الجانب الأيسر! قال: يا بن أخى، ما كان أحسنها! تركها الناس فتركناها، ما أحِبّ أن أُعرَف فى خيرٍ ولا شرّ .

كلام من كلام الزهّاد

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا عبدالله ابن عبد العزيز قال:

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل: يا فلانُ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدّ للموت؟ قال: لا؛ قال: فهل أنت مُجْمِعٌ[1] على التحوّل إلى حال ترضى بها؟ قال: ما تَخَصتْ نفسى لذلك؛ قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها مُستعتَبٌ[2]؟ قال: لا؛ قال: فهل تأمنُ الموت أن يأتيَك؟ قال: لا؛ قال فهـل رضى بمثل هذا الحال عاقل!.

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبد الله بن مبارك قال حدّثنى غير واحد عن مُعاوية ٱبن قرّة قال:

---

(١) مجمع: عازم. (٢) المستعتب: الطلب إلى المسىء أن يرجع عن إساءته.

قال أبو الدرداء : أضحكنى ثلاثٌ وأبكانى ثلاثٌ : أضحكنى مؤمِّل الدنيـا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدرى أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه. وأبكانى فِراق الأحبّة: محمدٍ وحزبه، وهَوْلُ المُطَّلَع، والوقوفُ بين يدى الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدرى إلى الجنة أو إلى النـار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفىّ يقول : تضحَكُ ولعـلّ أكفانَك قد خرجتْ من القَصّار(١) . قال : وقال الفُضَيل : أصلُ الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يَزْوِيها عنه ويُمَرمِرُها(٢) عليـه بالعُرْى مرّةً وبالجُوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها : تسقيه مرّةً صَبِرًا(٣) ومرة حُضَضًا(٤) ، وإنمـا تريد بذلك ما هو خير له .

وقال السرىّ : ليس من أعلام الحبّ أن تُحبّ ما يُبْغضه حبيبُك . أوحى الله تعـالى إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدُك فى الدنيـا فتَعَجَّلك الراحةَ لنفسـك، وأمّا آنقطاعُك إلىّ فتعزُّزك بى، ولكن هل عاديتَ لى عدوّا أو واليتَ لى وليًّا .

قال مالك بن دينـار : بلغَنا أن حَبْرًا من أحبار بنى إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغَمَز بعضُ بنيه النساءَ، فرآهم فقال: مَهْلًا يابنىّ مهلا! قال : فسَقَط عن سريره فآنقطع نُخَاعه(٥) وأَسقطت آمرأتُه وقُتِل بنوه فى الجيوش . وقيل له : ما يكونُ من جنسك حبرٌ أبدا ، ما كان غضبُك لى إلا أن قلتَ يابنىّ مَهْـلًا يابنىّ مهلا .

---

(١) القصار : المحوّر للثياب ، سمى بذلك لأنه يدقها بالقصرة التى هى قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجيزها ويعدّيها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض (بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، ويقال على صمغ من نحو الصنوبر والمر له ثمرة كالفلفل . (٥) النخاع : الخيط الأبيض فى جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعب منه شعب فى الجسم .

ضَمْرة بن ربيعــة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إرضَ بالله صاحبا ودَعِ الناس جانبا .

كان بِشْر بن الحارث يقول : أربعةٌ رفعهم الله بغير كبيرِ عملٍ فى الظّاهر إلا بِطيب المَطْعم : إبراهيم بن أدهم وسالِم الخوّاص ووُهَيْب المكّى ويوسف آبن أسباط .

وحدّثنى أبو حاتم أو غيره عن العُتْبِىّ قال: سمعت آبن عُيَينة يقول: أربعٌ ليس عليك فى واحدةٍ منهنّ حسابٌ: سَدُّ الجَوْعة، وبَرْدُ العَطْشة، وستر العورة، والآستكنان، ثم تلا :-﴿إنّ لَكَ ألَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾-

بلغنى عن يَعْلى عن سُفْيان : قال علىٌّ عليــه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف ؛ قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شىء هَرَب منــه ، ما أدرى ما خوفُ رجلٍ عَرَضت له شهوة فلم يَدَعْها لمـا يخاف ! وما أدرى ما رجاءُ رجل نزل به بلاءٌ فلم يصبر عليه لمـا يرجو .

بلغنى عن عيسى بن يونس عن الأوزاعىّ عن مكحول قال : إن كان الفضــلُ فى الجماعة فإن السلامةَ فى العزلة . وبلغ الفُضَيلَ هذا فقال: سمعتم كلامًا أحسن منه !

قال آبن المبارك : رَكِبتُ مع محمــد بن النَّضْر الحارثىّ السفينةَ فقلتُ : بأىّ شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت: ما تقول فى الصوم فى السفر؟ فقال : إنمــا هى المبادَرة؛ فجاءنى والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعبىّ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال: قيل لأبى حازم : ما مالُك؟ فقــال : الثقةُ بمــا فى يد الله واليأسُ ممــا فى أيدي الناس . وقال أبو حازم : إنه ليس شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم؛ فآثِرْ نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على

ولدك، وآعلم أنك إنما تُخلف مالك فى يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصية الله فتشقَى بمـا جمعتَ له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعَدَ بما شَقِيتَ له؛ فآرجُ لمن قدّمتَ منهم رحمَة الله، وثِقْ لمن خلّفت منهم برزق الله .

وقال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها مايكفيك، وإن كنتَ لا ترضَى منها بما يكفيك فليس فيها شىء يُغنيك .

ونظر أبو حازم إلى الفاكهة فى السوق فقال: موعدُك الجنّة . ومرّ بالجزّارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمينٌ فآشتر منه؛ قال: ليس عندى ثمنه؛ قال أنا أنظرُك؛ ففكّر ساعة ثم قال: أنا أنظرُ نفسى .

قال سُفيان: حلَف أبو حازم لجلسائه: إنى لأرضى أن يتّقِى(١) أحدُكم على دِينه كما يتّقِى(١) على نعْله .

حدّثنى محمد بن زياد الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد آبن أبى هند عن أبيه عن آبن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "الصحّةُ والفَرَاغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس" .

حدّثنى محمد بن عبيـد قال حدّثنا أبو ربيعة فَهْد بن عَوْن عن حمّـاد بن سَلَمة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: اِبنَ آدم، إنما أنت عَدَدٌ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضُك .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهمىّ عن الحسن بن ذَكْوان رَفَعَ الحديثَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أوصانى ربّى بتسع خِصالٍ وإنى مُوصيكم بها:

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتقى» يتعدّى بحرف «على» فلعله محرف عن «يبقى» والإبقاء على الشىء: الإرعاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص فى السرّ والعَلَانية، والعَدْل فى الرضا والغضَب، والقَصْد فى الفقر والغنَى، وأن أعفـوَ عمّن ظَلَمنى، وأصِلَ مَنْ قطعنى وأُعطى مَنْ حَرَمنى، وأن يكون صَمْتى تَفَكُّرا، ومَنْطِق ذِكْرا، ونَظرى عِبَرا" .

مسلم بن إبراهيم عن حمّاد بن سَلَمة عن حُمَيد قال : كان آبن عمر يقول : البِرُّ شىء هَيِّنٌ : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّن .

جعفـر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اِتّقُوا السّحّارة، فإنهـا تسحَرُ قـلوبَ العلماء . قال : وسمعتـه يقول : وَدِدتُ أنّ رزقى فى حَصَاة أمصّها حتى أموت، ولقد آختلفتُ إلى ٱلْخَلَاء حتى آستحيَيْتُ من ربّى .

بِشر بن مُصلح عن أبى سعيد المصّيصىّ عن أَسد بن موسى قال : فى الجُوع ثلاثُ خلال : حياةُ القلب، ومَذَلّةُ النفس، ويُورث العقلَ الدقيق السماوىّ .

سالم بن سالم البَـلخىّ عن السرىّ بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضًا لم ننتفع به يومًا وليلة، وإذا شيّع جنازةً لم ينتفع به أهلُه وولَدُه وإخوانُه ثلاثًا .

خَلَف بن تميم قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، أُحبّ أن تقبَلَ منى هذه الجُبّة كُسوةً ؛ قال إبراهيم : إن كنتَ غنيًّا قَبِلتُها منك ، وإن كنتَ فقيرا لم أقبَلْهـا ؛ قال : فإنى غنىٌّ؛ قال : كم عندك ؟ قال : ألفان؛ قال : فيَسُرُّك أن تكون أربعة آلاف؟ قال : نعم؛ قال : أنت فقير، لا أقبَلها » .

قال عُبَيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفُضَيل نعودُه؛ فقال: زَوّجَك وخوّلك وصَرَف وجوهَ الناس إليك وأنت تَشغلك عنه مَنْ أنت وما أنت ! ثم شَهَق شَهقةً، وأضجعه رجل كان عنده وغَطّى عليه ثوبًا وهو لا يعقِل، ونزلنا .

بكّار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السّرُّ أملكُ بالعَلَانيَة من العَلَانية بالسرّ، والفعلُ أملكُ بالقول من القول بالفعل ، فإذا كنتَ فى زمانٍ يُرْضَى فيــه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم، فأنت فى شرِّ زمان وشرّ أناس .

ابن أبى الحوارىّ قال : ذكرت لأبى سليمان آمرأتى والشغلَ بها، فقال : إنْ علم اللهُ من قلبك أنك تُريد الفراغَ له فرّغك،وإن كنت إنما(١) تريد الراحة منها لتستبدل بها، فهذه حماقة . قال : ورأيته حين أراد الإحرام فلم يُلَبِّ حتى سِرْنا مليًّا وأخذه كالغَشْى وجعل رأسَه عند رُكبته فجعل مَحْمِله يَخِفّ ومحملى يثقُلُ حتى سرنا هوِيًّا(٢)، ثم أفاق فقال: يا أحمد، بَلَغنى أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى مُرْ ظَلَمةَ بنى إسرائيل أن يُقِلُّوا من ذكرى،فإنى أذكُرُ مَنْ ذَكَرنى منهم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغنى أنه من حجّ من غير حِلّه ثم لبّى، قال له تبارك وتعالى : لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْكَ حتى تردّ ما فى يديك؛ فما يؤمِّننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يجيئك وأنت فى شىء من الخير فيُشير لك إلى شىء من الخير دونه ليَرْبح عليك شَعيرةً؛ يعنى إبليس .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم، إنّ مَنْ طلب الفردوس فخبزُ الشعير له والنومُ فى المزابل مع الكلاب كثير .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبى هند عن مكحول قال : كنا أجنّةً فى بطون أُمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِىَ ، ثم كنا مَرَاضع(٣) فهَلك منا

---

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة فى الأصل هكذا : «وإنما كنت» . ومن المحتمل أن يكون صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمه فى « ما » الزائدة، فكتبها الناسخ « إنما »

(٢) هويًا : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبَقِى من بقى، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صِرْنا شبّانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخًا لا أبا لك فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين فى بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَــل سُرّته ، وغذاؤه فى بطن أمه من دم حيضها، فمن ثَمّ لا تحيض الحامل، فإذا سقط آستهلّ آستهلالة إنكاراً لمكانه، وقُطعت سُرّته وحوّل الله رزقه إلى ثدى أمه ثم حوّله إلى الشىء يُصْنع له ويَتنــاوله بكفّه، حتى إذا آشــتدّ وعقل قال : أين لى بالرزق! يا ويحــك! أنت فى بطن أمك وفى حِجْــرها تُرْزَق حتى إذا عَقَلتَ وشَبَبت قلتَ : هو الموت أو القتل وأين لى بالرزق! ثم قرأ:﴿يَعْـلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النَّضْر الحارثىّ إذا لم يكن فى صلاة آستقبل القِبْلة، فقعدنا إليه بعد العصر فقال: بلغنى أنه مَنْ قال : لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له له الملكُ وله الحمــدُ وهو على كلّ شىء قدير، ألفَ مرةٍ فى دُبُر صــلاة العصر، رُفِع له عملُ نَبِىّ، ثم قال : قد أكثرت الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكِنْدىّ دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزًا يابسا قد بلّه (١) فى المــاء بمِلْح جَرِيش (٢)، فقال له : كيف تشتهى هذا! قال: أدمُه حتّى أشتهيه. ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أُدمك (٣)؟ قال : الزيت، قال : أما تأجمه (٤)؟ قال : إذا أَجَمْتُه تركته حتى أشتهيه . قال : وكان ماء داود فى دَنٍّ مُقيَّر (٥) فى الصّيف

(١) فى الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخبز أى شىء كان. (٤) تأجمه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شىء أسود تطلى به السفن، وقيل: هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بَرّدتَ المـاء! فقال داود : إذا أصبْتَ فى مثل هذا اليوم ماءً باردا فمتى تُحِبّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال: قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب رِيحٌ ماجلس إلىّ منكم أثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المَـالُ إلا من أربع: سهم فى فَىْء المسلمين، أو عطيّــة عن ظَهْرِ يدٍ، أو إرثٍ بكتاب الله، أو تجارة من حلال، ولا يُقْتَــل مسلم إلا بهذه الخِصَال : كفر بعــد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتَــل فيُقْتل، أو حارب اللهَ ورسولَه وقَطَع الطريقَ .

قال سليمان بن المُغِيرة سمعت ثابتــا يقول : واللهِ لحَمْــلُ الكَارَات أهونُ من العبادة . قال : ولا يُسَمَّى الرجلُ عابدًا و إن كانت فيــه خَصْلةٌ من كلّ خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حَيّان قال : كان عيسى بن عُقْبــة يسجُد حتى إن العصافير ليَقَعن على ظَهْره وينزِلْن، ما يَحْسَبْنَه إلّا جِرْمَ حائط .

حدّثنى محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال: شكا أهل مكة إلى الفُضَيل القَحْطَ، فقال : أمدبِّرًا غيرَ الله تريدون! . قال : وسمعته يقول : اســتخيروا اللهَ ولا تَخَيّروا عليه ، فكم من عبــد تخيّر لنفسه أمرًا كان هلاكه فيه! أمَا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ(١) فأُعطِيَها فأُسِرَ فصار نَصْرانيًا .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس، ومن أبو يونس! بَكَى حتى عَمِي، وطاف حتى أُقْعِد، وصلّى حتى حَدِب .

---

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب و بلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين ، آستولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتنصر وقتــل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام، وأقام نفر يسير على الجزية (انظر معجم البلدان فى اسم طرسوس) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصارىّ عن بَهْز بن حكيم قال : صلّى بنا زُرَارةُ بن أوفى الغَداةَ ، فقرأ الإمامُ:(فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ* فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ* عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) ، نخرّ مَغْشِياً عليه، فحملناه ميّتا .

ابن أبى الحَوَارىّ قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تبلّغك نصفَ الطريق، والصومُ يبلّغك بابَ الملك، والصَّدَقةُ تُدْخلك عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِم المدينةَ مرّةً وأنا بها، فقلت : لأقعُدنّ له ، لعلى أتعلّق عليه بسَقْطة ، فقام من القبر مَقاما ما ذكرتُه قطّ إلا ٱقشعرّ جِلْدى .

روى ٱبنُ عيّاش عن سعيد بن أبى عَرُوبَةَ قال : حجّ الحجّاج فنزل بعضَ المياه ودعا بالغَدَاء، فقال لحاجبه : ٱنظر من يَتَغدّى معى وأسألُه عن بعض الأمر ؛ فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابىٍّ بين شَمْلتين من شَعَر نائم ، فضربه برجله وقال : ٱئت الأميرَ فأتاه؛ فقال له الحجاج : اغسلْ يدك وتَغَدَّ معى ؛ قال : إنه دعانى مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته ؛ [فقال له الحجاج : من الذى دعاك ؟](١) . قال : اللهُ تعالى دعانى إلى الصوم فصُمت ؛ قال : فى هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه ؛ قال : فأفطِرْ وتصوم غدا ؛ قال : إن ضمنتَ لى البقاءَ إلى غد ؛ قال : ليس ذاك إلىّ ؛ قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدِر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيّبٌ ؛ قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبّاز ، ولكن طيّبته العافية .

ونحو هذا حدّث الأصمعىّ عن شَبيب بن شيبة قال : كنّا فى طريق مكة فجاء أعرابىٌّ فى يومٍ صائف شديد الحرّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ ، فقال : أفيكم

(١) زيادة يقتضيها السياق .

كاتب ؟ قلنا : نعم ؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلتَ وأصبتَ من الطعام ! قال : إنى صائم ؛ قلنا : فى الحرِّ وشِدّته وجَفاء البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، ولا أُحِبّ أن أغْبَن أيّامى ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ، وقال : أُكتب ولا تزيدنّ على ما أقول حرفا : هـذا ما أعتق عبـدُ الله بن عقيل الكلابىّ ، أعتق جاريةً له سوداءَ يقال لها لؤلؤة ، ابتغاءَ وجه الله تعالى وجوازِ العَقَبة ، وإنه لا سبيلَ له عليها إلاسبيلَ الوَلَاء ، المِنّةُ لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعىّ : فحدّثت بها الرشيدَ ، فأمر أن يُعتَق عنـه ألفُ نَسَمةٍ أو مائةُ نسمة ، ويُكتَبَ لهم هذا الكتاب .

قال خالد بن صَفْوان : بِتُّ أَتَمَنّى ليلتى كلَّها ، فكَبَستُ البحر الأخضرَ بالذهب الأحمر ، فإذا الذى يكفينى من ذالك رغيفان وكُوزان وطِمْران ! .

رأى رجلٌ رجلا من وَلَدِ مُعاوية يعمَل على بعيرٍ له ، فقال : هـذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فَقَدْنا إلا الفضولَ .

سمعتُ بعضَ العبّاد يقول : علامةُ التّـوبة الخروجُ من الجهـل ، والنّدَمُ على الذنب ، والتّجافِى عن الشهوة ، وأعتقادُ مَقْتِ نفســك المسوِّلة(١) ، وإخراجُ المَظلمة ، وإصلاحُ الكَسْرة ، وتركُ الكذب ، وقطعُ الغِيبة ، والأنتهاءُ عن خِدْن السَّوْء .

لَقِىَ زاهـدٌ زاهـدًا فقال له : يا أخى ، إنى لأُ حبّـك فى الله ؛ قال الآخر : لو علمتَ منّى ما أعلم من نفسى لأبغضتَنى فى الله ؛ قال له الأوّل : لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك ، لكان لى فيما أعلم من نفسى شُغْلٌ عن بُغْضك .

---

(١) فى الأصل : « المسوولة » .

كان الثّورىّ مستخفيًا بالبَصْرة، فورد عليه كتابٌ من أهله، وفيه : " قد بَلَغ بنا الجَهْد إلى أن نأخُذَ النَّوَى فنرُضّه ثم نخلِطَه مع التبن فنأ كلَه"، فحرّك ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب إلى أخ له ؛ فقرأه فدَمَعتْ عينُه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنّك حدّثتَ الناس اتّسعت واتّسع هؤلاء ! فأطرق مَلِيًّا ثم رفع رأسه وقال : اِسمعْ حديثًا أُحدِّثُكَ به ثم لا أُكلّمك بعده سنة : رُئِىَ نورٌ فى الجنة تجدّد، فقيل : ما هذا النور ؟ فقيل : حَوْراءُ ضَحِكتْ فى وجه زوجها فبدَتْ ثناياها ؛ فترَى لى أن أُغرِّرَ بتلك وأصيرَ إلى ما تقول !

أراد قومٌ سفرًا فحادوا عن الطريق وانتهَوْا إلى راهبٍ منفردٍ فى ناحية، فنادَوْه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ ؟ قال لهم : ها هنا، وأومأ إلى السماء، فعلِموا الذى أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : سَلوا ولا تُكثروا، فإنّ النهار لن يرجع، والعمرَ لن يعود، والطالبَ حثيثٌ فى طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا : ما الخلقُ عليه غدًا عند مليكهم ؟ فقال : على نيّاتهم؛ فقالوا : فإلامَ المَوئلُ ؟ قال : إلى المُقدَّم؛ قالوا : أوصِنا؛ قال : تزوّدوا على قدر سفركم، فإنّ خيرَ الزاد ما بلَّغَ المَحلَّ؛ ثم أرشدهم إلى المَحجّة وانقمع (١) .

وقال آخر : قلت لراهب : عِظْنى عِظَةً نافعة؛ فقال : جميعُ المواعظ منتظمةٌ فى حرف واحد؛ قلت : ما هو ؟ قال : تُجمِعُ على طاعته، فإذا أنت قد حوَيْتَ المواعظ والأذكار .

الأصمعىّ : قيل لأعرابىٍّ معه ماشيةٌ : لمن هذه الماشية ؟ قال : لله عندى .

كان ابن السماك يقول فى كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أمَا تستحيُون من الله من طول مالا تستحيُون !

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اِجتهدوا فى العَمَل ، فإنْ قَصَّر بكم ضعفٌ فكُفُّوا عن المعاصى .

كان مالك بن دينار يقول فى قَصَصه : ما أشَدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَرُوضُ عِرْسَك بعد ما هَرِمَتْ * ومن العَناء رِياضةُ الهَرِمِ

كان أعرابىٌّ يسرق الإبلَ يُسَمَّى يزيدَ، ثم تاب وقال :

أَلَا قُلْ لرُعْيان[1] الخَائِض أهمِلُوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وإنَّ آمرأً ينجو من النار بعد ما * تَزَوّد من أعمالها لسعيدُ

وقال نصيح الأسدىّ :

كفى نَطَفًا[2] بالمرء يا أم صالح * ركوبُ المعاصى عامدًا واحتقارُها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنتَ لم تزرَعْ وأبصرتَ حاصدًا * نَدِمتَ على التفريط فى زمن البَذْرِ

قال منصور بن عمّار : ما أرى إساءةً تكبُرُ عن عفو الله فلا تَأْيَس، وربما أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

ورَوى وَكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيبة بن سِمْعان عن مُسَيْكة عن عائشة رضى الله عنها أنها أتتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفة فيها خبزُ شعيرٍ وقطعةٌ من الكَرِش، فقالت : يارسول الله، ذَبَحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا؛ قال : " بل كلّها أمسكتم إلا هذا " .

---

(١) فى اللسان (مادة بعر) : « لرعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامرَ بن عبد قيس رجلٌ فى يوم حَلْبة ، فقال : من سَـبَق ياشيخ ؟ فقال : المقرّبون . وأُتِى به عثمان وأُقْعِـد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شـيخا يطا[1] فى عباءة، فأنكر مكانه، فقال : يا أعرابىّ أين ربُّك؟ قال : بالمِرْصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم : ما بالُنا نكرَه الموت؟ قال : لأنكم عمّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العُمْران إلى الخراب .

قال الحسن : نِعَمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشْكَرَ إلا ما أعانَ عليـه ، وذُنوبُ آبن آدم أكثرُ من أن يُسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تنفق دِينَك فى شَهْوتك سَرَفا، وتمنعُ فى حق الله درهما ، ستعلَم بالُكَعُ .

خرج المسيح من بيت مُومسةٍ، فقيل له : يارُوحَ الله، ما تصنَع عند هذه ؟ فقال : إنمـا يأتى الطبيبُ إلى المَرْضى . ومرّ بقوم شَتَموه فقال خيرًا، ومر بآخرين شتموه فقال خيرا ؛ فقال رجل من الحوارِيّين : كلما زادوك شرّا زِدت خيرًا ، كأنك تُغْريهم بنفسك! فقال: كل إنسان يُعطِى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمانَ بن عبـد الملك بوعيد الله للمذنبين ؛ فقال سليمانُ : فأين رحمةُ الله؟ قال : قريبٌ من المحسنين .

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنى؛ فقال : لا أرضَى نفسى لك، إنى لأُصَلِّى بين الغنىّ والفقير، فأَمِيل على الفقير وأُوسِّع للغنىّ .

نظرت آمرأةٌ إلى أخرى وحولهـا عشرةٌ من وَلَدها كأنهم الصقور، فقالت : لقد وَلَدتْ أُمكم حزنًا طويلا .

(١) كذا بالأصل . وفى البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا أشغى فى بت» .

أُحتُضِر فتًى كان فيه زهوٌ ، فرَفَع رأسَه فإذا أبواه يَبكِيان ، فقال لهما : ما يُبكيكما؟ قالا : الخوفُ عليك لإسرافك على نفسك ؛ فقال : لا تَبْكِيا ، فوالله ما يَسُرُّنى أنّ الذى بيد الله من الرحمة بأيديكما .

قال علىّ بن أبى طالب كَرّم الله وجهَــه : يابن آدم لا تحمِــلْ همَّ يومك الذى لم يأتِ على يومك الذى أنت فيه ، فإنْ يكُ من أجلك يأتِ فيه رزقُك ، وٱعلم أنك لا تَكسِبُ من المــال شيئًا فوق قُوتِك إلا كنت فيــه خازنًا لغيرك . قال النابغــةُ فى نحوه :

ولستُ بحابِسٍ لِغَــدٍ طعامًا * حِذارَ غدٍ لكلِّ غــدٍ طعامُ

تذاكر حُذَيفــة وسَلْمان أمرَ الدّنيــا ، فقال سَلْمان : ومن أعجب ما تذاكرْنا صعودُ غُنَيْمات الغامدىّ سريرَ كِسْرَى ، وكان أعرابىّ من غامدٍ يَرْعَى شُوَيْهاتٍ له ، فإذا كان الليلُ صَيّرها إلى عَرْصة إيوان كسرى ، وفى العرصة سريرُ رُخامٍ كان يجلس عليه كسرى ، فتَصْعَد غُنَيمات الغامدىّ إلى ذلك السرير .

دخل أبو حازم المسجدَ فوَسْوَس إليه الشيطانُ : إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك ، فقال : وقد بَلَغ هذا من نصحك ! .

قال الزبير: يكفينا من خضمكم القضم ،ومن نَصِّكم العَنَقُ(١) . قال رجلٌ لأم الدَّرداء : إنى لأجد فى قلبى داًء لا أجد له دواء ، أجد قَسْوةً شــديدة وأملًا بعيدا ؛ قالت : ٱطلع فى القبور وٱشهَد الموتى .

---

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) : سير مسبطر فسيح واسع للإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يكفينا منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خُثَيْم : لو أرحتَ نفسَك ! قال : راحتَها أُريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتابًا أنه معذِّبٌ رجلا واحدا لخفتُ أن أكونَه ، أو أنه راحمٌ رجلا واحدا لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبى لا محالةَ ما ٱزددتُ إلا اجتهادًا لئلا أرجِعَ على نفسى بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبى جميلة ، فقال لهم : دَعُونا من الثناء ، وأمِدُّونا بالدعاء .

قيل لبعض العُبّاد : مَنْ شَرُّ الناس؟ قال : من لا يُبالى أن يراه الناسُ مسيئا .

قال المِسور بن مَخْرَمة : لقد وارت ٱلأرضُ أقواما لو رأونى معكم لٱستحييتُ منهم .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه ؛ قيل : وما هى ؟ قال : الاستغفار .

كان فتًى يُجالس سُفْيان الثورىَّ ولا يتكلّم ، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمرّ به يوما فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خيل وبَقِينا على حمير دَبِرة ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إنْ كنّا على الطريق فما أسرعَ لحُوقَنا بالقوم ! .

قال الحسن : إن خَفَق النعالُ خلف الرجال قلّ ما تَلْبَث الحمْقى . وذُكر عنده الذين يلبَسون الصوفَ ، فقال : ما لهم تفاقدوا[1] ! — ثلاثا — أكَنُّوا الكِبْرَ فى قلوبهم وأظهروا التواضُعَ فى لباسهم ، والله لأحدُهم أشدُّ عُجْبًا بكسائه من صاحب المِطْرَف بمطرفه . ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قِدْرٍ طَيِّبة ، فقال : يا أباسعيد ، إنّ قِدْرَك لطيِّبة[2] ؛ قال : نعم لا رغيفى مالك وصحناه فرقد .

(١) تفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طُلِب أبو قِلَابة للقضاء فلَحِق بالشأم هَرَبا، فأقام حيناً ثم قَـدِم البَصْرة؛ قال أيّوب فقلت له : لوأنك وَلِيتَ القضاءَ وعَدَلتَ بين النـاس رَجَوتُ لك فى ذلك أجرا؛ قال لى : يا أيوب، إذا وَقَع السابح فى البحر فكم[1] عسى أن يَسْبَح !

قالت آمرأة أبى حازم يوما له : يا أبا حازم، هذا الشتاء قد هَجَم ولا بدّ لنا ممـا يُصلحنا فيه، فذكرتِ الثيابَ والطعامَ والحَطَبَ؛ فقال : من هذا كله بُدٌّ، ولكن خُذى ما لابدّ منه : الموتَ ثم البعثَ ثم الوقوفَ بين يَدَيِ الله تعالى ثم الجنّةَ أو النارَ .

قال أبو العَتَاهِية :

أَطِـعِ اللهَ بجُهْـدِكْ * عامدًا أو دون جهـدِكْ
أعطِ مولاك كما تطـ * ـلب من طاعة عبـدِكْ

وقال أيضا :

أرى أُناسًا بأَدنى الدِّين قـد قَنِعوا * ولا أراهم رَضُوا فى العيش بالدُّونِ
فآستغْنِ بالدِّين عن دُنيا الملوكِ كما آسـ * ـتغنى المـلوكُ بدنيـاهم عن الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

ما الفقرُ عارٌ ولا الغِنَى شرفُ * ولا سَخَـاءٌ فى طاعةٍ سَرَفُ
ما لَكَ إلّا شىءٌ تُقَـدِّمُه * وكل شىء أخّرتَه تَلَفُ
تَرْكُكَ مالًا لـوارثٍ يتهـ * ـنّاه وتَصْـلَى بحرّه أَسَفُ

وقال أبو العَتَاهِيَة :

ألا إنما التَّقْوى هى العِزُّ والكَرَمْ * وحبُّكَ للدنيا هو الذُّلُّ والندمْ
وليس على عبـدٍ تقىٍّ نقيصـةٌ * إذا صَحَّحَ التقوى و إن حَاكَ أوحَجَمْ

(١) فى الأصل « كم » من غير فاء .

قال عليّ بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفعُ درجات اليقين .

قيل لابن سيرين : ما أشدَّ الورَعَ ! قال : ما أيسَرَه ! إذا شككتَ فى شىء فدَعْه .

قال رجل لحُذَيْفة : أخشى أن أكونَ منافقا ؛ فقال : لو كنتَ منافقا لم تخش .

وقال محمود الورّاق :

يا ناظـرًا يرنو بعيـنَىْ راقـدِ * ومُشاهـدًا للأمر غيرَ مشـاهدِ
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجى * دَرَكَ الجنانِ بها وفوزَ العـابدِ
ونَسِيتَ أنّ الله أخرج آدمًا * منهـا إلى الدنيـا بذنبٍ واحدِ

وقال وَضّاح اليمن :

مَالَكَ وَضّـاحُ دائمَ الغـزَلِ * ألستَ تخشَى تقـارُبَ الأجلِ
يا موتُ ما إن تزالُ معترضًـا * لآملٍ دون منتهى الأمـلِ (١)
تنـال كَفّاك كلَّ مُسْهِلةٍ * وحُوتَ بحـرٍ ومَعْقِلَ الوَعِلِ
صلِّ لذى العرش واتّخذْ قدَمًا * تُنْجيـك بعـد العثـار والزَّلَلِ

قيل ليوسف عليه السـلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال : أخاف أن أشبَع فأنسَى الجائعَ .

وقال أُمَيّة بن أبى الصَّلْت :

همـا طريقان فائزٌ دخلَ الـ * جنّة حفّتْ به حـدائقُهـا
وفـرقةٌ فى الجحيم مَعْ فـرَق الشّيطان يَشْـقَ بهـا مُرَافقُها
تعرف هـذا القلوبُ حقًّا إذا * همّت بخـير فمـا عوائقُهـا
وصـدّها للشقاء عن طلب الـ * جنة دنيـا واللهُ ماحِقُهـا

(١) لم يوجد فى الأصـل من هـذا الشطر إلا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغانى فى ترجمة وضاح اليمن .

عبــدٌ دعا نفسَــه فعاتبها * يعــلم أنّ البصــيرَ رامقُها
اقترب الوعد والقــلوبُ إلى اللّهـو وحبُّ الحيــاة سائقُها
ما رغبــةُ النفس فى البقاء وأن * تحيا قليلًا والمــوتُ لاحقُهـا
أمَامهـا قائدٌ إليــه ويحـ * ـدوها حثيثًا إليــه سائقها
قد أيقنت أنهـا تصــير كما * كان يراها بالأمسِ خالقُهـا
وأنّ ما جَمَّعتْ وأعجبهـا * من عيشــةٍ مُرّةٍ مُفارِقُهـا
مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً(١) يمت هَرَمًا * للموتِ كأسٌ والمــرءُ ذائقُهـا

قال بعض الزهّاد : إنّ صفاء الزهد فى الدنيا وكمالَه ألّا تأخذ من الدنيا شيئًا ولا تتركه إلا لله، فإذا كنت كذلك كان أخْذُكَ تركًا ومعاملتُك لله فيها رِبحًا، وإنّ صفاء الرغبة فى الدنيا وكمالَها ألّا تأخذ منها شيئا ولا تتركه إلا لهـا، فإذا كنت كذلك كان تركُكَ أخذًا وفوتُ ما فات عليك منها حسرةً .

حَبَس بعضُ الملوك رجلا ثم غَفَل عنه إلى أن مَضَى عليــه زمان، فقال للموكَّل به : قل له : إنّ كلّ يوم يمضِى من نعيمك يمضى من بؤسى، والأمرُ قريبٌ، والحَكَمُ الله عزّ وجلّ . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة إذا مات شابا صحيحا .

جاء فى آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، ويتلوه فى الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاما على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد فى النسخة الفتوغرافية عقب هـذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع شعرية ونثرية فى نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف ابن قتيبة .


Bibliotheca Alexandrina
0587936